

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد الثالث عشر ﴾

هذا الفهرس يشمل أكثر المسائل المهمة في هذا المجلد . والاصفار التي عن يسار الارقام فيه تشير إلى ان المسألة مكررة في ذلك السياق . ويليه فهرسان : واحد للاحاديث المخرجة والمفسرة والآخر للمطبوعات التي ذكرت في هذا المجلد

(غ)

(ف)

(ق)

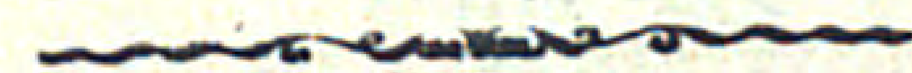
﴿ فهرس الاحاديث المخرجة والمفسرة في هذا المجلد ﴾

« وتركنا ما جاء في بعض رسائل المكاتبين لفقد الشرط »

(ب ـ ك)

(ل)

فهرس للكتب والجرائد التي قرظت في هذا المجلد



الجزء الاول — المجلد الثالث عشر

المنار

١٣١٥



مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

مصر — الخميس سلخ المحرم سنة ١٣٢٨ — ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٢٨٥ه ١٩١٠م

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشاً صحيحاً في مصر والسودان وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ٢٠ فرنكا و١٧ شلناً في الهند و٨ روابل في روسيا والدفع سلفا

الطبعة الاولى



طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

فاتحة السنة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا أمة التوحيد ، وجعل ديننا دين التوحيد ، وسياستنا سياسة التوحيد ، وأعزَّ من استقاموا منا على التوحيد ، وأذلَّ من انحرف عن محجة التوحيد ، ليعيدنا كما بدأنا الى التوحيد ، انهُ هو يُبدى ويُعيد * وهوَ الغفور الودُود * ذو العرش المجيد * فعَّالٌ لما يُريد *

والصلاة والسلام على محمد خاتم أنبيائه ورسله ، وصفوته من خلقه ، الذي بعثه بتوحيد الالوهية ، ليحرر الخلق من رق العبودية ، للعوالم السماوية أو الارضية ، وبتوحيد الربوبية ، ليعتقهم من رق التقاليد الدينية ، التي ألحقها رؤساء الاديان بالشرائع الالهية ، وبتوحيد السياسة ليكون الشعوب والقبائل أمة واحدة ، تضمها شريعة عادلة واحدة ، وتتعارف بلغة واحدة ، ليطلقهم من قيود الحكومة الشخصية الجائرة ، ويفكهم من أغلال العصبية الجنسية الخاسرة فاهتدى بكتابه العقلاء المستقلون ، وضل به السفهاء المقلدون ، فعزَّ باتباعه المؤمنون ، وذلَّ باعراضهم المعرضون ، وانهُ لكتابٌ عزيز لا يأتيه الباطلُ من بين يَديه ولا من خلفِه تنزيل من حكيم حميد * ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصلِت آياته أأعجميٌّ وعربيٌّ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمًى أولئك يُنادَون من مكان بعيد *

وبعد فقدتم للمنار اثنى عشر عاما ، كان له منها اثني عشر سفرا كبيرا فهي في هذه الامة كنقباء بني اسرائيل ، تجوب الاقطار داعية الى ذلك التوحيد ، مذكرة آخرها بما صلح به أولها ، وانها كالمطر ربما كان الخير الكثير في آخرها ، وقد وعدها الله تعالى بالاستخلاف في الارض ، واظهار دينها على الدين كله ، فلا ييئس في الاسلام اليائسون ، ومن يقنط من رحمة ربه الا القوم الضالون * وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد *

بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا ،[1] ومن تمام التشبيه أن يكون على غربته شديد القوى ، فيوحد بهداية القرآن المتعددين ، ويجمع بارشاده المتفرقين ، فيعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم باتباع السنة ، ويعيد اليهم ما فقدوا من استقلال العقل والارادة ، فيخرجون من جحر الابتداع والتقليد ، ويظهرون في حلتي المجد الطارف والتليد ، أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لَبْس من خلق جديد *

صادفت الدعوة مقاومة من قوم وارتياحا من آخرين ، كما بينا ذلك في فواتح ما سبق من السنين ، ومن اكبر الآيات المبشرات ، بأننا في اقبال حياة لا في ادبار ممات ، أن الورقات الخضراء ، في شجرة الامة الجرداء ،[2] تزداد خضرة في كثرة ، لا سقوطا ولا صفرة ، فيالها من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، حفظت حياتها على طول العهد بانقطاع الماء ، فكأنك بها وقد أصابها الوابل فآتت أكلها ضعفين ، وأوتي أهلها أجرهم مرتين ، قل هل تَرَبَّصون بنا الا احدى الحُسنيَين ، وهل نتربص

(١) اشارة الى حديث مسلم الذي يحتج به اليائسون وهو حجة عليهم (٢) اشارة الى قول الاستاذ الامام: اني أرى في هذه الشجرة الجرداء ورقات خضراء فلا أدري أهي من بقايا الحياة القديمة أم هي مبدأ حياة جديدة

بانفسنا الا ما وعدنا من سعادة الدارين ، قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب * قل جاء الحق وما يُبدئ الباطل وما يُعيد *

قد تمهد طريق الاصلاح ، ونادى مؤذنه حيّ على الفلاح ، فسمعه العربي والتركي ، والفارسي والهندي ، والتتري والصيني ، والملاوي والزنجي ، الحضري منهم والبدوي ، فأقبل كثير من المعرضين ، وعرف كثير من المنكرين ، ونطق كثير من الساكتين ، ودعا كثير من المثبطين ، وأدعى كثير من الكاذبين ، فان كان قد آن لمن تمهد لهم الطريق ان يقولوا ، فقد آن للممهدين ان يسيروا ، ولمن قالوا من قبل ان يفعلوا ، وهُدُوا إلى الطَّيِّب من القول وهُدُوا إلى صراط الحَميدِ *

هذا ماأعد الله له الأمة ، بعد ان طال عليها أمد الغمة ، ورأى أهل البصيرة من عقلائها ماأصابها من الادواء ، وشعروا بشدة الحاجة الى الدواء كان مرضها واحدا ، فكان شعورهم كذلك واحدا ، ذلك بأن الاسلام قد جعلها أمة واحدة في صحتها ، وواحدة في مرضها ، لم يقو على توحيده إياها اختلاف المذاهب واللغات ، ولا تباعد الجهات وتعدد الحكومات ، فكما كانت صحتها بالاهتداء بكتابه وسننه ، كان مرضها بالاعراض عن هدايته ، التي جمعت بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، واستقلال العقل والارادة في العلم والعمل ، ورابطتي الاخوة والفضل والبر والعدل بين جميع الملل والنحل ،[1] وانما العلاج ان يرجعوا من دينهم الى خير ما فقدوا ، ويأخذوا لمصلحة دنياهم أحسن ماوجدوا ، وكذلك فعل المنعم عليهم ، الذين كلفوهم

«١» كتبنا في المنار من قبل مقالة في جنسية الاسلام بينا فيها ان الاسلام جاء برابطتين اجتماعيتين احداهما دنيوية اجتماعية وهي تربط جميع من يعيشون في داره ويخضعون لسلطانه بشريعة العدل والمساواة والبر والاحسان مهما اختلفت أديانهم . والثانية روحانية تربط الآخذين بعقائده وآدابه بأخوة أخرى

التأسي والاهتداء بهم ، لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد *

لقد رحضت النوازل هذه الأمة رحضا، ثم مخضتها النوائب مخضاء وقد آن ان تخرج زبدها محضا ، فقد ظهرت نقطه من زمن بعيد، وكثرت ذراته من عهد قريب ،ولم يبق الا أن يجذب بعضها الى بعض، وتكون في جانب من الزق، هنالك يظهر خير الاسلام، ويعرف فضله في جميع الأنام، وان ذلك لواقع ماله من دافع ،انهم يرونه بعيدا، ونراه قريبا، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد *

فالمنار يذكر مريدي الاصلاح في هذا العام ، بوجوب التعاون على الاستمداد من هذا الاستعداد العام ، فبادروا الى اغتنام فرص الزمان ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وماذاك الا ان تجتمعوا على حقكم ، وتتعارفوا أنتم ومن يشعر شعوركم ويرى رأيكم، وتوحدوا طريق التربية والتعليم ،في الجمع بين علوم الدنيا والدين، قبل ان يغلبكم على الامة أهل التربية المادية المضطربة، والتعاليم التقليدية المذبذبة، الذين تحولوا عن التقاليد الاسلامية ،الى التقاليد الافرنجية الصورية ، فهم يدحرجون الامة من تقليد الى تقليد ،ويقذفون بالغيب من مكان بعيد، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد *

لقد وقف سلفنا العقار والاراضي الواسعة، وبذلوا الدثور والاموال الكثيرة ، على معاهد العلم كالمدارس والمكاتب، ومعاهد التربية والارشاد كالرباطات والتكايا والزوايا، وها نحن أولاء نرى الخلف ،قد انشأوا يحيون

سنة السلف ، فهم يبذلون الاموال الكثيرة للاعمال العلمية والخيرية ، والاحزاب والجمعيات السياسية ، أفحسبتم أن الامة تسخو في نهضتها على الحظوظ والمنافع العاجلة ،وتبخل على الاصلاح الاسلامي الجامع بين سعادة الدنيا والآخرة؟، تلك اذاً كرة خاسرة ،وانا لمردودون في الحافرة ، كلا اننا أمة قد كمنت فيها وما فارقتها الحياة، وان الاسلام نائم في قلوب العامة فيحتاج الى الايقاظ ، وقد كثرت صيحات الموقظين ، الا أنهم لا يزالون متفرقين ومختلفين، وقد أذن اليوم بينهم مؤذن التوحيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد* لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد*

ان المجتمعين أجدر بالفلاح من المتفرقين ، وان المتفقين أحق بالنجاح من المختلفين ،وان المستقلين أولى بالثبات من المقلدين، وان الثابتين أقوى في الجلاد من المتزلزلين ،على أننا لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا سنان، وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ، ونحاكمهم الى السنة والقرآن، ونصبر على ما آذونا، ونحسن اليهم وان أساؤا الينا ،ولكن لا نترك أمر الامة في التربية والتعليم، يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم، فلهم دون ذلك ما يشاؤن، وليعملوا على مكانتهم انا عاملون ،ولينتظروا انا منتظرون ، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد

يا أهل القرآن :ان القرآن كان حجة لكم ،فصار اليوم حجة عليكم، أخبركم الله فيه أن الارض يرثها عباده الصالحون ،وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وان حقا عليه نصر المؤمنين ، وانه وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ،وقال «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» ،وبين ذلك بقوله «ماعلى المحسنين من سبيل،انما السبيل

على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض» ، فما بال الناس يرثون أرضكم، ويخلفونكم في ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضا، بل لا تحفظون ارثا، وما بالهم يسلكون كل سبيل للافتيات عليكم ، وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديهم وأيديكم، كيف ذهبت عزتكم ، وكيف خضدت شوكتكم ، وكيف كنتم تأخذون فتحمدون ، فصرتم تعطون فتذمون ، هل رضيتم بأن تكونوا من الظالمين الباغين ، بعد ان كنتم خير العادلين المحسنين، أليس منكم رجل رشيد، اترضون ان تكونوا ممن نزل فيهم «بأسهم بينهم شديد» ألا تتدبرون قوله تعالى «وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه أليم شديد »

يا أهل القرآن : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» ، وجعلكم الله أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس من أفرط منهم ومن فرّط ، ولكنكم غيرتم ما بأنفسكم ، فغير الله ما بكم ، فتنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، وها أنتم أولاء تستيقظون ، فان سرتم الهوينا فالناس مجدّون، وان كنتم لا تزالون تختلفون فهم يتفقون ، فلا يفرقن بينكم جنس ولا نسب، ولا لغة ولا مذهب ، ولا سياسة ولا مشرب ، فان تفرقتم فهي القاضية ، فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية، اعتبروا بتأريخ من قبلكم، وبأحوال الامم في عصركم ، وتدبروا القرآن ، وما بيّنه من سنن الله في نوع الانسان، فقد آن الاوان، واستدار الزمان، واتصل القريب بالبعيد، وامتاز الغوي من الرشيد، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

منشيء المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٨ : ٢٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (١٩ : ٢٤) وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً (٢٠ : ٢٥) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً

قالوا في وجه اتصال الآية الاولى من هذه الآيات بما قبلها من اول السورة لما نهى سبحانه فيما تقدم عن عادات الجاهلية في امر اليتامى والاموال عقبه بالنهي عن نوع من الاستنان بسنتهم في النساء انفسهن او اموالهن . وقال الاستاذ الامام وجه الاتصال ظاهر وهو ان الكلام من اول السورة في النساء والبيوت وانما جاء ذكر التوبة استطرادا . واما ماورد في سبب نزولها فقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال كان الرجل اذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها . وفي رواية البخاري وأبي داود : كانوا اذا مات الرجل كان

اولياؤه احق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاءوا زوجوها وان شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من اهلها فنزلت هذه الآية في ذلك . واخرج ابن المنذر عن عكرمة قال نزلت هذه الآية في كبيشة ابنة معن بن عاصم من الاوس كانت عند ابي قيس ابن الأسلت فتوفي عنها فجنح عليها ابنه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : لا انا ورثت زوجي ولا أنا تُركت فأنكح . فنزلت . وروي مثله عن ابي جعفر . واخرج ابن ابي حاتم عن زيد ابن أسلم قال كان اهل يثرب اذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله فكان يعضلها حتى يتزوجها او يزوجها من أراد فنهى الله المؤمنين عن ذلك . وروي عن الزهري انها نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له بها وينتظر موتها حتى يرثها . قال تعالى

﴿ يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ اي لا يحل لكم أيها الذين خرجوا من الشرك وتقاليده الجائرة وآمنوا بالله وبما نزل على رسوله (ص) ان تستمروا على سنة الجاهلية في هضم حقوق النساء فتجعلوهن ميراثا لكم كالاموال والعروض والعبيد وتتصرفوا بهن كما تشاءون فان شاء احدكم تزوج امرأة من يموت من أقاربه وان شاء زوجها غيره وان شاء امسكها ومنعها الزواج وذلك هو العضل الآتي ذكره . وقيل المراد لا يحل لكم ان ترثوا اموال النساء كرها بان تمسكوهن على كره لاجل ان تموتوا فترثوهن وقوله « كرها » قرأه حمزة والكسائي بالضم حيث وقع ووافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب في الاحقاف وقرأه الباقون بالفتح . وهو بالضبطين مصدر لكره ضد أحب (كما ورد الضعف بضم الضاد وفتحها) وقيل الكره بالضم الاكراه وبالفتح الكراهية وقيل يطلق كل منهما على المكروه وعلى ما اكره المرء عليه . ولذلك اختلفوا في تفسير الكره هنا فقيل معناه لا ترثوهن حال كونهن كارهات لذلك، وقيل حال كونهن مكرهات عليه، وقيل حال كونهن كارهين لهن، وقيل حال كونكم مكروهين لهن وكل هذه المعاني صحيحة . ولفظ الكره ليس قيداً للتحريم وانما هو بيان للواقع . قال الاستاذ الامام: كانت العرب تحتقر النساء وتعدهن من قبيل المتاع والعروض حتى كان الاقربون يرثون زوجة من يموت منهم كما يرثون ماله فحرم الله

هذا العمل من اعمال الجاهلية . ولفظ الكره هنا ليس قيدا وانما هو بيان للواقع الذي كانوا عليه فانهم كانوا يرثونهن بغير رضاهن ﴿ ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ اصل العضل التضييق والمنع والشدة ومنه الداء العضال اي الشديد الذي لا منجاة منه . والجملة مستأنفة للنهي عن العضل أو معطوفة على ما قبلها بناء على انه في معنى النهي كما هو مفهوم التحريم كأنه قال لا ترثوا النساء ولا تعضلوهن . ويجوز ان تكون « لا » لتأكيد النفي و « تعضلوهن » معطوف على « لا ترثوا » والمعنى لا يحل لكم ارث النساء ولا عضلهن اي ولا التضييق عليهن لاجل أن تذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي أعطيتموهن من ميراث او صَداق أو غير ذلك والخطاب لمجموع المؤمنين لتكافلهم فيصدق بما اعطوه للنساء من ميراث ومهر زواج وغير ذلك وجعله بعضهم للازواج وبعضهم للورثة وكل منهم كان يعضل النساء

وقد اخرج ابن جرير عن ابن زيد قال كانت قريش بمكة ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فلعلها ما توافقه فيفارقها على ان لا تتزوج الا باذنه فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها فاذا خطبها خاطب فان اعطته وارضته اذن لها والا عضلها . وكثيرا ما كانوا يضيقون عليهن ليفتدين منهم بالمال ، وليراجع تفسير قوله تعالى (٢ : ٢٣١ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) (١) وقوله (٢ : ٢٢٩ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) (٢) وغير ذلك . وخص الآية في الجلالين بالمنع من الزواج ورده الاستاذ الامام قال : ليس معنى العضل هنا ما قاله المفسر (الجلال) من انه المنع من زواج الغير بل معناه لا تضاروهن ولا تضيقوا عليهن ليكرهنكم ويضطررن الى الافتداء منكم فقد كانوا يتزوجون من يعجبهم حسنها ويزوجون من لا تعجبهم أو يمسكونها حتى تفتدي بما كانت ورثت من قريب الوارث او ما كانت أخذت من صَداق ونحوه او المجموع من هذا وذاك وربما كلفوها الزيادة ان علموا انها تستطيعها وذلك هو العضل المحرم هنا . اقول وروي نحو من هذا عن أبي جعفر (رض) وكثير من المفسرين . واقول قد تقدم انهم كانوا لا يورثون

(١) ص ٣٩٦ ج ٢ تفسير (٢) ٣٨٢ ج ٢ تفسير

المرأة فليراجع تفسير « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » من هذا الجزء وهذه السورة وكذلك اسباب الارث عند الجاهلية في أول تفسير آيتي المواريث

﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ الفاحشة الفعلة الشنيعة الشديدة القبح وكلمة «مبينة» قرأها ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء المشددة اي بصيغة اسم المفعول والباقون بكسرها اي بصيغة اسم الفاعل أي ظاهرة متبينة أو مبينة حال صاحبها فاضحة له . وقد ورد بيَّن بمعنى تبين اللازم. روي عن ابن عباس وقتادة والضحاك ان الفاحشة المبينة هنا هيَ النشوز وسوء الخلق . قال بعضهم ويؤيد ذلك قراءة ابيّ « الا ان يفحشن عليكم » وروي عنه وعن ابن مسعود انهما قرءا « الا ان يفحشن » دون لفظ «عليكم » وعندي انهما ذكرا الآية بالمعنى فظن السامع انهما رويا ذلك قراءة فعنيا لفظ القرآن . وعن الحسن وغيره انها الزنا . ويجوز ان يراد بها ماهو أعم من الامرين . والمعنى لاتعضلوهن في حال من الاحوال أو في زمن من الازمان الا الحال أو الزمن الذي يأتين فيه بالفاحشة المبينة دون الظنة والشبهة فاذا نشزن عن طاعتكم بالمعروف المشروع ولم ينفع معهن التأديب الذي سيذكر في آية أخرى من هذه السورة وساءت عشرتهن لذلك أو تبين ارتكابهن للزنا أو السحاق فلكم حينئذ ان تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق وغيره إذ لا يكلفكم الله أن تخسروا عليهن مالكم في هذه الحالة التي يجيء فيها الفحش من جانبهن كما في الآية الاخرى «٢: ٢٢٩ ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا أن لا يقيما حدود الله » وقد أشرنا اليها آنفا

الاستاذ الامام : روي عن بعض مفسري السلف ان الفاحشة هنا هي الزنا وعن بعضهم انها النشوز وعن بعضهم انها الفحش بالقول والصواب عدم تعينها وتخصيصها بأحد هذه الامور بل تبقى على اطلاقها فتصدق بالسرقة ايضا فانها من الامور الفاحشة الممقوتة عند الناس ولكن يعتبر فيها هذا الوصف المنصوص وهو أن تكون مبينة أي ظاهرة فاضحة لصاحبها وإنما اشترط هذا القيد لئلا يظلم الرجل المرأة باصابتها الهفوة واللمم ،أو بمجرد سوء الظن والتهم ، فمن الرجال الغيور السيء الظن يؤاخذ

المرأة بالهفوة فيعدها فاحشة، وقد حرم الله المضارة لاجل أن يأخذ الرجل منها بعض ما كان آتاها من صداق أو غيره فعلم منه ان المضارة لاخذ جميع ذلك أو اكثر منه حرام بالاولى . وانما ابيح للرجل أن يضيق على امرأته اذا أتت بالفاحشة المبينة لان المرأة قد تكره الرجل وتميل إلى غيره فتؤذيه بفحش من القول اوالفعل ليملها ويسأم معاشرتها فيطلقها فتأخذ ما كان آتاها وتتزوج آخر تتمتع معه بمال الاول وربما فعلت معه بعد ذلك كما فعلت بالاول . واذا علم النساء ان العضل والتضييق بيد الرجال ومما ابيح لهم اذا هن اهنَّهم بارتكاب الفاحشة المبينة فان ذلك يكفهن عن ارتكابها والاحتيال بها على أرذل الكسب

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ أي يجب عليكم ايها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نسائكم بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهن بالمعروف الذي تعرفه وتألفه طباعهن ولا يستنكر شرعا ولا عرفا ولا مروءة فالتضييق في النفقة والايذاء بالقول أوالفعل وكثرة عبوس الوجه وتقطيبه عند اللقاء كل ذلك ينافي العشرة بالمعروف . وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة اي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك وروي عن بعض السلف انه يدخل في ذلك ان يتزين الرجل للمرأة بما يليق به من الزينة لانها تتزين له والغرض أن يكون كل منهما مدعاة سرور الآخر وسبب هنائه في معيشته . وقد فسر المعروف بعضهم بالنصفة في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل وفسره بعضهم تفسيرا سلبيا فقال هو ان لا يسيء اليها ولا يضرها وكل منهما ضعيف وجعل الاستاذ الامام المدار في المعروف على ماتعرفه المرأة ولا تستنكره وما يليق به وبها بحسب طبقتهما في الناس وقد اشرنا الى ذلك . وادخل فيه بعضهم وجوب الخادمة لها ان كانت ممن لايخدمن انفسهن وكان الزوج قادرا على اجرة الخادمة . وقلما يقصر المسلمون فيما يجب للنساء من النفقة بل هم اكثر اهل الملل إنفاقا على النساء واقلهم إرهاقا لهن بالخدمة ولكنهم قصروا في امور اخرى : قصروا في اعداد البنات للزوجية الصالحة بما يجب من التربية الدينية الاجتماعية الاقتصادية الصحية والتعليم المغذي لهذه التربية فعسى ان يرجعوا عن قريب

﴿ فان كرهتموهن ﴾ لعيب في الخَلق أو الخُلق مما لايعد ذنبا لهن لان أمره ليس في أيديهن أو التقصير في العمل الواجب عليهن في خدمة البيت والقيام بشئونه مما لايخلو عن مثله النساء وكذا الرجال في أعمالهم أولميل منكم الى غيرهن فاصبروا ولا تعجلوا بمضارتهن ولا بمفارقتهن لاجل ذلك ﴿ فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ فهذا الرجاء علة لما دل عليه السياق من جزاء الشرط. ومن الخير الكثير بل أهمه وأعلاه الاولاد النجباء فرب امرأة يملها زوجها ويكرهها ثم يجيئه منها من تقر به عينه من الاولاد النجباء فيعلو قدرها عنده بذلك وقد شاهدنا وشاهد الناس كثيرا من هذا وناهيك به «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين »

نِعَم الإله على العباد كثيرة ‏ ‏ ‏ ‏ واجلهن نجابة الاولاد

ومنها ان يصلح حالها بصبره وحسن معاشرته فتكون أعظم أسباب هنائه في انتظام معيشته وحسن خدمته لاسيما اذا أصيب بالامراض أو بالفقر والعوز فكثيراً مايكره الرجل امرأته لبطره بصحته وغناه واعتقاده انه قادر على ان يتمتع بخير منها وأجمل فلا يلبث ان يسلب ماأبطره من النعمة ويكون له منها اذا صبر عليها في ايام البطر، خير سلوى وعون في ايام المرض او العوز، فيجب على الرجل الذي يكره زوجه أن يتذكر مثل هذا ويتذكر ايضا انه لايخلو من عيب تصبر امرأته عليه في الحال، غير ماوطنت نفسها عليه في الاستقبال، وقد بينا حاجة كل من الزوجين الى مودة الآخر ورحمته ولا سيما في حال الضعف والعجز في مقالات (الحياة الزوجية) فتراجع في المجلد الثامن من المنار وربما نودع ذلك في تفسير قوله تعالى (٣٠: ٢٠ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)

هذا وان التعليل في الآية يرشدنا الى قاعدة عامة تأتي في جميع الاشياء لافي النساء خاصة وهي ان بعض مايكرهه الانسان يكون فيه خير له متى جاء ذلك الخير تظهر قيمة ذلك الشيء المكروه وهي قاعدة عرف العقلاء صدقها بالتجارب ولاجل التنبيه لها قال تعالى «وعسى أن تكرهوا شيئا» ولم يقل وعسى ان تكرهوا امرأة . ثم ان في الصبر على المكروه واحتماله فوائد اخرى غير مايمكن ان يكون في المكروه

نفسه من الخير المحبوب فالصابر المتحمل يستفيد من كل مكروه بصبره ورويته سواء ترتب عليه في ذاته خير أم لا . ومن المكروه الذي يترتب عليه خير القتال بالحق لاجل حماية الحق والدفاع عنه فهو بمافيه من المشقة مكروه طبعا وناهيك بما يترتب عليه من إظهار الحق ونصره وظهور أهله وخذلان الباطل وحزبه (راجع تفسير ٢: ٢١٦ كتب عليكم القتال وهو كره لكم «١») وللاستاذ الامام كلام حسن هناك في ذلك وليس عندنا شيء عنه في هذه الآية . والحاصل ان الاسلام يوصي أهله بحسن معاشرة النساء والصبر عليهن اذا كرههن الازواج رجاء ان يكون فيهن خير. وانما يبيح مؤاخذتهن بما تقدم من العضل حتى يفتدين بالمال اذا أتين بفاحشة مبينة بحيث يكون امساكهن سببا لمهانة الرجل واحتقاره، او اذا خافا ان لايقيما حدود الله كما في آية البقرة. والا وجب على الزوج اذا طلق امرأته أن يعطيها جميع حقها وذلك قوله عز وجل:

﴿ وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ﴾ أي إن أردتم استبدال زوج جديدة ترغبون فيها مكان زوج سابقة ترغبون عنها لكراهتكم لها وعدم طاقتكم الصبر على معاشرتها بالمعروف وهي لم تأت بفاحشة مبينة وقد آتيتم من قبل احداهن قنطارا من المال اي مالا كثيرا(٢) سواء اخذنه وحزنه في ايديهن أو التزمتموه لهن فصار دينا في ذمتكم فلا تأخذوا منه شيئا بل يجب ان يكون كله لصاحبته لانكم انما تستبدلون غيرها بها لاجل هوا كم وتمتعكم بغير ذنب شرعي منها يبيح لكم أخذ شيء منهن كأن تكون هي الطالبة لفراقكم المسيئة اليكم لاجل حملكم على طلاقها . فاذا لم تفعل شيئا يبيح لكم ذلك فبأي وجه تستحلون أخذ شيء من مالها ؟ ﴿ اتأخذونه بهتانا واثما مبينا ﴾ إستفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذون ذلك الشيء باهتين إياها كاذبين عليها بنسبة الفاحشة اليها !؟ فالبهتان هو الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويسكته متحيرا يقال بهته فبهت اي افترى عليه هذا النوع من الافتراء فأدهشه وأسكته متحيرا والاثم الحرام . قال الاستاذ الامام ان ذكر ارادة الاستبدال مبني على الغالب في مثل

«١» ص ٣١٩ ج ٢ تفسير «٢» تقدم تفسير القنطار في ص ٢٤٤ ج ٣ تفسير

هذه الحالة وليس شرطا لعدم حل اخذ شيء من مال المرأة فاذا طلقها وهو لا يريد تزوج غيرها وإنما كره عشرتها أو اختار الوحدة وعدم التقيد بالنساء او غير ذلك فانه لا يحل له اخذ شيء من مالها كما يعلم من اشتراط الاتيان بفاحشة مبينة

﴿ وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض ﴾ انكار آخر لاخذ شيء من مال المرأة مع إيحاشها بالطلاق والرغبة عنها اكد به الانكار الاول مبالغة في التنفير او الاستفهام للتعجب من حال من تمتع بامرأته وعاملها معاملة الازواج وهي اشد صلة حيوية بين البشر ثم رغب عنها واراد فراقها من غير أن تتوسل إلى ذلك او تلجئه اليه بارتكاب الفاحشة المبينة او عدم اقامة حدود الله ولم يتأثم مع ذلك من أكل شيء من مالها الذي كان آتاها في حال الاقبال عليها والرغبة فيها . يقول كيف تأخذون ذلك الشيء من مالهن والحال انكم قد افضيتم اليهن اي خلصتم ووصلتم اليهن ذلك الخلوص الخاص بالزوجين الذي يتحقق به معنى الزوجية تمام التحقق فيلابس كل منهما الآخر حتى كأنهما حقيقة واحدة ولاجله يعبر بها عن كل منهما باللفظ المفرد الدال على التثنية « زوج » و به يتكون منهما الولد الذي هو واحد نسبته الى كل منهما واحدة ؟ أبعد هذا الافضاء والملابسة يصح ان يكون القاطع للصلة العظيمة طامعا في مال الآخر المظلوم ولسان الحال يقول

و بتنا وما بيني و بينك ثالث كزوج حمام أو كغصنين هكذا
فمن بعد هذا الوصل والود كله أ كان جميلا منك تهجر هكذا

وقال بعض الفقهاء ان المراد بالافضاء هنا الخلوة الصحيحة ، وان لم تحصل فيها الملامسة المقصودة ، وهم انما يفسرون بما يوافق قواعدهم وان لم يتفق مع الاسلوب العربي البليغ فالجملة من باب الكناية وانما تكون فيما لا يحسن التصريح به و يؤيده تعدية الافضاء بالى الدال على منتهى الاتصال . وهذا من حسن نزاهة القرآن في التعبير وأدبه العالي في الخطاب ومن الدقة فيه ما ذكره الاستاذ الامام من نكتة التعبير بقوله « بعضكم الى بعض » أي مع كون الظاهر أن يقول وقد أفضيتم اليهن أو أفضى أحدكم الى الآخر وهي الاشارة الى كون كل واحد من الزوجين بمنزلة

جزء الآخر وبعضه المتمم لوجوده فكأن بعض الحقيقة كان منفصلا عن بعضها الآخر فوصل اليه بهذا الافضاء واتحد به

ثم قال ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ أي عهدا شديدا موثقا يربطكم بهن أقوى الربط وأحكمه . وقد روي عن قتادة وغيره ان هذا الميثاق هو ما أخذ الله للنساء على الرجال بقوله (٢ : ٢٢٩ فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) قال وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح فيقال : الله عليك لتمسكنّ بمعروف أو لتسرحنّ باحسان . وعن مجاهد انه كلمة النكاح أي صيغة العقد التي حلت به المرأة للرجل وقال بعضهم هو ما أمر الله تعالى به الرجال من معاشرتهن بالمعروف كما في الآية التي قبل هذه . وقال الاستاذ الامام ان هذا الميثاق الذي أخذه النساء من الرجال لا بد أن يكون مناسبا لمعنى الافضاء في كون كل منهما من شئون الفطرة السليمة وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة (٣٠:٢١ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فهذه آية من آيات الفطرة الالهية هي اقوى ما تعتمد عليه المرأة في ترك أبويها واخوتها وسائر أهلها والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء ، فمن آيات الله تعالى في هذا الانسان ان تقبل المرأة بالانفصال من اهلها ذوي الغيرة عليها لأجل الاتصال بالغريب تكون زوجاً له ويكون زوجا لها تسكن اليه و يسكن اليها ويكون بينهما من المودة والرحمة أقوى من كل ما يكون بين ذوي القربى فكأنه يقول ان المرأة لا تقدم على الزوجية وترضى بأن تترك جميع أنصارها وأحبابها لاجل زوجها الا وهي واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشتها معه أهنأ من كل عيشة ، وهذا ميثاق فطري من اغلظ المواثيق وأشدها إحكاما . وإنما يفقه هذا المعنى الانسان الذي يحس إحساس الانسان ؛ فليتأمل تلك الحالة التي ينشئها الله تعالى بين الرجل وامرأته يجد ان المرأة اضعف من الرجل وانها تقبل عليه وتسلم نفسها اليه مع علمها بانه قادر على هضم حقوقها فعلى اي شيء تعتمد في هذا الاقبال والتسليم ؟ وما هو الضمان الذي تأخذه عليه والميثاق الذي تواثقه به ؟ ماذا يقع في نفس المرأة إذا قيل لها إنك ستكونين

زوجا لفلان ؟ ان اول شيء يخطر في بالها عند سماع مثل هذا القول او التفكر فيه وان لم تسئل عنه هو انها ستكون عنده على حال افضل من حالها عند ابيها وامها وما ذلك الا لشيء استقر في فطرتها وراء الشهوة ، ذلك الشيء هو عقل إلهي وشعور فطري اودع فيها ميلا الى صلة مخصوصة لم تعهدها من قبل ، وثقة مخصوصة لا تجدها في أحد من الاهل ، وحنوا مخصوصا لا تجد له موضعا الا البعل ، فمجموع ذلك هو الميثاق الغليظ الذي اخذته من الرجل بمقتضى نظام الفطرة الذي يوثق به ما لا يوثق بالكلام الموثق بالعهود والايمان ، و به تعتقد المرأة انها بالزواج قد اقبلت على سعادة ليس وراءها سعادة في هذه الحياة وإن لم تر من رضيت به زوجا ، ولم تسمع له من قبل كلاما ، فهذا ما علمنا الله تعالى إياه وذكرنا به - وهو مركوز في اعماق نفوسنا - بقوله ان النساء قد اخذن من الرجال بالزواج ميثاقا غليظا ، فما هي قيمة من لا يفي بهذا الميثاق وما هي مكانته من الانسانية اه بتصرف مّا

وقد استدل بعض الناس بالآيتين على منع الخلع وهو بضم الخاء طلاق المرأة على عوض تبذله للرجل كأن تترك له ما كانت اخذت منه من صداق وغيره ولذلك قالوا ان ما هنا ناسخ لآية البقرة «٢: ١٢٩ فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به» وزعم آخرون ان تلك ناسخة لهذه وليس عند أحد الفريقين دليل على ان ما جعله ناسخا هو المتأخر وإنما أعياهم الجمع بين الحكمين فحكموا بنسخ احدهما بالآخر وآية النسخ التنافي ولا تنافي بين ما هنا وما في سورة البقرة كما علم من التفسير الذي شرحناه آنفا وقد صرح المحققون بعدم النسخ في الموضعين وقالوا ان المحرم هنا هو أخذ شيء من مال المرأة بغير طيب نفس منها والمباح هناك ما افتدت به نفسها برضاها لتعذر الاتفاق بينها وبين زوجها

واستدل بعضهم بذكر القنطار هنا على جواز التغالي في المهور والآية ليست نصا في جواز جعل القنطار مهرا لجواز ان يكون ايتاء القنطار بوجوه متعددة كالهدايا والمنح ولكن روى سعيد بن منصور وابو يعلى بسند جيد عن مسروق أن عمر بن الخطاب (رض) نهى على المنبر أن يزاد في الصداق على اربع مئة درهم ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: أما سمعت الله يقول «وآتيتم إحداهن

قنطارا» فقال اللهم عفوا كل الناس افقه من عمر! ثم رجع فركب المنبر فقال: إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في صدقاتهن على أربع مئة درهم فمن شاء ان يعطي من ماله ما أحب . وفي رواية أبي عبد الرحمن السلمي عند عبد الرزاق وابن المنذر انه قال: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته . وفي الموفقيات للزبير بن بكار عن عبد الله بن مصعب قال قال عمر: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية (أي من الفضة) فمن زاد أوقية جعلت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة ماذاك لك ، قال ولم ؟ قالت لأن الله يقول «وآتيتم احداهن قنطارا» الآية فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ . ونقول نعم ان الشريعة لم تحدد مقدار الصداق للمرأة بل تركت ذلك للناس لتفاوتهم في الغنى والفقر فيعطي كل بحسب حاله ولكن ورد في السنة الارشاد الى اليسر في ذلك وعدم التغالي فيه ومنه حديث «ان من خير النساء ايسرهن صداقا» رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس ، وحديث «ان من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها» رواه احمد والحاكم والبيهقي من حديث عائشة . وفي معناها حديثها عند هؤلاء «اعظم النساء بركة أيسرهن صداقا» كذا رأيته في بعض كتب التفسير وهو في الجامع الصغير بلفظ «ايسرهن مؤنة»

هذا وان التغالي في المهور قد صار من اسباب قلة الزواج لانه يكلف الرجال ما لا طاقة لهم به وقلة الزواج تفضي الى كثرة الزنا والفساد و يكون الغبن في ذلك على النساء اكثر حتى انه ربما ينتهي بالسنة الالهية في الخلق المعبر عنها برد الفعل الى أن يصير النساء في الاسلام هن اللواتي يعطين المهور للرجال ليتزوجوهن كما هي عادة النصارى . وانك لترى هذه العادة الضارة متمكنة في بعض الناس تمكنا غريبا حتى ان احدهم ليمتنع من تزويج ابنته للكفء الصالح الذي لا يطمع في مثله اذا كان لا يعطيه ما يراه لائقا بمقامه من الصداق وقد يزوجها لمن لا يرضيه دينه ولا خلقه ولا يرجو لها الهناء عنده اذا هو أعطاه المقدار الكثير الذي يخيل اليه جهله انه لائق بمقامه ، وهكذا تتحكم العادات الضارة والتقاليد الفاسدة بالناس حتى تفسد عليهم نظام معيشتهم وهم لجهلهم او ضعف عزائمهم ينقادون لها صاغرين !

الانتقاد على المنار

نعيد الاقتراح على العلماء المخلصين بأن يكتبوا الينا بانتقاد مايرونه منتقدا في المنار من مسائل الدين وغيرها عملا بما أوجب الله تعالى من التواصي بالحق والتعاون على الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولكننا نشترط ان تكون الكتابة مختصرة بقدر الامكان وان تذكر المسألة المنتقدة و يبين المكان الذي نشرت فيه بأن يقال هي في جزء كذا من مجلد كذا واذا ذكر عدد الصفحة يمكن ان يستغنى عن عدد الجزء وان لايحتج علينا في المسائل الدينية بأقوال بعض العلماء بل بالكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس فيما هما حجة فيه وأن لايكون في الكلام استطراد الى مسائل أخرى لاتفيد في بيان المراد من الانتقاد . فمن خالف شيئا من هذه الشروط فلنا الخيار في نشر مايكتبه وتركه أو نشر ملخصه ولو بالمعنى لانه لايمكن أن نشغل كثيرا من صفحات المنار بالجدل والقيل والقال

انتقاد احمد بدوي افندي

وليعتبر القراء ذلك بانتقاد احمد بدوي افندي النقاش علينا وعلى جميع المسلمين في مسألة القضاء والقدر انتقادا مبهما على غير شرطنا فقد نشرنا كلامه على علاته وأجبنا عنه فانتقل الى الانتقاد علينا وعلى سائر المسلمين في عقيدة القسمة (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي علم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها فنشرنا كلامه على علاته ايضا وأجبنا عنه . فأرسل الينا ردا آخر يزيد على ثلاثين ورقة أرسلها الى ادارة المنار وأرسلتها الادارة الينا في القسطنطينية فقرأنا جملا من مواضع منها فاذا هي مملوءة بالتناقض والسلطة والاغلاط اللغوية حتى في بديهيات النحو . وقد لامنا كثير من القراء على مانشرنا له من قبل فماذا يقولون اذا نشرنا له هذه الرسالة الطويلة العريضة وما وعد بارساله بعدها لتوضيح مسائلها ؟؟

يقول احمد بدوي افندي اننا ظلمناه فيما كتبناه عن انكاره لعلم الله بجزئيات أعمال الناس كلها قبل وقوعها وجاء بفقرات من رسالته يحتج بها علينا في ذلك ثم انه اهاننا بفقرات كثيرة وعيرنا بتقليد الغزالي كما عيرنا من قبل بتقليد ابن تيمية! فليقل في ذلك ماشاء سامحه الله تعالى ونحن نتمنى لو يكون مصيبا ونكون مخطئين فيما فهمناه من كلامه وللقراء حكمهم في ذلك .

قد انطبع في ذهن احمد بدوي افندي مسائل في فلسفة الدين مخالفة لما فهمه المسلمون ولما جروا عليه من الصدر الاول الى اليوم وهو يريد بثها في المنار والمناضلة عنها فيه على كونه عاجزا عن بيانها وعن فهم مايرد عليها لضعفه في اللغة العربية وعلى اعجابه بها بحيث لايطيق قبول شيء يخالفها فنحن لاننشر له بعد الذي نشرناه شيئا منها لاسباب (منها) ان المنار لم ينشأ لنشر فلسفة الافراد الشاذة التي تهوش بعض الاذهان ولا تنفع أحدا لما فيها من البطلان في بعض المسائل والسلطة والخطأ في العبارة (ومنها) عدم الرجاء في ارجاع صاحبها عن خطأه لاعجابه برأيه وكونه لايفهم مايوجه اليه من الكلام العربي الصحيح فهما تاما . وأوضح الآيات على ذلك انه فهم من قراءة المنار في الزمن الطويل ان منشيء المنار مقلد لبعض العلماء كالغزالي (وهذا ماجزم به في رسالته الاخيرة التي لم ننشرها) وانه مع ذلك يدعو الناس الى تقليد نفسه !!! (ومنها) اضاعة كثير من صفحات المنار فيما نعتقد انه يضر ولا ينفع . فلأحمد بدوي افندي ان ينشر فلسفته في مجلة ينشئها أو كتب ورسائل ينشرها أو يبحث عن مجلة غير المنار

هذا واننا بعد هذا كله نحترم استقلال الرجل بفهمه ونعذره من بعض الوجوه على ماتراه مخطئا به ونقول إنه يجوز ان تكون تخطئتنا له في بعض المسائل لضعف عبارته وكونها لاتؤدي مقصده ولكننا نجزم بأنه على استعداده للفلسفة الدينية قد أخطأ ويخطيء كثيرا في فهم القرآن وفي النظر والاستدلال ولعله لو أتقن اللغة العربية واطلع على كتب التفسير والحديث وترك الاعجاب برأيه يجيء منه خير كثير والله الموفق

* * *

﴿ آدم ابو البشر ﴾

جاءنا من السيد محمد البشير النيفر المدرس بجامع الزيتونة في (تونس) ما يأتي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فضيلة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهر أقامنا الله واياه على الطريقة المثلى

انا نقرأ في فاتحة كل مجلد من مناركم وخاتمته الدعوة الى انتقاد ما يهم انتقاده من مسائل الدين أو السياسة وذلك « والحمد لله » من أمتن البينات على طهارة نيتكم وكنا نود لو يرزقنا الله سعة في الوقت حتى نكتب اليكم في شأن ما أشكل علينا من مسائل قليلة جاءت في التفسير وغيره احياء لشعيرة من شعائر الدين أماتها الجهل بأصوله . وقد رأينا في باب التفسير من العدد السابع من مجلد هذه السنة (سنة ١٣٢٧) رأيا في أبوة آدم للبشر لا يرتضيه القرآن فيما نرى فبادرنا الى الكتابة اليكم في ذلك ونحن في يقين من نزاهة ضميركم عن التعصب والله الموفق

قلتم ان للاستاذ الامام رأيين في تفسير آية « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » احدهما أن ليس المراد بالنفس الواحدة آدم لا بالنص ولا بالظاهر . ثانيهما أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع ينطق بابوة آدم للبشر اجمعين . ويظهر لي من جنابكم الرضا عما ذهب اليه « تغمده الله برحمته » ولكن العبد أشكل عليه الرأيان لما سأبين

أما الاول فلأن حمل النفس الواحدة على اصل من اصول العرب لا يرضى به التعبير بالناس والروايات المستفيضة في مدنية السورة تقعد في طريق من يحمل الناس على اهل مكة فالظاهر الحمل على العموم . وليست الآية الكريمة كآية الاعراف « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »

الآية لوجهين الاول ان سورة النساء مدنية وسورة الاعراف مكية ثانيهما ان في حمل آية الاعراف على العموم مسًّا لمقام النبوة فما أبعد ما بين الآيتين !

وأما الثاني فلأن القرآن الشريف والسنة السنية ناطقان بابوة آدم للبشر اجمعين واخراج ما جاء في ذلك عن ظاهره رعيا لمذهب دارون يشبه أن يكون من تفسير القرآن بالرأي الذي كان يشنؤه الامام « رحمه الله » وجريتم «حفظكم الله» على طريقته في ذلك

نداء القرآن للناس ببني آدم في مقام الوصية باخذ الحذر من وسوسة ابليس وفتنته ومقام التشريع العام ظاهر في أن المكلفين عن بكرة ابيهم ابناء آدم عليه السلام وما نقلتموه عن الاستاذ الامام في تأويل ذلك بعيد كما يتجلي لفضيلتكم بقليل من التدبر وأية نكتة في توجيه الخطاب الى بني آدم اذا كان التكليف يشملهم وغيرهم ؟

أما السنة السنية فمن أظهر ماورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم من آدم وآدم من تراب » وما جاء في حديث الاسراء من الاسودة عن يمين آدم وشماله وأنها نسم بنيه أفكانت ارواح غير الآدميين في مقر آخر ام كانت في ذلك المقر ولكن لم يهتم بها آدم عليه السلام ولا النبي صلى الله عليه وسلم « اذ لم يسأل عنها» لأنها ليس لها في الآخرة مقام معلوم . وأصرح من ذلك وهذا حديث الشفاعة «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون انت ابو الناس» الحديث . وفي سعة علمكم بالسنة ما يغني العبد عن حشر أكثر من هذا

ان لم تكن الآيات والاحاديث نصوصا قاطعة في الموضوع فهي ظاهرة فيه والظواهر اذا اجتمعت أفادت القطع كما يقول الاصوليون ولو ذهب ذاهب الي أنها لا تفيد أكثر من الظن كان للقائل بابوة آدم للناس اجمعين ان يسأله عن الوجه في إيثار ذلك الظني على هذا الظني فان كان الوجه عنده درء ما عساه أن يرد على القرآن من شبهات العلماء القائلين بذلك فالذين لا يؤمنون بالغيب أكثر من اولئك عددا واقوى شبها فهل نؤول الآيات الواردة في عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم وينقض مذهبهم ؟

أما قولكم حفظكم الله تعالى « ان المسألة علمية لا دينية ـ وقولكم ـ ان المتبادر من

النفس بقطع النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات هي تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالانسانية ـ أو قريب من هذه العبارات » فللعبد فيهما نظر

أما الاول فلأن مابين دفتي المصحف دين لاشيء منه بجائز مخالفته وهل يأذن الدين لاحد ان يذهب الى مالا يصادق عليه القرآن في تكوّن الجنين باسم علمية هذا البحث أم هل يأذن لاحد أن يقول بما ينقضه القرآن في تأريخ فرعون باسم ان المسألة تأريخية ؟

وأما الثاني فلأن تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالانسانية أو البشرية أمر اعتباري لايصح ان يكون منشأ الخلق والايجاد هذا مايتسع له الوقت من البحث وفيما آتى الله فضيلتكم من البسطة في العلم والاستقامة في الرأي مايغني عن التذكير بأقل من هذا والسلام عليكم أولا وآخرا . وكتب في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٧

(المنار) نشكر لاخينا في الله انتقاده وتذكيره وغيرته على الدين والعلم ونجلي ماألم به من المسائل بما يأتي :

(١) ان الاستاذ الامام لم ينف كون آدم أبا البشر كلهم ولاقال ان القرآن ينبغي أن يؤول ليوافق دارون أو غيره ولا قال انه قد ثبت رأي الذين ينفون كون آدم أبا لجميع البشر ثبوتا قطعيا حتى نؤول لاجله كما صرحنا بذلك في تفسير الآية ولم يتكلم أيضا في تحقيق المسألة في نفسها (مسألة أبوة آدم) وانما قصارى رأيه انه اذا ثبت مايقولون لم يكن ذلك مخالفا للقرآن فيكون شبهة على الاسلام ونحتاج الى التأويل فعلى هذا يكون فهمه رحمه الله للآية ليس من تفسير القرآن بالرأي سواء كان فهمه صوابا أم خطأ لانه لم يحاول ان يرجع القرآن الى رأي رآه أو وافق عليه غيره وانما فهم الآية وأمثالها فهما لا يرد عليه اعتراض ولا مجال معه للطعن في القرآن في هذه المسألة

(٢) قلتم انه ظهر لكم انني راض عما ذهب اليه قلتم هذا بعد نقل المسألتين فعلم منه انكم فهمتم انني راض عنهما كلتيهما وقد رأيتم في كلامي الجواب عما استدل به من تنكير ما بثه من النفس الواحدة من رجال ونساء وتفسير النفس الواحدة بغير مافسرها به رحمه الله تعالى وغير ذلك، وفيه الوعد بتحقيق مسألة مايفيده مجموع آيات القرآن المنزلة في خلق الانسان عند تفسير ماورد من ذلك في سورة الحجر أو سورة المؤمنين،

فعلم من هذا الوعد اننا لمانبين رأينا فيما يدل عليه مجموع القرآن في خلق الانسان وانما كلامنا محصور في تفسير تلك الآية بحسب ما فهمه الاستاذ الامام وما فهمه هذا العاجز من تلاميذه المستقلين الذين لايقلدونه تقليدا في شيء ما وما كان يرضى ان يقلده أحد في شيء وإنما كان يحث على الاستقلال . وبعد هذا كله أقول ان ما استظهرتموه صحيح في الجملة وسترون وجهه فيما يلي هذا من الوجوه والمسائل

(٣) ذكرتم ان للاشكال عندكم مثارين: فأما المثار الاول وهو كون السورة مدنية لايجوز ان يراد بالناس فيها أهل مكة فالخطب فيه سهل فانكم قد رأيتم اننا اعتمدنا كون السورة مدنية وكون الخطاب فيها ليس لأهل مكة خاصة ولكن هذا لايقضي كون القول بهذا شاذا فانه معزوّ الى امام المفسرين ومعولهم وهو ابن عباس (رض) وعبر الرازي عن مقابله بالاصح ومقابل الاصح هو الصحيح ، فان لم يكن الخطاب لاهل مكة جاز ان يكون للعرب عامة ولا يقعد في طريق هذا كون السورة مدنية ولا كون الاسلام دينا عاما كما انه لايقعد في طريق غيره من الخطاب الذي وجه الى العرب أو إلى بعض الاقوام أو الاشخاص فان عموم الاحكام الشرعية معتبر فيما كان مورده خاصا ولو شخصيا مالم يقم دليل على الخصوصية . مثال ذلك في العرب قوله تعالى (٩:١٢٨ لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فان تفسير انفسكم بالعرب لاينفي كون الرسالة عامة لجميع البشر ، ومثاله في الامور الشخصية ماورد في الافتاء عقب استفتاء بعض المؤمنين وأسئلتهم المعبر عنها بمثل يسألونك ويستفتونك كما هو مكرر في سورة البقرة وسورة النساء وكان يكون المخاطب بالجواب هو السائل والحكم عام بالاجماع . على اننا لم نجعل كون الخطاب لاهل مكة هو العمدة في الاستدلال على مافسرنا به النفس الواحدة ولا كونه للعرب وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة

(٤) وأما المثار الثاني للاشكال وهو ماورد من الكتاب والسنة في أبوة آدم لجميع البشر فهو على تقدير تسليمه فيهما معا لايقتضي كون النفس الواحدة في الآية الاولى من سورة النساء هي آدم اذ يجوز ان يثبت ذلك في آيات غيرها وأحاديث ولايكون هو المراد منها ولم يقل الاستاذ الامام ولا قلنا ان هذه الاية تنفي كونه أبا لجميع البشر ،

ولكم ان تحتجوا بذلك على قوله رحمه الله إنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أبوة آدم لجميع البشر وستعلمون مافيه

(٥) انكم قد ذكرتم ان حمل آية الاعراف على العموم لا يصح لأنه يمس مقام النبوة فاذا امتنع هناك أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم فلم لا يجوز ان يمتنع هنا وهو ليس متبادراً من اللفظ العربي بحد ذاته حتى نقول انا أولنا آية الاعراف لتطابق القول بعصمة الانبياء، ولا حاجة الى تأويل آية النساء. فالصواب ان عدم حمل النفس الواحدة على آدم في الآيتين ليس تأويلا لهما لان لفظ النفس ليس مرادفا لكلمة آدم يوضح ذلك الوجه الآتي

(٦) ان مايرد في تفسير مبهمات القرآن لا يجعل اللفظ المبهم نصا ولا ظاهراً في المعنى الذي فسر به في الحديث ولا في القرآن نفسه ان وجد ولكننا نقبل ذلك التفسير اذا صح عندنا • مثال ذلك أن يصح في حديث ان المراد بقوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعي) هو فلان بن فلان فانا نقبل هذا التفسير على الرأس والعين ولكننا لا نقول ان لفظ رجل في الآية هو نص أو ظاهر في ذلك الرجل المعين لان العربي الذي لا علم له بذلك الحديث لا يفهم هذا المعنى من اللفظ • ولم يرد في الكتاب ولا في الحديث تفسير للنفس في آية النساء بآدم ألبتة فكيف نقول ان ماورد في ذلك يجعلها نصا أوظاهرا وهو لم يرد تفسيرا لها!؟ وهذا هو مرادنا مما قلناه في (ص ٤٨٦ م ١٢) ان الذين فسروا النفس الواحدة بآدم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم وهي ان آدم أبو البشر

(٧) استدل صديقنا المنتقد على كون جميع الناس من بني آدم بنداء الله تعالى في القرآن لبني آدم في مقام الوصية بالحذر من فتنة الشيطان ووجه الاستدلال عنده أنه اذا لم يكن المراد ببني آدم جميع المكلفين لا يكون في توجيه الخطاب اليهم نكتة. ويمكن أن يجاب بأن نكتة ذلك في الآية التي أشار اليها هي إقامة الحجة عليهم بما كان من عاقبة وسوسته لابيهم والعبرة في ذلك لسائر المكلفين الذين لا يعتقدون انهم من ذرية آدم كأهل الصين هي ان الشيطان يردي من اطاعه فيجب أن يجتنبوا

طاعته كما يجب ان يجتنبها أبناء آدم • ونظير ذلك اعتبار المسلم بمثل قوله تعالى «يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل» فيعلم انه لا يكون على شيء يعتد به من الاسلام حتى يقيم القرآن • وقد أشارت عائشة الى هذا المعنى في حديث لعن أهل الكتاب الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فقالت «يحذر ماصنعوا» وقد بينا آنفا ان توجيه الخطاب في القرآن الى قوم أو أناس معينين لا ينافي عموم التكليف فاذا فرضنا ان بني آدم هم العرب ومن كان يساكنهم من أهل الكتاب وان الخطاب في مثل تلك الآية خاص بهم لوجود النبي بينهم فلا يمنع ذلك ان يعتبر بالموعظة التي في الخطاب من يدخل في الاسلام من غيرهم • ومن ذلك خطاب الانصار بقوله تعالى « ٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وهي هداية لجميع المسلمين أيضا كما قبلها و بعدها

(٨) بعد هذا يمكن ان يقال اذا كان في البشر ألوف الالوف لا يعتقدون أنهم أبناء آدم ولم يسمعوا باسم آدم فما هي نكتة خطابهم ودعوتهم الى الاسلام بنسبتهم الى آدم والمأثور والمعقول ان يخاطب الناس بما يعرفون وأن يحمل حديث العاقل للقوم على مايعهدون في مثل النداء فان أراد إعلامهم بشيء مخالف لما يعتقدون جاء به بصيغة الخبر المؤكد كما هي سنة القرآن المطابقة لقوانين البلاغة العليا ويشيرون الى هذا في أول كتب المعاني • وفي صحيح البخاري من حديث علي موقوفا «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود «ماأنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة» • وورد في الضعاف المتعددة الطرق عن ابن عباس مرفوعا «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» وهذا الوجه أي كون كثير من البشر لا يعرفون آدم ولا يعتقدون أبوته لهم هو العمدة في جزم الاستاذ الامام بعدم حمل آية أول النساء على هذه المسألة المشهورة عند العبرانيين والعرب مع كون لفظها ليس نصا ولا ظاهرا فيها من حيث لفظها وقد أجاز ان يطبق كل قوم اعتقادهم عليها

(٩) ان ماأوردتموه من الاحاديث ليس نصا أصوليا في المسألة فان المخاطبين بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « كلكم من آدم » لم يكن فيهم أحد من الصينيين ولا من هنود

أمريكا ولا من أهل ملقا ولكن الحديث يكون هداية لهؤلاء بعد دخولهم في الاسلام على الطريقة التي أشرنا اليها في بعض المسائل السابقة . وكذلك حديث الاسودة التي رآها النبي (ص) عن يمين آدم وشماله لاتدل على كونه أبا لجميع البشر. ولا يعارض هذا كونه (ص) لم يذكر انه رأى هنالك أوفي مكان آخر نسم قوم آخرين من البشر كما أن ذكره لبعض الانبياء في ذلك الحديث لايمنع ان يكون هنالك أو في مكان آخر أنبياء آخرون فالحديث لم يرد في بيان مقر جميع أرواح البشر والانبياء ولادليل فيه على كون مارآه يكون دائما حيث رأى فقد ورد في مقر الارواح أحاديث أخرى والظاهر ان مارآه صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة قد مثل له حيث رآه لاجل ان يراه والله أعلم حيث يكون في سائر الاوقات ، وقد مثلت له (ص) الجنة في عرض الحائط وهي هي التي عرضها كعرض السماء والارض . وكذلك يقال في حديث الشفاعة فان تحدث ولد آدم بالذهاب اليه هو كتحدث اتباع كل نبي ذكر في الحديث بالذهاب اليه ولا ينافي ذلك ان يكون في البشر أقوام آخرون لايتحدثون بالذهاب الى أحد أو يتحدثون بالذهاب الى أنبيائهم لرجائهم فيهم « وان من أمة الا خلا فيها نذير »

(١٠) اذا فرضنا ان هذه الاحاديث تدل وحدها أو مع غيرها على كون آدم عليه السلام أبا لجميع من وجد في الارض من البشر بالنص أو بالظاهر فلا يقتضي ان يكون ذلك تفسيرا للقرآن اذا لم يكن لفظه نصا ولا ظاهرا في ذلك والاستاذ الامام لم يتعرض لما ورد من الاحاديث في المسألة وانما اكتفى ببيان كون ما يعتقده كثير من البشر في أصلهم ومنشئهم لاحجة فيه على القرآن إن صح ولا وجه لأن يكون حائلا دون إيمانهم به ولم يتعرض لمثل هذا في الاحاديث

(١١) نحن نعتقد ان اسلوب القرآن في الاجمال والابهام والاطلاق والعموم هو من أقوى وجوه الاعجاز فيه واسباب تعاليه عن تطرق الريب اليه وتحويم الشبهات حوله وليس هذا الاسلوب بالصناعة التي يقدر عليها البشر فاننا نرى أعلم العلماء منهم في علم أو فن يؤلف فيه كتابا فلا يمر عليه الا زمن قليل حتى يظهر له ولغيره الاختلاف والخطأ فيه وقد مر ثلاثة عشر قرنا ونيف ولم يظهر في هذا القرآن

الذي جاء به النبي الامي الناشيء في الاميين خطأ ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) والاحاديث ليس لها هذه المزية في الاعجاز وكثير منها منقول بالمعنى ومنها ما كان يقوله النبي (ص) عن اجتهاد لا عن وحي ولا سيما المتعلق منها بأمور العالم دون امور الدين . أفيصعب على بعض المسلمين إظهار هذه المزية لكتاب الله في بعض المسائل على غير الوجه المشهور عندهم وان لم ينقض ذلك المشهور في نفسه !! وكان ينبغي للمنتقد أن يذكر ماعنده من الجواب لمن يوقنون بأن البشر من عدة اصول كما تمنينا في (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٢) يقول المنتقد ان شبهات الذين لا يؤمنون بالغيب على الآيات الواردة في عالم الغيب أقوى من شبهات الذين ينكرون كون آدم أبا لجميع البشر أو يعتقدون ان لهم عدة آباء فهل نؤول آيات عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم ولا ينقض مذهبهم ؟ ونقول ان هذه الدعوى ممنوعة فالذين لا يؤمنون بالغيب لايوردون شبهات على عالم الغيب وانما هم قوم تابعون لحسهم يقولون اننا لا نؤمن الا بما نراه أو نحس به وهم يعلمون ان عدم الاحساس بالشيء أو عدم العلم به لا يقتضي عدمه في نفسه ومن تقوم عنده الحجة منهم على الوحي والنبوة لا يرى اخبار عالم الغيب مانعة من ايمانه وما كنت أظن ان هذا يخفى على المنتقد الفاضل ولعله سرى اليه من بعض المارقين الذين كفروا بالله ورسله تقليدا لبعض الافرنج اذ يسمعهم أو يسمع عنهم انكار الملائكة والجن فليسألهم عن دليل هذا الانكار هل يجد عندهم دليلا او شبهة ؟ لا لا ! وانما يقولون انه لم يثبت عندنا بالحس ولا بالدليل العلمي ! ، ونحن المؤمنين نقول مثل ذلك ونزيد انه ثبت عندنا بخبر الصادق الذي هو اصدق ممن تثقون بخبرهم اذا قالوا لكم ان في الكون كذا كذا من الغرائب الطبيعية

(١٣) أذكر المنتقد بمسألة لا ينبغي أن ينساها المستقل في العلم الذي يعنيه أن يفهم القرآن فهما صحيحا وقد صرحنا بها في المنار من قبل وهي ان الاصطلاحات الشرعية والفنية الحادثة بعد نزول القرآن والروايات والتقاليد المشهورة في تفسيره – هذان الامران هما اللذان يحولان كثيرا دون فهم القرآن بما تعطيه عبارته الفصحى

ويتبادر من أسلوبه الاعلى فيجب أن يكون القرآن فوق الاصطلاحات والمسلمات كلها وأن يستعان على فهمه بالروايات الصحيحة التي لا تخل بما يتبادر من عبارته وأسلوبه البليغ وحكمة كونه هداية لجميع البشر في كل زمان ومكان واننا نرى كثيرا من المفسرين يخطئون عند غفلتهم عن هذه القاعدة ويخالفون الروايات المأثورة عن السلف عند تنبههم لها اذا رأوا الرواية مخالفة لما يقتضيه الاسلوب العربي بحسب فهمهم ومن ذلك ما ستراه في تفسير الجزء الثاني عن ابن جرير شيخ المفسرين الاولين

(١٤) أما انتقاده نفعنا الله بغيرته على العلم والدين لقولنا ان المسألة علمية لا دينية فانني أجيبه عنه بالايجاز وان لم أتذكر انني قلت هذا في تفسير الآية ولا أجد وقتا للمراجعة فأقول ان ما يذكر في القرآن من أمور الخلق وعجائبه وأسراره لا يراد به شرح أحوال المخلوقات وبيان ما هي عليه في الواقع تفصيلا لان هذا ليس من مقاصد الدين وانما يذكر على انه من الآيات على قدرة الله وعلمه وحكمته في خلقه ورحمته بعباده، ومن المنبهات للانتفاع بما في هذه المخلوقات والشكر عليها، ولذلك يستعمل فيها المجاز والظواهر المتعارفة بين الناس وتحديد المسائل العلمية لا يكون بمثل هذا كقوله تعالى «وجدها تغرب في عين حمئة» فلا يراد به أن ذا القرنين وجد الشمس تنزل من السماء فتغرب في عين حمئة من عيون الارض. ومع هذا كله لا يكون خبر القرآن الا صادقا ولكننا لا نعرف ان أحدا من علماء المسلمين عني كعنايتنا وعناية شيخنا الاستاذ الامام بالدعوة الى الاهتداء بالقرآن كله وصرف معظم عنايتهم الى ما كثر الارشاد اليه في آياته كالبحث في خلق السموات والارض وما فيهما من البحار والأنهار والجبال والنبات والدواب وغير ذلك وكالسير في الارض والاعتبار بسنن الله في أحوال الامم بعد معرفة تاريخها، فانا نرى علماء المذاهب الدينية فينا قد أهملوا أكثر ما أرشد اليه القرآن وجعلوا الدين كله أو جله محصورا في الاحكام العملية التي لم يعن القرآن بها وهي أقل ما ورد فيه ولا سيما الاحكام الدنيوية كالبيوع والشركات والمخاصمات فلا يقال لمثلنا ان كل ما في القرآن دين وان الدين لا يأذن لأحد أن يقول قولا لا يصادق

عليه القرآن فنحن الذين ندعو دائما الى جعل حكم القرآن فوق كل حكم وهديه فوق كل هدي وخبره فوق كل خبر وانما يقال ذلك لغيرنا من علماء المسلمين الذين قالوا حتى في الاحكام التي هي عندهم جل الدين ما لم يصادق عليه القرآن كقولهم ان مدة الحمل تكون في الواقع المعتبر شرعا أكثر مما حدده القرآن من مدة الحمل والفصال جميعا وقد رأى صديقنا المتقدم ما كتبناه في ذلك بالجزء الاخير من المجلد الماضي. فاذا جاز ان يعتمد أئمة الفقه منا على قول بعض النساء اللواتي هن مظنة الخطأ والكذب فيما لا يصادق عليه القرآن وقد نطق بغيره بناء على ان ما نطق به يحمل على الغالب المعروف عند جمهور الناس فلم لا يجوز عند اتباعهم ان يعتمد على قول جمهور العلماء الباحثين المدققين في مسألة علمية لم يرد في القرآن نص فيها وانما ذكرت مبهمة في سياق مقصد من مقاصده كحث الناس على ان يتقوا الله في ذوي أرحامهم والضعفاء منهم لانهم من أصل واحد أو جنس واحد وعبر عن ذلك بالنفس الواحدة ولكنه لم يبين حقيقة تلك النفس. على اننا لم نحمل الآية ولا غيرها من الآيات على ما قاله أولئك العلماء الباحثون في أصول البشر وخلقهم ولكننا اخترنا ان ندع ما أبهمه القرآن على إبهامه (ص ٤٨٦ م١٢) وهو تنكير تلك النفس وعدم تعيينها أو فهمها مما يتبادر من اللفظ العربي بصرف النظر عما وراءه من الروايات والتقاليد المسلمات التي ليست بنص عن المعصوم في تفسيرها (ص ٤٨٨ م١٢)

(١٥) وأما انتقاده الاخير على قولنا في تفسير النفس المتبادر من اللفظ فقد بناه على ذكر لفظ الانسانية في عرض كلامنا وتفسيره إياه بالمعنى المشهور بين العامة ناسيا ما فسرناه به وما عبرنا به في أول العبارة عنه من قولنا هو الماهية أو الحقيقة التي بها كان انسانا. ونعني بذلك الروح الانسانية التي اتحدت بالجسد فصار مجموعهما حيوانا ناطقا لولاها لم تكن هذه المواد الترابية التي تكوّن منها جسد الانسان خلقا آخر حيا ناميا متحركا. فهل يقول ان هذه الحقيقة الانسانية أمر اعتباري؟؟ كلا إنها خلق وجودي مستقل

(١٦) بعد ان طبع تفسير تلك الآية في المنار نقحناه وزدنا فيه فوائد

اثبتناها في نسخة التفسير التي تطبع على حدتها منها ان لبعض الباحثين من المسلمين العصريين رأيين آخرين في النفس الواحدة أحدهما انها الانثى ولذلك وردت مؤنثة في كل آية وصرح بتذكير زوجها الذي خلق منها في بعض الآيات وثانيهما انها كانت جامعة لاعضاء الذكورة والانوثة وذكروا لذلك نظائر أثبتها العلم الحديث . فيراجع هذا في (ص ٣٣١ ج ٤) من التفسير وسيصدر بعد زمن قليل

هذا ما سمح لنا به الوقت من ايضاح المسائل المتعلقة بهذا الانتقاد وصفوة القول ان ما أوردناه في التفسير لا ينفي القول بابوة آدم لجميع البشر وقد وعدنا هنالك بتحرير هذه المسألة في موضع آخر من التفسير

قضاء الفرد وقضاء الجماعة

﴿ في الاسلام (*) ﴾

أيها السادة

كلمتي اليوم في قضاء الفرد وقضاء الجماعة في الاسلام وحيثما قلت قضاء الجماعة فانما أريد مدلوله العام أي القضاء والافتاء والتشريع أو التفريع

تعلمون ان كفالة العدل الذي هو مناط الراحة والسعادة في كل مجتمع انما هو القانون أو الشريعة التي تصان بها الحقوق وترد المظالم ويعاقب المجرمون المجترءون على انتهاك حرمة الراحة والامن في الهيئة الاجتماعية وهذه القوانين اما أن تكون وضعية أو شرعية وقد عرفها ابن خلدون بقوله :

«اذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية»

وتعلمون ان الفقه الاسلامي وأريد به قسم المعاملات لا العبادات هو قانون المسلمين الشرعي ومناط الاحكام التي يفصل بها في المنازعات والخصومات التي تقع بين الناس

أقول القانون الشرعي تجوزاً اذ أن أحكام الشريعة الاسلامية وقانونها الجامع انما هو الكتاب والسنة وهما الاصل أما الفقه فانما يسمونه شرعاً باعتبار ان مأخذه من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والاجماع والقياس فاذا انطبق عليه تعريف ابن خلدون فانما ينطبق عليه من هذه الجهة أي ان تلك القوانين لها أصل في الشرع لا انها هي بعينها المفروضة من الله

وبما ان أساس التفريع أو التشريع عند الفقهاء هذه الاصول الخمسة فقد سموا

(*) خطبة لرفيق بك العظم المؤرخ المشهور القاها على طلاب مدرسة القضاء الشرعي بمصر

الاحكام الفقهية شرعا وخالفهم في ذلك كثير من أئمة العلم والمحدثين فقالوا كل حكم لا يستند الى دليل او لا يعرف دليله من الكتاب أو السنة فليس بشرع

وليس من غرضي في هذا البحث الحكم بين الفريقين وإنما الغرض منه تقديم مقدمة تساعدنا على الانتقال الى النظر نظرا صحيحا في سير القضاء وتأريخه وكيف كان القضاء والافتاء في الاسلام وما هو ضمان العدالة فيهما وما منزلة قضاء الفرد وقضاء الجماعة من الصواب والخطأ ونستطرد من ثم الى ما تخلل التشريع والقضاء من الشؤون التي لا يخلو بيانها من فائدة وإن كنت لا أستطيع من البيان غير جهد المقل

علمنا ان أساس الشرع وأصله في الاسلام هما الكتاب والسنة بمعنى أن الاحكام الدينية أي العبادات والقوانين الدنيوية او السياسية كما يسميها ابن خلدون وهي أحكام المعاملات والعقوبات التي وردت في الاصلين المذكورين قد قررها الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم فصارت شرعا وهذا الشرع لا يدخل تحت مداول قضاء الجماعة المراد به جعل قوة التشريع لا في يد واحد بل جماعة الا من حيث لزوم فهمه على وجوهه التي ارادها الشارع أي إنَّ تفهُّم الحكم من هذا الاصل وتقريره هو الذي يلزم ان يناط بالجماعة دون الفرد تفاديا من الخطأ والاثم

وتعلمون بالضرورة أن الاحكام التي شرعها لنا الشارع كانت تشرع تدريجا فكلما عرضت له حادثة أو سئل عن حكم شرع له شرعا حتى كان من ذلك في الكتاب والسنة نحو ست مئة وخمسين حكما أو تزيد اعتبرها أئمة الفقه بعد ذلك اساسا للتشريع فوضعوا لنا كتب الفقه التي كانت في الممالك الاسلامية ولم تزل في بعضها مدار الاحكام الشرعية في المعاملات والعقوبات وما يتبعها من قضاء المظالم والحسبة وسياسة الرعية وغير ذلك الى اليوم

ويبدأ تدوين الاحكام الفقهية من أواخر العصر الاول وأوائل الثاني فالتشريع إذًا له في الاسلام تاريخان: تاريخ تقرير أصول الشريعة والعمل بهذه الاصول، وتاريخ التفريع أو الفقه والعمل به . يتخلل ذلك أيضا تاريخان : تاريخ حفظ الشريعة في الصدور ، وتاريخ قيدها في الدفاتر والسطور

* * *

ولبيان ذلك و بيان كيف كان يقضي الصحابة والتابعون أقول :

علمنا ان اساس الاحكام ومدارها ومعوَّل القضاء في الصدر الأول كان على الكتاب والسنة أما الكتاب الكريم فقد كتب متفرقا في عهد النبوة ثم جمع في خلافة ابي بكر كما هو معروف مشهور . وأما السنة السنية فقد بقيت محفوظة في الصدور الى اواخر عهد التابعين او كتب منها في غضون هذه المدة شيء يسير

فكان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين ملازما للافتاء بالضرورة لان القضاء كان الى الخليفة وهو لا يحفظ الاحكام التي وردت عن الشارع كلها بل كان كثير من الصحابة يحفظ كل واحد منهم شيئا منها فاستفتاؤهم في معرفة الحكم ضروري واليكم ما روي عن قضاء ابي بكر وعمر

اخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال : كان ابو بكر اذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله في ذلك الامر سنة قضى بها فان اعياه خرج فسأل المسلمين وقال اتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاء . فيقول ابو بكر الحمد الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا . فان اعياه ان يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فان اجمع رأيهم على امر قضى به وكان عمر يفعل ذلك فان اعياه ان يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لابي بكر قضاء فان وجد ابا بكر قضى فيه بقضاء قضي به والا دعا رؤوس المسلمين فاذا اجتمعوا على امر قضى به

هذه رواية البغوي عن قضاء أبي بكر وعمر ومنها يتضح أن القضاء في عهدهما قضاء الجماعة وعليه يقاس قضاء من بعدهما من الخلفاء الراشدين في الدور الاول لتاريخ القضاء في الاسلام أي الى العهد الذي بدأ فيه التدوين والعمل بالفروع بدليل انه كان في كل مصر من الامصار الاسلامية نفر من الصحابة ثم التابعين يسمون الفقهاء لحفظهم الاحكام وتفقههم في الدين وكانوا يستشارون في النوازل عند القضاء فيها لانهم حفاظ الشريعة والراوون للاخبار الصحيحة فلا مندوحة عن الرجوع اليهم في القضاء

ومن الفقهاء الكبار في الصحابة علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري وانس بن مالك ومعاذ بن جبل ومن في طبقتهم ممن يحفظ عن رسول الله قليلا او كثيرا

وقال ابن القيم ان عدد من حفظت عنهم الفتوى من الصحابة مئة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة . وكان اكثر هؤلاء موزعين في الامصار بالضرورة وهم شورى القضاء حيثما وجد منهم جماعة يستشارون كما أثبت ذلك التأريخ

وتلي هؤلاء طبقة أخرى من أصحابهم وهم التابعون صارت اليهم الفتوى في الامصار فكان في المدينة سعيد بن المسيَّب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد الى غير هؤلاء . وتليهم طبقة أخرى منهم محمد بن شهاب الزهري المشهور وأضرابه وطبقة أخرى فيهم الامام مالك بن انس صاحب المذهب في المدينة وكان من المفتين في مكة عطاء بن أبي رَباح وطاووس بن كيسان ومجاهد بن جبر وغيرهم وتليهم طبقة ثم طبقة الى قيام الامام محمد بن ادريس الشافعي . صاحب المذهب في مكة

وكان من المفتين في البصرة عمرو بن سلمة الجرمي وأبو مريم الحنفي والحسن البصري وغيرهم وتليهم طبقة فطبقة وعلى هذا تقاس بقية الامصار كالكوفة ومصر والشام وغيرها وكلها كان فيها العدد الجم من التابعين وتابعي التابعين يستشارون في الاحكام ويتناقلون الشريعة حفظا في الصدور الى أن دونت في السطور

اذا أضفنا الى هذا ان رسول الله شرع لهم الاجتهاد عند عدم وجود النص وان أبا بكر وعمر كانا لا يجتهدان في مسألة الا اذا جمعا رؤوس الناس وخيارهم لاستشارتهم وحكمنا ان بقية الخلفاء الراشدين كانوا كذلك وقسنا على ورعهم ورع من بعدهم من التابعين وتابعيهم واتباعهم سَنَن من قبلهم خوفا من تبعة التفرد بالرأي واعتصامَهم بالشورى مع اهل العلم والحديث بدليل ما رواه عن قضاء الجماعة في عصرهم ابن عبدالبر في جامع بيان العلم عن المسيب بن أبي رافع الاسدي المتوفى سنة ١٠٥ قال : كان اذا جاء الشيء من القضاء ليس في الكتاب ولا السنة سمي

صوا في الامراء فيرفع اليهم فجمع له اهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق

اذا أضفنا هذا كله الى ما سبق بيانه نتج لنا منه أن القضاء في العصر الاول كان قائما بالشورى أو هو قضاء الجماعة الذي فيه كفالة الحقوق وتحري العدل والحق وهو خير من قضاء الفرد وأبقى لسعادة الامة وأضمن لبقاء الدول بلاريب

ليس المراد بقضاء الجماعة هو قضاء هيئة مؤلفة من اكثر من واحد فقط كما قد يتبادر الى الذهن بل هي بالمعنى المشترك ايضا جعل قوة التشريع القضائي مصونة عن رأي الافراد وتفردهم بالتشريع منوطة بالجماعة تثبتا من الحكم واطمئنانا للدليل واعتمادا على ما هو الاصلح عند الجماعة اذا تعذر وجود النص

ان مراعاة الاصلح قاعدة من أهم قواعد الشرع الاسلامي التي يدفع بها الحرج وتدرأ المفاسد عن المجتمع حتى لقد كان كبار الصحابة يراعون قاعدة الاصلح عند الضرورة مع وجود النص كما يأتي بيانه بعد ويتنازعون على المسألة الواحدة يجيء بها النص من عدة روايات أو يحتاج الى التفهم الدقيق تثبتا من الحكم ورغبة بمحض الخير للامة والعدل بين المتقاضين وبذلا للجهد في بيان الحقيقة للمستفتين وقد قال ابن القيم : تنازع الصحابة في كثير من الاحكام ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال . أي المسائل التي تتعلق بالايمان

قلنا إن المراد بقضاء الجماعة قوة التشريع القضائي في حياز جماعة لا فرد لان ذلك اسلم وابعد عن الخطأ واضمن للعدل وسببه ان الاحكام التي يرجع فيها الى الرأي والاجتهاد او القياس عند تعذر وجود النص او عند لزوم ترجيح رواية من الروايات تحتاج إلى شروط قلما تتوفر في الفرد الواحد وإن توفرت له فربما لا يتيسر له تحري المصلحة وتطبيق الحكم عليها من كل وجه بحيث لا يخالفه فيه غيره ممن هو في طبقته من اهل العلم

اعتبروا ذلك في أئمة المذاهب المجتهدين فانه مع بذل كل واحد منهم في تقرير فروع المذهب واصوله منتهى الجهد في تحري صحيح الآثار والاخبار وتتبع اصول الشريعة فقد اختلفوا في كثير من المسائل واختلف أتباعهم بعد ذلك اختلافهم ايضا فكان من ذلك انقسام القضاء الاسلامي على نفسه حتى وجد في

بعض العصور اربعة قضاة لاربعة مذاهب في مصر واحد من الامصار الاسلامية هذا فضلا عن اختلاف فقهاء كل مذهب أيضا في المسألة الواحدة حتى أصيب الافتاء بما أصيب به القضاء من التشتت والانقسام واضطرب أمر العدالة أيما اضطراب مع ان الاصل لهذه المذاهب واحد وهو الدين الاسلامي المبين

لهذه العلة الخطرة كان الصحابة الكرام لا يستنكفون عند الاستفتاء من أحدهم أن يحيل بعضهم على بعض أو يستشير بعضهم بعضا في تقرير الحكم كما ثبت ذلك في كتب السنة خوف الوقوع في خطأ يجر الى مظلمة أو اثم ولاسيما فيما يحتاج إلى الاجتهاد ما لم يستشر خاصة المسلمين

***

قلت فيما سبق ان الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم شرع لنا مراعاة المصلحة ولو مع وجود النص واقتدى به الصحابة الكرام في العمل بهذه القاعدة وبيانا لهذا أقول :

لما كانت الشرائع مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح والشريعة الاسلامية أحرى الشرائع برعاية هذين الامرين فقد سن الشارع ايقاف العمل بالنص مراعاة للمصلحة ولكن عند الضرورة القصوى وثبوت المصلحة ولزومها على وجه لا يقبل الشك في أن المصلحة التي تترتب على العدول عن النص اكبر من المصلحة التي تترتب على العمل به واستن بسنته صحابته والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك شرعا أيضا فيه تيسير عظيم على المسلمين واليكم الدليل :

في حديث لابي داود أن رسول الله نهى أن تقطع الايدي في الغزو . وانتم تعلمون أن القطع حدٌّ من حدود الله لم يستثن النص القرآني منه الغزاة لكن النبي نهى عن اقامته في حال مخصوصة خشية أن ينشأ عنه مضرة وهي لحاق صاحبه بالعدو وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عدة اخبار أخرى من هذا القبيل لا محل لذكرها هنا وهي مبسوطة في كتب الحديث

وقد استنَّ الصحابة بسنته وأوقفوا الحدود في أحوال مخصوصة تدعو اليها الضرورة

جاء في كثير من كتب الاخبار ان عمر كتب الى الناس ألا لا يجلدن امير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب لئلا تلحقه حمية الكفار

وروى ابن القيم في إعلام الموقعين عن ابن حاطب بن أبي بلتعة ان غِلمة لابيه سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له ان غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على انفسهم فقال عمر يا كثير بن الصلت اذهب فاقطع ايديهم فلما ولى بهم ردهم عمر ثم قال أما والله لولا اني اعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان احدهم لو اكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت ايديهم وأيم الله إن لم افعل لاغرمنك غرامة توجعك ثم قال يا مزني بكم اريدت منك ناقتك ؟ قال بأربع مئة قال عمر (اي لعبد الرحمن) اذهب فأعطه ثمان مئة

وغير هذا فقد أسقط عمر الحد في عام المجاعة للضرورة وتجاوز ابو بكر عن خالد بن الوليد في حادثة مالك بن نويرة اذ قتله دون تثبت من اسلامه كما تجاوز عنه رسول الله قبل ذلك بما صنعه ببني جذيمة لما أرسله داعيا لا محاربا فذهب اليهم وحاربهم وقتل وسبي منهم فبرئ رسول الله من عمله الى الله ولم يؤاخذه به وما ذلك الا لحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الاسلام

وكذلك أسقط سعد بن أبي وقاص الحد عن أبي محجن في حرب القادسية في خبر مشهور طويل لا محل لذكره هنا وقال والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى للمسلمين ما أبلاهم

والشواهد على هذا من أعمال النبي وأصحابه كثيرة لا يتسع لها مقام الخطابة ولعل هذه القاعدة سوغت بعد لبعض الحكومات الاسلامية التجاوز عن الحدود والعقوبات البدنية كالسن بالسن والعين بالعين واستبدلت بها العقوبات الادبية كالحبس والتغريم مثلا لضرورة تغير الزمان أو لفشو المنكرات فشوا لم ينجع في تأديب مرتكبها الا حبس حريتهم في السجون أو غير ذلك من الدواعي والاسباب الزمانية ليس فيما ذكر غض من مقام الشريعة أو مس لاصولها المقدسة ما دام من أصولها

وقواعدها أيضا العدول عن النص عند ثبوت المصلحة أو درء المفسدة بأقل ضرراً منها والشريعة كما تعلمون مبنية على المصلحة وقد سبق الله تعالى رسوله والائمة من بعده الى تقرير قاعدة مراعاة الاصلح وهو مايسمونه النسخ وما هو بنسخ وانما هو تقرير حكم اقتضته مصلحة زمان وحال غير حكم آخر في زمان تقدمه وأحوال اقتضته كحكم جهاد المشركين من العرب في مبدأ امر الدعوة لحمايتها وحماية المسلمين من اعدائهم واعدائها وفيه الاذن بقتالهم حتى يقولوا لا إله الا الله ثم تقرير حكم آخر بعده أي بعد ان انتشرت الدعوة وقوي جماعة المسلمين وصاروا في مأمن من غائلة الضعف وهو حكم الدعوة بالتي هي احسن كما في قوله تعالى (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقوله (افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة

وكحكم النهي عن الصلاة في حال السكر في قوله تعالى (لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) وكان هذا في احوال اقتضته ثم جاء حكم التحريم بتاتا في احوال اقتضته ايضا

و بالجملة فان ملخص ماتلوته عليكم ينحصر كله في المقدمات الآتية :

(الاولى) ان القضاء في العصر الاول كان مرجعه نصوص الشريعة أي اصولها التي قررها الشارع واجتهاد الصحابة والتابعين فيما لم يرد به نص

(الثانية) ان الاحكام التي جاءت عن الشارع لم يكن في استطاعة فرد واحد حفظها او يتعذر على الواحد الاحاطة بها فاحتيج في القضاء الى استشارة حفاظها

(الثالثة) ان الصحابة كانوا قد يختلفون في المسألة الواحدة اما في تطبيق النص او مسوغ الحكم اذا كان اجتهاديا تثبتا من وضع الشيء في محله جهد الامكان

(الرابعة) انهم كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية وفي احوال مخصوصة تدعو اليها المصلحة التي بني عليها الشرع اقتداء بالشارع

(الخامسة) ان ورعهم وتقواهم وخوفهم من الوقوع في الاثم كل هذا كان يدعوهم الى عدم الانفراد بالحكم ومشاركة خيار المسلمين وعلمائهم في تطبيق الاحكام اذا كانت اجتهادية على القياس الصحيح او الرأي السالم من خطأ الفرد

هذه المقدمات تنتج نتيجتين مهمتين احداهما أن القضاء في الاسلام كان قضاء الجماعة لاقضاء الفرد على نحو ماسبقت الاشارة اليه كثيرا

والثانية أن الشريعة الاسلامية بما تقرر فيها من قاعدتي الاجتهاد ورعاية الاصلح كانت من الشرائع التي توافق كل زمان ومكان وتجيز لكل ضرورة حكما يوافق مقتضى المصلحة والحال وان خالف النص مع اعتبار هذه القاعدة شرعا أيضا خلافا لما يتقوله عليها المتقولون من أنها شريعة ضعيفة توافق زمانا غير زماننا هذا ومكانا غير مكان الامم الراقية لهذا العهد فهي اذا صلحت لاهل ذلك العصر لا تصلح لعصر تسير شرائعه مع مقتضيات المدنية الحديثة وحاجاتها سيرا تدريجيا في كل مايقتضيه ترقي المجتمعات . ومنشأ تقولهم هذا الجهل بحقيقة الشريعة الاسلامية وعدم الوقوف على أصولها وقواعدها وكلياتها يساعدهم على ذلك مايرونه من تعصب بعض علماء الشريعة المقلدين لما جاء في كتب الفروع دون الاصول وردهم لكل مالم يرد فيها من أسباب التيسير وان ورد في أصول الشريعة وكلياتها مع ان في كتب الفروع من الاحكام التي لاتستند الى دليل قطعي مالا يعد ومبناها الاجتهاد أو الرأي والقياس ومع هذا فانهم يفضلون العمل بهذه الاحكام على الرجوع الى أصل الشريعة مهما كان فيها من التقليد والتضييق على أنفسهم والامة ومهما ترتب على ذلك من التهم الباطلة التي يرمينا بها الباحثون في طبائع الاجتماع

وحجة هؤلاء العلماء في هذا سد الذريعة أو خوف انتشار دعوى الاجتهاد اذا فتح بابه وتطرق الفساد الى الشريعة وهي حجة معقولة ومسلمة لايخالفهم فيها عاقل لكن فيما لو صارت قوة التشريع أو الاجتهاد الى الافراد وأطلق العنان لكل قائل أن يقول هذا حكم الله ورسوله ولكل حاكم أن يحكم بما يرى ويقول

ومعاذ الله أن يريد هذه الفوضى للشريعة الاسلامية عاقل قط وانما المراد أن ينظر في المسائل التي يقتضيها تغير الزمان وتجدد المصالح والحاجات على شرط عدم الوقوع في ذلك المحذور الذي يخشاه العلماء وذلك بأن تناط قوة التشريع أو الاجتهاد على المسائل الطارئة في كل عصر بجماعة من أهل العلم الواقفين على دقائق الكتاب

والسنة والعارفين بحاجات الامة ليقرروا لها الاحكام الموافقة لمقتضى الحال ثم تنال هذه الاحكام تصديق أهل الحل والعقد فتصبح قانونا رسميا يتحتم العمل به في الحكومة الاسلامية التي هي في حاجة اليه لايعدل عنه الى غيره من أقوال الفقهاء والعلماء وان مجتهدين فتضبط بهذا قوانين الشريعة ويؤمن عليها من تطرق الفساد ثم يكون من ذلك ان تحدد هذه القوانين تحديدا يغني عن الرجوع الى كتب الفقه التي تختلف في المسألة الواحدة اختلافا كثيرا يؤدي في كثير من الاحيان الى التهويش على القضاء ويكفي ان تكون تلك الكتب شروحا لقوانين الشريعة المعمول بها يومئذ يرجع اليها عند الضرورة والحاجة الى تفسير نصوص ذلك القانون كما هو الشأن في مجلة الاحكام العدلية المعول عليها في محاكم الدولة العثمانية دون غيرها ولهذا البحث تتمة سآتي عليها في الكلام على القضاء في دوره الثاني وها أنا ذا متكلم فيه :

* * *

قلت فيما سبق إن القضاء في الاسلام له دوران دور العمل بالاصول ودور العمل بالفروع وانما اخترت هذا التقسيم لاختصار الطريق أو اختصار البحث خوفا من تعب القارىء والسامع مع ان أدواره بعد دور التشريع الاول كثيرة جدا اذا اعتبرنا تقسيمه الى طبقات المفتين والمحدثين من الصحابة والتابعين ثم الائمة المجتهدين ومن بعدهم من طبقات الفقهاء والمقلدين من اتباع كل مذهب نعتبر ذلك بما قسموا اليه طبقات الحنفية مثلا فقد قالوا انهم ينقسمون الى ست طبقات : الطبقة الاولى طبقة المجتهدين في المذهب كأبي يوسف ومحمد وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الاحكام من القواعد التي قررها الامام .

والثانية طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالخصاف والطحاوي والسرخسي والحلواني والبزدوي وغيرهم وهم لايقدرون على مخالفة امامهم في الفروع والاصول لكنهم يستنبطون الاحكام التي لا رواية فيها على حسب الاصول

والثالثة طبقة اصحاب التخريج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكميل قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد

والرابعة طبقة أصحاب الترجيح كالقدوري وصاحب الهداية القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحسن الدراية

والخامسة طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف والمرجح والسخيف كاصحاب المتون الاربعة المعتبرة

والسادسة من دونهم الذين لا يفرقون بين الغث والسمين والشمال واليمين

فلو تتبعنا الكلام على هذه الطبقات والادوار التي مرت على الشريعة بالتفصيل لاحتاج ذلك الى كتاب مطول ورجل اعظم رسوخا مني في العلم ووقوفا على تأريخ القضاء لذا حصرت الكلام على القضاء من الوجهة الاجمالية في دورين واذ قد مضى الكلام على الدور الاول فها أنا ذا أتكلم على الدور الثاني على قدر مايمكنني من الاختصار

***

لما اتسعت دائرة الفتح وانتشر الاسلام في الممالك القاصية وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها في الانحاء مع اتساع دائرة القضاء بازدياد وسائل الحضارة واستبحار العمران وتجدد الحوادث التي يقتضيها تشعب المعاملات وحال الامم الداخلة في الاسلام من غير العرب وخيف لهذا من تشتت أحكام الشريعة ودخول الفوضى في القضاء والافتاء احتيج بالضرورة الى أمرين مهمين : الاول تدوين الشريعة في الكتب . والثاني وضع قواعد للتفريع عن اصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في احكام المعاملات على قوانين الشرع . وأول من تنبه للحاجة الى هذين الامرين على ما أظن عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الاموي وسدا للحاجة الاولى أمر الزهري من جلة التابعين وحفاظهم بتدوين الحديث في دفاتر وتوزيعها على الامصار في أواخر القرن الاول ففعل كما هو مشهور معروف

أما الحاجة الثانية فقد شعر بها ولكن سدها بعده الائمة المجتهدون بدليل ماروي

عن الامام مالك بن أنس انه قال قال عمر بن عبد العزيز : يحدث للناس من الاقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور

أدرك هذا عمر بن عبد العزيز وأدركه الائمة المجتهدون من بعده مالك والشافعي وأبو حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المذاهب التي لم يبق لها أتباع لهذا العهد كداود الظاهري وغيره وكأئمة الشيعة الذين يعمل بمذاهبهم الى اليوم زيد بن علي وجعفر الصادق وغيرهم فلم يكتفوا بتدوين السنة في الدفاتر والكتب بل رأوا الحاجة تدعو الى البيان والتفصيل والتفريع والترتيب فعمدوا الى النظر في أصول الشريعة من الكتاب والسنة فاستخرجوا منها الاحكام ووسعوها ورتبوها ودونوها كل على أصول مذهبه وقواعده وأصول الاجتهاد المعروفة في كتب الاصول مما لا يسعني بسطه الآن وكلكم أعرف مني به فضبطوا بذلك قوانين الشرع بما بلغه اجتهادهم وأدى اليه جهدهم فكانت كتب كل مذهب شرعا يعمل به أتباعه الى اليوم

ولسنا بصدد اطراء هذا العمل الجليل الذي قام به أولئك الائمة الكبار وحسب هذا العمل أو هذه الخدمة التي خدموا بها الامة والشرع انها تصون منزلة الافتاء والقضاء عن متناول كل من ادعى أن عنده مسكة من العلم بالدين والوقوف على السنة هذا لو أحسن العلماء بعد العمل بقوانين الفقه

نعم قد انتقد كثير من أئمة السلف ماصار اليه الحال بعد وضع كتب المذاهب من ترك أصول الشريعة والذهاب مع التقليد البحت لكن لم يكن هذا الانتقاد موجها الى الائمة المجتهدين الا فيما أخطأ فيه اجتهادهم وانما كان جل الانتقاد موجها الى من جاء بعدهم من الفقهاء والمقلدين لتنزيلهم كلام الائمة منزلة اصول الشريعة والعمل بأقوالهم ماأصاب منها وما أخطأ بلا بحث في الدليل مع أن الائمة انفسهم نهوا عن العمل بقول من أقوالهم دون معرفة دليله من أصول الشريعة كما تعلمون

أراد الائمة المجتهدون أن تكون طريقتهم في التفريع منهاجا يسير فيه العلماء في قياس الحوادث بعضها على بعض وردها الى اصولها عند تجدد الحوادث سدا لحاجة المتقاضين . وأطالوا في الاستقصاء والبيان والتفريع كي لايدعوا وجها لتهجم كل امرىء

على أصول الشريعة من الكتاب والسنة ليفتي بعلم و بغير علم فيصير القضاء الى الفوضى والتشتت بعد انقراض طبقة حفاظ الشريعة من التابعين وتابعي التابعين واتساع دائرة الاسلام اتساعا يفتقر معه المسلمون الى قوانين قريبة التناول من الفهم . لكن أساء من جاء بعدهم من اتباعهم من العلماء فهم الغاية فألقوا بأنفسهم في نفس الخطر الذي أراد اتقاءه الائمة المجتهدون اذ ساروا في سبيلين متباينين سبيل التضييق على أنفسهم الى مالايبلغ بهم أدنى الحد وسبيل التوسع الى مايتجاوز كل حد !

حرموا في الاول على أنفسهم الاجتهاد ولو في المسائل التي تدعو اليها الضرورة والمصلحة العامة التي هي من قواعد ومقاصد الشرع الاسلامي فكان من ذلك ان أحرجوا الامة والجأوا بعض الحكومات الاسلامية لهذا العهد الى العمل ببعض القوانين المقررة عند الامم الاوربية خصوصا الجنائية والتجارية

وتوسعوا في الثاني حتى ملأوا بطون الكتب بالحواشي والشروح يؤتى فيها بعدة أقوال في المسألة الواحدة ولو تافهة أو من قبيل تقدير المستحيل وكل هذه الاقوال تعتبر شرعا أو شريعة وتركوا العمل بالصحيح منها أو الاصح أو المفتى به أو المعول عليه الى رأي القضاة فكان من ذلك ان اطلقوا لقضاء الفرد العنان بلا شرط ولا قيد فوقعوا وأوقعونا فيما أراد دفعه الائمة المجتهدون وحرم المسلمون من قضاء الجماعة الذي هو كفيل بالعدل وذلك منذ انقضاء العصر الاول الى اليوم

نعم إن اختلاف الاقوال في المسألة الواحدة وكثرة الحواشي والشروح على القوانين والشرائع موجودة عند كل أمة فالقانون الفرنسي مثلا له شراح من المتشرعين وأشهرهم دالوز وكار بانتيه وسيريه وغيرهم كثيرون الا أن القضاء عند تلك الامم لما كان بيد الجماعة وقوة التشريع ليست من حق فرد من الافراد بل من حق الامة ونوابها فدستور العمل عندهم ماأجمعت على وضعه قوة التشريع وصادقت على قبوله الحكومة فصار قانونا للقضاء لايعدل عنه الى تلك الحواشي والشروح وآراء المتشرعين ويصار اليها الا لتفسير مبهم أو تطبيق الحوادث بعضها على بعض

لشريعة المسلمين أصول وكليات كما قلنا في صدر الكلام تعتبر أساسا للتشريع ومع أن أحكامها مسلمة فقد كان العمل بها في عهد الصحابة بالشورى بين المتفقهين

منهم هذا فيما نص منها على مايرد عليهم من النوازل فما بالكم فيما أحتاج الى الاجتهاد والتشريع بالقياس على تلك الاصول أو الاستنباط منها وقد سمعتم فيما مر أنهم كانوا لايحكمون حكما الا بعد استشارة خيار الامة وعلمائهم واقرارهم جميعا على ذلك الحكم حتى اعتبر بعض الأئمة المجتهدين بعض احكام الصحابة لقوتها شرعا أو أصلا من الاصول التي يبني عليها التفريع سموه عمل الصحابة أو اجماعهم كما سبقت الاشارة اليه وكما ترون ذلك في كتب الاصول

اذا كان اجماع الصحابة على مسألة شرط في صحتها واعتبارها شرعا يلزمنا العمل به فقد لزم من هذا أمران :

الاول ان اجماع الجماعة على تقرير حكم في مسألة شرط في صحة ذلك الحكم واعتباره شرعا لزمنا العمل به وهو ماتفعله الامم الاوروبية في تقنين قوانينها لهذا العهد وقد وجد له اصل في الشرع الاسلامي فتركناه وأصبحنا نغبط الامم الاوربية وقوانينها أو قضاء الجماعة عندها لهذا اليوم

والامر الثاني أن كل اقوال الفقهاء واختلافاتهم الواردة في كتب الفروع ليست بشرع الا من حيث اشتمالها على أحكام يرد بعضها الى أصول الشريعة إلا أنه غير متوفر فيها شرط التشريع الذي مر • وإناطة ترجيح قول دون آخر من حيث قربه من الاصل بشخص واحد لا يكسب هذا القول أو الحكم قوة التشريع ليسمى شرعا أو قانونا وجب العمل به الا اذا اتفق عليه وقرره جمهور من المتشرعين أو المرجحين وهذا ما أردته من وجوب بقاء الاجتهاد لكن لا ليتناوله من شاء فيما شاء ! كلا بل ليناط بجماعة من علماء المسلمين تقرير الاحكام التي تدعو اليها المصلحة وتتجدد بتجدد الزمان

ولذا فان اجتهاد الجماعة كما انه لازم في الاصول فهو لازم في الفروع أيضا وذلك لجمع اقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ماأصاب من تلك الاقوال محجة الصواب والمصلحة ووافق اصول الشريعة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح في كتاب بعينه يعتبر قانونا في المعاملات مجمعا عليه من العلماء ليعرف منه كل مسلم ماله من الحقوق وماعليه لاتتقاذفه أقوال الفقهاء من خلاف لآخر ومن قول

لنقيضه فتصير به الى اهواء القضاة والمفتين يحكمون بما ترجح لديهم وبما يشتهون

وليس اختلاف المذاهب بمانع من أن يحكم للشافعي أو عليه بقول للحنفية أو للمالكي بقول للشافعية مثلا اذ كل أتباع المذاهب أبناء دين واحد وكل أقوال كتب الفقهاء مأخذها واحد وهو الشرع والواقع يثبت أن أحكام المعاملات كانت في أكثر الممالك الاسلامية ولم تزل الى اليوم جارية في القضاء على مذهب الدولة الحاكمة وربما كان اكثر الرعية من أتباع مذهب غير مذهبها

ومع هذا فليس ثمة نكير من العلماء على أهل الدولة فلا سبيل لهم الى النكير على القائلين بلزوم جمع الاقوال الموافقة لمقتضى المصلحة والعصر من كتب المذاهب وجعلها قانونا جامعا في المعاملات للمسلمين بل هذا خير وسيلة لاصلاح القضاء وبما اغتفرت للفقهاء ماضي تفريقهم وحدة الامة باسم التعصب للمذهب وكانت خاتمة اضطراب نظام القضاء في الاسلام

ليس اضطراب حبل القضاء في الاسلام بجديد وليس الظلم والعسف الذي لاقاه المسلمون من حكامهم الظالمين وحكوماتهم الجائرة الا نتيجة توكلهم على ضعف القضاء خصوصا ما يتعلق منه بولاية المظالم لا لنقص في الدين أو الشريعة بل لنقص في طرق التقنين والتنفيذ

إن الدين الذي ينزل على الظالمين صواعق الانذار ويقرن الظلم بالشرك بالله تعالى ويأمر باقامة ميزان العدل ويريد سعادة المجتمع الذي يدين به ما كان ظالما ولن يكون وانما المسلمون أنفسهم يظلمون

وربما يطالبني كلكم أيها السادة بدليل على قولي ان اضطراب نظام القضاء وما نشأ عنه من الجور ليس بجديد في الاسلام وهذا الطلب من حقكم بعد هذا الكلام واليكم دليلا واحدا اكتفي به عن أدلة لو أحصيت لكانت كتابا ليس كالكتب مما تقرؤون

تعلمون أن أحفل العصور الاسلامية بالعلماء والمفتين والفقهاء والمتشرعين وأرقاها في سلم المدنية الاسلامية عصر هارون الرشيد العباسي اذ الشريعة في إبان

زهوها والتفريع في مبدأ مجده والأئمة المجتهدون هم القائمون بالتشريع والى كتبهم ترجع الفتوى

في ذلك العصر الزاهر بمجد الاسلام وأمجاده العظام يرى أبو يوسف صاحب أبي حنيفة من ضعف القضاء وتسلط عمال الجور واضطراب نظام ولاية المظالم مايلجئه الى وضع كتاب الخراج لامير المؤمنين هارون الرشيد وليس فيه الا آية أوحديث أو مثال من قضاء الصحابة أي كله من أصول تلك الشريعة الطاهرة يذكره فيه بالرجوع الى قضاء الله ورسوله واصحابه أو قضاء الجماعة المتين قائلا : ارجع ياأمير المؤمنين الى هذه الأصول في سياسة الرعية وجباية الخراج وتوزيع الفيء ، اقعد يا أمير المؤمنين بنفسك للمظالم وإنصاف المحكوم من الحاكم ، ادرك الزراع فقد كاد يهلكهم الظلم فقد بلغني عن عمالك انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد وانهم يفعلون بهم ويفعلون مما لا يحل لهم بوجه من الوجوه !.

هكذا كان الحال في عصر الرشيد وأئمة الشريعة أحياء يرزقون فما بالكم بما جاء بعده من العصور التي صار فيها التشريع الى عدد لا يحصى من المخرجين والمرجحين والفقهاء والمفتين وكلهم يقول قولي أو قول فلان هو شريعة الله المفتي بها والمعول عليها وما هو الا تفكك نظام القضاء وتشتت قوة الجماعة فلا حول ولا قوة إلا بالله !

والنتيجة أيها السادة أن ضمان العدالة الوحيد انما هو قضاء الجماعة لا قضاء الفرد وأعني ان التشريع وحده غير كفيل بالعدل في القضاء إلا اذا أنيط كلاهما بالجماعة بالوضع والتنفيذ . ولا تظنوا انهذا «المطربش» الواقف أمامكم يريدشيئا جديدا في الدين أو قلبا لكيان الاحكام مع انه ليس من علماء الدين ولا أئمته المجتهدين

كلا فليس قضاء الجماعة بجديد في الاسلام بل هو من عصر الصحابة وهم واضعو أساسه المتين في الدور الاول للقضاء في الاسلام

أما الدور الثانى فالذي أذكره أن دولتين من دول الاسلام تنبهتا اليه وعولتا

عليه اولاهما دولة الامويين في الاندلس التي جعلت في القرن الثالث دارا في قُرطُبَة لشورى القضاء اعضاؤها من جلة العلماء يرجع اليهم في تقرير الاحكام

والحق أقول اني لم أظفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن مارأيته عنها في ثنايا الكتب التاريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في نفح الطيب في ترجمة بعض العلماء كقوله كان فلان مشاورًا وطلب فلان الى الشورى فأبى ونقل اليَّ ثقة عن كتاب من الاسف انه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتاب الاحكام للقرطبي وردفيه ذكرهذه الشورى بقوله: ان الشورى خالفت الامام مالكا في عدة أحكام أخذت فيها بقول أبي القاسم

وفي هذا دليل كاف على انه كان لديهم سلطة في التشريع وان الدولة الاموية ثمة كانت مسددة الاعمال حتى قبيل وهنها وسقوطها حريصة على اجراء قوانين العدل بين رعيتها

أما الدولة الثانية التي تنبهت الى مثل ماتنبه اليه الامويون فهي الدولة العثمانية لهذا العهد فانها جمعت من علماء الامة وفقهائها الموثوق بفضلهم وعلمهم جماعة سمتهم جمعية المجلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انتخبوا من كتب المذهب الحنفي قانونا جامعا لاحكام المدنية وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية وأقر على العمل به أهل الحل والعقد فصار مرجع القضاء في المحاكم الى اليوم وستجتمع هذه الجمعية أيضا لادخال بعض الزيادة والتحرير عليه مما مست اليه الحاجة ولو بأخذه من غير المذهب الحنفي

هذا مجمل تاريخ القضاء في الاسلام وما تخلله من الشؤون بسطته لديكم مع رجائي ان تصفحوا عن كل خطأ بدر مني أو تردوه ولو سمح الوقت لاتيت على شيء كثير من كيفية تقسيم ولاية القضاء وترتيبها ومحاسن الفقه الاسلامي وما انتقد عليه وانه لو أحسن العلماء العمل به لكان لنا منه قانون جامع لا حسن قوانين الامم المدنية وربما أعود الى هذا البحث في فرصة أخرى ان شاء الله

تصنيف كتب في الكلام ملائمة لحاجة العصر

توحيد المذاهب الاسلامية

﴿ اصلاح نظام التعليم في المدارس الدينية ﴾

ألقى أستاذنا الفاضل موسى كاظم افندي العضو في مجلس الاعيان ، والاستاذ في مدرستي الحقوق والقضاة — محاضرة في هذه الموضوعات الثلاثة ، فضبطها عنه حضرة الاديب حسين أشرف بك أديب صاحب مجلة «صراط مستقيم» التركية ، فرأيت أن أترجمها لقراء مجلة المنار النافعة بما يأتي :

كان الراسخون في العلم من أهل الصدر الاول للاسلام يكتفون بظاهر المعنى الذي دل عليه الكتاب والسنة ، و يرجعون الى صاحب الرسالة في كل ما يشتبهون به من المسائل على عهده . ولهذا لم تضطرهم الحاجة الى وضع المصنفات ومراجعة الاسفار

ثم ظهر الاختلاف على عهد التابعين ، فرأوا أن يدونوا الكتب احتفاظا بوحدة الدين من وقوع التفرقة ، و بعدا بها عن مزالق الانشقاق وفقدان القوة — اذا تشتت آراء ذوي الرأي ، واختلفت أنظار أهل النظر ، وهنالك الطامة الكبرى ، والخسران العظيم

فأخذوا يدونون العلم ، وأكثر مادونوا كان في علم الكلام ، لانه هو منشأ الخلاف ، فكان لذلك فائدة عظيمة

على أن الفلسفة لم تكن قد دخلت بادئ بدء في المصنفات الاولى ، لان الامة لم تكن قد عانتها بعد ، بل كانوا يبرهنون على مذاهبهم بنص من الكتاب

والسنة ، وهي طريقة علماء السلف ، ولم يكن ذلك العصر في حاجة الى أكثر من ذلك

ثم انتقلت علوم الفلسفة الى العربية ، فتشعبت الآراء طرائق ومذاهب ، وعرف أبناء هذه اللغة لاول مرة ماهية مذهب «الفلاسفة المشائين» وآراء «الفلاسفة الطبيعيين» ، وأخذوا يدخلون فيها ، ويقولون بقول أصحابها على قلة عددهم ، لولا أن المشائين تغلبوا على الطبيعيين من حيث اقبال الطالبين على كتبهم ، حتى اضطر علماء الدين الى مناهضتهم جميعا ، وانتقاص ما لهم من السلطة والنفوذ في قلوب الدارسين والمفكرين ، ومن الردود على المشائين والاشراقيين تألف علم الكلام ممتزجا بالفلسفة كما قضت الحاجة . لان علماء الكلام كانوا يدرسون كتب الفلاسفة أولا ، ثم يردون عليها ، الى أن كسدت سوق «الفلسفة الاشراقية» ، وكثر انتقاد اقوال المشائين فدالت دولتها ، وانقرضت سلطتها ، ولم يبق لها ولي ولا نصير

لم تكد تلقي هذه الحرب أوزارها ، حتى كان لعلماء الكلام من ظهور «الماديين» في هذا العصر ميدان آخر للنضال والكفاح . فبهؤلاء يجب أن نشتغل اليوم كما كان اسلافنا يشتغلون بالطبيعيين والمشائين والاشراقيين بالامس

ورب قائل يقول : كيف يجوز لنا أن نزيد من عندنا في علم الكلام مالم ينص عليه من قبلنا؟ أوليس من الواجب علينا ان نتبع الاولين في ماقالوه . ونسلك السبيل الذي انتهجوه ؟

فنجيبه بأن الفلاسفة الذين عني السابقون من المتكلمين بتزييف أقوالهم لم يبق في زماننا من يذهب الى صحة نحلهم ، واذا كانت براهين اسلافنا سلاحا قاطعا لتلك المزاعم ، فأين من يحارب بنا لنصده بها ، وهذا الميدان خال منهم على حين نرى جهة أخرى غاصة بأعداء آخرين لا يعمل فيهم ذلك السلاح ، أو هو لا يقابل الاسلحة التي يستعملونها ، والحاجة ماسة إلى اختراع سلاح آخر يصلح أن نقابلهم به .

لا يوجد اليوم علماء معروفون يقولون إن العالم ثلاث عشرة طبقة كرية الاولى تراب والثانية ماء والثالثة هواء والرابعة نار والافلاك بعد ذلك تسعة متواليات بعضها فوق

بعض وانها أزلية أبدية في نوعها وفي جنسها ، وهي بهذا الاعتبار قديمة .

فاذا قلنا للفلاسفة اليوم : انكم كنتم تزعمون قبل عصور أن الارض وما عليها قديم ولدينا حجج تدحض مدّعاكم وتبرهن على حدوث الارض وماعليها، أجابونا قائلين : كلا نحن لانقول بقدم الارض ، بل نذهب إلى ماتذهبون اليه من أنها حادثة .

ومن منهم يصغى الينا إذا قلنا له : إنك تقول برأي بطليموس من أن الافلاك تسعة متداخلة أزلية أبدية . وهو يرى « أن هذا الفضاء لانهائي ، ولا نهاية لما فيه من الاجرام ، وهي حادثة من حيث صورها ، ولا قديم فيها إلا اجزاؤها الفردة » وربما سخرمنا عندما نبرهن له على فساد مالا يعتقد صحته .

فمن الواجب علينا إذاً اصلاح الدروس الكلامية وفقا لحاجة هذا العصر وأهله ، ووضع مصنفات جديدة في دحض مذاهب هذه الازمان . وأن نعلم أن الدين لا يناضل عنه اليوم بسلاح الامس ، لما بين العدوين من البون الشاسم والفرق العظيم .

كان المشاؤن يعترفون بوجود الله تعالى وأنه العلة الاولى ، وواجب الوجود ، ولكنهم كانوا يقولون : هو فاعل مضطر ، لافاعل مختار . أما الماديون في هذه الايام فلا تنفعهم براهيننا على ذلك لانهم لا يسلمون بوجود الله سبحانه . وكان الحكماء يقولون : ان الله واحدحقيقي . وباطل وصفه بتلك الصفات المتعددة لانها تنافي الوحدة . فهو قائم بذاته، عالم بذاته، قادر بذاته ، مريد بذاته ، والعلم عين الذات ، والقدرة عين الذات ، إلى غير ذلك من الصفات الاخرى ، وبهذا قالت المعتزلة .

أما الماديون فهم يضحكون منا إذا برهنا لهم على أن الله عالم بعلمه، قدير بقدرته مريد بارادته : لاننا متخالفون معهم من حيث المبدأ الذي يجب علينا ان نقربهم الينا فيه بوضع كتب حديثة تصلح لاقناعهم ، ولا يتسنى لنا ذلك إلا بدرس فنونهم ، وإلزامهم بأقوالهم وآرائهم .

***

وبعد فان الاسلام قد مني باختلافات ذهبت بأهله مذاهب كثيرة باد أكثرها وبقي بعضها ، فالشافعية والحنبلية والمالكية يخالفوننا نحن معشر الحنفية بالفروع وإن

كانوا كلهم أهل سنة . فمن الواجب علينا ان لاننزل هذا الاختلاف بمنزلة الخصومة فنعد الشافعي خصما لنا ، بل الصواب أن نرى لنا مالنا ، ويرون لهم مالهم . وربما كان الحق في جانب أحد الطرفين مرة ، وفي الجانب الآخر تارة أخرى . لان المسألة مسألة اجتهاد ، والاجتهاد يبنى على الادلة الظنية التي يستدل بها كلا الطرفين ولافرق في ذلك بينهما . ولذلك نصوا على ان الاجتهاد لاينقض بالاجتهاد .

كانت هذه الحال مدعاة للتفرقة وانشقاق القوة ، ومباينة لما أمر الله به من الاعتصام بحبل الاتحاد والاجتماع ، وما أشد ضرر التخاصم في المذاهب والفروع ؟...

وفي الاسلام اليوم غير هذه المذاهب مذهب آخر وهو مذهب الشيعة ، والعداوة بينهم وبين السنيين شديدة ، وفي نظري ان هذا العداء أمر منكر يجب إزالته ليتسنى للمسلمين أن يتحدوا وإلا التهمهم الغرب قبل مرور نصف عصر ، وكانت القاضية على المسلمين اجمعين .

اجل ! يجب علينا أن نعتصم جميعا بحبل الله ، ونتحد مع كل قائل بوحدة الله ، ونبوة رسول الله ، ونحاول بعد ذلك تقويم الاود ، وإرجاع المنحرفة إلى أصلها ، ومجادلة أهل المذاهب الاخرى لاكما يجادل العدو العدو ، بل بالتي هي أحسن ، وذلك بأن يجتمع العلماء من كل فريق ، ويقول بعضهم لبعض : تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم نتجنب ماتقوم الحجة على بطلانه ، ونعمل بما تبرهن الادلة على صحته . وفي يد كلا الفريقين كتاب الله يؤمنان به وبمن أنزله وبمن نزل عليه . وبهذا ينجو المسلمون مما مُنوا به من التفرقة والانشقاق ، وأنا الكفيل بأن المسلم لايلبث أن يذعن للحق ولو مهما بعدعنه .

واني أقص عليكم هنا تفاصيل مناظرة دارت بيني وبين أحد علماء الشيعة وكان متعصبا وعلى مكانة من الجد في وقت واحد . فبادرته أنا سائلا :

— أين هو موضع النزاع بيننا وبينكم ، وفيم ترتابون من عقيدتنا ؟ فأجابني :

— الخلافة هي موضع النزاع . . . قلت له :

— إن هذه المسألة في رأيي ليست مما يستحق النزاع . قال :

— كلا بل هي ذات شأن عظيم لا ينكر فهي التي قضت على الأسلام ،

وشتتت شمل المسلمين ، وقلبت بالدين رأسا على عقب ... إن الخليفة بعد النبي كان يجب أن يكون عليا . فأجبته :

— تلك دعوى لا نسلم بها ما لم يقم على صحتها برهان ساطع ، فما هو برهانكم على ذلك ؟

وهاهنا عدد اشياء كثيرة كانت كلها واهية في نظري . و بعد أن أصغيت إليه كثيرا قلت له :

— ليس كل هذا مما يتألف منه دليل واحد ، لان ماقلته لا يفيد إلا الظن ، و إن الظن لايغني من الحق شيئا . أنت سردت على مسامعي قضية هي من المطالب اليقينية ، وأنى لمثلها من مسائل الاعتقاد أن يبرهن عليه بشيء من الظن الذي ربما كان مقنعا في مسائل الفروع

فترك صاحبنا هذه السبيل وانتهج منهجا آخر تكلم فيه اكثر مما تكلم من قبل ولكن هذا أيضا كان واهيا . فقلت له حينئذ :

إني أدعي انه لم يؤثر عن النبي قول يستدل به على تعيين خليفة باسمه ، و برهاني على ذلك أنه لوكان ثمة قول صريح في هذا الباب لما اختلف الصحابة في ذلك الامر ، وهم على ما هم عليه من التمسك بسنته ، والخنوع لطاعته

أجل ! لم يصرح النبي بذلك لان المهاجرين والانصار وقع بينهما على الخلافة اختلاف كان من نتيجته أن قال الانصار : « منا أمير ومنكم أمير » فدحض الصديق ماطلبوا بحديث « الائمة من قريش » فأجابوه : إذًا لم يبق بيننا مدعاة للخلاف بعد هذا . ومن ذلك تعلم أنه ليس ثمة صراحة قولية يستدل بها على تعيين خليفة بشخصه ، و إنما هم رجحوا الصديق لتوليه الصلاة بالناس في مرض النبي ولم يرجحوا عليا ، وهذا ما أداهم اليه اجتهادهم .

وكان أبو بكر قد سمى عمر لولاية العهد قبل وفاته ، فلم يبق مجال للنزاع

وجعلها عمر شورى من بعده ، فوقع الاختيار على عثمان

ثم تولى منصب الخلافة من بعدهم علي

هذا كل ما في الامر ، فأين ما تذكره من أن هذه المسألة هي التي قضت

على الاسلام ، وقلبت الدين رأسا على عقب ... هل سلك ابو بكر غير منهج الرسول ؟ كلا . انه لم يفعل ذلك باعترافكم . وهكذا فعل عمر ، وهو الذي افتتح الاقطار ، وعلى يده دخلتم في الاسلام ، وأصبح المسلمون يحكمون بلادا فيها مئة مليون من النفوس . ومع كل ما كان له من النصر ، وللاسلام من المجد ، بقي في آخرته كما كان في أولاه يضن على قدميه بحذائين يخرج ثمنهما من بيت المال ! فما هو معنى « القضاء على الاسلام » حينئذ ؟

وهنا سكت صاحبنا ولم ينبه ببنت شفة ، فواصلت كلامي قائلا : نحن نقدس هؤلاء لانهم لم يحيدوا عن خطة النبي قيد أنملة ، ومن الواجب على كل من في قلبه ذرة من ايمان أن ينظر اليهم بالنظر الذي ننظر به اليهم . فأجابني :

ان عليا كان على سعة من العلم والفضل ، وواقفا على سر الكتاب . قلت له :

ذلك مما لا ريب فيه . قال :

فلماذا اذًا لم يجعلوه خليفة ؟ أجبته :

انت الآن تخرج عن الصدد . فقد عدلت عن زعمك الاول من أن الاسلام قد قضي عليه ، ورحت تقول الآن : كان الاولى تولية علي لانه كان أعلم وأفضل . فقال لي :

انك يا أخي لاتدع لي مجالا للافصاح عن رأيي . انني أقول : إن عليا واقف على سر الكتاب ولو كان اول خليفة في الاسلام لخدمه خدمات جلى ، ولتعالى الدين اكثر مما شهدنا . قلت له :

أنت غيرت دعواك . ومع ذلك فاني أقول لك : كان من الواجب عليه اذا كان الامر كذلك أن يبين تصوراته في اعلاء شأن الاسلام لمن تولى أمر الخلافة من قبله . وفي كل حال انه صار خليفة بعد ذلك ، وكان في وسعه أن يقوم بالخدمات التي تذكرها

و بعد أن أفضت البحث في هذا الباب أذعن مناظري للحق ورجع الى انصافه ثم قال :

الحق أقول ان هذه المسألة مسألة سياسية ، لا مسألة دين ، وماهي الا وسيلة جعلت في القديم لاحداث التفرقة بين فريق وفريق

فترى من هذا أنه مهما كان بين المسلم والمسلم من الاختلاف ، يرجع احدهما الى الحق بعد ظهوره له ، لان المسلم منصف على كل حال

ويا ليت شعري كيف يجوز لنا أن نجعل الاختلاف في المذهب سببا للعداوة ونحن كلنا مسلمون ، في حين أن من المحظور على المسلم أن يجعل العداوة في قلبه حتى لغير المسلمين . حقا إن هذه حال قد سئمتها النفوس ، ونتجت منها مضار ، أزف الوقت الذي يجدر بنا فيه أن نقلع عن هذه البغضاء الشائنة ، ونؤسس فيما بيننا وبين جميع الفرق المسلمة وغير المسلمة وحدة صحيحة ، فيكون الاتحاد شعارنا في كل أين وآن . لان بالاتحاد نجاتنا ، و بالاعراض عنه اضمحلالاً

فمن الواجب علينا أن نضع كتبا في علم الكلام مؤسسة على مبادئ عدة . كأن ندرس مذاهب الفلاسفة المعاصرين ، ونجادل اصحابها ولكن « بالتي هي أحسن » فبهذا يزول الخلاف ، وتلك كانت خطة النبي (ص) في جدله

***

نحن نفكر اليوم في أمر اصلاح المدارس الدينية ، وحسبنا انكم تقدرون هذا الاصلاح حق قدره . (الطلبة : - تلك حقيقة ناصعة فنرجوكم ان تثابروا على الاصلاح .) انكم إذا كنتم على غير رأينا في لزوم هذا الاصلاح ، فليس في وسعنا ان نأتي بعمل ، أما اذا عرفتم وجوبه ، فهو أهم الاصلاحات في نظرنا .

يجب أن ندخل على نظام المدارس القديم خمسة من الفنون الحديثة أو أكثر ، وأن نعدل ذلك النظام تعديلا هاما ، فنبطل تدريس الحواشي والتقريرات بتة ، ونعلم الطالبين المتون فقط ، ولكن تعلما حقيقيا ، ونتوسع كثيرا في درس اللغة والادبيات .

ترى ماهي الحواشي والتقريرات ؟ هي انتقادات قواعد لغة لا نعرفها بعد . وأحر بنا أن ندرس تلك اللغة نفسها قبل أن نقرأ انتقاد قواعدها .

ولعل قائلاً منكم يقول : نحن لا ندرس لغة العرب ، بل ندرس كتبا انشئت بلغة العرب ، وكان خيرا لنا لو ترجم القرآن الى التركية ، فدرسناه بلغتنا ، كما يدرس العرب القرآن واليهود التوراة بلغتيهم (!!!) .

فأجيب هذا القائل : إن ترجمة القرآن متوقفة على معرفة اللغة العربية معرفة تامة ،

وهذا ماندعو اليه الطلبة والعلماء ونريد منهم أن يكونوا ذوي وقوف تام على هذه اللغة ، ولا يكون هذا الا بدرس المتون أولا ، والتوسع بالادبيات بعد ذلك جهد المستطاع . ولا بأس إذا رجع التلميذ بنفسه الى بعض الشروح عند مسيس الحاجة

ولست أدري كيف أعرض الطلبة قبلنا عن المتون وتعلقوا بهذه الشروح حتى اذا أتموها شرعوا بقراءة الحاشية فحاشية غيرها ثم بالتقريرات فتقريرات أخرى . وبعد أن يصرف الطالب أكثر من خمس سنين على هذا المنوال في كتاب واحد تمتحنه فيه فلا تجده على شيء !! ولا يقدر أن يفهم معنى سطر واحد من الشعر العربي . ذلك لانه بدد وقته بمناقشة ماقاله العصام وما نبه اليه عبد الغفور ، و بوجه التفهم من قوله (فافهم) عند ماتعرض مسألة من المسائل .

فكروا يا هؤلاء قليلا : يجتهد عالم بتلخيص القواعد في متن يسهل به على الطلبة سبيل الوقوف على أصول أحد العلوم ، فيجيء غيره ينتقد ما كتبه - وهو جر فيما يعمل - ثم يجيء آخر فينتقد الانتقاد !

نحن لا نعترض عليهم لانتقادهم ، فليبدوا رأيهم في مسائل العلم ، والانتقاد في الحقيقة فلسفة العلوم . ولكن الذي استغرب به هو تسابق الشيوخ إلى هذه الحواشي والتقريرات مما تجادل به العصام وعبد الغفور ، يجعلونها كتبا مدرسية يقرأونها على الطلبة قبل أن يدرسوا أصول العلم نفسه ! .

اعترضوا علي ما أقول إذا كان لكم اعتراض !

نعم ! إن هذه الحواشي ليست بما يقرأ قبل درس قواعد اللغة ، وإنها مع ذلك لم تؤلف عبثا ، فان أصحابها لاحظوا من تأليفها تربية قوة المناقشة والانتقاد في نفوس الطلبة فصنفوها . وماعلينا الا أن نستعملها في الموضع الذي وضعوها له . ولقد كان من تحريفنا الاشياء عن مواضعها أننا ظللنا جاهلين اللغة العربية ، وإذا عرض لنا بيت من الشعر ، وقفنا أمامه باهتين ، ننتظر من عبد الغفور ومن العصام إمدادا فلا نرى من معين ! ثم نسعى لفهم البيت من كتب اللغة فيخفق سعينا لاننا لم ندرس الادبيات العربية .

وغاية الامر أن اصلاح المدارس يتوقف على درس متون العربية وكتب اللغة

والادب . ثم يلتفت الطالب الى الفقه والتفسير والحديث ، تلك العلوم التي أهملناها، لان الحواشي والتقريرات استغرقت منا كل وقت .

أتمنى من الطلبة كلهم أن يجتمعوا في مكان واحد، ويفكروا فيما يحوجهم لاصلاح مدارسهم ، و يستجلبوا برنامجات المدارس الدينية في مصر ؛ فان المدارس الدينية في ذلك القطر قد أصلح نظامها ، فأثمر التعليم فيها ثمرات شهية . و بعد الاطلاع على تلك البرنامجات يضعون لانفسهم برنامجا يوافق حالهم وحال العصر معا . و يكفل لهم التقدم في اللغة العربية ، ثم يبحثون في أي الفنون الحديثة أكثر لزوما لهم .

أما أمر معاشكم فنحن نكفله لكم . لان لكم أوقافا كثيرة جداً استولت عليها الايدي ، وهي تغل لكل واحد منكم ثلاثة جنيهات مشاهرة ؛ لو كان عددكم خمسة آلاف طالب . وعدا ذلك فان الامة لاتنساكم . وما عليكم إلا أن تبرهنوا على كفاءتكم

ثم إنكم في حاجة إلى تعلم لغة أجنبية ، وليس في هذا ما يخالف الدين، لانه ليس للدين لغة خاصة به

هذه اللغة العربية بنت ستة آلاف سنة ، والدين الاسلامي لم يكن إلا منذ ألف عام وزيادة . وهؤلاء مسلمو كريد لا يعرفون العربية ولا التركية ؛ ولغتهم لغة يونان، فهل كان ذلك مانعا لاسلامهم . ونحن أنفسنا لغتنا التركية ؛ فهل نتركها لانها ليست لغة القرآن التي انزل بها . وهل اليهود من العرب مسلمون لان لغتهم عربية ؟ كلا . واذا كانت العربية لسان الدين ولا يجوز للمسلم أن يتكلم بغيرها ؛ فنحن آثمون لاننا لم نترك التركية . وهذا ما لا يسلم به عقل ولم يرد به نص .

فالتركية من هذا القبيل لا فرق بينها و بين الفرنسية والانكليزية ، لان هذه اللغات الثلاث كلها غير العربية ، وعدا ذلك فنحن ندرس في جوامعنا باللغة التركية ، فلماذا لا ندرس بالفرنسية أيضا ؟ ولماذا لا نتعلم في مدارسنا لغة أجنبية ؟ فاذا قلتم : إن التركية لغة أمة اسلامية . اجيبكم : ان في الصين تركا أكثر منا عددا وهم كلهم مشركون فتبين من هذا أن اللغة شيء والدين شيء آخر ، وما التعصب في هذا الباب إلا الجهل الذي يسخر من صاحبه الناس اجمعون .

محب الدين الخطيب بالقاهرة

(المنار) بعث الي ادارة المجلة بهذه المقالة المترجمة وانا في الآستانة لاري

رأيي في نشرها فلما قرأتها رجحت المقتضي على المانع وأذنت بنشرها ؛ أما المانع فهو انه قد سبق لنا في المنار بيان هذه المسائل الثلاث الاساسية التي بنيت عليها محاضرة الكاظم « تصنيف كتب في العقائد ملائمة لحال هذا العصر ، وتوحيد المذاهب الاسلامية واصلاح التعليم في المدارس الدينية » بل هي من مقاصد المنار التي أبدينا وأعدنا القول فيها كثيرا ، وكررناه تكريرا، فقراء المنار لا يستفيدون بنشر ترجمة هذه المحاضرة شيئا جديدا في هذه المسائل التي طرقت مسامعهم وجالت في مباحثها أبصارهم وعلم أكثرهم ما لقي شيخنا الاستاذ الامام من العناء في محاولة إصلاح التعليم في الازهر والمدارس التابعة له . وأما المقتضي فهو ما يستفيده قارىء هذه المقالة من تشابه علل المسلمين وأمراضهم بل وحدتها ومن اتفاق آراء العقلاء وطلاب الاصلاح لها على اختلاف اللغات وتباعد الافكار ، فموسى كاظم افندي من علماء الآستانة قام يطالب في عهد الحرية ما سبقه اليه اخوانه من عقلاء العلماء في مصر والهند من غير تواطؤ بينه و بينهم ولا اطلاع منه على أقوالهم وأعمالهم ، فالمسلمون أمة واحدة مرضهم واحد وعلاجهم واحد وأطباؤهم هم العلماء والعقلاء العارفون بحال العصر الذين يصدق عليهم تعريف الفقيه في أقوال أحد أئمتهم « هو المقبل على شانه العارف بأهل زمانه »

قد احسن الكاظم في حثه طلاب الترك على تعلم أدبيات اللغة العربية لان اللغة نفسها إنما تعرف بأدبياتها لا بفلسفة فنونها الصناعية وفي حثه إياهم على تعلم بعض لغات العلوم الدنيوية وحجته في هذه المسألة أقرب الى القبول من حجة من يدعو امثال طلاب الازهر الى تعلم الفرنسية والانكليزية لانه لا فرق بين التركية والفرنسية في نظر الدين وأما العربية فهي لغة الاسلام لا يمكن ان يفهم الاسلام حق فهمه و يكون من علمائه الا من يكون متقنا لها وترجمة القرآن ترجمة تقوم مقام الاصل العربي وتغني عنه في الفهم والاستنباط والهداية هي متعذره كما بينا ذلك من قبل ، و يحتاج في فهم الاسلام الى فهم السنة ومعرفة طرق روايتها الخ الخ ولم يعط الكاظم هذه المسألة حقها من البيان والتحقيق وهي لم تكن موضوع محاضرته و إنما جاءت بالعرض . وقد عرفت الرجل هنا وأرجو ان يكون من خير انصاري على ما أسعى اليه من الخير للمسلمين الذي يدخل فيه موضوع محاضرته

رسالة جمع النفائس ، لتحسين المدارس

يقول الذين أرسلوا الينا هذه الرسالة ان السيد عثمان بن عبدالله بن عقيل كتبها ليقاوم بها نهضة المسلمين الحديثة لانشاء المدارس وطلبوا منا ان نبين لهم رأينا فيها كما ذكرنا ذلك في الجزء الحادي عشر . وقد تصفحنا معظم الرسالة فظهر لنا ان كاتبها قد كتب مايعتقد انه النافع كما هو ظننا في سائر مكتوباته وانه لم يقصد تثبيط المسلمين عما هو نافع لهم ارضاء للحكام أو لغير الحكام ولكن الذين فهموا منها تثبيط المسلمين عما ينفعهم معذورون ولا يسوغ لنا ان نقول انهم متحاملون ،

الرسالة مؤلفة من ثلاثة فصول أولها في العلم والتعليم والمدرسة و بذل المال لهذا الامر ونتيجة العلم وقد جاء في ذلك بفوائد ونصائح لا بأس بها وان كان فيما استدل به احاديث ضعاف لا يحتج بمثلها ولا نطيل في ذلك لما جرى عليه المؤلفون من التساهل في ايراد مثل هذه الاحاديث في فضائل الاعمال ولا سيما الغزالي رحمه الله تعالى ورأيته يذكر في هذا الفصل كغيره السلف الصالح ويحث على اتباعه و يعد من ذلك قراءة رسائل وكتب احمد بن زين وسالم بن سمير وعبدالله بن علوي الحداد وغيرهم ممن ليسوا من سلف الامة وهم أهل القرون الثلاثة على المشهور فكأنه يعد المتأخرين من أهل حضرموت وغيرهم من السلف ولا أدري ماهي مزيتهم على علماء هذا العصر في الهند ومصر وتونس . وعندي انه لا يعتد برأيه في الكتب النافعة ولا في طريقة التدريس . والفصل الثاني عشرة اسطر في الاتفاق على العمل و بذل المال له ولا بأس به

واما الفصل الثالث فهو الذي يثبط همة من تلقاه بالقبول على علاته لانه ينفر المسلمين من كل ما عليه الاجانب في علومهم وأعمالهم الدنيوية التي بها صاروا اقوى وأعز من المسلمين حتى ان دولة صغيرة في شمال أوربا تستولي على أكثر من ثلاثين ألف ألف مسلم في جنوب آسيا وتتصرف فيهم تصرف السيد في عبيده الضعفاء ولو عملت الدولة العثمانية بمثل هذه الآراء لاستولى عليها الاجانب من زمن بعيد ولم تبق للمسلمين حكومة مستقلة

ومن بلايا تناقض هؤلاء المقلدين انهم يحرمون الاستدلال بالكتاب والسنة على من هم أهل له و يبيحونه لانفسهم مع اعترافهم بأنه ليسوا من أهله ومن ذلك استدلالهم بحديث ابن عمر «من تشبه بقوم فهو منهم» على تحريم كل شيء نافع سبقتنا اليه أوربا ! والحديث لايدل على ذلك على ان سنده ضعيف عند رواته وهم احمد وأبو داود والطبراني في الكبير ، وتصحيح ابن حبان له لا يعتد به لتساهله في التصحيح ومعناه ان من تكلف ان يكون شبيها بقوم فان التكليف يصير خلقا بعد تكرار العمل فيصير بذلك من القوم فيما تشبه بهم فيه فان تشبه بهم في الكتب من أمور الصناعة صار صانعا مثلهم وإن تشبه بهم في الاعمال الحربية صار كواحد منهم في ذلك ، وان تشبه بهم في كل شيء صار مثلهم في كل شيء ولكنه اذا تشبه بهم في بعض الازياء او العادات لا يصير منهم في أمور الصناعة أو الحرب أو الدين واذا تشبه بهم في أعمال الدين فقط لا يصير منهم في السياسة أو الادارة ولا في الصناعة والزراعة . فالمسلمون في العراق موافقون لمسلمي مصر في الدين لامتشبهون وهم ليسوا مثلهم في اتقان الزراعة فمن الجهل الفاضح ان يقال ان من تشبه بآخر في شيء يصير مثله في غيره ، ويتفرع على هذا اننا نحن المسلمين إذا تشبهنا بالافرنج في الامور الحربية والسياسية والصحية وطرق الكسب فاننا لانكون معدودين منهم في دينهم وان في بلادنا من هم موافقون لهم في دينهم وكثير من عاداتهم وهم مع ذلك ليسوا مثلهم ولا يعدون منهم في الامور السياسية والحربية مثلا

وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس الجبة الرومية والطيالسة الكسروية (من لباس المجوس) . ولما أخبره سلمان الفارسي (رض) ان المجوس يحفرون الخنادق حول بلادهم اذا هاجمها العدو أعجبه ذلك وأمر بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الاحزاب وعمل فيه بنفسه بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم . فبهذا البيان يظهر خطأ السيد عثمان بن عقيل في منعه أن يكون في مدارس المسلمين شيء ما يشبه ما في مدارس الاجانب وخطأ ما أطالت به مجلة «دين ومعيشت» الروسية في بعض المسائل التي جعلت تكأتها فيها حديث «من تشبه بقوم فهو منهم» وهذه المدارس النظامية في مصر والآستانة والشام على طراز

المدارس الاجنبية ولم ينكر ذلك أحد من العلماء في هذه البلاد وما أظن أن السيد عثمان يعد نفسه في طبقة علماء الازهر

وقد أورد السيد عثمان في هذا المقام حديثا آخر وهو « من أحب قوما حشر معهم » وهذا الحديث أورده الحاكم في المستدرك بلا سند فلا يحتج به ولو كان الرجل عالما بالحديث لاورد ما صح بمعناه وهو حديث أنس عند الشيخين « المرء مع من أحب » وفي المعنى حديث « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وهو ضعيف ولكن حسنه الترمذي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . والمراد بالحب هنا ما يحمل المحب أن يتقرب الى من يحبه ويطيعه ويقتدي به ، وما كل نوع من أنواع الحب يحمل على ذلك وقد أباح تعالى للمسلم أن يتزوج باليهودية والنصرانية والزوج يحب زوجه فلو كان معنى الحديث ان كل محب يكون مع من أحبه في الدنيا والآخرة لاستلزمت اباحة نكاح الكتابية كفر المسلم الذي يتمتع بهذا المباح ولاستلزم ذلك الترجيح بلا مرجح فيما اذا أحب كل من هذين الزوجين الآخر كما هو الغالب وهو محال . وأبلغ من ذلك ان الله تعالى قال في خطاب المؤمنين مع اليهود الذين كانوا أشد الناس عداوة لهم (٣: ١١٩ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) فراجع تفسير الآية في ص ٨٨ ج ٤ تفسير من القرآن الحكيم

ومع هذا كله نقول ان الذين ينظمون مدارسهم على طريقة الاوربيين ويتعلمون علومهم لا يقتضي ذلك أن يحبوهم بل نرى من المتعلمين في أوربا من هم أشد تعصبا من غيرهم وقد ذكرت هذا لبعض العثمانيين هنا (في الآستانة) فقال والمتعلمون منا على الطريقة الاوربية كذلك . فالسيد عثمان ليس مختبرا ولا عارفا بهذه المسائل وقد علمت ان الحديثين اللذين أوردهما لا يدلان على مراده إن قلنا بأنه يحتج بهما، وما كتبه ضار جدا وان أراد به النفع بحسب اجتهاده وما هو بأهل للاجتهاد سامحه الله تعالى

ومن تهافته انه بعد أن استدل بالحديثين على ما لا يدلان عليه لقلة بضاعته في العربية على كونها بضاعة مزجاة - شرع يحذر ترك قراءة كتب السلف الصالحين والاستعاضة

عنها بقراءة كتب التاريخ والجرائد ، وذكر من مضارها انها تورث العقائد الفاسدة ودعوى الاجتهاد والاخذ من الكتاب والسنة . واذا جاز لمثله أن يأخذ من الكتاب والسنة فعلى من يمتنع ذلك ؟ وانني أنقل شيئا من كلامه بنصه لئلا يتوهم بعض قراء المنار انا نرد على عالم مؤلف أخطأ فكبرنا خطأه أو بالغنا في استهجانه . انه حصر عيوب المكاتب والمدارس في ثلاثة أشياء وذكر الاولين منها وهما في المعنى أمر واحد هو التشبه بالاجانب ثم قال ما نصه وصورة رسمه :

« والثالث من تلك الفواقر والخسار ترك قراءة الكتب التي يقرءونها السلف الصالحون التي يكتسبون منها العلوم النافعة وخشية الله والاعمال الصالحة وتبديل تلك الكتب بكتب التواريخ المختلقة والجرائد المعتنقة التي يورث في اللسان القلقة وفي القلب العقايد الفاسدة وفي الدين التساهل وتتبع الرخص بل تورث دعوى الاجتهاد المشبه بخرط القتاد وذم التقليد بلا تقييد ودعوى استقلال الاخذ من السنة والقرآن مخالفة لما عليه المفسرون الاعيان فاهي الا كراكبة التان تظن انها تسابق الفرسان ومضادا لسيرة السلف الصالحين بل استخفافا بهم بأنواع التنقيص وعنادا بالمكابرة والمغالطة بالادلة الساقطة » اه

ولا يحسبن القارئ أننا اخترنا هذه العبارة اختيارا لركاكتها وكثرة غلطها ووضوح دلالتها على تجرد صاحبها من الفنون العربية كلها بل جميع عباراته كذلك وهو مع هذا يستنبط الاحكام من الآيات والاحاديث فيحرم على الناس ما أحل الله لهم ويحل لهم ماحرم الله عليهم ولا سيما القول في الدين بغير علم ثم ينكر على العلماء الراسخين مثل هذا الاستدلال ! !

هذا — واننا ننصح لأولئك الابرار الاخيار الذين ينشئون المدارس أن لا يلتفتوا الى هذه الرسالة ولا الى شيء من رسائل هذا الرجل وليختاروا لمدارسهم المعلمين الا كفاء الذين يجمعون لهم بين علم الدين وما يلزم لهم من علوم الدنيا وان يكون لسان حالهم ومقالهم هو لسان القائلين « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

الفصل الخامس عشر (*)

(بيت خديجة بعد الزواج)

وبدأت السيدة «خديجة» بعد هذا القران السعيد تزداد معرفة بهذا الجوهر الكريم الذي أتاحه الله اليها فألقت الى يد هذا الامين بكل ماتملك ولم يرعها أن الكرم المستحكم في سجاياه سيحمله على اخراج نصيب كبير من هذا المال الى الضعيف والعائل فان سيدتنا لم تكن — مع تدبيرها — بالشحيحة الكاظة على المال الفاني بل كانت قد خلقت لتكون مساعدة على الجود . وهل بعد معرفتها بهذا الكفؤ الشريف ترى لنفسها معه أمراً ينافي أمره ، أو رأيا يغاير رأيه ، وهي تلك العاقلة الحكيمة المستمدة ان تزداد كمالا كلما أشرق لها من سماء الفيض الالهي نور منه

وأصبح هذا البيت مثابة للمضطرين وأمنا ، فقصدته الايامى ، وشبعت فيه اليتامى ، وخففت فيه أحمال كثيرين ممن حنيت ظهورهم بكثرة الآل ، وقلة المال .

كانت تلك البلاد احيانا تصاب بعسر بل كل بلاد العالم لاتسلم من العسر على الدوام فمساعدة الموسرين في زمن العسر للمعسرين أمر تقضي به الانسانية ولكن قليل من الناس من يكون لهم حظ بالتغلب على شياطين

---

*) تابع لما في (ص٥٤٩م١١) من سيرة السيدة خديجة ، وقد كان كاتب هذه السيرة السيد عبد الحميد الزهراوي اضطر الى ارجاء الكتابة لاعماله السياسية الكثيرة في مجلس الامة

الشكوك والاوهام التي تنهى عن الانفاق خشية الاملاق أما سيدتنا فكانت ترى إنفاق زوجها ومساعدته للمعسرين وأخذه بيد العائلين من جملة المزايا العالية التي تقرّ بها عينها

وفي احدى الازمات كانت ملائكة الرحمة تحوم في ذلك البيت حول أحد الصبيان وتطوف في آفاق نفسه لتطهرها من كل شر حتى لايخرج من هذا البيت الا وهو امام للناس في الخير والصلاح

وكان هو لاهيا عما أعدّ له ، وعابثا بمثل مايعبث به أترابه ، ولم يكن هذا الصبي يتيما بل كان أبوه حيا ولكن أبناء السعادة ، أبناء المجد الابدي ، ابناء المجد السرمدي ، تستأثر العناية الازلية بكفالتهم وتربيتهم بصورة خاصة وظاهرة يراها من استمدت بصائرهم للاطلاع الجيد

لم يكن أبو هذا الصبي ليسمح وهو حي أن يتربى كالايتام في غير بيته لأنه هو ذلك الشهم الشهير والشريف الخطير « أبو طالب » ولكن اشتداد الازمة في احدى السنين اضطره ان يقبل رجاء أخيه « العباس » وابن أخيه «محمد الامين » بأن يأخذ كل واحد منهما ولداً من أولاده تخفيفا عنه فكان هذا الاسعد الذي أخذه الامين هو علياً الذي صار الامام أبا الائمة ، وبدر سماء السيادة في الأمة

كانت تربية علي في البيت من جملة المكتوب للسيدة «خديجة» من حسن الحظ فان الغيب كان يعده لأمر جليل له علاقة بهذا البيت

لعله لم يخطر في بال أهل هذا البيت اذ ذاك أن هذا الصبي الذي يدرج أمامهم فيسرون به سيكون الواسطة الوحيدة لحفظ نسلهم ، ومن أين كانت

تعرف السيدة «خديجة» أنه لا يعيش لها من الذكور ولد وأن هذا الصبي الصغير قد أعده الغيب ختنا كريما وبعلا صالحا لبنتها الصغيرة، وكيف تعلم أنه لا يتسلسل لها عقب الا من تلك الكريمة «فاطمة الزهراء» وانى يخطر في بالها أنها انما كانت تربي هي وزوجها جدا لعترة تتصل بهذا البيت سيعدها العالم من أشرف العِتَر وستبقى مباركة في الارض دهوراً طويلة عالية المنار، عظيمة الشأن

نعم كل ذلك لم يخطر في البال اذ ذاك ولم يكن الذي في القلب الا القيام بالواجب الذي يقضي به التضامن

نعم ! نعم ! كل ذلك لم يخطر في البال ولا نوى سيدهذا البيت مكافأة عمه على تربيته التي سبقت له فان بين ذوي القربى لا توجد المكافأة بل يوجد التضامن ولكن كان هذا البيت المملوء نعما يتقاضى وجود نفوس كثيرة تشاركه في تلك النعم لأن لأهله نفوسا لا تعرف الاستئثار، بل تراه من العار والشنار، لاسيما اذا بئِس الجار

وقد استفاد من مادة هذا البيت كثيرون كما أشرنا اليه أما علي فانما خصصناه بالذكر ليعرف من عرفه أوسمع بمناقبه العالية وفضائله الزاكية كيف كان هذا البيت السعيد مسعداً للارواح، كما كان مسعدا للاشباح، وليعرف القارىء بسهولة أن البيت الذي أخذ ابن أبي طالب آدابه فيه منذ كان صبيا قد كان مهدا لأكرم الآداب وأعلاها فان عليًّا المرتضى هو من عرفه العالم كله، هو ذلك الامام الاكبر الخليق ان يكون مثال القدس وزكاء النفس، هو مجمع المعالي وملتقى الاسرار العظمى ومظهر الولاية الكبرى فما أكرم هذا البيت السعيد وما أعظم بركاته! قد رأينا الامين يجد فيه

مجالا للتخفيف عن المثقلين، والتنفيس عن المكروبين، وفيه وجد القصاد صدورا رحبة، وأيدي مبسوطة، ولديه خيَّم الوجود والسخاء، كما خيَّم العدل والوفاء، ومنه اشرقت الآداب العالية، والتربية الكاملة، وماذا نرى من بركات هذا البيت بعد ذلك يا ترى؟

الفصل السادس عشر

(العمل الروحي)

أشرفنا الآن على بحر كثيرة لججه، صعبة مسالكه، وصلنا الى ساحل هذا البحر ولا بد من جوزه، وأكثر السفن لا يوثق بها في غمراته، ولابسو ثوب الهداية رأس مالهم الدعوى، وما حيلة الحائرين غير الرجوع الى الله في الجهر والنجوى

ههنا نبأ جليل تحار العقول المستقلة بفهمه، وتشتاق أن تقف على روحه وحدّه ورسمه، هنا قد بلغنا من سيرة هذه السيدة الجليلة أن بعلها كان من دأبه أن يتعبد بعض الاوقات في غار من جبل قرب مكة اسمه «حراء» فما هو هذا التعبد وكيف هو، وما الذي ساق نفسه اليه، وأي دين فرضه عليه؟

هذا هو النبأ العظيم الذي تتمسك بنا العقول المستقلة اذ تسمه ولا تدعنا نجوزه الى غيره من غير أن نوضحه، واذا أخذنا بايضاحه نخشى أن نبعد بالقارىء عن سياق السيرة، ولكن يقوي عزمنا على هذا الايضاح ظننا بأن الراوي الذي يشرح كل دقيقة فيما يمر به من حكايته قد يفيد القراء أكثر ممن يسرد الاخبار سردا

ان الاديان كلها رسمت أعمالا اسمها عبادات ولكن بعل السيدة

«خديجة» لم يكن تابعا اذ ذاك لدين لأن دين قومه كانت عبادته عبارة عن تمجيد بعض الاحجار التي هي عندهم تماثيل أشخاص مقدسين ولم يكن هو قد تعود هذه العبادة التي لهم

العبادة التي عرفت في الاديان كلها هي بحسب الظاهر أعمال وحركات يرسمها رؤساء الدين من أنبياء وغيرهم، أما لبُّها فأشواق روحية تقوم في نفس العابد أمام معبوده ويصح أن نسميها عملا روحيا حينئذ

كان بعل هذه السيدة يأتي في غار حراء بعمل روحي تتوجه فيه روحه تلقاء باريء السموات والارض ومشرف مكة وسائق نفوس العرب اذ ذاك اليها، ولم يكن مقيما أعمالا رسمية

ان البحث عن سبب تسمية تلك الاعمال الرسمية عبادة في لغتنا يكلف به مشرح اللغة، والبحث عن اسباب اختيار الاقوام السالفين هذه الصور والاعمال المخصوصة تحت اسم العبادة يكلف به مشرح التأريخ، أما البحث عن الاشواق الروحية أو التعبد المحمدي في «حراء» فمكلف به كاتب سيرة السيدة «خديجة»

العبارة لا تشفي الصدر في تجلية هذه المعاني ولكن شدة ارتباط هذا الموضوع بهذه السيرة داعية الى السير في هذا البحر العظيم

قد سمعنا في سيرة زوج هذه السيدة أن روحه كانت من أعلى الارواح ونحن نؤمن بهذا ولكن اذا نحن لم نتعرف بالروح ولو قليلا فماذا يكون معني ايماننا بهذا؟ لا جرم أن تعرّفنا بالروح ضروري في هذه المقامات وهو أمر يشتهيه كل امريء لان كل واحد منا تخطر في باله هذه المسألة :

ما نحن ؟

هذا سؤال قد علم الذين بعُدَ نظرهم في ماضي البشر أنه من جملة فضل الله عليهم وهو أساس ما يسمى في لغتنا دينا وديانة وملة وأحد الاصول والاسباب في ترقي هذا النوع الانساني وتكمله

هذا سؤال تحيط به محارة طال وقوف العقل فيها . ههنا مرسى سفينة العقل الذي يحاول معرفة نفسه ومنها يبتديء مجراه لأجل ادراك هذا الجوهر

مواقف الباحثين كادت تتساوى أمام صعوبة هذا السؤال، اذ لا براهين عقلية قطعية في نفي شيء أو اثبات شيء في جوابه، ولكن اذا عزّت هذه البراهين لا يعدم عشاق هذا المطلوب آيات كثيرة في الوجودات ومن فضل الله على اهل هذه الصورة البشرية جعل قلوبهم مستعدة لقبول ما تأتي به هذه الآيات من ضياء ولا يُحرمه الا قليل تُزمن فيهم الحيرة لاسباب محسوسة وغير محسوسة

هذه الوجودات قد ملئت آيات، فاذا حالت دونها الحجب لجّ العقل في محارات أو عمايات، واذا بدت لا يحجبها حاجب نهج في هدايات انها لمن تأمّل مراتب وصفوف، ولكل وجود قوة، ولكل قوة أثر، واختلاف القوى وآثارها، هو على مقدار أشكال الوجودات وصورها وحيزها، ولما رزق الانسان هذا النطق الواسع وضع أسماء لكل ما لاح له من وجود وظن المسكين أنه بوضع الاسماء أحاط بالحقائق وهي لم تزده عنها الا بعدا

الانسان بعض هذه الوجودات وفيه قوى تحتاج حسب عادته الى

أسماء فالروح للانسان اسم للقوة العظمى التي فيه ، اسم لما يكون به الانسان مستقلا متميزا يقول أنا ويقال عنه هو وان عفا أثره

آمن الناس بهذا الاسم متفقين ولكن فيما يدل عليه قد اشتد تباينهم وحار نظرهم في ادراك حقائق هذه القوى التي في الانسان وفي كيفية علاقتها بهذا الجسم البشري الذي متى برحته أصبح لا فرق بينه وبين كثير من صنوف الجمادات والذي يزيد حيرتهم شدة تسامي بعض الارواح كروح من سعدت بقربه سيدتنا صاحبة هذه السيرة

بحثت كالباحثين ، وحرت كالحائرين ، ثم وجدت كالواجدين ، فما ألذها على القلب من حيرة عقباها بلوغ الغاية والحمد لله رب العالمين

اليك حديث نفسي بشأنها : أفقت اليوم من النوم ونصل حسي وشعوري من غلافه ، كما نصل هذا الفجر من غمده ، فوجدتني كاني وليد هذه الساعة ، لانني قبل هذه اللحظة لم أكن أرى هذه الاكوان ، ولم احسّ بما فيها من الاصوات والألوان ، ولم أكن أشعر بملائماتي ومؤلماتي ، فكأنني كنت غير هذا الموجود الجديد ،

أين كانت لذتي برؤية هذه القبة ، وأنسي بما على هذا البساط ، وأنى كان ابتهاجي بزواهر هذه الزرقاء ، وزواخر هذه الغبراء ... ومن حولي الآن أغاني طيور ، ورقص غصون ، وأريج زهور ، وبدائع نقوش ، وترتيب صنوف ، وحركات نور ، وتجليات سكون ، وفيّ أنا آثار انفعال من كل هذا قد تحرك بها ما اسمه فكري ثم تحرك بها ما اسمه لساني فسمعتني أقول « سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا »

سبحانك يا فاطر يا باريء يا مصور ولك الحمد ! أنا متذكر الآن أنني

أبصرت هذه المرائي ، وسمعت هذه الاغاني أمس لما بزغ الفجر بزوغه هذا فأين ذهب ابصاري وسمعي بين ذينك الابصار والسمع اللذين كانا أمس وبين هذين الابصار والسمع اللذين اتياني الآن وأنا متذكر أن هذا الامر وقع لي مرارا كثيرة ألوفا من المرات فما هذا الاحتجاب ثم الظهور ، وأين كان الاحساس محتجبا قبل ان عرفته أول مرة ؟

رباه ! من اسائل عن هذا ..؟ ان هذه الصوامت التي من حولي لاتجيب ! لعلها لاتسمعني ، أو لعلي لاأسمعها ، أو لعلها لا ذكر لها في هذه المسائل ، وكيف أصبر على جهلي بشيء يتعلق بي ، كيف لاأبحث عن أصل احساسي وعن احتجابه ! ألايهمني أن أعرف هل أمره كأمر هذه الشجيرات يتحاتّ ورقها ثم يعود ثم تيبس مرة واحدة فتصير حطبا ثم رمادا ؟ أم أمره كأمر هذه الشمس يظهر نورها على جهة ثم يغيب عنها ثم يعود اليها وهو لا يزول أبدا ؟

كيف أقنع للنفس الانسانية بحالة هذه الشجيرات وهي لها من الخواص والآثار ماليس لشيء غيرها في هذه الارض . كلا سأسائل ثم كلا سأسائل !

رفعت رأسي الى السماء فألفيت بواهر ولا مجيب ، وأهويت به الى الارض فألفيت بواهر ولا مجيب !

فضاء أمامي ، لاأعرف له ساحلا وحدا ، تارة يفيض نورا ، وأخرى يحتجب بالظلمات ، أراني وأرضي محمولين فيه ولا أعرف من هذا المتن العظيم الا اسماء وضعوها له لاتشرح كنها ولا تؤذن بدلالة كافية

تتلاعب فيه النسمات لعلها ناسية أن الامر جد ، وما هو بالهزل واللعب ، وتتناغى فيه الاصوات كأنها تحسب أن في كل موجود دماغا يأخذ بحظ منها ولعل حسابها خائب !

بيني وبين كل ماهو محمول في الفضاء مثلي علاقة قد عرفتها بهذا النور البازغ، فهل بزغ هذا النور لا عرفها أم لتعرفني وهل كانت لي أم كنت لها أم كنا جميعا لهذا النور أم كان هو لنا ؟ ولكني أعرف يا نوراه لولاك لما عرفت شيئا

سلام عليك ايها النور ! يا حاملا نعمة المعرفة الينا، وشكرا لمن تسبح ايها النور بجلاله ، وتهدينا الى آيات جماله

بالنور عرفت ما عرفت ولكن لست ادري كيف عرفت ، قد نقشت السموات والارض على عظمتها في لوح لا يكاد يحس في دماغي ، فهذا اليمّ الذي يعجّ الآن أمام غرفتي اصبح لاشيء عندي على اتساعه لانه محدود وهذه الشمس العظيمة التي بدأت تبزغ هذه الساعة قد غدت صغيرة في عيني لانني احطت بها ، وهذه الارض التي اراها كسرير لي قد تلاشت في نظري اذ وجدتها هي وكل بحورها ذرة طافية في ذلك اليم الذي لا ساحل له، ادركت في هذه الساعة أن هذه الأشياء كلها مهما عظم حجمها فهي كالصفر بالنسبة الى مالا يتناهي ، فعلمت ان ليس فيما أحاط به حسي مايدفع عن فكري عطشته

راقني جمال هذه الكائنات ثم حيرني منها انها كلها مسخرة لنا وما نحن لها بمسخرين فهل نحن على صغر حجمنا اكرم معنى منها ؟

تركت حيرتي ههنا والتفت الى هذه الشجيرات التي اراها تزين كراش الانس وسألتها فلم تجب او لم افهم حفيفها ، وانثنيت الى هذه اليمامات الراقصة باعناقها فسألتها فلم تجب او لم افهم هديلها ، لكنني استأنست بهذه وتلك اكثر من استئناسي بالمتحجرات لاشوق يخالط منها الجنان ، ولا حركة لها الا على يد الانسان ، وطال أنسي بهذه الخضر

المترنحات، والورق المتغنيات ، حتى كدت أفقه حديثها ، وأفسر تبيانها ، هذه ذكرتني بمعنى الحياة وأعادتني الى نفسي وهي ضالتي المنشودة وبها الهدى الى ما أنشده

لم أجد غير نفسي يجيبني عن نفسي بعد أن ساح حسّي وفكري في هذه العوالم المحدودة .. ايّاها ناجيت ، وكلامها وعيت ، فهي التي حدثتني أني لست الا ذرة صغيرة جداً سابحة في هذا الفلك ، وفي هذه الذرة الصغيرة ذرات كثيرة كل واحدة منها بالنسبة الى الذرة الجامعة هي كواحد من ألوف ألوف ألوف الالوف ، وفي كل واحدة توجد الحياة ولكن ليست كلها مركزاً للحياة لاننا نجد أن ألوف ألوف ألوف من هذه اذا أفسد وضعها لا تزول الحياة ولكن هناك بعض ذرات اذا أفسد وضعها تزول الحياة كلها من جميع هذه الذرات التي يتكون من مجموعها الجسم فهذه الذرات القليلة التي هذا شأنها هي مركز الحياة

أعظم مجالي الحياة في نظري هو الادراك الفكري وهو قارٌّ في ذرات قليلة لا يحاط بها

أدهشني هذا الموقف الذي وصلت اليه ، وهذا المرأى الذي وقفت عليه ، حيرني من هذه الذرات أن تسع صور السموات والارض وصور أعمال البشر منذ كانوا الى اليوم ، وحيرني منها أن هذه النتائج العظيمة التي تصدر عنها انما تصدر اذا كانت بوضعها المخصوص وما أسرع زوال هذه النتائج اذا اختل وضع الذرات

رأيت هذا الامر العجيب ولكن لا مستقر للفكر عند هذا المرأى اذ قصاراه

أني عرفت شيئاً صغيراً جداً يسع أشياء لاتحصى مع أنني انما أبغي أن أعرف ماهو ذلك الشيء، الصغير مبناه جداً جداً العظيم معناه جداً جداً ؟ ماهو ذلك الشيء الذي بوجوده على حالة مخصوصة يكون هذا الجسم متحركا حسّاسا يحيط بالسموات والارض وبتغيره يغدو هذا الجسم ترابا صامتا صاراً تحت الاقدام ؟ ماهي تلك الحالة المخصوصة ؟ وما هو تغيرها وكيف نظامها ؟ هل هو في احاطته تلك تابع لهذا النظام أم النظام تابع له ؟ هل هو يحتاج الى هذا النظام بعينه أم يستطيع ان يؤلف نظاما آخر متى تغير نظامه هذا؟ وان كان تابعا لهذا النظام بعينه فهل وجدت هذه الصبغة لتزول بأسرع من لمح البصر بالنسبة الى عمر غيرها على مايتخلل وجودها من الاحتجابات ؟؟

محارات بعد محارات ، ولكن تلوح خلالها آيات ، اذ قد ملأ نا رب الوجود أمثالا ، وأتاحت لنا معرفتنا بالامثال أن حقائق الاشياء محتجبة والظاهر انما هو آثارها: فهذا النور الذي يملأ الفضاء لانعلم كنهه ، وهذه الشمس وما حولها لاندري كيف قامت ، قصارانا أنا عرفنا سبحها في هذا الفضاء، لايسندها عمد، ولا يعتريها سكون، وهي مع ذلك سائرة بنظام ، ودائرة بإحكام ، لاتخرج عن مستقراتها،ولا تحيد عن مجاريها ، ولكن ماهو ذلك السر الذي قامت به هذا المقام ؟ سموا شيئا من ذلك بالجاذبية فهل هذه التسمية دالة على الكنه والحقيقة ؟

إن قصارى مانعرفه من هذه المركبات أنها قابلة للتحلل فاذا حللناها انتهينا الى عناصر قليل عدها لاتتحول ولا تحلل هي الامهات ثم هي تنتهي الى أم واحدة لانعرف من أمرها شيئا !

المشاهدة هي أكبر وسائط معارفنا، ولكن الا هذه المشاهدة عاجزة

عن أن ترينا الاشياء كما هي،ولو اقتصر الامر عليها لكانت علومنا بهذه الكوائن خطأً من أولها الى آخرها

هذه الشمس التي نحن وأرضنا في نظامها الكبير أقل من حبة رمل في جبل عظيم ـ ليست أمام المشاهدة الخصوصية لكل واحدنا الا كمصباح بسيط يشتعل ساعات وينطفيء ساعات،وماهي الابحجم كرة مما يلعب بها اللاعبون !

على هذه النسبة من الخطأ نرى كل شيء أقل من حجمه وعلى خلاف وضعه ، فقد نرى واحداً وهو متعدد ، وبسيطا وهو متركب ، وساكنا وهو متحرك ، وصغيرا وهو كبير ، حتى نصل الى ماهو صغير جدا فلا نراه البتة كما دلتنا التجارب بعد أن اهتدينا للآلات الصناعية التي تساعد بواصرنا الطبيعية ايما مساعدة . . بهذه الآلات استطعنا أن نرى أنواعا من الحيوانات كانت خافية على الابصار دهورا دهارير . ولعلنا سنهتدي الى مايرينا أصغر من تلك الصغائر .ونحن في مثل هذه الهدايات العظيمة التي جاءتنا هدية من الفاطر على يد التجارب لا نجد مايمنعنا من الظن بأننا مهما استعنا بالآلات نبقى في مشاهداتنا بعيدين عن كشف الاشياء كما هي وتبقى أشياء كثيرة خافية على ابصارنا وآلاتنا مهما بلغنا بها

فما أكرمك ياعيني عليّ ! أنتِ أنتِ كنت سبب ارشادي الى حقيقتي اذ لم تريها لانني عرفت بالتجربة انك مسكينة عاجزة لاترين كل شيء ولاترين شيئا مما ترينه على وضعه وحقيقته فاضطررت ان أقيس وجودي على وجود غيري !.. لاجرم ان لي حقيقة مستترة عنك وراء وجودي الجسمي الذي تشاهدينه كما ان وراء النور حقائق مستترة ولا جرم ان حقيقتي هي سبب وجودي كما ان الحقائق المستترة وراء النور هي سبب وجوده

ان الحقيقة العظمى التي هي باطنة من وراء الاشياء كلها، وظاهرة عليها كلها هي حقيقة واجب الوجود، حقيقة من لا بد لوجودنا من وجوده، ولا بد لتشكلنا وتنوعنا من فيض تخصيصه وجوده.. هي حقيقة من له الحياة الازلية الابدية لان الحياة التي نعرفها منه صدرت، وله العلم الازلي الابدي لان العلوم التي نعهدها من فضله أتت، وله الارادة الازلية الابدية لان الارادة التي نجدها من لدنه أهديت، وله القدرة التامة الشاملة لان القدرة من عنده نشأت.. هي حقيقة من لا مثال له في كمال وجوده، وعنه صدرت امثلة الكمال في الوجودات الظاهرة.. هي حقيقة الباريء المصور الذي برأ حقيقة مثال كامل حيّ سميع بصير مريد وجعل حجابه هذا الهيكل البشري

أصبحت لا أرتاب في أن الحقيقة العظمى هي التي تمدنا بآثارها وبامداداتها الى كل شيء مما نعرفه، ولكن لشدة ظهورها الذي قد يعادل البطون ربما تخفى، فاذ نطلب معرفة النفس تظهر آياتها العظمى فسبحان الله من عرف ربه فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

عرفت الآن من امر نفسي أو روحي أنها لا يعرف كنهها ولم يزدني جهلي بكنهها الا ايمانا بحقيقتها الجلية المستقلة عن الجسد لانني لم أعرف من أمر كل جزء من اجزاء الجسد الا مشابهته لهذه الجمادات التي أمامي وليس فيما أمامي شيء يجمع فيه ما تجمعه هذه الروح. وقد حاولت كما يفعله بعضهم أن انسب هذه الخواص الى المجموع المركب من هذه المواد على نظام خاص فلم يسلس له فكري بل جمح عنه كثيراً لتذكره النظام الشمسي وذهابه الى انه انما قام بما يسمونه الجاذبية ولم تقم هي به..

فما نفسنا او روحنا الا جاذبية النوع وكهربائية الخصائص والمزايا، وهي هي مؤلفة الهيا كل وناظمتها. لا بدع في ذلك فالكوائن كلها من اصل لا يرى ولم تنفصل عنه ولا يكون الاصل تابعا للفرع ولا ضرورة لتغير الاصل اذا تغير الفرع. ولا يصعب فهم هذا على من عرف كيف يتجسد ما لا يرى فيصير مما يرى، وكيف يتلطف ما يرى فيصير مما لا يرى. الصناعة بهذا ضمينة، والتجربة فيه هادية امينة، ولا يصعب ايضا على من عرف آيات النفس التي تظهر في بعض الاشخاص لنتعلم بها ان لها شؤونا غريبة جدا فوق المعهود منها والمألوف من دخولها في قيد الحس، سبحان الله كم لها من انطلاق منه يظهر معه ان لا حاجة لها بهذه الآلات العضلية والعظمية والعصبية

نحن شاهدنا من هذا كثيرا، وشاهد مثلنا خلق لا يحصون، والباحثون المحققون شاهدوا ايضا او نقل اليهم ثقات كثيرون بمجموعهم يدفع عن نفوسهم الريب وما علمنا انهم وجدوا لهذا الامتياز الفائق اسبابا جلية! غاية ما صنعوا انهم وضعوا لبعض هذه الامور اسماء وظن القاصرون أن هذه الاسماء تحل الاشكال، وتحكي حقيقة الحال!

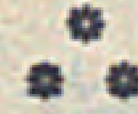
وسمعنا سماعا لا يستطيع الريب معه البقاء أن اشخاصا يشفون امراضا معضلة بغير علاج ولم يقل لنا علماء الابدان في تعليل هذا الامر الا انه شفاء بالوهم فياعجبا ماهو هذا الوهم الشافي ولماذا لا يشفى بالوهم كل شخص؟!

حالة المنوَّم تنويما مغنطيسيا هي من الادلة الصريحة في هذا الباب على شدة غرابة امر هذا الموجود الصغير الكبير واستعداده لخرق الحجب الكثيفة، وقدّ القيود الحسية، وعمله الاعمال العظيمة من غير حركة بيديها او واسطة يأتيها!

***

هذا حديث نفسي وخلاصة ماظهر لي أن الروح خلق مستقل ذو ظهورات فائقة، واحتجابات محيرة، هو اقسام كثيرة، نصيبنا منه عظيم، وارتقاء نوعنا لولاه عديم، هو الحي السميع البصير المريد المستعد للظهور والاجتنان، المصنوع آية كبرى دالة على جامع الاكوان

وظهر لي ان خصائص الروح الشوق، ولو قلت ان الروح هو الخلق ذوالشوق لما وجدت هذا غريبا في تعريفها. ولكل روح شوق يناسبها وعلى نسبة شوقها تكون رتبتها وصفها في عالمها الذي هي منه، وفي عالم المثال والعيان الذي دفعها اليه شوقها الى الظهور



كانت روح هذا السيد بعل سيدتنا «خديجة» من اعلى الارواح، وكان شوقها ازكى شوق واقدسه، كانت عظيمة الشوق الى رؤية فاطرها ولكن هل الفاطر عز وجل يُرى؟ لعلها حارت زمنا في هذا الامر، ولعلها قالت لو كان يُرى لكان محدودا وكيف يدخل في حد من برأ الحدود! ولعلها عادت الى زيادة التبصر فقالت هل الرؤية مخصوصة بهذه الباصرة؟ وهل يشترط أن يكون المرئي متشخصا، أليس القصد من الرؤية العلم، ألا يمكن العلم بالناظر مع انه غير متشخص؟

هذا ما كانت تحوم حوله هذه الروح العلوية التي كان مظهرها وبيتها الصوري في بيت «خديجة» ومطافها ومطارها ملكوت الحق، ملكوت الوجود الاعلى

ولعلها يئست من ان تجد فيما حولها مايروي اوارها من معرفة فاطرها الذي اشتد شوقها اليه بل لعلها غلب عليها ذلك الشوق حتى اصبحت

زاهدة في كل رؤية وكل سمع لانها تريد أن ترى وتسمع الذي اليه طارت شوقا ولذلك رأينا «محمدا» (صلى الله عليه وسلم) قد حبيت اليه الخلوة والانفراد ولاسيما اذ شارف الاربعين من سنيه وكان لغار «حراء» الحظ من هذه الروح الحائمة على حبيبها وطبيب شوقها

من ذا الذي يعلم غير الله ما كان يقوله هذا المنقطع في ذلك الغار ولكن يصح لنا ان نظن بأنه كان يساقط الدموع ويناجي المقصود المطلوب بقوله: رباه! رباه! كيف الوصول الى حضراتك؟ كيف السبيل الى مشاهدات تجلياتك؟ اليك ايها المولى من مزيد حبي قيامي وقعودي، وركوعي وسجودي، ومن مزيد شوقي ذرف دموعي، وفرط ولوعي، رحماك رحماك يا ربي! كبد تذوب وعين تسيل، وفكر يتدله، وانت انت مطلوبي وانت انت ذو الكرم والجود!



على هذا المثال كانت حاله، وهذا هو العمل الروحي الذي شغل به باله، وقد فهم القريبون من فهم الروح مقدار فوائد هذه النجوى القدسية وأما البعيدون عن هذا الشوق فيعجبون وينكرون، وليتهم يتذكرون محن الناس وتدلهاتهم بهذه المتغيرات من صور وأشكال لاتتوقف الحياة عليها، ولا يجدون الطمأنينة لديها، هذه المحن والتدلهات أقضي بالعجب لعمر الحق لو كانوا يعقلون. وأما ابتعاد روح عن المحسوسات في سبيل الاقتراب من خضرة من لاتدركه الابصار فسمي، وراءه مبتغى جليل.

العمل الذي فيه لذة لامضرة على الغير فيها لاينكره عقل، ولأرباب الاعمال الروحية لذات لايستبدلون بها كل لذات المفتونين بالمحسوسات

فعسى أن يتذكر العقل المستقل هذا المعنى فلا يكبر عليه أن يفهم أقل الحكم في الاعمال الروحية وهي لذة أربابها وانتعاشهم وتفتح بصائرهم لرؤية المعالي كما هي فلا يحزنهم شيء بعد في نيلها ولا تقف هممهم أمام حزن في طريقها

كانت السيدة « خديجة » شديدة الفهم وعظيمة الثقة ببركات هذا العمل الروحي فساعدت عليه ولم تلم صاحبه ولا عتبته، كانت عظيمة الايمان بالقوة العظمى، والحقيقة الكبرى، فلم تر بأسا بل لم تر الا الخير بتوجه وجه زوجها الكريم تلقاء سوانح الامدادات الفائضة من لدن ذلك الملكوت الذي لاحد له.. كانت قد عرفت أن هذا الغار في «حراء» الفارغ من كل مشتهى حسي كان حريا أن يكون مثابة لهذا الشبح الشريف الحامل قلبا قد فرغ من كل شيء غير الوله بالمعالي القدسية، والشوق الى الحضرات الربانية. فكانت تبارك على هذا الغار الفارغ وتسأل الله أن يملأه معالي وبركات وقد أجاب الله تعالى كرمه سؤلها وكتب «حراء» في الصف الاول بين الاماكن التي تتوج بتمجيد الناس وتحياتهم ومحامدهم. وكم قد ترجمت قرائح الشعراء عن احتراماتهم وتكريماتهم لهذا الغار أو لهذا المطلع الذي فاق بدره البدور، قال قائل منهم:

سلام عليك حراء الشهير ... أمطلع ذاك الضياء العظيم
سلام فؤاد ذكور شكور ... بقدر الذي قد صحبت عليم

* *

لأنت يتيمة عقد الوطن ... فقيك أضاء السراج المنير
بذكراك يلقى الفؤاد السكن ... فذكراك ذكرى عطاء كبير

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر الجمعة سلخ صفر ١٣٢٨ ـ ١١ مارس (آذار) ١٢٨٥هـ ١٩١٠م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٢١ : ٢٦) وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢ : ٢٧) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ، فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

الكلام متصل بعضه ببعض في الاحكام المتعلقة بالنساء وقد كان منها في أوائل السورة حكم نكاح اليتامى وعدد مايحل من النساء بشرطه . وفي الآية التي قبل هاتين الآيتين ذكر استبدال زوج مكان زوج بأن يطلق هذه وينكح تلك فلا غرو أن يصل ذلك ببيان مايحرم نكاحه منهن وقد بين مايجب من المعروف في معاشرتهن ،
وقال البقاعي في نظم الدرر : لما كرر الاذن في نكاحهن وما تضمنه منطوقا ومفهوما وكان قد تقدم الاذن في نكاح ماطاب من النساء وكان الطيب شرعا يحمل على الحل مست الحاجة الى مايحل منهن لذلك وما يحرم فقال ﴿ ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ﴾

أقول قدم هذا النكاح على غيره وجعله في آية خاصة ولم يسرده مع سائر المحرمات في الآية الاخرى لأنه على قبحه كان فاشيا في الجاهلية ولذلك ذمه بمثل ماذم به الزنا للتنفير عنه كما ترى في آخر الآية : أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال كان الرجل اذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها ان ينكحها إن شاء إن لم تكن أمه أو ينكحها من شاء فلما مات ابو قيس بن الاسلت قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته ولم ينفق عليها ولم يورثها من المال شيئا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال « ارجعي لعل الله ينزل فيك شيئا » فنزلت « ولا تنكحوا » الآية . ونزلت ايضا « لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها » أي نزلت هذه الآيات عقب وقوع هذه الحادثة وامثالها وتقدم ذكر القصة بلفظ آخر عند تفسير الآية الاولى وماهي ببعيد . وقال الواحدي وغيره ممن تكلم في أسباب النزول إنها نزلت في محصن المذكور وفي الاسود بن خلف تزوج امرأة أبيه وفي صفوان بن أمية بن خلف تزوج امرأة أبيه فاختة بنت الاسود بن المطلب وفي منظور بن ريان تزوج امرأة أبيه مليكة بنت خارجة

والنكاح هو الزواج وقد تقدم في تفسير (٢ : ٢٣٠ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) ان النكاح له اطلاقان يطلق على عقد الزوجية وعلى ماوراء العقد وما يقصد به أي على مجموعهما وهو المراد هناك وقد صرح الفقهاء بأنه يطلق على العقد وعلى الوطء واختلفوا في اي الاطلاقين هو الحقيقي وأيهما المجازي . والظاهر انه

لا يطلق شرعا على الوطء من غير عقد وانما كمال معناه الشرعي العقد وما وراءه كما قلنا وقد يطلق على العقد وحده قال الاستاذ الامام وهو الذي تمكن معرفته وتبنى عليه الاحكام في الغالب بخلاف ماقاله الحنفية من أن حقيقته الوطء . ويؤيد مااختاره الاستاذ تفسير ابن عباس (رض) النكاح هنا بالعقد فقد روى ابن جرير والبيهقي عنه انه قال : كل امرأة تزوجها ابوك دخل بها أو لم يدخل بها فهي عليك حرام . وروي ذلك عن الحسن وابن أبي رباح والمراد من الآباء مايشمل الجدود بالإجماع

وقوله تعالى ﴿ إلا ماقد سلف ﴾ معناه لكن ماسلف من ذلك لا تؤاخذون عليه . وقال بعضهم معناه الا ماقد مات منهن ورووه عن ابيّ بن كعب وقالوا ان المراد به المبالغة في تأكيد التحريم . وقطع عرق هذه الفاحشة وسد باب اباحتها سدا محكما وهو ليس بظاهر عندي . ﴿ انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ﴾ أي ان نكاح حلائل الآباء كان ولا يزال في الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، وأيدتها الشريعة التي هداهم اليها ، امرا فاحشا شديد القبح عند من يعقل ومقتا أي ممقوتا مقتا شديدا عند ذوي الطباع السليمة حتى كأنه نفس المقت وهو البغض الشديد أو بغض الاحتقار والاشمئزاز ، وكانوا يسمون هذا النكاح في الجاهلية نكاح المقت وسمي الولد منه مقتيا ومقيتاً أي مبغوضاً محتقرًا ﴿ وساء سبيلا ﴾ أي بئس طريقا طريق ذلك النكاح الذي اعتادته الجاهلية وبئس من يسلكه . وقال الاستاذ الامام ان هذا النكاح وان كان سبيلا مسلوكا الا أنه سبيل سيء لم يزده السير فيه الا قبحا ومقتا . وقال الامام الرازي « مراتب القبح ثلاث : القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله سبحانه هذا النكاح بكل ذلك فقوله سبحانه فاحشة اشارة الى مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا اشارة الى مرتبة قبحه الشرعي وقوله وساء سبيلا اشارة الى مرتبة قبحه العادي » . أقول والظاهر ان الاخير يراد به القبح العادي أي انه عادة ولكنها قبيحة وما قبله يراد به القبح الطبعي أي ان الطباع تمقت هذا لاستقباحها إياه والاول كما قال الرازي يراد به القبح العقلي كما أشرنا الى ذلك عند تفسير العبارات وفاته هو ذكر القبح الطبعي . وأما مافي ذلك من القبح الشرعي فانما يعرف بورود الوحي

بتحريمه فهو مرتبة رابعة فالله تعالى قد حرم نكاح حلائل الآباء وعلله بما فيه من هذه القبائح الثلاث .

هذا ماجرى عليه الجمهور في تفسير الآية وقال بعضهم ان « ما » في قوله « مانكح آباؤكم من النساء » مصدرية أي لاتنكحوا النساء أيها المؤمنون كما كان ينكح آباؤكم في الجاهلية بتلك الطرق الفاسدة كالنكاح بدون شهود ونكاح الشغار وهو المبادلة في الزواج بأن يزوج الرجل من له الولاية عليها رجلا آخر على ان يزوجه هذا موليته ولامهر لواحدة منهما بل كل منهما تكون كمهر للاخرى

وعبارة ابن جرير بعد نقل الروايات في تفسير الجمهور للآية ونقل قول ابن زيد ان المراد بذلك الزنا هذا نصها : قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب على ما قاله أهل التأويل في تأويله ان يكون معناه ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم الاما قد سلف منكم فمضى في الجاهلية فانه كان فاحشة » الخ ثم قال فان قال قائل وكيف يكون هذا القول موافقا قول من ذكرت قوله من اهل التأويل وقد علمت ان الذين ذكرت قولهم انما قالوا انزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء وانت تذكر أنهم إنما نهوا ان ينكحوا نكاحهم ؟ قيل له وانما قلنا ان ذلك هو التأويل الموافق لظاهر التنزيل اذ كانت « ما » في كلام العرب لغير بني آدم وانه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراما ابتداء مثله في الاسلام بنهي الله جل ثناؤه لقيل ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب اذ كان « من » لبني آدم و « ما » لغيرهم ولا تقل (اي حينئذ) « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » فانه يدخل في « ما » ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم . فحرم عليهم في الاسلام في هذه الآية ما كان اهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم . ومعنى الا ما قد سلف الا ماقد مضى الخ ما قال

ثم بين لنا سبحانه أنواع المحرمات في النكاح لعلة ثابتة تنافي مافي النكاح من الحكمة في صلة البشر بعضهم ببعض وهذه الانواع داخلة في عدة أقسام القسم الاول

مايحرم من جهة النسب وهو النوع الاول الاصول وذلك قوله تعالى ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ أي حرم الله تعالى عليكم أن تتزوجوا أمهاتكم ، فإسناد الفعل الى المفعول مع العلم بأن الله تعالى هو المحرم للايجاز ، والمراد انه حكم الآن بتحريم ذلك ومنعه فهو إنشاء حكم جديد ، وأمهاتنا هن اللواتي لهن صفة الولادة من أصولنا ــ ولفظ الأم يطلق على الاصل الذي ينسب اليه غيره كأم الكتاب وأم القرى ــ فيدخل فيهن الجدات ، وكذلك فهمه جميع العلماء وأجمعوا عليه . فهذا هو النوع الاول

النوع الثاني الفروع وذلك قوله سبحانه ﴿ وبناتكم ﴾ وهن اللواتي وُلدن لنا من أصلابنا وان شئت قلت من تلقيحنا أو ولدن لأولادنا وأولاد أولادنا وان سفلوا فيدخل في ذلك كل من كنا سببا في ولادتهن وأصولاً لهن . وهل يشترط ان تكون ولادة البنت بعقد شرعي صحيح ؟ قال الشافعية نعم وقال غيرهم لا فيحرم على الرجل بنته من الزنا وهذا هو الظاهر المتبادر في حق من علم انها بنته وان كانت لاترثه الا اذا استلحقها لان الارث حق تابع لثبوت النسب وانما يثبت النسب بالفراش أو الاستلحاق وولد الزنا ليس ولد فراش فلا نسب له ولا إرث مالم يستلحق اذ لايمكن اثبات نسبه بالبينة . والدليل على اعتبار الحقيقة في ذلك اذا عرفت هو إجماع الامة على ان ولد الزانية يلحقها ويرثها للعلم بأنها أمه . ولم يعرف عن أحد من الصحابة انه أباح ان ينكح الرجل بنته من الزنا . والظاهر انه يجب على الرجل استلحاق ولده من الزنا مع العلم بانه ولده بأن يكون زنى بامرأة ليست بذات فراش في طهر لم يلامسها فيه رجل قط وبقيت محبوسة عن الرجال حتى ظهر حملها ومما يدل على حرمة البنت من الزنا حرمة البنت من الرضاعة بل تحريم بنت الزنا أولى . هذا وان الفساق لايبالون اين يضعون نطفهم ولا أين يضيعون نسلهم فمنهم من يزني بذات الفراش فيضيع ولده ويلحق بصاحب الفراش من ليس من صلبه فتكون له جميع حقوق الاولاد عنده عملا بالقاعدة الشرعية المعقولة في بناء الاحكام على الظاهر وهي « الولد للفراش » ومنهم من يفسق بمن لافراش لها فيحملها على قتل حملها عند وضعه أو على إلقائه حيث يرجى ان يلتقطه من يربيه في بيته ليجعله خادما كالرقيق أو في بيت من البيوت التي تربى فيها اللقطاء

في بعض المدن ذات الحضارة العصرية ، ولا يبالي الفاسق أخرج ولده شقيا أم سعيدا مؤمنا أم كافرا !! فلعن الله الزناة ما أعظم شرهم في جماعة البشر ولعن الله الزواني ما أكثر شرهن وأعظم بهتانهن فان الواحدة منهن لتحمل مالا يحمله من يفجر بها من العناء والشقاء وتوبيخ الضمير ، فهو يسفح ماء لا يدري ما يكون وراءه وهي التي تعلق بها المصيبة فتعاني من أثقال حملها ما تعاني ثم تلقي حملها على فراش زوجها ولا يمكنها ان تنسى طول الحياة انها ألقت بين يديها ورجليها بهتانا افترته عليه ، وأعطته من حقوق عشيرته ماليس له ، أو تلقيه الى يد غيرها وقلبها معلق به قلق عليه لا يسكن له اضطراب إلا ان يسلبها الفسق أفضل عاطفة وشعور تتحلى بهما المرأة ومنهن من تستعمل الادوية المانعة من الحمل فتضر نفسها وربما أفسدت رحمها

النوع الثالث الحواشي القريبة وذلك قوله عز وجل ﴿ وأخواتكم ﴾ سواء كنّ شقيقات لكم او كنّ من الأم وحدها أو الاب وحده

النوع الرابع الحواشي البعيدة من جهة الاب والنوع الخامس الحواشي البعيدة من جهة الأم وذلك قوله تبارك اسمه ﴿ وعماتكم وخالاتكم ﴾ ويدخل في ذلك أولاد الاجداد وان علوا وأولاد الجدات وان علون وعمة جده وخالته وعمة جدته وخالاتها للابوين أو لاحدهما اذ المراد بالعمات والخالات الاناث من جهة العمومة ومن جهة الخؤولة . والنوع السادس الحواشي البعيدة من جهة الاخوة وهو قوله تعالى ﴿ وبنات الاخ وبنات الاخت ﴾ أي من جهة أحد الابوين أو كليهما وسيأتي بيان الحكمة في ذلك كله

القسم الثاني ما حرم من جهة الرضاعة وهو أنواع كالنسب بينها تعالى بقوله ﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ فسمى المرضعة أما للرضيع وبنتها أختا له فأعلمنا بذلك ان جهة الرضاعة كجهة النسب تأتي فيها الانواع التي جاءت في النسب كلها وقد فهم ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال لما أريد على ابنة عمه حمزة أي ان يتزوجها «إنها لا تحل لي: إنها ابنة أخي من الرضاعة ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » رواه الشيخان من حديث ابن عباس ، ورويا من

حديث عائشة عنه (ص) انه قال « ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » وفي صحيحيهما أيضا انه (ص) قال لها « ائذني لافلح أخي أبي القعيس فانه عمك » وكانت امرأته أرضعت عائشة . وعلى هذا جرى جماهير المسلمين جيلا بعد جيل فجعلوا زوج المرضعة أبا للرضيع تحرم عليه أصوله وفروعه ولو من غير المرضعة كأنه صاحب اللقاح الذي كان سبب اللبن الذي تغذى منه الرضيع ، فروي عن ابن عباس انه سئل عن رجل له جاريتان أرضعت احداهما جارية (أي بنتا) والاخرى غلاما أيحل للغلام أن يتزوج الجارية ؟ « قال لا! اللقاح واحد » رواه البخاري في صحيحه ولولا هذه الاحاديث لما فهمنا من الآية الا أن التحريم خاص بالمرضعة وينتشر في أصولها وفروعها لتسميتها أما وتسمية بنتها أختا ولا يلزم من ذلك أن يكون زوجها أبا من كل وجه بأن تحرم جميع فروعه من غير المرضعة على ذلك الرضيع كما أن تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمهات المؤمنين لا يترتب عليه جميع الاحكام المتعلقة بالامهات فالتسمية يراعى فيها الاعتبار الذي وضعت لأجله ، ومن رضع من امرأة كان بعض بدنه جزءا منها لأنه تكوّن من لبنها فصارت في هذا كأمه التي ولدته وصار أولادها أخوة له لان لتكوين ابدانهم اصلا واحدا هو ذلك اللبن ، وهذا المعنى لا يظهر في أولاد زوجها من امرأة أخرى الا من بعد بأن يقال أن هذا الرجل الذي كان بلقاحه سببا لتكوّن اللبن في المرأتين قد صار أصلا لاولادهما اذ في كل واحد منهما جزء من لقاحه تناوله مع اللبن فاشتركا في سبب اللبن او في هذا الجزء من اللبن الذي تكوّن بعض بدنهما منه فكانا أخوين لا يحل أحدهما للآخر اذا كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى ولهذا المعنى قلنا فيما سبق ان حرمة الرضاعة تدل على حرمة بنت الزنا على والدها بالاولى

وقد روي عن بعض الصحابة والتابعين عدم التحريم من جهة زوج المرضعة دونها فقد صح عن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة أن أمه زينب بنت أم سلمة أم المؤمنين أرضعتها أسماء بنت أبي بكر الصديق امرأة الزبير بن العوام . قالت زينب وكان الزبير يدخل عليّ وأنا أمتشط فيأخذ بقرن من قرون رأسي ويقول: أقبلي عليّ فحدثيني ، أرى انه أبي وما ولد منه فهم أخوتي ، ثم ان عبد الله بن الزبير أرسل

الي يخطب أم كلثوم ابنتي على حمزة بن الزبير وكان حمزة للكلبية فقلت لرسوله وهل تحل وانما هي ابنة أخته ؟ فقال عبدالله انما أردت بهذا المنع من قبلك أما ما ولدت اسماء فهم اخوتك وما كان من غيرها فليسوا لك بأخوة فارسلي فاسألي عن هذا . فأرسلت فسألت واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فقالوا لها ان الرضاعة من قبل الرجل لا تحرم شيئا . فأنكحها اياه فلم تزل عنده حتى هلك عنها وقالوا ولم ينكر ذلك الصحابة رضي الله عنهم . وروي القول بهذا أي بأن الرضاعة من جهة المرأة لا من جهة الرجل عن الزبير من الصحابة وعن بعض علماء التابعين منهم سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار وعطاء بن يسار وأبو قلابة فالمسألة لم تكن إجماعية . وقد حمل الجمهور قول المخالفين في ذلك على عدم وصول السنة الصحيحة اليهم فيه أو على تأويل ما وصل اليهم لقيام مايعارض حمله على ظاهره عندهم ويقال على الاول ان من حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى الثاني انه اجتهاد منهم عارضته عندنا النصوص الظاهرة ومتى ثبتت السنة الصحيحة امتنع العدول عنها لاجتهاد المجتهدين وهذا ماجرى عليه علماء الاسلام في هذه المسألة وغيرها ، فقد روي عن الاعمش انه قال كان عمارة وابراهيم واصحابنا لا يرون بلبن الفحل بأسا حتى أتاهم الحكم ابن عتبة بخبر أبي القعيس ، أي فاخذوا به ورجعوا عن رأيهم الاول

فالذي جرى عليه العمل هو ان المرضعة أم لمن رضع منها وجميع اولادها اخوة له وان تعددت آباؤهم وأصولها اصول له فتحرم عليه أمها كما تحرم بنتها وأخوتها خؤولة له فتحرم عليه أخواتها . وأن زوج هذه المرضعة اب للرضيع اصوله اصول له وفروعه فروع له وأخوته عمومة له فيحرم عليه أن يتزوج أمه كما يحرم عليه أن يتزوج أية بنت من بناته سواء كنّ من مرضعته أو غيرها فان أولاده من المرضعة اخوة أشقاء للرضيع ومن غيرها اخوة لأب كما أن أولادها هي من زوج آخر غير صاحب لقاح اللبن الذي رضع منه الرضيع اخوة لأم . ويحرم عليه أن يتزوج أحدا من بنات هؤلاء الاخوة او الاخوات من الرضاعة . وكذلك تحرم عليه عماته من الرضاعة وهن أخوة ابيه بالرضاعة ، فالسبع المحرمات بالنسب وقد ذكرن بالتفصيل محرمات

بالرضاعة أيضا . وأما أخوة الرضيع وأخواته فلا يحرم عليهم أحد ممن حرم عليه لأنهم لم يرضعوا مثله فلم يدخل في تكوين بنيتهم شيء من المادة التي دخلت في بنيته فيباح للاخ أن يتزوج من أرضعت أخاه أو أمها أو بنتها و يباح للأخت أن تتزوج صاحب اللبن الذي رضع منه أخوها أو أختها أو أباه أو ابنه مثلا

ومما يجب التنبيه له ان الناس قد غلب عليهم التساهل في أمر الرضاعة فيرضعون الولد من امرأة أو من عدة نسوة ولا يعنون بمعرفة أولاد المرضعة وأخوتها ولا أولاد زوجها من غيرها واخوته ليعرفوا مايترتب عليهم في ذلك من الاحكام كحرمة النكاح وحقوق هذه القرابة الجديدة التي جعلها الشارع كالنسب فكثيرا مايتزوج الرجل أخته أو عمته أو خالته من الرضاعة وهو لايدري

وظاهر الآية أن التحريم يثبت بما يسمى ارضاعا في عرف أهل هذه اللغة قلّ أو كثر ولكن ورد في الحديث المرفوع «لاتحرم المصة والمصتان» وفي رواية «لاتحرم الإملاجة والإملاجتان» - والاملاجة الارضاعة - والحديث رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة وروى عنها أيضا أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن « عشر رضعات معلومات يحرمن » ثم نسخن بخمس رضعات معلومات يحرمن فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن . وقد اختلف علماء السلف والخلف في هذه المسألة فذهب بعضهم الى الاخذ بظاهر الآية من التحريم بقليل الرضاعة ككثيرها ويروى هذا عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن والزهري وقتادة والحكم وحماد والاوزاعي والثوري وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ورواية عن أحمد . وذهب آخرون الى ان التحريم لايثبت بأقل من خمس رضعات ويروى هذا عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن الزبير وعطاء وطاوس وهو احدى ثلاث روايات عن عائشة وهو مذهب الشافعي واحمد في ظاهر مذهبه وابن حزم .وذهب فريق ثالث الى قول بين القولين وهو ان التحريم إنما يثبت بثلاث رضعات فأكثر لأن النبي (ص) قال « لا تحرم المصة والمصتان » فانحصر التحريم فيما زاد عليهما . وروي هذا عن أبي ثور وابي عبيدة وابن المنذر وداود بن علي وهو رواية عن احمد . وهنالك

مذهب رابع وهو ان التحريم لايثبت الا بعشر رضعات ويروى عن حفصة أم المؤمنين وهو الرواية الثانية عن عائشة. ومذهب خامس وهوانه لايثبت بأقل من سبع وهو الرواية الثالثة عن عائشة .

ورواية الخمس هي المعتمدة عن عائشة وعليها العمل عندها وبها يقول أكثر أهل الحديث ويرون ان العمل بها يجمع بين الاحاديث ولا يحتاج فيه الى القول بنسخ شيء منها فهي تتفق مع حديث منع تحريم المصتين والإملاجتين ويعد تقييدا لنص القرآن وللأحاديث المطلقة كحديث الصحيحين عن عقبة بن الحارث انه تزوج أم يحيى بنت أبي هاب فجاءت أمة سوداء فقالت قد أرضعتكما فذكر ذلك للنبي (ص) فقال « كيف وقد زعمت أن قد أرضعتكما» قالوا وتقييد المطلق بيان لا نسخ ولا تخصيص

قال الذاهبون الى الاطلاق أو إلى التحريم بالثلاث فما فوقها ان عائشة نقلت رواية الخمس نقل قرآن لانقل حديث فهي لم تثبت قرآنا لأن القرآن لايثبت الا بالتواتر ولم تثبت سنة فنجعلها بيانا للقرآن ،ولا بد من القول بنسخها لئلا يلزم ضياع شيء من القرآن وقد تكفل الله بحفظه وانعقد الاجماع على عدم ضياع شيء منه والاصل أن ينسخ المدلول بنسخ الدال الا ان يثبت خلافه وعمل عائشة به ليس حجة على إثباته وظاهر الرواية عنها انها لاتقول بنسخ تلاوته فيكون من هذا الباب

ويزاد على ذلك أنه لو صح أن ذلك كان قرآنا يتلى لما بقي علمه خاصا بعائشة بل كانت الروايات تكثر فيه ويعمل به جماهير الناس ويحكم به الخلفاء الراشدون وكل ذلك لم يكن بل المروي عن رابع الخلفاء وأول الأئمة الاصفياء القول بالاطلاق كما تقدم .واذا كان ابن مسعود قد قال بالخمس فلا يبعد انه اخذ ذلك عنها وأما عبدالله بن الزبير فلا شك في ان قوله بذلك اتباع لها لأنها خالته ومعلمته واتباعه لها لايزيد قولها قوة ولا يجعله حجة ،ثم ان الرواية عنها في ذلك مضطربة فاللفظ الذي أوردناه في أول السياق رواه عنها مسلم كما تقدم وكذا ابوداود والنسائي وفي رواية لمسلم « نزل في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل ايضا خمس معلومات» وفي رواية الترمذي « نزل في القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك » وفي رواية ابن ماجه « كان

فيما انزل الله عز وجل من القرآن ثم سقط: لايحرم الا عشر رضعات أو خمس معلومات» فهي لم تبين في شيء من هذه الروايات لفظ القرآن ولا السورة التي كان فيها الا ان يراد برواية ابن ماجه ان ذلك لفظ القرآن . وقولها في رواية الترمذي ان النبي (ص) توفي والامر على ذلك ظاهره ان الحكم والعمل كان على ذلك وقد علمت انه ليس عندنا نقل يؤيد ذلك كما انه ليس عندنا نقل يؤيد الرواية الاخرى القائلة ان النبي (ص) توفي وآية الخمس الرضعات مما يتلى من القرآن ويحتمل ان يراد بالامر التلاوة ولكنه يتبعه الحكم والعمل ، وظاهر رواية ابن ماجه ان العشر والخمس ذكرا في آية واحدة ووصف الخمس بالمعلومات قال ثم سقط أي نسخ فبطل حكم الخمس بذلك ، وهذا يخالف مذهبها وهو العمل بتحريم الخمس ولها فيه حديث سهلة بنت سهيل وسيأتي قريبا وفيه أنه واقعة حال وأن العدد لامفهوم له وانه ليس فيه مايدل على الحصر وانه مخالف لروايتها في حديث الصحيحين « إنما الرضاعة من المجاعة » وستأتي وانه مخالف لما جرى عليه الجماهير سلفا وخلفا فلا يعمل به القائلون بالخمس كالشافعية . ووصف الخمس بالمعلومات في رواية ابن ماجه دون العشر مخالف لما رواه سالم وأصحاب السنن الثلاثة من وصف العشر بها أيضا فانه لايصح ان يقال ان المراد عشر رضعات معلومات أو خمس معلومات لان ذكر العشر حينئذ يكون لغوا وهو غير جائز فلا بد من تقدير وصف للعشر يتفق مع السياق ويرتضيه الاسلوب . فعلم مما تقدم ان الروايات مضطربة يدل بعضها على بقاء التلاوة وبعضها على نسخها وبعضها على ان حكم العشر والخمس نزل مرة واحدة في جملة واحدة وبعضها على ان حكم العشر نزل أولا ثم تراخى الامر والعمل عليه حتى نزل حكم الخمس ناسخا لما زاد عليه .

واذا رجحنا هذا الاخير برواية مسلم والثلاثة له فلابد أن نقول ان هذا كان في سياق بيان محرمات النكاح لأنه مقامه اللائق به ولا يوجد سياق آخر يناسب أن توضع فيه تلك العبارة ثم تحذف منه ، فالاقرب في تصوير ذلك إذًا أن يكون أصل الآية « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم عشر رضعات معلومات » ثم نزل بعد طائفة من الزمن عمل فيها الناس بقصر التحريم على عشر- استبدال لفظ «خمس» بلفظ « عشر » وبقي الناس يقرءونها هكذا الى ما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم . واذا سأل سائل لماذا لم تثبت حينئذ في القرآن ؟ أجابه الجامدون على الروايات من غير تمحيص لمعانيها بجوابين أحدهما انهم لم يثبتوها لان الذين تلقوها عن النبي (ص) وتوفي وهم يتلونها لم يبلغوا عدد التواتر ! . ولا يبالي اصحاب هذا الجواب بمخالفته لاجماع من يعتد باجماعهم على عدم ضياع شيء من القرآن ولقوله تعالى (١٥: ٨ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ثانيهما انهم لم يثبتوها لعلمهم بأنها نسخت وقول عائشة انها كانت تقرأ يراد به انه كان يقرأها من لم يبلغهم النسخ . وهذا الجواب أحسن وأبعد عن مثار الطعن في القرآن برواية آحادية ولكنه خلاف المتبادر من الرواية . واذا قال السائل اذا صح هذا فما هي حكمة نسخ العشر بالخمس عند عائشة ومن عمل بروايتها ونسخ الخمس ايضا عند من قبل روايتها وادعى ان الخمس نسخت ايضا بنسخ التلاوة لانه الاصل ولم يثبت خلافه ؟ لعل أظهر ما يمكن أن يجاب به عن هذا هو أن الحكمة في هذا هي التدريج في هذا التحريم كما وقع في تحريم الخمر بل لايخطر في البال شيء آخر يمكن أن يقولوه ، واذا أنصفوا رأوا الفرق بين تحريم الخمر وتحريم نكاح الرضاع واسع جدا فان شرب الخمر يؤثر في العصب تأثيرا يغري الشارب بالعودة اليه حتى يشق عليه تركه فجأة ولا كذلك ترك نكاح المرضعة أو بنتها مثلا ، ثم اذا كانت علة التحريم بالرضاعة وهي كون بعض بنية الرضيع مكونة من اللبن الذي رضعه - تتحقق بالرضعة أو الثلاث أو الخمس فكيف يجعلها العليم الحكيم عشرا ثم خمسا كما روي عن عائشة ثم أقل من ذلك كما يقول ذلك من يقبل روايتها ويدعي نسخها ؟ و بعد هذا وذاك يقال من استفاد من هذا التدريج فتزوج من رضع هو منها أو بنت من رضع منها تسعا أو ثماني أو سبعا أو ستا ؟ ثم ماذا فعل هؤلاء بعد نسخ العشر ؟ هل فارقوا أزواجهم أم عفي عنهم وجعل التحريم بما دون العشر خاصا بغيرهم ؟

الحق أنه لا يظهر لهذا النسخ حكمة ، ولا يتفق مع ما ذكر من العلة ، و إن رد هذه الرواية عن عائشة لأهون من قبولها مع عدم عمل جمهور من السلف والخلف بها كما علمت فان لم نعتمد روايتها فلنا بمثل البخاري اسوة بمن قالوا باضطرابها خلافا للنووي وان لم نعتمد معناها فلنا بمن ذكرنا من الصحابة والتابعين اسوة ولمن تبعهم في ذلك

كالحنفية وهي عند مسلم من رواية عمرة عن عائشة أو ليس رد رواية عمرة وعدم الثقة بها أولى من القول بنزول شيء من القرآن لا تظهر له حكمة ولا فائدة ثم نسخه أو سقوطه او ضياعه فان عمرة زعمت أن عائشة كانت ترى ان الخمس لم تنسخ ! واذا كان الامر كذلك فالمختار التحريم بقليل الرضاع وكثيره الا المصة والمصتان اذ لا تسمى رضعة ولا تؤثر في الغذاء وبمعناها الاملاجة والاملاجتان فانه من ملج الوليد الثدي اذا مصه واملجته إياه جعلته يملجه فان رضع رضعة تامة ثبتت بها الحرمة و بهذا يجمع بين الاحاديث

وفي الرضاع المحرم للنكاح بحث آخر يتعلق بسن الرضيع فقد ذهب بعض علماء الامة الى أن الرضاع لا يؤثر الا في سنه ومدته المحدودة بقوله تعالى (٢: ٢٣٢ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة) وصح هذا القول عن عمر وابن مسعود وابي هريرة وابن عباس وابن عمر من علماء الصحابة وهو مذهب الشافعي وأحمد وصاحبي ابي حنيفة أبي يوسف ومحمد و رواية عنه ، ومذهب جمهور الظاهرية . وروي عن جماعة من علماء التابعين كسعيد بن المسيب والشعبي . وقال بعضهم إن الرضاع المحرم ما كان قبل الفطم فان فطم الرضيع ولو قبل السنتين امتنع تأثير رضاعه وان استمر رضاعه الى مابعد السنتين ولم يفطم كان رضاعه محرما وصح هذا القول عن أم سلمة من أمهات المؤمنين وعن ابن عباس في الرواية الاخرى وروايته عن علي لم تصح وقال به من التابعين الزهري والحسن وقتادة وهو مذهب الاوزاعي على تفصيل له في الفطام لحول ثم الرضاع في اثناء الثاني قال إن تمادى فيه كان محرما والا فلا . وقال بعضهم ان الرضاع يؤثر في الصغر دون الكبر ولم يذكروا تحديدا وهذه الاقوال متقاربة

وذهب بعض السلف والخلف الى التحريم برضاع الكبير وان كان شيخا وهذا مذهب عائشة و يروى عن علي أيضا وقال به عروة وعطاء والليث بن سعد وابو محمد ابن سعد وعمدتهم في ذلك حديث عائشة عند مسلم وأبي داود في واقعة سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي وهو مروي بعدة ألفاظ مختصرة في مسلم ومفصلة في سنن ابي داود وفي التفصيل فائدة تبين مافي الواقعة من الاجمال وتجلي ماقاله العلماء فيها فيعرف

أمثلها وهو ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان تبنى سالما وهو مولى لامرأة من الانصار وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة فكان يدعى ابنه فلما حرم الاسلام التبني صار سالم اجنبيا من أبي حذيفة وأهله فشق عليهم فراقه وشق عليه وصار من الحرج دخوله على بيت ابي حذيفة كما كان يدخل وامرأته في مهنتها لا تستغني عن ابداء شيء من زينتها التي حرم الله ابداءها لغير المحارم فجاءت النبي (ص) تسأله فقالت يارسول الله إنا كنا نرى سالما ولدا وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ويراني فُضلاً (أي في فضل الثياب التي تلبس وقت الشغل اوالنوم) وقد انزل الله فيهم ما قد علمت فكيف ترى فيه ؟ هذا سياق ابي داود وفي لفظ لمسلم انها قالت: وفي نفس أبي حذيفة منه شيء وفي رواية اني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم تعني من حل دخوله بعد تحريم التبني لا من الريبة وسوء الظن في عفته فانه كان منهم مكان الابن على ما كان من قوة دينه وتقواه في الاسلام . وكذلك كانت هي وهي من المهاجرات الفاضلات . فأمرها النبي (ص) أن ترضعه فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة . قال بعضهم لعل المراد انها سقته لبنها في إناء

يعارض هذا الحديث في معناه ما أخذ به الجمهور حديث عائشة في الصحيحين ان النبي (ص) قال « إنما الرضاعة من المجاعة » وحديث أم سلمة الذي صححه الترمذي وهو قوله (ص) « لايحرم من الرضاعة الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام » ومعنى « في الثدي » في زمنه أي سن الرضاعة ، وحديث ابن مسعود عند ابي داود وهو قوله (ص) « لا يحرم من الرضاع الا ما أنبت اللحم وانشز العظم » يروى انشر بالراء أي بسطه ومده وانشز بالزاي ومعناه رفعه ، و بسط العظام وارتفاعها كلاهما يكونان بنموها ، والكبير لا تنمو عظامه وترتفع بالرضاع وان كان له فيه شيء من الغذاء - وحديث ابن عباس عن النبي (ص) « لا رضاع الا ما كان في الحولين » رواه الدارقطني في سننه باسناد صحيح . وافتى بذلك غير واحد من علماء الصحابة

قال بعض الذاهبين الى عدم تحريم الرضاع في الكبر لاسيما بعد الحولين ان حديث سهلة بنت سهيل منسوخ لأنه كان في أول الهجرة حين حرم التبني وان خفي نسخه عن عائشة ، وقال بعضهم إنه خاص بسالم ، والتخصيص معهود في كل الحكومات

المقيدة بالقوانين ويسمونه الاستثناء . وقال ابن تيمية ليس حديث سهلة بمنسوخ ولا مخصوص بسالم ولا عام في حق كل أحد وانما هو رخصة لمن كان حاله مثل حال سالم مع ابي حذيفة وأهله في عدم الاستغناء عن دخوله على أهله أي مع انتفاء الريبة . ومثل هذه الحاجة تعرض للناس في كل زمان فكم من بيت كريم يثق ربه من أهله أو من خدمه قد جرب امانته وعفته وصدقه معه فيحتاج الى إدخاله على امرأته أو إلى جعله معها في سفر، فاذا أمكن صلته به وبها بجعله ولدا لها في الرضاعة بشرب شيء من لبنها مراعاة لظاهر أحكام الشرع مع عدم الاخلال بحكمتها ألا يكون أولى ؟ بلى وان هذا اللبن ليحدث في كل منهم عاطفة جديدة

(القسم الثالث محرمات المصاهرة) أي التي تعرض بسبب الزواج وتحته الانواع الآتية قال تعالى ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ يدخل في الامهات أم المرأة التي يتزوجها الرجل وجداتها ، ويدخل في النساء من يدخل بها الرجل بملك اليمين كما تدخل في مثل قوله تعالى (٢:٢٢٢ نساؤكم حرث لكم) وقوله (٢:١٨٦ أحل لكم ليلة الصيام الرَّفَث الى نسائكم) وقوله (٤:٢١ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) وان لم تدخل في قوله (٢:٢٣٠ واذا طلقتم النساء) ولا قوله (٢ : ٢٢٥ للذين يؤلون من نسائهم) لأن الطلاق والايلاء خاص بالزوجات ، ولا يشترط في تحريم أم المرأة دخوله بها لان القرآن لم يشترط الدخول هنا كما اشترطه في بنتها كما يأتي وهي بمجرد العقد تكون من نسائه وبهذا قال جمهور الصحابة ومن بعدهم من علماء الملة ومنهم أئمة الفقه الاربعة . وروي عن بعض الصحابة ان من عقد على امرأة فماتت أو طلقها قبل ان يدخل بها جاز له ان يتزوج أمها ؛ منهم ابن عباس وزيد بن ثابت في احدى الروايتين عنهما . وأما المملوكة فلا تعد من نسائه الا اذا استمتع بها وحينئذ تحرم عليه أمها

وقوله عز وجل ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ﴾ يدخل فيه تحريم بنات امرأة الرجل عليه اذا كان قد دخل بها والمراد بالدخول بالمرأة يعرفه كل عربي حتى عامة المولدين ويدخل في ذلك بنات بناتها وبنات أبنائها وان سفلن لأنهن من بناتها في عرف اهل اللغة ولا يدخل في هذا التحريم

أم زوجة الابن وبنتها . والربائب جمع ربيبة وربيب الرجل ولد امرأته من غيره سمي ربيبا له لانه يربُّه كما يرب ولده أي يسوسه فهو بمعنى مربوب والقاعدة أن يقال في مؤنثه ربيب كذكره وانما قيل ربيبة لأنه جعل اسما . والجماهير على ان قوله تعالى « اللاتي في حجوركم » وصف لبيان الشأن الغالب في الربيبة وهو أن تكون في حجر زوج امها (والحجر بالفتح والكسر الحضن وهو مكان ما يحجره ويحوطه الانسان أمام صدره بين عضديه وساعديه) كما قال (١٧ : ٣١ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) لان الغالب انهم لم يكونوا يقتلونهم الا من خشية الفقر أو من الفقر وذلك ليس قيدا للنهي فلو قتلوهم بسبب آخر كان محرما ايضا . ويقال فلان في حجر فلان أي في كنفه ورعايته قالوا وهو المراد في الآية وفيه مع ذلك إشارة الى جواز جعل الربيبة في الحجر حقيقة أو تجوزا كأن تكون في غاية القرب من زوج امها يخلو بها ويسافر معها ويعاملها بكل ما يعامل به بنته . وقال الاستاذ الامام : ذكر هذا الوصف لاشعار الرجل بالمعنى الذي يوضح له علة التحريم ويقررها في نفسه وهو كون بنت زوجته في مكان بنته لأن زوجته كنفسه ففرعها كفرعه فهو وصف يحرك عاطفة الابوة في الرجل وهو كون الربيبة في حجره يحنو عليها حنوه على بنته . وليس عندي عنه في هذه الآية غير هذه العبارة . وقال الظاهرية ان هذا الوصف قيد وان الرجل لا تحرم عليه ابنة امرأته اذا لم تكن في حجره . وروي هذا عن بعض الصحابة فقد روى عبد الرزاق وابن أبي حاتم بسند صحيح عن مالك بن أوس قال كان عندي امرأة فتوفيت وقد ولدت لي فوجدت عليها (أي حزنت) فلقيني علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فقال مالك ؟ فقلت توفيت المرأة فقال : لها بنت ؟ قلت نعم وهي بالطائف ، قال كانت في حجرك ؟ قلت لا ، قال انكحها ، قلت فأين قوله تعالى « وربائبكم اللاتي في حجوركم » ؟ قال انها لم تكن في حجرك انما ذلك اذا كانت في حجرك . ويروى أن ابن مسعود كان يقول بذلك ثم رجع عنه . ويمكن أن يقال ان التي لا تكون في حجره لا تكون ربيبة له في الواقع لانه لا يربّها ولا يسوسها ويمكن أن يقال أيضا انه لا يجد لها في نفسه عاطفة الابوة التي تغنى فيها أولا تجتمع معها عاطفة الشهوة فالاحتياط عندي أن

لا يتزوجها ولا يخلو بها ولا سيما اذا لم يجد لها في نفسه عاطفة الابوة . وقد استدل بعضهم بقوله تعالى (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) على ان الربيبة تحرم وان لم تكن في حجر الزوج لانه تفريع لبيان مفهوم ما قيد به التحريم فلو كان الكون في الحجور قيدا ايضا لقال : فان لم تكونوا دخلتم بهن أولم تكن ربائبهن في حجوركم فلا جناح عليكم ، والجناح فسروه بالاثم وعندي ان تفسيره بالتضييق والاذى احكم وأولى ، قال صاحب اللسان « والجناح ما تُحمّل من الهم والاذى ، انشد ابن الاعرابي :

ولاقيت من جُمل وأسباب حبها ... جناح الذي لاقيت من تربها قبلُ

وقال أيضا : وقيل في قوله « لا جناح عليكم » أي لا اثم عليكم ولا تضييق . اه والحاصل ان الرجل اذا عقد نكاحه على امرأة ولم يدخل بها لا يحرم عليه بنتها

وذهبت الحنفية الى أن من زنى بامرأة يحرم عليه اصولها وفروعها وكذلك اذا لمسها بشهوة او قبلها او نظر الى ماهنالك منها بشهوة بل قالوا ايضا اذا لمس يد ام امرأته في حال الشهوة ولو خطأ فان امرأته تحرم عليه تحريما مؤبدا ! وألحقوا ذلك بحرمة المصاهرة بالقياس وتوسعوا في ذلك توسعا ضيقوا فيه تضييقا ! ورد عليهم بأن الزنا ومقدماته ليس فيها شيء من معنى المصاهرة التي جعلها الشارع كالنسب في بعض الاحكام وبأن لفظ الآية ينافي ذلك فاللواتي يزنى بهن أو يلمسن او يقبلن أو ينظر منهن بشهوة لا يصرن من نساء الزناة او المتمتعين منهن بما دون الزنا فعبارة القرآن لا تدل على ذلك بنصها ولا فحواها ، وحكمة حرمة المصاهرة وعلتها لا تظهر فيها ، ثم ان ما ذكروه من الاحكام في ذلك هو مما تمس اليه الحاجة وتعم به البلوى احيانا ، وما كان الشارع ليسكت عنه فلا ينزل به قرآن ولا تمضي به سنة ولا يصح فيه خبر ولا اثر عن الصحابة . وقد كانوا قريبي العهد بالجاهلية التي كان الزنا فيها فاشيا بينهم فلو فهم احد منهم ان لذلك مدركا في الشرع او تدل عليه علله وحكمه لسألوا عن ذلك وتوفرت الدواعي على نقل ما يفتون به

ثم قال سبحانه ﴿ وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم ﴾ الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة ويقال للرجل حليل واللفظ مأخوذ من الحلول فان الزوجين يحلان معا في مكان واحد وفراش واحد وقيل من الحل بالكسر اي كل منهما حلال للآخر وقيل من حل الإزار (بفتح الحاء) ويدخل في الحلائل الإماء اللواتي يستمتع بهن واللفظ يصدق عليهن بكل معنى قيل في اشتقاقه . ويدخل في الابناء ابناء الصلب مباشرة وبواسطة كابن الابن وابن البنت فحلائلهما تحرم على الجد . ولا يدخل فيه الابن من الرضاعة لانه ليس من صلبه لا بالذات ولا بالواسطة فهو يخرج بهذا القيد بحسب المتبادر منه وبذلك قال بعض علماء الملة ولكن المروي عن أئمة الفقه الاربعة – الا ماروي من قول للامام الشافعي – ان ابن الرضاع تحرم حليلته إما لدخوله في الابناء هنا وجعل القيد لاخراج الدعيّ الذي يتبنى وإما لما تقدم من انه يحرم من الرضاع مايحرم من النسب . ورد عليهم الآخرون بأن حرمة امرأة الابن لاتحرم بالنسب وانما تحرم بالمصاهرة فهذا حجة عليكم وبأن الدعيّ ليس ابنا فيحتاج الى اخراجه لاحقيقة كما هو بديهي ولا شرعا ولا عرفا فان الله تعالى لما أنزل(٣٣: ٤ وما جعل أدعياءكم أبناءكم) بطل هذا العرف في الاسلام . قال الامام ابن القيم في تقرير حجة المخالفين للمذاهب الاربعة في هذه المسألة مانصه :

« وأما قوله (ص) : يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » فهو من اكبر ادلتنا وعمدتنا في المسألة فان تحريم حلائل الآباء والابناء إنما هو بالصهر لا بالنسب والنبي (ص) قد قصر تحريم الرضاع على نظيره من النسب لا على شقيقه وهو الصهر فيجب الاقتصار بالتحريم على مورد النص . (قالوا) والتحريم بالرضاع فرع على تحريم النسب لا على تحريم المصاهرة فتحريم المصاهرة أصل قائم بذاته والله سبحانه لم ينص في كتابه على تحريم الرضاع الا من جهة النسب ولم ينبه على التحريم به من جهة الصهر ألبتة بنص ولا إيماء ولا إشارة والنبي (ص) أمر ان يحرم به مايحرم من النسب وفي ذلك ارشاد وإشارة الى انه لايحرم به مايحرم بالصهر ، ولولا انه أراد الاقتصار على ذلك لقال يحرم من الرضاع مايحرم من النسب والصهر ، (قالوا) وايضا فالرضاع مشبه بالنسب ولهذا أخذ منه بعض أحكامه وهو الحرمة والمحرمية فقط دون التوارث والانفاق وسائر

أحكام النسب ، فهو نسب ضعيف فأخذ بحسب ضعفه بعض أحكام النسب ولم يقو على سائر أحكام النسب وهي الصق به من المصاهرة مع قصوره عن أحكام مشبهه وشقيقه . وأما المصاهرة والرضاع فانه لا نسب بينهما ولا شبهة نسب ولا بعضية ولا اتصال (قالوا) ولو كان تحريم الصهرية ثابتا لبينه الله ورسوله بيانا شافيا يقيم الحجة ويقطع العذر فمن الله البيان وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم والانقياد . فهذا منتهى النظر في هذه المسألة فمن ظفر فيها بحجة فليرشد اليها ، وليدل عليها ؟ فانا لها منقادون ، وبها معتصمون ، والله الموفق للصواب » اه كلامه

ولما بين تبارك اسمه مايحرم بالاسباب الثابتة وقدم الاقوى في علته وحكمته على غيره بين بعد ذلك مايحرم بسبب عارض اذا زال يزول التحريم فقال ﴿ وان تجمعوا بين الاختين ﴾ أي وحُرِّم عليكم الجمع بين الاختين في الاستمتاع الذي يراد به الولد سواء كان بعقد النكاح أو ملك اليمين . هذا ماعليه جمهور الصحابة وعلماء التابعين ومن تبعهم وهو المتبادر وروي عن بعضهم الخلاف في الجمع بين الاختين بملك اليمين مع إطلاق إباحة الاستمتاع بما ملكت الايمان على الاطلاق وروي عن عثمان انه قال أحلتهما آية وحرمتهما آية . وحجة الجمهور ان سائر مافي الآية من المحرمات عام في النكاح والملك فلا وجه لاستثناء هذا وحده منها . وان إطلاق إباحة ماملكت الايمان إنما هو بيان لسبب الحل دون شروطه التي تعلم من نصوص أخرى فمن ملك احدى محارمه لايحل له الاستمتاع بها ولو جاز الجمع بين الاختين في استمتاع الملك لجاز الجمع بين الام وبنتها في ذلك ! ومن يقول بذلك والمذاهب الاربعة متفقة على تحريم الاستمتاع بالاختين في ملك اليمين وكذلك الجمع بينهما بالنكاح والملك كأن يكون مالكاً لاحداهما ومتزوجا الاخرى فيحرم عليه ان يستمتع بهما معا ويجب عليه ان يحرم احداهما على نفسه كأن يعتق المملوكة أو يهبها ويسلمها للموهوبة له والتفصيل في كتب الفقه . ويدخل في ذلك الاختان من الرضاعة . وقد فهم النبي (ص) من تحريم الجمع بين الاختين تحريم مافي معناه وهو الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها . قال العلماء والضابط في هذا انه يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة لو كانت احداهما

ذكراً الحرم عليه بها نكاح الاخرى وهو الذي تظهر فيه العلة، وتنطبق عليه الحكمة ،

ثم قال عز وجل ﴿ إلا ما قد سلف ﴾ أي حرم عليكم ما ذكر لكن ما سلف لكم قبل التحريم لا تؤاخذون عليه . وكانوا يجمعون بين الاختين في الجاهلية وقيل الا ما سلف في الشرائع السابقة . وورد في حديث احمد وابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه عن فيروز الديلمي أنه ادركه الاسلام وتحته اختان فقال له النبي (ص) «طلق ايتهما شئت» . ﴿ إن الله كان غفوراً رحيما ﴾ لا يؤاخذكم بما سلف منكم في زمن الجاهلية اذا أنتم التزمتم العمل بشريعته في الاسلام ، فمن مغفرته أن يمحو من نفوسكم أثر تلك الاعمال المنكرة التي تنافي سلامة الفطرة ومن رحمته بكم أن شرع لكم من احكام النكاح ما فيه المصلحة لكم وتوثيق روابط القرابة والصهر والرضاع بينكم لتتراحموا وتتعاطفوا وتتعاونوا على البر والتقوى فتنالوا تمام الرحمة في الدنيا والآخرة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الكشف الطبي على الموتى وتأخير الدفن ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء الرمزي بالجبل الاسود

الى حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد محمد رشيد رضا

في هذه الايام صدر الامر من نظارتنا (الجبل الاسود) : اذا مات انسان ان لا يدفن قبل أربعة وعشرين ساعة مسلما كان أو غيره ومن أراد دفنه ينبغي أن يأتي

بحكيم (دوقتور) يجري المعاينة للجنازة ذكراً كان أو انثى (وهذا لا يجوز لنسائنا) والا فالسجن من يوم الى عشرة أيام أو الجزاء في حق النقدي من خمسة الى مئة كورون في أول مرة

فنحن المسلمين مضطرون من هذا الامر لأن نعتقد أن تأخير الجنازة ٢٤ ساعة لا يجوز شرعا فانا على قدم الخروج والهجرة من بلادنا وترك أوطاننا بسبب ذلك فأرجو من حضرتكم ان تبينوا رأيكم العلي في أسرع وقت يمكنكم الجواب لا زلتم هادين مهديين خادمين للشريعة المطهرة المحمدية ح . ح

(ج) لقد سبق لنا الافتاء في هذه المسألة (ص ٣٥٨ م ١٠) فليراجعه السائل على ان الظاهر من السؤال انه يعلم ان السنة تقضي بتعجيل الدفن بعد تحقق الموت فاذا كان هنالك ارتياب في الموت وجب تأخير الدفن الى ان يتحقق الموت والشرع لا يمنع الاستعانة بالطبيب على ذلك واذا جاز كشف الطبيب على المرأة المريضة اذا لم يوجد امرأة طبيبة تغني عنه فانه يجوز أيضا ان يكشف على المرأة الميتة لأجل العلم بتحقق الموت اذا كان هنالك أدنى ارتياب فيه لئلا تكون مغمى عليها فتدفن ثم يزول الاغماء بعد الدفن فتموت أشنع ميتة وقد وقع مثل هذا كثيرا ولولاه لما عنيت الحكومات التي ارتقى فيها علم الطب وكثرت فيها التجارب بالكشف على الموتى وتأخير دفنهم . وهب ان بعض المسلمين علم أن ميته قد توفاه الله حتما بحيث صار تأخير دفنه عدة ساعات مخالفا للسنة فهل إكراه الحكومة إياه على هذا التأخير لأجل المصلحة التي تعتقدها لا لأجل مصادرته في دينه يوجب عليه الهجرة مطلقا وإن كان يترتب عليها إضاعة ماله وذهاب شيء من عقاره وترك ذلك لغير المسلمين كما هو الغالب فيمن يهاجرون الآن من مثل الجبل الاسود ؟ المسألة فيها نظر . فان لم يكن في الهجرة ضرر على المهاجرين من مثل تلك البلاد فليهاجروا الى البلاد العثمانية فان فيها أرضا واسعة تحتاج الى مثلهم والدولة تعتز بهم و يسهل عليهم إقامة دينهم في بلادها الآن ولم يكن يسهل في زمن الاستبداد اذ كان المسلم مضطهدا اكثر من غير المسلم . وإنما أريد بهذا القيد ان لا يستفزهم الغيظ من الكشف الطبي فيحملهم على ترك ارضهم وعقارهم أو بيعها بثمن بخس لأجل التعجيل بالهجرة

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

* * *

﴿ غروب الشمس والافطار ﴾

(س ٢) من صاحب الامضاء في (سنغافوره)

الى مطلع النور المنير حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا متع الله المسلمين بحياته

سيدي : اختلف أهل طرفنا فيما اذا غربت الشمس رأى العين في البحر فأفطر من بالساحل وصلى المغرب ثم صعد في منطاد (بالون) الى علو بعيد ورأى الشمس من ثم بيضاء نقية لم تغرب هل يبطل صومه ؟ او بغروبها في نظره تجب عليه الصلاة ثانيا للمغرب ! ولو كان لم يصل العصر فصلاها حينئذ في منطاده هل تقع اداء أم قضاء ؟ وفيما اذا كان على الساحل بناء شامخ كبرج « ايفل » بفرنسا أو بنايات نيويورك فان الشمس ترى من اعلاها بعد تحقق الغروب عند من هو بالحضيض فهل لكل حكم أم حكمها واحد ؟ أم يختلف الحال فقبل وجود تلك العلالي نحكم بالغروب بمجرد اختفاء قرص الشمس تحت الافق في نظر من بالساحل و بعد وجودها لانحكم بالغروب الا بعد اختفاء قرص الشمس عن نظر من يكون باعلا تلك القنن ! واذا كان بقطر واحد ساحل غربي يجاوره جبل عال كجبال هملايا فهل يتحد وقت الغروب عند من بالساحل ومن بالقنن أم يختلف ويكون اختلاف العلو كاختلاف المطالع وهل لذلك من ضابط ؟ افيدونا بما ترونه الصواب   محمد بن سالم الكلالي

(ج) المعتبر في غروب الشمس شرعا هو ان يغيب قرصها تحت الافق ويذهب شعاعها عن جدران المباني والجبال ولكل أحد حكمه بحسب مايشاهده في ذلك ومن أفطر وصلى المغرب بعد غروبها ثم ارتفع في المنطاد فرآها لايفسد صوم يومه ذلك ولا تجب عليه اعادة المغرب فيما يظهر لنا لأنه لايكلف في يوم واحد تكرار فريضة واحدة وقد مضت الاولى على الصحة فلا يؤثر في صحتها مايطرأ بعدها وقريب من ذلك الشك في الصلاة قبل السلام يؤثر ويترتب عليه حكمه و بعده لاحكم له لأن الصلاة انتهت على الصحة . واذا فاتته صلاة العصر بغير عذر يكون عاصيا ولا يرفع عنه

المعصية رؤية الشمس في المنطاد بل تجب عليه التوبة وان حسبت له صلاتها في المنطاد اداء كما ان الذي يفطر يوما من أثناء رمضان ثم يسافر الى بلد تختلف مطالعه عن مطالع بلده فيجد أهله قد صاموا بعد أهل بلده بيوم وأكملوا عدة رمضان ثلاثين يوما فوافقهم وصام الحادي والثلاثين فكان هو الثلاثين له

* * *

﴿ عدة الوفاة ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في (حماه : سورية)

الاستاذ الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي المنير أمتع الله بعلومه المسلمين

نظرا لعلمنا انكم وقفتم حياتكم على خدمة الدين وتمحيص الحقائق وحل المعضلات جئت بالسؤال الآتي ارجو منكم جوابه على صفحات المنار الاغر ولكم الفضل

امرأة كانت تحيض ثم انقطع حيضها و بعد شهرين من انقطاعه توفي زوجها ومضى عليها بعد وفاته سبع سنين ولم تحض وهي الآن لا تزال فتية وتريد أن تتزوج والمشايخ يمنعونها من الزواج بحجة الاستبراء قائلين لها لا يصح أن تتزوجي إلا بعد أن تبلغي سن اليأس فهل يجوز في الدين الحنيفي أن تبقى هذه الفتاة المسكينة بحسرة النكاح مدة عمرها وهي لم تأت ذنبا . واذا كان ما افتاها المشايخ بصحيحا فما هي الحكمة التي يترجح بها جانب الظلم على كفة العدالة في هذه المسألة ؟ افتونا مأجورين ولكم الفضل .   احمد جمال

(ج) عدة من يموت عنها زوجها اربعة اشهر وعشر ليال بنص القرآن فان كانت حاملا فعدتها أن تضع حملها بالنص ايضا وتقدم بيان ذلك في تفسير سورة البقرة وقد مضى على المرأة المسئول عنها الزمن الذي علم فيه انها لم تكن حاملا منه على جميع اقوال الفقهاء في اكثر مدة الحمل فلا مانع يمنع من زواجها على ذلك والحكم لله العلي الكبير

***

﴿ طريقة الشاذلية ﴾

(س ٤) من احد علماء سرنديب (سيلان — Ceylan)

ما قولكم ياعلماءنا الاعلام شيد الله بكم مباني الاسلام :

إن بعض اقوام يذكرون الله بالرقص والتواجد و يسمون هذه طريقة شاذلية فهل هذا القول صحيح أم لا ؟ افتونا مأجورين

(ج) انا رأينا كما رأيتم اقواما يأتون ما ذكرتم وا كثر مما ذكرتم من البدع وينسبون انفسهم الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي ولو رآهم ابو الحسن لتبرأ منهم . وقد سبق لنا في المنار انكار هذه البدع مرارا كثيرة ونشرنا في مجلد السنة الماضية (ص ٢٧٣ م ١٢) فتوى لطائفة من علماء الازهر في الانكار الشديد على ذلك فلتراجع

***

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٥) من الشيخ حسن أبو احمد مأذون الشرع بنقيطه (المنصورة)

في مطرية المنزلة خلاف بين طائفتين في عذاب القبر هل هو ثابت بصريح القرآن والسنة الصحيحة أم لا ؟ ارجو التكرم بايفاء هذا الموضوع حقه من غير احالة على اعداد مضت لأني وعدتهم بذلك وعرفتهم بقولك الفصل ولكم الفضل

(ج) قد سبق لنا بيان هذه المسألة في المنار ونقول الآن انها لم يصرح بها في القرآن ولكن ورد فيها احاديث صحيحة مشهورة وليراجع ما كتبناه من قبل (ص ٩٤٦ م ٥) و (ص ٢٥٦ م ٨)

***

(الائمة الاربعة ومقلدوهم واجتهاد العامي)

(س ٦) من صاحب الامضاء الرمزي في سورا كاراتا (جاوه)

حضرة سيدي الاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا المحترم حفظه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أقدم الى سعادتكم سؤالا خطر ببالي وليس يجيبني غيركم عنه وهو هذا :

ماقولكم رضي الله عنكم في الأئمة الاربعة ومقلديهم من عصرهم الى هذا الزمان هل مادونوه في كتبهم وتبعهم عليه اتباعهم هل أخذوه عن الكتاب والسنة أم من تلقاء أنفسهم وهل مقلدوهم في الاحكام الشرعية على هدى أو في ضلال؟ وهل الائمة المتأخرون مثل ابن حجر المكي ومن هم في طبقته دونوا كتب الفقه على ماجاء به الكتاب والسنة أو مخالف لهما؟ فان كانوا وضعوها على خلاف السنة والكتاب فالمطلوب من فضلكم بيان مايخالف الكتاب والسنة لاجل أن نجتنبه ونعمل بما يوافق الكتاب والسنة ونعلم بخطأهم لان كتبهم معتبرة في الاحكام الشرعية ويحكمون بما قرروه فيها في المحاكم الاسلامية

افيدوني بالجواب الشافي لاني رجل عامي اخذتني الحيرة لما وقفت على السؤال الذي ورد اليكم من بتاوى وجوابكم عنه في الجزء الثامن من المجلد ١٢ سنة ١٣٢٧ صفحة ٦١٤ من المنار فلهذا رفعت اليكم هذا السؤال أرجو من فضلكم الجواب الشافي ولكم من الله الاجر والثواب ولا تقدموا عذراً في ذلك وهذا سؤال آخر ملحق بما تقدم

ماقولكم في العامي المقلد هل يجوز له الاجتهاد المطلق ويترك مذهب امامه أم لا؟ وكيف يبلغ رتبة الاجتهاد من لا يعرف قواعد مذهب امامه ! افيدوني مأجورين

س . ب . ر

(ج) كان الأئمة الاربعة رحمهم الله تعالى على هدى من ربهم يتبعون مافهموه من كتاب الله عز وجل وهدي نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما أجمع عليه سلف الامة الصالحون من علماء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، ومالم يجدوا فيه نقلا يتبع قاسوه على نظيره مما ورد من آية أو حديث فهم مجتهدون مأجورون على ماأصابوا فيه مرتين وعلى ماأخطأوا فيه مرة واحدة كما ورد في الحديث ومن حذا من أتباعهم حذوهم هذا وجرى على طريقتهم في اتباع الكتاب والسنة واجماع سلف الامة

كمحمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة والمزني من اصحاب الشافعي (مثلا) فهم مثلهم على هدى من ربهم

وأما المتأخرون كابن حجر المكي فهم ليسوا من الائمة الذين ينظرون في الكتاب والسنة ابتداء ويقدمون مايفهمون منهما على قول كل أحد ورأيه وإنما هم ينظرون في كتب السابقين من أهل المذهب الذي انتموا اليه ويأخذون مؤلفاتهم منها إما بتلخيص واختصار وإما يبسط وإيضاح كل بحسب فهمه وقدرته على الكتابة وما يذكرونه فيها من الادلة منقول من تلك الكتب ايضا فالواحد منهم لايتحرى في المسألة كل ماورد في الكتاب والسنة وهدي السلف فيأخذ بالراجح بل منهم من يظهر له الدليل على خلاف مذهبه فلا يكتبه في كتابه بل ربما تمحل في الرد على من أخذ بذلك الدليل الراجح من أهل المذاهب الاخرى انتصارا لمذهبه !، بل يفعل هذا من هم في طبقة أعلى من طبقة ابن حجر كالنووي فانه في كتبه الفقهية يستدل على صحة المسائل التي يعلم أنها مرجوحة من مسائل المذهب اذا وزنت بميزان الكتاب والسنة وقد يصرح هو نفسه بذلك في غير كتب الفقه كما يقول النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مسلم أحيانا: الاصح من حيث الدليل كذا ومن حيث المذهب كذا ! وقد يقول في بعض مسائل المذهب انه لايقوم عليها دليل ومن ذلك - ان لم أكن واهما فيما أتذكره وأنا بعيد عن الكتب - مسألة الغسل من نجاسة الخنزير سبع مرات إحداهن بالتراب . وقد نقل الغزالي عن بعض الفقهاء الذين وصلوا الى مرتبة الاجتهاد المطلق انهم كانوا يفتون على مذهب الأئمة الذين اشتهروا بالانتماء اليهم ويعملون بخلاف ماأفتوا به ويعتذرون عن ذلك بأن السائل انما سألهم عن الحكم في مذهب الامام فأجابوه عما سأله من باب الامانة في النقل وانه لوسألهم عن مذهبهم لأفتوه به !!

تلك الكتب التقليدية لايقال إنها وضعت على أصل الكتاب والسنة كما يقال في مثل كتاب (الام) للامام الشافعي رضي الله عنه لانها وان كان الغرض منها بيان أحكام مذهبه لم تؤخذ من الكتاب والسنة مباشرة ولم يلتزم مؤلفوها ذلك لانهم يعتقدون في أنفسهم انهم ليسوا أهلا للاخذ من الكتاب والسنة ، ولا يقال انها وضعت على خلاف الكتاب والسنة لانه لم يقصد بها ذلك الخلاف . ومطالبتنا ببيان

مافيها من مخالفة الكتاب والسنة لأجل ان يجتنب من الاعنات فان من يريد ترك تقليد تلك الكتب واتباع الكتاب والسنة مباشرة لايحتاج الى قراءتها على طولها وصعوبتها وبيان مايوافق الكتاب والسنة منها ومالايوافقه بل الاولى والاسهل له ان يقرأ الكتاب والسنة ابتداء ويعمل بهما . فان كان لايفهمهما بنفسه ويقول أريد أن أستعين على فهمهما بكلام العلماء يقال له اقرأ التفسير وشرح الحديث ولا سيما تفاسير السلف كابن جرير ومثل شرح الشوكاني لاحاديث الاحكام وكتاب الهدي النبوي لابن القيم واستعن بها على ذلك فان اختلف المفسرون والشارحون فاعمل بما يظهر لك انه الحق من كلام المختلفين ، ومن لايريد ترك تقليدها فلا يسمع لك فيها قولا وان اقمت له عليه ألف دليل

وأما العامي المقلد فلا يجوز له ان يتصدى للاجتهاد المطلق مادام عاميا ليس له من العلم مايؤهله لذلك بل عليه ان يستفتي في المسائل التي يجهل حكمها أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فتى رووا له في المسألة نصا صحيحا وجب عليه العمل به فان لم يفهم النص استعان بهم على فهمه . وان العوام الذين يسألون في الوقائع التي تعرض لهم عن قول مثل ابن حجر فيها لايفهمون أقوالهم بل يعتمدون على المفتي في إفهامهم إياها فاذا كانوا محتاجين للمفتي في كل حال فلماذا يستعينون به على فهم قول مقلد قد تبع في كتبه أمثاله ولا يستعينون به على فهم كلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وحديثه ؟ الجواب عن هذا السؤال سهل على المقلدين مشهور بينهم يقولون إنه لايوجد في هذه العصور من يقدر على فهم الكتاب والسنة بنفسه وانما قدر على ذلك في القرون الاولى أفراد معدودون وفهم كلام هؤلاء افراد دونهم وهكذا كان أهل كل عصر يفهمون كلام من قبلهم مباشرة فيجب على المتأخر أن يأخذ بكلام مثل الباجوري الذي اخذ من مثل الرملي وابن حجر اللذين اخذا من مثل الشيخ زكريا الذي اخذ عن مثل النووي الذي اخذ عن مثل الغزالي - الى ان يصلوا الى الشافعي !! . ويجيبهم أهل السنة بأن كلام الله ورسوله أفصح الكلام فهو أسهله فهماً وان الائمة المجتهدين حرموا الاخذ بكلامهم من غير معرفة مأخذه من الكتاب والسنة ، وبغير ذلك مما بيناه في محاورات المصلح والمقلد وفي مواضع أخرى

من المنار وهي تبلغ مئات من الصفحات فلا يمكن تلخيصها في هذا الجواب ، والله الهادي والموفق للصواب

***

﴿ أسئلة من سنغافوره ﴾

(س ٧ و٨ و٩) من س . س . ي . في سنغافوره

سيدنا الرشيد المرشد صاحب المنار الاغر أفدنا أدامك الله نفعا للانام

(١) ما حكم مجلة طوالع الملوك وما حكم الاعلان عنها والفات الناس الى ترهاتها وهل ذلك من خدمة الدين والوطن ولماذا سكت عنها وعن ما يقال فيها علماء مصر؟ ألقولهم بنفعها أم لعدم اكتراثهم بما يتعلق بالدين والمصالح العامة أم لجهلهم بحالها ؟؟

(٢) بينوا لنا حال الشيخ ابن حجر الهيتمي ومنزلته في العلوم ومنزلة كتبه فاني رأيتها كثيرة التعقيد وعباراتها سيئة التركيب وكثير منها يسهل على طالب العلم المتوسط الحال أن يجمع ما حوته من المعاني في أقصر منها وأسلس واوضح و يظهر لي انه شديد التعصب للصوفية يتعسف في تأويل طامات بعضهم ثم هو يذم و يسب شيخ الاسلام ابن تيمية وينبزه بتكفير المسلمين ولعل من كفره ابن حجر في كتابه « الاعلام بقواطع الاسلام » أضعاف من كفره ابن تيمية ويظهر لي ايضا انه سامحه الله يتعصب ضد اهل البيت مع تظاهره بحبهم ويتأول لاعدائهم بماهو بديهي البطلان او قريب منه حتى خلت انه مقلد محض وآل حضرموت يقدسونه

(٣) إن سيدي له إلمام ومعرفة باحوال الصوفية فما هي حقيقة التجزي الذي يزعمونه وهل له شاهد او دليل عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وهل عرفه الصدر الاول ام لا ؟

حكم مجلة طوالع الملوك والترغيب فيها بالاعلان

(المنار) جاءتنا هذه الاسئلة في العام الماضي فلم ننشرها بل قدمنا عليها بعض

ما عندنا من الاسئلة الكثيرة عملا بتقديم الاهم على المهم وقد اعاد السائل علينا اسئلته من عهد قريب وألح في طلب الجواب فنقول : اما مجلة طوالع الملوك فاننا لم نقرأها لنرى ما فيها فلا نرسل المنار الى صاحبها ولا هو يرسلها الينا ومن البديهي اننا لا نشتريها ولكننا سمعنا بعض من اطلع عليها من اهل الفضل يقولون انها مجلة عرافة وكهانة وتنجيم وروحانيات وطلسمات ، ورأينا في بعض الجرائد وصفا لها بنحو من ذلك في باب الاعلان ولا عجب فان الجرائد لا تتنزه عن الكسب باعلان المنكرات وترويجها كترغيب الناس في الخمور ورقص النساء المتهتكات و بعض ضروب القمار فاذا صح ماسمعناه من وصف هذه المجلة فحكم قراءتها كحكم قراءة الكتب المشتملة على مثل ماتشتمل عليه وهو يختلف باختلاف قصد القارىء فان كان يقرأها ليأخذ بأقوالها و يعمل بما فيها مما يحظره الشرع فقراءته إياها محظورة حظرا شديدا وقد بينا من قبل بعض ما قاله العلماء في هذا الباب وممن شدد فيه ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية . ويقرب أن يكون تصديق ما فيها من الاخبار عما وقع اوسيقع كتصديق العرافين والكهان وفي حديث مسلم « من اتى عرافا فسأله وهو يصدقه فقد كفر بما انزل على محمد » صلى الله عليه وآله وسلم ، وان كان يقرأها ليعرف ما فيها ويحذر الناس مما فيه من مخالفة الشرع فهو مثاب على قراءتها ، ولا يخفى حكم سائر المقاصد

وسكوت علماء مصر عنها يحتمل ان يكون سببه عدم الاطلاع عليها لأنه قلما يوجد فيهم من له عناية بالوقوف على امثال هذه المطبوعات ، ولكن هذا الاحتمال بعيد والغالب أن يكون قد اطلع عليها بعضهم دون بعض ، فيوشك أن يكون منهم من اطلع على جزء أو أجزاء لم يستنكر منها شيئا ، وأن يكون المستنكر لبعض ما فيها قد نهي عن قراءتها أو عن نشرها بالقول دون الكتابة في الجرائد ، وأن يكون منهم من لم ينه صاحبها عن نشرها ولا الناس عن قراءتها مع اعتقاده بطلان ما فيها وتحريم نشره وتصديقه لان المنكرات قد كثرت وألف العلماء وغيرهم ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا قليلا منهم ، ولا سيما الانكار بالكتابة والنشر في الجرائد . ولكن هذا الذنب لا يصح اسناده الى علماء مصر كافة لما ذكرناه من الاحتمال والغالب في المسألة

ابن حجر الهيتمي وكتبه

وأما ابن حجر الهيتمي فحاله في العلم قد بيناها في الفتوى السادسة من هذا الجزء فهو مقلد لفقهاء الشافعية في مرتبة الذين يرجحون بعض اقوالهم على بعض وكتبه من أحسن كتب متأخريهم ولكنها لا تبلغ كتب النووي في انسجامها وسلامة عبارتها ، ولا كتب الماوردي في أسلوبها و بلاغتها ، ولا كتب الغزالي في بسطها وفصاحتها ، ومع هذا نرى السائل قد بالغ في هضمها إذ ادعى انه يسهل على طالب العلم المتوسط الحال جمع ما حوته من المعاني في كتب اخصر منها واسلس واوضح ، وقد بينا رأينا فيما شنع به على شيخ الاسلام ابن تيمية في (ص ٦٢٢ م ١٢) فليراجعه السائل ، نعم إنه يتعصب للصوفية لانه تربى من صغره على الخضوع والتسليم للمنتسبين الى التصوف والمعروفين بالصلاح والتأويل لهم فيما يخالفون فيه الفقه الذي هو عنده فوق كل علم لقوله في فتاويه : إن اقوال الفقهاء اذا تعارضت مع اقوال المفسرين او المحدثين فالمرجح الذي يجب العمل به هو ما يقوله الفقهاء !! ، ولكن لا يظهر لي ما ظهر للسائل من تعصبه على آل البيت وإن تأوّل لاعدائهم كما قال ، ولكنه مقلد كما خال ، ومن شأن الذين يضعون الكتب في المسائل الجزئية أن يتمحلوا ويتعسفوا ويأتوا بالضعيف واللغو الذي لا يفيد المراد ولا يؤيد المقصود ، فهذا أحد سببين في تهافت ابن حجر في كتابه (تطهير اللسان والجنان) الذي يشير اليه السائل ، والسبب الثاني هو الانتصار لقوم على قوم ومن كان كذلك لا يظهر له الحق في المسائل كما هو لانه لا ينظر اليها من كل جانب بل يوجه كل قواه المدركة الى البحث عما يوافق غرضه من تأييد رأي وتفنيد آخر فيكبر الاول ويصغر الثاني ان هو أدركه ، وتقديس اهل حضرموت له سببه انهم مقلدون لعلماء الشافعية وقد جعلوا كتبه عمدتهم في المذهب كما اشتهرت كتب الشمس الرملي من اهل طبقته في مصر

التجزي عند الصوفية واصطلاحاتهم

لانكتب في المنار شيئا من حقيقة التجزي الا اذا علمنا ان في الناس من يفهمونه فهما ضارا في الدين ونرجى هدايتهم بالمنار ولكننا نقول انه ليس من الامور الدينية وانما هو من قبيل الاصطلاحات الفنية وهكذا نقول في اكثر اصطلاحات الصوفية كالفرق والجمع والسكر والصحو . فالقوم قد استعاروا لانفسهم ألفاظا من اللغة أخرجوها عما وضعت لاجله وعبروا بها عن أذواقهم ومعارفهم كما فعل غيرهم من أهل الفنون اللغوية والشرعية والعقلية والطبيعية فلا يشترط في إباحة ذلك لهم أن يكون كل مايقولون به قد نطق به الشرع من قبل . وغاية ماينكر عليهم في ذلك أمران أحدهما ان يجعلوا بعض عرفهم واصطلاحهم من الدين والشرع بغير دليل شرعي وثانيهما ان يكون في ذلك ماثبت بالدليل انه مخالف للكتاب والسنة الثابتة بلا نزاع وذلك انهم فلاسفة يدينون بالاسلام ، مع الاجتهاد والاستقلال ، إذ الصوفي الحقيقي لايكون مقلدا الا في بداية سلوكه فانه حينئذ يقلد استاذه ومربيه دون غيره

* * *

﴿ تزيين شعر الرأس والزي الاوربي ﴾

(س ١٠ و ١١) من صاحب الامضاء في (تلمسان ـ الجزائر)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعمكم وتعم جميع دائرتكم

ثم أطلب من فضلكم فتواكم في العدد الآتي في مجلتكم عن تزيين شعر الرأس واللحية مثل الاوربيين أيجوز شرعا أم لا ؟ وكذلك اللباس الاوربي أيجوز أم لا ؟ أرجوكم الايضاح عن هذين السؤالين ولكم جزيل الفضل والمعروف والسلام

خوره تلميذكم مصطفى الباجي

(ج) ورد في السنة طلب تزيين شعر الرأس واللحية بالمشط والدهن والطيب وفي الشمائل النبوية الشريفة أحاديث في فرق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لشعره وسدله له، فمن زين شعره من المسلمين فليقصد بذلك اتباع السنة السنية سواء وافق ما عليه الاوربيين ام خالفهم ولا يبالي باقوال الجاهلين الذين يخوضون في عرض كل من يفعل شيئا يوافق ما عليه الافرنج وان كان من المحاسن التي سبق الاسلام الى طلبها وعمل النبي (ص) والسلف الصالح (رض) بها فاننا لا نترك محاسن دين الفطرة اذا اخذ بها غيرنا بل نسر باتباع الناس لآداب ديننا وفضائله وان لم يدينوا به وفي ذلك فوائد كثيرة ليس هذا المقام بمحل لشرحها . وأما من يقصد بتزيين شعره تقليد الافرنج فهو وضيع ضعيف العقل والنفس لانه مقلد لمن يراهم لخسته أشرف منه وأكمل . وهكذا شأن كل تقليد فان من يثق بمعرفته للحق أو الفضيلة أو الادب الصحيح لا يقلد في شيء من ذلك غيره تقليدا ، فالتقليد هو شأن الاطفال مع الكبار والاستقلال هو شأن العقلاء المستقلين والعاقل انما يعمل ما يعتقدانه الاولى بالدليل العقلي في الامور العقلية والدليل الشرعي في الامور الشرعية وهكذا . والجاهلون يتمسكون بالعادات ويجعلونها دينا ينكرون على مخالفهم فيها

وأما المسألة الثانية فيعلم حكمها مما تقدم فمن المعلوم ان الاسلام لم يحرم على أهله زيا ويفرض عليهم زيا آخر بل ترك الازياء لاختيارهم وفي السنة السنية مايدل على ذلك فقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية من أزياء الروم والطيالسة الكسروية من أزياء المجوس ولم يقصد تقليد القوم وانما جيء بذلك فلبسه. وانما نهى عمر (رض) جيشه في بلاد الفرس عن زي الاعاجم لئلا يغرهم ماغنموه من اللباس النفيس فيتمتعوا بنعمته و يغلب عليهم الترف فيضعفوا عن الجهاد وحفظ البلاد ولذلك أمرهم في كتابه ذلك الى القائد عتبة بن غرقد بان يخشوشنوا ويتمعددوا و يداوموا على التمرن على رمي السهام و يبرزوا للشمس فقال عليكم بالشمس فانها حمام العرب ولهذا اختلفت أزياء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وخليفة المسلمين واكبر امرائهم يلبسون زي الافرنج في هذا العصر لاستحسانه

* * *

﴿ الرضاعة من كتابية — لبس البرنيطة ﴾

﴿ حديث « من تشبه بقوم » — الزنار و « اربطة الرقبة » ﴾

(س ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (سمبس برنيو الغربيه — جاوه)

(١) هل يثبت الحرمة رضاع بين الكافر والمسلم مع مراعاة الشروط المدونة في كتب الفقه ؟ كما لو رضع مسلم لكافرة او كافر لمسلمة

(٢) هل يجوز لمسلم لبس البرنيطة (القبعة) لحاجة كالاتقاء من الشمس أو لغيرها ؟

(٣) ما حكم التشبه بالافرنج في الملبس وغيره بحيث لايمكن التميز بعلامة ما . فهل يجوز ام لا ؟ لان ذلك مما عمت وطمت به البلوى خصوصا عند الطبقة العليا فانهم يلبسون البرنيطة فوق الكوفية المعتادة لهم

فمن الناس من قال انه حرام وحجته قوله عليه السلام « من تشبه بقوم فهو منهم » . و بعضهم قال انه جائز لا بأس به وحجته انه لم يرد في كتاب الله ولا في سنن رسله وانبيائه أمر لأممهم باتباع ملابسهم او تغييرها بزي معلوم او نهي عن ذلك بل ربما ورد أن بعض الصحابة لبس شيئا من ملابس الكفار في الصدر الاول للاسلام ولم ينكره احد من الصحابة

(٤) الزنار « أربطة الرقبة » فالمشهور من بعض الافاضل المتقدمين ان لبسه حرام باتفاق ولكن المشاهد في عصرنا هذا شيوع استعماله في مسلمي الدنيا . هل هو حرام أم لا ؟ بينوا لنا رأيكم ورأي علماء مصر العصري ليسكت الهرج والمرج فلكم منا جزيل الشكر والامتنان .

م . ب . ج . م . ع

(ج) اما الجواب عن الاول فنعم فمن رضع من كتابية حرم عليه ان يتزوج احدا من اصولها أو فروعها وقد رأيتم التفصيل في احكام الرضاعة في تفسير هذا الجزء واما الاسئلة الثلاثة الاخر فمعناها واحد وتعرفون حكمها من الفتويين العاشرة والحادية عشرة في هذا الجزء ومما كتبناه عن حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » في الجزء الماضي . ولكن الزنار غير « اربطة الرقبة » التي فسرتموه بها وما ذكر منه في كتب الفقه يراد به زنار الرهبان والقسيسين الذي هو من تقاليدهم الدينية ولا يجوز للمسلم ان يتبع تقاليد دين من الاديان بل يتبع في الدين كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأما الازياء والعادات التي ليست من اديانهم فهي التي يتبع الناس فيها مصالحهم ان لم تخالف نصا شرعيا . ولا نص في تحريم ازياء المخالفين لنا فى الدين التي هي من العادات لما علمت من لبس النبي (ص) لبعض ازياء الروم والمجوس

***

﴿ الكلام وقت خطبة الجمعة ﴾

(س ١٦) من صاحب الامضاء الرمزي في (سمبس برنيو)

حضرة العالم العلامة سعد الملة وفخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متعني الله بشريف وجوده آمين .

بعد اهديكم أطيب التحية والاحترام أرجو ان تفيدوني بالاجابة عن هذه الاسئلة واشكركم سلفا ، إنه قد جرت عادة في بعض بلاد جاوه يقرأ المؤذن او المرقي عند صعود الخطيب على المنبر لقراءة الخطبة آية: إن الله وملائكته الآية او شيئا من الاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت » أه الجامع الصغير فهل يسن ذلك ام لا ؟ ومما قاله (المؤذن او المرقي) روي عن ابي هريره (رض) أن يوم الجمعة سيد الايام وحج الفقراء وعيد المساكين والخطبة فيها مكان الركعتين . فاذا صعد الخطيب على المنبر فلا يتكلمن أحدكم ومن يتكلم فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له اه فهل صح أن

هذا الحديث رواه ابو هريرة (رض) او غيره ، أو هو من اقوال العلماء ؟ وفي اي كتاب يذكر ؟ هذا والمرجو لسيدي من فضيلتكم ان تجيبوني وا كون ذاكرا لكم جميل الذكر وحسن الثناء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . م ٠ ب

(ج) هذه العادة معروفة في مصر وسورية أيضا وما هي بسنة مأثورة تتبع وانما هي عادة كما ذكرتم والحديث الاول متفق عليه في الصحيحين ولا بأس بذكره قبل الخطبة بقصد النصيحة والتذكير ولكن لاينبغي ان يداوم عليه بكيفية مخصوصة توهم أن تلاوته سنة مأثورة واما الحديث الثاني « يوم الجمعة سيد الايام » الخ فلا يصح وأوله ذكر في بعض كتب الموضوعات

***

﴿ اباحة الغناء ﴾

(س ١٧ و ١٨) من صاحب الامضاء في روسيا

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم وانفعهم بأفيد كلامكم ، ان لي مسألتين نشتاق الى بيانهما ونحتاج الى ايضاحهما أرجو توضيحهما في احد اجزاء مجلة المنار ولكم الاجر إن شاء الله

(١) قال في التفسيرات الاحمدية في تفسير الآيات المتعلقة للاحكام في سورة لقمان: ومن الحجج الدالة على اباحته (اي التغني) ما ذكر في العوارف فمن الآيات ما ذكر في العوارف قوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقوله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية ومن الاحاديث ماقال اخبرنا الشيخ الطاهر بن ابي الفضل عن ابيه الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو بكر القاسم الحسن بن محمد الخوافي قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر بن وثاب قال حدثنا عمر بن الخطاب (رض) قال حدثنا الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان

تغنيان وتضر بان بدفين ورسول الله متسجٍ بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف رسول الله عن وجهه وقال « دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد » وسقط هنا في البين حديثان اسقطهما قصدا وفيه ايضا قال اخبرنا ابو زرعه طاهر عن والده ابي الفضل الحافظ المقدسي قال أخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي قال اخبرنا ابو علي فضل بن منصور بن نصر الكاغذي السمرقندي اجازة قال حدثنا الهشيم بن كليب قال حدثنا ابو بكر عمار بن اسحاق قال حدثنا سعد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انزل جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله ان فقراء امتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمس مئة ففرح رسول الله عليه السلام فقال: أفيكم من ينشدنا ؟ قال بدوي نعم أنا يارسول الله، قال : هات، فانشد البدوي

قد لسعت حية الهوى كبدي   فلا طبيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي شغفت به   فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الاصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا اوي كل احد منهم مكانه قال معاوية بن ابي سفيان ما احسن لعبكم يارسول الله ! فقال: يامعاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب. ثم قسم رداءه رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حاضرهم باربع مئة قطعة، وهذا الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه اه ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الآيات التي ذكرت هل هي دالة على ما ادعاه وما وجه الدلالة ونحن لا نصلح ولا نفهم وجه دلالته عليه وما الاحاديث التي أوردها وسردها هل هي معتبرة ومأخوذة عند المحدثين ام من الخرافات التي انشدها واحدثها المخترعون؟؟ افيدوني ياسيدي ولكم الاجر ان شاء الله

(٢) ولودفع الى الفقير من مال حرام شيئا يرجو الثواب يكفر ولو علم الفقير بذلك الحرام فدعا للمعطي كفر (خادمي شرح الطريقة في المجلد الاول في النوع الثالث من الكفر الحكم منه ٤٤٥ في نسختنا)

أقول من المقرر في كتب الفقهاء والفتاوى كالمحيط وابن عابدين وغيرهما ان

من كان عنده مال خبيث حرام كالمظالم وكربح المغصوب والامانة والمبيع بيعا فاسدا يجب التصدق به، فيكون مأمورا بالتصدق فمن أتى بالمأمور به كيف يكون كافرا؟ وايضا الداعي انما يدعو لمن أتى بالمأمور به فكيف يكون كافرا بالدعاء له؟ بينوا ياسيدي توجروا

الامام الديني أحسن بن شاه احمد الكاتبي

(ج) ليس في القرآن شيء يدل على التغني وصاحب العوارف إنما يستدل بما ذكر من الآيات على السماع المعروف عندهم وهو يكون سماع قرآن وسماع شعر أو غناء لأجل تحريك شعور النفس من خشوع او حزن او وجد لا على مطلق التغني والاستدلال بالآيات على سماع الشعر او الغناء تكلف مردود واما الحديثان فاولهما وهو حديث عائشة صحيح لا نزاع فيه وثانيهما وهو حديث سماع النبي (ص) وتواجده موضوع لا نزاع في كذبه ترونه في كثير من كتب الموضوعات والمشهورات على ألسنة العامة . وقد بينا احاديث اباحة السماع وحظره بالتفصيل في أول المجلد العاشر

وأما ما ذكره الخادمي من كفر من يتصدق بالمال الحرام وكفر من يدعو له فهو تشديد ظاهر البطلان لا حاجة الى الاطالة في بيانه وسنكتب في المكفرات شيئا نافعا ان شاء الله

***

﴿ علم الهيئة والسنة النبوية ﴾

(س ١٩) من احد المشتركين في دمشق الشام

الى حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد افندي رشيد رضا متعنا الله بطول بقاه

لدينا كتاب مخطوط عنوانه «هيئة الاسلام وحكمة اهل الايمان» لمؤلفه ابراهيم القرماني الآمدي افتتحه بمقدمة قال فيها بعد البسملة والحمدلة ما ملخصه :

« لما طالعت كتاب الهيئة على اعتقاد اهل السنة والجماعة للمولى العلامة أبي الفضل جلال الدين السيوطي وجدت مباني مباحثها مطابقا لمضمون الاحاديث والآثار

موافقا لمفهوم كلام التابعين الاخيار انتخبت منه ومن الكتب المعتبرة نحو تفسير الامام أبي الليث السمرقندي وتفسير الامام القرطبي وتفسير الامام البغدادي وتفسير الامام الثعلبي والقشيري وعثمان الداري وابن الجوزي وابن أبي طالب المكي وابن كثير والكرماني والوسيط والسمرقندي والصنهاجي والسمرقندي والفتاوى الكبرى والشفا وشرح العقائد للتفتازاني ما هو لازم اعتقاده مرتبا على ابواب وفصول »

ثم يلي ذلك كلام في تقديم الكتاب الى السلطان محمد خان ابن السلطان ابراهيم العثماني ثم ابواب الكتاب وفصوله وهي بوجه الاختصار : في عدد السماوات والارضين . في المسافة بين كل اثنتين منها . في الثخن والكثافة . في مادة السماء في العرش والكرسي واللوح والقلم. بعض عجائب السماء . مكان الجنة والنار. مستقر الارواح . مستقر الشمس بعد الغروب . جبل قاف. كون الارض بسيطة. بيان بعض عجائب الارض . بيان الصخرة المذكورة في القرآن. أحوال الشمس والقمر. الخسوف والهلال والليل والنهار والكواكب . الرياح والامطار والقوس والرعد والبرق والصاعقة . الخ الخ ويلي ذلك أحاديث يستشهد بها المؤلف على ماتضمنه الباب أو الفصل وأ كثر هذه الاحاديث اذا لم نقل كلها لاينطبق على الحقيقة ونحن لعدم تضلعنا من علم الحديث لانعلم مكانها من الصحة ولذلك ننقل هنا شيئا منها اتفقوا عليه

قال تحت عنوان أحوال الشمس مانصه : قال العلامة السيوطي أخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشمس والقمر وجوههما الى العرش وقفاهما إلى الناس» وأخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله (ص) «وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ماأصابت شيئا الا احرقته» . وقال في الكلام على الرعد: أخرج احمد والترمذي عن ابن عباس ان اليهود قالوا يارسول الله اخبرنا عن الرعد ماهو؟ قال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله » قالوا فما الصوت الذي نسمعه؟ قال« زجره حتى ينتهي الى حيث أمر» قالوا صدقت

والكتاب كله على هذا النمط وقد بلغني ان هذا الكتاب ترجم الى اللغة التركية وطبع في الآستانة منذ عشرين سنة تحت اسم (هيئت اسلاميان) فضل به كثيرون

من تلامذة المكاتب وغيرهم لانه مخالف لما تلقوه من المبادي المقررة في علم الهيئة والاحداث الجوية التي لايشكون فيها لقيام الادلة عندهم عليها فما قولكم رحمكم الله في هذا الكتاب وامثاله؟ تكرموا بالجواب ولكم الاجر والثواب

(ج) اكثر ماورد في هذا الباب من الاحاديث يدخل في باب الموضوعات المكذوبة قطعا أو الواهيات التي تقرب منها وسنبين ذلك في مقال خاص بعد إلقاء عصا التسيار والاستقرار في مقام العمل ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ حركة الارض ودورانها ﴾
« والاستدلال على ذلك من القرآن »

(س ٢٠) من الشيخ عبد القادر نور الله معلم مدرسة (بانياس) الابتدائية

سألنا عن دليل حركة الارض ودورانها وعن استدلال بعض الناس على ذلك بقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقد سبق لنا بحث طويل في هذه المسألة فليراجعه السائل في (ص ٢٦٠ م٧) اذ لاسبيل الى إعادته والادلة العلمية في ذلك مبسوطة في كتب الجغرافية ومن يرى الآية التي أشار اليها دالة على دوران الارض يرد على من يقول ان المراد بها حركتها عند خراب العالم بقيام الساعة بقوله تعالى بعد ماتقدم آنفا «صنع الله الذي اتقن كل شيء» واتقان الصنع يناسب الانشاء والتكوين لاضدهما. وهناك آيات أخرى ذكرناها في الموضع المشار اليه

وسألنا أيضا عن مسألة مشكلة في كتاب (تنبيه الافهام) لرفيق بك العظم وسنجيب عنها عند مايتيسر لنا مراجعة ذلك الكتاب بعد انتهاء سفرنا

المشورة (*)

قضت سنة الله في خلقه ان سلطة شرع الاحكام وتصريف الاوامر والزواجر لا تستقل وحدها بردع الخليقة وقيادتهم الى سابلة العدالة فكثير من الناس من يجري مع اهوائه بغير عنان ولا يدخل بأعماله الاختيارية تحت مراقبة العقل على الدوام ألا ترى الى جملة من احكام الشريعة كيف بنيت على رعاية الوازع الطبيعي وتغلبه على الوازع الشرعي كرد شهادة العدو على عدوه وعدم قبول شهادة الرجل لابنه أو لابيه واقراره في حال مرضه لصديق ملاطف أو وارث قريب . فلا بد اذاً من سلطة أخرى لتنفيذ تلك الاحكام المشروعة بالوسائل المؤثرة وان كره المبطلون كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالة القضاء لابي موسى الاشعري : وانفذ اذا تبين لك ، فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . وتسمى هذه السلطة بالسلطة القضائية وكان زمامها في عهد نزول الوحي بيد النبي صلى الله عليه وسلم يتولى الحكومة على الجاني ويباشر فصل النوازل بنفسه من غير ان يدور في حسبان مسلم مطالبته باعادة النظر في القضية أو استئنافها لدى غيره وما كانوا يرون قضاءه الاحكما مسمطا يتلقونه بأذن واعية وصدر رحيب لعلمهم يقينا كعمود الصبح انه حكم الله الذي لايقابل بغير التسليم قال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) وان تعجب فلا عجب لهذا فان الوازع الشرعي قد يتمكن من النفوس الفاضلة الى ان يصير بمنزلة الطبعي أو اقوى داعيا ، وسهل انقياد العرب على ما كانوا عليه من الانفة وصعوبة المراس وانصاعوا الى قانون الشريعة مجملا ومفصلا من جهة ان الدين معدود من وجدانات القلوب فالانقياد لاحكامه من قبيل الانقياد الى مايدعو اليه الوجدان وليست

(*) بقلم الشيخ محمد الخضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامع الزيتونة بتونس في مسامرته « الحرية في الاسلام »

الشرائع الوضعية بهذه الدرجة فان الناس انما يساقون اليها بسوط القهر والغلبة ويحترمونها اتقاء للادب والعقوبة ولا يتلقونها بداعية من انفسهم الا اذا أدركوا منها وجه المصلحة على التفصيل

وانما ورد من فصل قضائه صلى الله عليه وسلم قدر يسير بالنسبة الى مدة حياته لما كانت عليه حالة المسلمين يومئذ من الاستقامة والتئام العواطف القاضية بأن تكون معاملاتهم خالية من الدسائس خالصة من المشاكل وهكذا ماساد الادب وانتشرت الفضيلة بين أمة الا اتبعوا شرعة الانصاف من عند انفسهم والتحفوا برداء الصدق والامانة بمجرد بث النصيحة والموعظة الحسنة فيخفت ضجيج الضارعين وصخب المبطلين ولا تكاد تسمع لهما في اجواف المحاكم حسيسا . وضم صلى الله عليه وسلم الى السلطة القضائية فيما يخص الحق المدني سلطة التنفيذ فيما يختص بحقوق الامم كاشهار الحرب وابرام الصلح وتلافي أمر الهجوم ولم يكن مع يقينه باستماتة اصحابه في طاعته وتفاني مهجهم في محبته لينفرد عنهم بتدابير هذه السلطة بل يطرحها على بساط المحاورة ويجاذبهم اطرافها على وجه الاستشارة عملا بقوله تعالى (وشاورهم في الامر) وقد يترجح بعض الآراء بوحي سماوي كما نزل قوله تعالى (وما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الارض) مؤيداً لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسارى بدر

اذن له صلى الله عليه وسلم بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء تطييبا لنفوس اصحابه وتقريرا لسنة المشاورة للامة من بعده . اخرج البيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما ان الله ورسوله لغنيان عنها (اي المشورة) ولكن جعلها الله رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا »

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء ومع هذا لا يبرم حكما في حادثة الا بعد ان تتداولها آراء جماعة من الصحابة واذا نقل له احدهم نصا صريحا ينطبق

على الحادثة قال : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا .

وعهد بأمر الخلافة الى عمر بن الخطاب بعد استشارة جماعة من المهاجرين والانصار مثل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان واسيد بن حضير وسعيد بن زيد وغيرهم وانما لم يبق الامر شوري بينهم كما صنع الخليفة الثاني او يتركه لآراء المسلمين عامة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم اعتمادا على ما تفرسه في عمر من الكفاءة والمقدرة وحذرا من أن يتنازعها ذوو الاهلية فتثور ثائرة الفتنة وينحل حبل الاخوة في ايدي المسلمين

ونحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الجادة شبرا بشبر وذراعا بذراع قال من خطبة ارسلها في هذا الغرض : كذلك يحق على المسلمين ان يكونوا وامرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم – ثم قال – ومن قام بهذا الامر فانه تبع لاولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم . وهذا ايماء الى الحكم النيابي ويدل له من كتاب الله قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وضع الاسلام اساسه وبنى عليه الخلفاء سياستهم ثم انتقض بناؤه في دولة بني مروان ومذ شعرت الامم الآخذة بمذاهب الحرية بانه الضربة القاضية على السلطة الشخصية طفقوا يهرعون الى اقامة حكوماتهم على قاعدته المتينة

واخذ عمر بقاعدة الشورى في أمر الخلافة من بعده ففوض امرها الى ستة من كبراء الصحابة ليختاروا رجلا منهم وقال لهم : ويحضركم عبد الله بن عمر مشيرا وليس له من الامر شيء ! وضمه عبد الله بن عمر الى الستة وتشريكه لهم في الرأي وارد على ما ينبغي في مجالس الشورى من جعل نظامها مؤلفا من العدد الفرد ليمكنهم ترجيح جانب الاكثر عند الاختلاف ويلوح الى هذا بطرف خفي قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم) فذكر العدد الفرد صراحة والاقتصار عليه دون الزوج في ضمنه اشارة الى ما ينبغي مراعاته في المجالس المؤلفة للمناجاة

هذا هو الاصل في الشورى وقد تؤلف من عدد زوج ويعتبر احد افراد

اللجنة بمنزلة رجلين اثنين ويسمى رئيسا لها فيرجح به الجانب الذي ينحاز اليه عند التساوي والدليل على صحته شرعا قول عمر بن الخطاب لأبي طلحة الانصاري: ان الله قد اعز بكم الانصار فاختر خمسين رجلا من الانصار وكن مع هؤلاء حتى يختاروا رجلا منهم – ثم قال له – وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف

والمشورة سنة متبعة عند بعض الامم من قديم الزمان وردت في قصة بلقيس حين دعاها وقومها رسول الله سليمان عليه السلام ان لا يعلوا عليه ويأتوه مسلمين قال الله تعالى (قالت يا أيها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون * قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين * قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) ووردت الشورى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملائه قال الله تعالى (وقال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا ارجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين) وكأن قاعدة الشورى بين فرعون وملائه لم تطرد على اساس صحيح بدليل ماسام به بني اسرائيل من العذاب المبين

وقطع بمجلس الشورى عند فرعون رأيه وابرم في النازلة حكمه لأنه فوض اليهم ذلك بقوله « فماذا تأمرون » وليس له من الامر شيء سوى تنفيذ اعمالهم والعمل بما يشيرون بخلاف مجلس الشورى عند ملكة سبأ فلم يزيدوا على ان عرضوا عليها رأيهم بطريق التلويح حين « قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد » يشيرون الى اختيار الحرب ثم اوكلوا الامر اليها بقولهم « والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » لانها لم تفوض اليهم الحكم في القضية وانما طلبت منهم ان يصرحوا بآرائهم ويبوحوا بافكارهم فقط بدليل قولها « ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » اي إلا بمحضركم وقولها « افتوني في امري » أي اذكروا ماتستصوبون فيه ولأنها زيفت رأيهم واشعرتهم بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام حدودهم فيسرع الى افساد ما يصادمه من اموالهم وعماراتهم فقالت « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها »

لا تكون قاعدة الشورى من نواصر الحرية واعوانها الا اذا وضع حجرها

الاول على قصد الحنان والرأفة بالرعية واما المشاركة في الرأي وحدها ولا سيما رأي من لا يطاع فلا تكفي في قطع دابر الاستبداد

واهم فوائد المشورة تخليص الحق من احتمالات الآراء وذهب الحكماء من الادباء في تصوير هذا المغزى وتمثيله في النفوس الى مذاهب شتى قال بعضهم :

اذا عنَّ أمر فاستشر فيه صاحبا وان كنت ذا رأي تشير على الصحب
فاني رأيت العين تجهل نفسها وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

وقال غيره :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر فالحق لا يخفى على الاثنين
والمرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاه بجمع مرآتين

وقال آخر :

الرأي كالليل مسودٌّ جوانبه والليل لا ينجلي الا بمصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال الى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

ولا يدخل في وهم امرئ سمع قولهم (انما العاجز من لا يستبد) ان اقتداءه بسنة الشورى يشعر الناس بعجزه وحاجته اليهم فتسقط جلالته من أعينهم ويفوته الفخر بالاستغناء عنهم فان الناصح الامين لا تجده يجعل الفخار محورا يدير عليه سياسته فيلقي له بالا وانما يبني اعماله على مصالح يجلبها او مفاسد يدرؤها ومن كان يريد التمجيد والثناء فنعته بعدم الانفراد بالرأي أنخر لذكره وأشرف لسياسته من وصفه بصفة الاستبداد قال تعالى في الثناء على الانصار (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وروي ان هذا دأبهم من قبل الاسلام ولعله هذا هو الوجه في مخالفة اسلوب الوصف به لما قبله وما بعده حيث اورد في جملة اسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار

ومن فوائدها استطلاع افكار الرجال ومعرفة مقاديرها فان الرأي يمثل لك عقل صاحبه كما تمثل لك المرآة صورة شخصه اذا استقبلها

الاسلام في البلاد المسيحية (*)

كان المسلمون في الازمنة الغابرة لا يقصدون البلاد المسيحية الا للفتح والاستيلاء عليها . وكان يندر جدا من يقصدها لغير هذا الفرض . والسبب في ذلك أن حوائج المسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية كانت لا تقضى على ما يرام في غير بلادهم . ولذلك كان القاطنون في الديار المسيحية من المسلمين أندر من الكبريت الاحمر مع وجود ملايين من المسيحيين في البلاد الاسلامية

إن كثيرا من المسلمين أجلوا في العصور الماضية عن اوطانهم الى البلاد المسيحية جزاء لمطالبتهم بالاستقلال : من ذلك ان حكومة هولاندا اجلت في القرن السادس عشر من آسيا الشرقية (من جزائر جاوه و بورنيو وصوماترة) عدة آلاف من المسلمين المنتمين لجنس « ملايو » الى كابلانده في جنوب إفريقية . وفي ذلك العصر نفسه أرغمت الحكومة البولونية كثيرا من التتر على المهاجرة الى بولونيا . فبقايا هؤلاء وان أضاعوا قوميتهم بمعناها الاوربي أي وان نسوا لغتهم الاصلية واستبدلوا بها لغة البلاد التي استوطنوها فانهم لا يزالون يحتفظون بدينهم ويتمسكون به شديد التمسك

واما اختلاط المسلمين بالمسيحيين بحسن اختيارهم وارادتهم فقد بدأ منذ زمن غير بعيد . ففي بادئ الامر اخذ الطلاب المسلمون يقصدون أمريكا وانكلترة وفرنسا بقصد التعلم بمدارسها العالية . ثم اضطرت بعض الاحوال السياسية والاقتصادية المسلمين أن يغادروا بلادهم ويهاجروا الى أوربا افواجا . فكان هذا الاختلاط هو السبب الرئيسي لانتشار الاسلام في الممالك الغربية

ويوجد الآن في المانيا رجل يسعى سعيا متواصلا إلى نشر الاسلام فيها ألا وهو محمد عادل بك « اشميتس ـ دو روملين » . وكان من امره أنه قضى عشرين عاما مهندسا في الشرق ثم انتحل الاسلام وتزوج فتاة مسلمة من أسرة كبيرة . فلما

(*) ترجمها بالعربية من جريدة (وقت) النافعة صنعة الله افندي نيكبولاط من نوابغ الطلاب القازانيين بالازهر وهي منقولة من جريدة (وبرلاند اوندماير) الالمانية

عاد الى وطنه « المانيا » طفق يدأب على نشر الاسلام بين أهل وطنه والدفاع عنه وعن المسلمين فألف في ذلك مؤلفات عديدة من اشهرها « الاسلام » « في الحرم » « الاستانة ـ بلدة الاسلام » وقد اثبت عادل بك في مؤلفاته هذه ان الاسلام قريب جدا من النصرانية الحقيقية وان ما عليه العالم المسيحي الآن من التقاليد والعادات مفسدة كبيرة ومدعاة الى الشهوات البهيمية والفقر المدقع وغير ذلك من المصائب والامراض الاجتماعية

ومن مشهوري الذين يجدون في نشر الاسلام في أوربا غير عادل بك عمر رشيد بك وقرينته مادام «بلينا فولاو» في مدينة مونخين

وقد أسست في فرنسا في هذه الايام الاخيرة جمعية « الاخوة الاسلامية » ومن أعضائها الآنسة الفرنسية «عزيزة روشه لرون» التي انتحلت الاسلام منذ أربعة أشهر . وهي تخدم في هذه الجمعية من غير ملل ولا ضجر، وقد أنشأت هذه الآنسة مجلة سمتها « النظر الى الشرق » مبدؤها تفهيم الاسلام للفرنسيين ومعاونة المسلمين على ارتقائهم وحضارتهم

وأما البلاد الانكليزية فان انتشار الاسلام فيها أظهر وكلمته أعلى . وتوجد فيها الآن جمعيات عديدة أشهرها «الاخوة الاسلامية » و « الهلال » و « اتحاد الاسلام » اسسها المهاجرون اليها من مستملكات انكلترة والذين انتحلوا الاسلام من الانكليز انفسهم . وقد شيد باجتهاد هؤلاء جوامع فخمة في لندره وليفربول وغيرهما من المدن الانكليزية واسست دواوين وملاجيء للايتام وكتاتيب لتعليم الصبيان وانشئت عدة من الجرائد والمجلات .

وأعظم الجمعيات المتقدمة الذكر جمعية « اتحاد الاسلام » وهي تعد مركزا لجميع مسلمي إنكلترة . ومن أهم مقاصدها معاونة المسلمين في ترقية شؤونهم الاقتصادية وتهذيب أخلاقهم وترقية العلوم والمعارف في العالم الاسلامي . وهي تتخذ التدابير اللازمة لمنع المعلومات الكاذبة عن المسلمين والاسلام في بلاد الغرب .

ومن أشهر أعضائها العاملين ، محمد عبدالله المأمون السهروردي المحامي الشهير وهو هندي الاصل . وقد ألف هذا الرجل مع حداثة سنه مؤلفات عديدة في الاسلام

باللغة الانكليزية منها « احاديث محمد » ، « اساس الحقوق الاسلامية » ، « شكسبير وأدبيات الشرق » ، « لا اكراه في الاسلام » وغيرها. وهو يصدر الآن مجلة تبحث في شؤون الاسلام والمسلمين.

ويمكنني ان اعد من الذين انتحلوا الاسلام وهم ينتسبون الى الدوائر الكبيرة هؤلاء: لورد استينلي عبد الهادي باركنيسون من اعضاء مجلس اعيان انكلترة، مازوريا المحامي الشهير ، براونينغ ، كاليت شالدراك ، وغيرهم. ومن النساء : مادام ولياست من مشهورات عالمات الموسيقي ، ومادام شاورنيت الرسامة ، وميسس بيبس ، وغيرهن. ومن أشهر هؤلاء النساء مادام « كويليام » التي انتحلت الاسلام هي وأبناؤها وبناتها جميعا ، وقد عين احد ابنائها وهو احمد كويليام معتمدا سياسيا للدولة العلية في ليفربول والآخر وهو عبدالله كويليام شيخ الاسلام في انكلترة وهو ينشيء الآن جريدة ومجلة اسبوعية وله مؤلفات عديدة اشهرها « الدين الاسلامي » « التعصب والمتعصبون » وغيرهما

وهل كان يدور في خلد احد ان الاسلام تخفق اعلامه في ربوع امريكا؟ مع انه ليس فيها بأقل انتشارا منه في أوربا وان شيخ الاسلام في تلك البلاد « محمد اسكندر روفيل ووب » يدأب دائما في توسيع نطاق الاسلام هناك ويبذل نفسه ونفيسه في هذا الشأن . وهو يرمي في خطبه ومحاضراته ومؤلفاته الى غرض واحد وهو تفهيم الاسلام للامريكيين وتعريفهم سيرة محمد (ص) . وجريدته المسماة « ته مسلم وورلد » في غاية الرواج والانتشار

وقد اخذ مسلمو نيويورك في تشييد جامع فخم جدا في الايام الاخيرة وليس امر الاسلام في اوستراليا بما يستهان به فقد أخذ في تشييد جامع ثان في مدينة « آديلائيد »

وخلاصة القول : ان الامر الذي كنا نعده من قبيل المستحيل من قبل صار من اقرب الممكنات . والذين كانوا يزعمون ان الاسلام لا يصلح أن يوضع في ميدان الحياة اخذوا يتمسكون به ويقدمون النفس والنفيس في الذود عنه ونشره بين الانام

فهذه الامور هي اكبر برهان وأعظم دليل على ان الاسلام اكبر مساعد للحياة وأن له قابلية عظيمة للانتشار

آثار علمية ادبية

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروب … فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود … من الخفرات آنسة عروب
نوار تستجد بها المعالي … وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها … فحامت حول رونقه القلوب
ولكنْ الشوائب أدركته … فعاد وصفوه كدر مشوب
ذوى منها الجمال الغض وجدا … وكاد يجف ناعمه الرطيب
أصابت من شبيبتها الليالي … ولم يدرك ذؤابتها المشيب
وقد خلب العقول لها جبين … تلوح على أسرّته النكوب
الا ان الجمال اذا علاه … نقاب الحزن منظره عجيب



حليلة طيب الاعراق زالت … به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم ترَ قط منه … ولم يرَ قط منها ماريب
توثق حبل ودهما حضورا … ولم ينكث توثقه المغيب

(*) قصيدة للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي الشهير ينتصر فيها لمذهب الامام ابن القيم في كتابه « اغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان »

فغاضب زوجها الخلطاء يوما … بأمر للخلاف به نشوب
فاقسم بالطلاق لهم يمينا … وتلك اليَّة خطأ وحُوب
وطلقها على جهل ثلاثا … كذلك يجهل الرجل الغضوب
وافتى بالطلاق طلاق بتٍّ … ذوو فتيا تعصبهم عصيب
فبانت عنه لم تأت الدنايا … ولم يعلق بها الذام المعيب
فظلت وهي باكية تنادي … بصوت منه ترتجف القلوب:
لماذا يانجيب صرمت حبلي … وهل أذنبت عندك يانجيب ؟
ومالك قد جفوت جفاء قالٍ … وصرت اذا دعوتك لاتجيب !
ابِنْ ذنبي اليَّ فدتك نفسي … فاني عنه بعدئذ أتوب !
أما عاهدتني بالله ان لا … يفرق بيننا الا شعوب ؟
لئن فارقتني وصددت عني … فقلبي لايفارقه الوجيب
وما ادماء ترتع حول روض … ويرتع خلفها رشأ ربيب
فالفتت اليه الجيد حتى … تخطفه بآزمتيه ذيب
فراحت من تحرقها عليه … بداء مالها فيه طبيب
تشم الارض تطلب منه ريحا … وتنحب والبغام هو النحيب
وتمزع في الفلاة لغير وجه … وآونة لمصرعه تؤوب
بأجزع من فؤادي يوم قالوا … برغم منك فارقك الحبيب

***

فأطرق رأسه خجلا وأغضى … وقال ودمع عينيه سكوب:
نجيبة ! أقصري عني فاني … كفاني من لظى الندم اللهيب
وما والله هجرك باختياري … ولكن هكذا جرت الخطوب

فليس يزول حبك من فؤادي — وليس العيش دونك لي يطيب
ولا أسلو هواك وكيف أسلو — هوى كالروح فيَّ له دبيب
سلي عني الكواكب وهي تسري — بجنح الليل تطلع أو تغيب
فكم غالبتها بهواك سهدا — ونجم القطب مطلع رقيب
خذي من نور (رنتجين) شعاعا — به للعين تنكشف الغيوب
والقيه بصدري وانظريني — تري قلبي عليك به تذوب!
وما المكبول التقيَ في خضمٍ — به الامواج تصعد أو تصوب
فراح يغطه التيار غطا — الى أن تم فيه له الرسوب
بأهلكِ يا ابنة الامجاد مني — اذا أنا لم يعد بك لي نصيب!

***

ألا قل في الطلاق لموقعيه — بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلوا — يضيق ببعضه الشرع الرحيب
أراد الله تيسيرا وانتم — من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بأمتكم كروب — لكم فيهن لا لهم الذنوب
وهى حبل الزواج ورق حتى — يكاد اذا نفخت له يذوب
كخيط من لعاب الشمس أدلت — به في الجو هاجرة حلوب
يمزقه من الافواه نفث — ويقطعه من النسم الهبوب
فدى (ابن القيم) الفقهاء كم قد — دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي (اعلامه) للناس رشد — ومزدجر لمن هو مستريب
نحا فيما أتاه طريق علم — نحاها شيخه الحبر الاريب
وبيّن حكم دين الله لكن — من الغالين لم تعه القلوب
لعل الله يحدث بعد أمرا — لنا فيخيب منهم من يخيب

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ غرائب الاغتراب ، ونزهة الالباب ﴾ .

تأليف السيد محمود افندي الآلوسي الحسيني . صفحاته ٤٥١
طبع بمطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٧

لا نرى حاجة لتعريف قراء المنار بالمؤلف الجليل ، وهو صاحب تفسير روح المعاني الشهير، الذي يندر من لم يستفد منه من ممارسي العلوم الاسلامية . وللمؤلف كثير من المصنفات كانت ظلمات الاستبداد الحالكة مانعة من انبلاج نورها، حتى اذا اشرقت شمس الدستور عقد العزم آل الالوسي الفضلاء على نشر تلك الآثار ومنها كتاب غرائب الاغتراب .

الكتاب هو مجموع محاضرات ادبية ، وفقرات وصفية ، ومقالات في التراجم ومناظرات في علم الكلام والفقه والتصوف ، كتبها المؤلف فيما رأى ومن رأى في رحلته من بغداد الى القسطنطينية

تصفحنا صفحات من الكتاب فتمثلت لنا روح المؤلف نقية طيبة كأرواح أسلافنا الاولين: نزَّاعة الى الحق، وثابة على الباطل، لا تطبي أنصار ذاك بزخرف القول ، ولا تداهن ارباب هذا بقول الزور. أما اسلوب الكتاب او الكاتب فقد طبع على غرار اهل القرون الوسطى : سجع تحتف به الصنعة البديعية ، ولكن يخال قارئه أنه لا تعمّل فيه ولا تكلف ، وقد يغلو من يستنكر هذا النمط من الانشاء فان لكل عصر اسلوبا، وانما الكلم الطيب البليغ هو ما ادّى المراد بدون تعسف ولا تكلف ، ولا ضير على قائله بعد هذا سواء اكان مترسلا ام جانحا للسجع . قلت هذا لانني اوى اكثر ادباء عصرنا يستنكرون السجع كثيرا، حتى لا يبعد أن تكون

أذواقهم صارت تمجه في مثل كلام امام البلاغة جدنا المرتضى عليه السلام ! وهذا من غرائب انتكاس الطباع ومرض الاذواق !

***

﴿ الفَرْق بين الفِرَق ﴾

« تأليف الامام ابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي من اهل القرن الخامس »
وقد وقف على طبعه وضبطه وتعليق حواشيه محمد بك بدر المتخرج في جامعة (بن . المانيا)
صفحاته ٣٥٤ طبع بمطبعة المعارف بمصر ويباع بها وبمكتبة المنار بعشرين قرشا صحيحا

لقد سررنا سرورا عظيما بنشر هذا الكتاب، لا لأن الامة محتاجة الى الاطلاع على آثار اسلافنا العاملين ، بل لأن واحداً من سراة ابنائها اهل الثراء اختار ان تكون حياته حافلة بالعلم والعمل، هازئا بسير اترابه المنقطعين الى اللهو والترف، فبعد أن ابتعد عن أسرته وخلطائه اعواما قضاها ينتاب فيها دور العلوم بأوربا عاد وهو صحيح العزيمة على ان يعمل بما علم و « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »

وغرض المؤلف من كتابه بيان مذاهب الفرق الثلاث والسبعين التي ورد ذكرها في الحديث، وقد افاض في ذلك كثيرا فذكر فرقاً مزقتها عوادي الايام، ولولا ذكر مثل المؤلف لها لما عرف اهل هذا العصر أنها وجدت في هذه الدنيا ، لانها لم تترك أثارة من علم ولا نبأة من حالها

والكتاب مفيد في بابه، بليغ في اسلوبه ، قوي الحجة، وطبعه في غاية الجودة ، ومن محسناته فهرسان للاعلام والكني وضعهما له ناشر الكتاب ، ورتبهما على حروف المعجم ، وقد كتب له مقدمة متينة التركيب بليغة الاسلوب فنثني عليه اطيب الثناء

***

﴿ اغاثة اللهفان ، في حكم طلاق الغضبان ﴾

تأليف الامام شيخ الاسلام ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزية
وقد عني بتصحيحه وتخريج احاديثه وتعليق حواشيه الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي
صفحاته ٤٨ طبع بمطبعة المنار بمصر ويباع بمكتبة المنار بثلاثة قروش صحيحة

الطلاق من ضرورات الاجتماع التي لا بدَّ منها، ولا مندوحة عنها، وقد اعترف

كثيرون من عقلاء الفرنجة والامريكان بذلك ، بل ان بلاد امريكا اصبح الطلاق فيها اكثر شيوعا منه في سائر البلاد الاسلامية ، والسبب في ذلك تفريطهم وافراطهم ، فقد احكموا في الاول عقدة النكاح إحكاماً ، صيروا به حلها جناية وأثاما ! وقد بالغوا في الثاني في حلها حتى صارت اوهى من بيت العنكبوت !

اما المسلمون فيرون الطلاق رخصة من الرخص التي يصار اليها عند الاضطرار كما ارشدهم الى ذلك دينهم، وهكذا يكون شأن الامة الوسط : لا تفريط ولا افراط وهذه هي الخطة التي تحوم حولها القلوب، وتهفو اليها النفوس، لان تحريم الطلاق تحريما قطعيا من الحرج الذي لا يطاق ولا تستقيم معه حال الاجتماع، واباحته اباحة عامة من دون شرط ولا قيد من العبث المخل المفسد لنظام الاسر والبيوتات

ولقد يظن كثيرون من الفرنجة والمتفرنجين الذين ينظرون الى الاسلام بعيون حُول ان الطلاق يقع بالكلمة تقذفها بادرة غضب فتصبح عقدة النكاح المحكمة مفككة محلولة، وتمسي الزوج التي لم تجن ذنبا اجنبية غير حليلة ، ويرون ان ذلك ليس مما يلتئم مع الحكمة ، او يتفق مع المصلحة ، وقد يكونون معذورين في هذا القول الذي يتفق مع اقوال كثير من الفقهاء ، ولو انهم اطلعوا على الكتاب الذي نقرظه اليوم لآبوا معترفين للاسلام بأنه دين المدنية والفضيلة والعمران

استهل الامام المؤلف كتابه بالحديث الشريف « لا طلاق ولا عتاق في اغلاق » ثم بين معنى الاغلاق او الغلاق من كلام الائمة وان معناه الغضب او من معانيه ثم طفق المؤلف يدلي بالحجة تلو الحجة ويأتي بالدليل بعد الدليل من الكتاب والسنة والمأثور عن أئمة السلف الناطقة كلها بعدم وقوع طلاق الغضبان، وأفاض المؤلف في ذلك أيما افاضة شأنه في كل الموضوعات التي كتب فيها ، ونصب ميزان التعارض والترجيح ، فأظهر أثابه الله الرغوة من اللبن الصريح . قال في استدلاله من السنة على أن طلاق الغضبان لا يقع :

« فأما دلالة السنة فمن وجوه (١) احدها حديث عائشة المتقدم وهو قوله «لا طلاق ولا عتاق في اغلاق» وقد اختلف في الاغلاق فقال أهل الحجاز هو الا كراه، وقال أهل العراق هو الغضب، وقالت طائفة هو جمع الثلاث بكلمة واحدة، حكى الاقوال الثلاثة صاحب كتاب مطالع الانوار، وكأن الذي فسره بجمع الثلاث أخذه من التغليق وهو ان المطلق غلّق طلاقه كما يغلق صاحب الدين ماعليه، وهو من غلّق الباب فكأنه أغلق على نفسه باب الرحمة بجمعه الثلاث فلم يجعل له الشارع ذلك ولم يملكه اياه رحمة به، انما ملكه طلاقا يملك فيه الرجعة بعد الدخول وحجر عليه في وقته ووضعه وقدره فلم يملكه اياه في وقت الحيض ولا في وقت طهر جامعها فيه، ولم يملكه ان يبينها بغير عوض بعد الدخول فيكون قد غير صفة الكلام وهذا عند الجمهور، فلو قال لها: أنت طالق طلقة لا رجعة لي فيها أو طلقة بائنة لغا ذلك وثبتت له الرجعة، وكذلك لم يملكه جمع الثلاث في مرة واحدة بل حجر عليه في هذا وهذا وكان ذلك من حجة من لم يوقع الطلاق

(١) ذكر من وجوه دلالة السنة ثلاثة وبقي رابع وهو «الاعمال بالنية» الذي استدل به البخاري على عدم وقوع طلاق الغضبان كما تقدم نقل عبارته وكلام ابن حجر في شرحها وقد أشار اليه في الوجه التاسع الآتى (ووجه خامس) وهو حديث ابن عباس مرفوعا «لا يمين في غضب» اخرجه ابن جرير والدارقطني كما حكيناه قبل (ووجه سادس) وهو حديث «كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمغلوب على عقله» رواه الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا وقال غريب ضعيف، والمغلوب على عقله و إن فسر بالسكران إلا أنه يتناول الغضبان أيضا بل هو اولى كما ستراه للمصنف موضحا في الوجه الثانى من ترجمة (فصل واما آثار الصحابة)

المحرم ولا الثلاث بكلمة واحدة (١) لانه طلاق محجور على صاحبه شرعا وحجر الشارع يمنع نفوذ التصرف وصحته كما يمنع نفوذ التصرف في العقود المالية فهذه حجة من أكثر من ثلاثين حجة ذكروها على كلام وقوع الطلاق المحجور على المطلّق فيه،

والمقصود هاهنا ان هؤلاء فسروا الاغلاق بجمع الثلاث لكونه أغلق على نفسه باب الرحمة الذي لم يغلقه الله عليه الا في المرة الثالثة (وأما الآخرون) فقالوا الاغلاق مأخوذ من اغلاق الباب وهو ارتاجه واطباقه فالامر المغلق ضد الامر المنفرج والذي أغلق عليه الامر ضد الذي فرج له وفتح عليه فالمكره (٢) الذي اكره على امر ان لم يفعله والا حصل له من الضرر ما أكره عليه - قد أغلق عليه باب القصد والارادة لما أكره عليه فالاغلاق في حقه بمعنى اغلاق ابواب القصد والارادة له فلم يكن قلبه منفتحا لارادة القول والفعل الذي أكره عليه ولا لاختيارهما فليس مطلق (٣) الارادة والاختيار بحيث إن شاء طلق وان شاء لم يطلق وان شاء تكلم وان شاء لم يتكلم بل اغلق عليه باب الارادة الا للذي قد أكره عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له (٤)» فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يفعل الا اذا شاء

(١) يرى الواقف على كتاب زاد المعاد واغاثة اللهفان الكبرى واعلام الموقعين ادلة ذلك وحججها سابغة الذيل واسعة الاطراف فمن أراد التوسع فعليه بمراجعتها وكلها للامام المؤلف مطبوعة بحمده تعالى متداولة (٢) مبتدأ خبره قد أغلق عليه الخ
(٣) خبر ليس (٤) رواه البخاري عن أبي هريرة

بخلاف المكره الذي يفعل مالا يشاؤه فانه لا يقال يفعل مايشاء الا اذا كان مطلق الدواعي وهو المختار ، واما من الزم بفعل معين فلا ، ولهذا يقال : المكره غير مختار ويجعل قسيم المختار لا قسما منه ، ومن سماه مختارا فانه يعني ان له ارادة واختيارا بالقصد الثاني فانه يريد الخلاص من الشر ولا خلاص له الا بفعل ما أكره عليه فصار مريدا له بالقصد الثاني لا بالقصد الاول

والغضبان الذي يمنعه الغضب من معرفة مايقول وقصده فهذا من اعظم الاغلاق وهو في هذا الحال بمنزلة المبرسم والمجنون والسكران بل اسوء حالا من السكران لان السكران لا يقتل نفسه ولا يلقي ولده من علو والغضبان يفعل ذلك ، وهذا لا يتوجه فيه نزاع انه لا يقع طلاقه والحديث يتناول هذا القسم قطعا

وحينئذ فنقول الغضب ثلاثة اقسام[1] (احدها) ان يحصل للانسان مبادئه واوائله بحيث لا يتغير عليه عقله ولا ذهنه ويعلم مايقول ويقصده فهذا لااشكال في وقوع طلاقه وعتقه وصحة عقوده ولاسيما اذا وقع منه ذلك بعد تردد فكره

(القسم الثاني) ان يبلغ به الغضب نهايته بحيث ينغلق عليه باب العلم

(١) بهذا التقسيم يرد على ابن المرابط حيث قال : الاغلاق حرج النفس وليس كل من وقع له فارق عقله ولو جاز عدم وقوع طلاق الغضبان لكان لكل أحد أن يقول فيما جناه كنت غضبانا ، نقله الحافظ في فتح الباري ووجه الرد أن الغضب ليس على اطلاقه كما فهمه والمرء يدين في ذلك كما حققه المؤلف في الوجه الحادي عشر والرابع عشر ومواضع أخر

والارادة فلا يعلم مايقول ولا يريده فهذا لا يتوجه خلاف في عدم وقوع طلاقه كما تقدم والغضب غول العقل فاذا اغتال الغضب عقله حتى لم يعلم مايقول فلا ريب انه لا ينفذ شيء من أقواله في هذه الحالة فان أقوال المكلف انما تنفذ مع علم القائل بصدورها منه ومعناها وارادته للتكلم بها (فالاول) يخرج النائم والمجنون والمبرسم والسكران وهذا الغضبان (والثاني) يخرج من تكلم باللفظ وهو لا يعلم معناه البتة فانه لا يلزم مقتضاه (والثالث) يخرج من تكلم به مكرها وان كان عالما بمعناه

(القسم الثالث)من توسط في الغضبان(؟) بين المرتبتين فتعدى مبادئه ولم ينته الى آخره بحيث صار كالمجنون فهذا موضع الخلاف ومحل النظر والادلة الشرعية تدل على عدم نفوذ طلاقه وعتقه وعقوده التي يعتبر فيها الاختيار والرضا وهو فرع من الاغلاق كما فسره به الائمة وقد ذكرنا دلالة الكتاب على ذلك من وجوه

(وأما دلالة السنة) فمن وجوه (احدها) حديث عائشة وقد تقدم ذكر وجه دلالته

(الثاني) مارواه احمد والحاكم في مستدركه من حديث عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين »[1] وهو حديث صحيح وله طرق ، وجه الاستدلال به أنه صلى الله عليه وسلم ألغى وجوب الوفاء بالنذر اذا كان في حال الغضب

(١) رواه النسائي عن عمران ورواه الامام احمد واهل السنن عن عائشة بلفظ : لا نذر في معصية . الخ

مع أن الله سبحانه وتعالى أثنى على الموفين بالنذور وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناذر لطاعة الله بالوفاء بنذره وقال «من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» (١) فاذا كان النذر الذي أثنى الله على من أوفى به وأمر رسوله بالوفاء بما كان منه طاعة قد أثر الغضب في انعقاده لكون الغضبان لم يقصده وانما حمله على بيانه الغضب فالطلاق بطريق الاولى والاحرى (فان قيل) فكيف رتب عليه كفارة اليمين (قيل) ترتب الكفارة عليه لايدل على ترتب موجبه ومقتضاه عليه والكفارة لاتستلزم التكليف ولهذا تجب في مال الصبي والمجنون اذا قتلا صيدا أوغيره وتجب على قاتل الصيد ناسيا أو مخطئا وتجب على من وطىء في نهار رمضان ناسيا عند الاكثرين فلا يلزم من ترتب الكفارة اعتبار كلام الغضبان، وهذا هو الذي يسميه الشافعي نذر الغلق، ومنصوصه عدم وجوب الوفاء به اذا حلف به بل يخير بينه وبين الكفارة وحكي له قول آخر بتعين الكفارة عينا، وقول آخر بتعين الوفاء به اذا حنث كما يلزمه الطلاق والعتاق وهذا قول مالك واشهر الروايتين عن ابي حنيفة

(الثالث) ماثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «لايقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان (٢)» ولولا ان الغضب يؤثر في قصده وعلمه لم ينهه عن الحكم حال الغضب، وقد اختلف الفقهاء في صحة حكم الحاكم في حال غضبه على ثلاثة أقوال سنذكرها بعد ان شاء الله.»

(١) رواه الامام احمد والبخاري واهل السنن عن عائشة

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير متفق عليه من حديث ابي بكرة

والكتاب كله على هذا النمط من الايضاح والتبيان، وقوة الدليل والبرهان، وفي آخره قصيدة عنوانها «المطلقة» للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي المشهور قالها انتصاراً لمذهب الامام، وقد نشرناها في غير هذا المكان من هذا الجزء

* * *

فهرس مقتنيات دار الآثار العربية

«ولمعة في تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر»

تأليف مكس هرتس بك ناظر دار الآثار العربية، وترجمه بالعربية علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية . صفحاته ٣٣١ بالقطع الصغير ورسومه ٦٣ طبع بالمطبعة الاميرية بمصر

دار الآثار العربية هي القسم الادنى من البناء المشمخر في باب الخلق، والقسم الاعلى خاص بدار الكتب، وهاتان الداران انشئتا حديثا في مصر اي منذ ثلاثين سنة ونيف، ولا نريد بهذا البناء الجديد الذي نقلت اليه الآثار من عهد غير بعيد بل نريد المحتويات والآثار، ويسوءنا ان دار الآثار العربية لم تنشأ الا بعد أن عبثت ايدي الاجانب بأكثر تلك الآثار، ونقلوها الى بلادهم من هذه الديار، ولولا أن المهندس سلمان المشهور رغب الى الخديو اسماعيل باشا بجمعها وانشاء دار لها وتحقيق هذا لرغبته لضاعت البقية الباقية من الآثار العربية التي نراها اليوم فالفضل في ذلك للطالب والمجيب

وقد اهدي الينا «فهرس مقتنيات دار الآثار العربية» فألفيناه مرتبا ترتيباً جميلا، مزينا بالرسوم الكثيرة، افتتحه المؤلف بكلام عن انشاء دار الآثار حقيرة وارتقائها في زمن قصير، ثم تفاءل بما سيكون لها من الشأن العظيم، ثم أتى بخلاصة تاريخية للدول الاسلامية في مصر وما كانت عليه الصناعات في ايامها وذكر أن فن المعمار كان له المقام الاول في تلك الازمان . قال «لان البنايات الفخيمة (؟) التي نروقنا اليوم فضلا عن أنها تحدثنا بأزمان انقضت هي من آثارها تشهد ان العمارة كانت الفن الاجل عند العرب وانها بلغت لديهم مالم تبلغه عند الامم الغربية» ويلي ذلك الكلام عن الآثار الموجودة وبيان انواعها وتأريخها وغير ذلك من الفوائد فنثني على المؤلف والمترجم ثناء كثيرا

* * *

﴿ لجة النور ﴾

خفت صوت الموسوس المغرور أحمد ميرزا غلام الذي سمى نفسه بالمسيح حينا من الزمن قلنا فيه لعله ثاب الى رشده ، او رجع الى عقله ، فعلم ان السخافات ليست مما يدوم الخداع فيها ، ثم حملت إلينا الانباء انه قضى نحبه ، ولقي ربه ، فقلنا لقد استراح وأراح ، وما كنا نخال انه استخلف من بعده واحدا من ضعفاء العقول الذين استهواهم حتى حمل الينا بريد الهند كتابا هذه طرته « لجة النور — الى علماء العرب والشام والبغداد (؟) والعراق والخراسان (؟) لتجري انهار الايقان والعرفان في زروع الايمان !! » وهذا الكتاب الذي ينشره خليفة ذلك الموسوس المغرور من وحي مستخلفه يعرف القارىء ما فيه من الخلط والخطأ والعسلطة من طرته التي في اوله وقد نقلناها بنصها . وفي الكتاب كثير من النفاق والدهان للانكليز شأن ذلك المسيح الكذوب في كل كتبه ، وقد كان يفعل هذا حتى لا يصدّه الانكليز عن دعوته ، ولا يحملوه عن نبذ الاحتفاظ بسخافته ، فما هذه النبوة التي يحتف بها النفاق والدهان ، وتعلو بالخلط والهذيان ! !

***

امام غزالي

رسالة باللغة التترية ذات ٩٦ صفحة كتبها رضاء الدين افندي بن فخر الدين من جلة علماء روسيا النافعين ، وهي ترجمة حافلة للامام الغزالي رحمه الله تعالى ، وقد اثبت على صفحتها الاولى هذه الفقرة الحكيمة للامام الغزالي « استحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر او الضلال لا يُعرف ، فاي داع اكمل واعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، واي كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير الاولين ، واياك أن تشتغل بخصامهم ، وتطمع في إفحامهم ، فتطمع في غير مطمع ، وتصوت في غير مسمع » .

والرسالة تباع بمكتبة الشرق بأورنبورغ

الاسلام ومستر سكوت

رسالة صفحاتها ٧٧ بالقطع الصغير . تأليف الشيخ علي احمد الجرجاوي طبعها مؤلفها بمصر وجعل ثمنها ثلاثة قروش . وقد كتبها ردًّا على مزاعم افتحارية للمستر سكوت في الدين الاسلامي في كتاب له كان يقرأ دروساً في مدارس الحكومة المصرية ! ثم قررت نظارة المعارف منع تدريسه اذ نبهتها الصحف الى ذلك ، وليس بعجيب ان يلزم المسلمون بدراسة كتاب معظمه مطاعن في دينهم مادام المستر دانلوب راسخ القدم في نظارة المعارف ، بل العجيب كيف تمكن سعد باشا زغلول رجل المقدرة والعمل من القيام بالاصلاحات العظيمة في المعارف ومستر دانلوب مسيطر على كل ما يراد عمله فيها !

حياة اللغة العربية

مسامرة للشيخ السيد محمد الخضر بن الحسين من علماء جامع الزيتونة العاملين النافعين الذي يرى له القراء في (ص ١٢٠) من هذا الجزء قطعة من مسامرته (الحرية في الاسلام) وقد قسم مسامرته هذه الى اقسام منها « تأثير اللغة في الهيأة الاجتماعية ، اطوار اللغة العربية ، تعدد اساليبها ، طريق اختصارها ، اتساع وضعها » الى غير ذلك . وهي في ست وخمسين صفحة مطبوعة على ورق جيد ، ويسرنا كثيرا أن نرى من اخواننا علماء تونس هذه النهضة العالية فهي خير ما يبعث النفوس على التفكير ، ويستفزها الى العمـل ، ويسوءنا ان لا يضارعهم في ذلك الازهريون ، وسننشر في المنار فصلا او فصولا منها

مفاسد شهادة الزور

كراسة صغيرة الحجم ، كبيرة الفائدة والنفع ، جمع فيها كاتبها صديقنا الشيخ احمد عمر المحمصاني الآيات والاحاديث الناطقة بقبح شهادة الزور وكونها من اكبر الكبائر ، ونقل اقوال ائمة الصحابة وجمهرة من الفقهاء فيها ، ثم عقد فصلا لبيان « اضرار شهادة الزور في الشاهد نفسه وفي الهيئة الاجتماعية » وكل ذلك صريح في استنكارها

واستكبارها، ولو نقلتها الجرائد العربية لافادت أحسن فائدة، وأثرت في كثير من القلوب القاسية

مفردات انكليزية وعربية

اهدانا عبده افندي عيد ناظر مدرسة الاتحاد الوطني ببولاق نسخة من هذه الرسالة ورسالة اخرى في التعريفات الانكليزية وكلتاهما تأليف وهبه افندي عبد الله المدرس بمدرسة الاتحاد الوطني واهدانا مصورا (خريطة) للقطر المصري من رسم وهبه افندي، والرسالتان جيدتا الطبع، سهلتا المنال والوضع، والمصور دقيق الرسم حسن التلوين فنثني على المهدي والمؤلف

مملكة جهنم

الكونت لاون تولستوي من مشهوري فلاسفة هذا العصر الذين كتبوا وافادوا، ويمتاز تولستوي على كثير من الفلاسفة بكونه عمليا لا نظريا فقط، وروح فلسفة تولستوي هي الرجوع بالناس الى سذاجة الفطرة، وترغيبهم بالهدوء والأنى بل اسرف في ذلك حتى حث على احتمال الاهانة والاستخذاء للشر! ومبادئ الرجل قريبة من مبادئ بعض متصوفة الاسلام. وقد ترجم له في هذه الآونة سليم أفندي قبعين الضليع في اللغة الروسية والشهير بنقل آثاره الى العربية - قصة اسمها «مملكة جهنم» وجعل ثمنها اربعة قروش صحيحة وياحبذا لو اتيحت لنا مطالعتها لنكتب رأينا فيها

الجامعة

عاد فرح افندي انطون من امريكا الى هذه الديار واصدر مجلته منذ ثلاثة اشهر، وقد جاءنا الجزء الاول والثاني من سنتها السابعة فألفيناهما حافلين بالمقالات النافعة، والبحث المفيد، مطبوعين طبعا نظيفا على ورق جيد، وعدد صفحات كل جزء منها ٦٥ وقيمة اشتراكها ٦٠ قرشا صحيحا في مصر. فنرحب بالجامعة في حياتها الجديدة

الهداية

اصدر الشيخ عبد العزيز جاويش مجلة بهذا الاسم وجعل شعارها هذه الفقرة

«مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية» وقد قال بعد ان ذكر الموضوعات التي تبحث فيها المجلة «هذه هي ابواب الهداية وقد يستغرق مانعده لعدة ابواب ما كان معدا من الفراغ لباب أو اكثر، على اننا سنجد في الانخلي جزءا من باب منها وستصدرها شهرية في هذه السنة» وقد تصفحنا الجزأين اللذين صدرا منها فاذا هما حاويان لاكثر الموضوعات الموعود بها فنرجو للهداية انتشارا وشيوعا، وصفحات الجزء من اجزائها ٧٢ وقيمة اشتراكها ستون قرشا صحيحا في مصر

النبراس، المنتقد، العرفان

حمل الينا بريد سورية هذه المجلات الثلاث فاذا بهن قد خطون خطوات واسعة في الارتقاء بعد دخولهن في العام الثاني من حياتهن: فموضوعات نافعة، وادبيات رائعة، وطبع جميل، وورق صقيل. فنرحب بهن ونرجو لهن فلاحا ونجاحا

الكائنات

مجلة ذات ١٦ صفحة بالقطع الكبير لمنشئها «الارشمندريت باسيليوس» وموضوع المجلة ديني تأريخي وتحتوي على رسوم لكثير من القسيسين وقيمة اشتراكها ٨٠ قرشا صحيحا في مصر

الفرائد

«مجلة علمية أدبية اجتماعية روائية» يصدرها في سان باولو (البرازيل) ابراهيم افندي شحاده فرح. تصفحنا الجزء الاول منها فاذا فيه مقالات مختصرة مفيدة فنرحب بهذه المجلة ونرجو لها حياة طيبة

الاستاذ

مجلة يصدرها في بونس ايرس (الارجنتين) يوسف افندي خوري. جاءنا الجزء الاول منها يحتوي على فصول عمرانية ونبذ سياسية فسررنا سرورا عظيما بهذه المجلة كما سررنا بمجلة الفرائد، وصدور المجلات في الامة سواء في بلادها أو في دار هجرتها من أكبر دلائل حياتها العلمية، فنثني أطيب الثناء على اخواننا المهاجرين الذين يتوفرون على احياء لغتهم الشريفة في تلك الاصقاع النائية

العلم

جريدة يومية سياسية مديرها اسماعيل بك حافظ وقد جعلها رئيس الحزب الوطني لسان حال حزبه بعد أن تنصل من جريدة اللواء ونفض يده منها · صدر منها الى وقت كتابة هذه السطور بضعة أعداد قرأناها فاذا هي على نمط الجرائد الاخرى الا ان لهجتها أشد، وعسى أن تكون أكثر توفيقا للخدمة العامة من اللواء فيما مضى وقيمة اشتراكها ١٨٠ قرشا صحيحا في القطر المصري

المناظر

عاد صاحب هذه الجريدة العاقلة صديقنا نعوم افندي لبكي من البرازيل الى بلاده سورية واصدر في بيروت جريدته التي كان يصدرها هنالك · اصدرها بثماني صفحات مملوءة بالفوائد، ممتازة بالبحث النافع ، والمناظر في نظرنا من أمثل الجرائد ان لم يكن امثلها ، يشارك غيره في كل ماتقوم به الجرائد ، ويمتاز بصراحته ورويته وإنصافه ، وبدل اشتراكه في الخارج عشرون فرنكا ، فنحث كل شغوف بقراءة الجرائد على الاشتراك فيه

العرب

جريدة عربية اسبوعية اصدرها في القسطنطينية محمد عبيدالله افندي مبعوث ازمير، قرأنا مقدمتها فألفيناها محكمة الانشاء، غالية الاطراء، وقد قال صاحبها إنه أنشأها لخدمة العرب! ورأيناه يقول فيها «فنحن اذا اردنا أن نعين حقوق العرب بالنظر الى هذه الحقائق الراهنة قلنا ان حق العرب هو ايقاظ المسلمين وارشادهم » ويقول معرضا فيمن يطالبون بحقوقهم السياسية من العرب في بلاد الدولة «هذا وإني لا أشك في عربية بعض المدعين الذين يظنون حقوق العرب عبارة عن وجود عضو منهم أو عضوين في الوزارة العثمانية وتوجيه بعض المناصب الى رجال منهم » فكأن عبيدالله افندي يرى أنه ليس للعرب حقوق سياسية بتة!! بل أن حقوقهم لاتتعدى ان يكون منهم واعظون ومرشدون ! فلتحمد العرب هذا الخادم الناصح فقد اشرع لهم طريق النجاح والفلاح !!! وليترنموا بقوله « ان العرب هم الحاكمون وان الترك هم الخادمون » فانه من لحن القول ولذيذ الاحلام !٠

حسين وصفي رضا

باب الأخبار والآراء

رحلة صاحب المنار الى القسطنطينية

(٢)

ذكرت في النبذة الاولى التي كتبتها لتنشر في (ج ١١ م ١٢) فنشرت في (ج ١٢ ص ٩٥٦) انني رحلت الى عاصمة الدولة للسعي في أمرين عظيمين : إنشاء معهد علمي اسلامي ، وحسن التفاهم بين عنصري الدولة الاكبرين العرب والترك ، وأشرت الى ماصادفته من الارتياح للعملين كليهما عند وزارة حسين حلمي باشا ولكن استقالت تلك الوزارة قبل ان يتم على يدها ماوعدتني به من المساعدة على إنشاء المعهد العلمي الاسلامي والعناية باللغة العربية وأهلها · وكنت أظن ان وزارة ابراهيم حقي باشا تنجز ما كانت عزمت عليه وزارة حسين حلمي باشا لوجود بعض أعضاء الوزارة الأولى في الثانية فكنت أراجع بعض هؤلاء الاعضاء فأسمع كلاما حسنا ووعودا جميلة وعناية شخصية بالدعوة الى الطعام والسمر كما لقيت من الصدر الأول ولكن طال الامر على ذلك فرأيت أن أرفع أمر المساعدة على إنشاء المعهد الاسلامي لتخريج المرشدين الى الصدر الاعظم رئيس هذه الوزارة ففعلت ووجدت ان عنايته بالمشروع ليست دون عناية سلفه بل أعظم · نعم قال لي ان ما كان من السعي على عهد الوزارة السابقة قد ذهب بذهابها وانه ينظر في ذلك من جديد ولكنه ماأرجأ ولا سوّف بعد ذلك بل أحالني على شيخ الاسلام وناظر المعارف ووعدني وعدا جازما بتنفيذ مايتفقان معي عليه وكنت قد مهدت السبيل الى ذلك امام هذين الركنين العظيمين

لعلوم الدين والدنيا في الدولة فلما لقيتهما بعد ان عهد إلي وإليهما الصدر الاعظم بالمذاكرة شرحت المشروع لكل منهما فصادفت منهما منتهى الاصغاء والارتياح

كنت ذكرت المشروع لمولانا شيخ الاسلام بالاجمال فاهتم به وقال لابد لنا من تخصيص ليلة للبحث التفصيلي فيه ثم انه دعاني الى الطعام والسمر عنده قبل ان يعهد اليه الصدر الأعظم بالبحث معي في المشروع ثم تكلما في ذلك واتفق أن قابلت الصدر يوم موعد دعوة الشيخ فأخبرني بما عهد اليه ـ وذكر ذلك بلفظ الرجاء ـ وكان الشيخ قد دعا في تلك الليلة خالص افندي وكيل الدرس في المشيخة ليشاركنا في البحث . والمراد بوكيل الدرس مدير المدارس الدينية الذي ينظر في شئونها بالوكالة عن شيخ الاسلام الذي هو الرئيس العام لهذا القسم ولغيره من اقسام باب المشيخة . وقد كان سبق لي الاجتماع بوكيل الدرس اكثر من مرة فرأيته في مقدمة علماء الترك علما وفضلا وهمة ومروءة وسعة اطلاع في الآداب العربية بل لم أر في علماء العاصمة مثله في هذا ولما لقيته للمرة الاولى قال لي بعد التحية والثناء في حضرته الغاصة بالعلماء : لانقول في مناركم كما قال ابو الطيب المتنبي

على لاحب لايهتدي بمناره

بل نقول ان مناركم يهتدي به العالم الاسلامي كله وقد ذكرت الآن ماتفضل به مولانا شيخ الاسلام عند مالقيته أول مرة في المنار، قال رفع الله منار العلم والدين على يده ولسانه : إنني أتمنى لو كان كل احد يعرف العربية ليقرأ المنار . ولسان الشيخ حفظه الله قد صقل اللغة العربية باقامته زمنا طويلا في بلاد اليمن ، وقد استنسخ منها كتبا نفيسة في العلوم الشرعية واللغة والتأريخ والادب لايوجد لها نظير في الآستانة ولا في مصر فضلا عما دونهما من الامصار، وله عناية عظيمة بنفائس الكتب فهو قد انفرد باطلاع لم يشاركه فيه احد ممن نعرف من علماء هذه البلاد ولا علماء مصر والشام

كان بدء سمرنا بالفكاهات الادبية ثم انتقلنا الى البحث في المشروع فشرحت لهما ولمن حضر السامر وسائله ومقاصده ، ومقدماته ونتائجه ، فرأيت الوجوه تندى تهللا، والاسارير تبرق بشرا وسرورا، ووافقني الشيخان حياهما الله تعالى، وزادهما إنصافا وكمالا ، علي كل رأي رأيته ، وكل اقتراح اقترحته ، حتى خروج مدرسة « دار

العلم والارشاد » من دائرة المدارس التي تحت رياستهما ، بحيث لاتكون تحت ادارتهما ولا مراقبتهما ، على أننا لانستغني في ذلك عن الاستضاءة برأيهما المنير ، والاستفادة من علمهما الغزير ، ولكن بصفاتهما الشخصية ، لا مكانتهما الرسمية ، ومن ثم وعدتهما باطلاع خالص افندي على نظام المدرسة الاداري وترتيب الدروس التي تقرأ فيها وعلى قانون الجمعية أيضا

وقد حدثني خالص افندي انه كان منذ سنين سمع من بعض فضلاء مسلمي روسية انني عازم على إنشاء هذه المدرسة الاسلامية العليا في مصر فسرَّ بذلك سرورا عظيما ولما سافر الى الحجاز في آخر زمن الاستبداد عرَّج على مصر واراد أن يزورني متنكرا ليتحدث معي في ذلك ولكنه بصر عن جنب بعين من عيون عبد الحميد « السلطان المخلوع » يتبعه أينما سار فكان هذا هو المانع له من الزيارة فهذه آية من آيات اغتباط هذا الاستاذ بهذا المشروع الذي هو خدمة عامة للاسلام والمسلمين تقوي رجاءنا في دوام مساعدته الثمينة له . واذكر له على سبيل الاستطراد خلقين آخرين من أعلا الاخلاق ولا سيما للعلماء وهما الإنصاف والشكر وآيتهما انني زرته مرة فرأيته ساخطا على ناظر الاوقاف خليل حماده باشا لتأخير اصلاح بعض المدارس التي يريد تنفيذ النظام الجديد للمدارس الدينية فيها ، فقلت له ان هذا الناظر محب للاصلاح ولا يرضيه هذ التأخير وانا ذاهب الآن لمراجعته في ذلك وأضمن على همته ان يأمر في الحال بانجاز العمل . وقمت من حضرته فركبت مركبة اوصلتني الى نظارة الاوقاف وذاكرت ذلك الناظر الحازم في ذلك فأمر من ساعته بالاسراع بانجاز إصلاح تلك المدارس وبلغ المشيخة ذلك . وانني لم أر خالص افندي بعد ذلك في مكان إلا وكان يشكر لي ذلك ويحدث به الناس قائلا ان فلانا قد ساعدني في مسألة المدارس مساعدة عظيمة ... وذكر هذا لمولانا شيخ الاسلام وغيره . فما أثمن وأجل مساعدة من كان متخلقا بهذه الاخلاق ومتصفا بهذه الآداب !

وممن اطلع على حقيقة المشروع من أركان المشيخة الاسلامية الشيخان الجليلان ومن اصحاب الدرجة العليا في علماء العاصمة ولا سيما علوم المعقول محمود أسعد

اسعد افندي ا[illegible] ومصطفى افندي مستشار المشيخة

افندي ناظر الدفتر الخاقاني واسماعيل حقي افندي المناسترلي وموسى كاظم افندي كلاهما من الاعيان والمدرسين في المكاتب العالية — كل واحد من هؤلاء الاساطين قد اقرَّ المشروع بل أعجب به كل الاعجاب فهو يعد من خير الاعوان والمساعدين عليه فان مشروعا دينيا كهذا المشروع لايمكن تنفيذه في عاصمة السلطنة والخلافة اذا كان رؤساء العلماء وأساطينهم معارضين له او غير راضين عنه

هؤلاء هم العلماء الاعلام الذين اسعدني التوفيق بلقائهم ومذاكرتهم في المشروع وصادفت عندهم من العناية والقبول فوق ما كنت اظن واكثرهم قد كلم ولاة الامور ورغبهم في إنفاذه في الوزارة السابقة والوزارة الحاضرة

وممن ساعدني في هذا العمل بجد و إخلاص الصديقان الفاضلان احمد نعيم بك بابان مدير المكاتب الرشدية بنظارة المعارف ويوسف ضياء بك في قلم الترجمة بنظارة الخارجية فهذا كان الترجمان بيني و بين الصدر الاعظم وغيره من الوزراء وله سعي آخر يشكر وان لم يذكر . واما احمد نعيم بك فمساعدته لا تقدر قيمتها ، ولايستغنى عنها بسواها ، وان ما يرجى منه في المستقبل من المساعدة على التأسيس لأجلّ واكبر مما كان في الماضي من المساعدة على التمهيد، فأسأل الله عز وجل ان يكافىء بكرمه وجوده جميع المساعدين ، و يوفقنا جميعا لخدمة الملة والدولة والدين ،

ما له حيلة سوى حيلة العا جز إما توسل أو دعاء

وانني ابشر قراء المنار في جميع ارجاء العالم الاسلامي بانه سيشرع في شهر ربيع الاول ، الذي ولد فيه المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم ، بتأسيس مدرسة (دار العلم والارشاد) العالية التي يتربى فيها المرشدون الذين يقفون نفوسهم على خدمة الدين من الطريق الذي يجمع بينه و بين العلم والمدنية الصحيحة ويدفع عنه الشبهات بحيث يجمع المسلمون بين حقوق الروح والجسد وحسنتي الدنيا والآخرة وربما تنشر في الجزء الآتي نظام هذه المدرسة العليا . واسرع الآن بذكر شيء منه:

يتربى ويتعلم في هذه المدرسة طائفة من الطلاب على نفقة المدرسة فهي تنفق عليهم لايكلفون طعاما ولاشرابا ، ولا لباسا ولا كتابا ، ومما يشترط فيهم أن يكون لهم المام باللغة العربية والنحو والفقه، وأن تكون سيرتهم حسنة في أخلاقهم

وآدابهم وعباداتهم . وسيكون من الشدة في المحافظة على الاخلاق والفضائل في المدرسة ان الكذب يكون موجبا للطرد منها . ويشترط فيها أيضا حفظ القرآن ولكن يتسامح في هذا الشرط الآن ويكون للمدرسة سنة تمهيدية لحفظ القرآن ولبعض العلوم والفنون التي تقرأ في المدارس الابتدائية . وادارة المدرسة هي التي تختار هذا القسم الداخلي من طلاب المدرسة وتفضل بعضهم على بعض بالامتحان

اللغة العربية في البلاد العثمانية

وأما مسألة العناية باللغة العربية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سعيت لها سعيها منذ قدمت دار السلطنة فقد بلغني من الثقات أن رئيس الوزارة الحاضرة ابراهيم حقي باشا يقدرها قدرها ، ووعد بأن يهتم بها وانني لم اوفق الى مذاكرته في ذلك بنفسي ولكنني ذاكرت غيره من أولي الشأن

وقد ذكرت جريدة العرب التي نشرت حديثا في العاصمة انه تقرر ان تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان وسمعت اكثر من واحد من الناس هنا يقولون ان هذا صحيح واستدل عليه بعضهم بوضع مبلغ من المال في ميزانية المعارف للسنة المالية القادمة لمعلمين للعربية وهو لا يدل عليه وانني متتبع لهذه المسألة وواقف على أطوارها فقد كانت النظارة تذاكرت في توظيف عشرة معلمين ثم في خمسة عشر معلماً للغة العربية ثم استقر الرأي على خمسة فقط سيعهد اليهم تعليم اللغة نفسها على اسهل الطرق الحديثة لصنفين من الناس احدهما بعض المرشحين للتعليم في المدارس وثانيهما بعض عمال الحكومة الذين يراد ارسالهم الى البلاد العربية لان الحكومة اقتنعت بان من لايعرف لغة قوم لا يستطيع ان يقيم العدل او النظام فيهم واكثر المرشحين لاعمالها من الترك الذين لايعرفون العربية فهي تريد أن تعلم هذه اللغة لمن تريد ان ترسلهم الى البلاد العربية . نعم ان في تعليم هذه اللغة لطائفة من المرشحين للتعليم في نظارة المعارف تمهيدا لتعليمها على وجهها وقد كان تعليمها مقررا رسميا من زمن الاستبداد ولكنه لم يكن ينفذ بل كان ولايزال يعهد إلى من لا علم لهم بهذه اللغة أن يكونوا مدرسين لها في مكاتب الدولة حتى في البلاد العربية فترى المعلم التركي او الارمني يعلم النحو العربي لابناء العرب باللغة التركية !!!

المدارس الدينية في الاستانة

تألفت في العام الماضي لجنة من العلماء للنظر والبحث في إصلاح التعليم في المدارس الدينية الاسلامية وقد رغب اليَّ الصدر الاعظم للوزارة الماضية أن أكون عضوا فيها وقال انه يكلم شيخ الاسلام في ذلك فاعتذرت لاسباب منها انني لم اكن اريد المكث في الآستانة اكثر من شهر . وقد أتمت هذه اللجنة عملها بهمة خالص افندي وكيل الدرس وكان من الاصلاح الجديد التوسع في اللغة العربية وفنونها وزيادة الفنون الرياضية والحكمة الطبيعية والتأريخ وتقويم البلدان . وقد سر أهل الآستانة سرورا عظيما بهذا الاصلاح . وقد احتفل بالشروع في هذا الاصلاح احتفالا حضره الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وكثير من العلماء والوزراء والاعيان والمبعوثين فنسأل الله تعالى ان يوفق لانفاذه على وجهه المؤدي الى احياء علوم الدين والدنيا

الاسطول العثماني (*)

بالذي اجراك يا ريح الخزامى … بلغي (البوسفور) عن (مصر) السلاما
واجمعي من كل روض زهرة … واجعليها لتحايانا كماما
وانشري رياك في ذاك الحمى … والثمي الارض اذا جئت (الاماما)
ملك للشرق في ايامه … همة الغرب نهوضا واعتزاما
أيها القائم بالامر لقد … قمت في الناس فأحسنت القياما
جرد الرأي فكم رأي اذا … سلّ في غمد النهى فلّ الحساما
وابعث (الاسطول) ترمي دونه … قوة الله وراء وأماما
يكلأ الشرق ويرعى بقعة … رفع الله بها (البيت الحراما)
وثغوراً هنّ أبهى منظرا … من ثغور الغيد يدين ابتساما
خصها الله بأفق مشرق … ضم في اللألاء (مصرا) و (الشآما)
حيّ يامشرق أسطول الاولى … ضربوا الدهر بسوط فاستقاما

*) انشدنا محمد حافظ افندي ابراهيم لنفسه هذه القصيدة في الليلة الموسيقية التي احييت برعاية رؤوف باشا المعتمد العثماني هنا وبرياسة الامير محمد علي حليم ليخصص ريعها للاسطول العثماني

ملكوا البر فلما لم يسع … مجدهم نالوا من البحر المراما
بجوار منشآت كالدمى … اينما سارت صبا البحر وهاما
كلما أوفت على أمواجه … سجد الموج خشوعا واحتشاما
كان بالبحر اليها ظمأ … وعجيب يشتكي البحر الأواما
فهي في السلم جوار تجتلى … تبهر العين رُواء ونظاما
وهي في الحرب قضاء سابح … يدع الحصن تلالا ورجاما
ما نجوم الرجم من ابراجها … اثر عفريت من الجن ترامى
من مراميها بأنكى موقعا … لا ولا أقوى مراسا وعُراما
وهي بركان اذا ما هاجها … هائج الشر عداء وخصاما
جبلَ النار لقد رعت الورى … أنت في حاليك لا ترعى ذماما
أنت في البر بلاء فاذا … ركب البحر غدا موتا زؤاما
فاتقوا الطود مكينا راسيا … واتقوا الطود اذا ما الطود عاما
حملت حربا فكانت حقبة … نذرًا للموت يجتاح الاناما
خافها العالم حتى أصبحت … رسلا تحمل أمنا وسلاما

***

بعث المشرق من مرقده … بعد حين ، جلّ من يحيي العظاما
ايها الشرقي شمر لا تنم … وانفض العجز فان الجد قاما
وامتط العزم جوادا للعلى … واجعل الحكمة للعزم زماما
واذا حاولت في الافق منى … فاركب البرق ولا ترض الغماما
لا تضق ذرعا بما قال العدى … رب ذي لب عن الحق تعامى
سابق الغربيَّ واسبق واعتصم … بالمروءات وبالبأس اعتصاما
جانب الاطماع وانهج نهجه … واجعل الرحمة والتقوى لزاما
طلبوا من علمهم أن يعجزوا … قادر الموت وأن يثنوا الحماما
وأرادوا منه أن يرفعهم … فوق هام الشهب في الغيب مقاما
« قتل الانسان ما أكفره » … طاول الخالق في الكون وسامى
أحرج الغيب الى أن بزّه … سرّه بزا ولم يخش انتقاما

قوة الرحمن زيدينا قوى   وافيضي في بني الشرق الوئاما
افرغي من كل صدر حقده   املأ التأريخ والدنيا كلاما
اسأل الله الذي الهمنا   خدمة الاوطان شيخا وغلاما
ان ارى في البحر والبر لنا   في الوغى انداد (توجو) و (أوياما)

﴿ كتاب النصائح الكافية، لمن يتولى معاوية ﴾

يلح علينا المتناظرون والمتعادون في هذا الكتاب من اهل سنغافوره وجاوه بأن نبدي رأينا فيه ويقولون في كتبهم الينا انهم ينتظرون ذلك عاجلا . وظن بعضهم أن ما كتب عنه على غلاف المجلة لنا وانه رأي غير صريح فطلبوا ماهو أصرح منه

وجوابنا للجميع أننا لم نجد فراغا نقرأ فيه الكتاب لنبدي رأينا فيه وانا قد سافرنا إلى دار السلطنة في أواخر رمضان لأجل خدمة الاسلام بما هو اجل وانفع من قراءة ذلك الكتاب وشغلنا بذلك عن كل شيء إلا كتابة مالا بد منه للمنار وان ذلك التقريظ أو الاعلان ليس لنا وانما هو كسائر الاعلانات التي تنشر على غلاف المجلة يكتبها مدير مكتبة المنار وانا ننصح للمختلفين أن يتقوا العداء واتباع الاهواء لاجل اختلاف الآراء، فتعادي المسلمين ذنب اكبر وأضر من جرح معاوية وتعديله وكنا تنسمنا أن سيكون لهذا التأليف فتنة عند ما أعلن المؤلف عزمه عليه بعد أن وقع الخلاف هنالك بينه وبين آخرين في لعن معاوية واستفتينا في المسألة فأفتينا بعدم اللعن ، فان المؤلف يومئذ كتب الينا يقول انه مخالف لنا فيما أفتينا به وانه سيبين رأيه في كتاب حافل يؤلفه ويطبعه . وأتذكر أنني كتبت اليه ان من رأيي أن لا يفعل ولكنني ما عاديته ولا أعاديه لانه خالفني في هذه المسألة وهو لايعاديني كذلك . وهذا هو الواجب على كل مسلم فقد نهينا عن التحاسد والتباغض والتدابر وأمرنا أن نكون اخوانا ، ولم يشترط المرشد الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الاوامر والنواهي أن نكون متفقين في كل مسألة لان هذا من المحال . فاتقوا الله أيها المسلمون في انفسكم وليعذر بعضكم من يخالفه وان جادله فليجادله بالتي هي احسن ولا يجعله اقل من اهل الكتاب الذين نهينا أن نجادلهم الا بالتي هي أحسن الا اذا ظلموا بالحرب والقتال ، ولا كلام لنا مع اهل السفه والطيش والضلال .

﴿ الى مشتركي المنار ﴾

كلمة شكوى

لقد رأينا من مطل كثير من المشتركين في السنين الاخيرة عجبا ! ولئن كان قولنا يشمل كل بلد فيه مشتركون للمنار فانه موجه بنوع خاص الى مشتركي القطر التونسي الا قليلا منهم ، والى معظم مشتركي الجزائر . هؤلاء واولئك نكتب لهم في المجلة التذكير تلو التذكير فلا يبالون ولا يتذكرون ! حتى اننا في الآونة الاخيرة وضعنا لهم فقرة دائمة على غلاف المجلة ! وكتبنا لهم كتابات خاصة فيها بيان لما عليهم فلم يحقق أحد منهم لنا أملا ! وما كنا نحسب أن قارئا يقرأ المنار وكله عظات ونذر وحث على التأسي بأسلافنا الكرام بأعمالهم — يسهل عليه ان يكون من أهل اللي والمطل ، والاعراض عن التذكير بأداء الحقوق !

اننا نعيذ أهل هذين القطرين أن يكونوا متعمدين لهذا السكوت الطويل الذي لم نستطع له تأويلا ، وحاشاهم أن يكونوا ممن يأكلون أموال الناس بالباطل وفيهم العلماء والقضاة والمحامون وكبار موظفي الحكومة ، وهؤلاء هم عنوان ارتقاء الامة وانموذج المجد فيها ، وانه ليسهل علينا ان نتلمس لهم في كل يوم عذرا دون أن نرميهم برجمات الظنون ، فعسى أن يكونوا عند حسن ظننا بهم وأن تكون هذه الفقرة أخرى كلمات الشكوى منهم ، وأن يكون مابعدها أولى كلمات الشكر لهم !

واننا لنأسف أن يصبح مشتركو روسيا ممن يشتكى منهم وهم الذين لم يذكروا في الماضي الا بالشكر والثناء ! فلقد مرت سنين ثلاث وكثيرون منهم لم يبعثوا الى ادارة المجلة بما عليهم ! هؤلاء هم الذين كنا نباهي بهم ونعد مسارعتهم الى اداء الحقوق عنوانا على احتفاظهم بكثير من الفضائل الاسلامية ، ولقد يعز علينا أن يتزلزل اعتقادنا فيهم فاننا بتنا في حيرة من امرهم ولا سيما بعد أن كتبنا لهم تذكيرا في جريدة « وقت » التي تصدر في اورنبورغ مرتين فلم يزد ذلك اكثرهم الا اعراضا وتصاما !

وكذلك كانت الحال مع مشتركي جنوبي إفريقية والبرازيل والصين و بلاد فارس وفريق من مشتركي جاوة والهند وسنغافورة فلقد كتبنا اليهم مذكرين مبينين لهم ما عليهم فلم تنفع الذكرى الا الاقلين منهم !

ثم ما بال مشتركي السودان ارتضوا لأنفسهم في العهد الاخير ما كنا نجلهم عنه ؟ فلقد كانوا من أفضل المشتركين وفاء ، وأحسنهم اداء ، حتى اننا في السنين الماضية ما كنا نبعث لأحد منهم بتذكير خاص ، بل كان من عادهم المبادرة الى الارسال في اول شهر من شهور السنة ، وكنا نعد من جملة الشواغل الكثيرة في المحرم التوقيع على حوالات مشتركي السودان ! ولكنهم في هذا العام وفي العام الماضي خالفوا سنتهم المحمودة ، فبعثنا اليهم بمكتوبات خاصة مطالبين لهم بما عليهم فلم يستجب لنا الا القليلون !

اما مشتركو مصر فما زلنا نحمدهم على اعتدالهم فلقد كانوا ولا يزالون على وتيرة واحدة : يتذكرون اذا ذكروا ، ويعطون اذا طولبوا ، ولكننا نشكو من بعضهم ومن أهل الأقاليم ولا سيما مشتركي الوجه القبلي ومديريتي البحيرة والشرقية ومحافظات دمياط والسويس وبورسعيد ، فلقد مرت سنوات وهم لم يؤدوا الى المجلة حقا ! فعسى ان يكون لهم اسوة حسنة بأهل العاصمتين مصر والاسكندرية

واما مشتركو سورية وفلسطين فهم من احسن الناس وفاء ، واننا نشكر لوكلاء مدنهما الكملة فانهم قد خدموا المنار أجلّ خدمة وعسى أن يكون مشتركو بيروت وطرابلس الشام وحصن الاكراد و بغداد وجبل عامل ادوا ما عليهم للوكلاء ، ومن ليس لديهم وكلاء فليبعثوا الينا بما عليهم مباشرة فنكون لهم من الشاكرين

هذا وان في كل ما ذكرناه من البلاد ناسا سباقين الى الخيرات يبعثون بقيمة اشتراك كل سنة قبل دخولها ، فإلى هؤلاء نوجه عاطر الثناء ، ونخصهم بالتقريظ والاطراء

حسين وصفي رضا

(التأريخ الهجري الشمسي) طبعت الكراسة الاولى من هذا الجزء وبقي فيها هذا التأريخ على ما كان عليه خطأ لأن سنة ١٢٨٥ تصرمت ودخلت سنة ١٢٨٦

الفصل السابع عشر (*)

(بين روح وروح)

أو

(بدء الوحي)

في « حِراء » حدثت الحادثة الاولى من التأريخ الجديد الذي سنرى فيه بعل السيدة « خديجة » فائقا فواقا عظيما مدهشا : وهذه الحادثة العظمى التي هي مبدأ هذا التأريخ هي أن روح محمد (صلى الله عليه وسلم) اجتمع هناك في « حِراء » بروح غير بشري وأبلغه هذا الروح الغريب رسالة شأنها عظيم

نحن في الفصل السابق ذكرنا من أمر الروح ما فيه كفاية ، ذكرنا فيه ما لعل القارىء ينشرح به صدره الى القول بوجود موجودات ذات حياة على أنواع شتى ولا يشترط في بعضها أن تكون لها أشباح كالأشباح البشرية . وهذا قد سبقنا البشر كلهم الى القول به ولم يشذ عنه الا قليل وهم كلهم قائلون ان بين الروح الذي هو انسان وبين الارواح الاخرى اتصالات ، فأنا كاتب هذه السطور لست بمبتدع خبرا ليس له مثال بذكر هذه الحادثة التي قد يراها غريبة من يحبون التباعد عن الروحيات ،

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٤ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة

ومن يؤمنون بها احيانا ويكفرون بها أحيانا من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون

هذه حادثة عظيمة في السيرة التي نحن آخذون بتحريرها ، ونحن مقتنعون بوقوعها، ولا يدعونا الى استماع هواجس المنكر الا الحرص على القيام بحسن المرافقة . فان كان المنكر ينكر عالم الروح من حيث هو فالحق أنّ حيلتنا البيانية معه قليلة ، ولكني اظن أنّ محادثتنا اياه بهذه المسألة في الفصل السابق قد تجديه . وان كان ينكر العلاقة بين الروح الذي هو الانسان والأرواح الأخرى فليس لنا ما نتوسط به الى ابلاغه هذا المشهد غير نفسه ، فليرجع اليها كثيراً وليدقق في حديثها جيدا . وان كان ينكر صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في تحديثه بهذه الحادثة مع أنه لا ينكر وقوع مثلها لغيره فالخطب في مذاكرته سهل

كان «محمد» صادقا شديد الحرص على الصدق واشتهر منذ حداثته بلقب « الامين » ، قد عرفنا صدقه كما عرف الناس شجاعة أناس من الشجعان ، وكرم أفراد من الكرماء ، وعلم جماعة من العلماء ، وكما عرف بنو اسرائيل صدق الانسان موسى الذي كان قد سمع الكلام الالهي ، وظهرت له الارواح العلوية ، وكما عرف النصارى صدق الانسان عيسى الذي كان روحا من الله ، وكما عرفوا صدق تلاميذه وأنصاره الذين حكوا حكايته وبثوا بشارته

هذا الصادق الامين رجع ذات يوم من حراء منتقع اللون ، مرتجف الصدر ، يعلوه اضطراب الوجل الحائر ، وخشوع المخبت الصابر ، فما وقع نظر السيدة « خديجة » عليه حتى عرفت أن أمراً عظيما قد ألمّ به .

تخفق لأول وهلة قلبها ، وساءلت بسرعة البرق نفسها : ماذا أصاب حبيبي؟ ماخطب ذلك القلب الذي لا تفزعه الرجال ، ولا تجزعه الاهوال؟ مابال ذلك الصدر المبسوط تثنيه الرجفات ، وما بال ذلك الطرف القرير تكاد تبادره العبرات؟ رباه! رباه! ماذا اصاب حبيبي؟ قل لي أيها الحبيب ما ذا أصابك؟ حنانيك قل لي! قل لي!

— دثروني . دثروني

— لاصبر لي عن معرفة الامر الآن فقصه عليّ

— بينا أنا في حراء اذ جاءني روح فقال لي اقرأ قلت له «ما أنا بقارىء» فأخذني وغطني غطة (*) وقال لي « اقرأ» قلت « ما أنا بقارىء » ثم غطني الثانية وقال لي اقرأ فقلت « ما أنا بقارىء » . قال لي : « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم * »

— ألم تسأله من أنت ، ومن جاء بك ، وماذا تريد مني؟

— سمعته يقول أنا جبريل جئت ابلغك رسالة ربك

* * *

هذه هي الاولى من الكلمات التي سمعها محمد (صلى الله عليه وسلم) من ذلك الروح الذي ظهر له باسم جبريل وهو من النوع المسمى ملائكة والآن قد فتح لصاحب « حراء» بابان: باب حيرة جديدة وباب هدى، فأما الحيرة فظاهرة يكاد يراها كل من سمع هذه الحادثة فان ظهور الارواح غير البشرية لافراد النوع الانساني ليس من المألوف ، فاذا صادف أحد

(*) ضمني بشدة وضغط

الافراد شيئا من هذا القبيل لا يقوى طبعه البشري لأول وهلة على تحمل مواجهته والانس به . كل واحد منا يعرف هذا من مفاجأة الامور التي لم تكن تخطر في باله مع أنها من الامور التي تهم كثيراً فكيف الحال بالامور التي وقوعها نادر الى حد أن بعض الناس لا يصدق بوقوعها

انه ليخيل الينا أن صاحب «حراء» قد دهش لما سمع صوت ذلك الروح يناديه «اقرأ»، يخيل الينا أنه قال في نفسه : رباه ماهذا الذي اسمع ؟ رباه ليس ههنا من بشر فهل يتكلم غير البشر ؟ رباه ماذا يراد بي ؟ انني أعلم أني في يقظة لا في منام، وانني اسمع كلاما لا ريب فيه، وانني أحس بضاغط يضغطني ولا عهد لي بمثل هذا من قبل ! . رباه ان هذا أمر يدهش فكن اللهم عوني، وخذ بيدي ، وثبت فؤادي ، وقوّني على مواجهته اذا عاودني .

ثم انه ليخيل الينا أن المفاجأ بذلك الروح هكذا كان يتناجى في نفسه ويناجي ربه بمثل هذه الكلمات وهو ذاهب الى خديجة فلما لقيها قال «دثروني دثروني» . واختصر لها الحديث اختصاراً

دثرته «خديجة» وجعل العرق يتصبب منه . وقد عاوده الروح بعد ذلك . وقال له «يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * »

***

ان من يفاجأ بمثل هذا جدير بالحيرة وهذا ما أشرنا اليه هنا ولكن مع هذه المفاجأة قد أونس باسم ربه فكان هذا الاسم الجليل حريّاً ان يكون دواء شافيا من تلك الحيرة وكافيا أن يفتح باب الهدى والطمأنينة

الروح «جبريل» يقول له أنا من عند ربك ، جئت أبلغك رسالته ، جئت ألقي عليك وحيا من عنده ، وفي هذا الوحي الذي جاءه به مفتاح لتلك المغالق التي اشرنا اليها آنفا التي كانت تقف أمامه دائما .. في هذا الوحي مبدأ ارشاد وتعريف له بربه خالق الانسان ، في هذا الوحي اهابة بفكره لتناول معارف عليا ، وتعاليم عظمى ، في حقائق الوجود

كانت الحيرة تردفها الحيرة . وأما هذه الحيرة فان الهدى يردفها لأن العناية الالهية ظهرت أتم ظهور ، والعطاء الرباني سلّم جليا لتلك اليد التي كانت مرفوعة في « حراء » تلقاء السماء

وكان أول معراج عرج بصاحب هذه اليد عليه الى تلك الحضرات القدسية هو اعلامه علم اليقين بأرواح عالية تتكلم هي غير الارواح الانسانية الحالة في هذه الصور البشرية وذلك بجعل واحد من هذه الارواح واسطة بينه وبين مفيض الحياة والعلم والارادة

هذه عناية كبيرة جدا لم يرو التأريخ وقوع مثلها الا لقليلين : منهم النبي ابراهيم ، والنبي موسى ، والنبي عيسى (عليهم السلام)

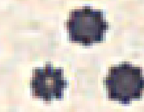
يقول له الروح «جبريل» «اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق» فهذا القول العربي الجليل يصور له من النشأة المادية في خلق الانسان صورة يتجلى فيها عظيم قدرة البارىء المصور ، وعظيم ضعف هذه الصورة البشرية لولا روح الله الممد لها

يقول له الروح « جبريل» « اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم » وهذا القول المجيد يصور له من النشأة الروحية في كون الانسان صورة يدهش الالباب فيها عظيم صنع الله في ترقية

الانسان بواسطة قصبة لا يؤبه لها لدى النظر . نعم بواسطة قصبة نعني بها القلم كان الرقي العظيم العقلي لهذا الكائن الذي خصت العناية الازليه نوعه بمزيد خصائص

وغريب في الامر أن المواجه بهذا الخطاب لم يكن من اليراعة بل كان أميا لا يعرف القراءة ولا الخط بالقلم فما معنى أن يكون أول وحي يوحي اليه هو الامر بالقراءة والتنويه بالقلم

لا بدع . لا بدع . ان معنى ذلك هو تكرم الله عز وجل على البشر باعطائهم آية أخرى يفقهون بها أنه قادر أن يعلم من لدنه بغير ما عرفوا من الوسائط من شاء ما شاء إذا شاء . وأن يجعل غير القارىء قارئا ولكن يقرئه بالروح صحفا ربانية قد أنزلها الله على قلوب البشر بأساليب شتى أجلها وأعلاها هذا الاسلوب



ما أجل هذه العناية وما أجدر « خديجة » بالسرور الذي ليس فوقه بها ولكن هل عرفت هذا السر الرباني تماما ؟ نعم كان قلبها القوي خليقا أن لا يفزع أمام هذه الحادثة التي هي غريبة في ظاهرها بيد أنها كانت محتاجة أن تطرق تفسير هذا السر وهذا المظهر الجديد من أبوابه



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر الاحد ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٨ـ ١٠ ابريل (نيسان) ١٢٨٦هـ ١٩١٠م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٢٣ : ٢٨) وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ، كِتَٰبَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ، فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤ : ٢٩) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَٰتِ الْمُؤْمِنَٰتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ مِنْ فَتَيَٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَٰتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ،

فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ، فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَٰتِ مِنَ الْعَذَابِ ، ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

في هاتين الآيتين بيان بقية مايحرم من نكاح النساء وحل ماعداه وحكم نكاح الإماء وما فصلناهما عما قبلهما الا لأن من قسموا القرآن الى ثلاثين جزءا جعلوهما في أول الجزء الخامس وقدراعوا في هذا التقسيم المقادير من اللفظ دون المعنى وكان المناسب للمعنى أن يجعلوا أول الجزء الخامس قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » كما هو ظاهر

فقوله تعالى ﴿ والمحصنات من النساء ﴾ عطف على ما قبله من المحرمات أي وحرمت عليكم المحصنات من النساء ان تنكحوهن . والمحصنات جمع محصنة بفتح الصاد اسم مفعول من « أحصن » عند جميع القراء وروي عن الكسائي كسرها في غير هذا الموضع فقط وقيل لايصح الفتح عنه . والإحصان من الحصن وهو المكان المنيع المحمي ففيه معنى المنع الشديد ويقال حصنت المرأة (بضم الصاد) حِصنا وحصانة اي عفّت فهي حاصن وحاصنة وحصان وحصناء (بالفتح فيهما) قال الشاعر :

حَصان رَزان ماتُزَنّ بريبة   وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

ويقال أحصنت المرأة اذا تزوجت لانها تكون في حصن الرجل وحمايته ويقال احصنها أهلها إذا زوجوها ومن شأن المتزوجة أن تحصن نفسها فتكتفي بزوجها عن التطلع الى الرجال لاجل حاجة الطبيعة وتحصن زوجها عن التطلع الى غيرها من النساء فعلى المرأة المعول في الإحصان حتى قيل ان لفظ المحصنة (بفتح الصاد) اسم فاعل نطقت به العرب على خلاف عادتها فقد روي عن ابن الاعرابي أنه قال « كل أفعل اسم فاعله بالكسر الا ثلاثة احرف : أحصن ، وألفج اذا ذهب ماله ، واسهب اذا كثر كلامه » وروي مثله عن الازهري . وعن ثعلب ان المرأة

العفيفة يقال لها محصنة (بفتح الصاد) ومحصنة (بكسرها) وأما المرأة المتزوجة فيقال لها محصنة بالفتح لاغير . وجماهير السلف والخلف ومنهم ائمة الفقه المشهورون على أن المراد بالمحصنات هنا المتزوجات ، وقيل هن الحرائر وقيل عام في الحرائر والعفائف والمتزوجات . وقد يقال هن الحرائر المتزوجات وسيأتي عن الاستاذ الامام مايرجحه . ولماذا قال « من النساء » وصيغة الجمع مغنية عن هذا القيد ؟ قال بعضهم النكتة في ذلك تأكيد العموم ولم يروقوله كافيا وافيا وصرح بعضهم بغموض النكتة في ذلك . قال الاستاذ الامام : قد استشكل ذلك المفسرون حتى روي عن مجاهد انه قال : لوكنت اعلم من يفسرها لي لضربت اليه أكباد الإبل ، اي لسافر اليه وان بعد مكانه . وعندي ان هذا القيد يكاد يكون بديهيا فان لفظ المحصنات قد يراد به العفيفات اوالمسلمات فلو لم يقل هنا « من النساء » لتوهم أن المحصنات انما يحرم نكاحهن اذا كن مسلمات فأفاد هذا القيد العموم والإطلاق أي ان عقد الزوجية محترم مطلقا لافرق فيه بين المؤمنات والكافرات والحرائر والمملوكات فيحرم تزوج أية امرأة في عصمة رجل وحصنه

واما قوله تعالى ﴿ الا ماملكت أيمانكم ﴾ فالجمهور على انه استثناء من المحصنات اي الا ما سبيتم منهن في حرب دينية تدافعون فيها عن حقيقتكم ، او تؤمّنون بها دعوة دينكم ، ورأيتم من المصلحة ان لاتعاد السبايا الى ازواجهن الكفار في دار الحرب فعند ذلك ينحل عقد زوجيتهن ويكنّ حلالا لكم بالشروط المعروفة في الشريعة فقد روى مسلم من حديث ابي سعيد الخدري (رض) انه كان سبب نزول هذه الآية تحرّج الصحابة من الاستمتاع بسبايا (أوطاس) واخرج الحديث ايضا أحمد وأصحاب السنن وفي هذه الروايات التصريح باشتراط الاستبراء بوضع الحامل حملها ، وحيض غيرها ثم طهرها ، وقدصرح بعض العلماء كالحنفية وبعض الحنابلة بأن من سبي معها زوجها لاتحل لغيره فاعتبروا في الحل اختلاف الدار دار الاسلام ودار الحرب . وبعضهم يقول ان اختلاف الدار لادخل له في حل السبايا وإنما سببه أن من سبيت دون زوجها فانها إنما تحل للسابي بعد استبراء رحمها للشك في حياة زوجها أي وعدم الطمع في لحوقه بها إن فرض أنه بقي حيا إلا على سبيل

الندور الذي لاحكم له . وهذا ينطبق على الحكمة العامة في حل الاستمتاع بالمملوكات وهي انه لما كان الشأن الغالب ان يقتل بعض ازواجهن ويفر بعضهم الآخر حتى لايعود الى بلاد المسلمين وكان من الواجب على المسلمين كفالة هؤلاء السبايا بالانفاق عليهن ومنعهن من الفسق كان من المصلحة لهن وللهيئة الاجتماعية ان يكون لكل واحدة منهن أو أكثر كافل يكفيها همَّ الرزق و بذل العرض لكل طالب ولا يخفى مافي هذا الاخير من الشقاء على النساء . فان قيل اليس الخير لهن ان يرجعن الى بلادهن فمن كان زوجها حيا عادت اليه ومن كان زوجها مفقودا تزوجت غيره أو كان شر فسقها على قومها ؟ نقول ان الاسلام مافرض السبي ولا اوجبه ولا حرمه أيضا لانه قد يكون فيه المصلحة حتى للسبايا انفسهن في بعض الاوقات والاحوال ومنها ان تستأصل الحرب جميع الرجال من قبيلة محدودة العدد مثلا . فان رأى المسلمون ان الخير والمصلحة في بعض الأحوال ان تردَّ السبايا الى قومهن جاز لهم ذلك او وجب عملا بقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد . وكل هذا اذا كانت الحرب دينية كما قيدنا فان كانت الحرب لمطامع الدنيا وحظوظ الملوك فلا يباح فيها السبي . وقد نبه على ذلك الاستاذ الامام وهذه عبارته في تفسير الآية :

المحصنات المتزوجات وما ملكت الايمان بالسبي في حرب دينية وأزواجهن كفار في دار الحرب ينفسخ نكاحهن ويحل الاستمتاع بهن بعد الاستبراء . فاذا قيل ان ما ملكت الايمان يشمل المملوكة المتزوجة في دار الاسلام وهي محرمة على سيدها ان يفترشها بالاجماع ؛ فالجواب ان العموم هنا مخصوص بالمسبيات وسكت عن المملوكات المتزوجات لأن التزوج بالمملوكات خلاف الاصل وهو مكروه في الشرع والذوق والعقل فهو كالتنبيه الى انه لاينبغي أن يكون ولذلك شدد فيه كما يأتي ويزاد على هذا انه أمر لم يكن معروفا عند التنزيل . اه

أقول والذي تبادر الى فهمي أن المراد بملكت ايمانكم هنا نشوء الملك وحدوثه على الزوجية لأن الفعل الماضي في مقام التشريع لا يراد به الاخبار وانما يراد به الانشاء فالمعنى وحرمت عليكم المحصنات أي المتزوجات الا من طرأ عليهن الملك وانما يطرأ الملك على المتزوجة بالسبي بشرطه الذي أشرنا اليه وأما المملوكة التي زوجها سيدها

فالزواج فيها هو الذي طرأ على الملك بجعل المالك ماله من حق الاستمتاع للزوج . فاذا أخرجها المالك الذي زوجها من ملكه بنحو بيع أو هبة كان بائعا أو واهبا مايملكه وهو ماعدا الاستمتاع الذي صار حق الزوج . وروي عن بعض الصحابة ومنهم ابن مسعود أن الملك الجديد يبطل نكاحها فتطلق على زوجها وتحل لمالكها الجديد عملا بعموم الآية . ويقال إن عليه جمهور الامامية ولولا مااختاره الاستاذ الامام من عدم الاعتداد بزواج الامة حتى كأنه غير موجود وما بيناه من كون البائع أو الواهب إنما باع أو وهب مايملك لكان هذا القول أرجح من مذهب جمهور أهل السنة الا من قال ان المحصنات هنا يعم ذوات الازواج والعفيفات والحرائر ، وملك اليمين يعم ملك الاستمتاع بالنكاح والاستمتاع بالتسري ، والمعنى حينئذ : وحرمت عليكم كل أجنبية الا بعقد النكاح وهو ملك الاستمتاع أو بملك اليمين الذي يتبعه حل الاستمتاع . وروي هذا عن سعيد بن جبير وعطاء والسدي من مفسري التابعين وفقهائهم وعن بعض الصحابة أيضا واختاره مالك في الموطأ وفيه من التكلف ماترى وأما اذا كانت الامَة المتزوجة كافرة وسباها المسلمون بالشروط المتقدمة فبطلان نكاحها بالسبي أولى من بطلان نكاح الحرة به

ثم قال تعالى ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ أي كتب الله عليكم تحريم هذه الانواع من النساء كتابا مؤكدا أي فرضه فرضا ثابتا محكما لاهوادة فيه لان مصلحتكم فيه ثابتة لاتتغير وسيأتي بيان ذلك في تفسير قوله تعالى « يريد الله ليبين لكم »

﴿ وأحل لكم ماوراء ذلكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «وأحل» بضم الهمزة بالبناء للمفعول وهو المناسب في المقابلة لقوله « حُرمت عليكم أمهاتكم » فيكون معطوفا عليه كما قال الزمخشري ، وقرأه الباقون بفتح الهمزة على البناء للفاعل فجعله الزمخشري معطوفا على « كتب » المقدرة الناصبة لقوله « كتاب الله » ترجيحا لجانب اللفظ ولا مانع من عطفه على « حرمت » ومن المعلوم بالبداهة أن المحرم هناك هو المحِل هنا وهو الله عز وجل . والمراد بما وراء ذلكم المبين تحريمه هو مالا يتناوله بلفظه ولا فحواه ، فهو لكونه لايدخل فيه بنص ظاهر ، ولا قياس واضح ، جعل وراءه

خارجا عن محيط مدلوله وإفادته ، فالجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ليس وراءه كما اشرنا الى ذلك عند تفسير « وأن تجمعوا بين الأختين » وكذلك كون محرمات الرضاع سببا كمحرمات النسب

الاستاذ الامام : ذكر فيما مر أكثر المحرمات من النساء وبقي من المحرمات بالرضاعة غير الامهات والاخوات ومثل الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وقد قال انه أحل لنا ماوراء ذلك فربما يقال انه يدخل فيه ما ذكر آنفا ونحوه من المحرم إجماعا أو بنصوص أخرى كالمطلقة ثلاثا والمشركة والمرتدة ! والجواب ان بعض ما ذكر يؤخذ مما تقدم فان الله تعالى قد ذكر من كل صنف من المحرمات بعضه فدخل في الامهات الجدات وفي البنات بنات الاولاد الخ وبعضها يؤخذ من آيات أخرى كتحريم المشركات والمطلقة ثلاثا على مطلقها في سورة البقرة . وقد يقال ان ماذكر هنا من المحرمات مجمل بينته السنة والسر في النص على ما ذكر انه كان واقعا شائعا في الجاهلية فهو يعلمنا بالنص على الواقع ان لانتعرض الا للامور الوجودية وان الامور المفروضة والمتخيلة لاينبغي الالتفات لها ولا الاشتغال بها

وأقول ان هذا القول ينظر الى ماتقدم عن ابن جرير في تفسير « ولاتنكحوا مانكح آباؤكم » فيكون مابعد هذه الآية من التفصيل بيانا لها في التحريم والتحليل فلا يدخل فيه ماحرم لسبب آخر كتحريم المشركة . وسواء كان ماذكر شائعا في في الجاهلية أم لا فقد بين الله تعالى لنا ههنا جميع مايحرم علينا من انواع القرابة والرضاعة والصهر وهو مانحتاج اليه لذاته في كل زمان ومكان ولما قال بعد ذلك « وأحل لكم ماوراء ذلكم » فهم منه انه يحل من هذه الانواع كل مالايتناوله لفظ المحرمات بنص أو دلالة كبنات العم والخال وبنات العمة والخالة الخ ولا يدخل في عمومه حل ماحرم في نصوص أخرى لسبب عارض يزول بزواله كنكاح المشركة والزانية والمرتدة . مثال ذلك أن تقول للمتعلم عند ماتقرأ له كتاب الطهارة لاتلبس ثوبا متنجسا ثم تقول له عند قراءة كتاب اللباس لاتلبس الحرير ولا المنسوج بالذهب أو الفضة والبس كل ماعداهما من الثياب فلا حرج عليك فيها . فهل تدخل في عموم هذا القول الثوب المتنجس ؟ كلا . ان اللفظ العام يتناول كل مايسمح له السياق والمقام

أن يتناوله فاذا كان السياق في نوع له جنس أو أجناس بعضها أعلى من بعض فلا يفهم أحد من أهل اللغة خروج العام عن سياق النوع وتناوله جميع افراد الجنس السافل اوالعالي لذلك النوع فاذا قال صاحب البستان للفعلة الذين يقطعون الاشجار غير المثمرة لتكون خشبا لاتقطعوا الشجر الصغير واقطعوا كل ماعداه من الاشجار الكبيرة فانهم يفهمون ان مراده من الكلية افراد ذلك النوع من الشجر الكبير لاجنس الشجر الكبير الذي يعم المثمر . ومثل الثياب الذي اوردناه آنفا اشبه بما نحن فيه

وقوله تعالى ﴿ أن تبتغوا بأموالكم ﴾ معناه احل لكم ماوراء ذلكم لاجل أن تبتغوه او ارادة أن تبتغوه أي تطلبوه بأموالكم اوالمعنى أحله لكم أن تبتغوه أي أحل لكم طلبه باموالكم تدفعونها مهرا للزوجة قبل أو ثمنا للامة وهو يقتضي انه يجب قصد إحصان الامة كما يجب قصد إحصان الزوجة لقوله ﴿ محصنين غيرمسافحين ﴾ فان الحال قيد للعامل وحذف مفعول محصنين ليفيد العموم اي محصنين أنفسكم ومن تطلبونها بمالكم باستغناء كل منكما بالآخر عن طلب الاستمتاع المحرم فان الفطرة تسوق كل ذكر بداعية النسل الى الاتصال بانثى وكل انثى الى الاتصال بذكر ليزدوجا وينتجا والإحصان عبارة عن الاختصاص الذي يمنع هذه الداعية الفطرية أن تذهب كل مذهب فيتصل كل ذكر بأية امرأة واتته وكل امرأة بأي رجل واتاها بأن يكون غرض كل منهما المشاركة في سفح الماء الذي تفرزه الفطرة لإيثار اللذة على المصلحة فان مصلحة البشر ان تكون هذه الداعية الفطرية سائقة لكل فرد من أفراد احد الجنسين لأن يعيش مع فرد من الجنس الآخر عيشة الاختصاص لتكوّن بذلك البيوت ويتعاون الزوجان على تربية أولادهما . فاذا انتفى قصد هذا الإحصان انحصرت طاعة الداعية الفطرية في قصد سفح الماء وذلك هو الفساد العام الذي لاتنحصر مصائبه في مجموع الامة . وهذه أمة فرنسا قد قلّ فيها النكاح وكثر السفاح بضعف الدين في عاصمتها (باريس) وامهات مدنها فقلّ نسلها ووقف نماؤها وفتك النساء ومسن الرجال وضعفت الدولة فصارت دون خصمها

حتى اضطرت الى الاعتزاز بمحالفة دولة مضادة لها في شكل حكومتها ومدنيتها وهي الدولة الروسية ولولا الثروة الواسعة والعلوم الزاخرة والسياسة المبنية على اصول علم الاجتماع والعمران لأسرع اليها الهلاك كما أسرع الى الامم التي كثر مترفوها ففسقوا فيها فحق عليها القول الثابت في سنة الاجتماع فدمرها الله تدميرا ، وما اراها الا أول دولة تسقط في اوربا اذا ظل هذا الكفر والفسق على هذا النماء فيها

وقد خص بعض المفسرين قصد الاحصان بالرجال وخصه الاستاذ الامام بالنساء فقال معناه ان يقصد الرجل إحصان المرأة وحفظها أن ينالها أحد سواه ليكنَّ عفيفات طاهرات ولا يكون التزوج لمجرد التمتع وسفح الماء واراقته وهو يدل على بطلان النكاح الموقت وهو نكاح المتعة الذي يشترط فيه الاجل اه وقد علمت أن اللفظ يفيد العموم وهو الذي تقتضيه الحكمة وتتم به المصلحة وانما بين الاستاذ ماقصر فيه غيره من المفسرين . ومعلوم ان الاحصان إنما يكون باعطاء المرأة حقها من الاستمتاع فيجب ذلك على الرجل ولا يحل له تعمد التقصير فيه ولا سيما اذا كان سبب ذلك الفسق فان في ذلك إفساد البيوت الذي يترتب عليه إفساد الامة. والفقهاء يقولون إنه لايجب عليه لمملوكته مايجب عليه من ذلك لزوجته وهم متفقون على انه يجب عليه منعها من الزنا فهل يكفي هذا المنع في إحصان الامَة دون إحصان الزوجة أم يقولون ان شراء الاماء لاجل الاستمتاع لايدخل في مفهوم قوله تعالى «وأحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين »، والا فكيف يصح قولهم ويكون موافقا للنص ومنطبقا على حكمة الشرع ؟؟

الحق: ان الاسترقاق فيه مفاسد كثيرة وهو مناف لمحاسن الاسلام وحكمه العالية ولكنه قد كان مما عمت به البلوى بين الامم فلذلك لم يمنعه منعا باتا ولكنه خفف مصائبه ومهد السبل لمنعه حتى اذا جاء وقت تقتضي فيه المصلحة العامة منعه مع عدم وجود مفسدة تعارض المنع وترجح عليه كان لأولي الامر منعه فإن المصلحة أصل في الاحكام السياسية والمدنية يرجع اليه في غير تحليل المحرمات أو إبطال الواجبات. وقد علمت ان محل اباحة الاسترقاق الحرب الدينية التي يحاربنا فيها الكفار ونحاربهم لاجل ديننا كمنعنا من الدعوة اليه أو إقامة شعائره وأحكامه وقد خير الله

تعالى أولي الامر منا في أسرى هذه الحرب بقوله (٤٧ : ٤ فاما منًّا بعدُ وإما فداء) اي فإما ان تمنوا عليهم وتطلقوهم فضلا وإحسانا وإما أن تأخذوا منهم فداء (حتى تضع الحرب اوزارها) قال البيضاوي اي آلاتها وأثقالها التي لاتقوم الا بها كالسلاح والكراع اي حتى تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم اه والمسالم من لايحارب المسلمين لاجل دينهم . فاذا جاز لنا ان نمنَّ على الاسرى من الرجال المحاربين الذين يخشى ان يعودوا الى حربنا افلايجوز لنا أن نمن على النساء اللاتي لاضرر من إطلاقهن وقد يكون الضرر في استرقاقهن؟ وناهيك بالتنفير عن الاسلام ، وتأريث الفتن بين اهله وسائر الاقوام، فان ضرره في هذا الزمان فوق كل ضرر، ومفسدته شر من كل مفسدة

هذا ولا بد من التنبيه هنا الى مسألة يجهلها العوام ، وقد سكت عن بيان الحق فيها جماهير العلماء الاعلام ، ومرت على ذلك القرون لا الأعوام ، وقد سبق التنبيه اليها من قبل في المنار ، وهي ان الاسترقاق الشائع المعروف في هذا العصر او العصور غير شرعي سواء ما كان منه في بلاد السودان وما كان في بلاد البيض كبنات الشراكسة اللواتي كنَّ يُبعن في الآستانة جهرا قبل الدستور وكلهنَّ حرائر من بنات المسلمين الاحرار ومع هذا كنت ترى العلماء ساكتين عن بيعهن والاستمتاع بهن بغير عقد النكاح وذلك من اعظم المنكرات حتى لو سألت الفقيه عن حكم المسألة بعد شرحها له لأفتاك بأن هذا الاسترقاق محرم إجماعا وربما قال لك وإن مستحل ذلك يكفر لأنه لايعذر بالجهل وعلل ذلك بما يعللون به مثله وهو انه مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة .

وقد ذكرت هذه المسألة لاحد اهل الآستانة وأنا أكتب هذا وسألته هل بقي لهذا الرقيق الباطل أثر هنا بعد الدستور ؟ فقال نعم ولكنه خفي وغير رسمي ويقال انه يوجد في الحجاز أيضا ، وماذا يمكن ان نعمل وراء بيان حرمة هذا العمل وبراءة الاسلام منه

﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ﴾ الاستمتاع بالشيء هو

التمتع او طول التمتع به وهو من المتاع اي الشيء الذي ينتفع به ومنه قوله تعالى «فاستمتعتم بخلاقكم » اي نصيبكم الخ الآية قال بعضهم إن السين والتاء في استمتعتم للتأكيد ولا يجوز ان تكون للطلب الذي هو الغالب في معناها والصواب انه لامانع يمنع من جعل الصيغة للطلب كما سأبينه . والاجور جمع اجر وهو في الاصل الثواب والجزاء الذي يعطى في مقابلة شيء ما من عمل أو منفعة ثم خص بعد زمن التنزيل أو غلب فيما هو معلوم . والفريضة الحصة المفروضة اي المقدرة المحددة من فرض الخشبة اذا حزها وكانت العرب غير العرب من الناس ولايزالون يقدرون الاشياء من المقاييس والاعداد بفرض الخشب . وأقرب شاهد عندي على هذا ما يفرض عليَّ من ثمن اللبن كل صباح حيث اقيم الآن في القسطنطينية فبائع اللبن بلغاري وأصحاب البيت الذي اقيم فيه من الأرمن وهم الذين يشترون لي منه ويفرضون كل يوم فرضا في خشبة وفي كل طائفة من الزمن يحاسبونني ويحاسبونه بهذه الفروض

ويطلق الفرض والفريضة على ماأوجبه الله من التكاليف إيجابا حتما لان المفروض في الخشب يكون قطعيا لامحل للتردد فيه والمعنى فكل امرأة أو أية امرأة من اولئك النساء اللواتي أحل لكم ان تبتغوا تزوجهن بأموالكم استمتعتم بها أي تزوجتموها فأعطوها الأجر والجزاء بعد ان تفرضوه لها في مقابلة ذلك الاستمتاع وهو المهر وقد تقدم في تفسير « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » أنه ينبغي للزوج ان يلاحظ في المهر معنى أعلى من معنى المكافأة والعوض فان رابطة الزوجية أعلى من ذلك بأن يلاحظ فيه معنى تأكيد المحبة والمودة . وأقول ان تسمية المهر هنا اجرا أي ثوابا وجزاء لا ينافي ملاحظة مافي الزوجية من معنى سكون كل من الزوجين الى الآخر وارتباطه معه برابطة المودة والرحمة كما بين الله تعالى ذلك في سورة الروم ، كما لاينافي مابينه في سورة البقرة من حقوق كل من الزوجين على الآخر بالمساواة (ص٣٧٧ ج ٢ تفسير) ولكنه لما جعل للرجل على المرأة مع هذه المساواة في الحقوق درجة هي درجة القيامة ورياسة المنزل الذي يعمرانه والعشيرة التي يكونانها بالاشتراك وجعله بذلك هو فاعل الاستمتاع اي الانتفاع وهي القابلة له والموانية فيه فرض لها سبحانه في مقابلة هذا الامتياز الذي جعله للرجل جزاء وأجرا تطيب به نفسها ، ويتم به

العدل بينها و بين زوجها ؛ فالمهر ليس ثمنا للبضع ولا جزاء للزوجية نفسها وإنما سره وحكمته ماذكرنا وهو واضح من معنى الآية مطابق للفظها جامع بينها و بين سائر الآيات وقد فتح الله عليَّ به الآن ولم يكن خطر على بالي من قبل على وضوحه في نفسه

وهل يعطى هذا الاجر المفروض والمهر المحدود قبل الدخول بالمرأة أو بعده؟ اذا قلنا ان السين والتاء في « استمتعتم » للطلب يكون المعنى فمن طلبتم ان تتمتعوا وتنتفعوا بتزوجها فأعطوها المهر الذي تفرضونه لها عند العقد عطاء فريضة او حال كونه فريضة تفرضونها على انفسكم او فرضها الله عليكم ؛ واذا قلنا انها ليست للطلب يكون المعنى فمن تمتعتم بتزوجها منهن بأن دخلتم بها او صرتم متمكنين من الدخول بها لعدم المانع بعد العقد فأعطوها مهرها عطاء فريضة او افرضوه لها فريضة أوفرض الله عليكم ذلك فريضة لاهوادة فيها ، او حال كون ذلك المهر فريضة منكم أو منه تعالى . فالمهر يفرض ويعين في عقد النكاح ويسمى ذلك إيتاء واعطاء حتى قبل القبض يقولون حتى الآن عقد فلان على فلانة وأمهرها بألف او اعطاها عشرة آلاف مثلا ؛ وكانوا يقولون أيضا فرض لها كذا فريضة ولذلك اخترنا ان الذي فرض الفريضة هو الزوج بتقديمه في التقدير ويؤيده قوله تعالى (٢ : ٢٣٦ ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) وقوله (٢:٢٣٧ وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم) فالمهر يجب ويتعين بفرضه وتعيينه في العقد ويصير في حكم المعطى والعادة أن يعطى كله او اكثره قبل الدخول ولا يجب كله الا بالدخول لأن من طلق قبل الدخول وجب عليه نصف المهر لا كله . ومن لم يعطه قبل الدخول يجب عليه إعطاؤه بعده . ومن قال من الفقهاء لاتسمع دعوى المرأة بمعجل المهر بعد الدخول لم يرد انه لايجب لها او انه يسقط بالدخول بل اراد ان هذه الدعوى على خلاف الظاهر المعهود فيغلب ان تكون باطلة

﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ اي لاحرج ولاتضييق عليكم منه تعالى اذا تراضيتم بعد الفريضة على الزيادة فيها او النقص منها او حطها

كلها فان الغرض من الزوجية ان تكونوا في عيشة راضية ومودة ورحمة تصلح بها شؤونكم، وترتقي بها امتكم، والشرع يضع لكم قواعد العدل، ويهديكم مع ذلك الى الاحسان والفضل، ﴿ ان الله كان عليما حكيما ﴾ فيضع لعباده من الشرائع بحكمته مايعلم ان فيه صلاح حالهم ماتمسكوا به ومن ذلك أن أوجب على الرجل ان يفرض لمن يريد الاستمتاع بها أجرا يكافئها به على قبول قيامه ورياسته عليها ثم اذن له ولها في التراضي على مايريان الخير فيه لها والائتلاف والمودة بينهما

هذا هو المتبادر من نظم الآية فانها قد بينت ما يحل من نكاح النساء في مقابلة ماحرم فيما قبلها وفي صدرها وبينت كيفيته وهو ان يكون بمال يعطى للمرأة وبأن يكون الغرض المقصود منه الاحصان دون مجرد التمتع بسفح الماء. وذهبت الشيعة الى ان المراد بالآية نكاح المتعة وهو نكاح المرأة الى أجل معين كيوم أو اسبوع او شهر مثلا واستدلوا على ذلك بقراءة شاذة رويت عن أُبيّ وابن مسعود وابن عباس (رض) وبالاخبار والآثار التي رويت في المتعة. فأما القراءة فهي شاذة لم تثبت قرآنا. وقد تقدم ان ماصحت فيه الرواية من مثل هذا آحاداً فالزيادة فيه من قبيل التفسير وهو فهم لصاحبه وفهم الصحابي ليس حجة في الدين لاسيما اذا كان النظم والاسلوب يأباه كما هنا فان المتمتع بالنكاح المؤقت لايقصد الإحصان دون المسافحة بل يكون قصده الاول المسافحة. فان كان هناك نوع ما من إحصان نفسه ومنعها من التنقل في دِمن الزنا فانه لايكون فيه شيء ما من إحصان المرأة التي تؤجر نفسها كل طائفة من الزمن لرجل فتكون كما قيل

كرة حذفت بصوالجة فتلقفها رجل رجل

ثم إنه ينافي ما تقرر في القرآن بمعنى هذا كقوله عز وجل في صفة المؤمنين (٢٣: ٥ والذين هم لفروجهم حافظون ٦ الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ٧ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) اي المتجاوزون ما أحله الله لهم إلى ما حرمه عليهم وهذه الآيات لاتعارض الآية التي نفسرها بل هي بمعناها فلا نسخ والمرأة المتمتع بها ليست زوجة فيكون لها على الرجل مثل الذي له عليها بالمعروف كما قال الله تعالى

وقد نقل عن الشيعة انفسهم أنهم لايعطونها احكام الزوجة ولوازمها فلا يعدونها من الأربع اللواتي تحل للرجل ان يجمع بينها مع عدم الخوف من الجور بل يجوزون للرجل ان يتمتع بالكثير من النساء. ولا يقولون برجم الزاني المتمتع إذ لايعدونه محصنا وذلك قطع منهم بأنه لا يصدق عليه قوله تعالى في المستمتعين « محصنين غير مسافحين » وهذا تناقض صريح منهم، ونقل عنهم بعض المفسرين ان المرأة المتمتع بها ليس لها ارث ولا نفقة ولا طلاق ولا عدة! . والحاصل ان القرآن بعيد من هذا القول ولا دليل في هذه الآية ولا شبه دليل عليه ألبتة

وأما الاحاديث والآثار المروية في ذلك فمجموعها يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرخص لاصحابه فيها في بعض الغزوات ثم نهاهم عنها ثم رخص فيها مرة أو مرتين ثم نهاهم عنها نهيا مؤبدا، وأن الرخصة كانت للعلم بمشقة اجتناب الزنا مع البعد عن نسائهم فكانت من قبيل ارتكاب أخف الضررين فان الرجل اذا عقد على امرأة خلية نكاحا موقتا وأقام معها ذلك الزمن الذي عينه فذلك أهون من تصديه للزنا بأية امرأة يمكنه ان يستميلها. ويرى أهل السنة ان الرخصة في المتعة مرة أو مرتين يقرب من التدريج في منع الزنا منعا باتا كما وقع التدريج في تحريم الخمر وكلتا الفاحشتين كانتا فاشيتين في الجاهلية ولكن فشوّ الزنا كان في الاماء دون الحرائر. وروي عن بعض الصحابة أن الرخصة بالمتعة لم تنسخ أو ان النهي عنها انما كان في حال الاقامة والاختيار، لا في حال العنت والاضطرار، الذي يكون غالبا في الاسفار، واشهر علماء الصحابة الذين كانوا يقولون بها عبدالله بن عباس (رض) وقد روي أنه لما رخص فيها قال له مولى له: انما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه قال ابن عباس نعم. وعن ابن جبير انه قال قلت لابن عباس لقد سارت بفتياك الركبان وقال فيها الشعراء. قال وماقالوا؟ قلت قالوا

قد قلت للشيخ لما طال مجلسه ياصاح هل لك في فتوى ابن عباس
هل لك في رخصة الاطراف آنسة تكون مثواك حتى مصدر الناس

فقال سبحان الله مابهذا افتيت! وما هي الا كالميتة والدم ولحم الخنزير ولا تحل الا للمضطر. فعلى هذا لايجيزها إلا لمن خشي العنت وعجز عن التزوج الذي مبنى

عقده على الدوام ورأى انه لامفر له من الزنا الا بهذا الزواج الموقت . ورووا أن عليا كرم الله وجهه خطأ ابن عباس في رأيه هذا فرجع عنه ولكن ثبت في صحيح مسلم ان ابن عباس كان يقول بذلك في خلافة عبدالله ابن الزبير . وروى عنه الترمذي والبيهقي والطبراني أنها كانت في أول الاسلام كان الرجل يقدم البلد ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر مايرى انه مقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه حتى نزلت الآية (٢٣ : ٦ الا على أزواجهم او ماملكت أيمانهم) فكل فرج سواهما فهو حرام . وهذه الرواية معارضة بالروايات الصحيحة عند مسلم وغيره في ان المتعة كانت في أواخر سنيّ الهجرة وبأن الآية التي أشار اليها مكية وبما هو معلوم في التاريخ من ان المسلمين في أول الاسلام لم يكن الرجل منهم يسافر الى البلد فيقيم فيه كما ذكر في الرواية فانهم كانوا مضطهدين معرضين للقتل أينما ثقفوا ، نعم ان وقوع ذلك منهم ليس محالا ولكنه خلاف الظاهر ولم ترد به رواية معينة عن أحد مع ان ظاهر العبارة انه كان شائعا . فعبارة هذه الرواية تنمّ عليها وتشهد أنها لفقت في عهد حضارة المسلمين بعد الصحابة . فالانصاف ان مجموع الروايات تدل على إصرار ابن عباس (رض) على فتواه بالمتعة لكن على سبيل الضرورة وهو اجتهاد منه معارض بالنصوص ويقابله اجتهاد السواد الاعظم من الصحابة والتابعين وسائر المسلمين

والعمدة عند أهل السنة في تحريمها وجوه أولها ماعلمت من منافاتها لظاهر القرآن في أحكام النكاح والطلاق والعدة إن لم نقل لنصوصه ، وثانيها الاحاديث المصرحة بتحريمها تحريما مؤبدا الى يوم القيامة وقد جمع متونها وطرقها مسلم في صحيحه فمن احب الاطلاع على ذلك فليرجع اليه والى شرح النووي له وكذا شرح الحافظ ابن حجر للبخاري ، وثالثها نهي عمر عنها في خلافته واشادته بتحريمها على المنبر واقرار الصحابة له على ذلك وقد علم انهم ماكانوا يقرون على منكر وأنهم كانوا يرجعونه اذا أخطأ ومنه مامر قريبا في تفسير قوله تعالى «وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» (ص ٤٦٢ ج ٤ من التفسير) فقد خطأته امرأة فرجع الى قولها واعترف بخطأه على المنبر ومثل هذا ينقض قول من يقول من الشيعة إنهم سكتوا تقية . وقد تعلقوا بما ورد في بعض الروايات من قول عمر (رض) «انا محرمها» فقالوا إنه حرمها من قبل نفسه ولا يعتد

بتحريمه ولو بني ذلك على نص لذكره . وأجيب عن ذلك بأنه أسند التحريم الى النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن ماجه وابن المنذر والبيهقي فيظهر أن من روى عنه ذلك اللفظ رواه بالمعنى فان صح انه لفظه فمعناه أنه مبين تحريمها أو منفذ له . وقد شاع عند الفصحاء والعلماء اسناد التحريم والايجاب والاباحة الى مبين ذلك فاذا قالوا : حرم الشافعي النبيذ وأحله أو أباحه أبو حنيفة . لم يعنوا انهما شرعا ذلك من عند انفسهما وانما يعنون أنهم يبنوه بما ظهر لهم من الدليل . وقد كنا قلنا في «محاورات المصلح والمقلد» التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من المنار إن عمر منع المتعة اجتهادا منه وافقه عليه الصحابة ثم تبين لنا ان ذلك خطأ فنستغفر الله منه . وانما ذكرنا ذلك على سبيل الشاهد والمثال ، لا التمحيص للمسألة على طريق الاستقلال ،

وتقول الشيعة إن لديهم روايات عن آل البيت عليهم السلام قاطعة بإباحة المتعة . ولم نطلع على هذه الروايات واسانيدها لنحكم فيها فأين هي ؟ ولكن ثبت عندنا ان إمام أئمة آل البيت عليا كرم الله وجهه حرم المتعة مع المحرمين لها من الصحابة رضوان الله عليهم ويقول بعض الغلاة في التعصب منهم انا لانقبل هذه الرواية عنه لانها رواية الخصم ولان شيعته أعلم بأقواله . ويجيب أهل السنة عن مثل هذا الكلام بأنه تمويه ومغالطة فان المسألة ليست من الاصول التي كانت الشيعة بها شيعة وأهل السنة هم أهل السنة وانما هي من أحكام الفروع العملية التي يهم كل مسلم ان يحرر الرواية فيها عن علماء الصحابة ولا يشك أحد من أهل السنة في كون علي في مقدمتهم . ثم إن رواة الاحاديث المدونة في دواوين أهل السنة المشهورة قسمان منهم الاولون الذين لم يكونوا يلتزمون مذهبا فيتهموا بتأييده بالروايات وانما يتبعون ماصحت روايته عندهم فالرواية هي الاصل والى ماصح منها يذهبون ، ومنهم الذين كانوا متبعين للمذاهب بعد حدوثها وقد كان عدولهم يروون مايوافقها ومايخالفها لأنهم يدينون الله بالصدق في الرواية ويكلون الى فقهائهم بيان معناها وترجيح المتعارض منها بل لم يمتنعوا عن رواية بعض الاحاديث التي لا تخلو من طعن في بعض أصول الدين التي لا تختلف فيها المذاهب . فعدالة الرواة هي العمدة فيرجع فيها الى قواعد الجرح والتعديل وتراجم الرجال وتمحيص ماقيل

في جرحهم وتعديلهم . ولا يستطيع احد ان ينكر ان المذاهب كانت سببا للوضع والكذب في الرواية وان نقد الرواة المقلدين هو أهم مسائل هذا الفن ولكن مسألة المتعة لم تكن في عصر الرواية من هذا الباب . وقد عدّل المحدثون من أهل السنة كثيرا من الشيعة في الرواية ، ولا سعة في التفسير لهذه المباحث بل أخشى أن أكون خرجت بهذا البحث عن منهاجي فيه وهو الاعراض عن مسائل الخلاف التي لا علاقة لها بفهم القرآن والاهتداء به ، وعن الترجيح بين المذاهب الذي هو مثار تفرق المسلمين وتعاديهم ، على انني أبرأ الى الله من التعصب والتحيز الى غير مايظهر لي انه الحق والله عليم بذات الصدور . وقد بدأت بكتابة هذا البحث وانا انوي ان لا أكتب فيه الابضعة اسطر لانني لا أريد تحرير القول في الروايات هنا وليس عندي حيث اكتب شيء من كتب السنة فأراجعها فيه ولكن ما كتبته هو صفوتها وصفوة ماقالوه فيها ، فان اطلعنا بعد ذلك على روايات أخرى للشيعة بأسانيدها فربما نكتب في ذلك مقالا نمحص فيه ما ورد من الطريقين ونحكم فيه بما نعتقد من قواعد التعارض والترجيح وننشر ذلك في المنار

هذا وان تشديد علماء السلف والخلف في منع المتعة يقتضي منع النكاح بنية الطلاق وان كان الفقهاء يقولون ان عقد النكاح يكون صحيحا اذا نوى الزوج التوقيت ولم يشترطه في صيغة العقد ولكن كتمانه اياه يعد خداعا وغشا وهو اجدر بالبطلان من العقد الذي يشترط فيه التوقيت يكون بالتراضي بين الزوج والمرأة ووليها ولا يكون فيه من المفسدة الا العبث بهذه الرابطة العظيمة التي هي اعظم الروابط البشرية ، وايثار التنقل في مراتع الشهوات بين الذواقين والذواقات ، وما يترتب على ذلك من المنكرات ، ومالا يشترط فيه ذلك يكون على اشتماله على ذلك غشا وخداعا يترتب عليه مفاسد أخرى من العداوة والبغضاء وذهاب الثقة حتى بالصادقين الذين يريدون بالزواج حقيقته وهو احصان كل من الزوجين للآخر واخلاصه له وتعاونهما على تأسيس بيت صالح من بيوت الامة

﴿ ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم

من فتياتكم المؤمنات ﴾ الاستطاعة ان يكون الشيء في طوعك لايتعاصى على قدرتك وهو اوسع من الاطاقة ، والطول الغنى والفضل من المال والحال او القدرة على تحصيل المطالب والرغائب ، والمحصنات فسرت هنا بالحرائر خاصة بدليل مقابلتها بالفتيات وهن الاماء والحرية كانت عندهم داعية الاحصان والبغاء شأن الإماء قالت هند للنبي (ص) او تزني الحرة ؟ وفي التعبير عنهن بهذا اللقب إرشاد إلى تكريمهن فان الفتاة تطلق على الشابة وعلى الكريمة السخية كأنه يقول لاتعبروا عن عبيدكم وإمائكم بالالفاظ الدالة على الملك بل بلفظ الفتى والفتاة المشعر بالتكريم ، ومن هنا اخذ مبلغ القرآن ومبينه صلى الله عليه وآله وسلم قوله « لايقولن احدكم عبدي أمتي ولايقل المملوك ربي ليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي فانكم المملوكون والرب هوالله عز وجل » رواه الشيخان وفيه إيماء أيضا الى زيادة تكريم الارقاء اذا كبروا في السن بتقليل الخدمة عليهم أو إسقاطها عنهم

والمعنى ومن لم يستطع منكم طولا في المال او الحال لنكاح المحصنات او من لم يستطع استطاعة طول او من جهة الطول نكاح المحصنات اللواتي أحل لكم ان تبتغوا نكاحهن بأموالكم وأمرتم أن تقصدوا بالاستمتاع والانتفاع بنكاحهن الإحصان لهن ولانفسكم فلينكح امرأة من نوع ما ملكتم من فتياتكم أي إمائكم المؤمنات . وهذا يؤيد ماقررناه تبعا لجمهور السلف والخلف من كون الاستمتاع في الآية السابقة هو النكاح الثابت ، لا المتعة التي هي استئجار عارض ، وتقدم ان الاستمتاع الانتفاع ومنه قوله (ص) للرجل الذي شكا من امرأته ولم تسمح نفسه بطلاقها « فاستمتع بها » رواه ابو داود والنسائي ، ولو كانت تلك الآية تجيز المتعة بالحرائر لما كان لوصل هذه الآية بها فائدة وأي امرىء لايستطيع المتعة لعدم الطول حتى يتزوج الامة فيجعل بها نسله مملوكا لمولاها ؟ فان قيل انه ربما لايستطيعها لعدم رغبة النساء فيها لانها من العار . قلنا ان صح ان هذا من عدم استطاعة الطول فهو لا يفيد هذا القائل لان سبب عد المتعة عارا في الغالب هو تحريمها ومن لايحرمها كالشيعة

فانما يبيحونها في الغالب اعتقادا وجدلا، لا استحسانا وعملا، فكأنها محرمة عليهم بالفعل لغلبة شعور سائر المسلمين واعتقادهم في ذلك عليهم ، ولا شك ان عار الزنا المطلق اشد عندهم وعند سائر الناس من عار المتعة وقلما يتركه أحد لعدم استطاعة الطول وإنما يتركه من يتركه تدينا في الغالب وخوفا من الامراض التي تنشأ منه عند بعض الناس . ومن قدر على الزنا كان على المتعة أقدر . ومن الغفلة ان تقيد الاحكام بعادات بعض الناس واحوالهم الاجتماعية لتوهم ان كل الناس كذلك في كل زمن حتى زمن التشريع

الاستاذ الامام : فسروا الطول هنا بالمال الذي يدفع مهرا وهو تحكم ضيقوا به معنى الكلمة وهي من مادة الطول بالضم فمعناها الفضل والزيادة ، والفضل يختلف باختلاف الاشخاص والطبقات وقد قدر بعضهم (كالحنفية) المهر بدراهم معدودة فقال بعضهم ربع دينار وقال بعضهم عشرة دراهم وليس في الكتاب ولا في السنة مايؤيده بل ورد أن النبي (ص) قال لمريد الزواج « التمس ولو خاتما من حديد » (رواه البخاري بلفظ تزوج ولو بخاتم من حديد وهو في الصحيحين والسنن) وروي ان بعضهم تزوج بتعليم الزوجة شيئا من القرآن مهرا (والحديث في الصحيحين والسنن وهو الذي أمره النبي بالتماس خاتم الحديد) وتزوج بعضهم بنعلين (واجازه النبي (ص) صححه الترمذي) ولم يقيد السلف المهر بقدر معين . وتفسير الطول بالغنى لايلائم تحديد المحددين فانه لا يكاد احد يجد امة يرضى أن يزوجها سيدها باقل من ربع دينار اوعشرة دراهم او نعلين . وفسره أبوحنيفة - أوقال بعض الحنفية - بأن يكون عنده حرة يستمتع بنكاحها بالفعل ، اي ومن لم يكن منكم متزوجا امرأة حرة مؤمنة فله ان يتزوج امة فحاصله عدم الجمع بين الحرة والامة (قال) والطول أوسع من كل ماقالوه وهو الفضل والسعة المعنوية والمادية فقد يعجز الرجل عن التزوج بحرة وهوذومال يقدر به على المهر المعتاد لنفور النساء منه لعيب في خَلقه او خُلقه وقديعجز عن القيام بغير المهر من حقوق المرأة الحرة فان لها حقوقا كثيرة في النفقة والمساواة وغير ذلك وليس للامة مثل تلك الحقوق كلها ، ففقد استطاعة الطول له صور كثيرة . والمؤمنات ليس بقيد في الحرائر ولا في الإماء أيضا وان

قيل به وإنما هو لبيان الواقع فانه كان نهاهم عن نكاح المشركات في سورة البقرة وهن اولئك الوثنيات اللواتي لا كتاب لقومهن وسكت عن نكاح الكتابيات والنهي عن نكاح المشركات لايشملهن (كما تقدم في تفسير سورة البقرة ص٣٥٥ ج ٢ تفسير) فكان الزواج محصورا في المؤمنات فذكره لأنه الواقع اي ولأنهم لم يكونوا معوضين لنكاح الكتابيات ثم صرح بحل زواجهن في سورة المائدة وهي قد نزلت بعد سورة النساء بلا خلاف . وفي الوصف بالمؤمنة إرشاد الى ترجيحها على الكتابية عند التعارض

أقول في هذا أحسن تخريج وتوجيه لما عليه الحنفية وهم يبنونه على عدم الاحتجاج بمفهوم الشرط ومفهوم اللقب والا فظاهر الشرط أن من قدر على نكاح الحرة المؤمنة لايحل له ان ينكح الامة المؤمنة بَلهَ غير المؤمنة . وظاهر وصف الفتيات بالمؤمنات أنه لا يحل نكاح الامة غير المؤمنة . وقد أحل الله في سورة المائدة نكاح المحصنات من الذين أوتو الكتاب وهن الحرائر في قول مجاهد وغير واحد من مفسري السلف وقال غيرهم هن العفائف وعلى هذا تكون آية المائدة دليلا عن ان الوصف هنا لامفهوم له أو ناسخة لمفهومه أو مخصصة لعمومه ان قلنا انه عام وسيأتي انه خاص . وعندي ان مفهوم الصفة تارة يكون مرادا وتارة لايكون مرادا فاذا قلت وزع هذا المال أو نسخ هذا الكتاب على طلاب العلم الفقراء . تعين ان لايوزع على الاغنياء منهم شيء منه . لان الصفة مقصودة لمعنى فيها كان هو سبب العطاء واذا قلت وزع هذه الدراهم على الخدم الواقفين بالباب جاز ان يعطى منها الواقف منهم والقاعد لان الصفة هنا ذكرت لبيان الواقع المعتاد لا لمعنى في الوقوف يقتضي العطاء . فالقرائن تعرف الصفة التي يراد مفهومها والصفة التي لايراد مفهومها . وقد يقال إن من القرينة على اعتبار مفهوم الوصف بالمؤمنات هنا انه لم يكن عندهم في مقابلته الا المشركات وهن محرمات بنص آية البقرة فلولا القيد هنا لتوهم نسخ ذلك التحريم ، ولم يذكر مثل هذا القيد في قوله تعالى « والمحصنات من النساء الا ماملكت أيمانكم » ففهم منها ان المسبيات المشركات حلال فاستمتعوا بهن يوم أوطاس فالمفهوم هنا خاص بالمشركات والصواب ان المشركات المحرمات في آية البقرة هن مشركات العرب

كما رواه ابن جرير عن بعض مفسري السلف فحرم نكاحهن حتى يؤمن لان للاسلام سياسة خاصة بالعرب وهي عدم إقرارهم على الشرك ليكونوا كلهم مسلمين. وأما اهل الكتاب فانه يقرهم على دينهم ويرضى من الداخلين في ذمة المسلمين منهم ان يؤدوا الجزية ولذلك اجاز للمسلمين في موادتهم ان يؤاكلوهم ويتزوجوا منهم وكذلك أقر المجوس على دينهم ومن كان مثلهم فله حكمهم كالبراهمة والبوذيين والله اعلم وأحكم

ويدل على اعتبار مفهوم الصفة ايضا قوله تعالى ﴿ والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض ﴾ فهو يبين أن الايمان قد رفع شأن الفتيات المؤمنات وساوى بينهن وبين الاحرار والحرائر في الدين وهو أعلم بحقيقة هذا الايمان ودرجات قوته وكماله فرب أمة أكمل إيمانا من حرة فتكون افضل منها عند الله تعالى أي فلا يصح مع هذا ان تعدوا نكاح الامة عارا عند الحاجة اليه فأنتم أيها المؤمنون أخوة في الايمان بعضكم من بعض كما قال تعالى (٣ : ١٩٥ فاستجاب لهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) وقال (٩: ٧٢ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقال في غيرهم (٩: ٦٨ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) الخ وقيل بعضكم من بعض في النسب وهو ضعيف كما ترى فالايمان هو المراد اذ لا ينبغي للمؤمن ان ينكح من اجتمع فيها نقص الشرك ونقص الرق

﴿ فانكحوهن باذن أهلهن ﴾ أي فاذا رغبتم في نكاحهن لما رفع الايمان من شأنهن فانكحوهن باذن أهلهن. قالوا إن المراد بالاهل هنا الموالي المالكون لهن. وقال بعض الفقهاء المراد من لهم ولاية التزويج ولو من غير المالكين فللاب أو الجد أو القاضي أو الوصي تزويج أمة اليتيم وفي هذه المسائل تفصيل وخلاف في الفقه والمراد هنا ان الامة كالحرة في تزويج أوليائها لها وعدم تزويجها لنفسها بل هي أولى من الحرة في الحاجة الى إذن أوليائها . والظاهر أنه لا بد بعد رضا المولى بتزويجها من تولي وليها في النسب للعقد ان كان والا فالمولى أو القاضي يتولى ذلك

﴿ وآتوهن أجورهن بالمعروف ﴾ أي واعطوهن مهورهن التي تفرضونها لهن فالمهر حق للزوجة على الزوج وان كانت أمة فهو لها لا لمولاها وبذلك قال مالك

وخالفه اكثر الفقهاء وأولوا الآية بأن المراد وآتوا أهلهن أجورهن على حذف مضاف أو بأن قيد باذن أهلهن معتبر هنا وذلك ان هذا المهر عندهن هو حق المولى لانه بدل عن حقه بالاستمتاع . ومن يقول ان المهر لها لا ينكر ان الرقيق لا يملك لنفسه وكون ملكه لسيده وانما يرى أن المهر هو حق الزوجة تصلح به شأنها ويكون تطييبا لنفسها في مقابلة رياسة الزوج عليها فان شاء سيد الامة التي يزوجها أن يأخذه منها بحق الملك فعل ، وان شاء أن يتركه لها تصلح به شأنها فهو الافضل والاكمل ، ويمكن أن يقال أيضا اذا عرف من الشرع أن الله تعالى جعل للرقيق أن يملك لنفسه شيئا معينا كملك الامة المتزوجة لمهرها فمن يستطيع أن يمنع ذلك برأيه أو قواعد فقهه ؟ والمولى مخير مع خضوعه لحكم ربه ان شاء أن يزوج أمته بل فتاته بغير عوض مالي مكتفيا بما قرره له الفقهاء من امتلاك ذريتها وان شاء طلب من الزوج عوضا ماليا وهذا هو الذي أعتقده . وقوله تعالى بالمعروف جعله بعضهم متعلقا بايتاء الاجور وبعضهم بقوله فانكحوهن أي وما عطف عليه والمراد المعروف بينكم في حسن التعامل ومهر المثل واذن الاهل ، وقال الاستاذ الامام إيتاء الاجور بالمعروف معناه بالمتعارف بين الناس ولم يقل هنا كما قال في الحرائر « فريضة » لان المؤنة فيه أخف والامر اهون والتساهل في اجور الاماء معهود بين الناس . ولا إشكال في إعطائها المهر مع كونها لا تملك لان المملوك يقبض وان كان لا يملك وقد نقل ابو بكر الرازي عن بعض أئمة المالكية - أو قال اصحاب مالك - ان السيد اذا زوج جاريته فقد جعل للزوج ضربا من الولاية عليها لا يشاركه هو فيه فما تأخذه من الزوج يكون في مقابلة ما أسقط السيد حقه منه فلا يكون له حظ منه بل يكون لها وحدها وهذا هو الصحيح

وقوله تعالى ﴿ محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ﴾ قيد لقوله فانكحوهن أو لقوله وآتوهن أجورهن وعلى الاول يكون المراد بالمحصنات العفائف وعلى الثاني يكون معناه المتزوجات أي أعطوهن أجورهن حال كونهن متزوجات منكم لا مستأجرات للبغاء جهرا وهن المسافحات ، ولا سرا وهن متخذات الاخدان

فالخدن هو الصاحب يطلق علي الذكر والانثي وكان الزنا في الجاهلية على قسمين سر وعلانية وعام وخاص فالخاص السري هو ان يكون للمرأة خدن يزني بها سرا فلا تبذل نفسها لكل أحد ، والعام الجهري هو المراد بالسفاح كما قال ابن عباس وهو البغاء وكان البغايا من الاماء وكن ينصبن الرايات الحمر لتعرف منازلهن . وروي عن ابن عباس ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون ماظهر من الزنا ويقولون إنه لوئم ، ويستحلون ماخفي ويقولون لابأس به » ولتحريم القسمين نزل قوله تعالى « ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن » والمراد بتحريمهم لزنا العلانية استقباحه وعد من يأتيه لئيما . وهذان النوعان من الزنا معروفان الآن وفاشيان في بلاد الافرنج والبلاد التي تقلد الافرنج في شرور مدنيتهم كمصر والآستانة و بعض بلاد الهند . ويسمي المصريون الخدن بالرفيقة والترك يطلقون لفظ الرفيقة على الزوجة ومثلهم التتر في روسيا فليتنبه لهذا العرف . ومن هوءلاء الافرنج والمتفرنجين من هم كأهل الجاهلية يستحسنون الزنا السري ويبيحونه ، و يستقبحون الجهري وقد يمنعونه ، ومنهم من هم شر من الجاهلية لانهم يستبيحون الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولكن المنسوبين الى الاسلام منهم يستبيحونها بالعمل دون القول !! ومن هوءلاء من تخدعه جاهليته فتوهمه انه يكون على بقية من الدين اذا هو استباح الفواحش والمنكرات بالعمل فواظب عليها بلاخوف من الله ولاحياء ، ولالوم من النفس ولاتوبيخ ، بشرط ان لايقول هي حلال !! وقد أنكر أحد الامراء مرة على بعض الفقهاء قوله في بعض صور المعاملات انها ليست من الربا وقال انني أنا آكل الربا لاأنكر ذلك ولكنني مسلم لااقول انه حلال !! فكأن الاسلام قد جاء يعلم الناس ان يعترفوا بأنه حرم الفواحش والمنكرات من غير ان يجتنبوها . و بأنه فرض الفرائض واستحب المستحبات من غير ان يوءدوها ، ويجهل هوءلاء الضالون ان غير المسلمين يقولون ايضا ان الاسلام حرم هذه المحرمات ، وأوجب تلك الواجبات ، فهل صلحت بذلك نفوسهم واحوالهم الاجتماعية وصاروا أهلا لرضوان الله وثوابه ؟؟

وجملة القول انه تعالى فرض في نكاح الاماء مثل مافرض في نكاح الحرائر من الاحصان وتكميل النفوس بالعفة لكل من الزوجين واختلاف التعبير في الموضعين

فقال في نكاح الحرائر « محصنين غير مسافحين » لأن النساء الحرائر عامة والابكار منهن خاصة أبعد من الرجال عن الفاحشة فلما كان الرجال اكثر تعرضا لخدش العفة ، وانقيادا لطاعة الشهوة ، وكانوا مع ذلك هم الطالبين للنساء والقوامين عليهن جعل قيد الإحصان وعدم السفاح من قبلهم اولا و بالذات كما تقدم . ولما كان الزنا هو الغالب على الإماء في الجاهلية وكانوا يشترونهن لأجل الاكتساب ببغائهن حتى ان عبد الله بن أبي (رأس النفاق) كان يكره إماءه بعد ان أسلمن على البغاء فنزل في ذلك قوله تعالى (٢٤ : ٣٣ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) ـ ولما كن أيضا مظنة الزنا لذلهن وضعف نفوسهن وكونهن عرضة للانتقال من رجل الى آخر فلم تتوطن نفوسهن على عيشة الاختصاص مع رجل واحد يرى لهن عليه من الحقوق ماتطمئن به نفوسهن في الحياة الزوجية التي هي من شأن الفطرة ـ لما كان ذلك كذلك جعل قيد الاحصان في جانبهن فاشترط علي من يتزوج امة ان يتحرى أن تكون محصنة مصونة من الزنا في السر والجهر . واذا جعلنا لفظ المحصنة مشتركا بين اسم الفاعل واسم المفعول كما تقدم عن رواة اللغة في تفسير « والمحصنات من النساء » يكون المراد انكحوهن محصنات لكم ولانفسهن غير مسافحات يمكنّ من أنفسهن أي طالب ، ولامتخذات أخدان وأصحاب ـ او رفقاء كما يقول المصريون ـ تختص كل واحدة منهن بصاحب

ثم قال ﴿ فاذا أحصنّ فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب ﴾ أي فاذا فعلن الفعلة الفاحشة وهي الزنا بعد إحصانهن بالزواج فعليهن من العقاب نصف ما على المحصنات الكاملات وهن الحرائر اذ زنين ، وهو ما بينه تعالى بقوله (٢٤ : ٢ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) فالأمة المتزوجة تجلد اذا زنت خمسين جلدة واما الحرة فتجلد مئة جلدة . والحكمة في ذلك ما تقدم آنفا من كون الحرة ابعد عن دواعي الفاحشة والأمة عرضة لها وضعيفة عن مقاومتها فرحم الشارع ضعفها فخفف العقاب عنها . واذا كان العذاب في هذه الآية هو الحد الذي بينه في تلك الآية آية الجلد كما قال المفسرون كافة

وفاقا لقاعدة « القرآن يفسر بعضه بعضا » فظاهرهما ان الامة لاتحد الا اذا كانت محصنة وأما الحرة فظاهر آية النور انها تجلد مئة جلدة سواء كانت محصنة أم ايّما وسواء كانت الأيّم بكرا أم ثيبا لان الآية مطلقة ولولا السنة لكان لذاهب أن يذهب الى ان الآية التي نفسرها خصصت الزانية الحرة بالمحصنة للمقابلة فيها بين الاماء اللواتي أحصنّ وبين المحصنات من الحرائر وقد تقدم تفسيرهم لقوله تعالى « والمحصنات من النساء » بالحرائر المتزوجات ولكنهم لاجل ماورد في السنة فسروا المحصنات في هذه الآية بالحرائر غير المتزوجات قالوا بدليل مقابلته بالاماء وليس بسديد فانه في مقابلة الاماء المحصنات لا مطلقا . ثم قيدوا المحصنات هنا بقيد آخر وهو كونهن أبكارا لانهم يعدون من تزوجت محصنة بالزواج وإن آمت بطلاق أو موت زوجها والوصف لا يفيد ذلك فان المحصنة بالزواج هي التي لها زوج يحصنها فاذا فارقها لا تسمى محصنة بالزواج كما انها لا تسمى متزوجة كذلك المسافر اذا عاد من سفره لا يسمى مسافرا والمريض اذا برىء لا يسمى مريضا . وقد قال بعض الذين خصوا المحصنات هنا بالابكار انهن قد أحصنهن البكارة ولعمري ان البكارة حصن منيع لا تتصدى صاحبته لهدمه بغير حقه وهي على سلامة فطرتها وحيائها وعدم ممارستها الرجال وما حقه الان يستبدل به حصن الزوجية . ولكن ما بال الثيب التي فقدت كل واحد من الحصنين تعاقب اشد العقوبتين اذ حكموا عليها بالرجم ؟ هل يعدون الزواج السابق محصنا لها وما هو إلا ازالة لحصن البكارة وتعويد لممارسة الرجال فالمعقول الموافق لنظام الفطرة هو ان يكون عقاب الثيب التي تأتي الفاحشة دون عقاب المتزوجة وكذا دون عقاب البكر أو مثله في الاشد . وقد بلغني ان بعض الاعراب في اليمن يعاقبون بالقتل كلا من البكر والمتزوجة اذا زنتا ولا يعاقبون الثيب بالقتل ولا بالجلد لانهم يعدونها معذورة طبعا وان لم تكن معذورة شرعا

وأما السنة فقد ثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وآله وسلم حكم برجم اليهودي واليهودية عند ماتحاكم اليه اليهود في أمرهما اذ أتيا الفاحشة . والحديث صريح في انه حكم في ذلك بنص التوراة قال العلماء ويجب اتباعه فيما حكم به مهما كان سبب الحكم لانه لا يحكم الا بالحق واستدلوا بذلك لان الاسلام ليس شرطا في الاحصان

خلافا لمن اشترطه . وروي عن ابن عباس (رض) انه قال : الرجم في كتاب الله لا يغوص عليه الا غواص وهو قوله تعالى (١٦:٥ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) فهو يريد ان هذا مما بينه لهم وحكم به فصار مشروعا لنا . وتتمة الآية (ويعفو عن كثير) اي مما تخفون من الكتاب . ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك القرآن ووجوب اتباعه وروى عنه ابو داود انه قال ان آية الرجم نزلت في سورة النور بعد آية الجلد ثم رفعت وبقي الحكم بها . وفي الصحيحين وغيرهما عن عمر (رض) ان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان حمل او اعتراف .

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجم ماعز الاسلمي والغامدية لاعترافهما بالزنا ولكنه أرجأ المرأة حتى وضعت وأرضعت وفطمت ولدها رواه مسلم وابو داود من حديث بريدة ورويا وكذا غيرهما من أصحاب السنن عن عمران بن حصين رجم امرأة من جهينة وفي الموطأ والصحيحين والسنن من حديث ابي هريرة جلدَ الغلام العسيف (الأجير) الذي زنى بامرأة مستأجرة ورجمُ المرأة : وفي الصحيحين عن أبي اسحاق الشيباني قال سألت ابن أبي أوفى هل رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم . قلت قبل سورة النور ام بعدها ؟ قال لا أدري . وظاهر هذا السؤال والجواب أن السائل يريد ان يعلم هل كان الجلد ناسخا للرجم الذي ربما كان عملا بحكم التوراة ام كان الرجم مخصصا لعموم الجلد بجعله خاصا بغير المحصنين والمحصنات بالزواج . وروى البخاري عن الشعبي ان عليا (رض) حين رجم المرأة ضربها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله (ص) وهو يدل على أن عليا لا يقول بأن الرجم نزل في كتاب الله ولا أنّه يدل عليه . ولا أذكر انني رأيت حديثا صريحا في رجم الأيّم الثيب . وسأتتبع جميع الروايات عند تفسير آية النور وأحرر المسألة من كل وجه ان انسأ الله تعالى في العمر . وورد أن الأمة غير المحصنة تجلد اذا زنت لكن يجلدها سيدها قيل حدا وقيل تعزيرا مئة جلدة أو اقل : أقوال ووجوه وأما العبيد فيعلم حكمهم من الآية بدلالة النص فعليهم ما على الاماء بشرطه

وقيل كالأحرار ثم قال ﴿ ذلك لمن خشي العنت منكم ﴾ العنت المشقة والجهد والفساد قيل اصله انكسار العظم بعد الجبر . اي ذلك الذي ابيح لكم من نكاح الإماء عند العجز عن الحرائر جائز لمن خشي على نفسه الضرر والفساد من التزام العفة ومقاومة داعية الفطرة ، ذلك بأن مقاومة هذه الداعية التي هي أقوى وأرسخ شئون الحياة قد تفضي الى أمراض عصبية وغير عصبية اذا طال العهد على مقاومتهـا . وذهب الجمهور الى ان المراد بالعنت لازمه وهو الاثم بارتكاب الزنا قال بعضهم إن العنت يطلق على الإثم لغة وتقول إن الاثم في أصل اللغة ليس بمعنى المعصية الشرعية بل هو الضرر فيقرب من معنى العنت إلا أن العنت أشد . ويدل على ذلك ماروي عن ابن عباس (رض) ان نافع ابن الأزرق سأله عن العنت فقال الإثم قال نافع وهل تعرف العرب ذلك فقال نعم أما سمعت قول الشاعر

رأيتك تبتغي عنتي وتسعى   مع الساعي علي بغير ذَحْل

﴿ وأن تصبروا خير لكم ﴾ اي وصبركم بحبس أنفسكم عن نكاح الإماء مع العفة خير لكم من نكاحهن وان كان جائزا لكم ، لدفع الضرر عنكم ، لما فيه من العلل والمعايب كالذلّ والمهانة والابتذال ، وما يترتب على ذلك من مفاسد الأعمال وسريان ذلك منهن الى أولادهن بالوراثة ، وكونهن عرضة للانتقال من مالك الى مالك فقد يسهل على الرجل أن يكون زوجا لفتاة فلان الفاضل المهذب ولا يسهل عليه أن يكون زوجا لأمة فلان اللئيم او الفاسق الزنيم ، ومن كانت للفاضل اليوم قد تكون للفاسق غدا . وروي عن عمر (رض) انه قال: اذا نكح العبد الحرة فقد أعتق نصفه واذا نكح الحر الامة فقد أرقّ نصفه . وهذه الحكمة مبنية على مابيناه غير مرة من معنى الزوجية وهو انها حقيقة واحدة مركبة من ذكر وأنثى كل منهما نصفها ولذلك يطلق على كل منهما لفظ « زوج » لاتحاده بالآخر وان كان فردا في ذاته . وروي عن ابن عباس أنه قال : ماتزحّف ناكح الأمة عن الزنا إلا قليلا . وقال الشاعر

اذا لم تكن في منزل المرء حرة   تدبره ضاعت مصالح داره

وقال الاستاذ الامام : وان تصبروا خير لكم لما فيه من تربية الارادة وملكة العفة وتحكيم العقل بالهوى ومن عدم تعريض الولد للرق ، ولفساد الاخلاق

بالارث ، فان الجارية بمنزلة المتاع والحيوان ، فهي تشعر دائما بالذل والهوان ، فيرث أولادها إحساسها ووجدانها الخسيسين . وليس عندي عنه في هذه الآية غير هذا وما تقدم قريبا . واذا كان كل هذا يترتب على نكاح الأمة وكانت لم تحل الا عند العجز عن نكاح الحرة فكيف تكون المتعة جائزة ؟؟

﴿ والله غفور رحيم ﴾ يغفر لمن لم يصبر عن نكاح الأمة رحيم به كذا فسروه وقالوا انه نزله منزلة الذنب للتنفير عنه والامر في مثل هذه الاسماء الالهية التي تختم بها الآيات أوسع من ان تخص بما تتصل به ففي الآية ذكر أمور كثيرة يكون الانسان فيها عرضة للهفوات واللمم كعدم الطول واحتقار الاماء المؤمنات والطعن فيهن عند الحديث في نكاحهن ثم عدم الصبر على معاشرتهن بالمعروف وسوء الظن بهن . فلما كان الانسان عرضة لامثال هذه الامور ومنها مايشق اتقاؤه ذكرنا الله تعالى بمغفرته ورحمته بعد بيان احكام شريعته ليذكرنا بأنه لايؤاخذنا بما لانستطيعه منها

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لايسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ العمل بخبر التلفون والتلغراف في الصوم والفطر ﴾

(س ٢١) من السيد محمد بن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بالوزارة في (تونس)

سيدي الاخ الكريم والعلامة الجليل

حدث عندنا تناقض بسبب هلال الفطر (في رمضان الماضي) فان بعض البلاد التونسية افطروا يوم الخميس الموافق لرابع عشر اكتوبر وحيث تأخر ورود صك الرؤية على

قاضي الحاضرة الى ما بعد عصر الخميس فان الاعلان بالفطر لاهالي مدينة تونس لم يقع الا مع غروب الشمس بحيث أنهم صاموا يوم العيد كله لان القواعد الشرعية التي عليها عمل فقهاء تونس لم تجوز للمسلمين بهذه البلاد ان يعتمدوا ما يبلغهم من مشاهدة هلالي الصوم والفطر على طريق التلغراف او التلفون لان التلغراف بيد غير المسلمين والتلفون يرد عليه «ان الصوت يشبه الصوت» كما ان «الخط يشبه الخط» ومن اجل هذا اطلبنا لعلمائنا ان يلتمسوا لنا من وجوه الفقه مايساعد على العمل بالتلغراف لا سيما وان الريبة في التبليغ تنتفي اذا جعلنا الاشعار بالرؤية في اطراف المملكة لاتكون الا بالطريقة الرسمية اي بواسطة تلغراف يرد من الحكومة المحلية اي الجهة التي شوهد فيها الهلال الى مركز الحكومة بتونس وان يكون المخاطب بالتلغراف مأموراً مسلماً كما ان المخاطب به من المسلمين

وعسى ان فضيلتكم تتوفق للتأمل في هذه المسألة العويصة وتنشر لقراء المنار مايعينهم على الاهتداء لحل عقالها سواء كان ذلك بتونس او بالبلاد الاخرى

(ج) ارسل هذا السؤال الى مصر ومنها الينا في القسطنطينية والخطب عندنا في المسألة سهل لولا ان اكثر المسلمين صاروا لا يحبون السهولة واليسر في الدين وهو من اصول الاسلام بنص الكتاب والسنة فالعمدة في الشرع على ما يحصل به التصديق والاطمئنان من الاخبار او العلامات التي تدل على ثبوت اول الشهر وكل من التلغراف والتلفون طريق من طرق التصديق والاطمئنان وقد بينا ذلك في المنار غير مرة وقد اطلعنا في هذه الايام على فتوى في المسألة لشيخ الازهر وهو اكبر علماء المالكية واشهرهم بمصر واكثر أهل تونس من المالكية فنحن نورد لهم الفتوى بنصها وهي:

«صاحب الفضيلة مولانا الاكبر شيخ الجامع الازهر حفظه الله

«اتشرف بان أقدم لكم دام النفع بعلمكم فيما يسأل عنه أهل السودان المالكيون وهو انه قد جرت العادة عندهم في هذه السنين ان يرسل اليهم بواسطة التلغراف من الديوان الخديوي باسم بعض رؤسائه انه قد ثبت شرعا ان اول رمضان يوم كذا وربما لم ير أحد منهم الهلال مع الصحو فمنهم من يعتمد على التلغراف ويصبح صائما ومنهم من يزعم ان الصوم منوط برؤية الهلال فيصبح مفطرا واذا مضى بعد

وصول الخبر اليهم ثلاثون يوما ربما لايرى احد منهم هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو ولا يأتيهم فيها خبر بالتلغراف عما ثبت شرعا بمصر وايضا ربما كان حكم الحاكم المخالف بثبوت الصوم مبنيا على شهادة عدل واحد أو كان حكمه بالصوم مبنيا على رؤية عدلين واذا لم ير هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لايرى تكذيبهما بل يرى تكميل العدد ثلاثين بعد رؤيتهما هلال رمضان وكذلك حكمه بثبوت الصوم بناء على تمام شعبان الذي ثبت أوله برؤية عدلين ولم ير غيرهما هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين من منذ (؟) رؤيتهما هلال شعبان وكل ذلك مخالف للمذهب المالكي فماذا يصنع أهل السودان في صومهم وافطارهم حتى يكون عملهم موافقا للشرع والحال كما ذكر في السودان افيدونا مأجورين

كاتبه الفقير اليه

ابو القاسم احمد هاشم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين قد نص فقهاؤنا على ان يكون الصوم عند الحاكم وان لم يحكم بالفعل وحكمه بالثبوت كل منهما يوجب الصوم على كل من نقل اليه سواء نقل بعدلين أو جماعة مستفيضة ولو كان الناقل عدلا واحدا لان هذا من الخبر الصادق لا الشهادة ولو كان المنقول اليهم ممن يعتنون بأمر الهلال

«ونصوا ايضا على الاكتفاء في الثبوت بالامارات التي جرت العادة بها في اشهاد الثبوت كتعليق القناديل الموقدة على المنائر حيث جرت العادة انها لاتوقد الا بعد الثبوت الشرعي وكضرب المدافع كما هي العادة عندنا بمصر ومن هذا القبيل ارسال الخبر في السلك التلغرافي بل هو في زماننا أدل وأقوى وعليه اعتمدت الملوك والحكام في تبليغ احكامهم ومخاطباتهم واقى العلماء بكفايته في ذلك وهو في ايامنا هذه لايرسل الا باذن الحاكم الشرعي باشهار حكمه في جميع الجهات فهو كرسول ارسله لتبليغ حكمه فيجب الصوم على كل من بلغه من أول رمضان كما يجب الفطر على من بلغه به ثبوت رؤية هلال شوال ومن خالف بعد بلوغه بصوم وافطار فهو مخالف للحق

والصواب الذي افتي به العلماء. ولا عبرة باختلاف المطالع على ماهو المذهب إلا أن يبعد جدا كخراسان من الاندلس فان كل قوم يعملون بما عندهم لايجري عليهم حكم الآخرين كما حكى ابن عبد البر الاتفاق عليه . واحتمال ان الحاكم المخالف بنى الحكم على روئية شاهد واحد في الغيم نادر جدا . وعلى فرض من حصوله وتحقيقه ففي المذهب قولان في لزوم الصوم وعدم لزومه بجوز العمل بكل منهما أو تقليد مذهب الحاكم والعمل عليه

« وأما البناء على تمام العدد من ابتداء روئية العدلين ولولم ير الهلال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكون المخالف لايرى التكذيب فان كان قد حكم بالفطر لزم الافطار وان كان لم يحكم الا بثبوت الصوم بروئية العدلين فليس ذلك حكما بالافطار الا ان يحكم حين الروئية بموجب لزوم الصوم فيجب العمل به في الافطار وايضا كما يجب العمل بكمال العدد ان كانت ليلة احدى وثلاثين مغيمة . ومثل ذلك حكم بالصوم بكمال شعبان الذي ثبت أوله بروئية عدلين ولم ير غيرهما هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكونه لايرى التكذيب فيجب به الصوم قطعا أو كان قد حكم بموجب ثبوت أول شعبان حين حكمه بثبوته فانه يتضمن الحكم باعتبار تمام العدد من ابتداء الروئية

« وأما مسألة عدم روئية هلال شوال مع الصحو ليلة احدى وثلاثين مع عدم ورود خبر من مصر اليهم فانهم يصومون يوم الحادي والثلاثين احتياطاً للخروج من العبادة . والغرض عدم الروئية مع الصحو فان كان غيم اكتفوا بكمال العدد واذا جاءهم خبر الافطار اثناء النهار افطروا ولهم ان يقلدوا الحاكم في مذهبه ويعملوا على الكمال دون التكذيب ويعملوا على روئيتهم ان تباعد جدا كما سبق عن ابن عبد البر حكاية اتفاق اهل المذهب عليه والذي اراه ان الايسر في مثل هذه الامور تقليد مذهب الحاكم المخالف او اعتبار البعد جدا ان تحقق والله تعالى اعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »

الفقير اليه تعالى
شيخ الجامع الازهر
سليم البشري

* * *

رسالة النبي الى الناس كافة

(س ٢٢) من صاحب الامضاء في (فاقوس)

حضرة الفاضل الاديب من شاع صيته في حل المشكلات صاحب الدراية التامة الشيخ رشيد افندي رضا لازال مصدرا لفك المعضلات

مما ينهى لفضيلتكم انه حصل في ناحية فاقوس البحث بين طائفة ممن يعتنون في البحث عن امور الدين وتجولوا في مسألة التبليغ وهل دعوة نبينا عليه السلام بلغت الى كافة الاقاليم التي من ضمنها قارة امريكا ام لا ؟ وهل هذا الاسم كان لتلك القارة قديما او حدث فيما بعد ؟

فقال بعض الحاضرين ان دعوة نبينا بلغت كافة الأمم مستندا الى قوله تعالى له (وما ارسلناك الا كافة للناس) فعموم هذه الآية يشمل امريكا وغيرها من كافة الاقاليم

وحيث انه عليه السلام مرسل لكافة الناس فيجب عليه تبليغ العموم ولاشك انه عالم بكافة المرسل اليهم وان بعدت جهاتهم

وقال البعض الآخر ان امريكا اكتشفت حديثا وانه لم يوجد تأريخ من التواريخ يدل على ان احدا من الصحابة ذهب الى تلك الاقطار لتبليغ الدعوة وان عدم اكتشاف القارة المذكورة في زمن المصطفى لاينافي كون النبي صلى الله عليه وسلم ارسل للناس كافة لأن حكمها كحكم من كان في جبل ولم تبلغه الدعوة في زمن المصطفى و بلغته بعد وفاته فيكون ممن دخل في حكم الآية الشريفة

ولثقتنا بأن فضيلتكم ممن يعتني بمثل هذه الامور نطلب كشف هذا الأمر وتوضيحه على وجه تام ولكم مزيد الشكر .

علي محمد الصواف
الكاتب بمحكمة فاقوس

(ج) ليس الأمر بالمشكل الذي يحتاج الى الايضاح فان بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس كافة أمر مجمع عليهم معلوم من ديننا بالضرورة ومن المعلوم

بالضرورة عقلا مؤيدا بالنقل ان تبليغ الدعوة للعرب كان بالتدريج وهم قومه وأهل لغته وسكان بلاده فهل يمكن ان يكون مكلفا ان يبلغ البشر كلهم دعوته دفعة واحدة ثم انه بلغ من يقرب من بلاده كالروم والفرس والقبط وما ارسل بلاغا الى أهل الهند والصين ولا اهل اوربا وغيرهم من الامم التي كانت معروفة حتى يقع الاشكال في أهل امريكا التي لم تكن معروفة وقد امره الله تعالى ان يقول (واوحي اليَّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فقد بلغته الدعوة ويجب على المسلمين دعوة من لم يتسع عمر النبي (ص) لدعوتهم وكذلك فعل السلف الصالحون وقصر الخلف الظالحون

***

﴿ طريقة الشاذلية الدرقاوية ﴾

(س ٢٣) من السيد مصطفى منصور في (السلمية: دسوق)

حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوك أن تفيدنا عن الفتوى الآتية :

انتشر عندنا وفي انحاء البلاد طريق من طرق الصوفية وسمي طريقة الشاذلية الدرقاوية نسبة الى مولاي العربي الدرقاوي وهذه الطريقة من شعائرها الاجتماع صباحاً ومساء على تلاوة الاوراد والاذكار الا ان من اعمالهم في حال الذكر من قيام التأوه بقولهم (آه آه) معتقدين ان هذه الكلمة اسم من اسماء الله تعالى

وقد رفع هذا السؤال الى حضرة الشيخ عبد العزيز جاويش فانكر ذلك في لواء يوم ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ قائلا بأنه ليس من أسماء الله تعالى ولم يرد في كتاب ولا في سنة صحيحة واسماء الله توقيفية وليس لله الا الاسماء الحسنى وسفه رأي القائلين بانه من اسماء الله

فرد عليه احد شيوخ تلك الطريقة الاستاذ الشيخ محمود حجازي بقوله انه من اسماء الله تعالى مستندا في ذلك على حديث وارد في الجامع الصغير في حرف الدال (خ) للبخاري و (ت) للترمذي عن أبي هريرة قال الشارح العزيزي وكذا رواه

مسلم (دعوه) أي المريض (يئن) اي يقول (آه) (فان الانين اسم من اسماء الله تعالى يستريح اليه العليل) وسبب هذا الحديث كما في الكبير عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا مريض يئن فقلنا له اسكت فقال (دعوه) الخ رواه الرافعي في تاريخ قزوين عن عائشة وهذا الحديث مرتبته الحسن كما قال بذلك سيدي محمد السعراني الشهير بالواعظ ومستندا في ذلك ايضا بما كتبه الباجوري والامير كلاهما على جوهرة اللقاني عند قوله « حتى الانين في المرض كما نقل » وقال وأما دعوى الشيخ جاويش بان ليس لله الا الاسماء الحسنى فمردود باجماع المسلمين على ان لله اسماء كثيرة غيرها منها الرب وهو وارد في القرآن في مواضع كثيرة ومنها مليك وهو وارد في القرآن عند قوله تعالى (عند مليك مقتدر) ومنها الحنان والمنان وستار وسيد وكلها ثابتة بالسنة وما يوخذ من حديث «إن لله تسعا وتسعين اسماء» لايفيد الحصر وحيث اننا في حاجة الى بيان ما عليه هذه الطائفة فنلتمس منكم الفتوى الشرعية في ذلك جعلكم الله منارًا للحق ونبراسا للهدى

(ج) ظهرت الطريقة الدرقاوية في أوائل هذا القرن في بلاد سورية اخذها خلق كثير عن شيخ مغربي كان في عكا اسمه الشيخ علي نور الدين فقامت عليه وعليهم قيامة العلماء ونسبوا اليهم القول بالحلول والاتحاد وبعض المنكرات العملية كالجمع بين النساء والرجال بل قيل ان بعضهم مرقوا من الدين وصاروا إباحيين وجعلوا شيخهم على نور الدين اليشرطي مثار هذه الضلالات كلها ولكنني رأيت بعض الشيوخ الصالحين يثني على شيخهم ويقول انه بريء من كل ماخالفوا الشرع فيه ومن هؤلاء المبرئين له شيخنا الشيخ محمد القاوقجي الشهير وقد نشر هذه الطريقة في طرابلس الشام الشيخ نجيب الحفار أحد علمائها المشهورين فلم نر من تلاميذه من الفسق ولم نسمع عنه أو عنهم القول بالحلول والاتحاد فالظاهر أن هذه الطريقة كغيرها من الطرائق المشهورة يتبع تأثيرها حال المشايخ الذين يتصدون لنشرها فان كانوا جاهلين ضالين أضلوا العامة بها وإن كانوا على علم وهدى نفعوا من ينتمي اليهم

بقدر مايصل اليه علمهم واخلاصهم. وقلما تسلم طريقة في هذا العصر من البدع، و بعض الشر أهون من بعض، والشيوخ هم العمدة . والذكر بالاسماء المفردة لم يرد في الشرع الامر به ولا العمل كما بينا ذلك من قبل، على أن الخطب فيه سهل

* * *

﴿ الوصية المنامية المكذوبة ﴾

(س ٢٤) من صاحب الامضاء في (دمشق الشام)

حضرة الاستاذ الكامل «السيد رشيد رضا» رافع «منار» الحقيقة في الاسلام رعاك الله

ماقول الاستاذ الرشيد ؟ في الشيخ احمد الداعي نفسه :- خادم الحرم الشريف - وما يذيعه في انحاء البلاد الاسلامية في كل سنة منذ بضع سنين غير قليلة - من الرسائل التي يدعي بها كل مرة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم من الرؤى الشبيهة بالوحي !! وعنها يروي الوصايا الجمة التي يرى فيها المطلع عليها من الانباء المعين وقوعها من زمن مخصوص ! والمغيب أمرها عن الخلق ! واسقاطه فروضا من الدين عن كاتب وصيته أو مستأجرها وغفر ذنوبه ووو.. ! واتيانه على لعن من لم يصدقها ويؤمن بها !! الى غير ذلك من الفظائع باسم الدين كما يتضح لكم ذلك في رسالته هذه الاخيرة التي بعثنا بها اليكم : افيدونا ذلك أدامكم الله نجما للهداية ورجما لارباب الغواية وسيفا قاطعا لرقاب المبتدعين وكهفا للمستهدين والسلام عليكم

ياسين قضماني

(ج) أتذكر انني رأيت في صغري وصية مثل هذه الوصية ارسلت الى والدي رحمه الله تعالى وقد سألت بعض الحجازيين هنا في (القسطنطينية) عن الشيخ احمد الذي ينشر هذه الوصية منذ عشرات من السنين فلم يعرفه أحد ويجوز ان يكون مفتجر الوصية الاولى قد مات وان الذين ينشرونها في هذه السنين قد أعجبهم ذلك فهم يعيدونه بتصرف فيه معزو الى اسم الشيخ احمد . وهذه الوصية ينطبق بعضها

على الشرع دون بعضها الآخر وعندنا من كتاب الله وصحيح احاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مايغني عن وصايا الرؤى إن صدق الرائي فيها فكيف اذا قام الدليل على عدم صدقه كمدعي هذه الرؤيا التي تشهد مخالفة بعض مافيها للثابت من الشرع وغلط ألفاظها على براءة الرسول (ص) منها

* * *

﴿ الكبريت المسوكر ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في (فوه)

سيدي حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا الحسيني صاحب مجلة المنار الغراء

بعد السلام والتحية نبدي لفضيلتكم انه الآن حصل خلاف بين بعض علماء بندر فوه بخصوص مسألة الكبريت ولا سيما المسوكر فمنهم من قال بنجاسته وان الحامل لشيء منه لاتصح صلاته ومنهم من قال بطهارته وقد انضم لكل من هؤلاء احزاب وضاعت الحقيقة بين الطرفين . نلتمس الإفادة ولسيادتكم من الأمة الاسلامية مزيد الشكر والثناء . امين صندوق جمعية الاصلاح بفوه

محمد عبد الحميد

(ج) بينا غير مرة في المنار ان النجس هو الشيء القذر الشديد القذارة والذي يؤخذ من مجموع كلام فقهاء المذاهب أن الشيء المتنجس يطهر بما يزيل القذارة كالماء والنار والشمس والدبغ والاستحالة . وكل ماقالوه في ذلك حق ومجموعه هو حكم الشرع في طهارة المتنجس وان كان بعضهم لايعترف بما يخالفه به الآخر ولا يلتفت الى دليله فيه لانه مقلد. والكبريت ليس قذرا في نفسه ولا نعلم ان فيه شيئا من الاقذار النجسة. وسمعت بعض الناس يقول انه نجس لان فيه شيئا من مادة السبيرتو او الكحول وقد بينا من قبل في المنار (ص ٥٠٠ و٨٢١ و٨٦٦ م ٤) ان الكحول والسبيرتو لايقوم دليل على نجاسته ، والحاصل ان الاصل في الاشياء الطهارة لاسيما اذا كانت لا قذارة فيها

ولم يقم في الكبريت دليل ينقض هذا الاصل فلماذا نضيق على المسلمين ونوقعهم في الحرج بما لا يزيدهم صلاحا في نفوسهم ولا نظافة في ابدانهم مع علمنا بأن الشرع ما حثنا على الطهارة وأمرنا باجتناب النجاسة إلا لأجل ان يكون المؤمن دائما نظيفا ومن زعم انه كلفنا ذلك لاجل إعناتنا و إحراجنا فكتاب الله حكم بيننا و بينه قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

باب المقالات

اصلاح الخط العربي

مزية الخط العربي الكبرى التي يمتاز بها على الخط الافرنجي وغيره هي الاختصار فالكلمة الافرنجية تأخذ من مساحة الصحيفة مثل ما تأخذه الكلمة العربية مرتين اومرات كما ترى في اسم (محمد) ويرسم هكذا بحروف الطبع عندهم (Mohammad) ولكن في الخط العربي نقصا لا تشفع له هذه المزية ولا أضعافها من المزايا لووجدت وهو ان معرفته لا تكفي لصحة قراءته بل يحتاج عارفه الى عدة علوم وفنون وحفظ الكثير من المفردات والفروق لأجل ان يصحح قراءته فكلمة «ملك» على صغرها تقرأ على وجوه كثيرة

مَلَكَ مَلَكٌ مَلَكٍ مَلْكٌ مَلْكٍ مَلِكَ مُلْكٌ مُلْكٍ مِلْكٌ مِلْكٍ مَلَّكَ مُلِّكَ مَلِّكْ مُلَّكٌ مُلَّكٍ مُلُكٌ مُلُكٍ ولهذه الصيغ كلها معان وتقرأ على وجوه أخرى ليس لها كلها معان مستعملة في هذه اللغة لأن الميم فيها ثلاثة اوجه الفتح والضم والكسر واللام فيها هذه الثلاثة مع التخفيف ومع التشديد وفيها السكون والكاف فيها الوجوه الثلاثة مع التنوين والتشديد وعدمها فيحصل من ضرب وجوه الميم وهي ثلاثة في وجوه اللام وهي سبعة ٢١ صورة

تضرب في وجوه الكاف وهي ١٢ يحصل ٢٥٢ ولك ان تضيف اليها السكون مع التشديد وعدمه فتلك ستة تضربها في ٢١ يحصل لك ١٢٦ فالمجموع زهاء ٤٠٠ صورة ! . ويكفي في الخلل ان تشتبه الكلمة بوجهين فقط كالمنتخب بكسر الخاء وفتحها بأن لا يخطر في بال قارئها ضبط آخر لها

ترتب على هذا الخط مفاسد كثيرة اهمها جعل اللغة العربية وعلومها عسرة التحصيل وكتبها عرضة للغلط والتحريف وكون قرائها كثيري الغلط واللحن حتى انه لا يكاد يوجد الآن في علمائها من يقرأ بدون لحن ولا غلط قط فما بالك بغير العلماء !. ولولا هذا العيب في خطنا لكان اكثر العامة الذين يتعلمون القراءة والكتابة قويمي اللسان بهذه اللغة وان لم يتعلموا النحو والصرف ويكثروا المراجعة في المعاجم ولكانت ملكتها قوية فيهم وفهمها يسيرا عليهم فكيف كان يكون شأن العلماء منهم؟

وفي هذا الخط عيب آخر ضارٌ وهو تشابه حروفها الذي كان سبب كثرة التصحيف والتحريف في كتبها حتى انك ترى الالوف من أسفارها المكتوبة في القرون الخالية لا يوثق بها او لا يستفاد المراد منها او يحتاج فيها الى المراجعة وإطالة النظر ليعرف الاصل الصحيح منها

قد اهتدى بعض الاذكياء من أوائلنا الى هذين العيبين في خطنا فوضعوا النقط للتفرقة بين الحروف المتشابهة وكانت تكتب من غير نقط ، ووضعوا الشكل لأجل ضبط الكلمات لتكون القراءة صحيحة لا لحن فيها ولا غلط ، ولكن هذين العلاجين لم يشفيا العلة ، ولم يرويا الغلة . فاما النقط فمع التزام اكثر المتقدمين وجميع المتأخرين له يكثر التصحيف في مخطوطاتهم فان نقطة الفاء اذا جاءت كبيرة ولو بغير تعمد تقرأ قافا ونقطتي القاف اذا كتبتا صغيرتين او ذهب جزء منهما بسبب ما قرىء القاف فاء ، ويقال مثل ذلك في الباء مع الياء والتاء مع النون . وكثيرا ما يؤخر الكاتب النقطة عن مكانها من الحرف او يقدمها قليلا فتشتبه الكلمة بكلمة اخرى ولاسيما في الحروف التي تكون في أول الكلمة او وسطها نبرة دقيقة وهي الباء والتاء والثاء والنون والياء فكلمة يبني من البناء تصير بتقديم وتأخير قليل لنقطتي النون والباء «ينبي» من الإنباء . وبمثل ذلك تشتبه الانباء بالابناء وعلى ذلك فقس

واما الشكل فيحصل فيه مثل هذا التقديم والتأخير الذي يكون في النقط لدقته وقرب الحروف بعضها من بعض فيترتب على ذلك الخطأ القطعي او الاشتباه وكلاهما شر. وهو مع ذلك عسير كأن الكاتب يكتب الكلمة مرتين مرة بحروف كبيرة ومرة بحروف دقيقة جدا ولذلك تركه الناس في غير المصاحف الا قليلا. وهو يعسر في الطبع كما يعسر في الخط ولذلك تكون أجرة طبع المشكول مضاعفة، وأدوات الشكل يسرع اليها الكسر في المطابع لدقتها فيفسد الشكل او يزول في اثناء الطبع، وقلما نجد نساخا يضبط لك شكل كتاب ينسخه لك فيجيء صحيحا، واندر من ذلك من يستطيع ان يشكل كتابا لم يكن مشكولا فان هذا عمل لا يقدر عليه الا المتمكنون من فنون اللغة كلها مع التمكن من العلم الذي يتضمنه ذلك الكتاب وفهم كلامه بالقرائن والاستعانة على ذلك بمراجعة كتب اللغة وغيرها

اذا أصلح الخط العربي بكتابته مضبوطا غير متشابه الحروف يكون ذلك مزيدا في أعمار العرب والمسلمين الذين يكتبون بحروفهم لانهم يتعلمون في أقل من نصف المدة التي يتعلمون فيها الآن، ومزيدا في ثروتهم لانهم لا ينفقون حينئذ على التعليم ونسخ الكتب وطبعها الا بعض ما ينفقونه الآن، ويكون سببا لسرعة ارتقائهم في العلوم والفنون والمدنية لان هذا يتوقف على سهولة التعليم وتعميمه. وبذلك تنتشر اللغة العربية بين المسلمين من الاعاجم بسرعة عظيمة فيقوى فيهم الاسلام نفسه فتنمي به آدابهم وفضائلهم ويأمنون من نزغات الالحاد التي تدخل عليهم الآن من كل باب من أبواب التعليم على منهاج الافرنج فتحل روابطهم الاجتماعية وتفسد آدابهم الملية فيفشو فيهم الفسق والخيانة اذ لا يكون لهم همّ الا في الاستكثار من المال لاجل التمتع بلذات الدنيا التي ليس وراءها حياة عندهم.

إن المسلم الذي لا يفهم القرآن فهما صحيحا ولا يعرف السيرة النبوية معرفة حقيقية يسهل تحويله عن الاسلام بالتعليم الافرنجي وان كان من العرب الذين فسدت ملكتهم العربية كأهل بلادنا كلهم فكيف اذا كان أعجميا!، كنت في مجلس فرأيت أحد الضباط الشبان يحادث طبيبا صديقا لي بجانبه فكان مما قاله له انه يعجب أن يراه متدينا مع تلقيه للعلوم العالية واصل هذا الدين وأساسه القرآن! (قال) وهو كتاب لم

أر مثله كتابا ركيكا معسلطا يسرع الملل الى قارئه!!! قال لي الطبيب يقول هذا وهو لا يفرق بين الاسم والفعل في العربية ولا يفهم آية فهما صحيحا! فقلت له ان هذا أحد السببين في ملله من القرآن، والسبب الثاني هو كفره المادي التقليدي الذي حبب اليه الشهوات والانطلاق من قيود التقوى وكرّه اليه الايمان والعمل الصالح، ومثل هذا القول لا يصدر عن عربي مؤمن ولا كافر فمهما كان حظ العربي من اللغة ضعيفا يفهم في الجملة علوّ القرآن على سائر الكلام. قال الدكتور شبلي شميل وهو فيلسوف مادي مشهور في النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إني وان أك قد كفرت بدينه ... هل أكفرنّ بمحكم الآيات
أو ماحوت في ناصع الالفاظ من ... حجج روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها ... ماقيدوا العمران بالعادات

وأثبت الاستاذ جبرضومط معلم البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ان القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه. وما يؤثر عن مشركي العرب البلغاء في ذلك مشهور لا محل لشرحه هنا وانما نقول ان اشهر وَصْف وُصف به القرآن هو كونه لا تمل تلاوته «ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد» ويظن بعض الناس ان اعتقاد حقيته والاجر على تلاوته هو السبب في عدم الملل فانا نعتقد حقية الاحاديث الصحيحة والاجر في مدارستها ولكننا اذا قرأنا صحيح البخاري كما نقرأ القرآن دائما على تمادي الايام والسنين نمل من قراءته ولا نستطيع أن نواظب عليها مع النشاط واللذة كما نواظب على تلاوة القرآن. والسبب الحقيقي لعدم الملل من تلاوة القرآن هو أسلوبه الغريب في مزج الحكم والاحكام والقصص والامثال والعظات والبينات ووصف محاسن المخلوقات وسنن الله في الاقوام والالهيات وأصول الايمان - مزج كل هذه العلوم بعضها ببعض في جميع السور في عبارات بليغة عالية مؤثرة كما بينت ذلك في العقيدة التي وضعتها للمتوسطين من طلاب العلوم والفنون وانما اطلت في هذا الاستطراد لانبه على أن الجهل بالعربية وعدم فهم القرآن هو الذي يمهد طريق الالحاد ومنه يعلم خطأ الذين

يقولون بترجمة القرآن كعبيد الله افندي من علماء الترك وصاحب جريدة العرب التي يبث فيها هذا الفكر ليقنع به قراءها وماهم بالذين يقتنعون

ونعود الى اصل الموضوع فنقول ان اذكياء المسلمين من العرب والترك وأذكياء نصارى العرب من السوريين قد فكروا في مسألة إصلاح الخط العربي في أواخر القرن الماضي وأتذكر ان شيخنا الجسر رحمه الله تعالى قد أطلعني في ايام الطلب على حروف وسمها بعض الاذكياء قد جعل الشكل فيها متصلا بالحرف فيكون للحرف عدة أشكال مع حفظ صورته الاصلية ولم يكن هذا مرضيا لمن اطلع عليه من الباحثين. وبحثت مجلة المقتطف في هذه المسألة فكان من رأي الباحثين فيها ان يكتب العرب لغتهم بالحروف اللاتينية التي يكتب بها الافرنج واستحسن اصحاب المجلة هذا الرأي ان لم تكن ذاكرتي مخطئة — ولكن لم يستحسنه ولن يستحسنه المسلمون. وقد تصدى بعض الافرنج كالانكليزي ويلمور الذي كان قاضيا في مصر لترويج هذا الأمر والاقناع باختيار اللغة العامية على اللغة الفصيحة ويرى المطلعون على المجلد الاول من المنار مقالاً طويلا منشورا في موضعين (ص١٠١ و١٢٠) في مقاومة هذا الرأي عنوانه (صدمة جديدة على اللغة العربية) سببه ان بعض الدعاة الى إقناع العرب باختيار الحروف اللاتينية قد نشر مع بعض الجرائد اليومية بمصر منشورا يدعو فيه الى كتابة اللغة العامية بهذه الحروف وعين جوائز مالية لمن يفعل ذلك. ومن البديهي ان غرض هؤلاء الدعاة هدم اللغة العربية والاسلام جميعا وما ذلك بالامر المستطاع ولو أنفقوا في سبيله جميع مافي اوربا من الذهب

واخترع جميل افندي الزهاوي من اذكياء بغداد خطا جديدا هو أمثل من الخط العربي ومن الخط الافرنجي وعرضه على الناس في مجلة المقتطف فلم يحفل به أحد لان المسلمين هم اصحاب الشأن في هذا الامر ولا يرضون بأن يتغير الخط الذي هو من مقوماتهم الملية وقد كتبت به مصاحفهم وأسفار سلفهم ولاسيما اذا كان التغيير بالانتقال الى خط أعدائهم السياسيين الذين يريدون إزالة سلطانهم من الارض وجعلهم أجراء مسخرين لخدمتهم وهم الافرنج

ذاكرت احمد مختار باشا الغازي في هذه المسألة بمصر منذ سنين فكان مما

قال لي انا فكرنا في هذه المسألة من قبل وتذاكرت انا وناظر المعارف وغيره من كبار رجال الدولة في وجوب إصلاح خطنا ليقرأه صحيحا كل قارئ، فان ضرر هذا الخط علينا عظيم ولا سيما في العسكرية فاننا نرسل الضباط من اركان الحرب لخرت بعض المواقع وضبط اسماء معاهدها وطرقها وقراها فيكتبون لنا اسماء لا نقرأها صحيحة وقد يكون الغلط والاشتباه فيها سببا للفشل في الحرب اذا وقعت فيها فكان من رأيي أن تكون نظارة الحربية أول من يستعمل الخط المضبوط في جغرافيتها فذلك لا يؤثر في التعليم الديني والادبي ولا يهيج علينا المتعصبين من العلماء لكل قديم. ولكن لم يكد ينتشر بين الناس خبر مذاكرتنا في ذلك حتى لغط به الناس وعدوه جناية على الاسلام وبلغني ان بعضهم قال نحن لا نعتب على فلان باشا وفلان باشا اذا قالوا مثل هذا القول لقلة مبالاتهم بالدين ولكن نعتب على احمد مختار باشا (اوقال مختار بك لانه لم يكن يومئذ باشا) الذي كنا نظن انه مسلم متدين. ثم قال لي بهذه المناسبة

« ان الاصلاح لا يمكن ان يأتي من تحت الطربوش بل لابد أن يكون من تحت العمامة فاذا لم يوجد في علماء المسلمين من يقوم بالاصلاح فلا يصلح حالهم حتى ان الخليفة الذي هو امام المسلمين ورئيسهم الديني لايمكنه وقد خرج من الهيئة العلمية الدينية ان يأتي باصلاح جديد للمسلمين مالم يفته في ذلك شيخ الاسلام »

هذا — واني في السنة الماضية قد رغبت الى المفكرين في الاصلاح اللغوي من اعضاء نادي دار العلوم بمصر ان يبحثوا في هذه المسألة وأن يراجعوا فيها انواع الخط الكوفي وغيره من الخطوط الاسلامية القديمة ويختاروا منها حروفا لا يشتبه بعضها ببعض ولو بالتلفيق وان يبحثوا ايضا في طريقة كتابتها مضبوطة بغير هذا الشكل الدقيق العسر. وكان بعض المفكرين من الفرس وغيرهم رأى ان تكتب الحروف العربية المشهورة الآن مقطعة ويجعل الالف بعد الحرف المفتوح

والواو بعد الحرف المضموم والياء بعد الحرف المكسور وان يكتب الحرف المشدد مرتين كما هو الاصل فيه ولذلك يسميه الصرفيون مضاعفا ورأيت كتابا مطبوعا على هذه الطريقة ولكن فيها اشكالات ومعايب ولم يرضها اكثر المطلعين عليها

ولما جئت القسطنطينية في العام الماضي عرفت فيها الطبيب اسماعيل حقي افندي الميلاسلي فرأيته مهتما بهذه المسألة أشد الاهتمام وقد وضع فيها كراسة لإصلاح هذا الخط على ان يكتب حروفا مقطعة ويكتب بجانب كل حرف من حروف الكلمة حرفا لضبط حركته يقرب من حروف العلة لانه يرسم بتغيير ما فيها وزاد حروفا جديدة لضبط الخط التركي لأن في اللغة التركية من الاصوات ما لا مثل له في العربية . وهو يوزع هذه الكراسة على من يرجو منهم العناية بهذا الاصلاح جزاه الله خيرا ولكن هذا الخط يحتاج الى تعليم جديد ولا ينطبق على القديم من كل وجه وفيه علل أخرى فلا أرى ان الجمهور يقبله كما هو

ورأيت هنا (في القسطنطينية) أيضا بحثا وجدالا بين الارنؤط في المفاضلة بين الحروف العربية والحروف اللاتينية فكان بعضهم يرجح الحروف اللاتينية لأن لغتهم تتأدى بها أداء صحيحا لان حروفهم وأصواتهم عين حروفها وأصواتها ولأنها هي الاصل المستعمل عندهم . وخالفهم الاكثرون محتجين بأن تلك الحروف تبعدهم عن الاسلام والحروف العربية تقربهم منه وقد نفذ رأي الاكثرين بعد ان انتصر لهم اكثر المبعوثين منهم وصدر أمر الحكومة باعتماد الحروف العربية في تعليمهم وكانوا يتعلمون لغتهم في بعض مدارس الحكومة بالحروف اللاتينية . وقد ذاكرت اسماعيل كمال بك اشهر مبعوثيهم في هذه المسألة وقلت له اذا ترجح عندكم استعمال الحروف العربية فيحسن أن تستعملوها على طريقة إصلاحية اذ لا صعوبة في ذلك عندكم كما يصعب على ان من ألفوا الطريقة القديمة التي يكثر خطأها وتحريفها . فقال انه لا يمكن ان يكون بدء هذا الاصلاح من شعب اسلامي صغير بل يجب ان يبدأ بمثل هذا العرب انفسهم وسائر المسلمين يتبعونهم فيه

هذا ملخص ما أتذكره الآن من شعب هذه المسألة المهمة وان لي رأيا في هذا الاصلاح كنت أريد ارجاءه الى الوقت الذي يسهل فيه إيضاحه و يرجى قبوله

ولكن قويت الداعية الى التنويه به الآن وسأوضحه في فرصة أخرى بعد سبك الحروف على الوضع الذي يتضح به

أرى انه يمكن اصلاح هذا الخط إصلاحا يحافظ فيه على أشكال الحروف المعهودة، وشكولها المعروفة، أو ما يقرب منها، ولا يحتاج فيه الى تعليم جديد للمتعلمين، ولا الى ابطال كتب السابقين، ويؤمن فيه مع ذلك من الاشتباه والتحريف والتصحيف والغلط الكثير، من غير إضاعة لما فيه من مزية الاختصار بالمرة، وليبدأ هذا الاصلاح بالطبع فهو من مسهلاته مع قلة النفقة . وانا نشير الى ذلك بالايجاز ثم نشرحه عند ما يتيسر لنا سبك حروف جديدة له عند عودتنا الى مصر الا أن يفهمه ابراهيم بك رمزي صاحب مسبك التمدن بمصر أو بعض ذوي العناية هنا فيعجلوا بسبك الحروف له فيكونوا من السابقين الى الاصلاح الذي نحمده لهم ونشكرهم عليه

أرى ان تكون الحروف متفرقة فهذا شرط لا يتم الاصلاح بدونه ولكن الحروف التي تتصل بغيرها تكتب على حدتها بالصورة التي تكون عليها اذا كانت في أول الكلمة الا ما اشتبه بغيره منها وكان المميز له النقط فقط فيترك على وضعه المفرد من غير تغيير او بتغيير قليل لا يخفى به على أحد ولا يحتاج معه الى تعليم جديد ولا يكتفى بالتمييز بالنقط . وذلك ان تكون الباء دائما هكذا (بـ) والتاء مثلها ولكن نبرتها أو سنها تكون من الاسفل كما ترسم في خط الثلث (تـ) والثاء والنون والياء هكذا دائما (ث ، ن ، ي) والجيم هكذا (جـ) والحاء مثلها ولكن يلتقي الطرفان الايسران منها اللذان كضلعي الزاوية او تجعل كثلث هكذا (حـ) وأما الخاء المعجمة فتكون هكذا (خـ) بزيادة نبرة من الطرف الايسر . ويفرق بين الدال والذال بجعل أحدهما على الصورة التي يكتبه بها المغاربة اي بزيادة شنخوب فيكون قريبا من الكاف الصغيرة في أول الكلمة ولا يشتبه بذلك على احد . ويفرق بين الراء والزاي كما يفرق بينهما في قاعدة الثلث (ر ، ز) و بين السين والشين كذلك بجعلهما هكذا (س ، ش) . و بين الصاد والضاد هكذا (ص ، ض) و بين الطاء والظاء بجعل عمود احداهما معقوفا كما يرسم في الخط الديواني . و بين العين والغين بجعل احداهما ذات شنخوب كما ترسم في

الخط الثلث أحيانا - و بين الفاء والقاف هكذا (ف ، ق) ولا بأس بجعل نقطة الفاء من الاسفل ونقطة واحدة للقاف من الاعلى كما يكتب المغاربة . وتكتب سائر الحروف هكذا (ک ، ل ، م ، ن ، ه ، ة ، و) والرسم الثاني للهاء يخص بالمشتركة بين التاء والهاء . وهمزة الوصل تكتب ألفا بغير علامة أو بالعلامة المشهورة هكذا (أ) وهمزة القطع هكذا (أ) والممدوة هكذا (آ) وأما ألف المد فيبقى على صورته (ا) إن جعلنا همزة الوصل ذات علامة والاجعلناه هكذا (ا) وواو المد يكون هكذا (و) وياء المد هكذا (ى)

هذا ما نكتبه الآن في وصف هذا الضرب على اصلاح الحروف بالاختصار ونرجيء التفصيل و بيان الجزئيات الى ان تسبك الحروف على الوضع الذي أشرنا اليه

وأما الشكل الذي يضبط به الكلام وهو الاهم فيمكن ان يستغني فيه عن علامة الفتح لانه هو الاكثر ويوضع للرفع والكسر هذه الاداة المعروفة في طباعتنا الآن (،) ويفرق بينهما بكيفية وضعها هكذا (و - ،) واذا كان الحرف منونا توضع مزدوجة هكذا (،، - ،،) والحرف المفتوح المنون يوضع له علامة أخرى إما العلامة المشهورة وإما غيرها كعلامة التعجب المشهورة في المطبوعات العصرية مكررة مرتين فقط (!!) وعلامة السكون المعهودة في شكلنا بجعل كبيرة وتبقى على حالها . واما الحرف المشدد فاما أن نبقي له علامته المشهورة مع تكبيرها قليلا واما ان نكتبه مرتين كما هو الاصل فيه

هذا ما أعرضه الآن موجزا مجملا على نادي دار العلوم بمصر وعلى محبي الاصلاح من العلماء وأصحاب الجرائد والمطابع والمسابك ليبحثوا فيه ولهم ان يختاروا بعض الاشكال والشكول على بعض ولكن لا ينبغي أن يطول السكوت على هذا الخلل العظيم والله الموفق

اطوار اللغة العربية (*)

لم يأت الباحثون عن مبدأ اللغة في ادلتهم بما تطمئن اليه النفوس ويحل منها محل القطع او الظن القريب منه، على ان اختلافهم في تعيين الواضع هل هو الله تعالى او البشر مما لا تترتب عليه فائدة في العمل تقتضي العناية بترجيح احد المذهبين ومن ثم صحح المحققون ان ادخال هذه المسألة في علم الاصول من الفضول، وزعم بعضهم ان قلب الالفاظ التي يؤدي تغييرها الى فساد في احكام الشريعة كتسمية الثوب فرسا والفرس ثوبا يرجع حكمه الى اصل ذلك الخلاف فيمتنع القلب على القول بان اللغة كلها وقعت بتعليم من الله ويجوز على القول بانها وضعت باصطلاح البشر وليس هذا البناء بمستقيم فان مجرد اسناد الوضع الى الله تعالى وان ثبت بالحجة القاطعة لا يقتضي الوقوف عند حد ما ورد منه والامساك عن تغييره باصطلاح جديد

وأقصى ما ثبت في التاريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد سام بن نوح عليه السلام وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وو بار وغيرها وقد انقرضت اجيال هؤلاء الا بقايا متفرقين في القبائل ولا يصح شيء مما يروى عنهم من الشعر، وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة أشعارا كثيرة ونسبها الى عاد وثمود . ثم انتقلت الى بني قحطان وكانوا يتكلمون باللسان الكلداني لسان اهل العراق الاصليين واول من انعدل لسانه الى العربية يعرب بن قحطان و بعد ان نشأت منها الحميرية لغة اهل اليمن انتقلت الى اولاد اسماعيل عليه السلام بالحجاز، ولم تكن لغة اسماعيل عربية بل كان عبرانيا على لسان ابيه ابراهيم عليه السلام، ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرهم الثانية حين نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه اولاده فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض و يضعون الاسماء بحسب ما يحدث من

(*) بقلم الشيخ محمد الخضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامع الزيتونه بتونس في مسامرته « حياة اللغة العربية »

المعاني الى ان ظهرت اللغة في كامل حسنها و بيانها وصار لها شأن عظيم وتأثير بليغ

ويدلك على عنايتهم بامر الفصاحة ما وصل الينا من نتائج افكارهم و بدائع خطبهم وقصائدهم في سوق عكاظ وسوق مجنة اذ يفدون عليها في موسم الحج ويقيمون في عكاظ ثلاثين يوما وفي مجنة سبعة ايام يتناشدون ماوضعوه من الشعر ويتفاخرون بجودة صناعة الكلام وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته كالنابغة الذبياني ويعرضون عليه منتخبات اشعارهم ، وكان بعضهم يهدد بعضا بنظم الهجاء وتسييره في ذينك الموضعين قال امية بن خلف يهدد حسان رضي الله عنه

ألا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب الى عكاظ

وقال حسان في جوابه

اتاني عن امية زور قول وما هو في المغيب بذي حفاظ
سأنشر ان بقيت له كلاما ينشر في المجنة مع عكاظ

ومن شواهد هذا ان الحارث بن حلزه اليشكري كان شاعرا حكيما ولكنه ابتلي بوضح (برص) ومن اجله كان عمرو بن هند ملك الحيرة يكره النظر اليه و يأبى ان يستمع الى خطابه الا من وراء ستار، فدخل عليه يوما وانشد بين يديه قصيدته المعدودة في المعلقات

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وتعرض فيها الى شيء من الصلح بين بكر وتغلب فبهرت عمرا برائع نظمها واستولت على لبه بسحر بيانها فأخذته هزة وارتياح ولم يتمالك ان امر برفع الستار ما بينهما

واقتضت عناية العرب لذلك العهد بالابداع في القول والتنافس في مقام الفصاحة أن ظهرت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغة ما انزل عليه من القرآن ، كما جاء عيسى عليه السلام يبرئ الاكه والابرص ويحيي الموتى باذن الله لما ارسل الى قوم توفرت عندهم العناية بعلم الطب ، وكما بعث موسى عليه السلام الى امة انتهى السحر فيها الى غاية فاتاهم في مقام المعجزة بابدع ما يكون في قلب الاعيان و إراءتها في غير صورتها الاولى

ثم ارتقت اللغة في صدر الاسلام الى طورها الاعلى ودخلت في اهم دور يحق علينا ان نسميه عصر شبابها فنمت عروقها وانمرت غصونها بالوان مختلفة من الاساليب

ومن مآثر هذه الحياة الراقية ان كان كلام الناشئين في الاسلام من العرب احلى نسقا واصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم ومحاوراتهم

والاسباب التي ارتقت بها اللغة حتى بلغت اشدها واخذت زخرفها امور ثلاثة :

أحدها ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول فانه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الاساليب المعتادة للفصحاء قاطبة وان لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة واتفق كبرا وهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به وان تفاضل الناس في الاحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق وجودة القريحة

ومن النحاة من يحكم على بعض استعمالات يرد عليها القرآن بعدم القياس عليها كما قصروا حذف حرف المصدر و رفع المضارع بعده على السماع بعد ان أو ردوا في مثاله قوله تعالى «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا» الآية . ولا أدري كيف يتفق لهم هذا مع علمهم بأنه صاحب البلاغة التي ليس وراءها مطلع ، و إنا لنعلم قولهم في أصول العربية أن ماقل في السماع ان كان مقبولا في القياس صح القياس عليه وان وجد مايعارضه في القياس يوقف على السماع فنسلم لهم اجراء هذه القاعدة في كلام العرب لاحتمال ان تزيغ السنتهم عن القصد فيحرفون الكلمة عن اصل استعمالها غلطا ولا نسلم لهم تحكيمها في كتاب الله الذي أخرس بفصاحته لسان كل منطيق

ثانيها ما تفجر في اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من ينابيع الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والابانة عن الغرض بدون تكلف: روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لقد طفت في احياء العرب فما رأيت احدا أفصح منك يارسول الله، قال« ومايمنعني وانا قرشي وارضعت في بني سعد و بنو سعد أفصح قبيلة في العرب بعد قريش »

وانما اغضى علماء اللسان النظر عن الاستشهاد بالحديث لان رواته لم يجمعوا عنايتهم على ضبط الفاظه كما كانوا يتثبتون في نقله على المعنى ولو تحقق أهل العربية

من رواية حديث بلفظه كالاحاديث المنقولة للاستشهاد على فصاحته صلى الله عليه وسلم لاستندوا اليه في وضع احكامها يقينا

ثالثها ما افاضه الاسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتئام بعضها ببعض من الافكار ومطارحة الآراء ومعلوم ان اتساع العقول وامتلاءها بالمعارف مما يرقي مداركها ويزيد في تهذيب المعيتها فتقذف بالمعاني المبتكرة وتبرزها في اساليب مستحدثة فان كثرة المعاني ودقتها تبعث على التفنن في العبارة والتأنق في سياقها و يوضح لكم هذا ان الناشئين في الحواضر نجدهم في الغالب اوسع غاية في اجتلاب المعاني الفائقة واهدى الى العبارات الحسنة ممن يعادلهم في جودة القريحة وفصاحة المنطق بفطرته لاشتمال المدن على معان شتى ينتزع الذهن منها هيئات غريبة لا طريق لتصورها الا المشاهدة

ولما فارقت العرب الحجاز لابلاغ دعوة الاسلام و بث تعاليمه بين الامم اقتضت مخالطتهم لمن يحسن لغتهم ضعف ملكتها على السنتهم ودخول التغيير عليها في مبانيها واساليبها وحركات اعرابها وابتدأ التحريف يسري الى اللغة في عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاشار على أبي الاسود الدؤلي بوضع علم النحو ولم يزل ائمة العربية يحوطونها باستنباط القواعد حتى ضربوا عليها بسياج يقيها عادية الفساد ويحول بينها وبين غوائل الضياع والاضمحلال وحين انتشرت المخالطة وتفشي داء اللحن امسك العلماء عن الاستشهاد بكلام معاصريهم من العرب و يعدون اول المحدثين الذين لا يستشهد باقوالهم بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ واحتج سيبويه بشيء من شعر بشار بدون اعتماد عليه وانما اراد مصانعته وكف اذايته حيث هجاه لتركه الاحتجاج بشعره كما استشهد ابو علي الفارسي في كتاب الايضاح بقول ابي تمام

من كان مرعى عزمه وهمومه   روض الاماني لم يزل مهزولا

وليس من عادتهم الاستشهاد بشعر أبي تمام لان عضد الدولة كان يعجب بهذا البيت وينشده كثيرا

واستشهد صاحب الكشاف عند قوله تعالى (واذا اظلم عليهم قاموا) بيت من شعر ابي تمام وقال وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من

علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . فيؤخذ من صريحه انه يرى صحة الاحتجاج بكلام المحدث اذا كان من ائمة اللغة وليس مذهبه هذا بسديد وقياس ما يقوله ابو تمام على ما يرويه غير صحيح فان التكلم بالعربية الصحيحة لعهد ابي تمام ناشيء عن ملكة تستفاد من تعلم صناعتها ومدارسة قوانينها فعلى فرض ان لا تفوته معرفة بعضها قد يذهل عن ملاحظة تلك القوانين فلا يأمن ان يزل به لسانه في خطأ مبين . وابو تمام نفسه صدرت عنه ابيات كثيرة خرج فيها عن مقاييس العربية قال ابن الاثير لم اجد احدًا من الشعراء المفلقين سلم من الغلط فاما ان يكون لحن لحنا يدل على جهله بمواقع الاعراب واما ان يكون اخطأ في تصريف الكلمة ولا اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس

اما العربي القح فإنه يطلق العبارة بدون كلفة في اختيار الفاظها او ترتيب وضعها فتقع صحيحة في مبانيها مستقيمة في اعرابها ولا يكاد يلحن في اعراب كلمة او يزيلها عن موضعها اذا ترك لسانه وسجيته ومن ثم كان قرض الشعر كالخطابة على الارتجال والبديهة شائعا عند العرب نادرا في عصر المولدين ، ولا يعترض هذا بان كثيرا من العرب يطيل المدة في عمل القصيدة كما فعل زهير في حولياته لأنه يستوفيها في امد قريب ويتمها على شرط الصحة ولكنه لا يخرجها للناس اذا فرغ من عملها الا بعد التروي واعادة النظر في تقويم معانيها وحسن النسق في بنائها وإحكام قوافيها لا ليخلصها من اللحن ويطبق عليها اصول العربية كما هو شأن المحدثين

ثم نشأ بهذا التحريف الذي طرأ على اللغة مرض آخر انجر اليها بسبب من اسباب حسنها هو ان مسلم بن الوليد وابا تمام امعنا النظر في اشعار الفصحاء وخطبهم وحسروا اللثام عن وجه بيانها فابصروا فيها محاسن من فنون البديع كالاستعارة والجناس والتورية فشغفوا بها وثابروا على ايرادها في منظوماتهم توفيرا لحسنها واستزادة من التأنق فيها فكان الناس يقولون ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وسمع اعرابي قصيدة ابي تمام التي يقول في طالعها :

« طلل الجميع اراك غير حميد »

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها اشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منه . وما تعاصى فهمها على الاعرابي الا لكونه سمع شعرا حشي بوجوه من البديع خرجت به عن الاسلوب المألوف فثقل تأليفه وبعد عن الافهام تناوله

واتبع طريقهما كثير من الادباء وربما انتهى بهم الاعجاب بمحاسن البديع الى مخالفة قانون العربية وتغيير بنية الكلمة من اجلها كقول بعضهم

انظر الي بعين مولى لم يزل   يولي الندى وتلاف قبل تلافي

فكأنه زاد في مصدر تلف الفا يتم له الجناس مع قوله تلاف ولا نعرف في كتب اللغة من ذكر التلاف مصدرا لتلف وانما يوردون في مصدره التلف بدون الف

ولم تقف سيئة الاكثار من البديع عند حد الشعر بل تعدى وباؤها الى النثر ايضا فطفق كثير من الكتاب يملأون رسائلهم بوجوه التحسين: الاستعارة والجناس ونحوها، واجتهدوا ان لا يفوتهم الشعراء بواحد منها حتى اذا ماتلقيت صحيفة من هذا القبيل والقيت فيها نظرك ليطوف عليها بالمطالعة ادركته عند كل فقرة حبسة والتوت امامه طرق فهمها وان كانت معاني مفرداتها جلية فتحس به كيف ينتقل من كلمة الى اخرى بخطوات ضيقة كأنما حمل على قيد من حديد، وأكثر هؤلاء يهملون النظر الى جانب المعنى والمحافظة عن اقامته واستيفائه وهذا مابعث الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين قام ينادي بابسط عبارة ان الالفاظ خدم للمعاني وان المعاني مالكة سياسة الالفاظ ، وأقام الحجة في كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة(*) على ان مزية الفصاحة انما استحقتها الالفاظ ووصفت بها من جهة معانيها وازال كل شبهة عرضت لمن اعتقد انها مزية استحقها اللفظ بنفسه

وادرك غالب المحررين اليوم ان تتبع هذه الحسنات ومواصلة العمل بها في نظم الكلام يدلها سيئات تشمئز منها قلوب الذين يستمعون القول فيتبعون

(*) يباع كل واحد منهما بعشرين قرشا صحيحا بادارة المنار واجرة البريد ثلاثة

احسنه بيانا فاقلعوا عن الاكثار منها لاسيما في خطابات الجمهور وزهدوا فيها الا ما سمح به الخاطر عفوا ورمته الطبيعة بدون كلفة ظاهرة

وكانت اللغة في خلال الاعصر الماضية تعلو وتضعف وتنتشر في انحاء المعمورة على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الادبية فارتفع ذكرها حين كان الامير سيف الدولة يباحث ابا علي الفارسي في غوامض علم النحو وينقد شعر ابي الطيب المتنبي بذوق لطيف ويجازيه وغيره من الشعراء بغير حساب

وارتقى شأنها يوم قام القاضي منذر بن سعيد في مجلس الملك الناصر لدين الله عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة وشرع يخطب من حيث وقف ابو علي البغدادي واقتطع به القول فوصل منذر افتتاح ابي علي بكلام عجيب واطال النفس في خطبة مرتجلة فخرج الناس يتحدثون ببديهته المعجزة وارتواء لسانه من اللغة الفصحى ولا مرية في ان كرم الدولة باعث على ارتقاء حال اللغة عند من التفت الى التأريخ واقام الوزن بين الشعراء الناشئين في زمن اجواد العرب وملوك آل جفنة وملوك لخم كزهير والنابغة وبين من تقدمهم من الشعراء

باب الانتقاد على المنار

﴿ السائل والمسئول – كلمة مولى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الشيخ المكرم ناصر السنة وقامع البدعة العالم العامل السيد محمد رشيد رضا المحترم ادام الله بقاءه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قرأت في المنار الاغر لازالت راياته منشورة ، وآياته ظاهرة منصورة ، في (ص ٨١٤ جزء ١١ من المجلد ١٢) سؤالا ورد

من محمد علي افندي من موظفي كرك يافا ذكر فيه انه قد اطلع على كتاب يدعى صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان قال فرأيته فسر كلمة مولى بما معناه: ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا مولانا فلان فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله. الى آخر السؤال فاجبتم على هذا السؤال بقولكم: الجواب قد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي نقلتموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا الى آخر الجواب ، وحيث ان الداعي لتحريري هذا هو التنبيه لا طلب التخطئة فأرجوكم ان تسمحوا لي من حيث اني أنبه على غلط السؤال والجواب ليتبين وجه الصواب ، فأقول:

من الواجب ان يتنبه المسئول لمورد السؤال فلا يعتمد نقل السائل اذا كان يعزو الى كتاب معين سواء كان حكى اللفظ او المعنى كهذا السائل الذي لا يفهم منهما شيئا ان لم يكن عنده سوء قصد فحيث ان موضوع الكتاب المسمى بصيانة الانسان رد على ما افتراه دحلان على الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكذب والبهت في رسالته التي سماها بالدرر السنية في الرد على الوهابية فقد اقام الله تعالى لرد باطله ذلك العالم الجليل صاحب صيانة الانسان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السندي حتى زيف مالفقه من الزور والبهتان وابدى عوراته لكل انسان فجزاه الله عن نصرة الحق واهله خير الجزاء وهذا ما قاله دحلان مما وقع في صفحة ٥١١ من الكتاب المذكور «ويزعم ان من قال لاحدنا مولانا وسيدنا فهو كافر الى آخر ماهذى به» فهذا جواب صاحب صيانة الانسان ننقله بالحرف الواحد قال في صفحة ٥١٣

« واما مسألة قولنا لأحدنا مولانا وسيدنا فنذكر ماورد في الباب ، منها ما اخرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقولن احدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي - وفي رواية له - ولا يقل العبد لسيده مولاي · وزاد في حديث ابي معاوية: فان مولاكم الله عز وجل - وفي رواية له - ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل احدكم عبدي أمتي وليقل فتاي فتاتي غلامي · واخرج هذا الحديث ابو داود ايضا وأخرج ابو داود عن مطرف قال قال ابي انطلقت

في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال: السيد الله · قلنا وأفضلنا فضلا واعظمنا طولا قال: قولوا بقولكم او بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان · واخرج ابو داود عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا للمنافق سيد فانه ان يك سيدا فقد اسخطتم ربكم عز وجل · » انتهى

فقد علم من تلك الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اطلاق لفظ السيد والمولى على احدنا ورخص فيهما أيضا ووجه التوفيق بأن للسيد والمولى معاني فالنهي باعتبار بعض المعاني والرخصة باعتبار البعض الآخر ، قال في النهاية في مادة السود: السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل اذى قومه والزوج والرئيس والمقدم. انتهى وقال في مادة الولي: وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه · انتهى

فالنهي عن اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب ، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني فان ثبت ان الشيخ قد منع من اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله فمراده السيد والمولى بمعنى الرب ، واما بالمعنى الآخر فكيف يتصور ان يمنع الشيخ منه فانه عقد بابا في كتاب التوحيد بهذا العنوان باب (لا يقول عبدي وأمتي) واورد فيه حديث ابي هريرة المروي في مسلم الذي تقدم ذكره آنفا وفيه هذا اللفظ: وليقل سيدي ومولاي. فهذا اللفظ صريح في جواز اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر ، انتهى المقصود منه .

وله تتمة ساق المصنف فيها احاديث كثيرة في جواز اطلاق السيد والمولى على غير الله بمعنى غير الرب يطول ذكرها قال في آخرها: فعلم من ههنا ان اطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين لا وجه للمنع منه ، فانظر حفظك الله من أين فهم السائل ان صاحب الكتاب فسر كلمة مولى بأنها مشتقة من اسم الجلالة الى آخر ماذكره حينئذ تعلم ان السؤال والجواب ، قد حادا عن

طريق الصواب ، وختام كتابي تقديم ازكى سلامي ولائق احترامي ودمتم محروسين

دمشق الشام كاتبه

فوزان بن سابق

(المنار) لا نسلم للكاتب قوله انه يجب على المسئول ان لايعتمد على نقل السائل فكلام الناس ونقلهم يحمل على الصدق مالم يتبين كذبه او يدل عليه شيء واذا كان الجواب مبنيا على السؤال وكان حقا على تقدير كون السؤال في محله فلا لوم على المجيب اذا كان السؤال غير منطبق على الواقعة. وكان النبي (ص) يجيب بل يحكم للناس بحسب الظواهر كما هو معلوم

آثار علمية ادبية

الى الامة العربية

هو الليل يغري بي الاسى فيطول ... ويرخي وما غير الهموم سدول
أبيت به لا الغاربات طوالع ... عليَّ ولا للطالعات أفول
وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفاً ... فتطويه مني رنة وعويل
ولي فيه دمع يلذع الخد حره ... وحزن كما امتدَّ الظلام طويل
بكيت على كل ابن اروع ماجد ... له نسب في الاكرمين جليل
يليح من الضيم المذل بغرة ... لها البدر ترب والنجوم قبيل
من العرب اما عرضه فموفر ... مصون واما جسمه فهزيل
له سلف عزّوا فبزّوا نباهة ... ولم تعتورهم فترة وخمول
وساروا بنهج المكرمات تقلهم ... قلائص من سعي لهم وخيول
وكانوا اذاماأظلم الدهر اشرقت ... به غرر من مجدهم وحجول

أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم ... فلم تسر فيه نسمة وقبول
وقد أعطشته السحب حتى لقد علت ... على الزهر منه صفرة وذبول
رعى الله من أهل الفصاحة معشرا ... لهم كان فوق الفرقدين مقيل
ترامى بهم ريب الزمان كأنما ... له عندهم دون الانام ذحول
فامست من العمران خلوا بلادهم ... فهنَّ حزون قفرة وسهول
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا ... تجرّ بها للرامسات ذيول
وقوّضت الايام بنيان مجدها ... فربع المعالي بينهن محول

* * *

نظرت الى عرض البلاد وطولها ... فما راق لي عرض هناك وطول
ولم تبد لي فيها معاهد عزها ... ولكن رسوم رثة وطلول
نظرت اليها من خلال ذوارف ... من الدمع طرفي بينهن كليل
فكنت كراءٍ من وراء زجاجة ... بعينيه كيما يستبين ضئيل
ولم اتبين ماهنالك من على ... لكثرة ماقد دب فيه نحول
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطا ... بكفي على قلب يكاد يزول
واوسعت صدري للكآبة فاغتدت ... بارجائه تحت الضلوع تجول
وارسلت دمع العين فانهلَّ جاريا ... له بين اطلال الديار مسيل
أأمنع عيني أن تجود بدمعها ... على وطني؟ اني اذاً لبخيل!
فان تعجبوا أن سال دمعي لأجله ... فان دمي من اجله سيسيل!
وما عشت اني قد تناسيت عهده ... ولكن صبري في الخطوب جميل
وان امرأ قد اثقل الهمُّ قلبه ... كقلبي ولم يلق الردى لحمول
أفي الحق ان انسى بلادي سلوة ... ومالي عنها في البلاد بديل
أقول لقومي قول حيران جازع ... تهيج به اشجانه فيقول:
متى ينجلي ياقوم صبح ظلامكم ... وتذهب عنكم غفلة وذهول
وينطق بالمجد المؤثل سعيكم ... فيسكت عنكم لائم وعذول؟
تريدون للعليا سبيلا وهل لكم ... اليها وانتم جاهلون سبيل!

اناشدكم ابن المدارس انها … على الكون فيكم والحياة دليل؟
وابن الغنيّ المرتجى في بلادكم … يجود على تشييدها ويطول!
بلاد بها جهل وفقر كلاهما … اكول شروب للحياة قتول
اجل انكم انتم كثير عديدكم … ولكن كثير الجاهلين قليل
ولو ان فيكم وحدة عصبية … لهان عليكم للمرام وصول
ولكن اذا مستنهض قام بينكم … تلقاه منكم بالعناد جهول!
واي فريق قام للحق صده … فريق طلوب للمحال خذول!
وان كان فيكم مصلحون فواحد … فعول والف في مداه قؤول!
على ان لي فيكم رجاء وان أكن … الى اليأس احيانا اكاد أميل
ألستم من القوم الاولى كان علمهم … به كل جهل في الانام قتيل
لهم همم ليس الظباة تفلها … وان كان منها في الظباة فلول
الا نهضة علمية عربية … فتنعش ارواح بها وعقول
ويشجع رعديد ويعتز صاغر … وينشط للسعي الحثيث كسول
فان لم تقم بعد الاناة عزائم … فعتبي عليكم والملام فضول!

معروف الرصافي

رعاية الاطفال

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال؟ … لا! بل فتاة بالعراء حيالي
أمست بمدرجة الخطوب فما لها … راع هناك وما لها من وال
حسرى تكاد تعيد لحمة ليلها … ناراً بأنات زكين طوال
ما خطبها عجبا وما خطبي بها … مالي أشاطرها الوجيعة مالي!
دانيتها ولصوتها في مسمعي … وقع النبال عطفن اثر نبال
وسألتها: من أنت؟ وهي كأنها … رسم على طلل من الاطلال!

فتململت جزعا وقالت: حامل … لم تدر طعم الغمض منذ ليال
قد مات والدها وماتت أمها … ومضى الحمام بعمها والخال،
والى هنا حبس الحياء لسانها … وجرى البكاء بدمعها الهطال
فعلمت ما تخفي الفتاة وانما … يحنو على أمثالها أمثالي
ووقفت أنظرها كأني عابد … في هيكل يرنو الى تمثال
ورأيت آيات الجمال تكفلت … بزوالهن فوادح الاثقال
لا شيء افعل في النفوس كقامة … هيفاء روّعها الاسى بهزال
أو غادة كانت تريك اذا بدت … شمس النهار فأصبحت كالآل
قلت انهضي، قالت اينهض ميت … من قبره ويسير شنّ بالي؟
فحملت هيكل عظمها وكأنني … حملت حين حملت عود خلال!
وطفقت أنتهب الخطى متيمما … بالليل دار رعاية الاطفال
أمشي واحمل بائسين فطارق … باب الحياة ومؤذن بزوال
أبكيهما وكأنما أنا ثالث … لهما من الاشفاق والاعوال
وطرقت باب الدار لا متهيبا … أحدا ولا مترقبا لسؤال
طرق المسافر آب من اسفاره … أو طرق رب الدار غير مبال
واذا بأصوات تصيح: ألاافتحوا … دقات مرضى مدلجين عجال
واذا بأيد طاهرات عودت … صنع الجميل تطوعت في الحال
جاءت يسابق في المبرة بعضها … بعضا لوجه الله لا للمال
فتناولت بالرفق ما أنا حامل … كالأم تكلأ طفلها وتوالي
واذا الطبيب مشمر واذا بها … فوق الوسائد في مكان عال
جاءوا بانواع الدواء وطوّفوا … بسرير ضيفهم كبعض الآل
وجثا الطبيب يجس نبضا خافتا … ويرود مكمن دائها القتال
لم يدر حين دنا ليبلو قلبها … دقات قلب أم دبيب نمال
ودعتها وتركتها في أهلها … وخرجت منشرحا رخيّ البال

وعجزت عن شكر الذين تجردوا … للباقيات وصالح الاعمال
لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها … تلك المروءة والشعور العالي
خير الصنائع في الأنام صنيعة … تنبو بحاملها عن الاذلال
واذا النوال أتى ولم يهرق له … ماء الوجوه فذاك خير نوال
من جاد من بعد السؤال فانه … وهو الجواد يعدّ في البخال

***

لله درهم فكم من بائس … جم الوجيعة سيئ الاحوال
ترمي به الدنيا فمن جوع الى … عري الى سقم الى اقلال
عين مسهدة وقلب واجف … نفس مروعة وجيب خال
لم يدر ناظره اعريانا يرى … ام كاسيا في تلكم الاسمال
فكأن ناحل جسمه في ثوبه … خلف الخروق يطل من غربال !
يابرد فاحمل قد ظفرت باعزل … ياحر تلك فريسة المقتال !
ياعين سحي ياقلوب تفطري … يانفس رقي يامروءة والي
لولاهم لقضي عليه شقاوة … وخلا المجال لخاطف الآجال
لولاهم كان الردى وقفا على … نفس الفقير ثقيلة الاحمال
لله در الساهرين على الألى … سهروا من الاوجاع والاوجال
القائمين بخير ما جاءت به … مدنية الاديان والاجيال
اهل اليتيم وكهفه وحماته … وربيع أهل البؤس والامحال

***

لاتهملوا في الصالحات فانكم … لاتجهلون عواقب الاهمال
إني أرى فقراءكم في حاجة … - لو تعلمون - لقائل فعال
فتسابقوا الخيرات فهي امامكم … ميدان سبق للجواد النال
والمحسنون لهم على احسانهم … يوم الاثابة عشرة الامثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن … عد وعن وزن وعن مكيال

محمد حافظ ابراهيم

باب الاخبار والآراء

﴿ العرب والترك ﴾

قد علم قراء المنار ان السعي في حسن التفاهم بين العرب والترك قد كان أحد القصدين الجليلين من رحلتنا الى دار السلطنة في آخر الخريف حيث يعود المصريون منها ومن سائر البلاد التي يصطافون فيها لقضاء فصل الشتاء بمصر التي لا يفضل شتاءها شتاء ، وعلموا أيضا انه كان من السعي زيارتنا لصاحب جريدة (إقدام) ومعاتبته على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية ووعده بنشرها ولكن اكثرهم لا يعلمون أن صاحب إقدام نشر ثلاثا من تلك المقالات وامتنع عن نشر ثلاث: نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها وتلافيها ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الالفاظ العربية منها وما سمع عن جريدة إقدام من سوء التعبير فيها . قال في بيان سبب امتناعه عن نشر المقالة الرابعة إن هذه أمور ملية تتعلق بنا (أي بالترك) فليس له حق في البحث فيها !!

وقد استمر على نغماته الجنسية بقلمه وقلم اعوانه حتى نشر مقالة من مقالات عن اليمن بامضاء (خليل حامد) وهو امضاء مستعار لأحد الضباط هنا وقد جاء في هذه المقالة من الطعن في العرب انهم - في زعم الكاتب - بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم!! . وقد قامت لهذه العبارة قيامة العرب الذين هنا حتى ان بعض الشبان استفزتهم حمية الغيرة على العرض التي لايداني العرب فيها شعب من شعوب الارض فدفعتهم عند قراءة هذه العبارة والدم العربي يتبيغ في أجسامهم الى إدارة جريدة إقدام و إهانة صاحبها وتحقيره على نشر هذه السفاهة حتى قيل انهم بصقوا في وجهه ولا عجب فصاحب الغيرة على العرض قد يقتل من يطعن في عرضه عند مايفاجئه ذلك

والقوانين تعذر من تدفعه الحدة العارضة للدفاع عن عرضه اذا أطاعها من فوره ولا يعد هذا الدفاع منكرا قبيحا كسائر أنواع الاهانات الا من لم يعرف للغيرة على العرض معنى

نحن لانقول ان الاعتداء أو الافتيات على الحكومة في القصاص أمر حسن مشروع وانما نقول ويقول العقلاء كافة ان فرقا عظيما بين اعتداء مبتدأ لايدفع له الطبع و بين مؤاخذة فورية لم توطن عليها النفس

وكيف يستنكر من فتيان العرب مثل هذه الغيرة التي لا رأي لهم فيها ولا روية وقد اضطربت لهذا الطعن اعصاب الكهول والشيوخ من المبعوثين كغيرهم حتى أن بعضهم اصابه الصداع ولم يستطع في ذلك المساء تناول الطعام وذهب وفد منهم الى الصدر الاعظم وكان في مجلس الوكلاء فأرسلوا اليه فخرج اليهم ووعدهم هو وناظر العدلية بتدارك الأمر وإحالة أحمد جودت بك مدير إقدام على ديوان الحرب العرفي لتعطيل جريدته ثم محاكمته في العدلية وقد حكم الديوان بتعطيل جريدة إقدام الى أجل غير مسمى ولكنه لم يلبث أن أصدرها وكتب فوق كلمة اسمها كلمة (يكي) اي جديدة او الجديدة ، وناهيك بهـذا من عقوبة !! وحكم عليه أيضا بمئة ليرة غرامة غرمها . وقد علم ديوان الحرب ان الناس صاروا يسخرون من تعطيل الجرائد لأن من عطلت جريدته صار يصدرها باضافة لفظ (يكي) اليها فقرر أنه لايجوز لمن يحكم هو بالغاء جريدته ان يصدر جريدة ما الا باذن منه ولكن هذا القرار لم ينفذ على جريدة إقدام !

وقد كتب احمد بك جودت مدير إقدام عند ماعطلت جريدته مقالة نشرها في جريدة (طنين) اعتذر فيها عن نفسه ولكن كان عذرا أقبح من ذنب فانه نفث فيها سموم التغاير والتدابر بين العرب والترك بايهامه القارئين لها ان العرب يتهمونه بأنه مندفع لمعاداة العرب بجنسيته التركية ويرون أن الترك اعداء العرب وانتقل من هذه الدسيسة الى الامتنان على العرب بفضل الترك عليهم وذكر من هذا الفضل مايعلم هوانه في غير محله فالظاهر انه يريد بذلك ان يقوم كتاب العرب للرد عليه وإنكار ماقاله مخالفا للتأريخ ليتسنى له ولامثاله حينئذ ان يوسعوا الخرق ويقولوا ان

العرب يحتقرون الترك . ونحن لم نسمع أحدا من العرب يقول ان مدير إقدام يذم العرب باغراء الترك أو رضاهم

ادعى صاحب (إقدام) في مقالته هذه ان جريدته هذه ليست جريدة عنصرية ولا ترجح الترك على غيرهم من العثمانيين وان جميع الاجناس يعترفون له بذلك . والمشهور خلاف ذلك وانه ماوجدت جريدة تركية أساءت الى العرب أو أغضبتهم كما أغضبتهم جريدة إقدام فهي أشهر الجرائد في التعصب الجنسي ولاجل هذا التعصب لم تنشر مقالاتنا التي طالبنا فيها بانصاف العرب وحسن التفاهم بينهم و بين إخوانهم الترك والا فما هو عذره ولماذا أخلفنا وعده ؟

قال بعد تلك المقدمة التي مدح بها نفسه و برأها كما شاء « فاقول بأن التركية هي التي دفعت جريدة إقدام لكتابة تلك الفقرة هو اتهام للترك كلهم » فانظر الى هذه النتيجة الخاطئة من تلك المقدمات الباطلة ،

ثم قال « نعم ان الترك فدوا في اليمن وغيرها مئات الالوف من أولادهم فهذا الفداء ليس لأجل ان يفترقوا عن العرب بل بالعكس يقتضي محبة الاتحاد معهم !! والتأريخ يشهد لنا بأن الذي خلص جزيرة العرب من استعمار الاجانب لها في أيام الصليبيين انما هي دماء الترك وذلك خدمة للاسلام ، والعرب لا تنسى ذلك الى يوم القيامة !

« ونقدر أن نقول بعبارة عامة ان الترك بذلوا أرواحهم في سبيل العرب !! بناء على ذلك كيف يكون الترك خصماء للعرب وسالكين سبيل الحاكمية العنصرية؟ فهل هذه التهم هي مكافئة على الدماء التي أراقها الترك في سبيل العرب ؟؟ وهل بعد هذا يكون القول بأن صاحب إقدام عدو للعرب موافقا للمنطق ؟ » اه

الترك أخوة العرب في الدين وفي تكوين هذه الدولة التي هي تراث الاسلام في الحكم والسلطان فاذا قلنا ان صاحب إقدام جنى على التأريخ بزعمه ان الترك انقذوا جزيرة العرب من الصليبيين لانكون بابطال الباطل نا كثين للفتل الذي جعلنا مع الترك أمة واحدة. وكل من يعرف التأريخ يعلم ان جزيرة العرب كانت

طول الزمان في امان من الافرنج وأما ماأخذوه من سواحل سورية فقد انقذه منهم المسلمون كافة لاالترك خاصة .

وإذا قلنا ان سوء سياسة الدولة في سفك دماء العرب في اليمن لايعد منة للترك على العرب لانكون مخلين بحقوق هذه الاخوة لا لأن الدماء التي سفكت هناك بأمر قواد الترك وحكامهم هي دماء العثمانيين من الترك والعرب والارناؤط والكرد بل لأن سفكها كان من جهل أولئك القواد بالسياسة وحسن الادارة وقد خربت بلاد العرب ولم تعمر بلاد الترك على ان البلاد كلها مشتركة لان الامة واحدة

كان من فضل الاسلام ان الترك بعد ان تشرفوا به لم يكونوا يعملون لأجل عنصرهم ولا لأجل عنصر العرب ، وإنما يعملون لأجله كما أخذوا عن اساتذتهم العرب حتى قام أمثال صاحب إقدام من متفرنجي هذا العصر يصخون الآذان كل يوم بما يثير العصبية الجنسية ويضعف الرابطة الاسلاميـة وهم يجنون على دولتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ويخشى ان يعلموا سائر العناصر العصبية الجنسية وقد ظهرت بوادر ذلك وهو اكبر خطر على هذه الدولة فنسأل الله تعالى ان ينقذها من شرور هؤلاء الأشرار بمنه وكرمه

ثم ان صاحب إقدام اورد بعد بيان هـذه المنن التي في رقاب العرب للترك موازنة بين مانشره عن ذهول (كما ادعى) من الطعن في أعراض العرب ماضيهم وحاضرهم وآتيهم وبين إهانة بعض طلاب العرب له في ادارة جريدته وزعمـه انهم اهانوا عند ذلك الامة التركية كلها اهانة لم يسمع بأن ملة من الملل اهينت بمثلها ولم يقع من عنصر من العناصر العثمانية اهانة لعنصر آخر بمثل ذلك !! وكبر هذه الدعوى وهوَّل فيهـا ماشاء واشار بالنقط هكذا . . . . الى ان ما طواه من ذلك وأغضى عنه هو فوق ما قاله تصريحا وتلويحا . ولو كان يحب الاتحاد والاتفاق بين العنصرين كما ادعى في هذه المقالة لما نشر خبر هذه الاهانة المزعومة بين الترك في جريدة هي أوسع من جريدته انتشارا ، لان ذلك يوغر صدور من يصدقون هذه الدعوى من الترك فتنفرج مسافة الخلف . فمقالته هذه شر من مقالة (خليل حامد) وأضر ، وأدهى وأمر ، ولايظهر لنا علة لنشر هذه الدعوى والتهويل بها غير تعمد القاء الشقاق

بين الاختين الشقيقتين : الترك والعرب . فان ادعى انه يريد بذلك تربية المعتدين عليه يقال له كان يكفي في ذلك ان تذكر ماوقع للمحكمة العرفية او العدلية من غير ان تنفث في جريدة طنين سموم التفرق والخلاف ، وما انت بالمقصر في الشكوى وتعقيب الدعوى

ثم انه بعد إثارة هذه الفتن ، وايقاد نار الشقاق والاحن ، أخذ يسخر من العرب بطريقة اخرى غير الامتنان عليهم بمذابح اليمن وتخريبها في عصور الاستبداد التي نرجوان يبدلنا الله تعالى بها عصر العمران والنور في ظل الدستور تلك الطريقة هي استدلاله على اخلاصه وحبه إرضاء العرب بدليلين هما من أغرب ضروب الاستدلال التي لم يبين مثلها في باب السفسطة من علم المنطق (أحدهما) انه قال لناظر الداخلية عند مابلغه خبر تعطيل جريدة «إقدام» ان عنده رخصة باسم «يكي اقدام» ولكنه لايصدرها لأجل ان يرضى العرب وتطمئن نفوسهم لحسن نيته . قال لأن تعطيل الجريدة لايقصد به ورقة مخصوصة او اسم مخصوص وانما الغرض منـه إبطال هذه الادارة او تخريبها وأنا أتحمل هذه الخسارة لأجل ان تطمئن قلوب العرب وترضى خواطرهم !! – وذكر ان ناظر الداخليـة قد أعجب بهذه الاريحية وسرّ وشكر وانه يظن ان سائر الوكلاء مثله في ذلك

لو صدق في قوله لناظر الداخلية ولم يصدر جريدته باسم «يكي إقدام» لما شك أحد من العرب ، في صدقه بما ذكر من السبب ، وهو ابتغاء رضاهم واستمالتهم ولكنه قال هذا القول ولم يلبث ان خالفه وأصدر الجريدة فظهر انه قال ذلك ليسخر من العرب وينبه الغافل منهم الى ان حكم ديوان الحرب بابطال جريدته لم يكن عقوبة ولا خسارة وإنما كان عبارة عن زيادة كلمة (يكي) في الجريدة !!!

وأما الدليل الثاني فهو انه كان عزم على اصدار جريدة عربية واستحضر أشهر شعراء العرب وأكبرهم من بغداد لأجل تحريرها وكلمه كلاما حسنا ثم لم يصدرها . وهذا الدليل أغرب من الدليل الاول وان كان يشابهه ويقابله في كون كل منهما عبارة عن وعد وعَد به وأخلف وقول قاله ولم يصدق فيه . ويختلفان على تقدير الصدق في القولين والوفاء بالوعدين اذلو وفى بالاول لكان دليلا على حبه للترضية كما قال وان لم يكن دليلا على التأليف بين العنصرين . ولو وفى بالثاني لما كان مجرد الوفاء

به دليلا على حب العرب ولا على التأليف بينهم وبين إخوانهم الترك بل كان يجوز ان تكون جريدته العربية أشد تنفيرا للعرب من جريدته التركية فالعرب يعتقدون الآن بأن جريدته متعصبة هاضمة لحقوقهم مهينة لهم ويقل من يراها منهم أو يعلم بما ينشر فيها فلو نشر جريدة عربية وقال فيها انه يجب على الترك تطهير لسانهم من الالفاظ العربية ،أو نشر فيها تلك المقالات عن السنوسية ،أو مقالات (خليل حامد) أو غير ذلك مما ينشر أحيانا في إقدام من العبارات التي ترمي الى العصبية الجنسية، لما كانت الا شر آلات التحليل لهذا الجسم الواحد الذي يحيا بروح واحد وإن كان مركبا من عنصرين يسمى احدهما العرب والآخر الترك

لما ظهرت في العام الماضي أسباب سوء التفاهم بين العرب والترك كان من أقواها ماينشر في جريدة إقدام واشتهر ذلك في سورية ومصر ولكنني على سماعي هذا من الكثيرين لم أكن أسيء الظن بصاحب « إقدام » ولذلك سعيت اليه وأحببت ان انشر في جريدته ماأريد ان أكتبه من المقالات لازالة سوء التفاهم وتأكيد الوفاق والاتحاد بين العنصرين ولكنه أخلف فيما وعدني به من كل ما أكتبه كما تقدم فساء ظني فيه وأكد سوء الظن مقالته التي نشرها في طنين وما فيها من موقظات الفتنة التي أشرنا اليها

كدنا ننجح في سعينا ونزيل تلك الأسباب التي احدثت سوء التفاهم بما كتبناه من المقالات هنا وفي المنار ومن المكتوبات الخاصة للادباء والفضلاء في البلاد العربية فجاءت هذه الحادثة المشئومة فاعادت المسألة جذعة وكان صاحب إقدام عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ولم تنته شرورها الى الآن فديوان الحرب العرفي لايزال يطلب الافراد والثبات من طلاب العرب ورجالاتهم للتحقيق في مسألة اهانة صاحب إقدام لأنه ألبسها ثوب التعصب الجنسي

ان المقالة الاخيرة المتضمنة للطعن في اعراض العرب قد طير البرق خبرها الى المدن العربية الكبرى وخاضت فيها الجرائد وكان لها من سوء التأثير فوق ما يظن أولياء الامور هنا فاذا كانت نتيجتها هنا ان يعاقب كثير من الطلاب بالحبس

اوغير الحبس او يتوسل بها الى اقفال « المنتدى الادبي » الذي يجتمع فيه جمهور اولئك الطلاب للمدارسة والمذاكرة وتعلم اللغات القومية والأجنبية ليمنعوا من أسباب الترقي كما يظن المتطيرون من الناس ويكتفى من معاقبة صاحب إقدام باضافة لفظ «بكي» الى جريدته فلا يعلم الا الله ماذا يكون لذلك من سوء التأثير عند الامة العربية وعند كل المخلصين لهذه الدولة

مع هذا كله أكرر في المنار وغير المنار ماقلته للعرب في هذه الديار انه لايجوز لنا بحال من الاحوال ان نجعل ذنب الافراد ذنبا للامة أو أن ننسى ان الشعب التركي الخالص المتدين يحب العرب حب عبادة وان العرب يحبونه حب الاخوة الخالصة . ويجب ان نتقي الانفعال من كلام بعض المتفرنجين الفاسقين أو الملحدين الذين يحركون العصبية الجنسية ليوقعوا الشقاق بين العنصرين فان حدث مايحرك الانفعال طبعا فيجب ان نتقي فيما نقول ومانكتب كل مايبعد أحد العنصرين عن الآخر ونجعل انتقادنا على أشخاص المفسدين المفرقين فان التفرق والتعادي بين الترك والعرب يجلب الخطر عليهما معا وعلى الدولة وان جهل المتعصبون، وتجاهل المفسدون ،

* * *

﴿ اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه ﴾

اننا بعد أن كتبنا تلك العجالة في الرد على صاحب جريدة « إقدام » وتخطئته في التفرقة بين الترك والعرب وتوسله الى ذلك بالافتراء على التأريخ في مسألة الحرب الصليبية والمخاتلة في مسألة اليمن رأينا ان نرجع الى التأريخ فنقتبس منه قبسا يضيء سبيل الحق فيما أشرنا اليه هناك من كون الدماء التي سفكت في اليمن لم تكن دماء الترك وحدهم ولم يكن فيها شيء لمصلحة العرب لانها خربت بلادهم ولم تعمرها وبدئت بالغدر والظلم والتخريب واستمرت على ذلك الى اليوم، ولا لمصلحة الترك لأنهم لم يستفيدوا في مقابلة تلك الدماء التي سفكوها والاموال التي انفقوها من خزانة الدولة فائدة

مادية ولا معنوية كما نوه بذلك مجلس المبعوثين في احدى جلسات الشهر الماضي اذ قال عبدالحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه : لوعصرنا تراب اليمن لقطر دماء عثمانيا فماذا استفدنا من ذلك ؟ ؟

ويظن بعض الناس ان معظم هذه الدماء سفكت في عهد السلطان عبدالحميد الذي انتهى اليه الاستبداد في هذه الدولة وأقله في زمن السلطان عبد العزيز قبله. وقد ذكرت هذه المسألة هنا فقال بعض الناس انها بنت نصف قرن قلت بل هي بنت أربعة قرون ثم رجعت الى التأريخ فجئت منه بالشهيد الآتي

جاء في (كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني) اي فتح اليمن لقطب الدين الحنفي المكي الذي قال في مقدمته انه خدم به سدة السلطان سليم بن السلطان سليمان . (وفي مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا نسخة منه كتب في طرته بالذهب انها اهديت الى خزانة كتب الصدر الاعظم محمد باشا في عصره)

ان ابتداء التصدي لفتح اليمن كان في عهد السلطان سليمان (القانوني) فانه لما بلغ السلطان استيلاء الافرنج من البرتغال على بلاد الهند أمر باعداد اسطول في مصر وتجهيز عسكر فيه لمحاربتهم وجعل قائد هذا العسكر بيكلار بكي مصر سليمان باشا الخادم وهو احد مماليك السلطان سليم خان بن بايزيد خان الذي « لم يتعلم من اخلاق سيده غير الفتك ، ولم يستقر في باله مما شاهده منه غير اراقة الدماء والسفك » فاحتال قبل سفره بالاسطول على الامير جانم الحمزاوي الذي كان من اعظم الناصحين في خدمة السلطنة وأمر بذبحه فقطعت رقبته بسيفه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ! ثم قطع رقبة ولده يوسف امير الحج وانما قتلهما بعد ان كتب الى السلطان بأنه شم من الامير رائحة العصيان ويخشى ان يطيعه العسكر لاحسانه اليهم فكتب اليه السلطان « ادفع شرهما » ونسي السلطان ان هذا الامير هو الذي كان سبب اصلاح المملكة عند عصيان أحمد باشا وانه لم يوافقه على العصيان . ثم أمر الباشا بسلخ الوالد والولد وحشوهما تبنا وتعليقهما على باب زويله !! (*)

(*) هو المعروف الآن ببوابة المتولي بمصر

(قال المؤلف) « ثم ان سليمان باشا بعد قتله لجانم الحمزاوي تملح ايضا بصلب الامير داود بن عمر أمير الصعيد من غير جرم أتاه ، ولا ذنب سواه ، غير كثرة أمواله ، و بذل يده وسعة حاله ، فطمع الباشا سليمان ، فطلبه الى الديوان ، فلما جاء أخذ هداياه أولا ، ثم عاتبه لقصد قتله معللا ، فقال ترسل الينا قمحا غير نظيف ؟ فقال أنا ماجئت الا بقمح مثل الجوهر اللطيف ، فأمر به الى باب زويله وعلق في عنقه منديلا فيه قليل قمح وصلبه هناك وأحاط بجميع أمواله وخزائنه ، وظفر بكنوزه ودفائنه ، وقتله وهو مظلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وكان احسن امراء الصعيد كثير البر والصدقات ، محبا للخيرات والحسنات ، يحسن كل عام الى كل واحد من علماء جامع الازهر ، والمشايخ المسلكين في ذلك القطر الازهر ، بالخمسمئة من الذهب فما دونها » الخ ماذكر من فضائله وفواضله

ثم سافر سليمان باشا الى جده ومنها الى عدن « وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقا .. . فلما بلغه وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله ، وقطع جادرة الافرنج عن الاضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن تزين ، وجمع له من البلاد ، ما أراد من الازواد ، وتوجه هو و وزيره للسلام عليه الى الغراب (نوع من المراكب) الذي هو فيه فبمجرد ان رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل اليه عامر ألبسه ومن معه خلعا ثم أمر بصلبهم على الصاري في الغراب الذي هو فيه ونهب العسكر داره ثم شرعوا في نهب البلد » وعد البلد من فتوحاته وأقام فيها نائبا وكتب على بابها انه فتحها سنة ٩٤٥

ثم ذكر المؤلف وصول خبر غدر الباشا الى أهل الهند فنفر منه الناس وكانوا استعدوا لنصره وجمع العسكر له ثم كادوا له حتى رجع عنهم الى اليمن قال « وكان سليمان باشا خوّارا خوافا لم يعهد منه شجاعة ولا إقدام وإنما كان يفتك بمن وقع في يده مأسورا مربوطا ، فركبه من ذلك (أي مما بلغوه اياه كيدا له وإيهاما وليس هذا محل شرحه) خوف عظيم وتفرقت عساكره وصاروا يخدمون خوانين الهند طمعا في كثرة العلوفة »

ثم ذكر خبر وصوله بمن بقي معه من العساكر الى «مخا» وغدره بصاحب اليمن قال «وأرسل الى الناخود احمد بخلعة ومرسوم فيه الامان وأن يكون نائبا عن السلطنة بمملكة اليمن كما كان وان يصل بنفسه يدوس البساط ، ويحصل له كمال الشرف والانبساط ، فلما وصل اليه المرسوم استشار أخصاءه فكلهم أشار عليه بعدم المواجهة وقالوا له انه لم يكن عنده شيء من الخيل ونحن عندنا سبع مئة حصان فان قاتلنا قاتلناه ، وان رضي منا بالاطاعة أطعناه ، فلم يستصوب هذا الرأي وركب اليه لملاقاته هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمس مئة ووصل اليه طائعا لابسا خلعته هو وولده وولد اسكندر رموز وهما صبيان دون المراهقة وقدم اليه من هدايا اليمن ماقدر عليه. فلما دخل عليه أمر بقتله في الحال وذلك في ثامن شوال سنة خمس وأربعين وتسع مئة. فتشتت عبيده فنادى فيهم مناد من أراد من العبيد السود العلوفة السلطانية عند الوزير فليأت ! فاجتمعوا بأسرهم ودخل معهم من ليس منهم طمعا في العلوفة وأدخلوا حوشا كبيرا له باب واحد وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ويكتب اسمهما الكاتب بحضوره ويبرز بهما الى خارج الباب فيرمي رقابهما ولم يشعر بهما أحد منهم ممن داخل الحوش ولم يعلموا مايفعل بهما عند الباب الى أن قتل الجميع !! »

ثم ذكر عوده وحجه وما فعل في الحرم من الالحاد والظلم والنهب والسلب من أهل عرفات الحجاج ومن أميري الحج الشامي والمصري ثم عودته الى مصر وافتخاره امام الوزير لطفي باشا زوج أخت السلطان سليمان بفتوحاته لعدن واليمن وانتصاره ولا ندري على ايّ الاعداء انتصر وما كان صاحبا عدن واليمن الا فرحين به مستأمنين له من غير ضعف ولا خوف . ثم قال المؤلف رحمه الله مانصه وهو الحكمة البالغة والعبرة المؤثرة :

«ولو نظروا في حقيقة الحال ، وتدبروا ماسيؤول اليه في المآل ، علموا انهم كانوا في غنى عن هذا العنا ، وتيقنوا أنه جرَّ اليهم محنا وإحنا ، ولقد سمعت المرحوم محمد جلبي المقتول دفتر دار مصر يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة فقال : مارأينا مسبكاً مثل اليمن لعسكرنا كلما جهزنا اليه عسكرا ذاب ذوبان الملح ولايعود منهم الا الفرد النادر ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر

من زمن ابراهيم باشا الى الآن فرأينا قد جهز من مصر الى اليمن في هذه المدة ثمانون ألفاً من العسكر لم يبق منهم في اليمن ما يكمل سبعة آلاف نفر» اه كلامه

(قال المؤلف) قلت وقد تجهز بعد ذلك الى هذا الزمان أضعاف ما ذكره محمد بك رحمه الله تعالى وهلمَّ جرا الى آخر الزمان . وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته الا الله تعالى . والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ، وتقهقر عددهم ، ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر الا الله تعالى ، والله سبحانه يلهم حكامنا وامراءنا العدل والانصاف ، ويعدل بهم عن الجور والاعتساف ، انه مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات ، اه

(المنار) إن أعجب ما في هذه النبذة التي اقتبسناها من هذا التأريخ قوله «وهلم جرا الى آخر الزمان» فلله درّ المؤرخين إن أشعة بصائرهم لتخترق حجب القرون ، فتبصر ما وراءها وتخبر بمضمرات الغيوب ، فقد صدقت حوادث هذه القرون الاربعة قول الرجل وما أراه الا كان يعتقد بعلة خفية لهذا الخذلان في تلك البقعة لهذه الدولة التي كانت في تلك الايام أقوى دول الارض ولعلها هي ما أشار اليه في مقدمة الكتاب من الاحاديث الصحيحة الواردة في اليمن الناطقة بأن الايمان يماني والحكمة يمانية وأن نفس الرحمن يأتي من جهة اليمن على ان الرجل كان متعصبا للدولة على الزيدية مفتخرا بما كان يحصل لها من الانتصار ، متألما مما كان يحدث لها من الانكسار ، ذاما للزيدية مشنعا عليهم بالبدعة ، مادحا للدولة وعسكرها بنصر السنة ، ولم تكن عنده نعرة جنسية عربية فان الاسلام نزع من قلوب العرب هذه العصبية الجاهلية فلم تعد اليهم حتى اليوم بل نرى المؤلف يذم عرب اليمن احيانا مع التعبير عنهم بالعرب ، ويمدح الترك معبرا عنهم بالترك ، ويبتهج بنصرهم ويدعو لهم وهذا شأن العرب الى اليوم في كل البلاد يفرحون بنصر الدولة على عرب اليمن وان ظلمت هنا لك العباد ، وخربت البلاد ، حتى انهم كانوا يقولون في السلطان عبد الحميد

لا أزال الإله دولته الغرا (م) وان كان قد طغى وتجبر

وقد قرأنا في جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره كتابة من عهد قريب لبعض عرب حضرموت يتمنون فيها ان تعجل الدولة باحتلال بلادهم والاستيلاء عليها . ولكن متعصبي فروق امثال صاحب جريدة إقدام مجدون في التفريق فهم الذين يعيدون بأقوالهم وأفعالهم الى العرب عصبية الجنس الا اذا تدارك رجال السياسة هذا عاجلا كما نصحنا لهم أمس حين جئنا العاصمة ، ولما يستبينوا النصح في ضحى الغد

اتقوا الله ياساسة الدولة وانزعوا هذا الوسواس من صدوركم، اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، اتقوا الله فانكم تقولون اننا في حاجة الى المساواة والاتحاد مع جميع العناصر العثمانية ،وكيف يكون الاتحاد اذا لم يكن قبل كل شيء بين العرب والترك؟ اتقوا فنحن في أشد الحاجة الى الاعتصام بالاخوة الاسلامية مع جميع المسلمين والاخوة العثمانية مع جميع العثمانيين ، فلا يهدمنَّ السفهاء مايبنيه الحكماء ، فان الهدم أسهل وأسرع من البناء ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

* * *

﴿ دار العلم والارشاد ﴾

رجوت في النبذة الثانية من رحلتي أن أنشر في الجزء الثالث من المنار نظام مدرسة « دار العلم والارشاد » بناء على الرجاء في الشروع بالعمل في ربيع الأول . وقد حدث بعد أن كتبت ما كتبت ما أيأسني من مساعدة الحكومة بعد وعدها القطعي او كاد . ثم عادت المياه الى مجاريها والمرجو من فضل الله تعالى ان يكون الشروع في شهر ربيع الآخر وقد تمت المقدمات في ربيع الاول والله الموفق وهو المستعان

﴿ تصحيح ﴾ سقط من (ص ١٤٧ ج ٢ م ١٣) سطر كامل موضعه قبل السطر الاخير ونذكر نصه ليكتب بالقلم وهو :

« اسعد أفندي أمين الفتوى ومصطفى افندي اودومشلي مستشار المشيخة »

الفصل الثامن عشر (*)

(عظم المِنَّة باتساع المُنَّة)

كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قوي القلب جدا تدل على ذلك سيرته كلها من أولها الى آخرها. ولكن مهما قوي قلب أمام الحوادث المعتاد وقوع أمثالها بين الناس فلا يدل ذلك على انه لا تأخذه روعة أمام صوت غير بشري ، يهيب به الى أمر غير حسي . لذلك لا ينبغي أن نستغرب الروعة التي أخذت لأول وهلة ذلك القلب القوي العظيم فانه دعي من لدن الحق بواسطة الروح الى وظيفة تنوء بحملها المتن ، ويجب بحسب حدودها قلب السُّنن

إي لعمر الحق لا غرابة في روعة تنقض الظهر ، اذا حدثت لمن نودي هذا النداء بهذا الامر ، وبديهي احتياج هذا المأمور الى شرح الصدر ، والتأييد ورفع القدر ، ولا بدع اذا ضمن له كل تأييد من أراد أن يكون قلبه محلا لتنزلات وحيه الأعلى

ثم ألمت الروعة بقلب صاحب « حراء » لما نزل عليه الروح بما نزل به عليه وقد صرح لخديجة بذلك وقال لها « لقد خشيت على نفسي » ولكن التأييد حافٌّ به ، والايناس صافٌّ من حوله ، وناهيك أن في منزله

(*) تابع للمنشر في (ص ١٥٥ م١٣) من سيرة السيدة خديجة

الذي اليه يثوب، روحا شريفا كأن الله قد أوجده خاصة لتأييده وشرح صدره باديء بدء هو روح السيدة «خديجة»

لم تكن هذه السيدة أقوى مُنَّةً من بعلها الكريم ولكن هو واجهته روائع الجلال مواجهةً، فأخذته بين حيرة وشوق وخشية عجز عن القيام بالوظيفة. وأما هي فسمعت بالامر سماعاً، ووجدت للتفكر فيه مجالاً، ولإيناس الرفيق مقالا

ولو بُدهت امرأة بما بُدهت به هذه السيدة من هذا النبأ العظيم وكان ينقصها ما حلاّها الله به من الفطنة وبعد الادراك وسلامة الفطرة وما أعطاها من قوة التميز في وزن الامور ومعرفة مقاييسها لتراخت مفاصلها ووهت قوتها أمام هذا الحادث الغريب. ولكن العناية الازلية التي لها اليد في اظهار هذا المظهر الاعلى قد أتمت العمل من أوله الى آخره ونسقته على أحسن منوال فلا بدع بما نراه في هذه السيدة من الصفات التي تساعد على استقبال أمور عظيمة لانها خلقت لتكون زوجة لذلك الرجل الذي سيأتيه أعظم الامور ويأتي به

تفكرت «خديجة» في هذا الامر وأخذت تسائل نفسها بنفسها وللامل ههنا وجه وللخوف وجه: فالامل يقول لها ان الامين لصادق وان روحه لزكية قوية لا سلطان لروح الشر عليها والروح الذي جاءه انما بلّغه باسم ربه أنه اصطفاه رسولا والله على هذا قدير، وباختصاص من شاء بما شاء جدير، وأي شيء يمنع رب العالمين اذا أراد أن يتكرم على هذا البيت بانزال وحيه فيه فيغدو بعد الآن مشرقا لا تضاهيه المشارق، يفيض النور على القبائل والشعوب، انت اللهم على هذا قادر اذا أردت

ولا مانع لما أعطيت! والوجل يقول لها ماهذه الحال التي أخذت حبيب قلبي فراعته، اني لأخشى ان يكون أمراً جسمانيا بحتا كما قد يعرض للأفراد، اني لأخاف أن يصبح هدفا لرمي الاضداد. ولكن سرعان ماغلب الأمل على الوجل، والمُنَّة على الضعف، ووشكان ماتبدّت لها وجوه الادلة على أن ما أتى بعلها الكريم هو بريد خير عظيم، ومقدمة فلاح عميم، وكانت أدلتها على ذلك عقلية ونقلية تقدمت العقلية منها على الثانية

الفصل التاسع عشر

(الأدلة العقلية)

لما قال «محمد» (صلى الله عليه وسلم) لخديجة «لقد خشيت على نفسي» قالت له «كلا والله مايخزيك الله أبدا. انك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وتصدق الحديث، وتؤدي الامانة»

ان هذا الكلام الذي صدر منها على الفور هو نتيجة معرفة سابقة، هو نتيجة تفكر جميل قد أعطى الثمرة سريعا، هذا الكلام الوجيز يؤلف استدلالا عقليا من أعظم الاستدلالات فانه قد أتى ساذجا نظيفا لا غبار عليه من التكلف، ولا شيء منه بواقف أمام الذهن، هو قياس باهر النتيجة، مطوي بعض الحواشي، ومن أبدع الاقيسة نظما، ومن أجلها وقعا، بيد أن الافهام كدأبها في التفاوت، وعلى سنتها في التخالف، لا

يستغني كثير منها عن تشريح هذا القياس لتطلع على قلبه وأعضائه واحدا واحدا . فحينئذ يلوح لها انطواء الافادات الغزيرة ، في هذه الكلمات الوجيزة ، وتعلم من قريب أن الحكمة بيد الله يؤتيها من يشاء

(١)

يخرج من كلام هذه السيدة أن النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع كلها . ولذلك يحب كل ما يؤدي الى تسامي هـذا النوع ويخلق الاسباب لذلك ويأخذ بيدها لتتغلب على ما اظهره بحكمته التي لا نعلمها من أضدادها

(٢)

ويخرج من كلامها ان الله عز وجل مطلع على اعمالنا ومجاز عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى وأن الذي يحبه منا على حسب تفكرها هو الاستقامة ومساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة الضعفاء

(٣)

ويخرج منه أن من يفعل الخير لا يأتيه الا الخير . والخير الذي نعبر عنه بهذا اللفظ قد جاء في عبارة السيدة بتفصيل اعمال كلها من باب مساعدة الانسان للانسان فهذه المساعدة في نظرها كل خير أو هي كل الخير فهل يكافىء الله فاعل الخير بغير الخير ؟ ان هذا لا يكون على حسب تفكرها

(٤)

ونتيجة قياسها أو أقيستها ان هذه رسالة ربانية فيها الخير لا الضير وأن الله عز وجل سيتفضل بتأييد هذا المأمور في حمل هذه الامانة على ثقلها وصعوبة تأديتها لقوم ينكرونها ولا يعرفونها

الفصل العشرون

(شرح حكمة السيدة خديجة)

ان محيط جلال الله الذي ليس له حد لا تبلغ سفن العبارات شيئا من سواحل التعريف به حق التعريف . وانما هي لتستعين النفس على بث حبها له عز وجل وتمجيدها اياه ولتزداد شوق النفوس الى الكمال، وتعبدها لذلك الجلال ، لقد عزت صفات واجب الوجود عن أن ترسمها اللغات، كما عزت ذاته عن أن تحدها الجهات، وان حقيقته لهي فوق المجاز والاستعارات

لكن الانسان خلق عظيم الشوق الى تصور ربه ، وغير صبور عن الاشارة الى وصفه ، وليت شعري أنى يبلغ الواصفون صفة من كنهه محتجب في خزائن الغيب الاعظم ؟

لقد نفد صبر الانسان في هذا الامر من قديم الازمان وأقدم على وصف ربه فلم يجد غير الاستعارة حيلة فوصفه بما يتصف به الانسان نفسه ولذلك وقع تناقض كثير في أوصاف الواصفين لأن رب العالمين غير حادث ولا تشبهه الحوادث تعالى عن ذلك علوا كبيرا

ولقد ظهر بين البشر رجال منهم أتتهم الارواح وكلمتهم من عند الله فأيد كلام الله بواسطة الروح مادرج عليه الناس من الاستعارة فأصبح هذا الامر عاما لا فرق بين الناس فيه الا فيما اختلفت فيه عباراتهم .

والافكار المستقلة تؤدي الى قبول هذا الاسلوب أيضا لان التفاهم في هذه الابواب لا يستغنى عنه ولا يمكن الا بالعبارة

• • •

الى الله سبحانه يرجع كل شيء فهو أنشأ الانسان على هذا المثال ، وهو علمه ماقد عرفه الى الآن ،وخلاصة ماعرفناه من ظواهر التكوين أن البارىء المصور عز وجل لما أراد أن يكون هذا الانسان مميزا عليما أظهر الاشياء أمامه مبنية على التضاد ، وجعل تميز الاشياء بأضدادها ، وأودع فيه ضدين جعل عليهما مدار سيرته كلها في حياته هما الاستحسان وضده،وجعل مع الاستحسان الشوق والحب، ومع ضده النفرة والبغض.

واقتضى ناموس التضاد الذي عليه مدار تمييز الانسان أن تتخالف أفراد هذا النوع في الاستحسان وضده فكثرت أسباب تخالفهم فنشأ بينهم الضدان المسمى أحدهما خيرا والآخر شرا . واحتاجوا الى جواذب تجذب الخير ودوافع تدفع الشر فرجعت كل معارفهم الى معرفة هذه الجواذب والدوافع .ومن نمي منهم علمه بها وسما عمله على موجب هذا العلم سموه حكيما

وهل جائز أن يكون بعض افراد الانسان حكيما والبارىء غير حكيم ؟ كلا، ثم كلا. بل ليست حكمة الانسان الا من الله ،والله هو العليم الحكيم.

نم بيد أننا نفقه معنى حكمة الانسان لاننا نميزها بضدها وليس لعلم الله وعمله وارادته جل جلاله من ضد

انظر تجدنا نعرف الاسرار في كل دقيقة من الدقائق التي يؤلف الانسان منها شكلا من الاشكال لان الانسان انما يصنع مايصنع للاحتياج والاستفادة وأما الذي اراد ظهور الاشياء بهذا التنوع فلم يرد هذا لحاجة اوجدوى تعود عليه . ثم انظر تجد أننا نسمي ما يصنعه الانسان لالفائدة عبثا ولا نسمي عمل المستغني عن الفائدة عبثا مع اننا لانرى فائدة في عمله لاله لاستغنائه وتقدسه ، ولا للمصنوع من معدن ونبات وحيوان وغيرها

فاذا أمعنت النظر يظهر لك أننا لا نستطيع أن نعلم ماهي حكمة الله في ظهور الاشياء على ماهي عليه ولكن نقص هذا العلم لم يمنعنا عن القول بأن له حكمة في كل شيء وتعلم من هذا وضوح عجز العبارة في كشف خدور هذه الحقائق مع عدم الاستغناء عنها

ثم اذا رجعنا النظر الى علاقة هذه الظاهرات بالانسان يبدو لنا أمر يحمل على مزيد التفكر والتذكر ذلك أن كل شيء منها يفيد الانسان حكمة اذا تصدى لقراءته على صفحات الاعتبار ، ان الانسان ليرى اذا تأمل نظاماً بديعا في هذه الظاهرات ويرى له نصيبا في كل شيء منها

فمن هذا الوجه قد يصح لنا القول بأن من جملة حكم الله تعالى في هذه الظاهرات تجلي آلائه وكرمه بجعل علاقة النفع والانتفاع بين هذه الانواع والصنوف التي لاتحصى وبين هذا الكائن الصغير الجرم

هذه العلاقة ظاهرة يكاد يراها كل من تأمل في استفادتنا معشر البشر من كل هذه الظاهرات . أما محبو الحكمة فيمعنون نظرهم ويتلمسون الاسرار في تشكلاتها وتآلفها على هذه الوجوه والاوضاع. ولو فرضنا أنها جاءت على غير هذه الوجوه لتوجهت انظارهم الى استجلاء فوائدها ثمة أيضا لأنها كلها من الله ، وما من الله لايكون عبثا بل يستفيد منه الانسان حكمة أو شيئا آخر فكأن الانسان أكرم من كل هذه الظاهرات وكأنه هو المقصود بأن تنكشف له الحكم والاسرار الربانية

هذا هو الاساس الذي أقيمت عليه قواعد حكمة الانسان وهو مبدأ سيره لمعرفة حكمة الله الحكيم الاعلى جل وتقدست اسماؤه

**

حكمة الانسان في الحقيقة هدية ربانية يختص بها مرجع الاشياء من أراد اظهاره سليم الفطرة، حاد الفكرة، فهو يكون كثير الذكر، قليل النسيان، والكائنات كلها عبر، وتعليم لمن تذكر. وليست حكمة الانسان تلقينا يقدم له كل مرء، ويؤتاه كل احد في كتاب يكتب، او خطاب يخطب، لكن مع أنه لم يكن كلّ أحد مستعداً أن ينال الحكمة نجد الحكمة ذات بركة شاملة تزور بيوت غير الحكماء ايضا فتملأها فوائد كثيرة من غير أن يشعر أربابها بحركتها وحركة حاملي لوائها

* * *

كانت السيدة « خديجة » ذات نصيب من هذه الهدية العليا الربانية هدية الحكمة، وقد رأى القارىء آنفا شيئا من حكمتها وجميل تفكرها وتذكرها ونحن في هذا نشرح ذلك الاجمال، ونزيد المقام حظا من ذلك الجمال:

(١) فهي رأت ان النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع وأنه سبحانه يحب كل ما يؤدي الى تسامي هذا النوع. وحق ما رأت فان اظهار هذا النوع على هذا المثال هو أوضح ضياء يرى به المدلج أن الله سبحانه أحب أن يُعرَف فاقتضت ارادته ظهور هذا النوع مستعدا للمعرفة وعظيم الشوق اليها. والانسان في ظهوره جسما وروحا وتفاوت أفراده بالارواح تفاوتا عظيما قد أصبح دون ريب من أكبر الآيات في هذا الباب على ذلك الشأن العظيم من المراد الالهي، وأضحى مجمع أسرار وكنز حقائق لا يماري فيها الا من جعل النسيان بينهم وبين الملكوت الاعظم حجبا

ومن المشاهد أن الباريء عز وجل يخلق الاسباب المساعدة على ترقي هذا النوع ويأخذ بيدها لتتغلب على ما أظهره بحكمته التي لا نعلمها

من أضدادها. اننا قد شاهدنا ما جرى ويجري من الدفاع والجدال بين جواذب الانسان الى حنادس الجهل، وجواذبه الى مشارق العلم، فوجدنا الغلبة للثانية على الاولى، وحسبك ان الانسان بعد ان كان كسائر الحيوان لا يفقه غير حاجته الى عشب يصد به ألم جوعته، وماء يرد به ألم عطشته، أصبح يعرف الغوامض من أمور الكواكب، ويحسب من حركاتها ما هو أقل من لمح البصر حتى تسنى له بذلك ان يعرف متى يكون الخسوف والكسوف، دع عنك معرفته بما فوق الثرى وما تحته، ودع عنك توصله الى استخدام الروح الساري في هذه الظاهرات الدنيا نعني به الكهرباء ودع عنك استفادته من الارواح العليا. واتيانه بواسطتها بالانباء البعيدة والمحجوبة

(٢) ورأت السيدة «خديجة» أن الباريء عز وجل مطلع على أعمالنا ومجازٍ عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى ... ومن تذكر ما حررناه في مقدمة هذا الفصل يعرف أن مثل هذا التعبير يقصد به تصوير معانٍ من كمال الله تعالى فهو سبحانه محيط بالموجودات كلها وقد جعل لها سننا من جملتها أن جعل أفراد النوع الانساني محتاجين الى ارشاد بعضهم لبعض ومعاونة بعضهم لبعض ولا تنس أن الله سبحانه قضى بالتضاد ليميز به الانسان فما قرب من سننه محبوب عنده، وما بعد عنها مكروه لديه. هيهات! هيهات أن نعرف ما معنى محبته سبحانه وكراهيته لانه سبحانه لا ضد له، ولكن هذا العجز لا يثنينا عن الاعتقاد بأنه يحب ما ينفعنا ويكره ما يضرنا كما هو مقتضى حكمته ورحمته بحسب ايماننا وانما خلق الضارّ والمكروه مع النافع والمحبوب ليتم ناموس التضاد الذي قضت به حكمته

ومن أمعن النظر بكل ماسلف هنا يتبين له أن في مقدمة المحبوب لديه مساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة القوي للضعيف. ومن يرزق هذا الروح لايكون الا سليم الفطرة ، طيب القلب ، غير متهيج لنقص حظ ، ولا متعال بزيادة نصيب ،فلا يكون الا محبوبا تأتيه المساعدة من قبل عالم الغيب وعالم الحس والشهادة

(٣) على هذا ترى هذه السيدة أن الله سبحانه لا يكافىء فاعل الخير بغير الخير في هذه الحياة ، وأهل الملل يقولون هذا القول باعتبار مايلقى المرء في الحياة الثانية التي انما تكون لنيل الجزاء، وأما في هذه الحياة فنهم من يذهب هذا المذهب الذي ذكرناه ومنهم من يقول ان فاعل الخير يبتلى في هذه الحياة بالشرور

ونحن لاينبغي ان ننسى أن مذهب هذه السيدة مشوق لفعل الخير لان المجازاة عليه في هذه الحياة والحياة الاخرى مما يزيد محبيه حبا فيه. واليه أذهب ، وبه أثق ، ولا عبرة بمن يشذ عن قاعدة هذا المذهب ممن ظاهرهم الخير والله أعلم بسرائرهم

هذا بعض تفصيل لما جاء مجملا في حكمة السيدة «خديجة» ولم نسوغ الزيادة على هذا المقدار خشية تعب الرفيق القارىء ومنه يعلم رفيقنا أن هذه الاستدلالات العقلية كافية لمن كان له قلب سليم كقلب سيدتنا أن يعرف معرفة تدفع الريب أن الروح الذي وافى معدن الخير محمداً (صلى الله عليه وسلم) إن هو الا روح خير وسلام ، وفلاح ونعمة واكرام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر الاثنين سلخ ربيع الآخر ١٣٢٨ – ٩ مايو (ايار) ١٢٨٦ه‍ ١٩١٠م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٢٥ : ٢٩) يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦ : ٣٠) وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧ : ٣١) يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً

مضت سنة القرآن الحكيم بأن يعلل الاحكام الشرعية ويبين حكمها بعد بيانها وفي هذه الآيات بيان لما تقدم من أحكام النكاح . قال الاستاذ الامام: قوله تعالى ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ الخ استئناف بياني كأن قائلا يقول ماهي حكمة هذه الاحكام

وفائدتها لنا وهل كلف أمم الانبياء السابقين لها فلم يبح لهم أن يتزوجوا كل امرأة وهل كان ماأمرنا به ونهانا عنه تشديدا علينا أم تخفيفا عنا ؟؟ فجاءت الآيات مبينة أجوبة هذه الاسئلة التي من شأنها ان تخطر بالبال بعد العلم بتلك الاحكام . وقوله «ليبين» معناه ان يبين فاللام ناصبة بمعنى ان المصدرية كما قال الكوفيون ، ومثله « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » أقول ويجعل البصريون متعلق الارادة محذوفا واللام للتعليل او العاقبة اي يريد الله ذلك التحريم والتحليل لأجل أن يبين لكم به مافيه مصلحتكم وقوام فطرتكم ولهم في هذه اللام أقوال أخرى

وقد حذف مفعول ليبين لتتوجه العقول السليمة ، الى استخراجه من ثنايا الفطرة القويمة ، وقد اشار الاستاذ الامام الى بعض الحكم في تحريم تلك المحرمات عقب سردها ورأينا أن نؤخر ذكرها فنجعله في هذا الموضع ليكون بيانا لما وجهت اليه النفوس هنا بحذف المفعول ، وانما كتبنا عنه في مذكرتنا بيان عاطفة الاب السائقة الى تربية ولده وهي تذكر بغيرها من مراتب صلات القرابة وانا نذكر مايتعلق بهذا المقام بالايجاز ومحل الاسهاب فيه كتب الاخلاق

ان الله تعالى جعل بين الناس ضروبا من الصلة يتراحمون بها ويتعاونون على دفع المضار وجلب المنافع ، وأقوى هذه الصلات صلة القرابة وصلة الصهر ، ولكل واحدة من هاتين الصلتين درجات متفاوتة ، فأما صلة القرابة فأقواها ما يكون بين الاولاد والوالدين من العاطفة والاريحية ، فمن اكتنه السر في عطف الاب على ولده يجد في نفسه داعية فطرية تدفعه الى العناية بتربيته الى أن يكون رجلا مثله ، فهو ينظر اليه كنظره الى بعض أعضائه ويعتمد عليه في مستقبل أيامه ، ويجد في نفس الولد شعورا بأن أباه كان منشأ وجوده وممد حياته وقوام تأديبه وعنوان شرفه وبهذا الشعور يحترم الابن أباه ، وبتلك الرحمة والاريحية يعطف الاب على ابنه ويساعده . هذا ماقاله الاستاذ ولا يخفى على انسان ان عاطفة الأم الوالدية أقوى من عاطفة الاب ، ورحمتها أشد من رحمته ، وحنانها أرسخ من حنانه ، لأنها أرق قلبا وأدق شعورا ، وان الولد يتكون جنينا من دمها الذي هو قوام حياتها ، ثم يكون طفلا يتغذى من لبنها ، فيكون له مع كل مصة من ثديها ، عاطفة جديدة يستلها من قلبها ،

والطفل لا يحب أحدا في الدنيا قبل أمه ثم انه يحب أباه ولكن دون حبه لأمه ، وان كان يحترمه أشد مما يحترمها ، أفليس من الجناية على الفطرة أن يزاحم هذا الحب العظيم بين الوالدين والاولاد حب استمتاع الشهوة فيزحمه ويفسده وهو خير مافي هذه الحياة ؟ بلى ، ولاجل هذا كان تحريم نكاح الامهات هو الاشد المقدم في الآية ويليه تحريم البنات ، ولولا ما عهد في الانسان من الجناية على الفطرة والعبث بها والافساد فيها لكان لسليم الفطرة أن يتعجب من تحريم الامهات والبنات لأن فطرته تشعر بأن النزوع الى ذلك من قبيل المستحيلات ،

وأما الاخوة والأخوات فالصلة بينهما تشبه الصلة بين الوالدين والاولاد من حيث أنهم كأعضاء الجسم الواحد فان الاخ والاخت من أصل واحد يستويان في النسبة إليه من غير تفاوت بينهما ثم انهما ينشآن في حجر واحد على طريقة واحدة في الغالب ، وعاطفة الاخوة بينهما متكافئة ليست أقوى في أحدهما منها في الآخر كقوة عاطفة الأمومة والأبوة على عاطفة البنوة فلهذه الاسباب يكون انس أحدهما بالآخر أنس مساواة لايضاهيه أنس آخر اذ لايوجد بين البشر صلة أخرى فيها هذا النوع من المساواة الكاملة ، وعواطف الود والثقة المتبادلة ، ويحكى ان امرأة شفعت عند الحجاج في زوجها وابنها وأخيها وكان يريد قتلهم فشفعها في واحد مبهم منهم وأمرها ان تختار من يبقى فاختارت أخاها فسألها عن سبب ذلك فقالت ان الاخ لاعوض عنه وقد مات الوالدان وأما الزوج والولد فيمكن الاعتياض عنهما بمثلهما . فأعجبه هذا الجواب وعفى عن الثلاثة وقال لو اختارت الزوج لما ابقى لها احدا ، وجملة القول ان صلة الاخوة صلة فطرية قوية وان الاخوة والاخوات لا يشتهي بعضهم التمتع ببعض لأن عاطفة الاخوة تكون هي المستولية على النفس بحيث لا يبقى لسواها موضع ماسلمت الفطرة فقضت حكمة الشريعة بتحريم نكاح الاخت حتى لايكون لمعتلي الفطرة منفذ لاستبدال داعية الشهوة بعاطفة الاخوة

واما العمات والخالات فهن من طينة الاب والام وفي الحديث « عم الرجل صنو أبيه » اي هما كالصنوان يخرجان من أصل النخلة وتقدم هذا في تفسير (٢ : ١٣٣ ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوبَ الموتُ اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا

نعبد الهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق) فعدوا إسماعيل من آبائه لأنه أخ لأسحق فكأنه هو . ولهذا المعنى الذي كانت به صلة العمومة من صلة الابوة وصلة الخؤولة من صلة الأمومة - قالوا إن تحريم الجدات مندرج في تحريم الامهات وداخل فيه، فكان من محاسن دين الفطرة المحافظة على عاطفة صلة العمومة والخؤولة والتراحم والتعاون بها وان لاتنزو الشهوة عليها وذلك بتحريم نكاح العمات والخالات

وأما بنات الاخ و بنات الاخت فهما من الانسان بمنزلة بناته من حيث ان أخاه وأخته كنفسه وصاحب الفطرة السليمة يجد لها هذه العاطفة من نفسه وكذا صاحب الفطرة السقيمة الا ان عاطفة هذا تكون سقيمة ، نعم ان عطف الرجل على بنته يكون أقوى لكونها بضعة منه نمت وترعرعت بعنايته ورعايته ، وانسه بأخيه واخته يكون أقوى من أنسه ببناتهما لما تقدم . وأما الفرق بين العمات والخالات ، و بين بنات الاخوة والاخوات ، فهو ان الحب لهؤلاء حب عطف وحنان ، والحب لأولئك حب تكريم واحترام ، فهما من حيث البعد عن مواقع الشهوة متكافئان ، وانما قدم في النظم الكريم ذكر العمات والخالات ، لان الادلاء بهما من الآباء والامهات ، فصلتهما أشرف وأعلى من صلة الاخوة والاخوات ،

هذه هي انواع القرابة القريبة التي يتراحم الناس بها ويتعاطفون ، ويتوادون ويتعاونون ، بما جعل الله لها في النفوس من الحب والحنان ، والعطف والاحترام، فحرم الله فيها النكاح لاجل ان تتوجه عاطفة الزوجية ومحبتها الى من ضعفت الصلة الطبيعية أو النسبية بينهم كالغرباء والاجانب ، والطبقات البعيدة من سلالة الاقارب، كأولاد الاعمام والعمات ، والاخوال والخالات، و بذلك تتجدد بين البشر قرابة الصهر، التي تكون في المودة والرحمة كقرابة النسب ، فتتسع دائرة المحبة والرحمة بين الناس، فهذه حكمة الشرع الروحية في محرمات القرابة

ثم أقول ان هنالك حكمة جسدية حيوية عظيمة جدا وهي ان تزوج الاقارب بعضهم ببعض يكون سببا لضعف النسل فاذا تسلسلت واستمرت يتسلسل الضعف والضوى فيه الى ان ينقطع . ولذلك سببان أحدهما وهو الذي أشار اليه الفقهاء أن قوة النسل تكون على قدر قوة داعية التناسل في الزوجين وهي الشهوة وقد قالوا

انها تكون ضعيفة بين الاقارب ، وجعلوا ذلك علة لكراهة التزوج ببنات العم و بنات العمة الخ وسبب ذلك ان هذه الشهوة شعور في النفس يزاحمه شعور عواطف القرابة المضاد له فاما ان يزيله واما أن يزلزله ويضعفه كما علم مما بيناه آنفا

والسبب الثاني يعرفه الاطباء، وانما يظهر للعامة بمثال تقريبي معروف عند الفلاحين وهو أن الارض التي يتكرر زرع نوع واحد من الحبوب فيها يضعف هذا الزرع فيها مرة بعد أخرى الى ان ينقطع لقلة المواد التي هي قوام غذائه وكثرة المواد الاخرى التي لايتغذى منها ومزاحمتها لغذائه أن تخلص له ،ولو زرع ذلك الحب في أرض أخرى وزرع في هذه الارض نوع آخر من الحب لنما كل منهما . بل ثبت عند الزراع ان اختلاف الصنف من النوع الواحد من انواع البذار يفيد فاذا زرعوا حنطة في ارض وأخذوا بذرا من غلتها فزرعوه في تلك الارض يكون نموه ضعيفا وغلته قليلة واذا أخذوا البذر من حنطة أخرى وزرعوه في تلك الارض نفسها يكون أنمى وأزكى . كذلك النساء حرث كالارض يزرع فيهن الولد وطوائف الناس كانواع البذار واصنافه فينبغي ان يتزوج افراد كل عشيرة من أخرى ليزكو الولد وينجب فان الولد يرث من مزاج أبويه ومادة اجسادهما ويرث من اخلاقهما وصفاتهما الروحية ويباينهما في شيء من ذلك ، فالتوارث والتباين سنتان من سنن الخليقة ينبغي أن تأخذ كل واحدة منهما حظها لاجل ان ترتقي السلائل البشرية ويتقارب الناس بعضهم من بعض ،و يستمد بعضهم القوة والاستعداد من بعض ، والتزوج من الاقربين ينافي ذلك - فثبت بما تقدم كله انه ضار بدنا ونفسا ، مناف للفطرة مخل بالروابط الاجتماعية عائق لارتقاء البشر .

وقد ذكر الغزالي في الاحياء أن من الخصال التي تطلب مراعاتها في المرأة ان لا تكون من القرابة القريبة ، قال فان الولد يخلق ضاويا أي نحيفا وأورد في ذلك حديثا لايصح . ولكن روى ابراهيم الحربي في غريب الحديث أن عمر قال لآل السائب: اغتربوا لا تضووا . أي تزوجوا الغرائب . وعلل الغزالي ذلك بقوله : ان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر أو اللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب

الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة . اه

وأما حكمة التحريم بالرضاعة فقد بيناها في تفسير «واخواتكم من الرضاعة» ويزيده ماقلناه آنفا في حكمة محرمات النسب تبيانا فمن رحمته تعالى بنا أن وسع لنا دائرة القرابة بالحاق الرضاع بها وقد ذكرنا ان بعض بدن الرضيع يتكوّن من لبن المرضع وفاتنا ان نذكر هناك انه بذلك يرث منها كما يرث ولدها الذي ولدته

وأشرنا ايضا الى حكمة تحريم محرمات المصاهرة بما ذكرناه في حكمة تحريم الربيبة وهي بنت الزوجة ، وأمها أولى بالتحريم لان زوجة الرجل شقيقة روحه بل مقومة ماهيته الانسانية ومتممتها فينبغي أن تكون أمها بمنزلة أمه في الاحترام، ويقبح جدا أن تكون ضَرة لها فان لحمة المطاهرة كلحمة النسب فاذا تزوج الرجل من عشيرة صار كأحد أفرادها وتجددت في نفسه عاطفة مودة جديدة لهم فهل يجوز أن يكون سببا للتغاير والضرار بين الأم وبنتها ؟ كلا ان ذلك ينافي حكمة المطاهرة والقرابة، ويكون سبب فساد العشيرة ،فالموافق للفطرة الذي تقوم به المصلحة ، هو ان تكون أم الزوجة كأم الزوج وبنتها التي في حجره ، كبنته من صلبه ، وكذلك ينبغي أن تكون زوجة ابنه بمنزلة ابنه ، يوجه اليها العاطفة التي يجدها لبنته ، كما ينزل الابن امرأة ابيه منزلة أمه ، واذا كان من رحمة الله وحكمته أن حرم الجمع بين الاختين وما في معناهما لتكون المصاهرة لحمة مودة ، غير مشوبة بسبب من اسباب الضرار والنفرة ، فكيف يعقل ان يبيح نكاح من هي أقرب الى الزوجة كأمها أو بنتها أو زوجة الوالد للولد وزوجة الولد للوالد ؟ وقد بين لنا أن حكمة الزواج هي سكون نفس كل من الزوجين الى الآخر والمودة والرحمة بينهما وبين من يلتحم معهما بلحمة النسب فقال (٣٠ : ٢١ ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فقيد سكون النفس الخاص بالزوجية ولم يقيد المودة والرحمة لأنها تكون بين الزوجين ومن يلتحم معهما بلحمة النسب ، وتزداد وتقوى بالولد ، كما بينا ذلك بالاسهاب في مقالات (الحياة الزوجية) التي نشرناها في المجلد الثامن من المنار

فهذا مافتح الله به علينا في بيان المراد من قوله تعالى «يريد الله ليبين لكم» من حيث إنه لم يذكر معمول «ليبين» لنلتمسه من سنن الفطرة بمعونة ارشادنا الى كون ديننا دين الفطرة بقوله (٣٠ : ٣٠ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فقد جاءت هذه الآية بعد آية الزوجية بثمان آيات . وقال تعالى (٥١ : ٢٠ وفي الارض آيات للموقنين ٢١ وفي انفسكم أفلا تبصرون) وقد هدانا بذلك جلت حكمته الى الاستقلال في طلب العلم والحكمة ، وتزكية النفس بالادب والفضيلة ، ولا غرو فالقرآن هدى للمتقين ، لا قوانين وضعية للمتكلفين ، ولا رسوم عرفية للجامدين ،

بعد كتابة ماتقدم ذهبت الى احدى دور الكتب (في القسطنطينية) حيث انا فراجعت كتاب حجة الله البالغة للشيخ احمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي فاذا هو يقول في حكم محرمات النكاح «والاصل في التحريم أمور (منها) جريان العادة بالاصطحاب والارتباط وعدم إمكان لزوم الستر فيما بينهم وارتباط الحاجات من الجانبين على الوجه الطبيعي دون الصناعي فانه لو لم تجر السنة بقطع الطمع عنهن والاعراض عن الرغبة فيهن لهاجت مفاسد لا تحصى ، وانت ترى الرجل يقع بصره على محاسن امرأة اجنبية فيتوله بها ، ويقتحم في المهالك لاجلها ، فما ظنك فيمن يخلو معها وينظر الى محاسنها ليلا ونهارا . وايضا لو فتح باب الرغبة فيهن ولم يسد ولم تقم اللائمة عليهم فيه افضى ذلك الى ضرر عظيم عليهن فانه سبب عضلهم إياهن عمن يرغبن فيه لأنفسهم فانه بيدهم أمرهن واليهم إنكاحهن ، وان لا يكون لهم ان نكحوهن من يطالبهم عنهن بحقوق الزوجية مع شدة احتياجهن الى من يخاصم عنهن» ونظر لذلك بمسألة عضلهم لليتامى الغنيات كما تقدم في أوائل السورة

قال (ومنها) الرضاعة فان التي ارضعت تشبه الام من حيث انها سبب اجتماع امشاج بنيته وقيام هيكله غير ان الام جمعت خلقته في بطنها وهذه درت عليه سد رمقه من أول نشأته فهي ام بعد الام وأولادها أخوة بعد الاخوة ، وقد قاست في حضانته ماقاست ، وقد ثبت في ذمته من حقوقها ماثبت ، وقد رأت منه في صغرها مارأت ، فيكون تملكها والوثوب عليها مما تمجه الفطرة السليمة ، وكم من بهيمة عجماء

لاتلتفت الى أمها او الى مرضعتها هذه اللفتة ، فما ظنك بالرجال (وأيضا) فان العرب كانوا يسترضعون أولادهم في حي من الاحياء فيشب فيهم الولد ويخالطهم كمخالطة المحارم ويكون عندهم للرضاعة لحمة كلحمة النسب » ثم ذكر الحديث في هذا المعنى والرضاع المحرم وكون الاصل في مقداره عشر رضعات والخمس للاحتياط

قال (ومنها) الاحتراز عن قطع الرحم بين الاقارب فان الضرتين تتحاسدان وينجر البغض الى اقرب الناس منهما والحسد بين الاقارب أخنع وأشنع . وقد كره جماعات من السلف ابنتي عم لذلك فما بالك بامرأتين ايهما فرض ذكرا حرمت عليه الاخرى كالاختين والمرأة وعمتها او خالتها » ثم ذكر ماورد في الجمع

قال (ومنها) المصاهرة فانه لو جرت السنة بين الناس ان يكون للام رغبة في زوج بنتها وللرجال في حلائل الابناء وبنات نسائهم لأفضى الى السعي في فك ذلك الربط أو قتل من يشح به ، وان انت تسمعت الى قصص قدماء الفارسيين واستقرأت حال أهل زمانك من الذين لم يتقيدوا بهذه السنة الراشدة وجدت أمورا عظاما ومهالك ومظالم لاتحصى (وأيضا) فان الاصطحاب في هذه القرابة لازم ، والستر متعذر ، والتحاسد شنيع ، والحاجات من الجانبين متنازعة ، فكان امرها بمنزلة الامهات والبنات او بمنزلة الاختين »

قال « ومنها العدد الذي يمكن الاحسان اليه في العشرة الزوجية » ولم يأت بشيء جديد الا قوله في بيان حكمة الاربع « ذلك ان الاربع عدد يمكن لصاحبه ان يرجع الى كل واحدة بعد ثلاث ليال وما دون ليلة لايفيد فائدة القسم ولايقال في ذلك بات عندها ، وثلاث اول حد الكثرة وما فوقها زيادة الكثرة » وقد وفينا هذا المقام حقه في تفسير الآية التي تبيح التعدد من الجزء الرابع

قال (ومنها) اختلاف الدين وهو قوله (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) وذكر ان ذلك مفسدة للدين وهي تخف في الكتابية فرخص فيها . وتقدم إيضاح ذلك في الجزء الثاني . وقد نقل ابن جرير عن بعض مفسري السلف ان المشركين والمشركات المحرم على المؤمنين التناكح معهم هم المشركون والمشركات من العرب

وقد كان من حكمة الاسلام ان يكون عرب الجزيرة كلهم مسلمين فشدد في معاملتهم مالم يشدد في معاملة غيرهم كما بينا ذلك في المنار

قال (ومنها) كون المرأة أمة لآخر فانه لا يمكن تحصين فرجها بالنسبة الى سيدها ولا اختصاصه بها بالنسبة اليه الا من جهة التفويض الى دينه وأمانته ، ولا جائز ان يسد سيدها عن استخدامها والتخلي بها فان ذلك ترجيح اضعف الملكين على اقواهما ، فان هنالك ملكين ملك الرقبة وملك البضع والأول هو الاقوى المشتمل على الآخر المستتبع له ، والثاني هو الضعيف المندرج ، وفي اقتضاب الأدنى للاعلى قلب الموضوع ، وعدم الاختصاص بها وعدم امكان ذب الطامع فيها هو أصل الزنا . وقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاصل في تحريم الانكحة التي كان الجاهلية يتعاملونها كالاستبضاع كما بينته عائشة رضي الله عنها . فاذا كانت فتاة مؤمنة بالله محصنة فرجها واشتدت الحاجة الى نكاحها لمخافة العنت وعدم طول الحرة خوف الفساد وكانت الضرورة والضرورات تبيح المحظورات » اه

ثم ذكر كون المرأة مشغولة بنكاح مسلم اوكافر وقال في حكمته « فان اصل الزنا هو الازدحام على الموطوءة من غير اختصاص احدهما وغير قطع طمع الآخر فيها»

واما قوله تعالى ﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾ فمعناه أنه يريد ايضا بما شرعه لكم من الاحكام الموافقة لمصالحكم ومنافعكم أن يهديكم سنن الذين أنعم عليهم من قبلكم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اي طرقهم في العمل بمقتضى الفطرة السليمة ، وهداية الدين والشريعة ، كل بحسب حال الاجتماع في زمانه ، كما قال « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » وانما كان دين جميع الانبياء واحدا في التوحيد وروح العبادة وتزكية النفس بالاعمال التي تقوم الملكات وتهذب الاخلاق

ثم قال ﴿ ويتوب عليكم ﴾ أي ويريد بتلك الاحكام ان يجعلكم بالعمل بها تائبين مما سلف في زمن الجاهلية وأول الاسلام إذ كنتم منحرفين عن سنة الفطرة تنكحون مانكح آباؤكم ، وتقطعون أرحامكم ، ولا تراعون مافي الزوجية من تجديد

قرابة الصهر ، بدون تنكيث لقوى روابط النسب ، وقيل المراد بالتوبة ماهي سبب له من الغفران ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي أنه ذو العلم والحكمة الثابتين اللذين تصدر عنهما أحكامه فتكون موافقة لمصالحكم ومنافعكم لان علمه الواسع محيط بها وحكمته البالغة تقضي بها

وقوله ﴿ والله يريد ان يتوب عليكم ﴾ قيل إنه تكرير لأجل التأكيد وقيل ان التوبة فيه غير التوبة في الآية السابقة بأن يراد بالأولى القبول وبالثانية العمل الذي يكون سبب القبول ، وهو تكلف غير مقبول ، والصواب ان التوبة الاولى ذكرت في تعليل أحكام محرمات النكاح فكان معناها ان العمل بتلك الاحكام يكون توبة ورجوعا عما كان قبلها من انكحتهم الباطلة الضارة وان الله شرعها لاجل ذلك ثم اسند ارادة التوبة الى الله تعالى في جملة مستأنفة ليبين لنا أن ذلك مايريد الله تعالى أن نكون عليه دائما في مستقبل أيامنا بعد الاسلام ويقابله بما يريده منا متبعو الشهوات ، كأنه يقول ماجعل ارادة التوبة علة لتلك الاحكام الا وهو يريد ذلك دائما منكم لتزكو نفوسكم وتطهر قلوبكم وتصلح احوالكم ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاعظيما ﴾ عن صراط الفطرة فتؤثروا داعية الشهوة الحيوانية على كل داعية فلا تبالوا أن تقطعوا لارضائها وشائج الارحام ، وتزيلوا أواصر القرابة ، وتكونوا مثلهم إمامكم المتبع هو الشهوة ، وغرضكم من الحياة التمتع باللذة ، وقيل المراد بمتبعي الشهوات اهل الكتاب او اليهود خاصة لانهم ينكحون بنات الاخوة ، وكذا الاخت لأب كما نقل ، وقيل المجوس ، والمختار ما تقدم من الاطلاق ، قال الاستاذ الامام: ومنهم الذين يقولون بنكاح المتعة ،

ثم قال تعالى ﴿ يريد الله ان يخفف عنكم ﴾ إذ لم يضيق عليكم في أمر النساء ، حتى أنه أباح لكم عند الضرورة نكاح الإماء ، بل لم يجعل عليكم في الدين من حرج قط ، فشريعتكم هي الحنيفية السمحة كما ورد ، ﴿ وخلق الانسان ضعيفا ﴾ لايقدر على مقاومة الميل الى النساء ولا يحمل ثقل التضيق عليه في الاستمتاع بهن ، فمن رحمته تعالى أنه لم يحرم عليه منهن الا مافي إباحته مفسدة عظيمة ، ومع هذا ترى

الزنا يفشو حيث يضعف الدين حتى لا يكاد الناس يثقون بنسلهم ، وحتى تكثر الامراض ويقل النسل ، ويستشري الفساد في الارض ، وقد كان الرجال ولا يزالون هم المعتدين في هذا الامر لقوة شهوتهم ، وشدة جرأتهم ، فهم يفسدون النساء ويستميلونهن بالمال ، ثم يتهمونهن بأنهن المتصديات للافساد ، ويحجر واحدهم على امرأته ويحجبها ، ويحتال على إخراج امرأة غيره من خدرها ! ! ! وهو يجهل ان الحيلة التي أفسدبها امرأة غيره ، هي التي يفسدبها غيره امرأته ، وانه قلما يفسق رجل الا ويكون استاذا لاهل بيته في الفسق ، ومن حكم الحديث الشريف « عفوا تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم » رواه الطبراني من حديث جابر والديلمي من حديث علي بمعناه . على أن في الرجال الفاسقين ، والمتفرنجين المارقين ، من مردوا على الفسق وصاروا يرونه من العادات الحسنة فخزيت عفتهم ، وزالت غيرتهم ، فهم يعدون الدياثة ، ضربا من ضروب الكياسة ، فيسلسون القياد لنسائهم ، كما يسلس القياد لهم ، وذلك منتهى ماتطيقه الرذيلة من الجهد في إفساد البيوت بتنكيث قوى الرابطة الزوجية ، وجعلها وسيلة لما هي في الفطرة والشريعة أشد الموانع دونه ، لانها هي الحصن للمرتبطين بها من فوضى الابضاع ، والحفاظ لما فيه هناء المعيشة من الاختصاص .

اخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس (رض) انه قال : ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الامة ماطلعت عليها الشمس وغربت . وعد هذه الآيات الثلاث : يريد الله ليبين لكم ـ الى قوله ضعيفا . والرابعة « ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » الآية والخامسة « ان الله لايظلم مثقال ذرة » الآية والسادسة «ومن يعمل سوءا اويظلم نفسه » الخ والسابعة « ان الله لايغفر ان يشرك به » الخ والثامنة «والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم » الخ وسيأتي تفسيرها في مواضعها ان شاء الله تعالى

بِالْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩ : ٣٤) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

قال البقاعي في تفسيره (نظم الدرر) مبينا وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها من أول السورة الى هنا : ولما كان غالب ما مضي مبنيا على الأموال تارة بالارث وتارة بالجعل في النكاح حلالا أوحراما قال تعالى بعد ان بين الحق من الباطل وبين ضعف هذا النوع كله ـ فبطل تعليلهم لمنع النساء والصغار من الارث بالضعف ـ و بعد ان بين كيفية التصرف في النكاح بالاموال وغيرها حفظا للانساب ، ذاكرا كيفية التصرف في الأموال تطهيرا للأسباب ، مخاطبا لادنى الاسنان في الايمان ، ترفيعا لغيرهم عن مثل هذا الشان ، وذكر الآية

وقال الاستاذ الامام: كان الكلام من أول السورة الى هنا في معاملة اليتامى والاقارب والنساء ثم في معاملة سائر الناس ومدار الكلام في تلك المعاملات على المال حتى انه لما ذكر مايحل وما يحرم من النساء لم يخرج الكلام عن احكام المال فقد ذكر ما يفرض لهن وما يجب من إيتائهن أجورهن ، و بعد ذكر تلك الانواع من الحقوق المالية ذكر قاعدة عامة للتعامل المالي فقال ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ أضاف الاموال الى الجميع فلم يقل لا يأكل بعضكم مال بعض للتنبيه على ماقررناه مرارا من تكافل الامة في حقوقها ومصالحها كأنه يقول إن مال كل واحد منكم هو مال أمتكم فاذا استباح أحدكم أن يأكل مال الآخر بالباطل كان كأنه أباح لغيره أكل ماله وهضم حقوقه لان المرء يدان كما يدين. هذاماعندي ونقل بعض من حضر الدرس على الاستاذ انه قال أيضا إن في هذه الاضافة تنبيها الى مسألة أخرى وهو أن صاحب المال الحائز له يجب عليه بذله ـ او البذل منه ـ للمحتاج فكما لا يجوز للمحتاج ان يأخذ شيئا من مال غيره بالباطل كالسرقة والغصب ، لا يجوز لصاحب المال ان يبخل عليه بما يحتاج اليه

وأقول زيادة في البيان ان مثل هذه الاضافة قد قررت في الاسلام قاعدة الاشتراك التي يرمي اليها الاشتراكيون في هذا الزمان ولكنهم لم يهتدوا الى سنة عادلة فيها ، ولو التمسوها في الاسلام لوجدوها ، ذلك بأن الاسلام يجعل مال كل فرد من أفراد المتبعين له مالا لأمته كلها ، مع احترام الحيازة والملكية وحفظ حقوقها فهو يوجب على كل ذي مال كثير حقوقا معينة للمصالح العامة ، كما يوجب عليه وعلى صاحب المال القليل حقوقا أخرى لذوي الاضطرار من الامة ومن جميع البشر ويحث فوق ذلك على البر والاحسان والصدقة الدائمة والصدقة المؤقتة والهدية .

فالبلاد التي يعمل فيها بالاسلام لايوجد فيها مضطر الى القوت والستر قط سواء كان مسلما أو غير مسلم ، لان الاسلام يفرض على المسلمين فرضا قطعيا ان يزيلوا ضرورة كل مضطر ، كما يفرض في أموالهم حقا آخر للفقراء والمساكين ومساعدة الغارمين الذين يبذلون أموالهم للاصلاح بين الناس ولغير ذلك من أنواع البر ، ويرى كل من يقيم في تلك البلاد أن مال الامة هو ماله لانه اذا اضطر اليه يجده مذخورا له ، وقد يصيبه منه حظ في غير حال الاضطرار وقد جعل المال المعين المفروض في أموال الاغنياء تحت سيطرة الجماعة الحاكمة من الامة لئلا يمنعه بعض من يمرض الايمان في قلوبهم ، وترك الى اريحية الافراد سائر ما أوجبه الشرع عليهم او ندبهم اليه ، وحثهم باطلاق النصوص عليه ، ورغبهم فيه ، وذمهم على منعه ، ليكون الدافع لهم الى البذل من أنفسهم ، فتقوى ملكات السخاء والنجدة والمروءة والرحمة فيها ، ولم يبح للمحتاج ان يأخذ ما يحتاج اليه من أيديهم بدون اذنهم ومرضاتهم لان في ذلك مفسدتين مفسدة قطع أسباب تلك الفضائل وما في معناها ومفسدة اتكال الكسالى على كسب غيرهم ، ومن وراء هاتين المفسدتين انحطاط البشر وفساد نظام الاجتماع ، فان الناس خلقوا متفاوتين في الاستعداد فمنهم المغمول المخلد الى الكسل والخمول ، ومنهم محب الشهرة والظهور ، وتذليل صعاب الامور ، فاذا ابيح للكسالى البطالين ، ان يفتاتوا على الكاسبين المجدّين ، فيأخذوا ماشاؤوا او احتاجوا من ثمرات كسبهم ، بغير رضاهم ولا اذنهم ، أفضت هذه الاباحة الى الفوضى في الاموال ، والضعف والتواني في الاعمال ، والفساد في الاخلاق والآداب

كما لايخفى على أولي الالباب ، فوجب أن لايأخذ أحد مال أحد الا بحق ، أو يبذل صاحب المال ماشاء عن كرم وفضل ، فمتى يعود المسلمون الى حقيقة دينهم ويكونون حجة له على جميع الملل كما كان سلفهم ، فيقيموا المدنية الصحيحة في هذا العصر كما اقامها اولئك في عصورهم . وقد تقدم تفسير مثل هذه الجملة في سورة البقرة (س٢ آية ١٨٨ ج ٢ ص ١٨٩) وذكرنا هنا لك مافي هذه الاضافة من إعجاز الايجاز

أما الباطل فقد قلنا هنا لك انه مالم يكن في مقابلة شيء حقيقي وهو من البطل والبطلان اي الضياع والخسار فقد حرمت الشريعة أخذ المال بدون مقابلة حقيقية يعتد بها ورضى من يؤخذ منه وكذا انفاقه في غير وجه حقيقي نافع . وقال الاستاذ الامام هنا : فسر الجلال وغيره الباطل بالمحرم وهو إحالة للشيء على نفسه فان الله حرم الباطل بهذه الآية فقولهم ان الباطل هو المحرم يجعل حاصل معنى الآية : انني جعلت المال المحرم محرما . والصواب ان الباطل هو ما يقابل الحق ويضاده ، والكتاب يُطلق الالفاظ كالحق والمعروف والحسنات اوالصالحات ، وما يقابلها وهو الباطل والمنكر والسيئات ، ويكل فهمها الى أهل الفطرة السليمة من العارفين باللغة ومن ذلك قوله في اليهود « ويقتلون النبيين بغير الحق » فحق فلان في المال هو الثابت له في العرف وهوما اذا عرض على العقلاء المنصفين اصحاب الفطرة السليمة يقولون انه له ، فيدخل في الباطل الغصب والغش والخداع والربا والغبن والتغرير. وقوله « بينكم » للاشعار بأن المال المحرم لانه باطل هو ما كان موضع التنازع في التعامل بين المتعاملين كأنه واقع بين الآكل والمأكول منه ، كل منهما يريدجذبه لنفسه ، فيجب ان يكون المرجح للمال بين اثنين يتنازعان فيه هو الحق ، فلايجوز لاحد ان يأخذه بالباطل . وعبر بالأكل عن مطلق الاخذ لانه أقوى اسبابه وأعمها وأكثرها

قال تعالى ﴿ الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ قرأ الكوفيون تجارة بالنصب اي الا ان تكون تلك الاموال تجارة الخ وقرأها الباقون بالرفع على أن كان تامة والمعنى الا ان توجد تجارة عن تراض منكم ، والاستثناء منقطع قالوا والمعنى لاتقصدوا

الى أكل أموال الناس بالباطل ولكن اقصدوا أن تربحوا بالتجارة التي تكون صادرة عن التراضي منكم وتخصيصها بالذكر دون سائر اسباب الملك لكونها أكثر وقوعا وأوفق لذوي المروآت . وروى ابن جرير عن الحسن وعكرمة انهما قالا كان الرجل يتحرج ان يأكل عند أحد من الناس بهذه الآية فنسخ ذلك بالآية التي في سورة النور « ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم » الآية . وروى ابن ابي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود انه قال في هذه الآية إنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة .

الاستاذ الامام : قالوا ان الآية دليل على تحريم ماعدا ربح التجارة من أموال الناس - أي كالهدية والهبة - ثم نسخ ذلك بآية النور المبيحة للانسان ان يأكل من بيوت أقاربه وأصدقائه ، وهو افتراء على الدين لاأصل له - أي لم تصح رواية عمن عزي اليه - اذ لا يعقل ان تكون الهبة محرمة في وقت من الاوقات ، ولامافي معناها كإقراء الضيف ، وانما يكون التحريم فيما يمانع فيه صاحب المال فيؤخذ بدون رضاه أو بدون علمه مع العلم أو الظن بأنه لايسمح به . وانما استثنى الله التجارة من عموم الاموال التي يجري فيها الاكل بالباطل أي بدون مقابل لان معظم انواعها يدخل فيها الاكل بالباطل فان تحديد قيمة الشيء وجعل عوضه أو ثمنه على قدره بقسطاس الحق المستقيم عزيز وعسير ان لم يكن محالا ، فالمراد من الاستثناء التسامح بما يكون فيه أحد العوضين أكبر من الآخر وما يكون سبب التعاوض فيه براعة التاجر في تزيين سلعته وترويجها بزخرف القول من غير غش ولا خداع ولاتغرير كما يقع ذلك كثيرا فان الانسان كثيرا مايشتري الشيء من غير حاجة شديدة اليه وكثيرا مايشتريه بثمن يعلم انه يمكن ابتياعه بأقل منه من مكان آخر ولايكون سبب ذلك الا خلابة التاجر وزخرفه ، وقديكون ذلك من المحافظة على الصدق واتقاء التغرير والغش ، فيكون من باطل التجارة الحاصلة بالتراضي ، وهو المستثنى ، والحكمة في إباحة ذلك الترغيب في التجارة لشدة حاجة الناس اليها وتنبيه الناس الى استعمال ماأوتوا من الذكاء والفطنة في اختيار الاشياء والتدقيق في المعاملة حفظا لاموالهم التي جعلها الله لهم قياما أن يذهب شيء منها بالباطل ، أي بدون منفعة تقابلها . فعلى هذا يكون الاستثناء

متصلا خرج به الربح الكثير ، الذي يكون بغير غش ولا تغرير ، بل بتراض لم تنخدع فيه ارادة المغبون ، ولو لم يبح مثل هذا لما رغب في التجارة ولا اشتغل بها أحد من أهل الدين على شدة حاجة العمران اليها وعدم الاستغناء عنها ، اذ لا يمكن أن تتبارى الهمم فيها مع التضييق في مثل هذا . وقد شعر الناس منذ العصور الخالية بما يلابس التجارة من الباطل حتى ان اليونانيين جعلوا للتجارة والسرقة إلـهاً أو ربًّا واحدا فيما كان عندهم من الآلهة والارباب لانواع المخلوقات وكليات الاخلاق والاعمال اه ماقاله في الدرس مع زيادة وايضاح .

وقد علمت ان الجمهور على ان الاستثناء منقطع أي ان المقام مقام الاستدراك لا الاستثناء والمعنى لاتكونوا من ذوي الطمع الذين يأكلون أموال الناس بغير مقابل لها من عين أو منفعة ولكن كلوها بالتجارة التي قوام الحل فيها التراضي فذلك هو اللائق بأهل الدين والمروءة اذا أرادوا ان يكونوا من أهل الدثور والثروة . وقال البقاعي : ان الاستدراك لايجيء في النظم البليغ بصورة الاستثناء أي الذي يسمونه الاستثناء المنقطع الا لنكتة . وقال ان النكتة هنا هي الاشارة الى ان جميع مافي الدنيا من التجارة وما في معناها من قبيل الباطل لانه لاثبات له ولا بقاء ، فينبغي ان لايشتغل به العاقل عن الاستعداد للدار الآخرة التي هي خير وأبقى . وفي الآية من الفوائد ان مدار حل التجارة على تراضي المتبايعين ، والغش والكذب من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة ، وكل مايشترط في البيع عند الفقهاء فهو لاجل تحقيق التراضي من غير غش وماعدا ذلك فلا علاقة له بالدين

قال البقاعي : ولما كان المال عديل الروح ونهى عن اتلافه بالباطل نهى عن اتلاف النفس لكون اكثر إتلافهم لها بالغارات لنهب الاموال وما كان بسببها أو تسبيبا على ان من أكل ماله ثارت نفسه فأدى ذلك الى الفتن التي ربما كان آخرها القتل فكان النهي عن ذلك أنسب شيء لما بنيت عليه السورة من التعاطف والتواصل فقال تعالى ﴿ ولا تقتلوا انفسكم ﴾ الخ أقول ظاهر هذه الجملة وحدها ان النهي انما هو عن قتل الانسان لنفسه وهو الانتحار والمتبادر منها في هذا الاسلوب ان المراد لايقتل بعضكم بعضا وهو الاقوى . واختير هذا التعبير للاشعار بتعاون

الامة وتكافلها و وحدتها كما تقدم في نكتة التعبير عن اكل بعضهم مال بعض بقوله « لاتأكلوا أموالكم » ، وجمع بعضهم في النهي عن القتل بين الامرين فقال أي لاتقتلوها حقيقة بالانتحار ولا مجازا بقتل بعضكم لبعض ، ولم يقولوا مثل هذا في النهي عن أكل أموال انفسهم بالباطل على ان المعنى يكون في نفسه صحيحا فان النفقات بالباطل محرمة شرعا لانها من إضاعة المال في غير منفعة حقيقية ، وقد تقدم مايؤيد ذلك في تفسير قوله تعالى «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » (راجع ص ٣٧٩ ج ٤ تفسير) وكل المحرمات في الاسلام ترجع الى الاخلال بحفظ الاصول الكلية الواجب حفظها بالاجماع وهي الدين والنفس والعرض والعقل والمال والنسب . وعللوا التعبير عن قتل الانسان لغيره بقتله لنفسه بأنه لما كان يفضي الى قتله قصاصا أو ثأرا كان كأنه قتل لنفسه . وقالوا مثل هذا القول في تفسير قوله تعالى في خطاب بني اسرائيل (٢ : ٨٤ واذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم أقررتم وانتم تشهدون ٨٥ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا من ديارهم) الآية . حتى أنهم قالوا في قوله تعالى لبني اسرائيل (٢ : ٥٤ فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) ان المعنى ليقتل كل منكم نفسه بالبخع والانتحار أو أمروا ان يقتل بعضهم بعضا ، وقال بعضهم ان المراد بالقتل هنالك قطع الشهوات كما قيـل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها . وقيل ان المعنى هنا لاتخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من يغلب على ظنكم انهم يقتلونكم . ومن نظر في مجموع الآيات الواردة في هذا المعنى وراعى دلالة النظم والاسلوب يجزم بأن المراد بقتل الناس انفسهم هو قتل بعضهم لبعض وان النكتة في التعبير هي ماتقدم بيانه من وحدة الامة حتى كان كل فرد من أفرادها هو عين الآخر وجنايته عليه جناية على نفسه من جهة وجناية على جميع الافراد من جهة أخرى ، بل علمنا القرآن أن جناية الانسان على غيره تعد جناية على البشر كلهم لا على المتصلين معه برابطة الامة الدينية او الجنسية او السياسية بقوله عز وجل (٥ : ٣٥ من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)

واذا كان يرشدنا بأنه يجب علينا ان نحترم نفوس الناس بعدّها كنفوسنا فاحترامنا لنفوسنا يجب أن يكون أولى فلا يباح بحال من الاحوال أن يقتل أحد نفسه كأن يبخعها ليستريح من الغم وشقاء الحياة فمهما اشتدت المصائب على المؤمن فانه يصبر ويحتسب ولا ينقطع رجاؤه من الفرج الإلهي ، ولذلك نرى بخع النفس (الانتحار) يكثر حيث يقل الايمان وينشو الكفر والالحاد ، ومن فوائد الايمان مدافعة المصائب والاقدار ، فالمؤمن لا يتألم من بؤس الحياة كما يتألم الكافر فليس من شأنه أن يبخع نفسه حتى ينهى عن ذلك نهيا صريحا

﴿ ان الله كان بكم رحيما ﴾ اي انه كان بنهيه إياكم عن أكل أموالكم بالباطل وعن قتل انفسكم رحيما بكم لان في ذلك حفظ دمائكم وأموالكم التي هي قوام مصالحكم ومنافعكم ، فيجب ان تتراحموا فيما بينكم ويكون كل منكم عونا للآخرين على حفظ النفس ومدافعة رزايا الدهر ،

﴿ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ﴾ قال الاستاذ الامام: ذهب بعض المفسرين الى ان المشار اليه في قوله «ذلك» كل ما تقدم النهي عنه من اول السورة الى الآية السابقة ، وقال ابن جرير ان المشار اليه هو مانهي عنه من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها » الى هنا وذلك ان المنهيات التي قبل تلك الآية قد اقترنت بالوعيد عليها على حسب سنة القرآن ولكن هذه المنهيات الاخيرة لم يوعد عليها بشيء وان وصفت بالقبح الذي يترتب عليه الوعيد . — وهي النهي عن ارث النساء كرها وعن عضلهن لاخذ شيء من مالهن وعن نكاح مانكح الآباء في الجاهلية ، وعن اكل اموال الناس بالباطل وعن القتل — وقال بعضهم ان المشار اليه في هذه الآية هو القتل فقط وقد قصر كل التقصير وأكثر المفسرين على ان المراد بذلك مافي الآية الاخيرة من النهي عن اكل أموال الناس بالباطل ومن القتل وهذا هو المعقول المقبول فان ما قبلها من المنهيات التي لم تقترن بالوعيد قد اقترنت بالوصف الدال عليه

(قال) والعدوان هو التعدي على الحق فكأنه قال بغير حق ، وهو يتعلق بالقصد فمعناه ان يتعمد الفاعل اتيان الفعل وهو يعلم انه قد تعدى الحق وجاوزه الى الباطل ، والظلم يتعلق بالفعل نفسه بأن كان المتعدي لم يتحر ويجتهد في استبانة مايحل له منه فيفعل مالا يحل ، والوعيد مقرون بالامرين معا وهما ان يقصد الفاعل العدوان

وان يكون فعله ظلما في الواقع ونفس الامر ، فاذا وجد أحدهما دون الآخر لا يستحق هذا الوعيد الشديد . مثال تحقق العدوان دون الظلم ان يقتل الانسان رجلا يقصد الاعتداء عليه ثم يظهر له انه كان راصدا له يريد قتله ولو لم يسبقه لقتله ، او انه كان قتل من له ولاية دمه كأصله أو فرعه ، فههنا لم يتحقق الظلم وأما العدوان فواقع لامحالة ، ومثال تحقق الظلم فقط ان يسلب امرؤ مال آخر ظانا انه ماله الذي كان سرقه او اغتصبه منه ثم يتبين له ان المال ليس ماله وانه لم يكن هو الذي اخذ ماله ، وان يقتل رجلا رآه هاجما عليه فظن انه صائل يريد قتله ثم يتبين له خطأ ظنه ، فههنا تحقق الظلم ولكن لم يتحقق العدوان . أقول وقد يعاقب الانسان على بعض الصور التي لا تجمع بين العدوان والظلم معا لتقصيره في استبانة الحق ولكن عقاب من يجمع بينهما واصلاؤه النار إدخاله فيها واحراقه بها ، واصله من الصلى وهو القرب من النار للاستدفاء . قال الراجز * يقعي جلوس البدوي المصطلي * أي المستدفيء وتتمة هذا البحث اللغوي في تفسير الآية التاسعة من هذه السورة (ص ٣٩٤ ج ٤ تفسير)

﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أي ان ذلك الوعيد البعيد شأوه ، الشديد وقعه ، يسير على الله غير عسير ، وقريب من العادين الظالمين غير بعيد ، لان سنته قد مضت بأن يكون العدوان والظلم مدنسا للنفوس مدسيا لها بحيث يهبط بها في الاخرة ، ويرديها في الهاويه ، وقال الاستاذ الامام: ان معنى كونه يسيرا على الله تعالى هو ان حلمه في الدنيا على المعتدين الظالمين وعدم معاجلتهم بالعقوبة لا يقتضي ان ينجوا من عقابه في الآخرة . وهذا الذي قاله لا ينافي ماقلناه بل هو تنبيه الى موضع العبرة أي فلا يغترن الظالمون بعزتهم وقوتهم على من يظلمونهم ، ولا تقسن الآخرة على الدنيا فيكونوا كأولئك المشركين ، الذين قالوا فيما حكى الله عنهم « نحن أكثر أموالا وأولادا ومانحن بمعذبين » بل يجب ان لا يأمنوا تقلب الدنيا وغيرها ولا ينخدعوا بقول الشاعر

لقد احسن الله فيما مضى   كذلك يحسن فيما بقي

﴿ أغلاط التفسير التي في ج ٣ م ١٣ صحح بالقلم ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧٠	٧	غير العرب	وغير العرب
١٧٨	٣	سائز	سائر
١٨٠	١١	لهم أني	لهم ربهم أني
١٨٥	٢٠	اه	انه

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

« الاتحاد الشامل والتعليم الشامل »

« أيهما يتوقف على الآخر »

(س ٢٦) من الشيخ كرامه يلدرم صاحب جريدة الاصلاح بسنغافوره

ماقول مولانا المرشد ادام الله فضله :

فيما قاله السيد محمد بن هاشم من انه لا علم شاملا لافراد الامة الا باتحادها وتعاونها في جمع المال لبذله في سبيل تحصيله

وفيما قاله السيد حسن بن شهاب من انه لا اتحاد شاملا لافرادامة مالم يتعلموا فيجب نبذ الدعوة الى الاتحاد والاقتصاد على الدعوة الى التعليم فقط .

وقدتداول الكتابة هذان الرجلان في هذا الموضوع كما ترون باعداد الاصلاح المرسلة اليكم فنلفت نظركم العالي اليها وعلى الخصوص العدد ٤٣١١ من الاصلاح وهو الذي كتب بعد الاطلاع على مافي الصفحة ٨١٧ من المجلد ١٢ من المنار فنرجوكم نشر ماهو الصواب ادام الله بقاءكم .

محبكم صاحب الاصلاح في سنغافوره

(ج) وصلت الينا اعداد الاصلاح ونحن في القسطنطينية واتفق ان العدد ٤٣١١ لم يكن فيها بل وضع بدله عدد آخر ولا شك ان ذلك كان خطأ فلم نطلع على شيء مما كتب المتناظران واظن جدالهما كان في الآراء النظرية

والذي اراه ان الدعوة الى العلم لا تعارض الدعوة الى الاتحاد والدعوة الى الاتحاد لاتعارض الدعوة الى العلم بل يمكن الجمع بينهما . ثم ان الاتحاد العام الشامل لجميع افراد الامة غاية لا تكاد تدرك الا ان يسمى تمني دفع الشر المطلق اوالبديهي والضروري كالوباء وجلب الخير المطلق كالصحة والغنى اتحادا ، وانما يراد بالاتحاد الذي يبحث عليه السياسيون ان تكون الامة متعاونة على المصلحة العامة بأن يكون الجمهور الاكبر منها متفقا على تلك المصلحة مساعدا عليه بدون مقاومة تحبط العمل او تعرقله وتثبط عنه . وهذا الاتحاد لايتوقف على شمول التعليم الذي يراد به عند الاطلاق في كل امة مايلقن في مدارسها عادة . ولكن التعليم اذا انتشر وكثر على طريقة واحدة مع التربية على طريقة واحدة يكون أقوى أسباب الاتحاد . ولنورد بعض الامثلة التي يتضح بها المراد

التعليم المنتشر الآن في البلاد العثمانية هو المانع الاعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان اليأس من اتحادهم اشد وأقوى لاختلاف طرقه ومقاصد الناشرين له . وان التعليم في فرنسا عام يكاد يشمل الافراد كلهم وهم غير متفقين على الحكومة الجمهورية بل يؤيدها السواد الاعظم

ان اهل الولايات المتحدة هم اعرق الامم في الاتحاد ولم يكن التعليم شاملا لجميع أفرادهم عند ماقاموا بدعوة الاتحاد وأيدوها بالسيف والنار في الحرب الاهلية المشهورة . وان قبائل المرتة في الهند من أشد الناس اتحادا والتعليم ليس غالبا فيهم . إن دولة الروسية قد احتلت بلاد الفرس ولا شك ان السواد الاعظم منهم كارهون لهذا الاحتلال ويودون لو أمكنهم مقاومته واكثرهم غير متعلمين ، وربما كان المتعلمون من البابية راضين بهذا الاحتلال ومؤيدين له لظنهم ان دعوتهم تكون في ظل الدولة الروسية أشد حرية واكثر انتشارا وقد يقال أن هؤلاء قد خرجوا من الامة بخروجهم من الاسلام

ان الاتحاد الجرماني لم يحصل الا بعد انتشار التعليم الذي أعد أمراءهم وعقلاءهم له اذ علموا ان به عزتهم ومنعتهم وارتقاءهم ولكن التعليم لم يكن شاملا لافرادهم

هذه أمثلة واقعية يتضح بها الامر وأظن ان المتناظرين لو تأملا فيها أو في مثالها ولم يجعلا كلامهما نظريا فقط لاتفقا من أول وهلة ولاسيما اذا كانا قد حررا موضع النزاع كما نبهنا هما الى ذلك في جوابنا الاول الوجيز . ثم إنني اذكر بعض الامثلة لتصوير اتحاد يمكن ان يحصل في أمة قبل تعميم التعليم فيها ، وتعليم عام يمكن ان يحصل بدون اتحاد سابق عليه ، مع الجزم بأن الاتحاد على شيء بالقصد لايمكن الا بعد علم المتحدين بأن مصلحتهم في ذلك الشيء كما اشرت الى ذلك في جوابي الاول وهذا ليس موضعا للنزاع

يمكن ان يؤلف أغنياء الحضرميين في جاوه وسنغافوره جمعية خيرية لجمع المال وانشاء المدارس في بلادهم لتعليم الفقراء مجانا والاغنياء بالاجرة التي يستعان بها على توسيع دائرة التعليم الذي يثمر الاتحاد ويمكن ان يتم لهم ذلك وان ينجحوا فيه نجاحا يفضي الى تعميم التعليم هنالك من غير ان يتحد أهل البلاد كلهم عليه ، ولكن لابد من اتحاد الذين يجمعون المال وينشئون المدارس على ذلك وهو لايكون الا اذا علموا ان هذا التعليم الذي يريدونه هو الذي يحيي بلادهم ويسعدها في دينها ودنياها ، فاذا اختلفوا في ذلك كأن قام بعض العقلاء العارفين بأحوال الامم وسنن الله تعالى في ترقيها وتدليها يحثونهم على الجمع في تعليم قومهم بين علوم لغتنا وديننا وبين العلوم الدنيوية التي لانرتقي في ديننا ودنيانا بدونها كالرياضيات والكونيات التي منها علم الزراعة والمعادن ومبادي الصناعة التي يمكننا بعد تعلمها ان نحيي ارض بلادنا ونستخرج معادنها ، وكعلوم التجارة والاقتصاد والتاريخ وتقويم البلدان - فقام في وجه هؤلاء المصلحين مثل الشيخ عثمان بن عقيل عدو الاصلاح المبين فقال لا حاجة لكم أيها الحضرميون أو أيها المسلمون بشيء من العلم الرائج عند الكفار - وان ملكت به دولة صغيرة كهولندة وهي في اقصى الشمال مملكة اسلامية عظيمة في الجنوب استعبدت فيها اكثر من ثلاثين ألف ألف مسلم - وانما يجب عليكم ان تتعلموا ماأعلمه أنا فقط من علم الدين والعربية - وان كانت عربية مملوءة بالاغلاط

النحوية واللغوية في المفردات والاساليب ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الاحاديث !! فاذا اختلف اغنياء الحضرميين في جاوه فتبع بعضهم عثمان بن عقيل اغترارا برسائله التي تحارب هولندة بمثلها المسلمين حربا معنوية وتصدهم عن الترقي وتبع آخرون دعاة الاصلاح فربما لا يتم لهؤلاء نشر التعليم النافع لعدم استطاعتهم القيام به مع عدم الاتحاد والتعاون بينهم وبين الآخرين

ويمكن ايضا أن تتألف جمعية من الحضرميين العارفين بأحوال بلادهم وبسنن الاجتماع واخلاق الامم وشئونها فتضع قانونا لجمع كلمة السادة الشرفاء والأمراء على المصالح والمنافع التي تحفظ نفوذهم وتنفع بلادهم وتسعى في إقناعهم بتنفيذه بينهم فيكون ذلك اتحادا على ترقية البلاد يمكن ان يكون وسيلة لتعميم التعليم ، فان قيل ان العمل بهذا القانون متعذر او متعسر لان اولئك الشرفاء والزعماء لايقتنعون بما يراد إقناعهم به لعدم العلم الاجتماعي الذي يفقه صاحبه طرق حفظ المصالح العامة ودرء المفاسد العامة فلابد من هذا العلم قبل الدعوة الى الاتحاد ، نقول وان العلم الاجتماعي الذي يثمر الاتحاد لاتجاب الدعوة اليه مادام أهل النفوذ الروحي كعثمان بن عقيل يقولون انه ضار مخالف للدين ، ويصدقه اكثر الناس لانهم جاهلون ،

لعل كل واحد من المتناظرين حصر فكره في صعوبة احد هذين الطرفين دون الآخر في إصلاح حال أهل بلاده (حضرموت) فكيف اذا فكر كل منهما في إصلاح البلاد العربية العثمانية بالفعل والتي نود ان تكون عثمانية (كبلادهما) وأراد أن يسعى في توحيد التعليم وتعميمه في حضرموت واليمن والحجاز ونجد وسورية والعراق أو أن يدعو اليه او الى الاتحاد عليه وعلى تعزيز الدولة ورفعة شأنها به ، ألا يتمثل أمام كل منهما من الصعوبات والعقبات ما يرى معه إصلاح حضرموت وحدها امرا ميسورا ؟ اذ ليس فيها من اختلاف المذاهب الذي هو بلاء المسلمين الأكبر مثل مافي سائر البلاد العربية كما انه ليس فيها من الاستعداد الحربي مثل ما يوجد في اليمن ونجد والعراق ولا من اختلاف التربية والتعليم مثل ما يوجد في سورية والعراق على مافيهما من الاديان والمذاهب

ثم كيف بهما اذا فكرا في أمر التعليم والاتحاد في البلاد العثمانية كافة على

مافيها من اختلاف الاجناس والعناصر، الى اختلاف الاديان والسياسات والمذاهب او اذا فكرا في اتحاد المسلمين كافة من وقوع اكثرهم تحت سلطة الاجانب ؟؟ أيقول احدهما لا يمكن نشر التعليم فيمن ذكر الا بعد الاتحاد العام الشامل ، او لا يمكن هذا الاتحاد إلا بعد العلم العام الشامل ، فيلزم من مجموع قولهما الدور الحقيقي وأن كلا من الامرين متعذر لاينال ، والدعوة اليه من لغو الكلام ؟

الصواب ما قلناه في أول الجواب من عدم التعارض بين الدعوتين فيجب الجمع بينهما والسعي اليهما وكل خطوة في العلم تكون عونا على الاتحاد وكل خطوة الى الاتحاد تكون عونا على العلم ، فكل منهما يمد الآخر ويستمد منه ، وقد تكون الدعوة الى الاتحاد أقوى تأثيرا واقرب نفعا في الامم التي سلبت استقلالها كله أو بعضه والأمم التي يهددها الاجانب بهذا السلب بالقول أوالفعل ، فاذاقلت للفارسيين وقد تغلغلت الجيوش الروسية في بلادهم عليكم بالدعوة الى العلم فقط وبعد ان يصير عاما شاملا لافرادكم تتحدون على مدافعة الاحتلال الاجنبي لا يكون كلامك مؤثرا ولا مفيدا لانهم يقولون اذا لم نتحد من الآن على المدافعة والمقاومة لايتم لنا التعليم لان الاجانب يمنعوننا منه كما يمنعون اخواننا في بلادهم فيجب ان نسعى الى الامرين جميعا ويكون سعينا الى الاتحاد في المرتبة الاولى

هذا ماعنّ لنا أن نوضح به هذه المسألة ولعل ماحققناه يكون هو الحكم الفصل بين المتناظرين وان لم نطلع على كلامهما فتكون نتيجة اختلافهما الاتفاق ، وعاقبة افتراقهما التلاق ،

باب التربية والتعليم

المرأة المصرية والمرأة الغربية (*)

المولودة — دور الطفولية — المراهقة (الملابس والازياء) الخطبة والزواج الاقتصادالمالي والمنزلي — العمل البيتي — الاخلاق والعادات — دور الامومة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيتها السيدات

اذا كان لفئة ما ان تجتمع وتبحث في شؤونها فلاأحق منانحن نساء مصر وفتياتها ان نكون تلك الفئة فاننا على درجة من التأخر تؤلم نفس المتفكر فيها وترجع بالوطن خطوات واسعات عن سبيل التقدم . من دلائل تأخرنا ان اكثرنا أخذ يقلد المرأة الغربية بغير نظر الى موافقة عاداتها للشرع الاسلامي والآداب الشرقية وبعضنا الآخر ظل على تقاليده القديمة سواء كانت صحيحة أو فاسدة . فما هذا الجمود بمستحسن ولا ذاك الاندفاع بممدوح . واني شارحة الآن عادات المرأتين في كل أدوار حياتهما مقارنة احداهما بالاخرى مستخلصة زبدتيهما لنعمل بها

(١) الدور الاول المولودة

إن حالنا الآن عند تبشير إحدانا بالانثى شديد المشابهة جدا لحال الجاهلية

(*) نشرنا في (ص٣٥٣م١٢) من المنار خطبة لاحدى فضليات النساء المسلمات المشهورة بمقالاتها المفيدة في شؤون النساء والبيوت وهي التي توقع على مكتوباتها في الجريدة (باحثة بالبادية) واليوم ننشر لها هذه الخطبة النفيسة التي خطبت بها كثيرات من النساء في الجامعة المصرية في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

الاولى ولم أرنا نقصنا عنهم شيئا في ذلك الا الوأد قال الله تعالى (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون). وان الانقباض الذي نظهره عند مستهل الانثى يؤثر في الطفلة خنوعاً للذلة وروءوما الى الضعة فتشب الفتاة واجدة الفرق العظيم بينها و بين أختها فتعتقد في نفسها انها أحط شأنا وأدنى مرتبة فلا تطلب من المعالي ما يطلبه اخوها ولا تنبسط نفسها الى ما يرفع شأنها وجنسها وتضع نفسها حيث نضعها. وليت شعري لم نكره ولادة الانثى وهي نصف الانسان وامه وزوجه وابنته؟ الا يصح ان تكون الفتاة نافعة كالفتي؟ ألا يرجع الفضل في تدبير عش الرجل لها؟ ألم تكن في كثير من الاحيان سبب سعادته وموضع أمله؟ وكيف يهمل تعاليم ديننا الحنيف في هذه المسألة ويتبعها اكثر الغربيين فان أممهم ولاسيما الشمالية منها يتساوى عندها الذكر والانثي وقد يملكون عليهم فتاة فيهم من يفضلها علما وتجربة وحذقا. يبرر الشرقيون ومن حذا حذوهم جزعهم هذا بأن الذكر يحفظ اسم (العائلة) ويرث مالها ولقبها. ولكن كم من والد مات ذكره بموته وان العمل وحده عليه حياة الذكر أو فناؤه. هل رفع الله الانبياء عليهم السلام درجات على الناس بأعمالهم أم بأبنائهم؟ ومنهم من لم يتزوج قط ومنهم من عقه أبناؤه. أم كان أبو العلاء المعري أبا ذرية أحيت اسمه وهو الذي يعد الزواج والذرية جناية؟ وهل يغني الولد عن الابوين شيئا اذا كان لا يخفف حشرجة الموت؟ فالبنت والصبي سيان وكلاهما قرة عين الوالد في حياته ولا يدري ماذا يفعلان بعد مماته. وهل اذا ورث الفتى ثروة بددها يعد حافظا غني أسرته ام اذا ولد لاحدهم ذكور ضمن لهم الحياة مخلدين (؟)

٢ — الدور الثاني دور الطفولية

في هذا الدور نميز الصبي عن البنت في امور شتى مع ان الغربيين لا يفرقون البتة بينهما فضلا عن انهم يوفونهما حقها من التربية والعناية ونحن اذا فضلنا الذكر قليلا فلا نزال مقصرين نحو العناية به فما بالكن بالانثى؟ ترضع المرأة الغربية طفلها بنفسها وتنظفه اللهم الا فئة العاملات اللاتي يضطرهن الفقر الى الاشتغال في المصانع

والحوانيت وترك اطفالهن في مربى الاطفال بالاجرة. أما نحن فنعد ارضاع أطفالنا عيبا لا يغتفره لنا ادعاء الغنى أو الغني نفسه ونهمل أمر نظافتهم للخدم ونكل ترويضهم وتربيتهم اليهم وهم من تعلمن من فساد الذوق والجهل القبيح فيشب أطفالنا أشبه أخلاقا بهم ونجد بيننا و بينهم جفاء وصلة منقطعة، وكيف تعرف الام طباع طفلها وهي لا تتعرفها بنفسها؟ ولو مرت الامهات يوما بالمراضع جالسات على حافة الطرق لبراقبن حالتهن الاخلاقية لما تأخرن لحظة عن حماية اطفالهن من جيش المراضع الهازم لمكارم الاخلاق

أما عنايتنا بصحة أطفالنا فليست بأكثر من عنايتنا باخلاقهم فبينما المرأة الغربية تغذي طفلها غذاء خفيفا سريع الهضم وتتحفظ عليه من هجمات البرد والحر ترينا نطعمه أثقل الغذاء ونبادر باعطائه اللحم وما يتعسر هضمه فتختل معدة الطفل ويصاب بالاسهال والنزلات المعوية وقد يفضي به سوء الحالة الى الموت أخيرا ولا نكترث بنظافته لئلا يحسد ونتركه يلعب به النقيضان القر والحر فلا يلبث ان يمرض ولا علاج له عندنا الا الرُّقى والتمائم نثقل بها حمائله واذا بكى متوجعا نظن بكاءه جوعا فنلقمه الغذاء فوق الغذاء الى ان يلقى حتفه. هنالك تتهم أمه صاحبتها أو قريبتها بأنها حسدته وتركت فيه سهما من عينيها فتبغضها وتتشاءم من رؤيتها!. واذا ابتدأ الطفل يتكلم ويمشي فأول ماينطق به عندنا لعنة الآباء والاجداد ومن الغريب اننا نجعل ذلك منه موضوع ضحك واستحسان فيظن انه مصيب في قوله فيتمادى في الاكثار منه واذا مشى فاننا نحجر عليه الا ان يمشي وسط الحجرات المزدحمة بالاثاث والاواني فاذا لم يكسر شيئا فانه يتهشم بصدمة أو بوقوع واذا تأخر في الخطو قليلا نساعده عليه بالمشاة (المشاية) وهي علة تشويه كبيرة لا نشعر بها فان عظام الطفل اللينة باجهادها على المشي حين لا قدرة لها تلتوي فيشب الطفل أعوج الساقين منحني السلسلة الفقرية أو الصدر كذلك لا نلتفت لموضع سرير الطفل وتأثير النور في عينيه فيكثر فينا الحول والعمى فما أعظم الفرق بين طفلنا الشاحب اللون البذيء اللسان و بين الطفل الغربي الصحيح البدن بالاعتناء! ما أجمله حين يذهب في الصباح والمساء ليقبل والديه وحين يستغفر أيا كان لأقل هفوة و يشكر لابداء الجميل! واذا حرم

تلك القبلة الوالدية لهفوة أتاها فلا تسلى عن حزنه وبكائه الى ان يتوب . بمثل هذا تعلم المرأة الغربية طفلها — ورضي الوالدين اعظم نعمة للاولاد — وتربي فيه الضمير الحي والاعتراف بالشكر لمن وجب له فلا تصغر نفسه بالضرب كما نعود نحن اطفالنا. ما المراد من ضرب الطفل ؟ المراد هو نهيه عن اتيان شيء لا نستحسنه لا لايذاء جسمه بانواع التعذيب البدني ، وفي طرق التأديب النفسية مايكفل تلك الغاية بغير الشتم والضرب اللذين يضعفان همة الطفل ويخفضان من عزته صغيرا ويزيدان تحككه واستبداده كبيرا

وبقدر مانعطي الطفل حرية في البذاءة والاتلاف نحرمها عليه في الرياضة المفيدة لنمائه فنمنعه الجري والتنزه ومشاهدة المناظر الطبيعية الجميلة مع ان الطفل الغربي يعد عضوا مهما في البيت كسائر أعضائه من أب وأم فيذهب به الى بلاد بعيدة لاستنشاق الهواء واجتلاء المناظر ويفرد له أدوات خاصة لنومه ولعبه وسائر لوازمه ويعامل بالاكرام ويعوّد الاستقلال من نعومة اظفاره الى أن يترعرع . واذا لحن في كلامه بادرت أمه بتصحيح خطاءه والنطق أمامه نطقا صحيحا حتى يحاكيها فيه . اما أطفالنا البائسون فاننا نلثغ لهم لترضيهم ونكلمهم بلغتهم المضطربة بدل تعليمهم لغتنا العامية لا الفصحى !

نحن نبادر بارسال أولادنا للمدارس وهم صغار لايدركون ماهية العلم ولا يألفون حجر حريتهم فيضايقهم المعلمون بتدريسهم الممل الغير الجذاب، ويلزمون أعضاءهم المخلوقة للحركة بالسكون التام فيتربى في الطفل نفور من المدرسة والدرس فتجبره أمه على الذهاب للمدرسة فيزيده الاجبار نفورا، وقد يكون خطؤنا في ارسال أولادنا صغارا جدا للمدرسة ومضايقة المعلمين لهم بأساليبهم العقيمة ماينقص من استعداد الطفل لتلقي العلم ويفسد عليه ملكاته . أما الطفل الغربي فهو أسعد حظا اذ تعلمه أمه في البيت طرق الملاحظة والمشاهدة وتلقنه فوائد الاشياء والاسرار البسيطة لما يحيط به من نبات وحيوان ومطر وغيره، وتعلمه الاحسان والشفقة بما تفعله امامه من ضروبهما، وكذلك تعلمه القراءة والكتابة الاولية بأسلوب مشوق ولا ترسله للمدرسة الا وفيه ميل اليها واستعداد لما سيلقى عليه بها . وقد جربت ضرر ارسال الاولاد

للمدرسة صغارا في نفسي وفي اخوتي وفيمن شاهدته من التلميذات فاني ظللت حوالي الثلاث سنين لا أفقه معنى المدرسة ولا أكاد أفهم الغرض من ارسالي اليها، وكذلك شاهدت النابغات من التلميذات هنّ اللاتي أرسلن للمدرسة في سن الثامنة أو العاشرة أما المرسلات صغيرات فأكثرهن لم يستفدن شيئا غير ضعف البنية وخسارة ما أنفق عليهن . اذا كان ولا بد من ارسال الاطفال للمدرسة صغارا فيجب أن تجعل لهم فرقة مخصوصة كفرقة بستان الاطفال (Kinder garten) التي تلقى اليها الدروس مزيج من التعليم والرياضة ويراعى فيها مدارك الطفل وتمرن حواسه وأعضاؤه بغير اجبار يخافه أو تكرار يمله . ولو كانت الامهات معتنيات بأطفالهن تمام العناية فان مثل تلك الفرقة كان يجب أن تكون في كل بيت أنعم الله عليه بنعمة الاولاد .

للتربية عندنا احدى طريقتين : اما القسوة أو التدليل وكلاهما ضار . فالقسوة ترهق الطفل وتعلمه الذل، والتدليل يطوح به في مهواة الغرور . فمن دلائل قسوتنا تخويفنا الاطفال وتصوير صور مخيفة لهم من الظلمة وملء أذهانهم بترهات لا أصل لها (كالبعبع والمزيرة الخ) وضربهم عند مخالفتهم لنا . ومن تدليلنا اياهم أن نعلمهم الانانية ونعطيهم مايشتهون عند بكائهم بعد منعهم اياه قبل البكاء فيتعلمون من ذلك ان الصياح ميسر العسير ومقرب البعيد فلا يتأخرون عن البكاء عند أي شيء نمنعه عنهم وقد رأيت كثيرا ان طفلا ينصح أخاه أو أخته الاصغر منه سنا بأن يبكي حتى يأخذ كيت وكيت مما كان منع عنه . أما الافرنج فطريقتهم في تربية الاطفال خير من طريقتنا اضعافا فيعاقبون الطفل الذي يبكي لطلب شيء بالحرمان منه فيعلم ان البكاء لايجدي ويطلبه بالطرق المشروعة وان منع منه فلا يعود يتشبث به . ويعدون في المنزل ماتمس اليه حاجة الاولاد من الحلوى واللعب خوفا عليهم من قذارة مافي الاسواق واقتصادا للمال والزمن .

٣ — الدور الثالث دور المراهقة

هذا هو الدور الذي تتجلى فيه صفات الفتاة حسنة كانت أو سيئة وان كانت الاخيرة فمن الصعب تغييرها . في هذا الدور يهتم الاهلون بارسال أولادهم الذكور للمدرسة ولا يهتمون كثيرا بتثقيف عقل الفتاة على انهم قد أخذوا يقلدون الغربيين

أخيرا في تعليم الفتاة وانما لم يجيء التقليد نافعا لنا ولا محكما في ذاته . فالفتاة الغربية تتعلم العلوم إلى ان تحصل منها على درجة عالية أو درجة محمودة . أما فتاتنا المصرية فلا تكاد تقرأ وتتعلم قشورا بسيطة من العلم حتى تستغني بها عن الاستمرار في الاستفادة فهي لا تقلد الغربية في التعلم النافع وانما تقلدها باستماتة في تعلم (البيانو) والرقص !! ولا أدري لماذا أخذت البيوت الشرقية تبطل العود والقانون وتتعلم (البيانو) مع ان الاولين فضلا عن كونهما شرقيين فانهما ألطف صوتا وأشجى نغمة واقل جلبة وأرخص ثمنا وأخف حملا . ان (البيانو) لازم جدا في الغرب لتحية الجموع في المراقص والكنائس لأنه بنغماته العالية يسمع الى مكان بعيد أما في بيوت المسلمين حيث لا مراقص ولا كنائس فلا أجده من الضرورة بالدرجة التي يتهافت عليها فتياتنا . نعم ان تعلم الموسيقي من الكماليات المدوحة ويقولون انها مهذبة للطبع مرققة للشعور ولكن ألم يكن الاولى تعلمها على الآلات الشرقية التي لاضوضاء لها اذ هي بذلك أدعى للحشمة فلا يتعدى صوتها البيت الذي هي به .

لو سلمنا بضرورة تقليد الغربية في تعليم (البيانو) لوجب محاكاتها أيضا في تعلمه من حيث هو فن واتقانه لا ان تقتصر الفتاة علي نقر لا تناسب بين نغماته حتى ان سليم الذوق مع عدم تلقيه دروسا في (البيانو) يمكنه نقد ذلك الضرب على صماخ الاذن لا على (البيانو) فان أذنه تنبو عنه لسماجته

ماذا تقرأ الفتيات في سن المراهقة ؟ لا يقرأن الا الروايات الغرامية وهن في ذلك الوقت قابلات لشدة الانفعالات النفسية فيتأثرن بحوادث العشق والهرب وتنطبع في ذاكرتهن اشعار وجمل غرامية مما يقرأن وتمر أمامهن صور تلك الحوادث كالصور المتحركة فلا تعدم أن تلقي أثرا في عقولهن اللينة . ان الآباء ملومون في هذه الحالة لعدم اختيارهم كتبا نافعة تقرأها فتياتهم . لماذا لا يختارون لهن مثل كتاب التربية الاستقلالية (١ وفيه أمور نافعة جدا في تربية الاطفال ومعاملة الازواج أو مثل كتاب كليله ودمنه (٢ أو كتب تراجم المشهورين من رجال ونساء فان في قراءة سير المشهورين

١) يباع بعشرين قرشا صحيحا بادارة المنار وأجرة البريد قرشان ونصف قرش
٢) يباع بعشرة قروش بادارة المنار واجرة البريد قرش ونصف قرش

مايبعث القارىء على ان يقتدي بهم أو مثل كتب آداب اللغة وغيرها مما يلذ ويفيد في آن واحد . هذا اذا وجدت الفتاة من كتب الفلسفة والعلم مايستعصي عليها فهمه أو ماتتضجر من الاستمرار على قراءته لجده الخالص وجفافه . ماذا تفعل الفتاة في سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة وهي ممتلئة الذهن بحوادث «روميووجوليت» والفاظ « فاتنتي وحبيبتي » الخ ؟ انها تتمنى أن تسمع مثلها وتكون مرموقة بنفس تلك العين لأن سنها كما ينبت أخصب مراعي ابليس . هذا من جهة القراءة

أما الحرية فان الفتاة المصرية الاولى كانت محجورا عليها الدرجة الحبس والفتاة الغربية لها مطلق الحرية ان تغدو وتروح وحدها وتسافر من بلد الى آخر قاص بغير رقابة أهلها وهذا من الخرق في الرأي وأخاف أن تغرنا زخارفه فنعمل به لأن كثيرات من فتياتنا المتعلمات يحسبن ان الدرجة التي وصلن اليها تكفي لاعطائهن مطلق الحرية يغدون ويرحن وحيدات . وان حوادث الفتيات المحزنة كثيرة جدا في أوربا لان الفتيات الطائشات لصفاء نيتهن يصدقن كل مدع لهن بالغرام وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسايرة الفتيان ثم لا يلبث الرجال ان ينفضوا من حولهن ويتركونهن بين اليأس والعار وهما امران احلاهما مر !

ومن رأيي ان تمنع الفتاة في سن المراهقة هذه من الاختلاط بالشبان . وحاشا ان امس بكلامي هذا شرف الفتيات وانما احب أن انبه الى شيء طبيعي والعاقل من اتعظ بغيره . ويكفي تجنبنا لمثل هذا الاختلاط المعيب ان أهله ذاتهم هم اول العائبين له . والفتاة في هذه السن ككل انسان تطلب الحرية ويجب ان تتروض وتخرج وهذان لا أمنعها منهما وانما انصح للامهات ان يرافقنهن وللآباء ان يراقبوهن مراقبة تخفى عليهن لان المراقبة ان كانت ظاهرة قد تضع في نفس الفتاة انها يجب ان تراقب وأنها ضعيفة عن الذود عن نفسها واذا تملك منها هذا الشعور كان وبالا عليها واذلالا لها . ثم اذا ثبتت للوالدين مقدرتها على حسن السير فلا بأس من إباحة الحرية لها في زيارة صاحباتها وأرى ان الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما ضار فكما ان الاولى تسهل سبل الفساد لمن تريدها كذلك الآخر يخلق في الفتاة ميلا لأن ترى كل شيء ويعلمها طرق الغش والكذب فيكون قد جنى اهلها عليها جنايتين !

ان صلاح الفتاة مترتب دائما على تربيتها الاولى فان فسدت فقد يكون قليل من الحرية افضل من الحجر البات لانه لاينفع ولا تعدم الفتاة منفذا لاغراضها فتتعلم بذلك السرقة والخداع وقد تكون بعيدة عنها من قبل

أفضل طريقة لتربية البنات هي ان يرين قبل البلوغ كل شيء تصح مشاهدته بمعنى ان البنت في سن العاشرة والثانية عشرة يجب ان يريها والدها الصور المتحركة والتمثيل والالعاب المختلفة والحوانيت الكبيرة والمتنزهات والآثار ويركبها السيارة ويريها الحفلات وغير ذلك حتى تلم على قدر الامكان بكل شيء حسن أو عجيب فتستنير من جهة ولا تظل بلهاء ككثيرات من فتياتنا وحتى تكون امتلأت نفسها من الصغر فلا تجد فيها فراغا فيما بعد لطلب المزيد من المشاهدات فاذا عرض لها التنزه في حياتها المستقبلة فلا بأس به وان لم يعرض فلا تتأسف كثيرا لفواته

المدارس — تعجبني جدا طريقة مدارس (الفرير) في نقل الفتيات صباحا ومساء في عرباتها الخاصة حتى لاتختلط بهن السابلة وحتى يأمن عليهن أهلهن وكذلك يوفرن وقت من سيعطل نفسه ليستصحبنه الى المدرسة ذهابا وايابا فحبذا لو اشترت نظارة المعارف أو استأجرت مثل تلك العربات لنقل التلميذات الى مدارسها في الغدو والرواح ويكون لكل قسم من أقسام البلد واحدة او اثنتان حسب كثرة التلميذات وقلتهن فان التعليم في مدارسها ارقى بكثير من التعليم في المدارس الاخرى وخصوصا في اللغة العربية التي هي لغتنا ويجب ان نتعلمها جيدا وكذلك تراعى فيها آداب البلد وعاداته ودينه أفضل مما تراعى في تلك المدارس الاجنبية التي لم تفتح الا لنشر مذهب من المذاهب الدينية أو لكسب أصحابها فقط

بعض أضداد تعليم الفتيات يرون ان تظل الفتاة جاهلة خير لها من ان تتعلم لان التعلم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لاتبرره العادة ولا يسمح به أولياؤها وهي نظرية فاسدة لان التربية الصحيحة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها مايخيفها من سوء الاحدوثة وتعلم ان سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الاشياء واذا انكسر فلا يجبر. اما الفاسدة فتميل اذا وجدت مسربا سواء كانت عالمة او جاهلة وغاية الامر أن الجاهلة اسرع شططا وأدنى الى

أن تشهر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيء الا بعد وقوعها في سوء مغبته

الملابس والازياء — الملابس الشرقية اخف موءنة وأيسر كلفة واشد ملاءمة لجونا الحار وصيفنا المحرق من الملابس الافرنجية فهي جلباب يلبس مرة واحدة فوق الملابس اللاصقة بالجسوم . وعند الخروج تلبس فوقه الملاءة . اما الملابس الافرنجية فانها متعددة القطع مضاعفة التركيب عسرة اللبس والنزع فمن مشد يخنق الخاصرة ويحشر الكبد والطحال ويدلي الاحشاء ويمنع الجلد من التنفس الطبيعي اللازم له ، ومن بنيقة (ياقه) منشأة كالورق المقوى لا تستطيع المرأة فيها لفت رقبتها ولا الانثناء لقضاء أي عمل فتظل مشرئبة العنق لا عن صيد مشدودة لا عن وثاق ، ومن صدار (chemisette) لاصق بالا بطين ضاغط على الكتفين أو منفرج الفتحة (décolte) معرض القفا والنحر بل الصدر والظهر الى الحر والقر واختلاف درجات الجو وجلب النزلات الصدرية ومن مرط (Jupe) ضيق الاعلى غير محكم الازرار واسع الاسفل طويل الذيل كأن لابسته من ذوات الاذناب تثير عند مشيتها الجراثيم وتضايق الرئتين والخياشيم ومن قبعة شاسعة الارجاء مدججة بالدبابيس مثقلة بالطيور وريشها والغصون وازهارها وثمارها مدبجة بالاربطة الحريرية ، ومن أناشيط (بنابيغ) في أجزاء (الفستان) يضيع في ربطها وحلها الزمن سدى فضلا عن تعدد الملابس لتعدد الأغراض فحلة للصباح وأخرى للمساء وثالثة للخروج وأخرى للرقص وغيرها للاستقبال وهلم جرا . وان الزمن الذي يضيع كل يوم في اللبس والخلع لو صرف في عمل نافع لأتى بالفائدة وأراح من العناء .

على ان لنساء الافرنج حسنة واحدة في ملابسهن مفقودة عندنا وهي البساطة عند الخروج للنزهة أو لقضاء شغل فتلبس المرأة ثوبا قصيرا كي لايعوقها عن المشي اما نحن فترتدي أحسن طرفنا في الخارج ونظل في الذيول نجرها . على ان الاوربيات احق منا بتفنن الازياء وشدة التأنق فيها لانهن برزات اما نحن فأكثر ما يرانا جدران المنازل وان خرجنا فتحت الازار او في العربات واذا فلا لزوم لاتباع (المودة) بشفف زائد لانها تفقر وتمل . وان كان للغنيات حق التمتع

بصرف مالهن ولو فيما لايجدي الانسانية كالازياء فليس للمتوسطات حق افقار بعولتهن أو آبائهن جريا وراء المودة المتقلبة .

تخرج بعض نسائنا عن حدود الأدب والشرع زعما باتباع (المودة) ولكن هناك فرقا كبيرا بين (المودة) والخلاعة فان لبست المرأة آخر الازياء في بيتها فما عليها في ذلك من حرج ولكن اذا أظهرت زينتها للدارة وظلت تتلكأ وتضحك فتلك هي الخلاعة الشائنة ولم تجيء في مجلات الازياء (كالبرنتال واللوفر) وغيرهما ففي أي كتاب قرأتها .

لاحظت شيئا غريبا في الفتيات وهو أن الفتاة التي تتبرج وتتأنق مغالية في اظهار محاسنها وغناها تريد بذلك ان يعجب بها الخاطبون والخاطبات هي التي تتأخر دائما في الزواج وان تزوجت فبرجل أقل مما كان ينتظر لمثلها وهو عقاب طبيعي للمتبرجات لأن الرجل مهما أعجبه شكل الخليعة وكلامها فهو لايود ان يقتنيها لنفسه اعتقادا أن ما أعجبه منها ظاهر لغيره ايضا ولو فطنت الفتيات الى ان أول شرط يشترطه الرجل في امرأته خاصة هو الحشمة والترفع عن البهرجة لما تأخرن لحظة عن الاقلاع عما زعمنه يقربهن في أعين الراغبين في الزواج وهو في الحقيقة يبعدهن وينفر الرجال منهن . لست بذلك ادعو النساء الى التقشف او البعد عن الزينة فليس لي ان احرم ما حلل الله ولأن في الزينة للمرأة بعض السعادة ولزوجها كذلك ولكن غرضي الاعتدال في الزينة الى عدم الخروج عن المعروف .

٤ — الدور الرابع الخطبة والزواج

تتعجل الفتيات كثيرا في انتظار هذا الدور ولو علمن مصاعبه ومتاعبه لما تعجلنه واظن أن مايشوقهن اليه هو الزخارف والحلي الجديدة ومايقام للعروس من معالم الزينة ومايتقاطر عليها من التهاني والهدايا ولكنهن لايدرين التبعة الكبرى التي تتحملها المرأة بزواجها وما قد يصيبها من الآلام النفسية في عيشتها الجديدة ، وشتان بين الفتاة تنام ملء عينيها ولا تسأل الا عن نفسها ويسعى أبوها وأهلها في ارضائها وجلب ما تشتهيه لها من ملابس وغيرها وبين الزوجة تنتظر بعلها الى ما بعد نصف الليل

وتبكر قبل بزوغ الشمس لتجهيز طعامه وتنظيم ملابسه وتظل يومها تشتغل في بيتها أو تلاحظ الخدم وعليها ان ترضيه وترضيهم وتخطب ود اهله وتقوم بتربية أولاده وهي بين كثرة العمل وتنوع التبعة تحاسب حسابا عسيرا على اقل هفوة (*) ، وربما وجدت منه سكيرا فظا أو أحمق ، وأدهى من ذلك ان يتحفها بضرة شرعية او غير شرعية تأتي على مابقي من رونق جمالها وسعادتها

لا وسيلة للزواج عندنا الا الخطبة ولكن بأعين الاهل والجيران والخاطبات وقد تحسن في أعينهن من لاتحسن في عين الخاطب لاختلاف الاذواق والمشارب فيتزوج الرجل على مجرد أوصاف قيلت له فيصور منها شكلا في مخيلته عسى لايطابق العروس الحقيقية أصلا لسوء تعبير الخاطبات وتحريفهن . وكذلك الفتاة تكاد لاتعلم عن خاطبها شيئا الا اسمه وماله المبالغ في تقديره لترغيبها هي وأهلها فيه . فاذا حان وقت المقابلة يكاد العروسان يصابان بالبكم والغشيان لفرط اندهاش احدهما من الآخر . وبعد المعاشرة قليلا قد يتفقان وربما لايتفقان وهذه المخاطرة نتيجة اعتقادنا المقلوب في القضاء والقدر . نعم ان القضاء والقدر لاتجدي مغالبتهما ولكن لا يصح اتخاذهما وسيلة للاهمال في جلب المنفعة أو درء الضرر فان هذه المسألة مسألة اختيار محض للعقل ان يحكم فيها وحده فاذا أحسن الاختيار حسنت عاقبته وان قصر او أهمل ساءت العقبى . على ان اسفار النساء عن وجوههن لم تجمع الائمة على تحريمه فضلا عن انهم كلهم يجوزونه عند الخطبة تحاشيا من وقوع الاختلاف ودعوى الغش فيما بعد

أما الافرنج فخشية أن يصابوا بما أصيب به أغلب أهل الشرق من الخطبة

(*) في كلام الخطيبة مواضع للنقد لم تتعرض لها لان كلامها بالاجمال صحيح ومفيد ولكننا لم نر بدا هنا من تنبيهها الى خطأ بين وهو تهويلها بتكاليف الزواج وذكر اشياء تافهة عدتها من المرغبات فيه معرضة عن ذكر السائق الفطري اليه وهو شعور كل فرد من أفراد الجنسين بأن نفسه نزاعة الى السكون الى نفس أخرى تكمل بها اما تلك الزخارف الكاذبة فقد تكون من المرغبات لمن لم يغرين بهم في التربية ولا سيما لبنات الطبقة الدنيا اللائي كن محرومات في بيوت آبائهن من مثلها والخطيبة الاديبة انما ارادت ذم التعجل بالزواج فجاء كلامها صريحا بالتنفير من الزواج نفسه وهو غير المراد حتما .

العمياء وما يترتب عليها من الشقاء المستمر أجمعوا رأيهم على ان يتراءى العروسان قبل الخطبة مرارا ويتقابلا تكرارا ولكنهم أفرطوا في الأمر كما فرطنا نحن فيه وكلا طرفي كل الامور ذميم. لم يكتفوا بأن يرى الخاطب مخطوبته عدة مرات بل شرطوا أن يكون الزواج بعد الرضى او الميل المتبادل بينهما ولأجل أن يحصلوا على قلب الخاطب قبل أن يعرف من هو يحرضون بناتهم على غشيان المتنزهات والمراقص ومجتمعات الفتيان لعل الواحدة منهن تخلب فتى من الموجودين هناك بالاتفاق وقد تذهب المقابلة بعد المقابلة سدى فتتعرض لغيره ويتعرض لغيرها الى أن تجد بعد طول مدة التخير فتى يكاشفها بعزم الاقتران فتظن انها وجدت ضالتها المنشودة فتعلن أهلها ويتردد الخاطب عليها في البيت وغير البيت وربما تمضي الشهور أو السنون ثم ينفض الفتى عن الفتاة بدعوى ان الاختبار لم يؤد الى المرام وان القلوب لم تأتلف واذا كان أصل الفكرة وجوب الاختبار الطويل فيما يتعلق بالاخلاق والتأكد من الحالة الصحية كان العدول بعد الاختبار أمرا غير مستقبح وانما يكون الاستقباح بعد الاعلان القطعي وهو لبس الخاتم عندهم ولا شك ان التساهل الى هذا الحد فيه مافيه من العيوب مما لا يخفى على الناقد البصير

والحق ان هذه المسألة من المعضلات الاجتماعية فلا الاسترسال في الاختبار بمأمون العواقب ولا الاحتجاب على الخاطب بمفيد بل ربما كان مؤخرا للفتاة عن الزواج في الاوان المناسب وربما كان في الحي الواحد فتيان وفتيات كل منهم يبغي الزواج ولا يعلم الفتيان بوجود الفتيات لاحتجابهن الاحتجاب الشديد ولعدم التعارف بين البيوت. ولا خلاص من هذه العقدة الا باتباع سنة السلف من العرب في صدر الاسلام من مباشرة الفتاة خدمة الضيوف ومقابلة زائري أهلها لاستطلاع قصدهم والخروج في القرى ان كانت بها المساعدة في بعض الاعمال، ويجب على الفتيان في مثل هذه الحال أن لا يظهروا غرضهم امام الفتيات أو يتعرضوا لهن بالخطبة فان ذلك مغاير للذوق والادب ومؤدٍ لخجل الفتيات وانزوائهن وراء الحجب وينبغي ان تعوّد الفتيات هذا الامر من صغرهن حتى لا يستغربنه عند الكبر ويحسن بشذوذه. وهذه الطريقة متبعة في القرى والبوادي المصرية فحبذا لو اقتدى

بهم أهل المدن، وانما يشترط في الاخيرة أن يكون خروج الفتاة مع أبيها أو أخيها أو أحد محارمها. وعلى كل حال فالشيء الذي لا بد من منعه هو انفراد الفتى بالفتاة وطول المحادثة في غير ضرورة لما في ذلك من مخالفة الشرع واثارة التهم

هذا مايقال في الخطبة. أما الزواج فطريقتنا فيه مختلة أيضا فالمرأة الغربية تدفع الصداق (الدوت) وقد يكون من جراء ذلك في بعض الاحوال ان تصير الزوجة سيدة الرجل الآمرة الناهية والمرأة الشرقية كانت لا تدفع شيئا ويدفع الرجل الصداق فيأخذه أهلها لنفسهم ولا يشترون لها منه شيئا وبذلك يعتبر الرجل نفسه سيدها لا حق لها في معارضته. وهاتان الطريقتان بغير نظر الى غناهما أو تفضيل احداهما على الاخرى واضحتان في أن دافع الصداق هو المنفرد بالسيادة في البيت. أما طريقتنا الآن فهي معتلة ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين. يدفع الرجل الصداق فتأتي له المرأة بما يساوي ضعفه أو ضعفيه أو أكثر فهو بما أنفق يظن انه السيد وهي بما أنفقت تظن كذلك فيتنازعان على الرآسة!

مالنا ولهذا التكليف الثقيل والبيت باسم الرجل لا باسم زوجه فان أعجبه أن يفرش بيته حصيرا فليكن وان راقه ان يموه سقوفه وجدرانه بماء الذهب فليفعل وان أحب ان يجعله جنات عدن تجري من تحتها الانهار فحبذا رأيه. وليس للزوج وأهله ان ينتظروا شيئا من العروس فهي وشأنها في مالها. ان حوادث الطلاق فيها عظات كثيرة لو انتبهنا لها فكثيرا ما يتنازع الزوجان على الاثاث كل يدعي انه له واذا كان في الرجل مروءة وتركه لمطلقته فانها تزحم به بيت اهلها ويظل مكدسا يرتع فيه العث والجرذان فتجد مرعى خصيبا فاذا تزوجت المرأة ثانية وجدت اكثره تالفا او طال عليه القدم مع مايستلزمه نقل الاثاث وترتيبه كل مرة من النفقات والتعب. واذا لمت الغنية مرة على هذا التدبير فاني ألوم الفقيرة المدعية مرارا. فكم من بيوت خربت وارض بيعت أو رهنت لا لسبب سوى تجهيز عروس لا يلبث فرشها البهي ان يحول لونه او يتمزق بعد سنين قلائل فتكلف زوجها بتجديده او يبقى خرقا. سمعت عن أب له ثلاث بنات جهزهن واحدة بعد أخرى جهازا كان موضوع الحديث عند معارفه وكان له مئة فدان من أجود الاطيان يعيش بريعها عيش

الرخاء فباع ثلاثين لتجهيز الفتاة الاولى ورهن ثلاثين الثانية والباقي للأخيرة ولما حان ميعاد الوفاء لم يف واذا بالدائنين أتوا على ماورثه وهو كل ما يمتلك وحجزوا على بيته أيضا !! فبالله الايعد هذا الرجل قصير النظر اخرق ؟ وهل اغناه اثاث بناته وقد اصبح معدما ذليلا ؟ من الجنون بل ومن القساوة ان تجتهد الفتاة في تخريب بيت والديها لتزيين بيت زوجها ، ولماذا تقلد كل سيدة من هي أغنى منها ، وهل يعد التوسط في الغنى أو الفقر عيبا !؟

إن الاوربية لاترمي مالها كما نفعل في أوانٍ لانستعملها وفي خرق تبلى بعد زمن قصير بل تستثمر ذلك المال فتنميه وتحفظه للعوز وذخرا لأولادها بعدها وتنفق منه على الجمعيات الخيرية والمدارس فتحيي البائسين وتحيا بحسناتها فهي ابرع منا بمراحل في طرق الاقتصاد

الاقتصاد المالي والمنزلي

لاتكتفي المرأة الغربية بتنمية مالها فقط بل تعمل ميزانية مضبوطة لواردات بيتها ونفقاته فلا تخرج عن حد الاعتدال في النفقات ولا تصرف درهما في غير موضعه وتفحص مشترياتها بنفسها كي تتأكد من جودتها واستحقاقها لما تباع به وتهتم برفو الثياب وتصليحها وتعمل من كل قديم جديدا وقد تغير شكل الثوب الواحد وزينته مرارا فيبين جديدا . نعم ان فينا تلقاء ذلك كرما ولكن يجب ان لا يكون الكرم اهمالا ، فقد تقع بقعة صغيرة على جلباب من الحرير الغالي الثمن فاذا اهملناه لم يصلح للبس واذا أعطيناه لخادمة اولامرأة فقيرة فقد ينفعها ثوب من القماش الرخيص (الشيت) أكثر من ذلك الثوب الجميل وبهذه الحالة يكون كرمنا غير مجدٍ فلو اجتهدنا في ازالة تلك البقعة او تمويهها بشيء من الزينة (الكلفة) وجدنا على تلك الفقيرة بثوب رخيص لكان انفع لها ولنا

إن تربية الغربية مؤسسة على العناية والملاحظة . أما نحن فقلما ننتبه اليهما ، تقتصد المرأة الغربية من مالها بما تظهره من براعتها وعملها فهي تخيط لنفسها ولزوجها ولأولادها وتكوي ثيابهم . امانحن فالبيوت المتوسطة كلها تكوي في السوق وتخيط

كل شيء حتى التافه عند الخياطات!! بعشرين قرشا يمكن المرأة الغربية ان تحضر طعاما ليلتها وتجعله لذيذا ومشتهى لكثرة الجواوس (السلطة) والحلوى . أما العشرون قرشا عندنا فتعمل بها المرأة طعاما ولكن غير منوع ولا مشتهى

ان الافرنج رجالا ونساء يعرفون كيف يجتذبون الانظار ويجعلون الشيء المتوسط في الحسن جميلا . قد رأيتنّ بضاعتهم وهي اقل متانة من بضاعتنا الشرقية ولكنهم يضعونها في حوانيت واسعة منارة بالكهرباء ويرصونها داخل ألواح من الزجاج فتجذب المارة ثم هم يختارون لتجارتهم محلا من المدينة يكثر فيه الغادون والرائحون أما تجارنا فهم بمعزل عن ذلك التفنن ، قد يكون دكانهم في مكان غير مطروق كثيرا ويهملون في عرض بضاعتهم والاعلان عنها فتبور . مثل تجارنا في حوانيتهم كمثلنا في بيوتنا ففينا من الذكاء والمقدرة مايمكننا من جعل بيوتنا جنة ولكن قلة العناية هي التي تؤخرنا وتعوقنا

العمل — أما العمل البيتي أو الخارجي فاننا يجب أن نعترف للمرأة الغربية بسبقها فيهما وان كانت غنياتنا وأغلب غنياتهم لايكترثن الا بالملاهي والازياء ولكن المتوسطات هناك لايأنفن من مزاولة الطبخ والكي والترتيب كما تأنفه متوسطاتنا وفقيراتهن يعملن مايقوم بأودهن وأود أُسرهن . أما فقيراتنا فاما ان يتسولن أو يشتغلن بعمل قليل الكسب والشواهد كثيرة على ذلك وأقربها وهو مانعرفه كلنا ان الخياطات المصريات لانكاد نجد بينهن واحدة يمكنها تفصيل الثياب وخياطتها جيدا وهن لعدم اتقانهن العمل يكتفين بأجرة قليلة مع مايتكبدنه من التعب وانفاق العافية فتأخذ الواحدة خمسة قروش أوعشرة أجرة الثوب في حين ان الافرنجية تطلب جنيهين على الاقل مقابل تعبها فقط . وكذلك الطبيبات منا يكتفين بدروس قليلة من التمريض ولا ينظرن لمثيلاتهن الاجنبيات اللائي برعن في الطب ونلن نفس شهادات الرجال . والمربيات والخدم المصريون لايفقهون معنى التربية واغلب الخادمات لايصلحن فنضطر ان نجلب هؤلاء من الافرنج

يقولون الحاجة ام العمل ، فما بالنا نكسل ونقصر ونحن في شديد الحاجة لأمثال هؤلاء الخياطات والطبيبات والمتعلمات وغيرهن ؟ من فروض الكفاية ان يكون كل

هؤلاء مصريات في مصر فيمنعن بعض مالها من التسرب في جيوب الاجانب وهن سا كنات ينظرن . لقد اصبحت كلمة مصرية في أفواه الاجانب عنوانا على الكسل وعدم المقدرة فهلاً يبعث فينا ذلك التعبير روح النشاط وحب العمل؟ هلا حاكيناهن فيما تفوقن فيه علينا من العلم والعمل؟ أم هل تكفي محاكاتنا لهن في الزي والتصنع ان نصبح مثلهن؟. انهن أسسن الجمعيات وادرن المستشفيات والملاجيء وهن يشتغلن بكل فن حتى انهن يطلبن مشاركة الرجال في الانتخاب لحكم بلادهن وما ذلك الا نتيجة العلم والتربية على حب العمل

من حب العمل عندهن الرياضة في ساعة الفراغ فترين انهن يشتغلن حتى وهن يطلبن الراحة . أما نحن فنكسل ونطلب الراحة في ساعات العمل. ألم تسمعن بجمعية الصليب الاحمر وكيف تخاطر النساء فيها بحياتهن لمداواة الجرحى والتقاطهم ونار الحرب تستعر؟. ليس ينفي الهم ويضمد الجراح كالمرأة الآسية . ان النساء المنخرطات في سلك تلك الجمعية يعرضن انفسهن للهلاك وتكبد مشاق السفر وتحمل البرد القارس الى درجة الجليد بين سهول منشوريا وحزونها وفي الاقاليم الاستوائية التي يذيب حرها اللافح رأس الضب . وقد كان نساء العرب يفعلن نفس هذا الفعل الشريف في الحرب ويزدن عليه تشجيع المجاهدين وتغذية الجياد قال عمرو بن كلثوم في معلقته

يقتن جيادنا ويقلن لستم ... بعولتنا اذا لم تمنعونا

وقد كانت مخاطرتهن هذه تثير الشجاعة في الرجال وتحملهم على الاقدام بدليل قوله

اذا لم نحمهن فلا بقينا ... بخير بعدهن ولا حيينا

وقوله في موضع آخر من القصيدة

وما منع الظعائن مثل ضرب ... ترى منه السواعد كالقلينا

الاخلاق — لا أدري أتفضل المرأة الغربية في معرض الاخلاق أم تفضلنا فهي أكثر منا شجاعة في اقتحام الخطوب وان كانت لا تقل عنا جزعا عند المصائب ونحن لا ينقصنا ذكاء كذكائها وإنما ينقصنا عزم وثبات كعزمها وثباتها . وهي تعمل

لتعيش ونحن نتكل اما على آبائنا أو أزواجنا فلا نعمل شيئا وهذا الاتكال معيب في نفسه فضلا عما تخلفه تقلبات الايام من تخطئته فلو تعلمت كل فتاة ولا سيما من لا رزق لها كيف تكسب عيشها شريفة مستقلة لما رأينا البائسات تموج بهن الطرقات والمهيضات بعد سابغ عز وسابق نعمة ينتظرن احسان الاخ أو أحد الاقارب وقد تكون امرأته سيئة الخلق فيملان عشرتها أو يكون لهن من الاولاد ماينوء بتربيتهم ذلك الاخ أو القريب، والمرأة الغربية تعتني بكل شيء حتى التافه ونحن بما ركب في طبعنا من المسالمة نميل الى الاهمال والكسل . وأرانا أسلم منها قلبا وأقل خداعا بالطبع ولعدم الاختلاط بالرجال أيضا فانها لتجوالها في الخارج تتعلم كيف ترضي هذا وذاك لتظهر فاتنة جذابة والحاجة تعلمها الاحتيال على العيش فهي تطلبه بكل الوسائل الممكنة . وهي أنشط ولا شك منا وأثبت على العمل الا اننا أكثر قناعة وأرضى بالقليل

بقية العادات — للخرافات سلطان كبير على المرأة الغربية وان كان بعضنا يظن انها معصومة من الخطأ فنحن وهي سيان في التفاؤل والتشاؤم وتصديق العرافات والمنجمين والمشعوذين والاعتقاد بطول العفاريت والخوف من الظلمة . وعندنا الزار وهو أبو الخرافات ومفسد البيوت وهي لا تعتقد به وان كانت تصاب بأعراضه العصبية. فلماذا اختارتنا العفاريت مسكنا لها؟ واذا فرضنا المستحيل وصدقنا القائلين بتقمص الارواح فلماذا لا تلجأ الينا روح أرسطو وابن رشد وابي العلاء وغيرهم من الفلاسفة والمصلحين؟ أم قضي علينا حتى في الكذب والترهات ان نكون دائما متأخرات فلا يلبسنا الا (الشيخة رمانة وسفينة ويوسف مدلع) وغيرهم ممن لا يطلبون الا الخلاخيل والمصوغات والسيوف المذهبة؟ الا اننا لم نبرع في حيلة ما الا هذه تخاف المرأة أن تطلب ملابس وحليا فيرفض زوجها الطلب فتعمد الى ادعاء العفاريت والجن لتهديده . أعرف كثيرات ادعين (الزار) فرفض طلبهن وبعضهن ضربن لأجله فلم يعدن اليه . فياليت شعري اذا كانت العفاريت جبناء الى هذا الحد فلماذا لا يستعمل الرجال العصي وهي كثيرة وان كنت لا أوافق على ضرب الرجل المرأة بحال من

الاحوال وانما هي تصران العفريت هو الذي يتكلم بلسانها ويشعر باعضائها وانها أعارته ظاهرها ولا أعلم الى أين ذهبت هي واذن فليضرب العفريت فهو الذي يتألم ولا يصيبها شيء كما تزعم في غير الضرب! ولعل المتحضرات الحديثات يدعين قريبا ان الملائكة تقمصت بأجسامهن لأنهن أحكم تصرفا وأحسن اختيارا. وأظن عفاريت الارض نفدت بكثرة الطلبات فليصرفن هممهن الى السماء كما صرفه مخترعو الطيارات لما ضاقت بهم فجاج الارض. وحينذاك يأنفن من ركوب الضأن والابل فيمتطين المخترعات الحديثة وان كانت لاتزال خطرة فلاتنبهن علينا البارونة دي لاروش بما نبغ عندنا مثلها كثيرات وان كان باعثهن (مودة الزار) لاالعلم.

لاأعلم عند الافرنجية عادة تساوي الزار في القبح الا محاضرة الرجال في الرقص وما يتبع تلك العادة من التهتك والتصنع والميل عن جادة الصواب وما ينشأ عن حريتها المطلقة بلا قيد ولا وازع من الضرر البليغ والاخلال بالشرف، وادهى من ذلك ان ينتشر بينهن مذهب حرية الاعتقاد (Libre Penseur) وهو مذهب من لايصدق بالله ولا باليوم الآخر فيزعمن أنهن يجتنبن الرذائل بمحض ارادتهن وتربيتهن ولكن هل اذا منعت الفضيلة امرأة عن اتيان مالايرضي فهل يصح ان تطبق هذه النظرية على كل امرأة؟ ألم يكن الايمان بالله وترقب ثوابه وعقابه مانعين لكثير من الناس عن الانتحار والكفر؟ الاساء مايحكمون

ان النفس امارة بالسوء وقد تقدم على كثير من الموبقات لولا الضمير الحي وهو ثمرة الوازع الديني افلايعقلون؟ وارانا لانتمسك شديدا بديننا الحنيف وهي بدعة وعدوى اتتنا من الغرب فهلا تفكرنا قليلا فيما ينفعنا وما يضرنا قبل الاقدام على التقليد أو كلما رأينا انسانا يفعل شيئا حاكيناه وان كان في ذلك هلا كنا وخسارة ديننا ودنيانا معا !؟

المآتم — بينا الافرنجية ورجالنا أيضا يجتهدون في التلهي والتعزي عن المصيبة تجدنا بالعكس: نعقد الاجتماعات لنبكي ونستأجر المعددات لتزيد نار الاسى في قلوبنا وماذا يجدي الحزن وهو لا يرد ميتا ولايعيد مفقودا! قال ابو العلاء

غير مُجدٍ في ملتي واعتقادي   نوح باكٍ ولا ترنم شاد

وان من لوازم الاسلام ان يصبر المرء عند الملمات ويترك مافات لما هو آت والعاقل من يصرف همه اذ لاغبطة في العيش مع البؤس وان العمر الا أيام تنقضي فلماذا لانجعلها سعيدة بقدر ما نستطيع؟

المسرات — وانا في جلب المسرات لمقصرات نحو انفسنا ومن هم في ذمتنا من الاهل والاولاد وحبذا لو اتبعنا طريقة المرأة الغربية في ذلك فانها تعقد الاجتماعات وتوالي السمر وتدعو اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاءها لتناول الشاي أو الطعام أو التنزه معا فيتجاذبون اطراف الحديث ويبدي كل منهم رأيا او حكاية لاتخلو من فائدة أو فكاهة ويتعاطون لعبات مختلفة لتنشيط اذهانهم وابدانهم ويتبادل المجتمعون الدعوة كل بدوره فيتراءى أعضاء الاسرة الواحدة وأصدقاؤها كل يوم تقريبا فينفون همهم ويأنس بعضهم ببعض فيظلون في وئام ووفاق

الخدم — المرأة المصرية لاتقدر نفسها قدرها وطالما رأيت سيدة تضاحك الخادمات وتكاشفهن بأسرارها فلايتأخرن عن اذاعتها في البيوت الاخرى وهذا من الخطل في الرأي. يجب ان يعامل الخدم بالرأفة ولكن لاتتعدى تلك الرأفة حدودها. ألم تستغربن مرة من أن خدمنا لا يشتغلون عندنا نصف ما يشتغلون في البيوت الافرنجية ومع ذلك نراهم هناك انشط وأهدأ خلقا مما اذا كانوا في بيوتنا. السبب بين وهو ان المرأة الافرنجية تحفظ هيبتها فيخشاها الخدم وهي لا تخالطهم الا عند الامر والنهي ولا تحط من شأنها بمسامرتهم ومضاحكتهم وتفرض عليهم شغلهم وتريه لهم أول مرة ثم تتركهم وشأنهم فيعرفون واجباتهم.

٥ — الدور الخامس دور الامومة

هذا الدور مرتبط بدور الطفولية ارتباطا تاما حتى يكاد يندمج أحدهما في الآخر وعليه فكل ماقلته هناك أقوله هنا

النتيجة

والنتيجة ان المرأة الغربية سبقتنا بمراحل في العلم والعمل مع اننا لا نقل عنها ذكاء وكل ما لا يستحيل طبعا فهو ممكن بالمعالجة واتخاذ الجد مطية اليه مهما صعب

الطريق واستعصى فاذا تدرعنا بثبات العزم وقوة الارادة فاننا نصل الى ما وصلت اليه من نور العلم ورفعة المقام ولا يثبطنا قول القائلين « ان الشرق شرق والغرب غرب » فان التأريخ أعدل حكم وهو حافل بذكر الشرقيات اللاني نلن من بعد الصيت ووفرة العلم منالا كبيرا ايام كانت الغربيات لا ذكر لهن فاقرأن تواريخ نساء العرب في الشرق والغرب تجدن نادر الذكاء وجزل الشعر ومتين الاسلوب وما يشهد لهن بعلو الكعب في العلم والعمل

ان الضعيف اذا لم يرزق قوة التمييز خيل إليه ان كل مايأتيه القوي حسن . ذلك مثلنا امام المرأة الغربية فهل تردن أن نثبت للملأ خمولنا وخلونا من التمييز أم تردن أن نعمل على حفظ قوميتنا وتقوية روح الاستقلال فينا وفي الاجيال القادمة من أولادنا ؟ اذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ان لا نقتبس من المدنية الاوربية الا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لعاداتنا وطبيعة بلادنا . نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل، نقتبس منها أساليب التعليم والتربية وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة وانما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال ان نندمج في الغرب ونلاشي ما بقي لنا من القوة الضعيفة امام قوته المكتسحة الهائلة

وفي الختام لا يسعني أيتها السيدات الا ان اشكر لكن حسن اصغائكن وتأييدكن اياي بالحضور وآمل ان نسمع ونعي ولا اخالكن الا عازمات على ترك جمودنا القديم وعلى العمل معا لرفع شأننا وشأن هذا الوطن والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل

العمران العربي (*)

﴿ وصف دار الخلافة أو القصر الحسني ﴾

« حين وفد رسول ملك الروم على الخليفة »

حدثني ابو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطيء دجلة تحت نهر مُعَلّى قديما للحسن بن سهل ويسمى (١) القصر الحسني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياما في تفريغها وتسليمها ثم رمّتها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت اصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل مايخدم الخلفاء به ورتبت فيها من الخدم والجواري ماتدعو الحاجة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد الى الدار ووجدها استكثره واستحسنه ثم استضاف المعتضد بالله الى الدار مما جاورها كل ماوسّعها به وكبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ماتناهى في توسعته وتعليته، ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما انشأه واستحدثه وكان الميدان والثريا وحير (٢) الوحوش متصلا بالدار (٣) كذا ذكر لي

(*) ننشر تحت هذا العنوان آثارات من التأريخ تذكيراً للخلف بسؤدد السلف، رجاء ان يبعث التذكير على العمل. واننا نبدأ بوصف القصر الحسني نقلا عن نسخة خطية من تأريخ مدينة السلام للخطيب موجودة في مكتبة مصطفى باشا الكوبريلي بالقسطنطينية مقابلين ذلك على نسخة G. Salmon المطبوعة بباريس سنة ١٩٠٤ وهي التي اخذها عن نسخة خطية في مكتبة لندره مشيرين الى اختلاف النسختين في الهوامش ومفسرين بعض الكلمات الغريبة

(١) وسمي (٢) وحير. والحير هو البستان ولكن الحبر هنا لا معنى لها (٣) في نسخة سالمون بعد كلمة بالدار « قال الشيخ الحافظ »

هلال بن المحسن أن بوران سلمت الدار الى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعش الى وقت المعتضد وذكر محمد بن احمد بن مهدي الاسكافي في تأريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومئتين وقد بلغت ثمانين سنة و يشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتمد على الله والله اعلم .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح احمد بن علي بن هرون المنجم قال حدثني ابي قال قال ابو القاسم علي بن محمد الجوّاري (١) في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على احدعشر ألف خادم خصي وكذا من صقلبي وورومي واسود وقال هذا جنس واحد ممن تضمه (٢) الدار فدع الآن الغلمان الحجرية وهم الوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن ابيه وعمه عن أبيهما ابي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش، قالافذهب علينا أن نسأله كم نوبة (٣) كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني ابو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرمها (٤) وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز . قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين،

ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله فرشت الدار بالفروش الجليلة وزينت بالآلات الجليلة, ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف (٥) الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد اظهروا العدد الكثير (٦) والاسلحة المختلفة فكانوا من أعلا باب الشماسية الى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبزة الرائقة والسيوف

(١) الخوارزمي (٢) تضمنه (٣) نوب (٤) وحريمها (٥) ووقفت (٦) الكثيرة

والمناطق المحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظّار (١) وقد اكتري كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة وفي دجلة الشذاءات والطيارات والذباذب والزلالات والسمريات (٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة وسار الرسول ومن معه من المواكب الى ان وصلوا الى الدار ودخل الرسول فمر به (٣) على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضففا (٤) كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هيبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت برسم الوزير وفيها مجلس ابي الحسن علي بن محمد (٥) الفرات يومئذ فرأى اكثر مما رآه النصر الحاجب ولم يشك في انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ثم استدعي بعدان طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبيه فشاهد من الأمر ما هاله ثم انصرف الى دار قد اعدت له

حدثني (٦) الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المُسلِمَة قال حدثني أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني امير المؤمنين القادر بالله قال حدثني جدتي ام ابي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغداد نزل (٧) دار صاعد ومكث شهرين لايؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آلته ثم صف العسكر من دار صاعد الى دار الخلافة وكان عدد الجيش مئة وستين ألف فارس وراجل، فسار الرسول بينهم الى أن بلغ الدار، ثم أدخل في أزج (٨) تحت الارض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وادّى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد ألبتة وانما فيها

(١) النظارة. والنظارة هم القوم ينظرون الى الشيء واما النظار فلامعنى لها هنا (٢) كل هذه ضروب من الزوارق والسفن (٣) ممرته (٤) صففا والصفف مايلبس تحت الدروع واما الضفف فلا يتضح لها معنى هنا (٥) بن (٦) وحدثني (٧) انزل (٨) في كتب اللغة انه بيت مستطيل وهو اخص من النفق ويسمى بالفرنسية Tunnel

الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلاّبات (١) على درج غشيت بالديباج الاسود .

مطلب دار الشجرة

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه فيها (٢) وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة الف درهم عليها اطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك اكثر من تعجبه من جميع ماشاهده . قال لي هلال بن المحسن (٣) ووجدت من شرح ذلك ماذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي ابي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين انه نقله من خط الامير وأحسبه الامير ابا محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ماعلق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرر (٤) المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرر (٥) والستور الكبار البصنائية (٦) والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والديبقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثنى عشر ألفا وخمس مئة ستر وعدد البسط والنخاخ (٧) الجهرمية والدارابجردية والدورقية في الممرات والصحون التي وطيء عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الحديد (٨) الى حضرة المقتدر بالله سوى مافي المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والديبقي التي لحقها النظر (٩) دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار اكثرها اروقة بأساطين

(١) قلايات وليس لكلتيهما معنى ظاهر (٢) منها (٣) الكاتب (٤) بالطرز (٥) والطيور. وهذا الصحيح ولا معنى للطرر هنا (٦) البضنائية « نسبة الى قرية صغيرة بالاهواز » (٧) الصواب الانخاخ وهي البسط (٨) الجديد (٩) نحتها للنظر

رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهبا وفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبزة الجميلة ثم ادخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجنا اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشممهم (١) وتأكل من ايديهم ثم أخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزراقين بالنار فهال الرسل امرها ثم اخرجوا الى دار فيها مئة سبع: خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد ،

ثم اخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بساتين (٢) في وسطها بركة رصاص قلعي حواليها نهر رصاص قلعي احسن من الفضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعا في عشرين ذراعا ، فيها اربعة طيارات لطاف بمجالس (٣) مذهبة مزينة بالديبقي المطرز وأغشيتها ديبقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بميادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجا منقوشا من اصلها والى حد الجُمَّارة (٤) بحلق من شبة مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي اكثره خلال لم يتغير ، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستنبو (٥) ومقفع وغير ذلك ثم اخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدوَّرة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها ساحات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في اوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فارسا قد ألبسوا الديباج

(١) وتتشممهم (٢) بستانين (٣) كلمة « بمجالس » ساقطة (٤) الجمارة شحمة النخلة (٥) نوع من الفاكهة والكلمة فارسية

وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد في التاورد خببا وتقريبا (١) وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم ادخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات مالا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن (٢) مذهبة معلقة ثم اخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قد علق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة و بيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي ، وقد أقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا (٣) صفين يمنة و يسرة ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه الغلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي ايديهم الشروخ والطبرزينات (٤) والاعمدة ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجالة واصاغير (٥) القواد ودخلوا دار السلام وكانت عدة كثير من الخدم الصقالبة (٦) في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل فلطول المشي بهم ما (٧) جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن احمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد ان لبس الثياب الدبيقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالدبيقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة (٨) اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبة الضوء على ضوء النهار و بين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر

(١) في نسخة سالمون بدل: في التاورد خببا وتقريبا ،هذه الجملة « فيظن ان كل واحد الى صاحبه قاصد » (٢) الجوشن هو الدرع (٣) في نسخة : بيض وسود واختار سالمون النصب (٤) الشروخ هي النصول . والطبرزينات واحدها طبرزين فأس من السلاح ويسمى ايضاً طبراً كما في بلاد الشام (٥) واصاغر (٦) والصقالبة (٧) حرف « ما » ساقط وهو الصواب (٨) سبعة

بالله فكفّر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبلته ولكنني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لأن التكفير من رسم شريعتنا ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت، وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضخما كبيرا فتناوله وقبله اعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر أصحابهما في شذا من الشذاوات الخاصة وصاعدا الى حيث انزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورِقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على ابي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة

تقريظ المطبوعات الجديدة

« تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل أثناء العامين الاولين »

الفه بالفرنسية الدكتور اده الاخصائي بفن الولادة وامراض النساء وترجمه بالعربية الدكتور فرا . صفحاته ٢٧٧ وعدد رسومه ٧٤ وقد طبع بمطبعة المعارف بمصر ويباع بمكتبة المعارف ومكتبة المنار بعشرة قروش صحيحة

من افضل محاسن المدنية الحديثة توزيع العلوم والاعمال وهو ما يصح أن يطلق عليه في اللغة العربية الاخصاء فان المرء اذا انقطع لممارسة فن واحد من فنون العلم برع في ذلك الفن وأخصى وأمكنه أن ينفع وينتفع، وما كانت الاختراعات والاكتشافات في الماضي والحاضر الا بنت الاخصاء ، وان الارتقاء العظيم الذي وصل اليه الطب بفروعه ولا سيما فن الجراحة لم يكن لولا الاخصاء فهو سبب كبير من اسباب عظمة مدنية هذا العصر ، وما من أحد ينكر أن الطب هو مِلاك العلوم العملية وتاج

مفرقها ناهيك بعلم تتوقف عليه حياة الجسوم التي بحياتها تكون حياة الارواح ، ومن ذا الذي ينكر مقاومة الطب للأمراض الوافدة كالجدَري والهيضة (الكوليرا) والطاعون وغيرها كالسل ونحوه ؟ حتى أصبحت مدينة القاهرة مرتاحة من ذينك المرضين الفتاكين اللذين كانا ينتابانهامناوبةوهما الهيضة والطاعون، مع أن القاهرة ليس فيها من العناية بالوسائل الصحية عشرمعشار مافي باريس وغيرها من مدائن أوربا وأمريكا تلك البلاد التي بلغ من الاحتياطات الصحية فيها أنه أصبح من المحظور على الناس أن يلفظوا بصاقهم على الارض حذرا من جراثيم مرض قتال فيه يستنشقها المعافى السليم !!

ألا باركالله في هذا العصر و بنيه العاملين النافعين فان تكاليف الحياة بفضلهم اصبحت خفيفة الحمل على من كانوا مثقلين بها، وان من انبل اعمالهم وانفعها هذه الكتب التي ينشرونها هديا للناس وارشادا ، وامامي الآن كتاب من أجل تلك الكتب وانفعها لقومي وهو كتاب تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل

هذا الكتاب يجب ان يدخل كل دار من دورنا بل كل بيت وكل كوخ إن أمكن ليكون قيد نظر كل امرأة تحمل وتلد، ليكون لها مرشدا يهديها الى الطريقة المثلى في تدبير معيشتها، والعناية بصحتها وصحةجنينها وطفلها، فتسلم من ويلات الحمل والنفاس الكثيرة ، وتقي طفلها مصارع الادواء الوبيلة، وتربيه على الاصول الصحية ومن ليست بقارئة أفهمها زوجها مايجب عليها فالخطب سهل والأمر يسيرغير عسير والكتاب سهل العبارة حسن الطبع

* * *

﴿ ديوان الرصافي ﴾

نظمه معروف افندي الرصافي الشاعر البغدادي الشهير، وعني بترتيبه وتبويبه والوقوف على طبعه الشيخ محيي الدين الخياط، وعني بتفسير الفاظه الشيخ مصطفى الغلاييني منشيء مجلة النبراس صفحاته ٢٢٥ وعدد قصائده وقطعه ٩١ طبع بالمطبعة الاهلية ببيروت ويباع بمكتبة المنار بتسعة قروش صحيحة واجرة البريد قرش

معروف افندي الرصافي شاعر سليقي مطبوع، قدير على التبسط في مناحي

الكلام وأساليب النظم ، ولو ان حظه من الصنعة ، وازى حظه من القدرة ، لقلَّ في هذا العصر مضارعوه ، وقد امتزجت في شعره تطرية الحضارة بمسحة البداوة فكثر التفاوت في شعره، وليس التفاوت مما يزري بالشاعرفاننا لم نعرف شاعراً من الماضين او الحاضرين لاتفاوت في شعره

وللرصافي طريقة خاصة به في النظم وهي ايداع الغرض في قصة محكية اوحكاية مروية وقد تفرد في هذا النمط من النظم حتى اصبح شعره فيه لا يطاول اسلوبا ومنحى، ومن جيد شعره في ذلك قصيدته « ام اليتيم » و« ابو دلامة والمستقبل » قال في الاولى يصف شقاء ام اليتيم (ص ١٠٨)

كأن نجوم الليل عند ارتجافها ... تشير الى ذاك الأنين المجمجم
فما خفقان القلب الا لأجلها ... وما الشهب الا ادمع النجم ترتمي
لقد تركتني موجع القلب ساهرا ... اخا مدمع جار ورأس مهوّم
ارى لحمة الظلماء عند انينها ... فأعجب منها كيف لم تتصرَّم

وقال في الثانية يستنكر الحروب (ص ١٤٦)

قضت المطامع ان نطيل جدالا ... وأبين الا باطلاً ومحالا
في كل يوم للمطامع ثورة ... باسم السياسة تستجيش قتالا
ماضرَّ من ساسوا البلاد لو أنهم ... كانوا على طلب الوفاق عيالا
أمِن السياسة ان يقتل بعضنا ... بعضا ليدرك غيرنا الآمالا
لادرَّ درُّ اولي السياسة إنهم ... قتلوا الرجال ويتموا الاطفال
غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها ... بدم هريق على الثرى سيالا
نثروا الدماء على البطاح شقائقا ... وتوهموها الروضة المحلالا

والموضوعات التي في ديوان الرصافي كلها شريفة تتناول جميع شئون الاجتماع والعمران، ومن أحسن قصائده موضوعا ، وانبلها مقصدا ، واصفاها ديباجة ، واحكمها اسلوبا، تائيته الشهيرة التي عنوانها التربية والامهات (راجع ص ١٣٣ م ١٢ من المنار) و بائيته التي انتصر فيها لمذهب اهل السنة في كون طلاق الغضبان لايقع، وعنوانها المطلقة (راجع ص ١٢٨ من هذا المجلد) وغير ذلك من القصائد النافعة التي كان بهاشعر

الرصافي ممتازا جديرا بأن يعد من وسائل النهضة في البلاد العربية

وقد جعل الديوان صديقنا الشيخ محيي الدين الخياط اربعة أقسام: الكونيات الاجتماعيات ، التأريخيات ، الوصفيات ، وقد أحسن في الترتيب والتبويب وكتب له مقدمة وصف فيها الشعر بكلام شعري ، ثم قسم الشعراء الى أطوار ، ووازن بين الرصافي وشعراء عصره، فكانت آراؤه آراء البصير بالفن ، القدير في الشعر

ولقد آلمنا أننا عثرنا على أغلاط مطبعية كنا نتمنى ان لاتقع في هذا الديوان النفيس ، وياليت صديقنا منشيء النبراس اتم تفسير جميع المفردات الغريبة في الديوان

* * *

﴿ ديوان المصري ﴾

ناظمه عبد الحليم حلمي افندي المصري . عدد صفحاته ١٣٥ بالقطع الصغير وعدد قصائده ٢٨ وبضع قطع . طبع بمطبعة النظام بمصر ويباع بعشرة قروش صحيحة بالمكتبات الشهيرة

نظم عبد الحليم حلمي افندي المصري الشعر بالأمس وهو تلميذ حزوّر فكنا نقرأ له الابيات فنستحسن شعره ونحمد اسلوبه ، متأيين أن نرى منه في المستقبل شاعرا مجيدا ، وأصدر اليوم الجزء الاول من ديوانه وهو شارخ طرير ، فكان به معدودا من شعراء العصر المشهورين ، ولا اعرف شارخا قبله في عصرنا بلغ مبلغه من الشعر، ولئن كانت ديباجة شعره اليوم لم يتم صفاؤها وكان سبكه غير محكم الرصانة فان قلق خاطر الشباب شفيع له بذلك

ولقد احييت من أخلاق هذا الشاعر أنه لم يصب بداء الشعراء «الغرور والعنجهية» فقد كتب فقرة مختصرة شعرية الاسلوب جعلها مقدمة لديوانه تدل على ذلك قال فيها « الى قالة الشعر وقراء العربية من مشارق الارض الى مغاربها ازف شباب شعري وشعر شبابي بقدر ماتزودت من الادب ، ونشرت من برود العرب ، حتى اذا امتد حبل العمر ، واشتد أزر الشعر ، كان الفرق بين شعر الطفولة وشعر الكهولة مرآة للناظرين ، ودرسا للمبتدئين » وأعجبني منه انه لم يتلو تلوغيره من الذين يكتبون مقدمات لدواوينهم يعرّفون بها الشعر و يتعسفون في ذلك و يتمحلون ، حتى جعلوا

الشعر بتعريفاتهم من النظريات التي لاشأن للاذواق فيها ، ومن يتوهم انه بوصفه للشعر يزيد من عرفته روحه بصيرة فيه ، او يقربه من أرواح جاهليه ، فهو لا يعرف من الشعر الا أنه قانون صناعي نظري ! ! ! على أن المصري قد نشر لغيره مقدمة من نوع تلك المقدمات الموصوفة !

ومن جيد شعر المصري قصيدته النونية التي عنوانها «خلع عبد الحميد» (ص٦٣) وقصيدته التي عنوانها « السنة الهجرية » (ص ٤٩) الا انه لم يحسن التخلص في هذه من موضوع الى موضوع ، وهذا من عيوب الشعر . قال من قصيدته الاولى مخاطبا عبد الحميد :

شاهدت حولك اسوارا تفيض دما ... كأنما قد بناها بالدم الباني
مدججات اذا قيل القتال سعت ... مقرونة السير بنيانا لبنيان
تظلها ساريات قطرها عجب ... من انسر وشواهين وعقبان
لم تبسم الناس في (تموز) من جذل ... الا وقد عبسوا في شهر (نيسان)
نبا بك الملك واستعصت قيادته ... عليك فانزل فأنت الراقد الهاني

ولم أر قولا ابلغ في وصف سفّاح من قوله « اسوار تفيض دما » ولو أن في المنار متسعا لنشرت لهذا الشاعر مختارات كثيرة ، وعسى ان يتجنب المدح في شعره ولا سيما مدح الملوك والامراء ، فان العصور التي ظلم فيها الشعر بالامادبح قد طواها الدهر

* * *

﴿ ديوان الاثر ﴾

ناظمه رشيد افندي مصوبع اللبناني . عدد صفحاته ١٢٠ بالقطع الوسط طبع بمطبعة الهلال بمصر

عرف رشيد افندي مصوبع من مشهوري شعراء لبنان بشغفه الزائد في قرض الشعر ، وهيامه في شعابه وفجاجه ، وتحليقه في اجوائه وفضائه ، حتى اصبح صبًّا به مغرما ، ومن عرف أن الشاعر لا يزال في مقتبل العمر وريعان الشباب ، وهو مع ذلك قد اصدر من شعره اربعة اجزاء ضرب فيها بكل سهم ، وطرق كل موضوع استيقن ان الشاعر انما احرز شهرته وهو بها جدير

وقد اهدى الينا ديوان (الأثر) الذي اصدره في هذه الآونة فألفيناه حافلا بالقصائد والمراثي والاماديح والغزل والنسيب والتشبيب والحنين الى مصر اذ كان مفارقا لها، ناهيك بشعر يخاطب قائله اسماعيل باشا صبري حكيم الشعراء بهذين البيتين كما روت جريدة الاهرام

قل يارشيد الشعر أفديك قل   ياشاعر المشرق والمغرب
شعرك هذا كله طيب   اجدت فيه يا أبا الطيب

ومن جيد شعره قصيدته (ص ٦٣) التي يقول منها

وكم لغات تريد الناس تحفظها   حتى يكون لهم باب ليكتسبوا
وهل سوى لغة الأعراب تؤنسنا   وهل لآذاننا من غيرها طرب
والله حين جرت في مسمعي نعشت   روحي واشجت كعود فوقه ضربوا
ياطول شوقي لوادي النيل اسمعها   فيه وياحر شوقي حين يلتهب
وطول شوقي لسوريا متى صدحت   فيها ومالت سرورا تحتها القضب

والديوان كله على هذا النسق

الجامعة المصرية

اصدرت الجامعة المصرية تقريرها السنوي الثاني وقد المت فيه بخلاصة اعمالها واحوالها وذكر نفقاتها وحركة العلم فيها، وفي كل ما ذكر دليل بين على تقدمها وارتقائها زادها الله تقدما وارتقاء

ومما جاء في هذا التقرير ان ريع الجامعة بلغ في السنة الماضية ٧٦٦٥ جنيها ونفقتها ٩٠٠٠ جنيه فسد العجز من المال المقتصد سنة ٩٠٨ وهو ٢٣٠٠ جنيه، وان الهبات المالية التي تبرع بها أهل الاريحية والسخاء بلغت ٢٧٠٠ جنيه، وان عدد طلابها كان الى منتصف فبراير الماضي ٤٠٣ مابين ذكران وأناث . الى غير ذلك من الدلائل على توقلها في مراتب النجاح، ولكنها لاتزال في حاجة كبرى الى بدر الاموال لتتسنى لها مضارعة الجامعات الكبرى في أوربا وأمريكا، وليس بكثير على أهل الثراء في هذه البلاد ان يقيموا لابنائهم جامعة تغنيهم عن انتياب الجامعات في البلاد الاخرى

لاسيما وان اقتالهم واضرابهم في تلك البلاد قد قام أفراد منهم بتأسيس كثير من الجامعات !

وقد اصدرت الجامعة ايضا تقريرا عن مكتبتها ومحتوياتها والهدايا التي أهديت اليها وهو مطبوع باللغة الفرنسية . كتب الله النجاح والفلاح لهذه الجامعة ولطلابها

رسالة في ادب اللغة وملكة الذوق

رسالة لابراهيم افندي نسيم الكاتب الاول لمشيخة الجامع الاحمدي ألقاها محاضرة في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية وقدألم فيها بأصل التدوين وتأريخه وحكى الاقوال في أصل الخطوط ووضع العلوم ونفى مزاعم القائلين بأن التدوين في الاسلام لم يكن الا في القرنين الثاني والثالث قال في ذلك : « اما ان العلوم الاسلامية لم تدون الا في القرنين الثاني والثالث للهجرة فمردود بما ثبت من شيوع الكتابة بين الصحابة وما كان من اتخاذ النبي (ص) لزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهما يكتبون مايمليه عليهم من رسائل الدعوة الى معاصريه من الملوك » والرسالة جيدة الطبع ذات ٤٨ صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الفوائد الادبية والتأريخية وثمنها مع أجرة البريد ١٥ مليما وتطلب من مكتبة المنار

مقدمة السبرمان

كراسة تقع في ٢٩ صفحة بالقطع الصغير تأليف « سلامه موسى » وكلمة السبرمان (Ueber mensch) المانية معناها الانسان الاسمى وضعها الفيلسوف نيتش الالماني وأراد بها أنه لابد من ايجاد انسان آخر أعلى همة وأرقى شأنا من الانسان الحاضر، ويرى هذا الفيلسوف ان الذرائع التي تمكن من ايجاد السبرمان انما تكون بمحو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء لأن الضعيف في رأيه لايستحق الحياة !! وقد رأينا مؤلف هذه الرسالة يتحمس لآراء نيتش وبليك وشوبنهور وغيرهم من ارباب الفلسفة الشاذة التي روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والادبية وتقوية الحياة الحيوانية فيهم بحيث يكونون متسلطين جبارة أقوياء، بدل ان يكونوا عادلين مهذبين رحماء !! وكان لمثل

هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المبادىء الشاذة لوأنه رأى لها أثرا قائما بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم

يظهر كل يوم في بلاد الفرنجة كثيرون بأفكار جديدة منها المفيد ومنها السخيف ولكن الناس هنالك على بصيرة وعقل فهم يتناولون كل نافع وينبذون كل ضار غالباء ولكن هذا لايمنع ان يكون لكل ناعق متبعون، ولكل قائل مصدقون، فان الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال دأب البشر، ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم مايرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق، ناصبين أنفسهم من امتهم منصب المصلحين النافعين، وانما هم من المقلدين المساكين، الذين لم تقو عقولهم على تمييز الغث من السمين . ولقائل أن يقول لوأن فلسفة نيتشن كان معمولاً بفحواها قبل ان يكتبها فماذا كان يكون حظه منها وهو لم يكن الا حلس بيته يفكر في نظرياته وخيالاته ؟ ولم يكن من أولئك الجبابرة العتاة ، الذين لايستحق غيرهم في نظره الحياة ! بل لنفرض ان تلك الشريعة الوحشية غفلت عنه ولكنها أبادت من حوله من الضعفاء الذين يهيئون له طعامه وشرابه ، وينظفون له مأواه وثيابه ، فماذا كان يكون شأنه ؟؟

يجب ان لانسير وراء خواطر نفوسنا، وجواذب شعورنا، بل ان نحكم العقل والروية في كل شيء وهذا ماننصح به لمؤلف هذه الرسالة !

درس روح الاسلام

كراسة باللغة الفرنسية وضعها الدكتور احمد الشريف من خيرة شبان تونس المستنيرين ردا على مزاعم افتخارية لرجل من جهلة الفرنسيس اسمه موسيو بواجه (M. Boigey) كتبها في احدى المجلات الفرنسية بعنوان (بحث اجتماعي في الاسلام- او- درس روح الاسلام) وقد جاء فيها بسخافات دلت على مبلغ جهله ورعونته، وشدة تعصبه وفرط بلادته ، وماذا عسى أن يقال في بواجه الذي زعم في بحثه هذا أن الاسلام او نبي الاسلام (ص) الذي يسميه هذا المتأدب بالآداب المسيحية بجمّال مكة يقول في القرآن « إن الذي يركب البحر مرتين لا يكون مؤمنا » !!! ولست أدري من أي قرآن اتى هذا الجهول بهذه الآية ؟ لعلها من وحي التعصب الذي يلتهب بين ضلوعه

وغريب ان يتصدى مثل هذا الرجل للكتابة عن الاسلام وهو على هذه الحال من الجهل وقصر النظر ، ولكن التعصب يسوق الى اقتحام كل لجة ، وتوقل كل ربوة ، وأغرب من ذلك ان تحفل المجلات بمثل وساوس بواجه ومفترياته ، الا اذا كان اصحابها موافقين له في آرائه ومروياته .

الحصون المنيعة

حمل الينا بريد سورية رسالة بهذا الاسم لم يكتب عليها اسم مؤلفها ! ولقد نظرنا نظرة اجمالية في هذه الرسالة فاذا جدل بتمحل ، ومراء ظاهر، وخطأ في الاستدلال ، وانه ليؤلمنا أن يمنى المسلمون بمثل كاتب هذه الرسالة المتعصب الى رأي بعينه ، والمتحيز الى فئة دون فئة ، مما يجعل مثارا للخلاف والتنازع بين المسلمين ، وقد أشار منشىء المنار الى هذه الرسالة وكاتبها فيما كتبه تعليقا على رسالة البحرين في باب البدع والخرافات من هذا الجزء

سر كاومبير

قصة مترجمة بالعربية بقلم الدكتور محمد افندي عبدالحميد حكيم اسبتالية قليوب. لم يسمح لنا الوقت بقراءة شيء منها ولكن مانعهده في مترجمها من الاعتدال في الرأي وتوخي النفع يرجح لنا ان قصته التي اختار ترجمتها حاوية للفائدة والفكاهة

الروايات الجديدة

اصدر نقولا افندي رزق الله مدير ادارة جريدتي الاهرام والبيراميد مجلة قصصية بهذا الاسم ، وجعل قيمة اشتراكها ٦٠ قرشا في مصر والسودان و٢٢ فرنكا في الخارج ويصدر منها في السنة ٢٠ جزءا . جاءنا الجزء الاول منها واسمه لويس السابع عشر فاذا هو كتاب يقع في ٢٢٤ صفحة بالقطع الصغير جيد الورق والطبع وله ملحق يحتوي على قصة مختصرة ونبذة شعرية ونثرية ونحن وان كنا لم نتمكن من قراءة هذا الجزء فاننا نعرف من صاحب هذه المجلة كاتبا بارعا في الترجمة، حسن الاختيار للقصص المفيدة ، وعسى ان يكون هذا الجزء منها

اللطائف الاهلية

مجلة قصصية اهداها ناشرها صديقنا محمد افندي جمال صاحب المكتبة الاهلية

بيروت اجزاء منها منعنا ضيق الوقت من النظر فيها وقد جعل قيمة اشتراكها ريالا في بيروت وستة فرنكات في الخارج ، وهي قيمة زهيدة جدا لا سيما وصفحات الجزء زهاء مئة ، فعسى ان يتوفر ناشرها على نشر المفيد النافع

عدل القضاء

قصة ذات ٤٧ صفحة بالقطع الصغير تأليف محمد افندي حافظ وتباع بمحل الشيخ احمد علي المليجي الكتبي بجهة الازهر

الهيئة والاسلام

جاءنا فهرس طويل لكتاب بهذا الاسم لمؤلفه « السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني» من علماء النجف . وسنبدي رأينا في الكتاب بعد صدوره

الزهور

«مجلة ادبية فنية علمية » لصاحبها ومديرها انطون افندي الجميل المحرر بجريدة الاهرام . جاءنا منها جزءان تصفحناهما فألفيناهما حافلين بالمقالات الادبية، والطرائف الشعرية ، عبقي الشذى، رشيقي الاسلوب بيني المنحى

ومن مقاصد صاحب هذه المجلة جعلها صلة بين ادباء الاقطار العربية ، وانا نتمنى ان يوفق لما انتدب له وان كان تحقيقه عسيرا فيما نرى ، وقد رأينا صاحب الزهور اكثر من الوعود التي لا مطمع في إنجازها ومن ذلك نشره اسماء اثنين وثلاثين كاتبا وشاعرا واعدا بأنهم سيكتبون فيها ونرجح انهم ليسوا بفاعلين !

ولا يضير الزهور ان يكون اسمها لم يرد في اللغة فان شيوع استعماله قد جعله صقيلا ، وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشا صحيحا في مصر و ١٥ فرنكا في الخارج فنرحب بها ونرجو لها الرواج

جامعة المنقول والمعقول

« مجلة تحتوي على تمام ما بني عليه الاسلام ، وكمال ما يتقوى به اللسان والاقلام في اثني عشر علما عربية مفصلا مميزة عن بعضها » هذا ما كتب تحت اسم هذه المجلة الغريبة في موضوعها ثم ذكر صاحبها « كمال الدين العراقي » بيان تلك العلوم

في ابيات من الشعر وهي العلوم المتداولة في الازهر . جاءنا الجزء الاول منها مذ اربعة أشهر ولعل صاحبها لم يصدر سواه وخير له ان يفعل اذا لم يكن فعل

البيان

لا تزال هذه المجلة العربية الوحيدة في البلاد الهندية تصدر حافلة بالفوائد والبحث النافع بهمة صاحبيها الشيخ عبدالله العمادي والسيد سليمان وهي الآن في سنتها الثامنة وقيمة اشتراكها ١٢ شلنا وعنوانها (Lakno- India) فنرجو ان يكون الاقبال عليها عظيما

الحضارة

« جريدة عربية يومية سياسية فنية أدبية » اصدرها في الآستانة صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه المعروف عند قراء المنار بمقالاته الفلسفية ومباحثه الاجتماعية ، وشاكر افندي الحنبلي قائمقام القنيطرة قبلا . وان جريدة يتولى تحريرها السيد الزهراوي صاحب القلب الجرىء في الذود عن الحق ، والقلم الصريح في تبيين واجبات الحاكمين وحقوق المحكومين لهم لجديرة بأن يقتنيها كل من يهمه شأن الدولة وحال الأمة

وقد كتب لها مدير سياستها السيد الزهراوي مقدمة فلسفية بليغة سهلة المأخذ فيها بحاجات البلاد وما يجب للتقريب بين العناصر والسعي لجعلها غير كثيرة التفاوت في الارتقاء وقال في خاتمتها مبينا منهاج الجريدة :

« اننا ندعو الى اقامة ميزان العدل في هذه الحكومة ، ونقاوم ما نراه حيفا أو نصرا للحيف بقدر ما تساعدنا عليه القوانين ، وندعو الى بث روح التعارف والتعاطف بين الشعوب العثمانية ، ونزيدهم من الاخبار والافكار كل ما هو نافع في اعتقادنا ، ونقاوم روح كل شقاق وتفرقة من أي جهة هب ، وفي أي بلاد دب ، وندعو الى كل ما يقوي هذه الدولة ومن ذلك تقوية عواطف الشعوب المسلمة نحوها معتقدين أن تقوية هذه العواطف تنفع العثماني اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا كيف كانت نحلته مسلما كان أو غير مسلم »

وقيمة اشتراكها ستون قرشا في البلاد العثمانية وعشرون فرنكا في الخارج

وعنوانها (الاستانة : ادارة جريدة الحضارة في جادة نور عثمانية عدد ٣٧) فنحث قراء المنار على الاشتراك فيها

مرشد الامة

«جريدة علمية سياسية قضائية تجارية تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع — مدير الجريدة ومحررها المسئول سليمان الجارودي» وهي تصدر في مدينة تونس. جاءتنا اعداد من هذه الجريدة فاستحسنا مسلكها، وحمدنا منهاجها، وسررنا بغيرتها، وقيمة اشتراكها ١٢ فرنكا في الخارج فعسى ان يكون الاقبال عليها عظيما

الانتقاد

«جريدة عربية تركية سياسية هزلية فكاهية» صدرت في الاستانة لصاحب امتيازها ومحررها «عبد الرزاق ؟» ومديرها ومحررها العربي «محمود بك زكي» وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في الخارج

الاخاء

نشرة صغيرة يصدرها جبران افندي مسوح في كل اسبوع مرة بحماه، ويظهر أن صاحب الجريدة عازم على جعل جريدته مسرحا لخطراته، وميدانا لقيد شوارد افكاره؛ وقيمة اشتراكها ريال ونصف

الوطن

قرظنا في (ص٩٥٣ م ١٢) من المنار جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره وابدينا سرورنا بها والآن يسوءنا جدا ان نذكر خبر صدور هذه الجريدة (الوطن) المكتوبة باقلام المراء والجدل، والمملوءة بالتعريض الذي لا يلتئم مع الدين والادب؛ فننصح لكتاب هذه الجريدة ان لا يسترسلوا لهوى النفس، وان لا ينبذوا حكم العقل، والسلام على أهل الانصاف والسلام

حسين وصفي رضا

البدع والخرافات والتقاليد والعادات عند الشيعة

﴿ رسالة من البحرين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا ووالدنا حضرة فيلسوف الاسلام جعلني الله فداك، ورزقني برك ولقاك بينما اطوف في البلاد وانظر ما حل بالمسلمين من عالم سوء يضلهم بالبدع والخرافات، أو متفرنج يقول انبذوا الدين فليس الا ترهات، اسائل عن منار الاسلام كل غاد ورائح، كأني أم الحوار على فصيلتها تحن، أو الهيماء على ندى الماء تئن، فلم أجد له أثرا في مشرق خليج فارس وجزائره حتى عرجت على مغربه ونزلت البحرين فوجدت ضالتي فو الذي فلق الحبة اني لأشد فرحا به من الغواص حين يجد الدر، تشرفت بقراءة الجزء الاول فاتحة السنة الحادية عشرة حتى وقفت على كلمة عن العراق وأهله لعالم غيور (ص ٤٥)

ولما كنت جبت العراق وعرفت أهله سنيهم وشيعيهم، حاضرهم وباديهم، أحببت اني أطلع والدي على شيء عرفته منهم حتى يعلم الوالد جعلني الله فداه انما عده الكاتب بلاء نازلا من مذهب الشيعة ووعاظهم هو كما ذكر الكاتب حفظه الله بلاء نازل وصاعقة محرقة ليس على مذهب السنة فقط بل على مذهب الشيعة نفسه، وانا اذكر ما يبثه الوعاظ في أهل القرى والاكواخ وما يعلمونهم من تقرير علمائهم حالا وتأليفاتهم

حتى يعلم فيلسوف الاسلام ان الوعاظ لايعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام أومسألة الخلافة التي هي عند أهل السنة من فروع الدين وعند الشيعة من أصوله ثم اذكر اعتقادات الشيعة في القرن الرابع نقلا من كتبهم المؤلفة في ذلك العصر

لعل أحد قراء المنار من علماء الشيعة يقف على هذا الفصل فيتنبه ويسعى في اصلاح ملته وان كان من المظنون انه لايوجد في إيران والعراق من علماء الشيعة من له المام بالاصلاح الديني

* * *

سبب اجتماع علماء العجم في النجف وكربلاء

كان محل ومأوى علماء الشيعة في أواخر سلطة بني العباس الحلة في العراق وفيها يتخرج مجتهدوهم ثم ينتشرون في بلاد العجم إما للدعوة أو لالتماس دولة تأويهم وتنصرهم ، لالرفع التقييد عنهم فقط بل لحصد أهل السنة ، يدلك على ذلك حين قدم هلاكوخان الى قومسين قاصدا بغداد وفد عليه يوسف الحلي والد ابن المطهر الشهير عندهم بالعلامة . وكربلاء اذ ذاك قرية صغيرة والنجف لا يبلغ سكنته عدد الاصابع وانما هوعبارة عن رباط يسكنه الزوار أو يلجأ اليه الدراويش والزهاد كما فعل الطوسي ، والغالب في بلاد ايران ذلك الوقت مذهب اهل السنة الا مدينة قم وكاشان و بعض بلاد طبرستان فانها كانت تسكنها الشيعة

ظهرت دولة الصفوية في القرن التاسع وابادت السنيين من إيران الا بقايا منهم بعيدين عن مقر السلطنة مثل كوهستان جيلان المسماة بطالش وفيها من السنيين حالا زهاء ١٥ ألف نسمة ، وبرفارس وبنادره مثل لنجه و بندر عباس فيها من السنيين ٥٠ الف نسمة وأيالة كردستان الايرانية اجمع ومقر حكومتها (سنندج) وأهلها كلهم سنيون وكذا بلوجستان الايرانية أهلها كلهم سنيون ، و بادية جرجان من التركان كلهم سنيون . فكان علماء الشيعة من سائر الاقطار ينتقلون الى مقر السلطنة اصفهان وفيها يتخرج مجتهدوهم كما فعل بهاء الدين العاملي والكركي واضرابهم وقد تلقاهم الصفوية بالاحتفاء والترحيب فشيدوالهم المدارس العظيمة والمساجد الفخمة وآثارهم

باقية الى الآن مع ان اكثرها قد خربه ظل السلطان نجل ناصر الدين شاه حين كان واليا على اصفهان، حدثني بعض علمائهم انه كان يوجد في اصفهان في ذلك العصر اربعمئة مدرسة

لعل القاريء اذا رأى قولي مقر السلطنة اصفهان يظن اني جاهل بتاريخ الصفوية لما يعلم من أن أوائل دولة الصفوية كان مقر سلطنتهم قزوين فانهم حين اقامتهم في قزوين كانوا لاهمَّ لهم الا الفتح او بناء التكايا ليتخرج فيها الدراويش ويبقونهم في البلاد لمدح علي واولاده ، وسب . . .

ضعفت الدولة الصفوية فاستولى عليها العلماء بحيث لم يكن يقدر احدهم ان يتصرف في شي بدون اجازة العلماء فقلَّ وثوق عامة الايرانيين بعلمائهم لما عهدوا من العلماء الأول من التقشف والزهد ورأوا من هؤلاء الترف والبذخ واستدرار الدراهم والدنانير بأي وجه كان، فمن ذلك الحين شرع طلابهم بالمهاجرة الى كربلاء لا للتحصيل ثم الرجوع كما يفعل علماؤهم حالا بل لتحصيل الدرس والمجاورة هناك ومن رؤسائهم الاردبيلي

قدم الافغان وفعلوا مافعلوا، ثم ظهر نادر شاه ونفى العلماء والطلاب وتصرف في الاوقاف اجمع فهاجروا الى كربلاء فصار بجمع كبير له شهرة عند أهل إيران في ذلك الوقت ورئيسهم الآغا البهبهاني الشهير في أوائل سلطة القاجار ثم انتقل الى النجف ثم الى سرمن رأى (سامرا) في اوائل هذا القرن ثم عاد الى النجف فكان هؤلاء يكتبون لهم الرسائل التقليدية و يبعثون تلاميذهم بها الى ايران لرواجها والشيعة يبعثون الى علمائهم ومقلدتهم الدراهم بقصد الخمس والزكاة وشيء يسمونه رد المظالم وما هو رد المظالم؟ اذا ذهب حاكم مثلا الى ولاية ومص دم أهلها ثم عزل واراد ان يذهب لزيارة احد ائمتهم اوالى مكة اعطى للمجتهد جزءا من ألف جزء وطهرله ماله!! وقدشاهدت علاء الدولة في كرمان شاه بقومسين اهدى لابن الحاج ميرزا حسين خليل مايبلغ ألف ريال مجيدي فأحل له مايملك وهو يملك اربعة ملايين من الفرنكات وأمثال ذلك كثير

فاذاوصلت هذه الدنانير الى المجتهد فلا بد من تفريق بعضها على طلبته والمتخرجين عليه حتى اذا ذهبوا الى ايران روجوا رسالته

قد قلت ان عامة اهل ايران قل وثوقهم بعلماء ايران اجمع فانحصر تقليدهم في علماء العراق وكانت الرسائل تخرج اليهم منه فكان علماء العجم بعد تحصيلهم العلوم العقلية يذهبون اليه أفواجا اما للمجاورة او لطلب الرزق او للاقامة مدة ثم الرجوع الى ايران بالاجازة (*) وهو يتعهد بترويج رسالة الشيخ وايصال الحقوق اليه ، والشيخ يتعهد بالكتابة الى الشاه والحكام في التوصية به ، وهؤلاء الذين تخرجوا في العراق واختاروا الرجوع الى ايران لا همّ لهم الا معارضة الدولة وأخذ الرُّشى من الحكام والولاة او تكفيرهم وشكواهم على مجتهدي العراق ولما لم يكن للناس اعتقاد فيهم لما يرونه من أفعالهم فهم لا يبالون بجمع الدنيا من أي وجه أتت ، وهذا الشيخ تقي الاصفهاني هو واخوته وانجاله تبلغ غلتهم في كل يوم عشرة آلاف فرنك او مايقرب منه وطغام أهل ايران اذا ذهبوا الى العراق لزيارة مشهدي علي والحسين وأولادهم ، ورأوا من علماء هذه البلاد الانزواء وعدم التردد الا لصلاة الجماعة والزيارة والدرس واذا خرجوا من بيوتهم متلثمين جاعلا واحدهم عباءته على رأسه وسبحته في يده وقد شاهدوا من علماء ايران ركوب العربات واتخاذ الحدائق والجنات وكثرة التزوج حتى أن أحدهم ليبلغ زواجه حد المئة من النساء - ازدادوا محبة لهم ورغبوا في حمل الدراهم اليهم وحسبوا أفعالهم من الزهد والتدين ولم يعلموا المساكين ان هؤلاء مثل أولئك الا أن عادات وأخلاق أهل البلاد تختلف ولو انتقل علماء العراق الى ايران لفعلوا كما شاهدنا

وقد شاهدت علماء العراق يبعثون خدام قبر علي واولاده الى خان قين لاستقبال الزوار من العجم والترك والالقاء اليهم بان فلانا هو الاعلم الاتقى ، و بالجملة فاظن الكاتب حفظه الله لم يخالط الشيعة في العراق ولم يعاشرهم فظن أن هذا المجمع العلمي يُرسل منه رسلاً للدعوة ، أو رأى ان اكثر قرى العراق شيعة فظن أنه من فضل

(*) كأنه انغرس في اذهان دهماء ايران انه لا يمكن الاجتهاد الا بعد شرب ماء الفرات

علمائهم وانهم يرسلون الدعاة حالا ولو قال من سنين خلت لأمكن تسليمه مع أن التاريخ يأبى ذلك فانه قبل ارغام الرعية عبدالحميد على المساواة لم يتمكن الشيعة من بناء المساجد والنداء فيها بولاية علي، يعلم ذلك كل عراقي دع ارسال دعاة منهم الى البادية، وأظن أن الفضل في ذلك عائد الى الصفوية ومن في زمنهم من العلماء كالاردبيلي ، وهجمات دولة الصفوية على العراق وقتلهم علماء أهل السنة والزام العامة بالتشيع او القتل معروف مشهور ، لذلك فانك لاتجد من اهل بادية العراق أعني بادية غربي الفرات من فيه رائحة التشيع اللهم الا قليلا من العرب لايبلغ عدد فرسانهم المئتين يدعون بالخزاعل واناسا من الشطين يدعون بشمر الجرباء ، واريد بقولي بادية اهل العراق أهل الخف والحافر الذين لهم قدرة على النجعة ولهذا سلموا من ضغط الصفوية والزامهم لهم بالتشيع

تأتي منحدرا من الشام على ضفاف الفرات قاصدا العراق فترى عرب عنزة كالجراد المنتشر الى اواسط العراق ثم ترى شمَّر على الخاذم عبده فسنجاره حتى تنتهي الى نصف الفرات الآخر فترى عرب المنتفك وعرب الظفر الى قرب البصرة، ثم تنحدر فترى مطير الدوشان فعريب دار، ثم تنحدر من الكويت فترى العجمان المناصير آل مرة بني هاجر وعربا لايحصيهم الا خالقهم. فهذه القبائل من العرب الذين عددتهم معاملتهم مع أهل النجف وكربلاء فزبالاء سوق الشيوخ والسماوة الخميسية فبغداد منحدرا الى البصرة ثم الزبير والكويت فالحساء والقطيف وقطر وليس يوجد فيهم شيعي ولا قدرة له على اظهار مذهبه عندهم مع ان اكثر بيعهم وشرائهم مع الشيعة واكثر اهل البلاد التي يقتاتون منها شيعة ولاسيما العراق

وقد قلت الوعاظ ولم أقل الدعاة لان هؤلاء لايذهبون للدعوة وليسوا اهلا لذلك لانهم لايعرفون معنى دينهم فضلا عن ان يدعوا اليه ولم يذهبوا الى بادية السنة ابدا اللهم الا للبيع والشراء كما ذكرت ، وعند ذكر الوعاظ لا بأس بالاشارة الى شيء من ذكر عزاء الحسين عند الشيعة

مستند الشيعة على استحباب اقامة عزاء الحسين خبر يروونه عن دعبل الشاعر انه وفد على علي بن موسى فصادف وفوده ايام المحرم فقال له علي اتلُ

علينا من مراثيك لجدنا واحضر نساءه وراء الستر … ولا يوجد في كتب الشيعة المروية عن ائمتهم مايدل على اقامة العزاء المعروف عندهم وفي كتب متأخريهم بل لم يذكروا عن علمائهم الاقدمين شيئا من ذلك حتى في زمن آل بويه زمن حريتهم ولا يوجد لهم تأليف في ذلك سوى مصادر عربية موضوعة يعلم من تصفحها ذلك ، وأول من الف في ذلك ملاحسين الكاشفي الف كتابا سماه روضة المحبين بالفارسية والعربية في القرن التاسع فكان ملا العجمي يقرأ منه فصلا فيبكي الحاضرون ولا يعرف انهم يقرؤنه بعد الصلاة أوفي سائر السنة مثل الشيعة حالا اللهم الافي سابع المحرم الى العاشر والعجم يسمون قراء عزاء الحسين « روضه خان » ومعناه قارىء الروضة وشيعة العراق يدعونه قارئا نسبة الى الكتاب المعروف

و يظهر ان عزاء الحسين المعروف حالا عند الشيعة لم يكن يعرف قبل الصفوية اللهم الا جلسات خفيفة ، فدولة الصفوية رتبت الجلوس في العشر المحرم كلها كما احدثت دولة آل بويه قبلهم والديالمة الجلوس في اليوم العاشر ، والشيعة حالا ازادوا في الطنبور نغمة المحرم صفر جمادى الاولى ورمضان لايبعد ان يقال ثلث السنة اسواقهم مغلقة ، وبيوتهم بالشمع محرقة ، لا يبين السواد واظنه حدث في أواخر ايام دولة الصفوية على زمن عالمهم المجلسي

ذكرت قبلاً ان اهل الخف والحافر من بادية العراق لا يوجد فيهم رائحة التشيع ، نعم إن الشاوية والبقارة أهل بيوت القصب والاكواخ الذين لاقدرة لهم على النجعة كلهم شيعيون الا القليل . يذهب الى هؤلاء القارىء اوالواعظ او الروضه خان لطلب الرزق لا للدعوة كما يظن الكاتب ثم يجمعهم وينصب منبرا أو يعلو فوقه وذلك في ايام المحرم وصفر و يعلمهم معالم دينهم الحالي وهو ذكر فضل أهل البيت عليهم السلام وأن الدنيا خلقت لاجلهم وان كربلاء افضل من مكة وأن زيارة الحسين افضل من الحج وان القرآن الذي في ايدينا ليس بالقرآن الذي انزل على محمد وانما امرنا بقراءة هذا تعبدا والا فقرآننا عند صاحب الزمان اذا ظهر يخرج به ويحرق هذا !!! ثم يعلمونهم هذا الرجز المشهور عند الشيعة بـ (نادِ علي)

نادِ عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في الرغائب

ويذكرون لهم في فضل هذه الاستغاثة احاديث عن أهل البيت حاشاهم عن ذلك ، وانها تدفع الهم والغم وتجلب الرزق ، ووعاظ العجم يقولون على المنابر « ناد علي بدرنماز (١) ثم يعلمونهم قذف الصحابة والبراءة منهم وانهم ارتدوا إلا أربعة وانهم ضربوا فاطمة حتى اسقطت حملا يدعى بمحسن وان موتها من ضرب الصحابة برأهم الله مما قالوا وأن ام كلثوم التي تزوجها الخليفة عمر ليست بنت علي وانما هي بنت من الجن وشيء يتعب القراء و يضحك العجائز !!! ثم يعرجون على قتل الحسين وانهم ذهبوا بنسائه حاسرات وان من بكى على الحسين لاتصيبه النار ابدا ولو فعل مافعل وان من دفن عند الحسين يحشر معه ولهذا ترى هؤلاء المساكين ينقلون موتاهم من مسيرة ايام منتنة والعجم ينقلون موتاهم من مسيرة ٤٠٠ فرسخ ويذكرون لهم في ذلك كله اخبارا اغلبها منقول من كتاب قيس ابن سليم الهلالي !!! (٢)

وأما الصلاة وأحكام الدين فلا أثر لها عند هؤلاء المساكين اصلا ، نعم الشرك بالله والغلو في أهل البيت فانك لو حلفت لاحدهم بالله الف مرة لم يرض واذا حلفت بالعباس بن علي ارتعدت فرائصه بعد الرضى والتسليم ! ولعل القارىء يحملني في كلامي على المغالاة فان شاء فليذهب أو ليسأل عما يفعل عند قبر الحسين في يوم عرفة فانه لايسمع الا: ارزقني احملني اغنني !! أو ليطلب كتاب تحفة الزائر أو زاد المعاد (٣) وهما تأليف عالمهم الشهير بالمجلسي فانه يرى العجب العجاب

أما أهل الخف والحافر ففيهم من الاخلاق الحسنة مايطرب العرب والعربية مثل الاخلاص لله بالتوحيد وصدق اللهجة والامانة والعفاف وكرم النفس والاخلاق الحسنة ، أما الصلاة والصوم فلا يجبرون عليهما احدا كما يفعل في بادية نجد ولكنهم اذا نزلوا خطوا مسجدا عند بيت الشيخ ، والشيخ لابد ان يكون عنده كاتب له من

---

(١) بدرنماز : ابو الصلاة كما تقول العرب لاصل الشيء أمه فالعجم تنسبه الى الاب

(٢) كتاب قيس يزعمون انه الف في القرن الاول وان قيسا صاحب الكتاب صحب خمسة أو ستة من أئمتهم ، والمتقدمون من علماء الشيعة يقولون انه موضوع لاأصل له ، والمتأخرون منهم يقولون بصحته ، ومن أراد ذلك فلينظر الى كتب رجالهم مثل كتب ميرزا محمد وغيرها المطبوعة في طهران وتبريز

(٣) كلا الكتابين طبعا في طهران وتبريز واصفهان وبمبي

اهل الحاضرة يقرىء اولاده القرآن ويعلمهم الكتابة ويقيم صلاة الجماعة ويجري عقود الزواج ، واهل البادية يسمونه الخطيب ويسمونه في باديه اهل نجد مطوّع او بالفتح واظن الفضل في ذلك كله عليهم لاهل جزيرة العرب

اعتقاد الفرقة الامامية في القرن الرابع نقلا من كتب علماء ذلك العصر (*)

قال الشيخ محمد بن بابويه القمي الشهير عندهم بالصدوق صاحب كتاب (من لايحضره الفقيه) في رسالته المطبوعة في طهران «باب الاعتقاد في القرآن: إنه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه وإنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم ، وانه القصص الحق وما هو بالهزل ، وان الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربه وحافظه والمتكلم به » باب الاعتقاد في مبلغ القرآن: اعتقادنا ان القرآن الذي انزل على محمد (ص) هو مابين الدفتين وهو بأيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربعة عشر سورة ، وعندنا الضحى والم نشرح سورة واحدة ، والم تر ولايلاف سورة واحدة ، ومن نسب الينا انا نقول اكثر من ذلك فهو كاذب — الى ان قال : باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض — اعتقادنا في الغلاة والمفوضة انهم كفار بالله جل اسمه وانهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع اهل البدع والاهواء المضلة وانه ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم بشيء كما قال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) — الى ان قال :

وكان الرضا يقول في دعائه : اللهم اني أبرأ اليك من الحول والقوة ولا حول ولاقوة الا بك ، اللهم اني أبرأ اليك من الذين قالوا فينا مالم نعلمه في انفسنا ، اللهم لك الخلق ومنك الامر وإياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم لاتليق الربوبية الا بك ولاتصلح الآلهية الا لك فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من

(*) طبعت في طهران وتبريز

بريتك ، اللهم انا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لانفسنا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ، اللهم من زعم ان لنا الخلق وعلينا الرزق فنحن اليك منه براء ، رب لاتذر على الارض منهم ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الا فاجرا كفارا »

يقول الكاتب فياليت علي بن موسى الرضا صاحب هذا الكلام يخرج ويرى مايفعل عند قبره في طوس من الوثنية التي بعث جده (ص) لازالتها ، والعجب من علمائهم كيف انه لا يوجد كتاب من فقههم الا وفيه : لايجوز البناء على القبور والسرج عليها وتجديدها و بناء المساجد عليها . ثم لاترى منهم منكرا لذلك بل يعدونه من افضل القربات استدلالا بما قال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر المتوفى في أواسط القرن الثالث عشر على عدم جواز البناء على القبور عند ذكر صاحب المتن انه لايجوز

وقال أمير المؤمنين لبعض أصحابه الا أبعثك على مابعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور ، وقال ايضا كل ماجعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت ، وقال الكاظم لايصلح البناء على القبر . انتهى بعض ما استدل به صاحب الكتاب وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال سألت الصادق عن زيارة القبور و بناء المساجد عليها فقال اما زيارة القبور فلا بأس ولايبنى عليها مساجد قال النبي (ص) «لاتتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» واستدل صاحب الجواهر على انه لايجوز حمل الجنائز بقوله وفي دعائم الاسلام عن علي انه رفع اليه ان رجلا مات بالرستاق فحمل الى الكوفة فانهكهم عقوبة وقال ادفنوا الاجسام في مصارعها ، وفي السرائر انه بدعة في شريعة الاسلام ، والعجب من فقهائهم المتأخرين فانهم حين يذكرون في كتبهم عدم جواز البناء على القبور وايقاد السرج عليها يقولون وينبغي ان يستثنى من ذلك الأئمة لان قبورهم من البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ! ! هذا هو دليلهم على عبادة القبور وجعلها اوثانا تعبد من دون الله

وأخبار أهل البيت المروية في كتبهم يضربون بها عرض الحائط ! ! !

(المنار) يعلم القراء ان من مقاصدنا التأليف بين المسلمين المتفرقين في المذاهب والآراء بعضهم مع بعض وكذا بينهم وبين غيرهم من أهل الملل الذين يعيشون معهم، وقد بينا هذا المقصد في فاتحة العدد الأول من السنة الاولى واستقمنا على ذلك الى هذا اليوم وسنستقيم عليه فيما بقي من عمرنا ان شاء الله تعالى . ومن رأينا في هذا التأليف أن يتفق المتعاونون عليه والساعون اليه على أن ينتقد كل منهم اهل الدين أو المذهب الذي ينتسب اليه فيما ينافي هذا التأليف دون المخالفين له إلا ان يضطر الى انتقاد المخالف اضطرارا فحينئذ ينتقد مع التلطف، واتقاء ما يثير رواكد التعصب وقد صرحنا بهذا الرأي عند الكلام فيما شجر بين أهل بيروت من الخصام والصدام منذ بضع سنين

ومن سيرتنا العملية في ذلك أننا أكثرنا من انتقاد البدع والخرافات التي فشت بين المنتسبين الى السنة والمذاهب التي تعزى اليها ولاسيما بدع الموالد والقبور لأننا من أهل السنة وإن كنا لا نتعصب لمذهب من مذاهب أهلها بل ندعو الى الاجتماع على ما اتفقوا مع سائر المسلمين الذين يعتد بأسلامهم عليه، ونحكم فيما اختلفوا فيه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عملا بقوله عز وجل « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » ولم انتقد بدع الشيعة التي يأتونها في يوم عاشوراء أو غيره من الايام بل كنت اجيب دعوة جمعيتهم بمصر كل سنة الى المأتم الذي يقيمونه في تكيتهم بالحمزاوي لأجل التأليف ، وأعد هذا من إزاله الضرر الاشد وهو التفرق والنزاع بالضرر الاخف وهو حضور مجتمع ترى فيه البدع كالذين يأتون مضرجين بالدماء مما يضربون رؤوسهم بالسيوف . . .

ولما نشرت منذ سنتين رسالة ذلك العالم الغيور عن العراق لما فيها من التنديد بسوء ادارة الحكومة الحميدية التي كنا نحاربها قفيت على الرسالة بما يزيل ما فيها من سوء التأثير الذي يخشى ان يزيد في الخلاف فقلت ان نشر دعاة الشيعة مذهبهم بين أعراب العراق ينفع من الجهة الدينية اذا كانوا يعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام وحصرت ضرره الذي خشيه الكاتب في الجهة السياسية، لما ذكرت

آنفا من بيان مفاسد الحكومة الحميدية ، ولو كتب الينا أي كاتب من الشيعة انتقادا على تلك الرسالة لنشرناه في المنار كما هي عادتنا في نشر الانتقاد علينا بله الانتقاد على ما ننشره لغيرنا ، ولكن بعض غلاة متعصبي الشيعة في الديار الشامية ألف رسالة في الرد على المنار لنشره تلك الرسالة وجعل معظم كلامه فيها البحث في مسألة المتعة التي لم يسبق لنا قول في المنار بحرمتها بل سبق لنا قول يشبه ان يكون ترجيحا لقول الشيعة فيها أودعناه (محاورات المصلح والمقلد) وأنكره علينا الناس وهو الذي أشرنا اليه في تفسير قوله تعالى « فما استمتعتم به منهن» الآية ومع هذا قام الشيخ المتعصب يشنع علينا بأننا انكرنا حل المتعة وخالفنا بذلك الكتاب والسنة والاجماع !! وطفق يحرّف الآية ويفسرها بالهوى والرأي ويتحكم في الاحاديث لاثبات ذلك بالسفسطة كما هي عادة المقلدين المتعصبين . وقد كذب صاحب الرسالة العراقية فيما كتبه في مسألة نشر مذهب الشيعة بين الاعراب المنتسبين الى السنة ، وما يؤيد ذلك مما كنا نشرناه في المجلد الثاني نقلا عن بعض المختبرين ونصرح باسمه الآن فنقول هو سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت الذي أقام في العراق عدة سنين وهو لا يتعصب لاهل السنة على الشيعة ولا للشيعة على اهل السنة لانه نصراني لا يفرق بين احدمنهم

اطلعنا بعض الاصدقاء على رسالة الشيعي المتعصب فقرأنا منها جملا متفرقة أحزنتنا لان وجود مثل مؤلفها بين المسلمين من أصعب العقبات في طريقنا الذي نسير فيه للتأليف بينهم . وتذكرنا رسالة وردت علينا من البحرين في الشيعة ونشر مذهبهم أرسلها سائح آخر مختبر عند ما قرأ رسالة ذلك العالم الغيور المختصرة فلم ننشرها بل لم نقرأها لأننا خشينا ان تكون مخالفة لمشربنا ثم رأينا الآن ان تنشر ليتبين الأمر على حقيقته في هذه المسألة مع الوعد بنشر ما يمكن ان يرد من الرد عليها من الادباء المنصفين ، ومهما يكن من الأمر فاننا نطلب الاتحاد ونسعى اليه والله الموفق

باب الأخبار والآراء

رحلة القسطنطينية

٣

حال الآستانة العمرانية والاجتماعية

موقع هذه المدينة مشهور في جماله ومحاسنه الطبيعية ولو كانت هذه الدولة التي استولت عليها من عدة قرون دولة عمران ومدنية لجعلتها زينة الارض ومثابة الامم ، ولكن لأهلها من السائحين مورد من أغزر موارد الثروة ، ولكنك لا تجد فيها أثرا من آثار العمران القديم للسلاطين السابقين الذين دوخوا الدول الا المساجد ، ولا شيئا يعتد به من آثار العمران الحديث الا المعسكرات من الثكنات والمدارس ، فصوفية عاصمة البلغار وأثينا عاصمة اليونان والقاهرة عاصمة مصر ، كل اولئك أرقى من عاصمة الدولة عمرانا ، فالآستانة موقع جميل ، ومعسكر كبير ، لا تغيب الجنود عن عينيك فيها دقيقة من الزمان ، فعسى الله ان يسخر لها الرجال الذين يعمرونها بعمران المملكة ، لا بالاستقراض من الاجانب بالربا الذي يجعلها تحت سيطرتهم ، وعرضة عند الحوادث لمداخلتهم ،

أما العمران المعنوي وهو العلم والادب فلها حظ منه تفضل به مصر وسورية وهو ان التعليم فيها أعم وأشمل ، وتربية النساء اسمى وأنبل ، ذلك بان أموال المملكة كانت تجبى اليها حتى لا يبقى في كل ولاية الا الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه مع إباحة الرشوة والسلب والنهب فكثرت فيها المدارس للذكور والإناث ، على أن

الآداب الاسلامية الموروثة لا تزال أقوى في بيوت هذه المدينة منها في بيوت مصر فلا ترى امرأة في نافذة ولا على سطح الا أن تكون مستورة البدن والرأس كما تكون في السوق ، ولا تسمع من البيوت ولا في الاسواق والشوارع صخبا ولا هجرا من القول كما تسمع في أسواق القاهرة وشوارعها ، ولا يتبرج فيها النساء كما يتبرجن بمصر الا في بعض المواسم كآصال أيام رمضان في جهة الشاهزاده ، والا في بعض الضواحي حيث يسرحن ويمرحن متنزهات مظهرات لزينتهن ، على أن الكثيرات منهن يسفرن عن وجوههن في الاسواق والشوارع ولكنهن مع ذلك يغضضن من أبصارهن كما أمر الله تعالى . واذا خرجن في الليل من دار الى دار يخرجن بالجبة او العباءة العربية المعروفة و بالقناع الأبيض وذلك يكون زيهن الغالب في المتنزهات . فجملة القول ان آدابهن حسنة في خروجهن الى حاجهن في الاسواق والشوارع و بيوتهن نظيفة مرتبة ولأولادهن حظ عظيم من النظافة والآداب . ويقول المختبرون من أهل البلد ومن الغرباء المقيمين فيه ان آداب غير المتعلمات أو المتعلمات على الطريقة القديمة منهن أعلى أخلاقا وأقوى عفة وابعد عن الريبة من المتعلمات على الطريقة الحديثة الافرنجية وهن أشد عناية بالنظافة أيضا فالتفرنج في البيوت هو الخطر الاكبر الذي ينذر البيوت الاسلامية بالفساد ، في هذا البلد وغيره من البلاد ، ويقال ان احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين يريد أن يربي بنات المسلمين في المدرسة التي يسعى في انشائها مع بنات الافرنج والروم والأرمن تربية ليس لها من صبغة الدين شيء !! فاذا تم هذا المقصد فبشر بيوت هذا البلد بالخراب المعنوي والفساد الذي لا يفوقه فساد

ان علم النساء المسلمات في الآستانة دون علم الأوربيات ولكن تربيتهن الدينية والادبية أعلى من تربية الأوربيات كما شهد بذلك غير واحدة من هؤلاء بعد الاختبار التام ومنهن من صرحت بأن التفرنج آفة مفسدة لنساء الترك . نعم انه يمكن ان ترتقى معارفهن وآدابهن ولكن يجب أن يكون الدين هو أساس التربية وان تكون العناية به فوق العناية بالعلم وليس في أوربا شعب يربي البنات على الالحاد أو ترك الدين ، وان اثبت الشعوب الاوربية مدنية هو أشدها عناية بتربية النساء والاطفال تربية دينية

ان بين استانبول وقسم غلطه و بك أوغلي تباينا عظيما في العادات ونظام المعيشة وحالة العمران على ان المسافة بينهما تقطع بدقيقتين اذ الفاصل بينهما هو الخليج المشهور وعليه جسران للمشاة والركبان ومنهم من يقطعه بالزوارق : تشبه استانبول في عاداتها بلاد المشرق الاسلامية القديمة كطرابلس الشام فأزياء النساء فيها كأزياء النساء في مدن سورية الا ما امتزن به وقد ذكرناه آنفا وأزياء الرجال فيها كأزياء الرجال في مدن سورية: الطربوش والعمامة البيضاء والعمامة المطرزة والعمامة الخضراء والمناديل الملونة - كل ذلك من أزياء الرؤوس وكله كثير وأما سكان قسم غلطه فتكثر فيه مزاحمة الكمم والقلانس للطرابيش المجردة ويقل فيه غير ذلك

يتعشى أهل استانبول بعيد المغرب كأهل سورية وتقفل اكثر المطاعم بعد العشاء بقليل على حين يبتديء أهل القسم الآخر بالطعام وتظل مطاعمهم مفتوحة الى قرب منتصف الليل ويسهرون كثيرا ولا يسهر اولئك الا قليلا . ويكثر الفسق العلني والسري في قسم غلطه والفسق العلني ممنوع في استانبول

وآداب الرجال العمومية حسنة كآداب النساء فلا تكاد تنكر على رفيع ولا وضيع قولا خشنا ولا كبرا وترفعا ولكنك كثيرا ماتنكر عليهم إخلاف الوعد وما في معنى الاخلاف حتى يقل ان يثق المختبر بقول يسمعه وسبب ذلك تأثير الاستبداد الشديد ، وما كان من الضغط والمراقبة على عهد عبد الحميد، فذلك هو السبب الطبيعي لفشو الكذب والاخلاف والتقلب في كل الأمم ، ولهذه العلة كثر الكذب والاخلاف والتقلب وعدم الثبات في جميع البلاد العثمانية كما كثر ذلك من قبل في في مصر ولا سيما على عهد اسماعيل باشا

كنت كتبت في المنار وقلت في بعض الخطب التي ألقيتها في العام الماضي بالبلاد السورية ان أرقى البلاد العثمانية الآستانة وما يقرب منها من ولايات الروملي وأوسطها سورية وادناها العراق والحجاز واليمن .وقد تبين لي أن هذا القول خطأ فالآستانة لاتفوق سورية الا بكثرة عدد المتعلمين من الرجال والنساء و بالآداب الاجتماعية كما تقدم فهي ليست أرقى في العمران الحديث من بيروت ولا في العمران القديم من دمشق .وليس النابغون من أهلها كالنابغين من سورية في العلوم الاسلامية

ولا في الفنون والعلوم الاوربية ولا في الادبيات ولا في التجارة والزراعة . ولا أهل الادارة والقضاء منهم أرقى ممن تسنى لهم ان يشتغلوا بهما من السوريين بمصر، وكذا في بلاد الدولة على قلتهم وليس الضباط المتعلمون في المدرسة الحربية من أهل الآستانة بأرقى في الفنون الحربية من الضباط السوريين ولا العراقيين الا أنهم اكثر.

وأما ولايات الروملي وكذا الاناطول فهي دون الولايات السورية في الجملة

وأما النسبة بين الآستانة ومصر فهي أن عامة أهل الآستانة أرقى من عامة أهل القاهرة وخاصة أهل القاهرة النابغين أرقى من خاصة أهل الآستانة النابغين الا في الجندية . وأما من جهة الثروة والعمران فمصر أغزر ثروة وأرقى عمرانا، وقد تقدمت النسبة بين البلدين في النساء وتربية الاولاد

هذا ماتبين لي في هذه الشهور نصصته على غره ، غير متحرف الى جهة ، ولا متحيز الى فئة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

انتشار الاسلام في أفريقية

نشرت جريدة الدييش كولونيا مقالا للدكتور كارل كوم الذي قام بسياحات كثيرة في إفريقية واحدثها سياحته فيما بين نهر النيجر والنيل قالت (*) :

ان الدكتور كارل كوم يرى ان إفريقية ستكون في يوم قريب قارة اسلامية محضة ماعدا بعض الجهات التي ينتسب أهلها الى المسيحية اسما كجنوب إفريقية وأوغنده والحبشة ولقد عاقت طبيعة البلاد في أواسط إفريقية دون ان يكتسحها سيل الاسلام الجارف في طريقه عدة قرون فلما وطئتها أقدام الاوربيين وانتهت تلك المنازعات القديمة بينهم على الحدود وانفسح المجال أمام التجار المسلمين أخذوا ينشرون نفوذهم ويوسعون دائرة سلطتهم فتوغلوا في الغرب والشرق والجنوب حتى انتشر الاسلام بين أهالي هذه الجهات بسرعة غريبة ومدهشة بنتيجة مساعي الاوربيين أنفسهم

(*) ترجمت الجرائد اليومية هذا المقال بالعربية وعنها اخذنا مع تصحيح قليل

الذين ذللوا تلك العقبات با كتشافاتهم الجغرافية و بتقويم شؤون البلاد وتحسين وسائل الثروة بها وأحوالها الاقتصادية

وقد شعر بحرج هذا المركز الصعب وكلاء فرنسا وبريطانيا وأخذت هذه المسألة تتعقد أمامهم فلا يعرفون لهم منها مخرجا بعد أن تغلب الاسلام على الجنوب

وبعد ان طعن الدكتوركوم تعصبا وتمحلاً على تعاليم الاسلام زاعما بأنها تلقي بذور التعصب في قلوب المتدينين به استنتج انه يجب على كل مسلم مقاتلة الكفار الى ان يأسرهم أو يقتلهم وقال انه لا توجد ذريعة أنجع من ادخال القبائل الوثنية في الدين المسيحي لتكون حصنا متينا للدفاع !!

ثم قال: ولا يوجد الآن غير طريقين لتجارة الرقيق اولهما في السودان العربي الى مكة مارا بالسودان المصري وقد حاولت القوة الفرنسية في بحيرة تشاد بقيادة الكولونل مول أن تقطع هذا الطريق حتى تمكنت من ذلك ولكن الطريق الثاني لايزال مفتوحا ويمر بينغازي ولا يمكن إغلاقه الا اذا استولت بريطانيا العظمى على دارفور (!)

وقد نشرت مجلة المستر فول مقالة وجهت فيها انظار ولاة الامور الانكليز لوجود ثلاثة عشر الف شاب مسلم على بعد خمسة أيام من مقر الانجليز قد اجمعوا امرهم على ان يجوبوا انحاء البلاد الافريقية للدعوة الى الاسلام

ولاحظت ان الوثنيين يقبلون الدين الاسلامي بسهولة ورغبة ومن انتحل منهم المسيحية لايلبث الا قليلا ثم يعلن اسلامه مثل رفاقه، واستنتجت على دعواها بسهولة مبادىء الدين الاسلامي بزيادة المسلمين المضطردة في الهند فقد بلغ عدد الذين ينتحلون الاسلام من أهلها نحو عشرة آلاف شخص في كل سنة وكذلك الحال في الصين حيث ينمي عدد المسلمين كل يوم بنسبة ظاهرة تدعو لمزيد الدهشة والاهتمام

الاسلام في الهند

جاء في مجلة العالم الاسلامي الفرنسية مقال عن الاسلام في الهند احببنا ترجمته لما فيه من الحقائق التي يجهلها اخوانهم المسلمون قال الكاتب (*) :

انتشر الاسلام في الهند سنة ١٠٠١ ميلادية وقد ازداد عدد أتباعه حينما تقلصت سلطة الاسلام في تلك الديار وامتدت سلطة الاحتلال الانكليزي خلافا للمأمول وهو يمتد اليوم على صورة مدهشة فقد كان عدد اهله في الهند سنة ١٨٩٧ واحدا وستين مليونا ونصف مليون فأصبح عددهم سنة ١٩٠١ ثلاثة وستين مليونا منهم ٩٧ في المئة من أهل السنة وإليك تفصيل العدد

٥٤ مليونا في الولايات الهندية الشرقية الانكليزية كبمباي ومدراس
٨ ملايين ونصف في الولايات التابعة كحيدرأباد
٢٧٠ الفا في المستعمرات الانكليزية كسيلان
٧٣٠ الفا في البلاد التي لم تدخل تحت الاحصاء كولايات أوريسا

وقد يوجد من المسلمين في المقاطعات الفرنسية الهندية ٢٠ الفا وفي المستعمرات البرتغالية ٨ آلاف ونصف الف وفي المستعمرات الاومانية ١٠ آلاف من الهنود والفرس والعرب والافريقيين

اما عدد المسلمين في الولايات المستقلة فاليك بيانه : في ولاية نابل ثلاثة ملايين ونصف مليون، وفي ولاية بوتان اربع مئة، وفي ولاية أفغانستان ٦ ملايين

وأما بحسب المذاهب فعدد المسلمين في الهند ينقسم الى اهل سنة وشيعة فأهل السنة ٦٦ مليونا و٢٢٢ الفا و٥٠٧، والشيعة مليونان و٥٧٧ الفا و٤٢٩ والمجموع ٦٨،٧٩٩،٩٣٦

فاذا اعتبرنا زيادة مليونين في الولايات الهندية الانكليزية فيكون عدد المسلمين في الهند سبعين مليونا

أما حركة هذه الملايين الاجتماعية والسياسية فقد كانت بطيئة الا انها ابتدأت تؤثر في الدولة الانكليزية فلا تمضي مدة الا ويحدث حادث لهذه الدولة من هذه

(*) ترجمته بالعربية جريدة المفيد البيروتية وعنها نقلنا

الجموع ولو كان المسلمون متحدين الاتحاد المطلوب لما أقام الانكليز ساعة في تلك البقاع على ان التكافل بينهم قد بدا طلعه فاتحد فريق كبير منهم و بدأوا باعداد القوة وسيجتازون عما قريب كل عقبة وصعوبة وقد ظهر للناس اخيرا انهم يميلون زلفى الى الدولة العثمانية

فلسوف يقوى الاسلام في الهند ويمتد بواسطة العلم الذي ينتشر بينهم بسرعة ولا غرو فان هذا الدين من مطالبه العلم وسوف يسود على كل تلك الديار على أن الانكليز هم الذين علموهم لغتهم فتسلحوا بها واصبحوا يطالبون بحقوق الانسان الحرة ويتقاضون من الانكليز مراكزهم الاجتماعية ومناصبهم السياسية

صدى العلم من الحجاز

جاءتنا كراسة بهذا الاسم فيها تفصيل عن «حفلة توزيع الجوائز على التلامذة الفائزين في الامتحان السنوي في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة تأسيس العلامة المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب اظهار الحق» وهي مفتتحة بخطاب من مدير تلك المدرسة موجه الى كل قارىء يستفز به الهمم ويحدو العزائم الى مساعدة هذه المدرسة الفذة في نوعها المفيدة في الجملة بالتبرعات المالية لان قيامها بها وهي لاتزال قائمة بتبرعات الهنود الاسخياء الذين عرفوا قوة التعاون والتكافل اكثر من غيرهم من مسلمي الارض. وانه ليجدر بمسلمي هذه البلاد ان يعدوا اليها يد السخاء وما نرى أنهم يرضون - كما رضيت دولتهم - بأن يكون الجهل ضاربا اطنابه في مكة المكرمة ذلك البلد الحرام الذي كان ينبوع سعادتهم ومهبط العلم والحكمة من قبل

ألا وانه ليحزننا ان تبقى البلاد التي نزل بها الوحي وانبثق منها نور الاسلام الذي قلب كيان العالم وقتل الوثنية ونفخ روح العلم واشرع سبيل استقلال الفكر - انه ليحزننا ان تبقى متسكعة في دياجير الجهل موثقة بأغلال التقاليد، فهلا عناية من دولتنا الدستورية التي يفتخر سلطانها بلقب «خادم الحرمين» بتلك البلاد بعض عنايتها ببلد من بلاد الروملي ! ؟ على انه قد آن للمسلمين وقد مضى زمن التفكير ان يدأبوا على العمل وعلى الله قصد السبيل

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر الثلاثاء سلخ جمادى الاولى ١٣٢٨ - ٧ يونيو (حزيران) ١٢٨٦هـ ١٩١٠م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٠ : ٣٥) إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا

نهى سبحانه عن اكل الاموال بالباطل وعن قتل الانفس وهما اكبر الذنوب المتعلقة بحقوق العباد ، وتوعد فاعل ذلك عدوانا وظلما بالنار ، ثم نهى عن جميع الكبائر التي يعظم ضررها وتؤذن بضعف ايمان مرتكبها ، ووعد على تركها بالجنة ومدخل الكرامة ، وقيل المراد بالكبائر هنا جميع ما تقدم النهي عنه في هذه السورة . قال البقاعي بعد الآيتين السابقتين : ولما بين تعالى ما لفاعل ذلك تحذيرا ، اتبعه

ما للمنتهي تبشيرا ، وكان قد تقدم جملة من الكبائر فقال · وذكر الآية

الاجتناب ترك الشيء جانبا والكبائر جمع كبيرة اي الفعائل او المعاصي الكبائر والسيئات جمع سيئة وهي الفعلة التي تسوء صاحبها عاجلا أوآجلا أو تسوء غيره كما تقدم في تفسير (٣ : ١٩٣ وكَفِّرْ عنا سيئاتنا) وفسروها بالصغائر بدليل مقابلتها بالكبائر واللفظ أعم والتخصيص غير متعين

الاستاذ الامام: اختلف العلماء هل في المعاصي صغيرة وكبيرة أم المعاصي كلها كبائر ؟ نقلوا عن ابن عباس ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة · صرح بذلك الباقلاني والاسفراييني وامام الحرمين · وقالت المعتزلة وبعض الاشاعرة إن من الذنوب كبائر وصغائر وقال الغزالي ان هذا من البديهيات · وقد اختلف في الصغائر والكبائر فقيل هي سبع لحديث صحيح في ذلك ولكن الاحاديث الصحيحة في عدها مختلفة ومجموعها يزيد على سبع وقد ذكرت على سبيل التمثيل

أقول أشهر هذه الاحاديث ما ورد في الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا وما هي يارسول الله؟ قال «الشرك بالله» وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق» والسحر، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » · ومنها أيضا من حديث أبي بكرة انه قال قال رسول الله (ص) «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ـ قلنا بلى يارسول الله» قال: الاشراك بالله» وعقوق الوالدين ـ وكان متكئا فجلس وقال ـ ألاوقول الزور، وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت · وفي لفظ عند البخاري من حديث ابن عمرو زيادة « واليمين الغموس » وفي الصحيحين أيضا من حديث ابن عمرو قال قال رسول الله (ص) « إن من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه ـ قالوا وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه و يسب امه فيسب أمه »

وكان صلى الله عليه وسلم يذكر في كل مقام ما تمس اليه الحاجة فلم يرد شيء من ذلك في مقام الحصر والتحديد ولكن الاحاديث صريحة في اثبات الكبائر ويقابلها الصغائر والظاهر منها ان كبرها في ذواتها وأنفسها لما فيها من المفسدة والضرر ، والموبقات ا كبر الكبائر من أوبقه اذا أهلكه أو ذلله · ويقابل الموبق مايضر ضررا قليلا وما

حرم الاسلام شيئا الا لضرره في الدين او النفس او العقل أو المال او العرض

وكيف ينكر احد انقسام الذنوب الى كبائر وغير كبائر وقد صرح بذلك القرآن في غير هذا الموضع وهو من ذاته بديهي كما قال الغزالي فان المنهيات انواع لها أفراد تتفاوت في أنفسها وفي الداعية النفسية التي تسوق اليها

قال تعالى بعد ذكر جزاء المسيئين والمحسنين في سورة النجم (٥٣ : ٣٢ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ انشأكم من الأرض وإذ انتم أجنة في بطون امهاتكم) والفواحش معطوفة على الكبائر وهي مافحش من الفعائل القبيحة ، وهذه الآية تناسب الآية التي نفسرها في معناها بذاتها وموقعها مما قبلها فقد عبر في كل منهما باجتناب الكبائر وجعل جزاء هذا الاجتناب تكفير مادون الكبائر والفواحش وغفرانه ، ولكنه عبر عن مقابل الكبائر هنا بالسيئات وهو لفظ يشمل الصغائر والكبائر كما علم من استعماله في عدة مواضع من القرآن ، وعبر في سورة النجم باللمم ، وفسروا اللمم بما قلّ وصغر من الذنوب ، كما فسروا السيئات هنا بالصغائر وما أخذوا ذلك الامن المقابلة كما تقدم ، وقد يكون اللمم بمعنى مقاربة الكبيرة أو الفاحشة باتيان بعض مقدماتها مع اجتناب اقترافها من ألمّت النخلة اذا قاربت الارطاب وألمّ الغلام اذا قارب البلوغ، وسيأتي من كلام الغزالي في تكفير الذنوب ما يوضحه بالأمثلة · ومن التناسب المتعلق بالسياق انه علل في سورة النجم مغفرة اللمم بعلم الله تعالى بحال الانسان في خروجه من مواد الارض الميتة تكون غذاء فدما فمنيا يلقح البيوض في رحم الام ، وعلمه بحاله بعد هذا التلقيح اذ يكون جنينا في بطن أمه لا يقدر على شيء · فقصاراه ان الانسان ضعيف كما قال في أخرى (خلقكم من ضعف) وقد تقدم الآية التي نفسرها تعليل التخفيف عن المكلفين بقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا)

ومما ورد صريحا في تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر قوله تعالى (١٨: ٥٠ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) وقوله تعالى (٥٤ : ٥٢ وكل شيء فعلوه في الزبر ٥٣ وكل صغير وكبير مستطر)

واذا كان هذا صريحا في القرآن فهل يعقل ان يصح عن ابن عباس إنكاره؟ لا، بل روى عبد الرزاق عنه انه قيل له هل الكبائر سبع؟ فقال هي الى السبعين أقرب، وروى ابن جبير انه قال هي الى السبع مئة أقرب . وانما عزي القول بانكار تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر الى الاشعرية وكأن القائلين بذلك منهم أرادوا ان يخالفوا به المعتزلة ولو بالتأويل كما يعلم من كلام ابن فورك فانه صحح كلام الاشعرية وقال « معاصي الله كلها كبائر وانما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالاضافة وقالت المعتزلة الذنوب على ضربين صغائر وكبائر وهذا ليس بصحيح » اه وأول الآية تأويلا بعيدا وهل يؤول سائر الآيات والاحاديث لاجل ان يخالف المعتزلة ولو فيما أصابوا فيه؟ لا يبعد ذلك فان التعصب للمذاهب هو الذي صرف كثيرا من العلماء الاذكياء عن افادة انفسهم وامتهم بفطنتهم وجعل كتبهم فتنة للمسلمين اشتغلوا بالجدل فيها عن حقيقة الدين . وسترى ماينقله الرازي عن الغزالي ويرده لاجل ذلك واين الرازي من الغزالي واين معاوية من علي !

والموافقون للمعتزلة من محققي الاشاعرة وغيرهم اختلفوا في تعريف الكبيرة فقيل هي كل معصية أوجبت الحد وقيل مانص الكتاب على تحريمه ووجب في جنسه حد وقيل كل محرم لعينه أي لالعارض أولا لسد الذريعة ، وضعفوا هذه الاقوال واقوالا أخرى كثيرة . وقال بعض العلماء ان الكبائر كل ماتوعد الله عليه قيل في القرآن فقط وقيل وفي الحديث أيضا ، وقال بعضهم كامام الحرمين والغزالي واستحسنه الرازي إنها كل مايشعر بالاستهانة بالدين وعدم الاكتراث به وهو قول مقبول قريب من المعقول . والمختلفون في تعريفها متفقون على القول بأن هناك صغيرة وكبيرة وان ترك الكبائر يكفر الصغائر . وقال بعضهم ان الله تعالى أبهم الكبائر لتجتنب كل المعاصي فان من عرضت له كل معصية لم يعلم انها من الكبائر التي يعاقب عليها أو من الصغائر التي يكفرها الله عنه بترك الكبائر فالاحتياط يقضي عليه بأن يجتنبها . ولا يظهر فرق بين القول بأن جميع المعاصي كبائر والقول بأن منها صغائر مبهمة غير معينة فهي لاتعلم وقد أطال ابن حجر البحث في ذلك فليراجع كتابه الزواجر من شاء

الاستاذ الامام : ان الذين قسموا المعصية الى صغيرة وكبيرة وارادوا بالسيئات

الصغائر لم يفهموا الآية وقد قال الله تعالى (٤٥ : ٢٠ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء مايحكمون) فجعل أهل السيئات في مقابلة المؤمنين فهم المشركون والكافرون المفسدون ، وقال (٤ : ١٧ وليست التوبة للذين يعملون السيئات) الآية وما العهد بتفسيرها ببعيد ولا يمكن حمل السيئات فيها على الصغائر . والصواب ان في كل سيئة وفي كل نهي خاطبنا الله تعالى به كبيرة أو كبائر وصغيرة أو صغائر وأكبر الكبائر في كل ذنب عدم المبالاة بالنهي والامر واحترام التكليف ومنه الاصرار فان المصر على الذنب لا يكون محترما ولا مباليا بالامر والنهي

فالله تعالى يقول ﴿ إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾ أي الكبائر التي يتضمنها كل شيء تنهون عنه ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ أي نكفر عنكم صغيره فلا نؤاخذكم عليه فاضافة السيئات الى ضمير المخاطبين يدل على ماقاله جمهور الاشاعرة من انه لا كبيرة بمعنى ان بعض السيئات يكون كبيرة مطلقا على الدوام وان فعل بجهالة عارضة وعدم استهانة ، ولا صغيرة مطلقا وان فعلت لعدم الاكتراث بالنهي وأصر الفاعل عليها . ويدل على هذا ماقاله ابن عباس (رض) حين قيل له الكبائر سبع فقال هي الى السبع مئة أقرب ولا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار ، أي مع توبة فكل ذنب يرتكب لعارض يعرض على النفس من استشاطة غضب أو غلبة جبن أو ثورة شهوة وصاحبه متمكن من الدين يخاف الله ولا يستحل محارمه فهو من السيئات التي يكفرها الله تعالى اذا كان لولا ذلك العارض القاهر للنفس لم يكن ليجترحه تهاونا بالدين ، وكان بعد اجتراحه إياه حال كونه مغلوبا على أمره يندم ويتألم ويتوب ويرجع الى الله عز وجل ويعزم على عدم العودة الى اقتراف مثله ، فهو بعدم اصراره وباستقرار هيبة الله وخوفه في نفسه ، يكون أهلا لان يتوب الله عليه ويكفر عنه ، وكل ذنب يرتكبه الانسان مع التهاون بالامر وعدم المبالاة بنظر الله اليه ورؤيته إياه حيث نهاه فهو مهما كان صغيرا (أي في صورته أو ضرره) يعد كبيرة (أي من حيث هو استهانة بالدين وداع الى الاصرار والانهماك والاستهتار) ومثال ذلك تطفيف الكيل

والميزان وإخسارهما فقد قال تعالى (٨٣:١ ويل للمطففين) وهو يصدق بالقليل والكثير ولو حبة، والهمز واللمز فقد قال (١٠٤:١ ويلٌ لكل هُمَزَةٍ لُمَزَة) أي الذين اعتادوا الهمز واللمز وهما عيب الناس والطعن في اعراضهم . والويل الهلاك فهو وعيد شديد

أقول ان هذا الذي ذهب اليه هو ترجيح للقول بأن الكبائر بحسب قصد فاعلها وشعوره عند اقترافها وعقبه لا في ذاتها وحسب ضررها وهذا لا يقتضي انكار تمايز المعاصي في انفسها وكون منها الصغيرة كالنظر الى مالا يحل النظر اليه من المرأة الاجنبية ومنها ماهو كبيرة كالزنا وكذلك ضرب الرجل خادمه ضربا خفيفا بدون ذنب يقتضي ذلك يعد صغيرة واما قتله اياه فلا يمكن أن يعد صغيرة في نفسه مهما كان الباعث النفسي عليه . ولكن مسألة تكفير السيئات وعدم المؤاخذة عليها في الآخرة تتعلق بمقاصد النفس وقوة الايمان وسلطانه في القلب وهو ماجرى عليه الغزالي وتبعه الاستاذ الامام . وانا ننقل عن الغزالي نبذا تدل على رأيه في هذه المسألة

قال الرازي : وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله في منتخبات كتاب إحياء علوم الدين فصلا طويلا في الفرق بين الكبائر والصغائر فقال فهذا كله قول من قال ان الكبائر تمتاز عن الصغائر بحسب ذواتها وانفسها

واما القول الثاني وهو قول من يقول ان لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا أتى الانسان بطاعة واستحق بها ثوابا ثم أتى بمعصية واستحق بها عقابا فهنا الحال بين ثواب الطاعة وعقاب المعصية بحسب القسمة العقلية يقع على ثلاثة أوجه (احدها) ان يتعادلا ويتساويا وهذا وان كان محتملا بحسب التقسيم العقلي الا انه دل الدليل السمعي على انه لا يوجد لانه تعالى قال «فريق في الجنة وفريق في السعير» (والقسم الثاني) ان يكون ثواب طاعة أزيد من عقاب معصية وحينئذ ينحبط ذلك بما يساويه من الثواب ويفضل من الثواب شيء ومثل هذه المعصية هي الصغيرة وهذا الانحباط هو المسمى بالتكفير (والقسم الثالث) أن يكون عقاب معصيته أزيد من ثواب طاعته وحينئذ ينحبط ذلك الثواب بما يساويه من العقاب (١)

(١) نعني ان الحسنة بعشر امثالها وأراد بما يساويه بعد المضاعفة

ويفضل من العقاب شيء ، ومثل هذه المعصية هي الكبيرة وهذا الانحباط هو المسمى بالاحباط . وبهذا الكلام ظهر الفرق بين الكبيرة وبين الصغيرة وهذا قول جمهور المعتزلة

ثم رد الرازي هذا الكلام قال لا لأنه مبني على اصول باطلة عندنا اي عند الاشعرية وذكر منها كون الطاعة توجب الثواب والمعصية توجب العقاب ومنها القول بالاحباط وبأن الانسان يستحق بعمله الصالح جزاء . وكل ذلك مردود عنده لا أدري أنقل الرازي هذه العبارة بنصها أم بمعناها ولكن أقول على الحالين ان توجيه الرجل ذكاءه لمناقشة المعتزلة وتفنيد أقوالهم ، ونصر الاشاعرة وتأييد مذهبهم ، قد شغله في كثير من المواضع عن استبانة الحقيقة في نفسها ، فعبارة الغزالي التي ذكرها ليس فيها ذكر لإيجاب الطاعة الثواب والمعصية العقاب وانما حرك هذه المسألة في خياله ذكر المعتزلة ، وانما ذكر الغزالي استحقاق العامل الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ، وهذا الاستحقاق ليس بايجاب من ذي سلطة على الله عز وجل وانما هو بحسب وعده ووعيده تعالى وآيات القرآن الدالة عليه تعلو تأويل المؤولين وجدل المجادلين . وكذلك حبوط الاعمال بالكفر أو إحاطة المعاصي ثابتة في القرآن لا يمكن لأحد ان يماري فيها مراء ظاهرا (أولئك حبطت أعمالهم) (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار) (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) على ان كلام الغزالي هنا لا يوضح معنى الكبيرة والصغيرة وان كان صحيحا في نفسه وفيه معنى تكفير السيئات

وهذه الموازنة بين الحسنات والسيئات التي أشار اليها انما تتحقق بحسب تأثيرها في النفس فاذا زكت النفس بغلبة تأثير الطاعات فيها على تأثير المعاصي أفلحت وارتقت الى عليين واذا كان العكس خسرت وحبط ماعملت (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) وقد اوضحنا هذا المعنى في التفسير غير مرة . وان تكفير الحسنات واذهابها للسيئات الذي صرح به القرآن ظاهر معقول ولكن تكفير ترك الكبائر للسيئات يحتاج الى إيضاح لكن هذا أمر عدمي فكيف يكون له اثر يضاد أثر السيئات حتى يغلب عليها ويكفرها ؟

قال الغزالي في بيان الركن الثاني من مباحث التوبة وهوما عنه التوبة اي الذنوب مانصه : « اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس فان مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع اشد تأثيرا في تنوير قلبه من إقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره . فان كان عنينا أو لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر الآخرة فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار . نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه أحكام أخروية . ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ، ولم يرد النص بعدٍّ ولا حدٍّ جامع بل ورد بألفاظ مختلفات فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الامن ثلاث: إشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة » (* قيل ماترك السنة؟ قيل الخروج عن الجماعة ، ونكث الصفقة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله . فهذا وأمثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما » اه وقال في بيان الركن الثاني وهو تمام التوبة وشروطها ودوامها

« وأما المعاصي فيجب ان يفتش في اول بلوغه عن سمعه و بصره ولسانه و بطنه ويده وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه و بين

*) رواه الحاكم نحوه وقال صحيح الاسناد . ورواه احمد والبيهقي وانظهم جميعا « الصلاة المكتوبة الى الصلاة التي قبلها كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة التي قبلها كفارة لما بينهما والشهر الى الشهر الذي قبله كفارة لما بينهما الامن ثلاث: الاشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة » قيل يارسول الله أما الاشراك بالله فقد عرفناه فما نكث الصفقة وترك السنة ؟ قال « أما نكث الصفقة فان تبايع رجلا بيمينك ثم تخالف اليه فتقاتله بسيفك واما ترك السنة فالخروج عن الجماعة »

الله تعالى من حيث لا يتعلق بظلمة العباد كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهٍ وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها و بأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها (* » بل من قوله تعالى (١١ : ١١٣ ان الحسنات يذهبن السيئات) فيكفر سماع الملاهي سماع القرآن و بمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله و بأن يكتب مصحفا ويجعله وقفا . ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب اليه . وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب لا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة . وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريقة المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا موثرا في المحو .

« فهذا حكم ما بينه و بين الله تعالى . ويدل على ان الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين اليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم . قال (ص) « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم » وفي لفظ آخر « الا الهم بطلب المعيشة » اه المراد هنا وله في هذا المنحى كلام كثير في مواضع متفرقة فعلم من ذلك ان تكفير

*) رواه الترمذي وصححه وله تتمة

الحسنات للسيئات إنما يكون باذهاب أثرها السيء من النفس وهو الانس بالباطل والشر والرغبة فيه والاستلذاذ به، وأما تكفير اجتناب الكبائر للسيئات فقد بين الغزالي انه يتحقق بالقصد والارادة فان الاجتناب الذي هو ترك يتحقق عند داعية العمل بعمل النفس وهو الارادة التي تكف النفس عن الفعل الذي حصلت داعيته . ومما أتذكر من أمثلته في ذلك ان من دخل دار رجل او بستانه بقصد السرقة ثم ذكر الله وخافه فكف نفسه عن السرقة وخرج فان هذا الكف عن الكبيرة يكفر من نفسه دخول ملك غيره بدون إذنه لان شعور الايمان الذي تنبه فيه يكون قد غلب شعور الفسق الذي حركه أولا لقصد السرقة ومحاه وأزاله ، وأما من دخل ملك غيره بدون إذنه ولا العلم برضاه وهو لا يقصد الا الاستهانة بحقه فان هذه السيئة تقوي في نفسه اثر الشر وداعية التعدي ولا يكفر ذلك ويمحوه كونه مجتنبا لشرب الخمر مثلا وان اجتنبه بقصد مع حصول داعيته فان كثيرا من الفساق يضرون ببعض المعاصي ويجتنبون غيرها أشد الاجتناب فهل يكون لهذا الاجتناب أثر في تزكية النفس وتطهيرها مما ضريت به واصرت عليه . بل ولا مما فعلته مرة واحدة ولم تتبعه بالندم والتوبة . ولكن قد تكفر مثل هذا الحسنات التي تصلح النفس في مجموعها. ومن فهم هذا لا يرى اشكالا في الجمع بين الآية وحديث مسلم « الصلوات الخمس مكفرة لما بينها ما اجتنب الكبائر » وان تخبط فيه الكثيرون

لكل مرض من الامراض البدنية دواء خاص يزيله ولا يزيل غيره من الامراض وأما تقوية البدن كله بالغذاء الموافق والرياضة واستنشاق الهواء النقي والبروز للشمس فانه يساعد على شفاء كل مرض اذا لم يكثر التعرض لاسبابه. وان أدواء النفس وأدويتها تشبه امراض البدن وأدويتها ، ولله در أبي حامد حيث ذهب الى ان الطاعات التي تكفر المعاصي ينبغي ان تكون من جنسها وان لم تكن امثلته كلها مطابقة لقاعدته ، وحيث لم ينس أن إصلاح النفس بأنواع الطاعات قد يذهب بعض السيئات التي ليست من جنس هذه الطاعات ، لله دره ما أدق فهمه لحكمة القرآن وتطبيقه على فطرة الانسان ، ومن وقف على ماثبت عند علماء الانسان بعد الغزالي من تعدد مراكز الادراك في الدماغ الذي هو آلة النفس وكون كل

نوع منها له مركز خاص ، وجعل ذلك مطردا في انواع الشعور والوجدان ، وما تكونه الاعمال من ملكات الاخلاق والعادات ، فانه يعجب بما أوتي هذا الرجل من قوة الذهن ، ونفوذ اشعة الفهم ، واذا علم انه قد قال ان الماء ليس عنصرا بسيطا كما تقول فلاسفة اليونان بل هو مركب فانه يحكم له بالنبوغ في ادراك الحقائق الحسية ، كما حكم له بادراك الحقائق المعنوية ،

اما قوله تعالى ﴿ وندخلكم مدخلا كريما ﴾ فقد قرأ الجمهور قوله « مدخلا » بضم الميم وهو اسم مكان من الادخال اي وندخلكم مكانا كريما وهو الجنة . وقرأه أبو جعفر ونافع بفتح الميم وهو اسم مكان من الدخول اي ندخلكم فتدخلون مكانا كريما ، ووصف المكان بالكريم ظن من لا يرجع في المعاني الى اصول اللغة انه بمعنى الحسن تجوزا ولكن العرب قالت أرض كريمة وأرض مكرمة أي طيبة جيدة النبات . وفي التنزيل (٢٦ : ٥٨ فأخرجناهم من جنات وعيون ٥٩ وكنوز ومقام كريم) وقد يكون المدخل الكريم والمقام الكريم هو المكان الذي يكرم به من يدخله ويقيم فيه

(٣٣ : ٣٦) وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ، وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

قال الاستاذ الامام في بيان وجه اتصال الآية بما قبلها : نهى اولا عن أكل الناس بعضهم أموال بعض بالباطل وأوعد فاعل ذلك ، وبين بعد ذلك وما قبله من المناهي ما يغفر منها وما لا يغفر ، ثم أرشدنا بعد هذا كله الى قطع عرق كل تعد على الاموال والانفس وسائر الحقوق وهو التمني وعدم استعمال كل لمواهبه في الجد والكسب وكل ما يتمناه الانسان لنفسه من الخير

وقال البقاعي في ذلك : ولما نهى عن القتل وعن الاكل بالباطل بالفعل وهما من أعمال الجوارح ليصير الظاهر طاهرا عن المعاصي الوخيمة نهى عن التمني فان

التمني قد يكون حسدا وهو المنهي عنه هنا كما هو ظاهر الآية وهو حرام والرضى بالحرام حرام ، والتمني على هذا الوجه يجر الى الأكل ، والاكل يقود الى القتل ، فان من يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ، فاذا انتهى عن ذلك كان باطنه طاهرا عن الاخلاق الذميمة بحسب الطريقة ، ليكون الباطن موافقا للظاهر ويكون جامعا بين الشريعة والطريقة ، فيسهل عليه ترك مانهي عنه ويرضى بما قسم له .

وقال القفال : لما نهى الله تعالى المؤمنين عن أكل أموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في أموالهم

وروي في سبب نزولها ثلاث روايات احداها عن مجاهد قال قالت أم سلمة (رض) يارسول تغزو الرجال ولانغزو و إنما لنا نصف الميراث ، فأنزل الله تعالى الآية . والثانية عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الاجر ما يصيب الرجال ، فنزلت . والثالثة عن قتادة والسدي قالا لما نزل قوله تعالى «للذكر مثل حظ الأنثيين» قال الرجال إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء ، وقالت النساء إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ماعلى الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا ، فأنزل الله تعالى ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ ذكر الروايات الثلاث الواحدي والسيوطي في الدر المنثور . وهي لاتتفق اتفاقا بينا مع المأثور عن ابن عباس (رض) في تفسير التمني بالحسد فقد روي عنه انه قال فيها : لا يقل أحدكم ليت ما أعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان عندي ، فان ذلك يكون حسدا ، ولكن ليقل اللهم اعطني مثله .

الاستاذ الامام : سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية ومعناها ظاهر وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لايشاركهم فيه النساء ، وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لاحدهما أن يتمنى ماهو مختص بالآخر . وجعل الخطاب عاما

للفريقين مع ان الرجال لم يتمنوا ان يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء وهو الولادة وتربية الاولاد وغير ذلك مما هو معروف وإنما كان النساء هن اللواتي تمنين عمل الرجال ، وأي عمل الرجال تمنين ؟ تمنين أخص أعمال الرجولية وهو حماية الذمار والدفاع عن الحق بالقوة ، ففي هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن وهن موضع للرأفة والرحمة لضعفهن واخلاصهن فيما تمنين ، والحكمة في ذلك أن لايظهر ذلك التمني الناشئ عن الحياة الملية الشريفة فان تمني مثل هذا العمل غريب من النساء جدا وسببه أن الامة في بدء حياتها يكون النساء والاطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها ، وانها لتسري فيها سريانا عجيبا ، ومن عرف تاريخ الاسلام ونهضة العرب به وسيرة النبي (ص) والمؤمنين به في زمنه يرى أن النساء كنّ يسرن مع الرجال في كل منقبة وكل عمل ، فقد كن يأتين ويبايعن النبي (ص) تلك المبايعة المذكورة في (سورة الممتحنة) كما كان يبايعه الرجال ، وكنّ ينفرن معهم اذا نفروا للقتال يخدمن الجرحى ويأتين غير ذلك من الاعمال ، فاراد الله أن يختص النساء بأعمال البيوت والرجال بالاعمال الشاقة التي في خارجها ليتقن كل منهما عمله ويقوم به كما يجب مع الاخلاص له وتنكير لفظ «نصيب» لافادة ان ليس كل مايعمله العامل يؤجر عليه وانما الاجر على ماعمل بالاخلاص - أي ففي الكلام حث ضمني عليه -

﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ أي ليسأله كل منكم الاعانة والقوة على مانيط به حيث لايجوز له أن يتمنى مانيط بالآخر . ويدخل في هذا النهي تمني كل ماهو من الامور الخلقية كالجمال والعقل اذ لافائدة في تمنيها لمن لم يعطها ولا يدخل فيه مايقع تحت قدرة الانسان من الامور الكسبية اذ يحمد من الناس ان ينظر بعضهم الى مانال الآخر ويتمنى لنفسه مثله وخيرا منه بالسعي والجد كأنه يقول وجهوا أنظاركم الى مايقع تحت كسبكم ولا توجهوها الى ماليس في استطاعتكم فانما الفضل بالاعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم اه

أقول قال ابن الاثير في النهاية : التمني تشهي حصول الامر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لايكون . وقال ابو بكر تمنيت الشيء اذا قدرته وأحببت أن يصير الي .اه وقد يظن ان التمني لايدخل في حد الاختيار فيكون النهي عنه مشكلا ،

و إنما يظن هذا الظن من يتبع نفسه هواها، ويسلس لخواطرها العنان، بل يلقي من يده العنان واللجام، حتى تكون الاماني منه كالاحلام من النائم لايملك دفعها اذا أتت، ولا ردها اذا غربت، وشأن قوي الارادة غير هذا ولا يرضى الله تعالى من المؤمنين الا أن يكونوا أصحاب عزائم قوية فهو يرشدهم بهذا النهي الى تحكيم الارادة في خواطرهم التي تتحدث بها أنفسهم، لتصرفها عن الجولان فيما هو لغيرهم كما يصرفون اجسامهم أن تجول في ملك غيرهم بدون اذنه، وتوجهها في وقت الفراغ من الاعمال الى ما هو أنفع واشرف كالتفكر في ملكوت السموات والارض، وسنن الله تعالى في هذا الخلق، ولا سيما سننه في حياة الامم وموتها وضعفها، وتطبيق ذلك على أمتهم والتفكر في أمر الآخرة، ونسبته الى هذه الدنيا الفانية، وهو الذي يخفف عن النفس ماتحمله من أثقال الحياة وتكاليفها

الامر كذلك، ان النهي عن تمني كل مكلف من ذكر وانثى مافضل الله به غيره عليه يتضمن مايتحقق به الانتهاء وهو امران (احدهما) العمل النافع على الوجه الذي تكون به الفائدة تامة من العناية والاتقان، ولا يشغل النفس بالاماني والتشهي كالبطالة والكسل، ولذلك ذكر الكسب بعد النهي (ثانيهما) توجيه الفكر في اوقات الاستراحة من العمل الى مايغذي العقل ويزكي النفس، ويزيد في الايمان والعلم، وقد ذكرناك به آنفا وهو يتوقف على قوة الارادة، وانما تقوى الارادة باستعمالها في تنفيذ ماأمر به الشرع، ودل عليه العقل،

وفي قوله « مافضل الله به بعضكم على بعض » ايجاز بديع وهو يشمل مافضل الله به بعض الرجال على بعض، وما فضل به بعض النساء على بعض، وما فضل به جنس الرجال على النساء، وما فضل به جنس النساء على الرجال، من حيث ان الخصوصية فضل اي زيادة في صاحبها على غيره، وما فضل به بعض الرجال على بعض النساء، وما فضل به بعض النساء على بعض الرجال، وهذا الفضل أنواع (منها) مالايتعلق به الكسب ولاينال بالعمل والسعي، ولايعاب المفضول فيه بالتقصير ولا يمدح الفاضل فيه بالجد والتشمير، كاستواء الخلقة، وقوة البنية، وشرف النسب فتمني أمثال هذه المزايا لايصدر الا عن سخافة في العقل، ومهانة في النفس، فينبغي

لمن عرف ذلك من نفسه ان يبادر الى معالجته بالفضل الكسبي الذي به يكون التفاضل الحقيقي بين الناس قبل أن تستحوذ عليه الاماني فتنسيه ربه وما ارشده اليه من طرق الفضل وتنسيه نفسه وما أودعته من الاستعداد والقدرة على الكسب ثم تحمله آلام تلك الاماني على المركب الصعب، وهو طاعة الحسد بالايذاء والبغي فيكون من الهالكين

(ومنها) ماينال بالجد والسعي كالمال والجاه وهو المقصود بالنهي اولا بالذات، لان الاول يبعده عن المعقول، كأن من شأنه انه لايكون، ولا يشتغل بتمني هذا الا ضعيف الهمة ساقط المروءة، جاهل بقدر استعداد الانسان وآيات الجد والاستقلال ولايرضى الله تعالى للمؤمن ان يكون هكذا فهو يرشده الى علو الهمة وهو من شعب الايمان، ويهديه الى الاعتماد على ما أوتيه من القوى في تحصيل كل مايرغب فيه فالجاه الحقيقي انما ينال بالجد والكسب كالعلم النافع والمناصب وعمل المعروف وكذلك الثروة الاصل فيها أن تنال بالكسب والسعي، والموروث قلما يثبت وينمي والذين يتربون على الاستقلال كأهل امريكا وانكلترا يعتمدون على الطريف دون التليد حتى ان بعض الوارثين منهم راهن على كسب مقدار عظيم من المال يضاهي ثروته الموروثة بعد ان يخرج من جميع مايملك وضرب لذلك أجلا غير بعيد فما حلّ الاجل الا وذلك المقدار العظيم في يده وكان خرج من ماله كله حتى ثيابه وابتدأ عمله الاستقلالي بالخدمة في الحمام وهمم الرجال لايقف أمامها شيء ولكن اكثر الناس غافلون عن استعدادهم، يتكلمون على اجتناء ثمرة غيرهم، ولذلك نبهنا الفاطر جلّ صنعه بعد النهي عن التمني والتلهي بالباطل الى الكسب والعمل الذي ينال به كلٌّ أمله، فقال « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » فشرع الكسب للنساء كالرجال فأرشد كلاً منهما الى تحري الفضل بالعمل دون التمني والتشهي، وحكمة اختيار صيغة الاكتساب على صيغة الكسب أن صيغة الاكتساب تدل على المبالغة والتكلف، وهو اللائق في مقام النهي عن التمني والتشهي، كأنه يقول ان ماتطلبون من الفضل انما ينال بفضل العناية والكلفة في الكسب، لابما تثيره البطالة من أماني النفس، وما قيل من استعمال الكسب في الخير والاكتساب في الشر فأخوذ من

قوله تعالى (٢ : ٢٨٦ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وليس ذلك من معنى الصيغة في شيء وانما اختير في هذه الآية للاشارة الى أن الشر ليس من مقتضى الفطرة (راجع ص١٤٦ ج ٢ تفسير) وفي التعبير به في الآية التي نفسرها ارشاد الى المبالغة والتكلف في طلب الزيادة من المال والجاه وكل ما يتفاضل فيه الناس بأعمالهم بشرط التزام الحق ، وإرشاد الى اعتماد الناس في مطالبهم ورغائبهم على ما آتاهم الله من الاستعداد دون الكسل والتواكل واعتماد كل منهم على الآخر، والكتاب والسنة مؤيدان لذلك، فما أجدر المسلمين بأن يكونوا قدوة ومثلا للمستقلين ، فالمسلم بمقتضى إسلامه يعتمد على مواهبه وقواه في كل مطالبه مع الرجاء بفضل الله وتوفيقه ولذلك قال بعد الارشاد الى الاكتساب «واسألوا الله من فضله» أي ومهما اصبتم بالجد والاكتساب فلا ينسينكم ذلك حاجتكم الى الله تعالى بما عليكم أن تسألوه من فضله الخاص الذي لا يصل اليه كسبكم إما لجهلكم به أو بطرقه واسبابه وإما لعجزكم عنه كمن يجتهد في الزراعة أو التجارة فيدلي اليها بأسبابها التي ينالها كسبه ويسأل الله ان يتم فضله بالمطر الذي ينمو به الزرع ، واعتدال الريح ليسلم الفلك ، وهذا مما يجهله الانسان ويعجز عنه ،

ومن هنا تفهم حكمة تذييل الآية بقوله تعالى ﴿ ان الله كان بكل شيء عليما ﴾ فهو الذي علم الانسان بالالهام وبآياته في الانفس والآفاق كيف يطلب المنافع والفضل ، وكلما سأله بلسان الحال والاستعداد والعمل زاده من فضله لخزائن جوده لا تنفد «وان من شيء الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم» ولا يزال العاملون يستزيدونه ولا يزال ينزل عليهم من علمه مايفضلون به القاعدين البطالين ، وقد بلغ التفاوت بين الناس في الفضل حدا بعيدا جدا حتى كاد التفاوت بين بعض الشعوب وبعضهم الآخر يكون ابعد من التفاوت بين بعض الحيوان وبعض الانسان

ألا أذن تسمع وعين تبصر!! كيف يستولي العدد القليل من أهل الشمال الغربي على ألوف الالوف من أهل الجنوب الشرقي ويسخرونهم لخدمتهم كما يسخرون غيرهم من الحيوان ؟ أينكر أصحاب النفوذ الصوري والنفوذ المعنوي من أهل الجنوب

ان الامم التي حالوا بينها وبين طلب فضل الله بالعلوم والفنون والصناعات والثروة والسياسة تارة باسم المحافظة على الدين ، وأخرى باسم العبودية للأمراء والسلاطين ، قد خرجت السلطة عليها من أيديهم حتى لم يبق لهم منها الا القليل وما هذا القليل بالذي يبقى لهم ، اينكرون أنهم يتمنون أن يكون لهم من الملك والعزة والثروة والعلم مثل ما لأهل الشمال أوعين مالأهل الشمال ، اينسون أنهم كانوا فوقهم أيام كانوا هم أصحاب اهل اليمين ، أيجيز لهم الاسلام بعد ذلك الفضل الذي أصابوه بكسبهم ان يضيعوه ثم يقنعوا أنفسهم بالتمني والتشهي ؟ فإلى متى هذا الجهل وهذا الغرور !!

إنهم حالوا بين الامة وبين فضل الله في الدين كما حالوا بينها وبين فضله في الدنيا فمنعوا الاستقلال في فهم الدين وان تطلبه بلسان حالها واستعدادها ولوسألته لأعطاها الله إياه ، فنسأله ان ينصرها عليهم وما النصر الا من عند الله ،

قد قتل هذه الامة الحسد والتمني : كلما ظهرت آيات النبوغ في العلم أو العمل في رجل منها قام الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ويتمنون ما فضله الله به عليهم وان لم يكن لهم مثل مواهبه وكسبه ، يبدلون حسناته سيئات ، ويبغونه الفتن ويضعون له العثرات ، يستكبرون نعمة الله عليه ، ويحتقرون نعمته عليهم ، فلا يرونها أهلا لأن تدرك ما أدركه ، ولكنهم يصغرون بالسنتهم ما استكبروه في قلوبهم وادمغتهم ، ويعظمون باقوالهم ما يحقرونه في اعتقادهم ، يقولون ماهو فلان ، إنه لا يعلم إلا كذا وكذا مما يعلمه الصبيان ، وما هي اعماله التي تذكر له ، إنه ليقدر عليها كل الناس ، أو انه يقصد بها السمعة والرياء ، أو ظاهرها نفع وباطنها إيذاء ، ولكن ما بالهم قد اصبحوا منه في شغل شاغل ، ولماذا حملوا أنفسهم عناء الكيد له والمكر به ، ألم يروا شرا في الارض يسعون في إزالته إلا علمه الناقص ، وعمله النافع الذي يخشون احتمال ضرره ، ألا يحاسب الحاسدون انفسهم ، فيتبين لهم أنهم يسيئون اليها اكثر مما يسيئون الى محسوديهم ، ألا يجدون لانفسهم مصرفا عن نار الحسد التي تطلع على أفئدتهم ، قبل أن تأكل بقايا الرضا بقضاء الله وقدره ، وقسمته الفضل بين خلقه ، ؟ ألا لله در التهامي حيث يقول

إني لارحم حاسديَّ لفرط ما ضمت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار

ألا وإن دخول النار في الانسان قد تكون اشد من دخوله في النار، أو هي التي تحمله على التهوك والتهافت على النار، وما بال هؤلاء الحسدة الاشرار، يتمنون ما فضل الله به بعض قومهم عليهم، ولا يتمنون أن يكون لهم مثله أو مثل ما أوتيه الاقوام الآخرون، اني لا أرى علاجا للحاسدين الباغين في هذه الامة إلا نشر العلم الصحيح فيها حتى يميز الجمهور بين المصلحين والمفسدين، وان رؤساء البغي والحسد ليعلمون ان نشر العلم في الامة هو الذي يظهر جهلهم وسوء حالهم فهم لا يمقتون احدا مقتهم لمن يسعى في ذلك فهم يصدون عن سبيل العلم الصحيح وهي سبيل الله ويبغونها عوجا بما يلقنونه العامة من الخرافات والضلالات التي تخدر اعصابها وتبقيها على حالها، ولا نيأس من روح الله

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الاكراه على الاسلام بالسيف ﴾

(س ٢٧) من س. ع. التلميذ في مدرسة الحقوق بالآستانة

الى فيلسوف الاسلام وفخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاغر متعني الله بطول بقائه آمين

رأينا في الجريدة التي يصدرها محمد عبيد الله مبعوث آيدين في الآستانة مسألة

عجبنا من صدورها من مسلم وازداد عجبنا ضعفين اذ سمعنا ان كاتبها صاحب تلك الجريدة يعد من علماء الترك، ثم ازداد عجبنا اضعافا مضاعفة اذ بلغنا ان تلك الجريدة تصدر بمساعدة الحكومة ونفقتها وهي هي الحكومة الدستورية المؤلفة من هيئتين احداهما تسمى التشريعية وأخرى تسمى التنفيذية وكل منهما مؤلفة من المسلمين وغير المسلمين

تلك المسألة هي التي جعلها أعداء الاسلام أشد مطعن فيه وهي ادعاء ان الاسلام قام بالاكراه والاجبار لا بالدعوة والحجة وانه يجب على المسلمين الآن أن يكرهوا الناس على الاسلام بقوة السيف فقد قال في العدد الحادي عشر من تلك الجريدة المسماة باسم (العرب) ما نصه:

« إن اكبر مرشد في الاسلام هو النبي عليه الصلاة والسلام كان يحمل كتاب الله في يد والسيف في اليد الاخرى فكان اذا رأى من لا يقبل الحق الذي يدعوه اليه في الكتاب أرغمه بالسيف (!!!) فانتم يا معشر المرشدين المكلفين بوظيفة الارشاد « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »

«ثم ان الخلفاء الراشدين والامراء المرشدين الذين جاءوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام قد اقتفوا كلهم هذا الاثر الجليل » اه بحروفه الا كلمة اسوة في الآية الكريمة فكان مكانها في تلك الجريدة كلمة «قدوة» وهي بمعناها ولكن لا يجوز نقل القرآن بالمعنى وما أظن ان صاحب الجريدة تعمد ذلك وان كان يوجب ترجمة القرآن لانه لا يخفى عليه ان تعمد تغيير ألفاظ القرآن بمعناها في العربية كفر وردة مقررة عن الاسلام

فما قول المنار في هذه الدعوى؟: أحق ما يقول محمد عبيد الله أفندي وبعض الطاعنين في الاسلام من الافرنج في هذه المسألة أم هو باطل؟ إن قلتم بالاول فهل تقولون ايضا بما فرعه عليه محمد عبيد الله افندي من وجوب قيام خليفة المسلمين وجميع أمرائهم ومرشديهم باكراه غير المسلمين بقوة السيف (وما في معناه من المدافع والبنادق) على قبول القرآن واتباعه أم لا؟ ان قلتم نعم فلماذا يترك الخليفة وغيره من الامراء والمرشدين حكم دينهم والتأسي بنبيهم صلى الله عليه وسلم؟ وهل يجب على

مجلس المبعوثين في الدولة العلية ان يلزم الخليفة بذلك ام لا ؟ واذا كان يجب ذلك على المجلس وتركه فهل يكون أعضاء المجلس من المسلمين فاسقين بترك هذه الفريضة ام ماذا يكون حكمهم ؟ وان قلتم لا يجب ذلك فكيف تقولون بالاصل دون التفريع عليه ؟ افتونا وعلمونا مما علمكم الله

(ج) الحمد لملهم الصواب ونقول و بالله التوفيق : ان تلك الدعوى التي ادعاها صاحب تلك الجريدة باطلة بأصولها وفروعها ولا يقول بها من يعرف حقيقة الاسلام الا اذا تعمد الكذب والبهتان بقصد إيقاع الفتن بين المسلمين وغير المسلمين وإلجاء دول أوربا الى الاتفاق على الإيقاع بالدولة العلية ولا يعقل ان يأتي هذا من رجل عاقل له صفة رسمية في هذه الدولة ، فنحن لا نبحث في قصد كاتب تلك الجمل التي نقلها السائل ولا في درجة علمه ولا في التأثير السيء الذي يخشى أن يثيره صدورها من مثله ، ولا في صحة ماشاع من اعانة الحكومة على نشر جريدته وانما نخص كلامنا فيما هو اللائق بباب الفتوى من بيان الحقيقة فنقول

بينا الحق في هذه المسألة في مواضع متعددة من المنار والتفسير خاصة ولاسيما تفسير آيات القتال في سورة البقرة وكذا تفسير «لا إكراه في الدين» منها فراجع تفسير (٢: ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا الآيات من (ص ٢٠٣ الى ٢١٢) من جزء التفسير الثاني، وتفسير (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين) من (ص ٣٥ - ٤٠) من جزء التفسير الثالث . ولا يذهبن ظنك الى ان حكمنا على من يذهب الى هذا الرأي بالجهل أو سوء القصد حكم بدا لنا الآن نريد ان نلصقه بهذا الرصيف الجديد، كلا ان هذا هو رأينا منذ سنين طويلة فراجع ان شئت (ص ٢٠٥ ج ٢ تفسير) تجد فيها ان المسلمين لم يكونوا في قتالهم في زمن النبي (ص) الا مدافعين وانا قلنا بعد هذا البيان مانصه « وهل يصح ان يقال فيهم انهم اقاموا دينهم بالسيف والقوة، دون الارشاد والدعوة؟ كلا لا يقول ذلك الا غرٌّ جاهل، أو عدوٌّ متجاهل » ولا تنس مانقلناه بعد ذلك عن الاستاذ الامام في (ص ٢١٠ و ٢١١) من هذا الجزء وكذا في (ص ٣٩) من الجزء الثالث من التفسير ومنه قوله في آخره « ولا التفات لما يهذي به العوام، ومعلموهم الطغام ، اذ يزعمون ان الدين قام بالسيف وان الجهاد مطلوب لذاته فالقرآن في جملته وتفصيله

حجة عليهم » واذا راجعت الجزء الرابع من التفسير تجد فيه بيانا لهذه المسألة أيضا

والاصل في هذه المسألة قوله تعالى (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وهي مدنية وقوله تعالى (١٠: ٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومثل قوله تعالى (٨٨: ٢١ فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) وقوله عز وجل (٥٠: ٤٥ وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وكذلك تقييد آيات القتال بجعله دفاعا والنهي عن الاعتداء فيه كآية (١٩٠) من سورة البقرة التي ذكرنا معظمها آنفا والراجح في علم الاصول ان المطلق يحمل على المقيد وعليه الشافعية .

والسنة العملية تؤيد هذه النصوص الواضحة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن احدا من المسلمين له بحرب ابدا وانما كانت غزواته كلها دفاعا فكان المشركون قبل فتح مكة حربا له وللمؤمنين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وكانوا يجهزون الجيوش فيسوقونها اليهم في دار الهجرة ليستأصلوهم كما فعلوا في بدر وأحد والخندق فهم معهم في حرب دائمة يصيب منهم ويصيبون منه فلما رضوا منه بالصلح عشر سنين فرح بذلك ورضي منهم بأشد الشرائط وأثقلها على المؤمنين وهو في قوة ومنعة منهم قادر على الحرب وسبق له الظفر فيها، ثم كان المشركون هم الذين نقضوا الميثاق

وقد بلغ من تقرير الاسلام السلام ان شدد في المحافظة على عهوده الى درجة ليس وراءها غاية وهي ان المشركين الذين عاهدوا المسلمين المهاجرين اذا وقع قتال بينهم وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وطلب هؤلاء المسلمون من اخوانهم المهاجرين ان يعينوهم على المشركين المعاهدين لهم فانه يحرم نقض عهدهم بمساعدة المسلمين عليهم قال تعالى (٨: ٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)

كنت أظن ان محمد عبيد الله افندي من أوسع علماء الترك اطلاعا على السيرة النبوية الشريفة لأنه من أعلمهم باللغة العربية نفسها لاقامته الطويلة في البلاد العربية فكيف راجت عليه هذه الدسيسة الاوربية والاوهام العامية؟ ليأتنا بحديث واحد في اثبات دعواه ان النبي (ص) كان يأخذ القرآن في يد والسيف في أخرى و يعرض القرآن

على من يلقاه فان آمن والا أنحى بالسيف على هامته ففلقها. ما رأينا حديثا في ذلك صحيحا ولا حسنا ولا ضعيفا بل لم نرَ ذلك في الموضوعات التي كذبوها عليه صلوات الله وسلامه عليه!!

هل يمكن ان يقول مثل عبيد الله افندي انه استنبط ذلك من حرب الصحابة اذ كانوا يعرضون على من يتصدون لحربهم الاسلام فان لم يجيبوا فالجزية فان لم يقبلوا كان السيف حكما بينهم وبينهم ؟! ما أراه يجرأ على القول بأن هذا يؤيد قوله ذاك وان سلمنا له انه من السنة المتبعة . إن اتباعهم لهذه الطريقة إنما كان بعد تقرير الحرب والتصدي لها وانما كان سبب الحرب بين الخلفاء الراشدين وبين الروم والفرس اعتداء الروم والفرس لا اعتداء الصحابة العاملين بقوله تعالى « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » والذين صاروا بمقتضى هذه الآية وأمثالها يكرهون القتال وان فرض عليهم لضرورة المدافعة عن انفسهم ودينهم وتأمين دعوته كما شهد الله لهم بذلك في قوله (٢:١٠٥ كُتب عليكم القتال وهو كُرهٌ لكم)

ذلك بأن الروم والفرس كانتا أمتي حرب وقد ضريتا بما جاورهما من جزيرة العرب فأظلت سلطة كل منهما بعض العرب المجاورين لها لذلك وللعصبية الدينية ساءهما دخول أكثر العرب في الاسلام وتجدد دولة لهم تابعة لدين مبين فكان كل منهما يهدد دعوة الاسلام في جواره ويعتدي على المسلمين فلم يكن للمسلمين بدٌّ من محاربتهم . ولما كان المسلمون يجوزون قبل الشروع في كل قتال أن يمتنع بأحد السببين : إسلام المحاربين لهم أو الخضوع لهم بدفع شيء من المال لا يثقل دفعه الا على من وثق بقوته على الحرب ، لمنع دعوة الاسلام الجديدة من الانتشار في الارض ، فكانوا يعرضون أحد هذين الامرين والحرب مقررة قبل ذلك بما سبق من الاعتداء ، ولم يكن عرضها هو السنة المتبعة في الهداية والارشاد ، فان النبي (ص) دعا كسرى وقيصر وغيرهما الى الاسلام ولم يهددهما بالسيف وانما دعاهما بالحكمة والموعظة الحسنة اتباعا لما أمره الله تعالى به في قوله (١٦:١٢٥ ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

لو ذكر محمد عبيد الله افندي عبارته تلك في سياق الكلام عن الجهاد واحكامه

لتيسر لنا ان نتمحل لها تأويلا ولكنه ذكرها في سياق الارشاد وذكر العلماء المرشدين في صحيفة قال إنه أنشأها لارشاد العرب وحثهم على إرشاد العالم فما هي المناسبة لذكر السيف والارغام على قبول الحق وإنما موضع الحق القلوب وهي لا يصل اليها السيف بل السيف وذكر السيف مما يزيدها نفورا ، ويجعل بينها وبين الحق حجرا محجورا !،

ليست هذه المسألة هي التي شذّ فيها وحدها هذا الرجل فان له شذوذا في مسائل أخرى دينية وتاريخية كادعائه أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ماتمت ولا تتم الا بترجمة القرآن الى جميع اللغات ! ، وكادعائه ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى آية للعالمين معجزا للبشر على ممر السنين ، بترجمته الى التركية والفارسية وغيرهما من اللغات وان كان المترجم يترجم بحسب فهمه فيختلف مع غيره فيكون لكل أهل لغة قرآن ، وان كانت الترجمة لا يمكن ان يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله ولا يصح التعبد بتلاوتها ولا يتحقق فيها غير ذلك من خصائص القرآن !!!. وقد سبق لي مناظرة معه في هذه المسألة بمصر منذ سنين ، وكانكاره أن للبشر أرواحا مستقلة هي غير الجسم المحسوس وأعراضه وقد ناظرته في ذلك بدار الشريف علي حيدر بك ناظر الاوقاف ، وكادعائه ان جميع العرب مسلمون وإنكاره ان يكون في النصارى عربي واستدلاله على ذلك بعبادتهم لرجل يهودي او قال اسرائيلي (يعني السيد المسيح روح الله ورسوله عليه الصلاة والسلام) فلا عجب ان يشذّ في مسألة السؤال ولكن العجب من جرأته على نشرها في صحيفة تنشر في عاصمة المملكة حيث المحكمة العرفية العسكرية المراقبة لكل ما يحدث التنافر بين العناصر العثمانية المختلفة في اللغات والاديان وللسياسة اسرار ولا بحث لنا فيها الآن !!

مما يقوي فراستنا في سريان هذه المسألة الى قائلها من بعض الكتب الاوربية الطاعنة في الاسلام أنها تكاد تكون ترجمة لعبارة قالها بعض أولئك الطاعنين في مؤلف له واشار الاستاذ الامام الى الرد عليها في رسالة التوحيد فانه بعد ان قرر قيام الاسلام بالدعوة والحجة ، وانتشاره السريع بموافقته للفطرة ، قال رحمه الله تعالى في الرد على قائل تلك العبارة وامثاله مانصه :

« قال من لم يفهم ما قدمناه أو لم يرد ان يفهمه : ان الاسلام لم يعطف على قلوب العالم بهذه السرعة الا بالسيف فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن باحدى اليدين والسيف بالاخرى يعرضون القرآن على المغلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته . سبحانك هذا بهتان عظيم ، ماقدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطانهم هو ماتواترت به الاخبار تواترا صحيحا لايقبل الريبة في جملته ، وان وقع اختلاف في تفصيله ، وانما اشهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن أنفسهم ، وكفا للعدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم الا انهم جاوروهم وأجاروهم فكان الجوار طريق العلم بالاسلام وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه

« لو كان السيف ينشر دينا فقد عمل في الرقاب للاكراه على الدين والالزام به مهددا كل أمة لم تقبله بالابادة والمحو من سطح البسيطة مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة اسمى درجة كانت تمكن لها وابتدأ ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة اجيال أو يزيد فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن . هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لايتقدم خطوة الا والدعاة من خلفه يقولون مايشاؤن تحت حمايته مع غيرة تفيض من الافئدة وفصاحة تتدفق عن الالسنة ، وأموال تخلب ألباب المستضعفين ، ان في ذلك لآيات للمستيقنين . جلت حكمة الله في أمر هذا الدين : سلسبيل حياة نبع في القفار العربية ، ابعد بلاد الله عن المدنية ، فاض حتى شملها فجمع شملها فأحياها حياة شعبية ملية ، علا مده حتى استغرق ممالك كانت تفاخر أهل السماء في رفعتها ، وتعلو أهل الارض بمدنيتها ، زلزل هديره — على لينه — ما كان استحجر من الارواح فانشقت عن مكنون سر الحياة فيها . قالوا كان لا يخلو من غلب « بالتحريك » قلنا تلك سنة الله في الخلق لاتزال المصارعة بين الحق والباطل والرشد والغي قائمة في هذا العالم الى ان يقضي الله قضاءه فيه ، اذا ساق الله ربيعا الى ارض جدبة ليحيي ميتها ، وينقع غلتها ، وينمي الخصب فيها ، أفينقص من قدره أن أتى في طريقه على عقبة فعلاها ، أو بيت رفيع العماد فهوى به ؟ »

* * *

﴿ حديث منع الدين بنصارى من ربيعة ﴾

(س ٢٨) من الشيخ محمد بن سالم الكلالي بسنغافوره

سيدي الاستاذ المحدث السيد محمد رشيد رضا المحترم متع الله المسلمين بحياته

بعد السلام : قد اشكل على العبد الفقير ماجاء في الصفحة الـ ٣٣٣ من الجزء الخامس من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبدالله بن عمر القرشي حديث : ان الله يمتنع (كذا) هذا الدين بنصارى من ربيعة . انتهى فما هو صواب عبارة هذا المتن ثم ما معناه وهل هو صحيح ام لا ؟ أفيدونا لازلتم مصدرا للافادات في المشكلات والسلام

(ج) صواب متن الحديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » فالتحريف من الطبع فيما يظهر والنسخة المطبوعة عندي بمصر ولاأعلم انها توجد هنا (في الاستانة) ومعنى المنع الحماية ومنه منع الانصار النبي (ص) مما يمنعون منه نساءهم وأهليهم في حديث الهجرة أي حمايته . وهو يحمل على من أسلم منهم . وأما سنده فقد رواه عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص واخرجه عنه النسائي ورجاله كلهم في تهذيب التهذيب لديكم فراجعوا تراجمهم فيه وفي غيره مما لديكم ومارأاه يصح عنه ولكن ليس لدي الآن وأنا في السفر ماأراجع فيه ولا الحديث من المشهورات فيحفظ ولا هو مما يتعلق به عمل فيضر تأخير البيان فيه

باب المقالات

قوة الاجتماع والتعاون (*

الاجتماع والتعاون قوة لاتغلب الا بقوة مثلها ، قوة بها ترتقي امم وتعتز ، وبها يسود قوم على قوم ، وبها تنمي الثروة ، وبها يتغير شكل الحكومة والدولة ، وبها كان كل شيء ويكون كل شيء

عشرة مجتمعون متعاونون ، يغلبون المئين والالوف من المتفرقين المتخاذلين ، اذا ألفوا شركة مالية قطعت اسباب الكسب على اضعاف أضعافهم في العدد من التجار ، واذا كوّنوا عصبة للبغي والعدوان سلبوا راحة الالوف من الناس ، واذا قاموا بالاعمال الاجتماعية احدثوا تغييرا عظيما في العمران ، واذا نشروا العلوم والفنون افادوا مالايفيده الكثيرون من العلماء الاعلام

لماذا كانت الحكومة الاستبدادية القليل افرادها أقوى من الامة الكثير عددها ؟ أليس لأن الحكومة جماعة متعاونة ، والامة أفراد متفرقة ؟ ولماذا كانت الامة الدستورية أقوى من حكومتها ؟ أليس لاجتماعها على رأي واحد في شكل الحكومة وكيفية سيرها ؟ فالى متى يظل المنحطون من الامم والشعوب غافلين عن هذه الحقيقة جاهلين طريق هذه القوة — قوة الاجتماع والتعاون — التي بها يرتفع شأنهم ، ويعلو قدرهم ، ويساوون تلك الامم التي ينظرون اليها كما ينظر أهل الارض الى الكواكب اللامعة في جوّ السماء ، ويحسدونها على ما أوتيته من السناء والبهاء ،

---

*) نشرنا هذه المقالة ومايليها بجريدة الحضارة التي تصدر بالاستانة

وهذه أخبار التأريخ الماضية ، وحوادث الاجيال الحاضرة ، تعلمهم ان الاجتماع مع التعاون هو القوة التي تذهب بشقائهم ، وتشفيهم من أدوائهم ، وتحقق لهم أمانيهم التي يتمنون ، وتعبر لهم الرؤى الصالحة التي يرون ،

لو أردت ان أبين فوائد الاجتماع والتعاون بطرق الخطابة أوالشعر لاحتجت الى انشاء الدواوين ، ولو أردت ان اجمع الشواهد والوقائع في فضلها لصنفت الاسفار الكثيرة في التواريخ ، ولكنني لا أريد هذا ولا ذاك ، إن أريد الا تذكير القارئين بمسألة صارت من الضروريات ، لايحتاج فيها الى نظم الادلة وترتيب المقدمات ، أريد ان أذكرهم ليعملوا ، لا ليعلموا مالم يكونوا يعلمون ، ولا لأجل ان يتسلوا عند الفراغ بما يقرؤون ، أريد ان أقول لهم ياقوم انكم ضعفاء في العلم وانتم أذكى الناس أو من أذكاهم ، وانكم فقراء وانتم اقدر البشر على الكسب أو من أقدرهم ، وانكم مهضومون مستضعفون ، لغير ذنب تجنون ، الا تفرقكم وتخاذلكم . انه لاينقصكم الا الاجتماع والتعاون فاجتمعوا وتعاونوا ، ولا يفرقن بينكم اختلاف ديني ولا جنسي مع العلم بأن الحاجة أو الضرورة تقضي باجتماعكم على مابه قوام مصلحتكم المشتركة

لاأدعوكم الى اجتماع مبهم أو خيالي ، ولا الى تعاون مطلق أو اجمالي ، بل أدعوكم الى الاجتماع لازالة موانع الاجتماع ، ثم للتعاون على ترقية شأن الاجتماع بالعلم والثروة واعلاء شأن الامة والدولة ، بأن تكونوا أصحاب القدح المعلى الذي يؤهلكم له ذكاؤكم الفطري وأخلاقكم الموروثة التي ينوه بها التأريخ ، اذ يفاخر بأجدادكم جميع الامم والشعوب :

ياقوم ان لكم من مجد اولكم ... ارثا قد أشفقت ان يفنى وينقطعا
ياقوم بيضتكم لا تفجعن بها ... اني أخاف عليها الازلم الجذعا

ان الدولة لاترتقي ولاتعتز الا بالامة وان الامة بأخلاقها وعلومها وثروتها ، وان الوراثة اكبر عون للمرء على التربية والعلم والعمل ، فتعاونوا على نشر التعليم والتربية ، تعاونوا على ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، فقد آن لكم أن تخرجوا من مأزق الاعمال الفردية الى فضاء الاعمال الاجتماعية ، فلو صار كل واحد منكم أغنى من قارون ، وأعلم بالحكمة من لقمان ، واخطب في العلوم الالهية والحكمة الادبية من علي

ابن ابي طالب ، وأعدل من عمر بن الخطاب ، وأدهى في السياسة المصرية من بسمرك ، وانشط من غليوم ، لما اعترف لكم أحد بحق ، ولا مكنكم أحد من الاصلاح في الارض ، الا بعد ان تجتمعوا وتتعاونوا

يجب ان تؤلفوا الشركات المالية ولا تنسوا بها المعنى الاجتماعي الادبي ، لاتنسوا انكم اذا خلطتم أموالكم بعضها ببعض تختلط أرواحكم بعضها ببعض فيزول سوء تأثير الاختلاف الطبيعي بينكم سواء كان اختلافا في الدين والمذهب ، أو الجنس والمشرب

يجب ان تؤلفوا الجمعيات العلمية والخيرية لتعميم التربية والتعليم بين جميع الطبقات ليكون افراد الامة كسلسلة اذا تحركت حلقة منها تحركت سائر الحلقات

يجب ان تطالبوا الاغنياء ببذل الاعانات العظيمة لنشر العلم وانشاء المدارس فمن بخل على الامة بفضل ماله فعليكم ان تبينوا للامة أنه عدوها وانه يجب عليها ان تمقته وتحتقره ، وأما من يجود عليها بما يرفع شأنها فعلموها كيف تعظم شأنه وترفع قدره ، استعينوا على هذا بالكتاب والشعراء ، فهم الذين يربون لكم الاغنياء ،

يا أصحاب الاقلام : ان في أيديكم قوة تعمل مالاتعمل السيوف والمدافع ، ان من تعظمونه بالحق يكون قدوة واماما في الخير لاهل عصره ، ولمن يأتي من بعده ، وان من تحقرونه ولو بالباطل يكون محتقرا في زمانه ومحتقرا في التأريخ حتى تستحي ذريته ان تنتسب اليه فاعرفوا قيمة انفسكم كما عرفها بشار اذ قال :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... اني أخاف عليكم أن أغضبا
أبني حنيفة انني ان أهجكم ... أدع اليمامة لا تساوي أرنبا

اعرفوا قيمة هذه السلطة المعنوية التي لاتظهر قوتها على كمالها الا في الجرائد واستعملوها في اصلاح حال الامة فبذلك يعلو قدركم ، ويرتفع ذكركم ، وتنالون من الناس احسن الشكر ، ومن الله تعالى اكبر الاجر ،

وأنتم يا أصحاب الجرائد أولى أصحاب الاقلام بهذا العمل لان صحفكم تجعل لكلامكم من التأثير ماليس لكلام غيركم الذي لاتقبلون نشره فيها فرضوا

الكتاب والشعراء على هذا الاصلاح ونوهوا بفضل من يساعدكم عليه ولا تبالوا بمن عداه بل أدبوه كما تؤدبون بخلاء الاغنياء

يا أصحاب الجرائد: لاتفتننكم سياسة الحكومة فتجعلوا عنايتكم محصورة في أعمالها وأقوالها، اجعلوا جل عنايتكم في اصلاح حال الامة فلن تصلح دولة أمتها جاهلة متخاذلة، فباصلاح الامة يتم لكم ماتريدون من اصلاح الحكومة فهي كل شيء ويجب ان يكون لأجلها كل شيء

* * *

كيف تنال الأمة حقوقها؟

ان للأمم حقوقا طبيعية وشرعية ، وان حقوقها كحقوق الافراد تغصب منها وتغلب عليها ، وان الغاصب لها قد يكون واحدا منها أو واحدا من غيرها وقد يكون جماعة منها أو من غيرها ، واعني بالفرد الذي يغصب حق الامة الحاكم المستبد المطلق ، الذي يرجع اليه الأمر كله في سياستها، ان شاء عدل ، وان شاء ظلم ، وان شاء أشرك غيره بالحكم ، وان شاء انفرد ، وأعني بالجماعة الحكومة المقيدة كيفما كان شكلها ونوعها ،

اذا ظُلم الافراد وغصبت حقوقهم يختصمون الى الحكام فاما ان ينصفوهم واما ان لا ينصفوهم ، واما الامم فليس لها محاكم تختصم اليها ، لان حكامها هم الذين يغصبون حقوقها ، وماذا تفعل وخصمها هو الحكم ، وكيف تنتصف منه اذا جار وظلم ، ؟ ومتى تسترد حقوقها منه اذا اعتز وغلب ؟

لا تنال حقوق الامم بنظم الأقيسة وترتيب المقدمات ، واقامة الحجج وايراد البينات ، ولا بالرجاء والتعليل ، ولا بالبكاء والعويل ، لان الغاصب لايكون فاضلا عادلا فيقنعه البرهان، ولا رؤفا رحيما فيؤتى من ناحية الوجدان ، وانما يكون فظا غليظ القلب ، لايخضع الا للقوة والبأس ، فيعطي بالقوة كما يأخذ بالقوة ،

كيف تصير الامة المغلوبة على أمرها ذات قوة تسترد بها حقها ، اذا كان الحاكم واقفا لها بالمرصاد ، مانعا إياها بقوته من إيجاد قوة لها ، ؟ اقول ان اليأس

من قوة أمة هذه حالها اقوى من الرجاء فيها ، أم نقول يجب أن تثور على حكومتها ثورة تشيب النواصي ، وتزلزل الرواسي ، وتجعل الرفيع وضيعا ، والذليل عزيزا ؟ أم هنالك حيلة اخرى يكتفى منها بالقوة المعنوية ، عن القوة المادية ، ؟

هذه المعاني قد انتقلت من أوربا الى الشرق ، وكثر الحديث بها في هذا العصر ، ولا سيما بعد الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي ، وربما تكون قد جالت في ادمغة زعماء الارنؤط الذين أوقدوا نار الفتنة في هذه الايام ، وكانوا عونا على الدولة وعلى انفسهم ، لاولئك الاعداء الذين أجمعوا كيدهم على اسقاط هذه الدولة بل على محوها واقتسام تراثها بدون حرب طحون تسفك فيها دماؤهم ، وتغتال بها اموالهم ، فهم انما يحاربونها حربا معنوية ، يغرون عناصر أمتها بالعداوة والبغضاء ، ويضربون بعض أعضائها ببعض حتى تقضي على نفسها قضاء وشيكا أو بطيئا ،

يقول لسان حال هؤلاء الساسة أو لسان مقالهم للترك انكم انتم الفاتحون وأصحاب السيادة القادرون ، ولا حياة لكم ولا شرف ، بل لا بقاء لكم ولا وجود الا بتعصبكم لجنسكم ، وجعل زمام الامة في أيديكم ، فان هذه المزية اذا فاتتكم تكونون وراء سائر العناصر المنسوبة الى دولتكم ، لانهم أقدر منكم على الكسب، ولا تقدرون أن تسبقوهم بالعلم ، فاعتمدوا على هذه الكتائب قبل الكتب ، فهي التي تحفظ لكم السيادة على العجم والعرب ،

ويقولون للعرب انكم العنصر الاكبر في هذه الدولة ، ولكم الحق الاول في السلطة والخلافة ، وبلادكم قلب الارض ، وموطن الدين ومهبط الوحي ، ولغتكم لغة القرآن الذي يدين به فيتعبد بها ثلاث مئة مليون من الناس ، ولكم من السلف في المدنية والعلم ، ما يدل على ان استعدادكم اعلى من استعداد الترك ، بل ومن غير الترك من شعوب الارض ، وهم قد خربوا بلادكم بعد عمرانها ، وحالوا بينكم وبين الاستفادة من كفاءتكم ومزاياها ، وقد آن أوان طلب الحقوق ، والمؤاخذة على العقوق

ويقولون للارنؤط انكم شعب مجيد ، وانكم أولو قوة وأولو بأس شديد ، وانكم أقوى من الترك استعدادا للمدنية ، لانكم من الشعوب الاوربية ، وبلادكم

قابلة لذلك اذا هي استقلت بالحكم ، وألقت عن كاهلها اثقال سلطة الترك ، فدونوا لغتكم بالحروف اللاتينية ، ولتتحد البلاد الشمالية بالجنوبية ، وستنالون كل أمنية ، بمساعدة أوربا عاشقة الانسانية !!!

ويقولون للارمن انكم اذكى العثمانيين أذهانا ، وأطلقهم لسانا ، وأجرأهم جنانا ، واقدرهم على الكسب والاعمال ، واسبقهم الى الاتحاد على طلب الاستقلال ، وقد جمعتم لذلك ماجمعتم من المال ، ووكنتم في عصر نيرون الترك ما وكنتم من الاهوال ، حتى اقتحمتم العقاب ، وذللتم الصعاب ، فلا تهنوا ولا تنوا في الامر ، ولا يصدنكم ماتنالون من الدولة عن طلب الملك ، وان اوربا المسيحية ، لزعيمة لكم بتحقيق هذه الامنية ، فخذوا الاهبة وانتظروا الفرصة ، وأعدوا لها الشعب كله ، بتعليم المدارس ، ووعظ الكنائس ، ووضع صور ملوككم ، وصور يتامى وأرامل المقتولين منكم ، في بيوت عامتكم وخاصتكم ، مع تحريك الاشجان ، واثارة الاضغان ، بالأناشيد والالحان ،

ذلك مايوسوس به شيطان السياسة الجنسية ، في اغراء الشعوب العثمانية ، وما هو الا كيد وخداع ، جدير بالعصيان لا بالاتباع ، وأما ملك الالهام ، الداعي الى الوفاق والسلام ، فانه يصيح بهؤلاء الاقوام : لا تستحبوا العمى على الهدى ، واستجيبوا لداعي العقل دون داعي الهوى ، واعلموا ان تفرقكم وانقسامكم ، وعداءكم وخصامكم ، وإلجاء الدولة الى تفريق قوتها في بلادكم ، لمقاومة فتنكم وثوراتكم ، هو الذي يحول دون ارتقائها وارتقائكم ، ويفضي والعياذ بالله الى هلاكها وهلاككم ، ووارث الدول الاوربية لارضكم ودياركم ، ووالله إنكم لتكونن حينئذ أبعد عن الاستقلال ، واقرب الى الخزي والنكال ، انكم تملكون اليوم في حجر هذه الدولة جميع اسباب الارتقاء ، ولا تملكون غدا في حجور اوربا الا اسباب التدلي والاستخذاء ،

لا مرحبا بغد ولا أهلا به ... ان كان (تفريق العناصر) في غد

لا أقول ان الدولة نفسها ترقيكم ، بل اقول انه لايرجى ان ترقيكم ، لا لانها لاتريد ، بل انها ان ارادت لاتقدر ، وانما يجب عليكم ان ترقوا انفسكم ، وترقوها بترقيتكم ، فقد صار أمرها في أيديكم ، نعم ان العنصر التركي هو الذي يدير اليوم

أمر الحكومة ، لأن له الكثرة في مجلس الامة ، وان منكم من يسيء الظن به ، ويعده غاصبا لحق غيره وما نما له من الوصول الى مطلبه ، وان هؤلاء ليكبرون الصغير ، ويغفلون عن الامر العظيم ،

الخطب سهل والأمر طبيعي ولا ضرر في كون الغلبة في الحكومة لعنصر يرجح قومه على غيره في الاعمال ، وانما الضرر ان يكون أمر الحكومة في ايدي العاجزين عن الاصلاح ، وان القادرين عليه من جميع العثمانيين لقليلون ، وانا الآن في دور تجربة فندعهم يجربون ، ولا يجوز لنا ان نتمادى في سوء الظن ، ولا ان نؤاخذهم على كل ذنب ، فنجعل ما يقترفه الشخص ذنبا للعنصر والشعب ، بل يجب على العقلاء المحبين للاصلاح العناية بامرين احدهما يتعلق باصلاح الحكومة والآخر يتعلق باصلاح الامة

اما اصلاح الحكومة فله طريقان لابد من الجمع بينهما ، أحدهما حسن اختيار المبعوثين ، وأعضاء المجالس العمومية ، وثانيهما مراقبة العقلاء واصحاب الجرائد للحكام والعمال في النظارات عامة ، ونظارة المعارف خاصة ، والانتقاد على الظالمين والمفسدين منهم ، والسعي في زلزالهم ولا يتم شيء من ذلك الا بالاجتماع والتعاون

وأما اصلاح الامة فله طريقان ايضا لابد من الجمع بينهما ، احدهما نشر التعليم الاهلي مع التربية الصالحة ، وثانيهما الاعمال المالية التي تنمي ثروة البلاد ، ولايتم شيء منهما الا بالاجتماع والتعاون ،

قد اشرت في مقالة (الاجتماع والتعاون) الى شيء مما يتعلق بالتربية والتعليم والاستعانة على ذلك بالاغنياء ، وانما قصدت بذلك تنبيه الاذهان ، وتوجيه الهمم وتحريك الاقلام ، دون التفصيل والاستقصاء ، وعسى أن أبين في مقال اومقالات أخر كيفية الاجتماع والتعاون على كل من اصلاح الحكومة واصلاح الامة بشيء من التفصيل ، وأحوج العثمانيين الى ذلك العرب والترك والكرد والارنؤط ، وأما الارمن والروم والبلغار واليهود فلهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وطرق معبّدة هم فيها يهرعون ، فلا يحتاجون الى رأينا ، ولا الى معرفة طرق تعليمنا وسعينا ، بل نحن المحتاجون الى معرفة سعيهم ، وطرق تربيتهم وتعليمهم

ان الاجماع والتعاون على ذينك الاصلاحين هو الامر العظيم الذي غفل عنه الذين يتحدثون ويكتبون في مسألة حقوق العناصر ، هو القوة المعنوية التي تغني عن الثورة ، وتنال الامة به من حقوقها ما لاينال بالسيف والمدفع ، مع امن الخطر على الدولة ، التي يجب الاتفاق على حفظ كيانها ، وتعزيزها ورفعة شأنها ، قبل كل سعي ، ومع كل سعي ، و بعد كل سعي ،

يسمع في البلاد العربية قليل من الكلام ، ويوجد في بلاد الارنؤط كثير من السلاح ، وكذلك في صحاري الجزيرة والعراق ، ولا تصلح البلاد بهذا ولا ذاك ، على ان السلاح هنا وهناك لم يقتنَ للاستعانة به على الاصلاح ، وانما اقتني ليكافح ويدافع به الناس بعضهم بعضا وقد يسلونه في وجه الحكومة اذا أحسوا بالظلم ، وكانت الحكومة ولا تزال بشؤم الماضي عاجزة عن تأمين تلك البلاد وحماية الأعزل فيها من عدوان شاكي السلاح ، وأما البلاد التي يشكى فيها من الحكومة ويطالب بعض العناصر فيها بحقوقه فهي أشد البلاد اخلاصا للدولة ، وأبعدها عن الخروج والفتنة ، اما العرب فقد خرج صوتهم من عاصمة الملك ، ورددت صداه سورية ومصر ، وهل يوجد أحد أعرف من العاصمة وسورية ومصر بقيمة الدولة واغير عليها وأحرص على عزتها ورفعة شأنها ؟ كلا وانما ذكرت هذه الجملة استدراكا على كل ما تقدم ، لأبين ان الباحثين في حقوق العرب اكثرهم في هذه البلاد ، وانهم اعرق العثمانيين في الغيرة والاخلاص ، على ما كان من سوء التفاهم بينهم و بين القابضين على ازمة الأمور كابينا ذلك بالتفصيل في مقالاتنا «العرب والترك» بحسب ما اداانا اليه اجتهادنا الى ذلك الوقت ،

نحن نعتقد ان الاسلام قد حرم العصبية الجنسية ، وجعل المسلمين أخوة على اختلاف أجناسهم وعناصرهم ، وكنا نعتقد ان أشد التعصبات الجنسية ضررا على على المسلمين في هذا العصر تعصب العرب والترك للعربية والتركية ولذلك سعينا هنا (في الآستانة) جهدطاقتنا بالقول والكتابة ، لسد هذه الثغرة التي فتحتها السياسة ،

وقد قلت ولا أزال أقول إن الاسلام قد أبعد العرب عن النعرة الجنسية حتى صاروا أبعد الامم عنها ، وانه لايقدر أحد على اعادتها اليهم أو اعادتهم اليها ،

اللهم الا من يتحاملون عليهم من الترك فهم وحدهم القادرون على هذا الامر ، وقد عجز عنه الافرنج اذ حاولوه من قبل ،

ان سيرة ساسة الترك ومتولي أزمّة امورهم وكتاب اشهر جرائدهم هي سيرة من يريد تحريك الجنسية العربية لا مفر من ذلك الا بادعاء كونهم لا يعلمون ماذا يعملون ، فاذا تحقق هذا فان نهي مثلي عن نهوض العرب باسم العرب ماعاد له فائدة . فما عليَّ اذًا الا أن أذكرهم في جنسيتهم بأمرين لامندوحة عنهما . ولايمكن ان يحل محل العرب سواهم فيهما . أحدهما جعل أساس نهضتهم تعزيز الدولة العلية ، وثانيهما ان يكونوا حلقة التعارف والاتصال بين جميع الشعوب الاسلامية ، فالامر الاول يجب على المسلم وغير المسلم منهم لانهم العنصر الاكبر لهذه الدولة ، والامر الثاني يجب على مسلميهم خاصة لانهم أولى بالارشاد الاسلامي وأقدر عليه من غيرهم ، وهم بهاتين الوظيفتين المقدستين لايقاسون على أمة ولا على شعب ولايقاس عليهم غيرهم ، فحقوقهم اعظم ، والواجبات عليهم اثقل ، وامامهم الصراط المستقيم ، فليتبعوه إن كانوا فاعلين ، والله الموفق والمعين .

* * *

النهضة المصرية والدستور

مصر بلاد ممتازة في ادارتها الداخلية، تابعة للدولة العلية العثمانية، فكل مصري عثماني ، وما كل عثماني مصريا ، فبينهما العموم والخصوص المطلق كالمهندس والمتعلم مثلا ، فكل مهندس متعلم، وما كل متعلم مهندسا

مرَّ على العثمانيين والمصريين زهاء ثلث قرن وهما على طرفي نقيض ، أو حرفي تباين ، إذ هؤلاء يرسفون في قيود العبودية ، وأولئك يرفلون في حلل الحرية ، ثم تحول شكل الحكومة العثمانية فجأة فطفرت من هاوية الاستبداد المطلق ، الى قنة الحكم النيابي المقيد ، فأحدث هذا الطفور شيئا من رد الفعل فقامت الحكومة العرفية تحوط وتحمي حمى الحكومة الدستورية ، فلولا الجند العثماني لما ذكر الدستور جهرا

في هذه البلاد ، ولولا الجيش لما طمع احد في استقرار الدستور فيها ،

وأما مصر فكانت تنطق اذ كانت البلاد العثمانية صامتة واجمة، وكان العثماني الحر لايستطيع ان يتكلم في بلده ؛ فالمصريون قد طلبوا الدستور بصوت اندى من صوت العثمانيين واصرح ، هم طلبوه جهرا إذ كنا نطلبه سرا ، ولكن لم يكن لهم جيش كجيشنا يلبي نداءهم ويجيب دعاءهم ، ولم تكن بلادنا كبلادهم محتلة بجيش اجنبي ، ولا حكومتنا كحكومتهم محاطة بنفوذ دولة اجنبية قوية ، فوجب ان يكون طلبهم بالحجة ، وتربية الاحساس وجمع الكلمة ؛ فكل من الفريقين قد سعى الى مطلبه في محيط الامكان ، ولم يطمع في تجاوزه الى المحال ؛

قويت حجة المصريين بعد اعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية التي هي أمهم وهم اقدر أولاد هذه الام على رفع بلادهم ، وترقيتها بجدهم واجتهادهم وقد انتشر فيهم التعليم ونمي في نفوسهم شعور القومية ، واتسعت دائرة التكافل والتعاون على المصالح العامة ، فأنشأوا بأموالهم ألوفا من الكتاتيب الابتدائية ، وأنشأوا مدرسة الجامعة المصرية ، وعندهم عدة جمعيات خيرية وعلمية ، وكثر قراء الجرائد والمجلات فيهم ، وبلادهم متصل بعضها ببعض بالسكك الحديدية فلا يحدث في زاوية من زواياها حادثة ذات بال الا ويطوف خبرها جميع ارجائها في يوم أو يومين ، فأنى للبلاد العثمانية ان تشاركها بهذه المزايا كلها ؟ فمن انكر على المصريين استحقاق الحكم النيابي الذي يتمتع به العثمانيون زاعما ان استعدادهم دون استعداد اخوتهم له فهو اما جاهل مليم ، وإما ظالم مبين

أنا أشهد ان مصر قد صارت أقوى استعدادا للحكم النيابي بفضل النابغين من أبنائها وأبناء اختها سورية الذين جذبتهم اليها جامعات اللغة والجوار والعادات وبما استفادته من مشاركة أبناء الشعوب الاوربية ، وبما ساقه اليها الاحتلال الانكليزي من ضروب العبر في سيطرته على حكومتها ، وتصرفه في ادارتها وماليتها ، وبما نفخه استقلال السلطة الاجنبية في نفوس أهلها من حب الخلاص مع بقاء سيادة الدولة العلية عليها ودوام ارتباطها بها في السياسة الخارجية

* *

مع هذا كله أقول ان مصر لا تزال مقصرة في أمر عظيم هو الركن الاعظم والبرهان القاطع لشبهات الاحتلال ولو اهتمت أحزابها وجرائدها به كالاهتمام بالسياسة لكانت أقرب الى النجاح والفلاح . ألا ان هذا الامر العظيم هو مايدل عليه بالايجاز لفظ (الاقتصاد) وبيانه بالتفصيل والإطناب ، تدخل فصوله في كثير من الابواب ، وما من باب منها الاوقد دخله كثير من المصريين ، فالافراد منهم يعرفون جميع الجزئيات ، ولكن الاحزاب والجماعات لمّا تهتم بما يجب من الكليات

نريد من الاقتصاد ان تكون رقبة البلاد لاهلها خالصة لهم من دون الاجانب وأن يكونوا أحرارا في تصرفهم بها ، نريد ان يقف سريان امتلاك الاجانب للارض عند الحد الذي وصل اليه ، وان نضع عن الوطنيين اصرهم واغلال الديون التي غلّوا بها أيديهم الى أعناقهم ، وقيودها التي قيدوا بها أرجلهم ، ثم نريد ان تكون ثروة البلاد قوة في ايدي أبنائها يوادّون بها من شاءوا من الامم ويحادّون بها من شاءوا فيعملون بها مالا يعمل السيف ولا القلم فتكون هي العون والنصير لهم في مقاصدهم السياسية والاجتماعية

المال هو القطب الذي تدور حوله أفلاك السياسة في جو هذه المدنية فلولاه لما زحف اهل الشمال على أهل الجنوب في الشرق والغرب واستولوا على بلادهم باسم الفتح والاستعمار ، أو النفوذ والاحتلال ، وان أصحاب الاموال في اوربا هم الذين يتصرفون في سياستها كما يشاءون ، وبيدهم ميزان الحرب والسلم فهم الذين يزنون ويرجحون ،

ما كان لأهل الشمال أن يكونوا أقوى من أهل الجنوب استعدادا للاعمال المالية، إن زعامة المال فيهم ليست إلا بايدي رجال منا ؛ انها كما يعلم الخبيرون في أيدي اليهود وهم منا (نحن الشرقيين) نسبا وموطنا وانما ظهرت براعتهم في اوربا باستقرار العدل والحرية فيها ، ويلي اليهود في الاستعداد سائر اخوانهم السوريين والفلسطينيين ، وان سورية ومصر لأختان شقيقتان ، وقد تمازج أبناؤهما منذ القرن الماضي فكانا كمزاج الماء بالراح ، فاستفاد كل من الآخر ولولا أن قام بعض الكتاب بما قام به من

سياسة التحليل ، واضافة ذنوب الافراد الى الشعب والقبيل ، لكان الاتحاد أقوى والاستفادة منه أتم

كل سوري بل كل عربي يجيء مصر ويقيم فيها يحسبها وطنه ويرى أهلها قومه واخوته ، لسانهم لسانه ، وعاداتهم عاداته ، ومحاكهم محاكه ، فاذا اثرى فيها كان هو التابع لثروته ، ولم تكن ثروته هي التابعة له الى بلاده ، تجذبه مصر اليها فيكون عضوا من أعضائها ، أو مادة من مواد غذائها ، ولا يجذب هو شيئا من ثروتها الى بلاده لتكون غذاء لها ، فالمالي من السوريين أو العرب يمد حياة مصر المادية بكده وكدحه ، كما يمد العالم والاديب منهم حياتها المعنوية بلسانه وقلمه ، فينبغي للمصريين ان يحكموا روابط الاتحاد بينهم وبين من يتصل بهم من اخوانهم المشاركين لهم في جميع مصالحهم ومنافعهم ويستعين بعضهم ببعض على ما تجب العناية به من النهضة الاقتصادية

ان حوادث الزمان قد أعدت النفوس لاحكام هذا الاتحاد وتوثيق روابطه فاستعدت له وقد ترجم عن هذا الاستعداد مدير « الجريدة » في السنة الماضية بمقالة له اقترح فيها اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل ، وان وراء ذلك لقوة أخرى لمصر هي غافلة عنها ، وما رأيت أحدا نبه اليها ، وهي زعامة ارتقاء الامة العربية بأسرها ، ولا سيما الولايات العثمانية منها ، فقد دبت الحياة الى هذه الولايات بفضل الدستور وتوجهت وجوه العقلاء الى احياء اللغة العربية بالقول والكتابة والعلوم والفنون ، وان عاصمة دار السلطنة لهي التي تحفز همتهم الى ذلك ، وان سورية لمبسوطة الذراعين لعناق مصر وناشزة الشفتين لتقبيلها

فالذي أقترحه على مصر الآن هو أن تبادر الى تأليف جمعية أو لجنة اقتصادية أعضاؤها من جميع الاحزاب والعناصر الخاضعة للقوانين المصرية ومن أصحاب الجرائد لاجل القيام بما أشرنا اليه آنفا ، ويجب ان يكون أول عملها احصاء ديون الاهالي والنظر في الطرق القريبة لوفائها وتحويل مدها الى جزر لا تفيض بعده ثانية ، ثم النظر في مسائل المضاربات والشركات وتلافي ضررها العظيم ، ولا أحاول الاحاطة ببيان كل ما يجب ان تعمله لمنع اغتيال الاجانب لثروة البلاد ولتنمية هذه الثروة

وتثميرها ، بل لا يستطيع ذلك مثلي ، فانما أنا مذكر بالامور الكلية التي أرى البلاد قد استعدت لها أو يجب ان تستعد لها ، وان وراء ما ذكرته من المبادئ غايات لا تحصى فوائدها ،

اني قد ذكرت اخواني المصريين بمثل هذا غير مرة ، ذكرتهم به منذ ثلاث عشرة سنة أول مقدمي الى مصر في خطب خطبتها ومقالات كتبتها في المنار والمؤيد ، ثم أعدت التذكير بذلك في « الجريدة » أول العهد بصدورها وها أنا ذا أعيد التذكير « فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكّر من يخشى »

اذا كانت السياسة قد شغلت قلوبهم وأفكارهم ، وملكت عليهم ألسنتهم وأقلامهم ، فهم يعلمون ان هذا العمل لا يعارض سياستهم بل يدعمها ويعززها ، فاذا لم يكن الآن وسيلة عاجلة للحكم النيابي فربما يكون غدا أرجى الوسائل وأقربها ، فان نالت البلاد ما تطلبه من هذا الحكم بالوسائل التي يراها الاحزاب أقرب فليس بضارهم ان يجمعوا بين حكم أنفسهم بأنفسهم وبين حفظ ثروتهم من اغتيال الاجانب ، وقد يضرهم ان لا يكونوا جامعين لهما ، فانا نرى الحكومة العثمانية - وقد صارت دستورية - مغلولة الايدي دون ما تبتغي من الاصلاح لقلة المال ، وقد كان دينها قبل الدستور قريبا من دين الحكومة المصرية ولكن الامة العثمانية على فقرها وتأخر عمرانها ليست مدينة للاجانب كالامة المصرية على سعة ثروتها وعمران بلادها ،

لا بد لكل من يتصدى لامر عظيم أن يرجو الفوز ويخاف الخذلان وان يعد لكل امر عدته ، وحجة المصري على وجوب حكمه لبلاده لا تزال ناهضة مادامت رقبة البلاد في يده لا حقوق فيها للاجانب ، والآن قد صار زهاء خمسها ملكا للاجانب أفلا يخشى ان يطغى هذا السيل الآتي حتى يغمر نصف أطيان القطر أو أكثر من النصف في زمن قريب اذا لم تقم في طريقه السدود التي تصد طغيانه ؟ ألا يخشى ان يتحد يومئذ أصحاب الاطيان من الاجانب وأصحاب الديون على الفلاح الوطني كما هي عادتهم ويقولوا ان هذه البلاد ليست لكم وحدكم أيها المصريون فيصبح قولكم نحن أولى بحكمها وانما هي لنا ولكم ، ونحن أقدر على الحكم منكم أو يجب أن يكون مشتركا

بيننا وبينكم كما قال لورد كرومر ؟ يومئذ لاتنفع الحجج ولا تفيد المظاهرات ولايغني الاعتصاب شيئا الا غناء قد يكون اثمه اكبر من نفعه

قد رأيتم العبرة في العسرة المالية التي صدمت البلاد في هذه السنين الاخيرة، ورأيتم كيف أصبح أصحاب الاراضي الواسعة أحير من الضب ، واعجز من أسير الحرب ، هذا ولم يكن أصحاب الاموال في أوربا متحدين على تعمد حربكم حربا اقتصادية ، وهل يعجز دهاة السياسة الانكليزية أن يحملوهم على هذا الاتحاد في يوم من الايام ؟

لكل قطر طبيعة واستعداد والقوة الطبيعية أنفع من القوة المتكلفة ، والامة المصرية مستعدة لمغالبة كل أمة من أمم الارض ، بقوتي الثروة والعلم، وليست مستعدة لمقاومة دولة كبيرة بالحرب ، ولاسيما في هذا العصر ،فليكن اعتمادها على ماهو قريب من استعدادها ، وعناية الله كافلة لها نيل مرادها ،

تأريخ التجنيد العثماني (*)

كان قانون أخذ العسكر موضوع جلسة يوم السبت في مجلس الامة كما يراه المطالع في باب هذه المذكرات من هذا العدد . وقد صدّره قومسيون العسكرية في المجلس بمقدمة تأريخية باحثة عن طرق التجنيد في الدولة منذ تأسست الى يومنا هذا فأحببنا اقتطاف المهم منها لمحبي التأريخ

« اذا استثنينا الرومان فقلّ ان نصادف في تأريخ عسكرية الامم اشارة لوجود اجناد دائمية منتظمة . وفي القرون الوسطى كان هذا الامتياز للعثمانيين و بعد قرن من ذلك أسس شارل السابع ملك فرنسا أجنادا دائمية

« كانت أجناد العثمانية الى سنة ٧٣٠ هـ . مؤلفة من المتطوعين وعبارة عن جيش موقت يقبل فيه كل راغب من الشبان . لم يكن لباس الجند واحدا بل كان

(*) نقلناها من جريدة الحضارة التي تطبع بالآستانة

كل واحد يلبس مايشتهي ويحمل السلاح الذي يريد . وكان الفرسان اسمى مقاما من الرجّالة . والاسلحة يومئذ عبارة عن الحسام والسنان والترس والقوس . وكان هذا الجيش المتطوع يدعى « آقينجي » (معناه السيل الجارف) ويوجد غيرهذا الجيش جند يدعون العساكر الخاصة يقيمون دائما في قاعدة الحكومة

« فلما اتسعت الفتوحات لم يبق من الممكن الا كتفاء بذلك الجيش القليل الصعب جمعه وترتيبه ومست الحاجة الى ايجاد صنوف الرجالة ففي عهد السلطان اورخان ائتمر أخوه الوزير الاعظم علاء الدين باشا وخليل باشا الجاندارلي ورتبا خطة لايجاد عسكر دائمي فوضعوا أساس الجند المسمى « يكيچرية »(معناه العسكر الجديد وقد عرّبها العرب بكلمة انكشارية) وأوجبوا أن يكون الزي العسكري مطردًا ولموا في هذا الجيش من أولاد النصارى الذين ادخلوهم في طاعتهم

قد نشأ بين الانكشارية هؤلاء كثيرمن القواد البرية والبحرية الذين لايبلى ذكرهم ولم يكن في ذلك العهد جيش يضارعه عند أمة من الأمم .

وكان كبيرهم الاعظم يلقب آغا وهو في مقام ناظر الحربية . ومن عاداتهم تقديس القدور التي يطبخ بها وهي تعطى لهم من قبل السلطان ويجتمعون حولها

***

وكان من يبرز على أقرانه في الحرب والطعان من الرجّالة والفرسان يكافأعلى ذلك متى بلغ الاربعين او الخامسة والاربعين من العمر فيعطى من البلاد المفتوحة خراج مقاطعة مثل لواء أو قضاء أو خراج قرية واحدة فقط فما كان من الاقطاع تبلغ وارداته من ٣٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ أقجه يسمى تيمارا . وما كانت وارداته من ٢٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ أقجه يسمى زعامة فكل ذي تيمار عليه ان ينفق عن حساب كل ٣٠٠٠ اقجة على راجل واحد . وكل ذي زعامة عليه ان ينفق عن حساب كل ٢٠٠٠٠ أقجة على فارس قادر تام اللأمة . فاذا وقعت حرب كان هؤلاء مع رجالهم المكلفين بنفقاتهم حاضرين مع الملك . ويسمى هؤلاء بالفرسان ذوي الاطيان (الاراضي)وقد بلغ عددهم في عهد السلطان سليمان القانوني مئة وخمسين ألفا وفي عهد محمد الرابع بلغ عددهم مئة وتسعة وسبعين ألفا ومئتين

أما عدد العساكر في تلك الاعصار فكان هكذا: القپوقولى ٧٤١٤٨ والفرسان أولو الاطيان مع فرسان الألايات الممتازة ١٧٤١٩٢ والعساكر البحرية ٥٥٧٢ المجموع ٢٦٣٩١٢ وأما القول بأن القانوني دخل بلاد المجر بثلاث مئة الف مقاتل معهم ٣٠٠ مدفع فهو من روايات المؤرخين الاجانب

في بدء احداث الانكشارية كان الواحد منهم يعطى في اليوم اقچه واحدة والاقچه سكة عثمانية فضية وزن ثلث درهم فضة من عيار التسعين ثم تنزل عيارها فاقتضى ذلك ان يزاد لهم الى ثلاث اقچايات وفي أواخر القرن العاشر زيد لهم الى خمس وفي القرن الحادي عشر زيد لهم سبع ثم زيد لهم في أواخر امرهم الى سبع وعشرين اقچه في اليوم ولم يكن من مساواة في العطاء بل كان بعضهم يأخذ أكثر من بعض . أما آغاهم فكان يأخذ خمس مئة اقچه في اليوم

كان هذا الجيش اسمى جيش في الدنيا ولم يكن يؤوب من فتح الا الى فتح آخر حتى رفع مركز السلطنة العثمانية الى الذروة العليا التي امتازت بها بين الدول ولكن امر الزمان عجيب فان هذا الجيش الذي كان سبب هذه النعم العظيمة مالبث ان طغى واستكبر، واستولى عليه الغرور والاشر، فدخل عليه الفساد من كل باب، وتوصل اليه المكروه بجملة اسباب، فعاد شؤما على الدولة بعد ان كان يمنا، وبؤسا بعد ان كان نعمى، حتى بلغ بعد القرن الثاني عشر مبلغا من تفكك الروابط وشيوع الفوضى وقلة الطاعة وكثرة عدم المبالاة ليس وراءه مبلغ فاصبح بعد تلك البسالة العظيمة التي امتاز بها يكثر فيه الفارون من مواطن الزحف حتى من امام الجيوش التي هي اقل منه عددا

وكانت العسكرية في أوربا قد بدأت تخطو خطوات واسعة في درجات الكمال فيومئذ صرفت وجوه الآمال عن مغالبة الخصوم بالهجوم والفتوح وبقيت الافكار مشغولة بأمر الدفاع عما في اليد لان القوة العسكرية اصبحت على وشك الاضمحلال البتة

جال هذا الامر في فكر سليم الثالث ونظر الى عاقبة امر الدولة اذا ظل زمام المدافعة بيد هؤلاء الانكشارية الذين كثر فيهم الفشل واستولى عليهم الخطل فتبدى

له رأي ونهض له بقوة . ذلك أنه أحدث عسكرا على قواعد تناسب الزمان والمكان وجعل له عنوان «نظام جديد» وجمع من هذا النظام الجديد ثلاثين الفا وعزم على الغاء الانكشارية . ولكن هذا النظام الجديد لم يستطع الوقوف أمام بأس الانكشارية الا نحو ست سنين ولم يتمكن سليم الثالث من تلك الامنية العظيمة التي كان يتقاضى الظفر بها بقاء الدولة

لكن الذي لم يتيسر لسليم الثالث تيسر لمحمود الثاني الذي رأى ان الغاء هذه العساكر العظيمة باصدار الاوامر ليس من الممكن وأن هذا الامر لايتم الا بالتنكيل والتشريد بهم فاستفتى في قتلهم على أثر تمرد وبغي وطغيان فأفتى فيه وتوسل الى اجتثاث هذه الشجرة من أصلها بما هدته اليه الفطنة المتوقدة وكان ذلك في يوم السبت في ١١ ذي القعدة من عام ١٢٤١ هـ - ١٧ حزيران ١٨٢٦ م

«أما آغا الانكشارية حسين آغا فانه كان مقتنعا بفوائد النظام الجديد فاعطي لقب باشا ونصب سر عسكرا ولقبت العساكر الجديدة بالعساكر المحمدية المنصورة هكذا وضع أساس النظام الجديد لعسكريتنا وعلى هذا يكون عمر جيشنا الجديد سبعا وثمانين سنة هـ . ينقسم تأريخ الجيش الجديد الى ثلاثة أدوار الاول دور القسم، والثاني دور القرعة، والثالث دور التكليف العسكري . فالدور الاول من ١٢٤١ الى ١٢٦٠ أي عبارة عن تسع عشرة سنة كانوا يلمون العسكر ممن صادفوه من الشبان الاقوياء. لم يستأنس الناس في بدء الامر بهذه الطريقة لانهم كانوا قد تعودوا رؤية هيئة الانكشارية وانكروا من هذه الطريقة انها من سنن الافرنج

ولم تكن مدة التجنيد معينة أيضا وفي ١٢٤٤ - ١٢٤٥ وقعت الحرب بين الدولة والروس (التي انتهت بمعاهدة ادرنه) فكان من البديهي ان لاتظهر الثمرات المنتظرة من النظام الجديد لقصر المدة وفي تلك الاثناء اخذ لخدمة الدولة المارشال مولتكه الذي ظفر في محاربة ثلاث دول في بحر ست سنين واطلع من امارة پروسيا الصغيرة امبراطورية المانيا العظيمة ولكن حالت الحوائل دون الاستفادة من خدمة هذا الرجل العظيم فان الدولة في تلك السنين كانت قد شغلتها حوادث وحروب المورة

والبوسنه والهرسك والتيه دلنلي ومحمد علي وكان عدد الجيش الجديد هكذا: العساكر المتنظمة ٨٠ ٠٠٠ والرديف ١٣٠ ٠٠٠ والعساكر البحرية ٥٠٠٠ الجميع ٢١٥ ٠٠٠ وكان سوى هؤلاء نحو من عشرة آلاف من الخيالة المتنظمة ونحو اربعة ألايات من الخيالة العتق .

واتوا بعد ذلك بمعلمين من المانيا لحصل اصلاح في ترتيب الجيش ولكن طريقة اللم كانت لاتزال على حالها فلذلك لم تصل الاصلاحات الى الدرجة المطلوبة ودام الامر على هذا المنوال الى ١٢٦٠ ففي هذه السنة وضع اساس جديد للدولة بمعرفة رشيد باشا الكبير وقرئ خط كلخانه الذي يتضمن هذا الاساس فدخلت عسكريتنا الجديدة في دورها الثاني

من هذا التأريخ ألغيت طريقة اللم ، ووضعت طريقة القرعة ، وحددت مدة العسكرية ، ووضع قانون لاخذ العسكر على هذه الطريقة من قبل ضباط بروسيانيين جعلت بموجبه خدمة العسكر الموظف خمس سنين والرديف سبعا ومن دخل في أسنان العسكرية تسحب قرعته فان اصابته القرعة تلك السنة يؤخذ وان لم تصبه يترك الى السنة التي بعدها . فان لم تصبه مدة السنين الخمس يعفى من الخدمة . وقد قسمت البلاد العثمانية الى دوائر رديفية فأصبح للعسكرية نظام حقا . وفي حرب القريم ظهرت ثمرات عظيمة من هذا النظام . وقسمت الاجناد كلها الى ستة كان كل جند (اردو) فيه حين السلم ستة ألايات رجالة واربعة ألايات خيالة وألاي واحد مدفعي سيار فكان عدد الاجناد حين السلم هكذا : النظامية ١٥٠ ٠٠٠ ونحو من ذلك عدد الرديف بحيث يتكون من النظامية والرديف وقت الحرب ٣٠٠ ٠٠٠

وفي خط كلخانه يوجد نص على أنه يؤخذ للعسكر من غير المسلمين ولكن اقتضاءات الزمان منعت من ذلك

وفي عام ١٢٨٦ حدث تحوير في ترتيب العسكرية فجعلت مدة الخدمة ثلاثا للعسكر الموظف ، وسنتين لخدمة الاحتياطية ، وستا للخدمة الرديفية ، وثمانيا للمستحفظية وكان عدد الاجناد في ذلك العهد هكذا: النظامية والاحتياطية ٢٣٧ ٠٠٠ والرديف ٣٥٠ ٠٠٠ أو يزيد على هذا المقدار . وكان عدد أجناد الدولة كلها في زمن محاربة

روسية ٧٥٩ ٠٠٠ ولكن لاستمرار الحرب ثلاث سنين وضياع كثير من الارواح تضعضع هذا الجيش ومست الحاجة بعد ذلك لتحويرات فيه ففي عام اربع وتسعين حوّل اسم السر عسكرية الى اسم نظارة الحربية وقسمت اللوازم والاستعدادات العسكرية الى شعب ودوائر وأخذت الاجناد شكلا آخر جديدا . وفي عام ثمان وتسعين اتي بجماعة من ضباط الالمان من صنوف مختلفة في الجيش الالماني وأخذت آراؤهم في الاصلاح العسكري وكان يرأسهم كهلر باشا . وبعد سنة جيء بالبكباشي فوندرغولج باشا فأرشد هذا الى طرق كثيرة للاصلاح العسكري بالرغم عما كان يحول بينه وبين الاصلاح من الموانع التي هي معهودة ومعروفة في ذلك العهد

الى هذا الرجل يعزى النظر في ترتيب الدروس أحسن ترتيب في المدرسة الحربية ، واليه يعزى السبب في تغيير طريقة القرعة ووضع قانون أخذ العسكر المعمول به الى عهدنا هذا

* *

« أما حرمان أبناء وطننا غير المسلمين من خدمة العسكرية مع أن لهم حقا بالشرف الذي يحصل من خدمة الاوطان فكان خطاء من حكومتنا لا يعفى عنه وكان من دواعي انكسار خاطر هؤلاء الشركاء في الوطن والاغرب من ذلك حرمان أهل هذه العاصمة من هذا الشرف ايضا

فمن موجبات الشكر أن أول شيء تفكرت فيه حكومتنا بعد التغير الجديد السعيد في الوطن هو الاسراع لدفع هذا الخطأ المنافي للقانون الاساسي

هذا هو تاريخنا العسكري ومنذ الآن سينال أبناء وطننا من غير المسلمين نصيبهم من شرف الدفاع عن حياض الوطن ، ويقفون مع زملائهم المسلمين صفاً واحدا أمام كل عدو معرضين حياتهم للمقاومة في سبيل مقصد واحد هو إعلاء شأن الرابطة الوحيدة التي تضم قلوب جميع العثمانيين حول وطنهم العزيز

العمران العربي

﴿ وصف الجامع الاموي ﴾ (*)

هو من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه · ومن عجيب شأنه انه لاتنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف · انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك (رح) ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص اثني عشر ألفا من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه فامتثل أمره مذعنا بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التوارخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأنق فيه وانزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخلطت بها انواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت اشجارا وفرعت اغصانا منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشي العيون وميضا وبصيصا وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلي الاسدي في جزء وصفه في ذكر بنائه مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار ومئتا ألف دينار فكان مبلغ الجميع احد عشر ألف ألف دينار ومئتا ألف دينار · والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة · الباقية منه في ايدي النصارى وأدخلها فيه لانه كان قسمين قسما للمسلمين وهو الشرقي وقسما للنصارى وهو الغربي لان ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد من الجهة الغربية فانتهى الى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجانب الشرقي

(*) نقلا عن رحلة ابن جبير من وصفه للجامع الأموي اذ زاره في سنة ٥٨٠

وانتهى الى النصف الثاني وهو الشرقي فاحتازه المسلمون وصيروه مسجدا وبقي النصف المصارع عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي النصارى الى ان عوضهم منه الوليد فابوا ذلك فانتزعه منهم قهرا وطلع لهدمه بنفسه وكانوا يزعمون ان الذي يهدم كنيستهم يجن فبادر وقال أنا أول من يجن في الله و بدأ الهدم بيده فبادر المسلمون وا كملوا هدمه

ذرعه في الطول من الشرق الى الغرب مئتا خطوة وهما ثلاثمئة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي مئتا ذراع فيكون تكسيره من المراجع الغربية اربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ان مسجد رسول الله صلى الله عليه من القبلة الى الشمال · وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين عمودا منها اربعة وخمسون سارية وثماني أرجل جصية تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة معها في الجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالا غريبة قائمة في البلاط الاوسط تقل قبة الرصاص مع القبة التي تلي المحراب سعة كل رجل منها ستة عشر شبرا وطولها عشرون شبرا وبين كل رجل ورجل في الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض ثلاث عشرة خطوة فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبرا · ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشمالية سعته عشر خطى وعدد قوائمه سبع وأربعون منها اربع عشرة رجلا من الجص وسائرها سوار فيكون سعة الصحن حاشا المسقف القبلي والشمالي مئة ذراع . وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن وتحته ثلاث قباب قبة تتصل بالجدار الذي الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت قبة الرصاص بينهما · والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه فاذا استقبلتها ابصرت منظرا رائعا ومرأى هائلا يشبهه الناس بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ونصف جدار البلاط

على يمين ونصف الثاني على شمال جناحاه وسعة هذا الغراب من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو . والجامع مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة اربع وسبعون منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر وفي القبة المتصلة بالمحراب مع مايليها من الجدر أربع عشرة شمسية وفي طول الجدار عن يمين المحراب و يساره اربع وأربعون وفي القبة المتصلة بجدار الصحن ست وفي ظهر الجدار الى الصحن سبع وأربعون شمسية

وفي الجامع ثلاث مقصورات مقصورة الصحابة رضي الله عنهم وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام وضعها معاوية بن أبي سفيان (رض) و بازاء محرابها عن يمين مستقبل القبة باب حديد كان يدخل معاوية (رض) الى المقصورة منه الى المحراب و بازاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبي الدرداء (رض) وخلفها كانت دار معاوية (رض) وهي اليوم سماط عظيم للصفارين يتصل بطول جدار الجامع القبلي ولا سماط أحسن منظرا منه ولا اكبر طولا وعرضا . وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخيل برسمه وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكادين وطول المقصورة الصحابية المذكورة اربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي احدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة الى الجامع حسبما تقدم ذكره وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة وكانت مقصورة الصحابة أولا في نصف الخط الاسلامي من الكنيسة وكان الجدار حيث اعيد المحراب في المقصورة المحدثة فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجدا صارت مقصورة الصحابة طرفا في الجانب الشرقي وأحدثت المقصورة الاخرى وسطا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال وهذه المقصورة المحدثة اكبر من الصحابية . و بالجانب الغربي بازاء الجدار مقصورة اخرى هي برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون و بازائها زاوية محدقة بالاعواد المشرجبة كأنها مقصورة صغيرة و بالجانب الشرقي في زاوية أخرى على هذه الصفة هي كالمقصورة كان وضعها للصلاة فيها

أحد امراء الدولة التركية وهي لاصقة بالجدار الشرقي . و بالجامع عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة

وفي الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبلية عشرون بابا متصلا بطول الجدار قد علتها قسي جصية مخرمة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها اجمل منظر واحسنه

والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على اعمدة وعلى تلك الاعمدة ابواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كله . ومنظر هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها وفيه مجتمع أهل البلد وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لايزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون . ولبعضهم بالغداة مثل ذلك . وا كثر الاحتفال انما هو بالعشي فيخيل لمبصر ذلك انها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم لايزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسمونهم حراسين

وللجامع ثلاث صوامع واحدة في الجانب الغربي وهي كالبرج المشيد تحتوي على مساكن متسعة وزوايا فسيحة راجعة كلها الى اغلاق يسكنها اقوام من الغرباء اهل الخير . والبيت الاعلى منها كان معتكف ابي حامد الغزالي رحمه الله و يسكنه اليوم الفقيه الزاهد ابو عبد الله بن سعيد من اهل قلعة يحصب المنسوبة لهم وهو قريب لبني سعيد المشهورين بالدنيا وخدمتها . وثانية بالجانب الغربي على هذه الصفة وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف بباب الناطفيين

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي اكبرها وهي قائمة على ثمانية اعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة كأنها الروضة حسنا وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة يقال انها كانت مخزنا لمال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف على

ما ذكرنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر الف درهم مؤمنية أو نحوها . وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد ألصق أبدع إلصاق قائمة على اربعة اعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من الصفر يمج الماء الى علو فيرتفع وينثني كأنه قضيب من لجين يشره الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافا واستحسانا ويسمونه قفص الماء . والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية اعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن اصغر منها

وفي الجانب الشمالي من الصحن باب كبير يفضي الى مسجد كبير في وسطه صحن قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير يجري الماء فيه دائما من صفحة رخام ابيض مثمنة قد قامت وسط الصهريج على رأس عمود مثقوب يصعد الماء منه اليها ويعرف هذا الموضع بالكلاسة ويصلي فيه اليوم صاحبنا الفقيه الزاهد المحدث ابو جعفر الفنكي القرطبي ويتزاحم الناس على الصلاة فيه خلفه التماسا لبركته واستماعا لحسن صوته

وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي الى مسجد من أحسن المساجد وابدعها وضعا وأجلها بناء يذكر الشيعة انه مشهد لعلي بن أبي طالب (رض) وهذا من أغرب مختلقاتهم . ومن العجيب انه يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالي مع اول البلاط الغربي مجلل بستر في اعلاه وامامه ستر ايضا منسدل يزعم اكثر الناس انه موضع لعائشة (رض) وانها كانت تسمع الحديث فيه وعائشة (رض) في دخول دمشق كعلي (رض) لكن لهم في علي (رض) مندوحة من القول وذلك انهم يزعمون انه رؤي في المنام مصليا في ذلك الموضع فبنت الشيعة فيه مسجدا واما الموضع المنسوب لعائشة (رض) فلا مندوحة فيه وانما ذكرناه لشهرته في الجامع

وكان هذا الجامع المبارك ظاهرا وباطنا منزلا كله بالفصوص المذهبة مزخرفا بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة فادركه الحريق مرتين فتهدم وجدد وذهب اكثر رخامه فاستحال رونقه فأسلم مافيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها .

ومحرابه من اعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات فتل الاسورة كأنها مخروطة لم ير شيء اجمل منها وبعضها حمر كأنها مرجان . فشأن قبلة هذا الجامع المبارك مع مايتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منها حتى ترتمي الى الابصار منه اشعة ملونة يتصل ذلك بجداره القبلي كله عظيم لايلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض مايتصوره الخاطر منه والله يعمره بمنه

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو المصحف الذي وجه به الى الشام . وتفتح الخزانة كل يوم اثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه

وله أربعة أبواب (باب) قبلي ويعرف بباب الزيادة وله دهليز كبير متسع له أعمدة عظام وفيه حوانيت للخرزيين وسواهم وله مرأى رائع ومنه يفضي الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي كانت دار معاوية (رض) وتعرف بالخضراء (وباب) شرقي وهو أعظم الابواب ويعرف بباب جيرون (وباب) غربي ويعرف بباب البريد (وباب) شمالي ويعرف بباب الناطفيين وللشرقي والغربي والشمالي ايضا من هذه الابواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جيرون يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقسومة لها ستة أعمدة طوال وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم نقل الى القاهرة وبازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبذلك المشهد ماء جار . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سموا قد حفته اعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبي هذا الدهليز اعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها الحوانيت

المنتظمة للعطارين وسواهم وعليها شوارع أخر مستطيلة فيها الحُجَر والبيوت للكراء مشرفة على الدهليز وفوقها سطح يبت به سكان الحُجَر والبيوت

وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبـة تقلها أعمدة من الرخام ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء لم ينعطف عليها تعتيب وفي وسط الحوض الرخامي انبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء ازيد من القامة . . . . . . وحوله انابيب صغار ترمى الماء الى علو فيخرج عنها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من ان يلحقه الوصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما . احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدان عنقيهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لايزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثني عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسمونها الناس المنجانه

ودهليز الباب الغربي فيه حوانيت البقالين والعطارين وفيه سماط لبيع الفواكه وفي اعلاه باب عظيم يصعد اليه على ادراج وله اعمدة سامية في الهواء وتحت الادراج سقايتان مستديرتان سقاية يمينا وسقاية يسارا لكل سقاية خمسة انابيب ترمي الماء في حوض رخام مستطيل . ودهليز الباب الشمالي فيه زوايا على مصاطب محدقة بالاعواد المشرجبة هي مخاصر لمعلمي الصبيان . وعن يمين الخارج في الدهليز خانقة مبنية للصوفية في وسطها صهريج ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والصهريج الذي في وسطها يجري الماء فيه ولها مطاهر يجري الماء في بيوتها

وعن يمين الخارج ايضا من باب البريد مدرسة للشافعية في وسطها صهريج يجري الماء فيه ولها مطاهر على الصفة المذكورة وفي الصحن بين القباب المذكورة عودان متباعدان يسيرًا لهما رأسان من الصفر مستطيلان مشرجبان قد خرما أحسن تخريم يسرجان ليلة النصف من شعبان فيلوحان كأنهما ثريتان مشتعلتان . واحتفال اهل هذه البلدة لهذه الليلة اكثر من احتفالهم بسبع وعشرين من رمضان المعظم .

آثار علمية أدبية

تربية البنات (*)

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي — في حب مصر كثيرة العشاق
اني لأحمل في هواك صبابة — يامصر قد خرجت عن الاطواق
لهفي عليك متى أراك طليقة — يحمي كريم حماك شعب راق
وأديب قوم تستحق يمينه — قطع الانامل أو لظى الاحراق

(*) قصيدة لشاعر مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم انشدها في حفلة اقيمت ببورسعيد لاعانة مدرسة البنات وقد سلك شاعرنا في هذه القصيدة مسلكا في انتقاد الاخلاق والعادات كان من الادلة الكثيرة على تفوق حافظ وعسى ان يجنح الشاعر للتوفر على قرض هذا الاسلوب من الشعر فانه من خير الادوية لادواء الناس

كلف بمحمود الخلال متيم   بالبذل بين يديك والانفاق
اني لتطربني الخلال كريمة   طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزني ذكر المروءة والندى   بين الشمائل هزة المشتاق
ماالبابلية في صفاء مزاجها   والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي   والبدر يشرق من جبين الساقي
بألذّ من خلق كريم طاهر   قد مازجته سلامة الاذواق
فاذا رزقت خليقة محمودة   فقد اصطفاك مقسم الارزاق
فالناس هذا حظه مال. وذا   علم. وذاك مكارم الاخلاق
والمال ان لم تدخره محصنا   بالعلم كان نهاية الاملاق
والعلم ان لم تكتنفه شمائل   تعليه كان مطية الاخفاق
لاتحسبنّ العلم ينفع وحده   مالم يتوّج ربه بخلاق
كم عالم مدّ العلوم حبائلا   لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه   لمكيدة أو مستحل طلاق
يمشي وقد نصبت عليه عمامة   كالبرج لكن فوق تلّ نفاق
وطبيب قوم قد أحل لطبه   مالاتحل شريعة الخلّاق
قتل الاجنّة في البطون وتارة   جمع الدوانق من دم مهراق
أغلى وأثمن من تجارب علمه   يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه   مفتاح رزق العامل المطراق (١)
متعنت تندى وتيبس كفه   بالماء طوع الاصفر البرّاق
لاشيء يلوي من هواه فحده   في السلب حد الخائن السرّاق

(١) الذي يكثر طرق أبواب الرزق

يلهو ويلعب بالعقول بيانه   فكأنه في السحر رقية راق
في كفه قلم يمجّ لعابه   سما وينفثه على الاوراق
يرد الحقائق وهي بيض نصّع   قدسية علوية الاشراق
فيردها سودًا على جنباتها   من ظلمة التمويه ألف نطاق
عريت عن الخلق المطهر نفسه   فحياته ثقل على الاعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه   ببيانه ويراعه السباق

***

من لي بتربية النساء فانها   في الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الاعراق
الأم روض ان تعهده الحيا   بالري أورق أيما ايراق
الام أستاذ الاساتذة الأولى   شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لاأقول دعوا النساء سوافرا   بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لامن وازع   يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن افعال الرجال لواهيا   عن واجبات نواعس الاحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة   كشؤون رب السيف والمزارق
كلا ولا أدعوكم ان تسرفوا   في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهرا   خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم أثاثا يقتنى   في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في أدوارها   دولا وهن على الجمود بواق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا   فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها   في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم ان تستبين بناتكم   نور الهدى وعلى الحياء الباقي

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ فلسفة النشوء والارتقاء ﴾

وهو الجزء الاول من مجموعة الدكتور شبلي شميل الشهير . صفحاته ٣٦٧ بقطع المنار وحروفه . طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٠ ويطلب من مؤلفه بمصر

اهدى الينا صديقنا الدكتور شبلي شميل هذا الكتاب الذي اعاد طبعه مرة ثانية في هذه الايام لنفاد الطبعة الاولى ولرغبة الكثيرين من أصدقائه في ذلك وقد اثبت على صفحته الاولى هذه الفقرة « طالع هذا الكتاب بكل تمعن ولا تطالعه إلا بعد أن تطلق نفسك من أسر الاغراض لتلاتغم عليك وانت واقف تطل على العالم من شرفة عقلك تلمس الحقيقة من وراء استارها » ونحن لم تمكن من التوفر على مطالعته لنبدي رأينا فيه بحرية واخلاص ولكن هذا لا يمنعنا ان نقول ان فلسفة النشوء والارتقاء لاتنافي الاسلام بجملتها كما أنها لاتلتئم معه ومع العقل في تفصيلاتها ولم يكن لصديقنا الدكتور ولا لواضعيها اذ وضعوها مطمع في أن تكون قضية مسلمة بكلياتها وجزئياتها

ولو ان الدكتور شميلا اقتصر في كتابه هذا على شرح فلسفة دارون وهكسلي وآرائهما في أصل الانواع وأدلتهما على تحولها وارتقائها وتأييد مذهبهما بآرائه الخاصة دون التعرض للشرائع الآلهية والأديان المتبعة لتقبله اهل الاستعداد له بقبول حسن أما محاولة الدكتور لارادة القراء على الامرين فطمع في غير مطمع وهذه الحكومة الفرنسية على تشددها في محاربة زعماء الدين بقوتي الدليل والاكراه لم تتمكن من نزع الدين من النفوس على كونه دينا تسليميا بحتا لايسوغ للعقل ان ينكر منه شيئاً وان كان غير معقول فما بالك بدين الاسلام الذي ينبذ كل منكور عقلا بل هو الدين الذي فك العقول من عُقلها واشرع سبيل استقلال الفكر وارشد الى النظر

في أسرار الكون والحكم على الاشياء بالعقل دون الهوى لاجرم ان دينا هذا مكانه من أفئدة أهله لايقوى على زلزاله منها شبهات مرجعها آراء ومرويات لرجال الدين وربما يكون الدين بريئا منها

لواتيح للدكتور شميل ان ينظر في الاسلام نظرة تنفذ الى صميمه على الشرط الذي وضعه لقراء كتابه لآب اليوم وهو مسلم قلبا ولسانا وها هو اليوم على كونه لم يُعن بتفهم فلسفة الاسلام بعض عنايته بحل طلسمات مذهب دارون نراه — وهو المنصف المستقل الفكر — يقول إن القرآن هو أحكم الشرائع التي يتبعها البشر وان محمداً أعظم رجل في التاريخ حتى انني قلت له مرة : اذاً انت مسلم ؟ فقال : بل محمدي !! بل هذه كلمته في خاتمته الحفيلة التي هي صورة مصغرة للكتاب قال (ص ٣٥٢)

« خذ مثلا شريعة للقرآن فانها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية المستوفاة (١) التي ترمي الى أغراض دنيوية حقيقية بمعنى أنها لم تقتصر على الاصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع بل اهتمت اهتماما خاصا بالاحكام الجزئية فوضعت أحكام المعاملات حتى فروض العبادات ايضا وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية حتى ان الجنة نفسها لم تخرج فيها من هذا الحكم من اشجار وأثمار وأنهار الى آخر ماهنالك وطالما جرى اتباعها عليها صلحت امور دنياهم على سواهم . الخ » ثم ذكر بعد ذلك مزج علماء المسلمين لنظريات الفلسفة اليونانية في كلامهم حتى صرفوا بذلك الدين عن حقيقته وحولوه عن غايته « الى المرامي المجردة والمنازع النظرية وسائر علوم الجدل الادبية المقامة عليها حتى الى مالاعلاقة له بالدين مطلقا (٢) »

---

(١) شريعة موسى مادية عملية أيضا ولكنها غير مستوفاة . وشريعة عيسى وان كانت حكماً ومواعظ تعتبر اصولا كلية الا انها في جملتها نظرت الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا . بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي . اهـ من هامش الكتاب

(٢) ان الاسئلة التي ترد على مجلة المنار من اطراف العالم الاسلامي والتي يتجشم صاحب المنار المفضال مشقة الرد عليها مضطرا تدلك على مبلغ تقهقر القوم في فهم الدين (وبعد ان ذكر امثلة من تلك الاسئلة قال) وغير ذلك من الاسئلة التي تضطرب لها عظام النبي في قبره والقرآن وشريعته بريئان منها لو انهم يفقهون . اهـ من هامش الكتاب

الى غير ذلك من الاقوال التي تدل على ان الدكتور الفاضل انما هو منكر للغواشي التي علقت بالدين ساخط على تقاليده وخلط كثير من أهله بين جوهره ونظرياتهم ونحن نقر الدكتور على هذا الرأي بل نحن إنما نكتب ونخطب سعيا وراء هدم تلك التقاليد التي نتبرأ منها ومن المصرين عليها

والكتاب مطبوع طبعا متقنا على ورق جيد ويطلب من مؤلفه بميدان توفيق بمصر



﴿ ارشاد الاريب ، الى معرفة الاديب ﴾

وهو القسم الاول من الجزء الثالث من الكتاب تأليف ياقوت الرومي الشهير المتوفى في القرن السابع وعني بنسخه وتصحيحه الدكتور مرجيلوث الاستاذ بجامعة اكسفورد صفحاته ٢١٥ بقطع المنار. طبع بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩١٠

اهدى الينا الدكتور مرجيلوث الجزء الذي أصدره في هذا الشهر من هذا المعجم الجامع النافع وهو يتضمن تراجم اثنين واربعين واحدا من أعلام الادب اولهم حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني من أهل واسط المتوفى في منتصف القرن السادس وآخرهم الحسن بن ميمون النصري . ولبعضهم تراجم مطولة تحتوي على عشرات الصفحات كترجمة السيرافي النحوي المعروف فهي زيادة على اربعين صفحة، ولآخرين منهم تراجم مختصرة جدا لاتبلغ الا اسطرا قليلة كترجمة الحسن بن علي المدائني النحوي . والتراجم مرتبة على حروف المعجم ومن يلاحظ ان هذا الجزء أو القسم لم يتم به حرف الحاء يعلم ان هذا الكتاب من أحفل موسوعات الادب في تراجم مشهوري ادباء العرب

واحفل مترجمي هذا الجزء سيرة هم من أعلام النحاة وربما يتعجب أدباء هذا العصر اذ يسمعون هذا لانهم يرون نحاتهم صارفين أيام حياتهم في تتبع المناقشات العقيمة وتفهم الاختلافات السقيمة وان واحدهم ليحار حيرة الضب اذ عرض له أن يكتب كتابا الى أحد خلطائه أو رهطه ولو اطلع مطلع على مايكتبون لسخر منهم واستهزأ بهم ولأخذته الحيرة اذ يرى كثرة اللحن والتراكيب السخيفة والخروج فيما يكتبون

عن الحدود والرسوم التي افنوا أعمارهم في تفهمها وتفهيمها ولكن لاعجب في ذلك فان أئمة النحاة في الماضي كانوا يعدون النحو اداة أو مرقاة تتوقل فهومهم بها الى الوقوف على « اسرار البلاغة » و« دلائل الاعجاز » حتى تصير البلاغة ذوقا لهم فيتمكنون من فهم كلام الله فما دونه في البلاغة ويتمرنون على احتذاء الكلام البليغ في المكتوبات والخطب ولكن نحاة هذا العصر حسبوا ان النحو غاية لا وسيلة على تمحلهم في الكلام على الغايات والوسائل فصرفوا الاشياء عن أوضاعها وحرفوا الكلم عن مواضعه فأصبحوا لا قيمة لهم ولا احترام وقد كانوا اجلاء مكرمين وصناعتهم من اشرف الصناعات

وقد اعجبتني طريقة المؤلف في التراجم فهو يذكر اسم الرجل ونسبه وموطنه وتحصيله وماتفرد به وما نقم الناس منه وما وقع له مع أدباء عصره ويثبت له ما يؤثر من شعره كل ذلك بأسلوب سهل حسن الانشاء ولعلنا ننشر في المنار المناظرة التي جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي النحوي في تفضيل النحو على المنطق وهي مثبتة في هذا الجزء عسى ان يكون في نشرها عظة بالغة لنحاة عصرنا

وياقوت الرومي هذا أعرف من أن يعرّف وهو مؤلف هذا المعجم ومعجم البلدان ومعجم الشعراء وغير ذلك من الموسوعات التي تعجز عن تأليفها الجماعات وهو من الشعراء المجيدين ومن احسن ماروي له قوله :

تنكّر لي مذ شبت دهري فأصبحت ... معارفه عندي من النكرات
اذا ذكّرتها النفس حنّت صبابة ... وجادت شؤون العين بالعبرات
الى ان اتى دهر يحسن مامضى ... ويوسعني من ذكره حسرات
فكيف ولمّا يبق من كأس مشربي ... سوى جُرَع في قعرها كدرات
وكل إناء صفوه في ابتدائه ... ويرسب في عقباه كل قذاة

والكتاب مطبوع طبعا نظيفا على اجود ورق . ومجلد تجليدا متقنا وكنا نتمنى ان يضع الناشر ارقاما للمترجمين تدل على عددهم في كل جزء فان ذلك من المحسنات

وان يعنى بوضع فهارس لجميع الاعلام والبلدان التي في الكتاب ولعله يفعل بعد طبع جميع مالديه من الاجزاء وانا نشكر له عنايته بنشر هذا السفر العظيم فلقد خدم بذلك لغتنا الشريفة أجل خدمة

* * *

﴿ النظرات ﴾

كان الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي كتب قطعا ومقالات في جريدة المؤيد عني بانتقاء الفاظها وجملها ومعانيها مما يحفظ و يقرأ فاستحسنها فريق من الناس الذين يحبون التنميق والتزويق وتبهرهم زخرفة اللفظ وغرّ الكاتب تلك النعوت التي كانت تنعته بها جريدة المؤيد فسارع الى جمع تلك القطع وطبعها في كتاب مصدر برسمه و بترجمة له ملأت قسما كبيرا من الكتاب !!!

قرأنا لهذا الكاتب الجديد والشاعر القديم بعض قصائد و بضع مقالات فلم نعرف له منحىً خاصا يتوخى القصد اليه فيما يكتب و ينظم وظهر لنا أن هذا الشاعر او الكاتب او الجامع للصناعتين ليس من سرّاق الشعر فقط بل هو من سرّاق النثر أيضا ومن قرأ مقالته « مدينة السعادة : ص ٣٨ » التي يدل بها ويفخر وكان قارئا قصة « الكوخ الهندي » لفرح افندي أنطون علم ان بضاعة الكاتب مزجاة وآراءه قد اغتصبها من سواه وانه ليس له في مثل هذه المقالة الا التغيير والتبديل في نسق الكتابة واسلوب الكاتب، وكذلك مقالته « غرفة الاحزان : ص ١٤٣ » فانها ملخصة من قصة « حواء الجديدة » لنقولا افندي الحداد، ومقالته « اين الفضيلة : ص ١٥ » مأخوذة من قصة الكوخ الهندي لفرح افندي انطون ايضا، ومقالته « الكأس الاولى : ص ٥ » اخذ موضوعها من قصيدة للشيخ نجيب الحداد عنوانها « في الجرعة الأولى البلاء : ص ٥٧ ج ١ » من القسم الشعري من كتاب مجالي الغرر وغير ذلك من القطع الكثيرة التي سرق بعضها معنى و بعضها معنى ولفظا كما سيأتي بيانه مثال ذلك سرقته لكلمة زوج صخر اخي الخنساء « اني اصبحت لا حيا فأرجى ولا ميتا فأنسى » (ص ٢٨) وسرقته لبيت البكري المعروف

أشعرة في الرأس أم أول خيط الكفن

اخذه فقال عن الشعرة البيضاء في رأسه « أو خيط من خيوط الكفن » (ص ١١٥)

ولقد كنت نصحت للمنفلوطي يوم كان شاعرا ان يتجنب السرقة في شعره وذلك في مقالة نشرتها في (ص ٨٥٩ م ٣١) من المقتطف بعنوان « نقد الشعر » بعد أن نشر فيه المنفلوطي قصيدة عنوانها « من القصر الى القبر » (ص ٢٥) من مقدمة النظرات اغار بها على اربعة ابيات من قصيدة المعري التي مطلعها « أحسن بالواجد من وجده » وحشرها بين بيوت قصيدته ولكنه لم يستطع أن يعمل بنصحي لانه لو عمل به لكان اليوم فقيرا من النعوت التي جاد بها عليه المؤيد فهو شاعر وكاتب ولكن بأفكار غيره وأساليب سواه

وأريد أن أنبه هنا الى أمر ربما خفي على أولئك المخدوعين بلفظ المنفلوطي وهو ان كتابة المنفلوطي خالية من كل فكر للكاتب خذ مثلا مقالة « الغد » (ص ١) وهي من أشهر مقالاته فانك تجده جال فيها في دائرة ضيقة لم يخرج بها عن قول زهير

واعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

وأية فائدة يجني القارىء من حكاية أقوال في الغد خلاصتها انه أمر غيبي لا يعلم ماسيكون به الا الله تعالى ؟ على انه قد سرق أكثر معانيها من مقالة لفيكتور هوجو في نابليون الثاني راجع (ص ١٠) من كتاب بلاغة الغرب ومقالة « المستقبل لله » (ص ٩٨) من منتخبات الشيخ نجيب الحداد، وان مقالة « العلماء والجهلاء » (ص ٣٢٣) التي يفضل فيها خلط السوقة الذي يسميه علما على تحقيق العلماء والفلاسفة دليل على انه لا يعرف من العلم الا تمحلات الازهر اللفظية التي عرفها فألفها ومن ذا الذي يستسهل الزعم بأن اختراع التلغراف وا كتشاف الكهرباء والراديوم وغير ذلك مما لامحل لذكره هو دون مايقع من الكلمات الصحيحة في هذيان الدهماء ولغطهم ؟

وكذلك مقالته « يوم الحساب : ص ١٠٦ » فانها لاتخرج عن فحوى قصة من كتاب قصص الانبياء وغيره من الاسرائيليات المدسوسة على الاسلام وأئمته من حكاية العجائب عن يوم الحساب ونجاة كثير ممن ران على قلوبهم لحسنة فذة مع ان الله يتوعد هؤلاء بأشد العقوبات ويقول في شأنهم « كلا إنهم عن

ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالو الجحيم » ولكن المنفلوطي يصادم هذا النص الصريح بزعمه وهل يكون ذو الرين مموطلا في حياض المآثم ا كثر ممن وصفه المنفلوطي بقوله « لايتقي مأثما ولايهاب منكرًا ولا يخرج من حان الا الى حان ولا يودع مجمعامن مجامع الفسق الاعلى موعد اللقاء » (ص ١٠٧) ويقول عن موصوفه هذا ان الله غفر له لأنه كان يجود على رب اسرة معدمة كأن أعمال الله تعالى فوضى لانظام لها جلت حكمته وتعالى عن وهم الواهمين علوا كبيرا . ومما دلنا على أن آداب المنفلوطي ليست على حال من الكمال يغبط عليها وأن علمه بأحوال زمانه ناقص قوله انه بصر بالشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين يتناجيان ويقول اولهما لآخرهما انك أفسدت المرأة بكتابك ويقول الآخر للاول انك أردت أن تحيي الاسلام فقتلته وليس هذا القول مما يلتئم مع الأدب أو يتفق مع الواقع وانما يدل على ان المنفلوطي لم يفهم مرامي قاسم ومناحي الامام ، وما كان لتأثير دروس هذا في اصلاح اهل الاسلام

وكم من عائب قولاصحيحا   وآفته من الفهم السقيم

ومن القطع السخيفة الخالية من الفائدة والمعنى قطعة « الشعر البارد: ص ١١» وهي لا معنى فيها سوى انه يقول انه يقرأ شعرا في الجرائد لا يستحسنه على شغفه الزائد بالشعر وانه يسمي الشعر الذي لايستحسنه « الشعر البارد » فهل يصح ان ينشر مثل هذا القول في الجرائد ثم يطبع في كتاب على حدته ويسمى « المختارات» ؟ واذا كان هذا شأن مختارات المنفلوطي من تافه الموضوع وسخيف المعنى فماذا عسى ان يكون شأن غير مختاراته ؟

وأريد ان أنبه الظانين أن المنفلوطي لايقع الغلط في كلامه بأنه يخطئ كثيرا في الاستعمال واني ذا كر كلمات وقعت عليها عيناي عرضا وانا أقلب صفحات الكتاب فمن ذلك كلمة « الميْت : ص٧ » اراد بها المَيِّت وهذا غير ذاك ، واستعماله كلمة « بسيطة : ص١٢ و٣٠٣ » بمعنى ساذجة ، و« البسطاء: ص ٨٩ و٩٠ و٤٠١ » يريد الأغرار ، و« البساطة : ص٣٩٩» بمعني الغرارة وهو استعمال غير صحيح ، وايراده كلمة « فخيم :ص ٢٥ » و« ص٢٥ مقدمة » والصواب فخم من دون ياء ، وتذكيره للكأس « ص ٢٧ مقدمة » و« ص ٣٠٧ » والكأس لايجوز تذكيرها البتة ، وايراده مصدر

جثا يائيا « ص ٣١٥ » وانما هو واوي ، واستعماله كلمة الرياسة أو الرآسة مكسورة الراء تليها همزة « ص ١٣ و١٥ » وهذا خطأ محض ، وجمعه لبائس على بؤساء « ص ٨٧ و٣٩٧ » ، والصواب ان يجمع جمع المذكر السالم فيقال بائسون و بائسين ، وقوله « غفوت اغفاءة : ص ١٦٤ » والصواب اغفوت اغفاءة وقوله « يحلق الطير ص ٩٣ » يريد بذلك الطائر وهذا من الخطأ الشائع ، وقوله « جهل مشين: ص١٠٣» والصواب شائن لان الفعل ثلاثي لارباعي ، وتذكيره للسن « ص ١٥٥ » وانما هي مؤنثة قال ابن سيده في (ج ١٦ ص ١٩٠) من المخصص مانصه « والسن مؤنثة والاسنان كلها مؤنثة وكذلك السن من الكبر » وتأنيثه للرأس « ص ٨٤ » والرأس مجمع على تذكيره (راجع تاج العروس :ج ٤ ص ١٥٦) وادخاله « ال » على « كل » « ص ١٥٦ » وقد قال في اللسان « انه لم يجيء عن العرب » ولا ينفي هذا اجازة بعض المتوسعين لذلك

ومن فقراته الركيكة التي ليست من الاسلوب العربي الفصيح قوله « لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاهة : ص ٨ » وهو يريد ان يقول انه جُمَّ البلاهة ، وقوله « وكما ان في اغنياء الجيوب فقراء الرؤوس كذلك في فقراء الجيوب اغنياء الرؤوس ص ٢٩٧ » وهو استعمال ركيك غير عربي وقد سرق بذلك كلمة الاستاذ الامام الفصيحة المأثورة « لاني في شغل شاغل من هؤلاء المرزوئين في عقولهم أولا وفي بيوتهم ثانيا » (ص٥٥٩ ج ٢) من تاريخ الاستاذ الامام ، وقوله « كان كل مافي المسألة : ص ٧٨ » وهذا من استعمال العامة وما هو من الاسلوب العربي في شيء ، وقوله « فما خلّصت من بينهم :ص ٨٤» وهو من استعمال العامة ايضا وكلمة خلصت لامعنى لها هنا لان معناها نجيت وانما يريد ان يقول نجوت لانه هو الذي نجا ولم يكن منجيا لسواه

هذا مارأينا ان ننبه اليه من خطأ المنفلوطي وهو ماعثرنا عليه ونحن ننظر في الكتاب نظرة اجمالية مما يدل على ان الكتاب مملوء بالاساليب الركيكة والخطأ في الاستعمال دع ان اكثر موضوعاته سخيفة تافهة عقيمة من الافكار الا ما كان منها مسروقا وقد تذكرت الآن كلمة لعزيز مصر عباس الثاني يحسن ايرادها هنا فانها كلمة حكيمة : ذلك انه كان في موسم من المواسم الرسمية خلا الى الاستاذ الامام في حجرة

خاصة يفاوضه في شؤون هامة فجاءه واحد من رجال حاشيته وقال ان الشيخ فلانا ينتظر سموكم ليتلو ابيات التهنئة فقال له الامير « اننا في حاجة الى الافكار لا الى الاشعار » هذه هي الكلمة الحكيمة التي يجب ان يكون المنفلوطي واشياعه كثيري الاصغاء اليها ليعلموا أن الامة في حاجة الى الافكار لا إلى زخرفة الالفاظ

اما الحكم على اخلاق هذا الكاتب فلايستطيعه مثلي وقد ذكرت آنفا انه نشر لنفسه ترجمة طويلة عليها توقيع « احمد حافظ عوض » وفيها شؤون خاصة لايعرفها الا المترجَم نفسه!! اضف الي هذا ان أسلوبها وأسلوب النظرات واحد

على اننا نترك مايمكن ان يكون فيه مجال للقال والقيل والتمحل والتأويل ونرجع بالقارىء الى مقالة المنفلوطي « طبقات الشعراء » التي نشرها في (ص ٢٧١) من السنة الثانية لمجلة سركيس من دون امضاء تلك المقالة التي كتب فيها عن نفسه بقلمه ماياْتي بنصه وفصه:

« المنفلوطي : شعره كالعقود الذهبية الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة فهو يخلب بروائعه اكثر مما يخلب ببدائعه وهو ازهري وحسبه انه نابغة قومه!!! » الخ

وقد نشر هذه المقالة في النظرات (ص ٣٢٦) ولكنه حذف منها ترجمة نفسه فكيف يكون الحكم على مثل هذا مستطاعا وهو الذي وضع نفسه بتمداح نفسه فوق الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد باشا زغلول لأنه سمى نفسه نابغة قومه الازهريين وهؤلاء من مصاص الازهريين ؟

« اللهم عرفنا بأقدار انفسنا فذلك اللهم انفس ماتعطي وافضل ماتهب » (*) وعسى ان يتاح لنا تصفح الكتاب برمته لنكتب لمؤلفه عظة بالغة

الانسانية

« مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية نصف شهرية » اصدرها في مدينة حماه الشيخ حسن الرزق المشهور باستقلال الفكر واستنارة الذهن وحب العلم وقد انتدب لخدمة امته بهذه المجلة بسائق الرغبة في إعلاء شأنها بقدر المستطاع وهي ذات اثنتين وثلاثين صفحة بالقطع الصغير وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال وربع كتب الله لها النجاح

(*) هذه الفقرة للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

العلم

« مجلة تخدم العلم والدين وتبحث عن أصول الترقي ماديا وأدبيا » لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني من أعلام علماء النجف (العراق) ومشهوري كتاب العصر هنالك وهي تصدر بثماني وأربعين صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الموضوعات الدينية والعلمية والادبية وقد اعجبنا من منشئها قوله في مقدمتها « ولدينا الانتقاد الصحيح خير من الاطراء في المديح » وهذا القول لا يصدر الا من ارباب النفوس المهذبة بالعلم الصحيح وقيمة اشتراكها ريال وربع فنرجو لها الانتشار

التلميذ

« مجلة مدرسية اخلاقية شهرية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة العثمانية ببيروت » ولقد سررنا كثيرا بصدور هذه المجلة التي ستكون خير سبيل لتمرين التلاميذ على قرض الشعر والانشاء وقوة البحث والمناقشة اولئك التلاميذ المرجوون لنهضة وطنهم واعلاء شأن أمتهم فان مدرستهم تلك هي من أحسن مدارس بيروت التي تخرّج فيها فريق من خيرة نابتة سورية وعسى أن يتولى رئيس المدرسة تصحيح المجلة فقد آلمنا ما رأيناه فيها من الخطأ في الاملاء والخروج عن قواعد النحو ! وقيمة اشتراكها ريال وربع فعسى ان ينمي قارئوها ويكثر مشتركوها

الذكرى

جاءتنا نشرة من بيروت بتوقيع محمد طاهر افندي التنير من مهذبي نابتة بيروت يقول فيها ان والده السيد عبد الوهاب سليم التنير قد عزم على اصدار مجلة اسمها (الذكرى) غرضها ارشاد المسلمين الى انتهاج الطريقة المثلى وانه سيساعده في كتابتها فريق من عِلْيَة القوم ونحن نعرف التنير غيورا فاضلا مطلعا فنرحب بمجلته ونرجو أن يوفق للخدمة الصحيحة

حسين وصفي رضا

باب الأخبار والآراء

إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية

مناجاة ودعاء

اللهم الطف بهذه الامة و بدولتها واحفظها من فتن المفسدين في الارض، اللهم اقطع عنها ألسنتهم ،وكفّ عنها كيد اقلامهم ؛ اللهم إنك تعلم أن المخلصين قد بذلوا جهد طاقتهم في النصح و إصلاح ذات البين وسعوا الى ذلك من كل طريق يرونه نافعا ؛ اللهم إنا لا نملك بعد حسن القول والسعي الا الاستغاثة بك ودعاءك فلا يغلبنّ مكرهم السيء مانرجو من لطفك وعنايتك، اللهم انه لايخفى عليك كيد الذين يفسدون في الارض وينبزون المصلحين بلقب الافساد، ويلقون العداوة والبغضاء بين عبادك ويعيبون بعملهم السيء من يعملون الصالحات بالتأليف بين القلوب وجمع الكلمة على الخير ، اللهم إنك تعلم ان من هؤلاء من يفوّق سهام كيده ومكره للأمة العربية التي شرفتها وفضلتها بخاتم أنبيائك ورسلك وخير كتبك المنزلة لهداية خلقك وخاطبت سلفها الصالح بقولك الحق «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ولكل من تبع ذلك السلف من الخيرية بقدر اتباعه لهم ؛ اللهم انهم حسدوها أن جعلت كتابها عربيا مبينا فهم يريدون ترجمته ليكون عرضة لتحريف المحرفين ، واختلاف المتفقين، اللهم إنك أنزلته لتجمعهم عليه ، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه ، اللهم إنه حبلك المتين الذي امرتنا ان نعتصم به ولا نتفرق عنه بقولك (٣:١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وهو بيناتك التي قلت فيها (٣ : ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) اللهم انهم يزعمون ان رسالتك

خاتم رسلك ماتمت الى الآن ، وانها لاتتم الا بترجمة القرآن ؛ وانت قلت وقولك الحق (٥ : ٣ اليوم اتممت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) اللهم انهم يزعمون أن دينك لم يقم بالحجة والبرهان ، وان نبيك (ص) كان يكره الناس عليه بالسيف والسنان ، وانت قلت وقولك الحق (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين ـ ١٠ : ٩٩ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ ؟

المقصد

بينا في أول مقال كتبناه عن الانقلاب العثماني واستبدال الحكم النيابي بالحكم الشخصي المطلق انه يخشى في هذا الطور الجديد الذي دخل العثمانيون فيه من عاقبة اختلافهم في الاجناس واللغات والاديان وجددنا في التأليف بينهم سعيا جديدا غير ما كنا نسعى اليه سرا في جمعيتنا (الشورى العثمانية) المؤلفة من جميع العناصر العثمانية . ظهرنا بالتأليف الجهري فخطبنا في كنيسة الارمن في القاهرة خطبة جعلها الاخلاص مؤثرة في نفوس حاضريها من العثمانيين المختلفين في الاديان والمذاهب حتى قال لنا فارس افندي نمر محرز المقطم يومئذ ان هذه الخطبة وحدها تضاهي عملك في التأليف والوفاق مدة عشر سنين . ثم سحنا في البلاد السورية وخطبنا مرات عديدة في ذلك وتكلمنا وكتبنا كثيرًا ورأينا لعملنا وعمل غيرنا تأثيرا حسنا أعان عليه في تلك البلاد ذكاء الأهالي وأخلاقهم الحسنة

بينا نحن نرى الولايات السورية أهدأ الولايات العثمانية وأشدها اغتباطا بالحكومة الدستورية ونرى من البلاد العربية كاليمن والحجاز وقد هدأ ما كان يقع فيها من الكفاح والغارات فصارت اشد خضوعا للدولة من ولاياتها الاوربية التي هي مهد قوتها وعظمتها فالعاصمة نفسها محكومة بديوان الحرب العرفي والدماء تخضب ولايات الارنؤط ، ومقدونية تتمخض بما تتمخض به ، ـ بينا نحن على ذلك واذا بغراب ينعب من أول هذه السنة الهجرية بصوت عربي غربي غريب يخشى شره ولايرجى خيره

صاح الغَرور يغر العرب ويغريهم باخوتهم الترك : يقول ان العرب هم الحاكمون

والترك هم الخادمون ، ويطرئ الامة العربية بالشعريات التي تحفز النفوس الى طلب مالا يطلب ونيل مالا ينال ، ولم يفهم احد من العرب معنى كونهم هم الحاكمين والترك هم الخادمين الا ان الكاتب يفهمهم ان الامر يجب أن يكون كذلك وانه عليهم أن يطلبوا هذا الواجب ، لأن الأمر في الواقع ليس كذلك ، ولكن هذا التغرير لم يؤثر في اغراء العرب لا لأن قائله متهم عندهم بيغضه إياهم بل كان له دافع آخر من نفوسهم وهو اعتقادهم ان الترك اخوتهم في الدين وحكامهم الذين رجعوا باعلان الدستور الى هدي الاسلام بمشاركتهم اياهم في الحكم فلا خادم في العناصر ولا مخدوم ، وما القول بذلك الا من نزغات الشياطين ووساوس المفسدين

تهافت قول هذا الناعق وتناقض فهو تارة يطرئ العرب ويغلو في مدحهم ، وطورا يعرض او يصرح بالطعن في جميع الظاهرين منهم كأمير مكة المكرمة والمبعوثين وطلاب المناصب والخدمة في الدولة والكتاب الخادمين للدولة من طريق خدمة العرب اذ يكتبون بالعربية — وتارة يدعي انه خادم الاسلام وناشر دعوته ومبتغي ارتقائه بارتقاء العرب ثم يدعو الى ترجمة القرآن بلغة المسلمين ليستغنوا عن القرآن المنزل من عند الله تعالى ، ويزعم ان الاسلام قام بالاكراه كما أشرنا الى ذلك في المناجاة التمهيدية وهذا أشد مطعن يسدده الاوربيون الى قلب الاسلام، ويذكر سيدنا عيسى (عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وسائر النبيين) بلقب رجل يهودي وبعد هذا كله يخص بطعنه الصريح من قضى زهرة عمره في خدمة الاسلام والدفاع عنه

هنالك ما هو شر من ذلك وهو السعي في مقاومة المشروع الاعظم لخدمة الاسلام وهو إنشاء مدرسة دار العلم والارشاد التي يتربى فيها الوعاظ والمرشدون ليقوموا بما أوجبه الله تعالى من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العامة عقائد الاسلام وآدابه وأحكامه مع التنبيه الى مصالح الدنيا كترقية الزراعة وكل ما ينمي ثروة الامة ويعزز الدولة . فقد حدثني الثقة ان شيطان الفساد بعد ان مدح المشروع قبل ان يتقرر عاد الى التنفير منه بعد ان علم بأنه تم او كاد فهو ينفر كل من يظن انه يساعده على هذه المقاومة بما يرى انه يصيب موقع التأثير من وجدانه والاقناع من فكره : يقول للملاحدة ان تأسيس مدرسة إسلامية عربية في الآستانة

يجعل للدين قوة معنوية «جزويتية» تقضي على حريتكم وتذهب بجميع مقاصدكم!!! ويقول للمتعصبين مثله للجنسية ان هذه المدرسة تقوي اللغة العربية وتحيها فتزاحم التركية في عرشها الاعلى ! ! ! ويقول للمتدينين الجامدين إن هذه المدرسة تحيي علوم التفسير والحديث والفلسفة فتفسد عليكم التعليم المقرر في مذهب الامام الاعظم !! وينفر بعضهم عنها بالطعن في شخص الداعي إلى تأسيسها وكأنه لا يدري انا نطلب ان تؤسسها جمعية من الفضلاء والعلماء وان يكون التعليم فيها بما يرضونه ويختارونه ويكون أيضا بمراقبتهم الدائمة ، فهل يضر المدرسة مع هذا ان يصدق الكذوب ويكون الطعن في شخص الذي نبه الى هذا العمل النافع صحيحا ؟

إذا كان خذلان مفسدي المسلمين لمصلحيهم قد وصل الى هذه الغاية فهل يستبعد بعد ذلك شيء مما ذكرنا عن غراب التفريق والتنكيث ؟؟. ماذكر مشروع (العلم والارشاد) لعالم ديني أو غير ديني ولا عاقل عربي أو أعجمي مسلم أو غير مسلم مستمسك بدينه أو متهاون فيه الا وأعجب به واعترف بفائدته ونفعه وبأنه لا يجل محله سواه في فائدته ومنفعته حتى ان بعض الملحدين قال اننا نحب ان يتعلم الاسلام على وجهه فان المسلمين يكونون بذلك أقرب الى الترقي الذي يصدهم عنه المتعصبون باسم الدين ، كما يكونون أبعد عن إيذاء المخالفين ،وأما سائر الوساوس فظاهرة البطلان

بلغني خبر هذه السعاية فكان اول شيء سبق الى ذهني عند سماعه فاتحة كلام نشر في جريدة العروة الوثقى وهو على ما أتذكر

« أسف يصهر الجسم وحسرة تذيب الاكباد على قبيل من أمة ، أو شخص منها ذي همة ، يستخير الله في عمل ينقذ أمته من ضعة ، أو يعود عليها بمنفعة ، ثم يعرض له في اثناء عمله من ينجم كقرن المعز ليفقأ عين العامل و يعرقل عليه عمله » الخ

وتلا هذه الذكرى في خاطري ما كنت سمعته من الاستاذ الامام محرر تلك الجريدة (العروة الوثقى) في هذا المعنى رحمه الله تعالى: والله انني ما تشبثت بخدمة للاسلام أو المسلمين وقاومني فيها أحد من غير المسلمين ، ما قاومني في شيء من ذلك انكليزي ولا قبطي ولا سوري مسيحي و إنما لقيت مقاومة كثيرة من المسلمين أنفسهم في خدمة الاسلام والمسلمين !!

نعود من هذا الاستطراد الى أصل الموضوع وهو إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية فنقول ان ناعق الفتنة لم يكتف بتغرير العرب وإغرائهم باخوتهم الترك بل عمد إلى إلقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى منهم فنفخ روح العصبية الدينية في الفريقين فجرح كل واحد في دينه جرحا داميا ، وأغرى كلا منهما بالآخر ومزق نسيج الوحدة الجنسية بينهما بايهامه من يقرأ كلامه من النصارى انه بتهكمه بدينهم يتكلم باسم الاسلام ويرضي المسلمين وبانكاره ان يكون النصراني عربيا مع علمه ان النصرانية كانت في العرب قبل البعثة المحمدية كاليهودية . ويرى القارىء في فتاوى هذا الجزء سؤالا عن حديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » أي يحفظه ويؤيده . وما رأيت ولا رأى الراؤون اسخف من اختراع هذه العلة للتفريق أي جعل العربية والنصرانية ضدين لايجتمعان ، وناهيك بسخافة ينقضها العيان ٬

اطلعنا على ما كتبه في ذلك موقظ الفتن فبادرنا الى مقابلة الضد بضده٬ ومقاومة الشر بالخير٬ والقذف بالحق على الباطل٬ فكتبنا مقالة في تذكير أهل سورية وبيروت بما فيه خيرهم وخير دولتهم من الوفاق والوئام٬ ونشرناها هنا في جريدة الحضارة وسيراها القراء في المنار السادس، ونرجو ان تكون دامغة لباطل موقظ الفتن، لانها حجة داحضة لشبهته التي اخترعها خياله٬ وناهضة في بيان ان مسلمي العرب يتبرءون من كل وسوسة تفرق بينهم وبين اخوتهم في الوطن والجنس واللغة والمصلحة والتابعية العثمانية كما يتبرأ الخير من الشر٬ والنفع من الضر، وان موقظ الفتنة لم يترجم عن ضمائرهم ولا قال ماقال بالنيابة عنهم وهو ليس منهم وان كان يحزننا أن وجد منهم من يترجم عنه ويكتب له مايريد باسمه واسم نفسه٬ وهو لم يقل ماقال ايضا باسم الاسلام وقد علموا انه جنى على الاسلام اكثر مما جنى على النصرانية٬ وينبغي ان يبرءوا الحكومة الدستورية من الاقرار والاعانة على هذا الفساد وان شاع انها تساعد هذا المفسد على عمله فان صح مايقال من مساعدتها إياه ٬فلا بد ان تكون المساعدة لزعمه انه يعضد الاصلاح ودعواه ، « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون »

كل من اطلع على ما كتبه المفسدون يعرف من يقصد منهم بهذا الكلام اذ

لاينطبق على كثير من المفسدين ولو كان كل الفاتنين كمن ذكرنا لفسدت الارض وهلك الناس ، ومن لم يطلع عليه ولا وصلت اليه وسوسته نخبر له ان لايعرفه٬ على انه اذا ظل سادرا في إفساده، سادلا اذيال غروره وعناده ، فسننقل الكلام من حيز الابهام ونأتي بالشواهد والنصوص من كلامه المؤيدة لما قلنا تحذيرا من كل مايكتبه وما يقوله٬ ولعل ديوان الحرب العرفي يكفينا ذلك بمنعه من أمثال هذه الفتن قبل ان يظهر اثرها الرديء فان الرجل وإن كان متهما بسوء النية عند جميع العرب يخشى ان يؤثر كلامه في بعضهم أو يكون سببا لسوء ظنهم بحكومتهم الدستورية وفقها الله لكل اصلاح ،وجعل أيامها الدائمة ان شاء الله تعالى أيام خير وفلاح

المسلمون في روسية

﴿ وسياسة الحكومة ﴾ (*)

أيها السادة : سأبحث لكم عن سياسة الحكومة مع المسلمين . لست اجد حاجة للبحث عن سياسة الحكومة العامة بعد خطابات ماقلاقوف وغيره من المبعوثين . واني اعلم ان السكوت والكلام سواء لأن الحكومة والنظار لا يعيرون اسماعهم لنداء الامة ولا سيما للمسلمين ولكني اراني مضطرا الى الكلام خشية ان يحمل سكوت المسلمين على رضاهم بحالة الفوضى الضاربة اطنابها في كل مكان

أيها السادة : اني غير ذاكر لكم الحوادث المؤلمة النازلة بالمسلمين ولاسيما اقفال المدارس وطرد المعلمين وائمة الدين واحدة واحدة ولكني سأبحث عن سلوك الحكومة هذه السبيل . أيها السادة : ان المسلمين متضررون وواقعون تحت حيف الحالة الحاضرة والاختلال في روسية وان مسالمتهم وضعفهم وحلمهم كل ذلك جعلهم عرضة لمصائب ورزايا اعظم وأكبر (هرج ومرج في المجلس)

(*) خطبة لصدر الدين افندي مقصودوف القاها على اعضاء مجلس الدوما بروسية منقولة من مجموعة مذاكرات المجلس وقد نشرت في جريدة ترجمان التربة التي تصدر بباغچه سراي ونحن ننشرها مترجمة بالعربية

الرئيس : ارجو التزام السكوت والسكون

مقصودوف : ان مصيبة المسلمين بالمبشرين هي أعظم ماينغص حياتهم وقد تتولى الدهشة رفقاءنا اعضاء المجلس لهذه الشكوى ويقولون كيف تستاؤن من بضع مئات من الرهبان والقسوس وهم لا يرغمونكم بالقوة على قبول دعوتهم وانتحال دينهم بل ينشرونها بالوعظ والارشاد ولكن لو اقتصر الامر على ذلك لما تضجرنا ولا تذمرنا ولكننا نتضجر ونتأفف لا لدعوة بضع مئين من الرهبان والقسوس ولكن لانهم يرمون الى غاية سياسية من وراء ذلك . فهم لا يكتفون بالدعوة الدينية بل يبتغون من وراء ذلك صبغنا بالجنسية الروسية . فنحن لا نشكو من وعظهم وارشادهم ولكن من مآرب الحكومة باتخاذهم آلة لها لتنفيذ اغراضها منا . لايخفى عليكم جميعا ان الحكومة في سياستها للمسلمين منذ نحو عشرين او ثلاثين سنة كانت على خطة « بوبيدانوسجف » وكما كان هذا واعظا كان ايلمنسكي مبشرا . فعملا بأفكار هؤلاء أقفلت مدارسنا وضيق على ظهور صحافتنا ثم املنا عقب اعلان المساواة الدينية والمدنية في القرار العالي بأن ننجو من وطأة الرهبان واغرائهم الحكومة بنا ولكن خاب منا هذا الامل لان الحكومة لاتزال تصغي وتعمل بما يمليه عليها الرهبان . وما تريد أن تعلمه من أحوال المسلمين ترجع فيه الى الرهبان . ومما يجدر بالتأمل في مثل هذه الامور التقرير الذي رفعه المسيو « الكسي » ناظر مدرسة الرهبان العليا في قزان الى نظارة الخارجية ولو وقف الامر عند هذا الحد لاضربت عن ذكره ولكن دائرة الاديان الاجنبية من نظارة الداخلية تهتم به اهتماما عظيما ومما يستدعي النظر انه قد ألفت جمعية غايتها الوقوف على حركة المسلمين والحيلولة بينهم و بين آمالهم الملية .

واليكم فكر الناظر « الكسي » وملاحظة « ان مسلمي روسية منتهجون سبيل الاتحاد الاسلامي وهم يؤسسون المدارس والجرائد والمجلات ويقبلون على التعلم و بالاختصار فهم دائبون وراء استنارة أفكارهم وترقية مداركهم وغاية ذلك الاتحاد الاسلامي » ولا أصل علي ما أعلم لما يذكره ذلك الراهب من انتشار فكرة الجامعة الاسلامية بل ان استنارة الافكار والسعي وراء الترقي لاعلاقة له بذلك كما لايخفى ثم ان الاسلام في نظر المسيو « الكسي » عبارة عن الجهاد وسفك الدماء و يزعم ان

الناشئة الحديثة تستحسن هذا الامر . فاعلموا ايها السادة ان حكمة الاسلام وسيرته تنقضان هذا الزعم وانما غاية الاسلام الترقي والمدنية والتاريخ شاهد على ماقامت به بغداد والاندلس من رفع منار العلم وما يبتغيه المسلمون ليس الاتحاد الاسلامي وانما الترقي والمدنية واصلاح حالتهم الاجتماعية . فان كان هذا مما لايرضى عنه الراهب فذاك أمر آخر .

ثم اذا كان المسلمون ينشئون الجمعيات الخيرية فأي دخل لهذا بالجامعة الاسلامية؟

إن كل من يظن ان لهذا الراهب الذي قدم تقريره لنظارة الداخلية وقوفا على احوالنا فهو مخطئ، لانه يجهل لغتنا وكل ما كتبه عنا مترجم مما كتب بالفرنسية . ونظارة الداخلية تبني سياستها نحونا على امثال تلك الكتابات وهي آخذة في وضع خطة جديدة نحو المسلمين وبها تريد تفريق الدين عن القومية فهي لاتهاجم دينهم الاسلامي بل هيئتهم القومية . أيها السادة : ان الدين والقومية واحد في المسلمين ولا يمكن تفريق احدهما عن الآخر ولم يفترقا منذ عصور وفي موقفي هذا قد أعلنا وأعلن رفقاؤنا مرارا وتكرارا أن مسلمي روسية انما هم شعب مسلم اي انهم ليسوا روسيين مسلمين فهم أمة يجدر بها ان تعيش كأمة وقد قلت ذلك ولا أزال أعيده حتى يلجم لساني ويكم فمي !

وسنحافظ على قوميتنا محافظة لانخرج بها عن دائرة الاخلاص لتابعيتنا فسنحافظ على لغتنا القومية وسندأب على ترقية شأنها ورفع آدابها شأن كل الامم واني اصرح للحكومة بأن كل مايضعونه في سبيلنا من العقبات والموانع وما يعدونه من التدابير سيكون عقيما . لاننا نعد المعارضة لقوميتنا تصد لديننا وعلى ذلك فلا الحكومة ولا دائرة المذاهب الاجنبية تقدر أن تفصل ديننا عن قوميتنا وان تضعف احدهما وتخمد الثاني . فنحن سنعيش أولا كمسلمين وثانيا كشعب بمقومات خاصة في روسية واني واثق اننا سنقاوم التدابير الجديدة التي تعدها دائرة المذاهب الاجنبية ضدنا بنفس الروح التي أظهرناها في مقاومة «ايوان غروزني» الذي حاول تنصيرنا بالسيف! . ايها السادة : انني اختم كلامي بأن أعلن بأننا نحن مسلمي روسية سنعيش كشعب حر في روسية الحرة . (تصفيق في الجناح الايسر)

تعصب اوربا الديني

(الزام النمسا والمجر لمسلمي بلادهم باتباعهم في أحكام الزواج والطلاق)

نشرنا في المجلد الماضي (ص٤٣٨ و٤٩٩ و٨٥٦)وفي غيره نبذاومقالات بينا فيها ان الغلو في التعصب الديني منبعه أوربا ونحن في كل آن نرى الآيات والشواهد على ذلك من غير تتبع ولا استقراء . من ذلك مارأيناه في هذه الايام في جريدة (صداي ملت) التي يصدرها بعض روم الاستانة باللغة العثمانية هنا (الآستانة)

وماذا رأينا فيها ؟ رأينا عجبا !رأينا ان الحكومة قررت أن دين المسلمين لا يتفق مع مدنيتهم في احكام الزواج والطلاق لانه يبيح تعدد الزوجات فيجب إلزام المسلمين وا كراههم على اتباع محا كم الدولة في ذلك وعدم السماح لهم بجعل ذلك على حسب شريعتهم والرجوع الى محا كهم الشرعية التي كانوا يحكمون فيها بما يتعلق بالامور الشخصية ! ! ولا يبعد ان يمنعوهم بعد زمن قريب أو بعيد من الحج لان فيه مشقة أو تعرضا للمرض وهم لشدة حبهم للمسلمين يحولون بينهم و بين مايؤذيهم !! ومن الصوم لانه مانع من حرية التلذذ الذي هومنتهى الحظ من هذه المدنية!! ومن الصلاة لان فيها اجتماعا على غير مانحب الدولة العادلة ! !

لو فعلت هذه الفعلة التي فعلتها النمسا الحكومة العثمانية أو حكومة مرا كش أو الافغان لقامت قيامة أوربا وأمريكا والعالم المسيحي كله حتى التابعين للحكومة الاسلامية التي تفعل ذلك وتجاوبت اصداؤهم بالصياح والشكوى من تعصب المسلمين والتحريض على ابادتهم من الارض فاعتبروا ايها المنصفون !

(اعتصاب الزيتونيين) اعتصب طلاب جامع الزيتونة بتونس عن تلقي الدروس طالبين تغيير الحال بما ينجح الاعمال وينفع في الحاضر والمآل وبعد ان كادت تخذلهم السياسة نصرهم الاتحاد فاجيبوا الى معظم ما طلبوا وقد كنا كتبنا مقالة نرحب فيها بهذه النهضة فلم يتسع لها هذا الجزء

(الانكليز في بلاد العرب) كتبت التيمس مقالة فيها تلويح ينبيء عن تصريح بما توجهت اليه عزائم الانكليز من العمل في بلاد العرب فعسى ان تستيقظ الدولة وتصيخ الى هذا الصوت لا الى صوت ذلك الموسوس المفرق ولعلنا ننقل المقالة في المنار السادس ونعلق عليها بما يعن لنا من النصيحة

الفصل الحادي والعشرون(*)

(الدليل النقلي)

اقتداء الناس بعضهم ببعض أمر قد ألفته طباعهم عظيم الالفة . وربما كان من سنخ غرائزهم ، ومن مادة تصورهم ، اذ رأيناه عريقا في مرافقة الاجيال، والتنقل في الانسال، وموغلا في الرسوخ والاستقرار ، والدوام والاستمرار ، لا يزحزحهم شيء عنه ، ولا يفصل بينهم وبينه فاصل

هذا الاقتداء نفع البشر كثيرا ، واضرَّ بهم كثيرا ، فاما نفعه اياهم فلأن الا كبر سنا ، والا كثر فهما ، والاشد قوة ، والاغزر تجربة، يجعلون المقتدين بهم يبتدئون حيث انتهوا هم ، ويمهدون لهم ما لا يستطيعون أن يمهدوا لانفسهم ، ولو بقي الطفل والغبي والضعيف والغر خالين من طبيعة الاقتداء لراحت ا كثر التجارب والاختراعات والتفكرات والاعمال العظيمة سدى ، ولولا الاقتداء لما تعددت الاعمال والصناعات، ولا كثرت البدائع ، ولا ارتقى التمدن ، ولا نمي العمران، ولا سما النظام . وأما اضراره بهم فلانه ساق أحيانا الى الاقتداء بالجاهلين والمفسدين ، ووقف أحيانا بأقوام مع ماسن لهم اسلافهم وقفة الصخور ، وجعلهم يحرمون مما يأتي على أيدي الحكماء من الهدى متى خالف ماعرفوا من قبل ، وان اصبح ماعرفوه منكرا لدى أهل زمانهم أجمعين

البحث عن نفعه واضراره ، ووضع الموازين للدرجات فيه، لاقرابة

(*) تابع لما نشر في (ص٢٣١ م١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبدالحميد الزهراوي

بينه وبين موضوعنا ، ولكن اتخاذ الناس بعض كلام الآخرين من جملة الادلة هو الذي حملنا أن نقدم هذه الكلمات في وصف عراقته وبيان أن بعضه نافع كما وقع للسيدة « خديجة »

* * *

كان للسيدة «خديجة» ابن عم قد شبع من الاعوام ، وارتوى من حديث الانام ، قد تعلم العبرانية وقرأ بها الاسفار ، وعرف بها الاديان ورضي بدين ابن مريم (عليه السلام) دينا وهو « ورقة بن نوفل »

هذا الشيخ الجليل كان جديرا أن يكون اماما لخديجة تتخذ قوله حجة وهديه معتصما لان هناك وجوها كثيرة تدفع عن نفسها الريب بأن هذا الرجل أعلم منها بهذه الامور وانه لا يصدر عنه الا النصح لها. فهو بالدرجة الاولى ابن عمها بل بحسب السن مع القرابة هو في مقام ابيها ، فلو أن ورقة غشاش مخادع لما كان منه الغش والخداع لبنت عمه فكيف وهو مستمسك اذ ذاك بدين ذلك الانسان المملوء قدسا الذي كان اكبر همه حث الناس على التحاب ونفع بعضهم لبعض، ونهيهم عن التشاحن وايذاء بعضهم لبعض. وهو مع قرابته وسمو التعاليم التي تزكت بها نفسه كان في نظر خديجة سامي الهمة جدا

ذلك ما حملها على الاسراع اليه لتقص عليه الخبر وترجع في هذا الامر الى علمه وأخذت معها بعلها ليقص هو نفسه على سمعه ما رأى

كان ورقة بحسب ما قرأ وعرف مصدقا بأن ليس هذا الهيكل البشري الا مظهرا لشيء يحل فيه هذه المدة القصيرة باذن الله وهو الروح ، وأن للروح ظهورات غريبة في بعض الهياكل ، وانه توجد أرواح من شأنها الاجتنان عن الحس والعيان تتمكن من الانسان من حيث لا يشعر ، صنف منها يحب جذبه الى سبل التكمل ، وصنف منها يحب بقاءه في

حضيض البهيمية ، يقال في العربية للاول ملائكة وللثاني شياطين

كان مصدقا بكل هذا ومؤمنا أيضا بأن بعض الارواح الذين هم الملائكة يختصهم الفاطر المصور بمزيد خصائص ويجعلهم نواميس أي وسطاء الوحي الأعلى للذين يريد سبحانه أن تكون ظهورات الروح فيهم سامية جدا

كان قد قرأ الانبياء وعرف مجيء الارواح اليهم وعرف أنه يقوم أنبياء كذبة وأنبياء صادقون وأن لهؤلاء وهؤلاء علامات. فنحن لما سمعنا ذهاب خديجة الى هذا العالم المسيحي خطر ببالنا أنه لا يكون سهلا تصديقه بقدسية الروح الذي أتى محمداً (صلى الله عليه وسلم) لان يوحنا الرسولي يقول في رسالته الاولى «أيها الاحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الارواح هل هي من الله لان أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم. بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله» ولكن الذي خطر ببالنا أن وقوعه صعب قد رأيناه أمراً واقعا فان ورقة بعد أن سأل بعل ابنة عمه بضع مسائل قال له هذا هو ناموس موسى أي الروح الذي جاءه . والظاهر أنه لم يقل هذا القول ولم يصدق هذا التصديق الا بعد أن عمل الامتحان الذي أوصى به يوحنا الرسولي وظهرت له العلائم الدالة على أن هذا الروح من الله على حسب ما تعلم من الكتب

نحن لا ندعي العلم بتفسير هذه الكلمات التي ليوحنا ولا طريقة الامتحان التي أشار بها ولكن نظن أن ذلك العالم القريب من ذلك العهد بالنسبة الى زماننا هذا كان لا يجهل هذا التفسير . وكذلك لا ندعي العلم بتفسير قول موسى لبني اسرائيل «ان نبيا مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من

اخوتكم» ولا تفسير الاصحاح الثاني والاربعين من «اشعياء» ولكن يظهر لنا أن ورقة قد فهم من قول موسى هذا ومن اشعياء أنه سيكون نبي من العرب يكون مقامه حوالي سلع ذلك الجبل المعروف في البلاد العربية. وهذا نص مافي أشعيا :

«١ هوذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لايصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لايقصف ، وفتيلة خامدة لايطفىء ، الى الامان يخرج الحق ٤ لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الارض ونتائجها ، معطي الشعب عليها نسمة ، والساكنين فيها روحا ٦ أنا الرب قد دعوتك بالبر ، فأمسك بيدك ، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم ٧ لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين في الظلمة ٨ أنا الرب هذا اسمي ومجدي ، لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد أتت ، والحديثات أنا مخبر بها ، قبل ان تنبت أعلمكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة ، تسبيحة من اقصى الارض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار ، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر »

***

قد قلت وأعيد قولي اني لا أدعي العلم بتفسير هذه الكتب ولكني لما رأيت ورقة قال لزوج بنت عمه هذا هو ناموس موسى بحثت عن منشأ

قوله هذا فوجدت فيما ذكرت آنفا من قول موسى واشعيا مايشبه أن يكون مأخذاً فمن أراد أن يقول لي لايفهم من قول موسى وأشعيا مافهمت لايجدني آسفا على عدم إصابة ظني بخصوص ماحمل ورقة بن نوفل على قوله هذا فانه يجوز أن يكون قد عرف ذلك بغير ماظننته . ولست في هذا المقام بذي حجاج ومناظرة ان أنا ههنا الا كاتب سيرة أجتهد باستقصاء فروع حوادثها وتفسيرها على قدر فهمي ومبلغ ماوصلت اليه من النقول

وههنا مسألة جليلة لانستطيع مفارقة هذا المقام من غير أن نوضحها ونسهل فهمها على القارئ وهي ان الارواح قد تعلم بعض الاشياء قبل وقوعها اذا كشف الله تعالى لها عنها بواسطة النواميس أو واسطة غيرها

هذا المعنى كان بنو اسرائيل يقولون به كما كان كثير من الامم الاخرى تذهب اليه وقد جاءت كتبهم حاملة سلسلة من أخبار هؤلاء البشر الذين كان الروح الالهي ينزل عليهم فينبئهم بما سيكون . وتبتدىء هذه السلسلة المهمة في كتبهم بحديث نوح الذي أنبئ فأنبأ بانه سيكون طوفان ويموت كل من على وجه الارض وهدى الى صنع الفلك فصار الطوفان ونجاهو وأولاده ونساؤهم وتناسلوا بعد الطوفان ثم تفرقوا ثم اصطفى الله من هذه الانسال ابراهيم (*) وكان ينزل عليه روحا من عنده ، وشاخ ابراهيم وزوجته سارة من غير أن يصير لهما نسل ولكن حبلت منه أخيرا هاجر جارية زوجته ونزل عليها الروح وقال لها سيكثر نسلك فلا يعد من الكثرة فولدت له اسماعيل ثم انبئ أن زوجته سارة ستحبل وتلد بعد هذه الشيخوخة

(*) ابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح (كذا في التكوين)

وطول هذا المقم فولدت له اسحاق وانبيء ان نسل اسحاق سيكون كثيرا أيضا . وغضبت سارة على هاجر فطردتها وغلامها فنزل على هاجر الروح وقال لها لاتخافي لان الله قدسمع صوت الغلام وسيجعله أمة عظيمة وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية برية فاران التي قال عنها موسى ان الله سبحانه تلألأ فيها

وتأخذ كتب بني اسرائيل بعد ذلك بسرد أخبار من تناسل من اسحاق بن ابراهيم وأما أخبار من تناسل من أخيه اسماعيل فلا تذكرها فابن اسحاق يعقوب وهو اسرائيل كان الروح ينزل عليه ، ويوسف بن يعقوب كان الروح يجيء اليه

ويوسف هو سبب مجيء بيت يعقوب الى مصر وهناك تناسلوا وكثروا حتى ولد فيهم موسى صاحب الشريعة الشهيرة . هذا أيضا كان ينبأ وينزل عليه الروح وهذا قال لقومه « ان نبيا مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم »

واسس موسى لبني اسرائيل ملكا على الوحي الروحي وخلفه بعد موته تلميذه يوشع بن نون وبعد موت يوشع بدأ الفساد والضعف يحل بهم ثم انتشلهم داود وسليمان وتعاظم الملك في أيام سليمان ثم طرأت عليه بعده الطوارئ حتى زال . ولم يخل زمان من أزمنة ملوكهم وبعدها من نبي أو عدة أنبياء حتى نزل الروح أخيرا على مريم أم عيسى وبشرها بانه يكون لها ولد من غير أن يمسها بشر . وقد ولدت مريم عيسى على هذه الصورة التي بشرت بها وصار نبيا أيضا ولكن قومه كذبوه ولم يصدقه الا قليل . وقد كذبوا من قبله أكثر الانبياء الذين كانوا ينذرونهم بزوال الملك اذا ظلوا على الفساد

أنا لا أعرف لماذا يكذب بعض الناس بأشياء هم مصدقون بمثلها ، أو يصدقون باشياء هم مكذبون بمثلها . هذا أمر وقع كثيرا ويقع دائما أمام أعيننا واسماعنا فهل التصديق والتكذيب بحسب وزن الاشخاص، وماهو الميزان في الاشخاص ؟ أم بحسب وزن العقل وماهو سبيل العقل في التصديق والتكذيب بمثل هذا ؟

أنا أرى أن من آمن بسعة قدرة الله ، وبعجائب صنع الله، ونفذت بصيرته لرؤية آثار روح الله ، وآمن بمجيء ناموس الله لعبده موسى لاينبغي له أن ينكر قدرة الله في اخراج عيسى من مريم بغير واسطة بعل ، ولا يجدر به أن يكذب نزول روح الله عليه كما نزل على أخيه موسى . ومن آمن بعجائب موسى وعيسى ابني اسحاق وبنزول روح الله عليهما لاينبغي له أن يستبعد نزول هذا الروح على أخ لهما من بني اسماعيل

هذا أقوله للذين صدقوا بما هنالك من العجائب والغرائب الموسوية والعيسوية وأما الذين لايصدقون بهذي وتلك ولا يحكمون الا الحس والعقل فهؤلاء أمضي بهم الى التجارب والمشاهدات وأنا واثق أنا لا نعدم في خزائنها كثيرا مما يؤيد أن بعض البشر يخبرون عن بعض الحوادث قبل وقوعها

فان قال لي هؤلاء نعم قد يوجد أناس على هذا النحو ولكن ليس هذا سبب اخبار من روح كما تقولون قلت لهم اذا توافقنا في ثبوت الاصل فلاضير علينا بعد ذلك بالاختلاف في الاسباب وأسمائها

وان قالوا لي ماالفرق بين هؤلاء الذين قد نراهم في أزمنتنا هذه من هذا القبيل وبين من تحدثونا عنهم قلت لهم ان هذا الفرق ظاهر لان الاختصاص كله من الله فهو يعطي انسانا معرفة بعض الوقائع الآتية

ويجعله شارعا وقائد أمم ومؤيدا بتأييد عظيم لاتحيط به العبارة ويعطي انسانا آخر مثالا صغيرا من هذه المعرفة من غير أن يجعله شارعا وقائد أمم ومؤيدا بتأييد عظيم فالاول يقول أنا نبي أو أنا رسول ويظهر الله صدقه فيما يقول والثاني لايستطيع أن يقول هذا وان قاله لايظهر قوله حقاء فهل ينكر هذا الفرق الكبير ذو بصيرة لايعدوها الاخلاص الى الله والادب مع مجالي أمره، ومظاهر سره !؟

لقد كان ورقة على ماظهر لنا شديد الاخلاص متوغلا في علم الروح ومعرفة النواميس الالهية وأخبارها ،وكان على نور فراسة من ربه وسرعة استطلاع فلما سمع هذا النبأ الجديد تفرس بصاحبه وتذكر مانقل عن الانبياء واصحاب النواميس من قبل، وتذكر قول موسى لقومه بني اسحاق « سيقيم الله نبيا مثلي من اخوتكم » وما اخوتهم إلا بنو اسماعيل فقال له هذا هو الناموس الذي نزل على موسى

ثم تذكر ايذاء الناس للانبياء مع قول اشعيا «لترفع البرية صوتها، الديار التي سكنها قيدار» وقيدار هو ابن اسمعيل ، وقوله « لتترنم سكان سالع » وسالع او سلع جبل على مقربة من «يثرب» من أشهر جبال العربية فلاح له أن قريشا ستضطر هذا النبي الى مفارقة بلده « مكة » فقال له « ليتني فيها جذعا — اي شابا — اذ يخرجك قومك »

وبعد برهة قليلة توفي ورقة . أما «خديجة» فاستمسكت بكلام هذا الرجل أيما استمساك وأضافت علومه الى ماقد عرفته هي بدلالة عقلها وتجربتها فأصبح ايمانها بنبوة بعلها ورسالته الى الناس اثبت من الرواسي

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق ﴾

﴿ مصر الخميس ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٢٨ — ٧ يوليو (تموز) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٣ : ٣٧) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ، : الْوَٰلِدَنِ وَٱلاقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ اَيْمَـٰنُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ظاهر جدا على القول بأن سبب نزول الآية السابقة هو ما تقدم من حديث تفضيل الرجال على النساء في الارث ، وكذا على القول بعموم التمني في تلك الآية فان اكثر التحاسد وتمني ما عند الغير يكون في المال وقلما يتمنى الناس مافضلهم به غيره من الجاه الامن حيث ان ذلك الجاه يستتبع

المال في الغالب فالعالم الزاهد في الدنيا المعرض عنها لايكاد يحسده على علمه أحد إلا أن يكون لعلة غير العلم كأن يكون علمه مظهرًا لجهل الادعياء وينقص من رزقهم واحترامهم .

الاستاذ الامام : الظاهر ان الكلام في الاموال فانه نهى عن أكلها بالباطل ثم نهى عن تمني أحد مافضله به غيره من المال لان التمني يسوق الى التعدي وانما أورد النهي عاما لزيادة الفائدة والسياق يفيد ان المال هو المقصود أولا و بالذات لان اكثر التمني يتعلق به ، وذكر القاعدة العامة في الثروة وهي الكسب . ثم انتقل من ذكر الغالب وهو الكسب الى غير الغالب وهو الارث فقال ﴿ ولكل جعلنا موالي مما ترك ﴾ فالموالي من لهم الولاية على التركة ، ومن قوله تعالى « مما ترك » ابتدائية والجملة تتم بقوله « ترك » والمعنى : ولكل من الرجال الذين لهم نصيب مما اكتسبوا والنساء اللواتي لهن نصيب مما اكتسبن موالي لهم حق الولاية على مايتركون من كسبهم ، وهؤلاء الموالي هم ﴿ الوالدان والأقربون والذين عقدت ايمانكم ﴾ اي جميع الورثة من الاصول والفروع والحواشي والازواج كما تقدم التفصيل في اول السورة ، فالمراد هنا بالذين عقدت أيمانكم الازواج فان كل واحد من الزوجين يصير زوجا له حق الارث بالعقد ، والمتعارف عند الناس في العقد ان يكون بالمصافحة باليدين ﴿ فآتوهم نصيبهم ﴾ أي فأعطوا هؤلاء الموالي نصيبهم المفروض لهم ولا تنقصوهم منه شيئا . ولما كان الميراث موضعا لطمع بعض الوارثين — أي ولا سيما من يكون في أيديهم المال لاقامة المورث معهم — قال تعالى بعد الامر باعطاء كل ذي حق حقه ﴿ ان الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ أي إنه تعالى رقيب عليكم حاضر يشهد تصرفكم في التركة وغيرها فلا يحملنكم الطمع وحسد بعضكم لبعض الوارثين على أن يأكل من نصيبه شيئا سواء كان ذكرا أم أنثى كبيرا أم صغيرا

أقول ان ماذهب اليه الاستاذ الامام هو المتبادر الذي لايعثر فيه الفكر، ولا يكبو في ميدانه جواد الذهن ، ولا يحتاج فيه الى تكلف في الاعراب ، ولا الى القول بالنسخ ، فأين منه تلك الاقوال المتكلفة التي انتزعها المفسرون انتزاعا من

تنوين قوله تعالى «ولكل» فهو ههنا بدل من مضاف اليه محذوف لدلالة السياق عليه كما هو المعهود في مثله من هذه اللغة والمأخذ القريب المتبادر لهذا المضاف اليه هو الآية السابقة التي عطف عليها قوله «ولكل» فاختار ان المخاطبين بالنهي والامر في تلك الآية هم المخاطبون بالحكم بامتثاله في هذه الآية المعطوفة عليها . واختار جمهور المفسرين البعد في التقدير فقدروا المضاف اليه لفظ تركة أو مال أو ميت أو قوم قال القاضي البيضاوي : اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ، ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل — أو لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي « ترك » ضمير كل و« الوالدان والاقربون » استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان « الاقربون » لايتناولهم كما لايتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان « جعلنا موالي» صفة « كل » والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدإ وخبر . اه وقوله ان الاولاد لايدخلون في الاقربين غير مسلّم ولماذا لم يقل مثله في تفسير قوله تعالى في أوائل هذه السورة « ٦ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » الخ بل فسر الاقربين بالمتوارثين بالقرابة وذكر في سبب نزولها ماورد في ارث البنات والزوجة

وفسر بعضهم «الذين عقدت أيمانكم » بموالي الموالاة ورووا أن الحليف كان يرث السدس من مال حليفه في الجاهلية وأقرّه الاسلام أولا ثم نسخ بقوله تعالى «وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض » وروى ابن جرير عن قتادة أنه قال كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وترثني وأرثك وتطلب بي واطلب بك ، فجعل له السدس من جميع المال في الاسلام ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم فنسخ ذلك بعد في سورة الانفال — وذكر الآية المذكورة آنفا — وروي مثل ذلك عن ابن عباس . ولكن لاعلاقة لهذا بالآية فالظاهر ان سورة النساء نزلت بعد سورة الانفال فان سورة الانفال نزلت في سنة بدر والمواريث شرعت بعد ذلك والآية التي نفسرها نزلت بعد آية المواريث لالانها بعدها في ترتيب السورة بل لانها أشارت الى أحكام المواريث وبنيت على أن الله تعالى جعل لكل من الوارثين نصيبا يجب ان يؤدى اليه تاما ، فهل يعقل ان تكون مع ذلك مقررة

للارث بالتحالف ؟ إن القرآن لم يشرع للناس الارث بالتحالف و إنما أبطله ونسخ ما كان عليه الناس فيه قبل نزول آيات المواريث كما هو ظاهر . وذهب أبو حنيفة الى انه أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يرثه و يعقل عنه صح ذلك وكان عليه عقله وله إرثه ان لم يكن له وارث .والمراد بالعقل دية القتل . والذي صح عن ابن عباس عند البخاري وابي داود والنسائي ان النبي (ص) لما آخى في أول الهجرة بين المهاجرين والانصار كان المهاجر يرث اخاه الانصاري دون ذوي رحمه فلما نزلت هذه الآية نسخ ذلك .وجعل جملة « والذين عقدت أيمانكم » استئنافية والوقف على ماقبلها قال والمعنى « فآتوهم نصيبهم » من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث و يوصى له

هذا وان الاستاذ الامام قد سبق الى القول بأن المراد بعقدت أيمانكم عقد النكاح فهو مختار له لامبتكر ، وقد ذهل من قال من ناقليه إنه خلاف الظاهر مستدلا بأنه لم يعهد إضافته الى اليمين ،فانه لايلتزم هو ولا غيره ممن يوافقه في هذة المسألة ان يكون كل استعمال في القرآن أو في كلام البلغاء معهودا في كلام الناس قبله لاستلزام ذلك نفي الابتكار وان كل استعمال يجب ان يكون قديما معروفا في الجاهلية ، وذلك باطل بالبداهة ، فكم في القرآن والحديث من أبكار الاساليب الحسان ، اللاتي لم يطمثهن إنس قبلهما ولا جان ، وما من بليغ الا وله مخترعات في البيان ، لم يسلك فجاجها من قبله إنسان ، ولماذا يستبعد إسناد عقد النكاح الى الايمان دون غيرها من العقود كالحلف والبيع والمعهود في جميعها وضع اليمين في اليمين؟ . وقد قرأ الكوفيون «عقدت » بغير الف ، والباقون «عاقدت » بألف المفاعلة ، وقرىء في الشواذ عقدت بتشديد القاف

(٣٣ : ٣٨) الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ، وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ

فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤ : ٣٩) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا

لما نهى الله تعالى كلاً من الرجال والنساء عن تمني مافضل به بعضهم على بعض ، وارشدهم الى الاعتماد في امر الرزق على كسبهم ،وأمرهم أن يؤتوا الوراث نصيبهم ، ولما كان من جملة أسباب هذا البيان ذكر تفضيل الرجال على النساء في الميراث والجهاد كان لسائل هنا ان يسأل عن سبب هذا الاختصاص وكان جواب سؤاله قوله تعالى

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ﴾ أي إن من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك ان يفرض عليهم الجهاد دونهن فانه يتضمن الحماية لهن ، وأن يكون حظهم من الميراث اكثر من حظهن لان عليهم من النفقة ماليس عليهن ، وسبب ذلك ان الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة ، وأعطاهم مالم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت في التكاليف والاحكام ، أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد ، وثم سبب آخر كسبي ، يدعم السبب الفطري ، وهو ما انفق الرجال على النساء من أموالهم ، فان في المهور تعويضا للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال فالشريعة كرمت المرأة اذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قيما عليها فجعل هذا الامر من قبيل الامور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لاجل المصلحة كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة ، ورضيت بعوض مالي عنها ، فقد قال تعالى (٢ : ٢٢٧ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالآية أوجبت لهم هذه الدرجة التي تقتضيها الفطرة لذلك كان من تكريم المرأة اعطاؤها عوضا ومكافأة في مقابلة هذه الدرجة وجعلها بذلك من قبيل

الامور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين ولا يقال ان الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مرءوسة للرجل بغير عوض فإنا نرى النساء في بعض الامم يعطين الرجال المهور ليكنّ تحت رياستهم . وقد سبق لنا في بيان حكمة تسمية المهور أجورا من عهد قريب نحو مما تقدم هنا وهو ظاهر جلي وان لم يهتد اليه من عرفت من المفسرين وجعل بعضهم انفاق الاموال هنا شاملا للمهر ولما يجب من النفقة على المرأة بعد الزواج

الاستاذ الامام : المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المرءوس بارادته واختياره وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الارادة لا يعمل عملا الا مايوجهه اليه رئيسه فان كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ مايرشده اليه أي ملاحظته في أعماله وتربيته ، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ولو لنحو زيارة أولي القربى الا في الاوقات والاحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى ، أقول ومنها مسألة النفقة فان الامر فيها للرجل فهو يقدر للمرأة تقديرا اجماليا يوما يوما أو شهرا شهرا او سنة سنة وهي تنفذ مايقدره على الوجه الذي ترى انه يرضيه ويناسب حاله من السعة والضيق

(قال) والمراد بتفضيل بعضهم على بعض تفضيل الرجال على النساء ، ولو قال « بما فضلهم عليهن » أو قال « بتفضيلهم عليهن » لكان اخصر وأظهر فيما قلنا انه المراد وإنما الحكمة في هذا التعبير هي عين الحكمة في قوله « ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض » وهي افادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن أقول يعني أنه لاينبغي للرجل ان يبغي بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها فانه لاعار على الشخص إن كان رأسه أفضل من يده ، وقلبه أشرف من معدته مثلا ، فان تفضيل بعض اعضاء البدن على بعض بجعل بعضها رئيسا دون بعض إنما هو لمصلحة البدن كله لاضرر في ذلك على عضو ما وإنما تتحقق وتثبت منفعة جميع الاعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذي يتيسر لها به القيام بوظيفتها الفطرية وهي الحمل

والولادة وتربية الاطفال وهي آمنة في سربها ، مكفية مايهمها من أمر رزقها ، وفي التعبير حكمة أخرى وهي الاشارة الى هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع افراد الرجال على جميع افراد النساء ، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل بل في قوة البنية والقدرة على الكسب ، ولم ينبه الاستاذ الى هذا المعنى على ظهوره من العبارة وتصديق الواقع له وان ادعى بعضهم ضعفه وبهذين المعنيين اللذين أفادتهما العبارة ظهر أنها في نهاية الايجاز الذي يصل الى حد الاعجاز لانها افادت هذه المعاني كلها . وقد قلنا في تفسير « ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض » ان التعبير يشمل مايفضل به كل من الجنس الآخر وما يفضل به افراد كل منها أفراد جنسه وافراد الجنس الآخر ، ولا تأتي تلك الصور كلها هنا وان اتحدت العبارة لان السياق هناك غيره هنا ، على اننا اشرنا ثمة الى ضعف صورة فضل النساء على الرجال بما هو خاص بهن من الحمل والولادة والرجال لايتمنون ذلك . ونعود الى كلام الاستاذ

(قال) وما به الفضل قسمان فطري وكسبي فالفطري هو أن مزاج الرجل أقوى وأكمل ، وأتم وأجمل ، وإنكم لتجدون من الغرابة أن أقول إن الرجل أجمل من المرأة وانما الجمال تابع لتمام الخلقة وكمالها ، وما الانسان في جسمه الحي الا نوع من أنواع الحيوان فنظام الخلقة فيها واحد ، واننا نرى ذكور جميع الحيوانات أكمل وأجمل من إناثها كما ترون في الديك والدجاجة والكبش والنعجة والاسد واللبوة ومن كمال خلقة الرجال وجمالها شعر اللحية والشاربين ولذلك يعد الاجرد ناقص الخلقة ويتمنى لو يجد دواء ينبت الشعر وان كان ممن اعتادوا حلق اللحى ، ويتبع قوة المزاج وكمال الخلقة قوة العقل وصحة النظر في مبادي الامور وغاياتها ومن أمثال الاطباء والعلماء : العقل السليم في الجسم السليم . ويتبع ذلك الكمال في الاعمال الكسبية فالرجال أقدر على الكسب والاختراع والتصرف في الامور أي فلاجل هذا كانوا هم المكلفين أن ينفقوا على النساء وأن يحموهن ويقوموا بأمر الرياسة العامة في مجتمع العشيرة التي يضمها المنزل اذ لابد في كل مجتمع من رئيس يرجع اليه في توحيد المصلحة العامة اه بزيادة وايضاح

ويتبع هذه الرياسة جعل عقدة النكاح في أيدي الرجال هم الذين يبرمونها برضا النساء وهم الذين يحلونها بالطلاق ، وأول مايذكره جمهور المفسرين المعروفين في هذا التفضيل النبوة والامامة الكبرى والصغرى وإقامة الشعائر كالأذان والاقامة والخطبة في الجمعة وغيرها ، ولا شك أن هذه المزايا تابعة لكمال استعداد الرجال وعدم الشاغل لهم عن هذه الاعمال ، على مافي النبوة من الاصطفاء والاختصاص ولكن ليست هي أسباب قيام الرجال على شئون النساء وانما السبب الذي أشير اليه بباء السببية لان النبوة اختصاص لايبنى عليها مثل هذا الحكم كما أنه لايبنى عليها أن كل رجل أفضل من كل امرأة لان الانبياء كانوا رجالا ، وأما الامامة والخطبة وما في معناهما مما ذكروه انما كان للرجال بالوضع الشرعي فلا يقتضي ان يميزوا بكل حكم ولو جعل الشرع للنساء ان يخطبن في الجمعة والحج ويؤذنّ ويقمن الصلاة لما كان ذلك مانعا أن يكون من مقتضى الفطرة أن يكون الرجال قوامين عليهن ، ولكن أكثر المفسرين يغفلون عن الرجوع الى سنن الفطرة في تعليل حكمة أحكام دين الفطرة ، ويلتمسون ذلك كله من أحكام أخرى

قال تعالى ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ هذا تفصيل لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التي تكون المرأة فيها تحت رياسة الرجل ، ذكر أنهن فيها قسمان صالحات وغير صالحات وأن من صفة الصالحات القنوت وهو السكون والطاعة لله تعالى وكذا لازواجهن بالمعروف ، وحفظ الغيب

قال الثوري وقتادة: حافظات للغيب يحفظن في غيبة الأزواج مايجب حفظه في النفس والمال ، وروى ابن جرير والبيهقي من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير النساء التي اذا نظرت اليك سرتك واذا أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها » وقرأ (ص) الآية . وقال الاستاذ الامام الغيب هنا هو مايستحى من إظهاره أي حافظات لكل ماهو خاصّ بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن على شيء مما هو خاصّ بالزوج

أقول ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل مايكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة ولا سيما حديث الرفث فما بالك بحفظ العرض . وعندي ان هذه العبارة هي أبلغ

ما في القرآن من دقائق كنايات النزاهة ، تقرأها خرائد العذارى جهرا ويفهمن ما تومئ اليه وهن على بعد من خطرات الخجل أن تمس وجدانهن الرقيق بأطراف أناملها ، فقلوبهن الأمان من تلك الخلجات ، التي تدفع الدم الى الوجنات ناهيك بوصل حفظ الغيب « بما حفظ » فالانتقال السريع من ذكر ذلك الغيب الخفي ، الى ذكر الله الجلي ، يصرف النفس عن التمادي في التفكر فيما يكون وراء الاستار ، من تلك الخفايا والاسرار ، وتشغلها بمراقبته عز وجل . وفسروا قوله تعالى « بما حفظ الله » بما حفظه لهن في مهورهن وايجاب النفقة لهن ، يريدون أنهن يحفظن حق الرجال في غيبتهم جزاء على المهر ووجوب النفقة المحفوظين لهنّ في حكم الله تعالى وما أراك الا ذاهباً معي الى وهن هذا القول وهزاله ، وتكريم أولئك الصالحات بشهادة الله تعالى أن يكون حفظهن لذلك الغيب من يد تلمس ، أو عين تبصر ، أو أذن تسترق سمعاً ، معللا بدراهم قبضن ، ولقيمات يرتقبن ، ولعلك بعد ان تمجّ هذا القول يقبل ذوقك ما قبله ذوقي وهو أن الباء في قوله « بما حفظ الله » هي صنو باء « لا حول ولا قوة الا بالله » وأن المعنى حافظات للغيب بحفظ الله أي بالحفظ الذي يؤتيهن الله إياه بصلاحهن فان الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه ما يجعلها محفوظة من الخيانة ، قوية على حفظ الامانة .

قال الاستاذ الامام : ان هذا القسم من النساء وليس للرجال عليهن شيء من سلطان التأديب وانما سلطانهم على القسم الثاني الذي بينه وبين حكمه بقوله

عز وجل ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ﴾ النشوز في الاصل بمعنى الارتفاع فالمرأة التي تخرج عن حقوق الرجل قد ترفعت عليه وحاولت أن تكون فوق رئيسها ، بل ترفعت ايضا عن طبيعتها ومايقتضيه نظام الفطرة في التعامل فتكون كالناشز من الارض الذي خرج عن الاستواء . وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط ، وبعضهم بالعلم به ، ولكن يقال لمَ ترك لفظ العلم واستبدل به لفظ الخوف ، أو لِمَ لم يقل واللاتي ينشزن؟ لاجرم ان في تعبير القرآن حكمة لطيفة وهي: ان الله تعالى لما كان يحب أن تكون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة

وتراض . والتئام لم يشأ أن يسند النشوز الى النساء إسنادا يدل على أن من شأنه أن يقع منهن فعلا بل عبر عن ذلك بعبارة تومئ الى أن من شأنه أن لايقع لانه خروج عن الاصل الذي يقوم به نظام الفطرة ، وتطيب به المعيشة ، ففي هذا التعبير تنبيه لطيف الى مكانة المرأة وما هو الاولى في شأنها ، والى ما يجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها ، حتى اذا آنس منها ما يخشى ان يؤول الى الترفع وعدم القيام بحقوق الزوجية فعليه أولا أن يبدأ بالوعظ الذي يرى أنه يؤثر في نفسها والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز ، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا كشماتة الاعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحَلي ، والرجل العاقل لايخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته . وأما الهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ويشق عليها هجره إياها وذهب بعض المفسرين ومنهم ابن جرير الطبري أن المرأة التي تنشز لاتبالي بهجر زوجها بمعنى إعراضه عنها وقالوا ان معنى « واهجروهن » قيدوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهو القيد الذي يقيد به . وليس هذا الذي قالوه بشيء وما هم بالواقفين على أخلاق النساء وطباعهن فان منهن من تحب زوجها ويزين لها الطيش والرعونة النشوز عليه ، ومنهن من تنشز امتحانا لزوجها ليظهر لها أو للناس مقدار شغفه بها وحرصه على رضاها ، أقول ومنهن من تنشز لتحمل زوجها على إرضائها بما تطلب من الحَلي والحلل أو غير ذلك ، ومنهن من يغريها أهلها بالنشوز لمآرب لهم

ولم يتكلم الاستاذ الامام عن الهجر في المضاجع لانه بديهي وكم تخبط المفسرون في تفسير البديهيات التي يفهمها الاميون فانك اذا قلت لاي عامي إن فلانا يهجر امرأته في المضجع أو في محل الاضطجاع أو في المرقد أو محل النوم فانه يفهم المراد من قولك ، ولكن المفسرين رأوا العبارة محلا لاختلاف أفهامهم فمنهم من صرح بما يراد من الكناية ، وأخل بما قصد في الكتاب من النزاهة ، ومنهم من قال المعنى اهجروا حُجَرهن التي هي محل مبيتهن ومنهم من قال المراد اهجروهن بسبب المضاجع أي بسبب عصيانهن اياكم فيها . وهذا يدخل في معنى النشوز فما معنى جعله هو

المراد بالعقاب ؟ وقال بعض من فسر الهجر بالتقييد بالهجار : قيدوهن لأجل الاكراه على ما امتنعن عنه ! وسمى الزمخشري هذا التفسير بتفسير الثقلاء . والمعنى الصحيح هو ما تبادر الى فهمك أيها القارئ وما يتبادر الى فهم كل من يعرف هذه الكلمات من اللغة . وذلك أن تقول العبارة تدل بمفهومها على منع ما جعله بعضهم معنى لها فهو يقول « واهجروهن في المضاجع » ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه وهو الفراش ولا بهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجاع وانما يتحقق بهجرٍ في الفراش نفسه وتعمد هجر الفراش او الحجرة زيادة في العقوبة لم يأذن بها الله تعالى وربما يكون سببا لزيادة الجفوة وفي الهجر في المضجع نفسه معنى لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذي هو فيه لان الاجتماع في المضجع هو الذي يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين الى الآخر ويزول اضطرابهما الذي أثارته الحوادث قبل ذلك فاذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة رجي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي الى سؤاله عن السبب ويهبط بها من نشز المخالفة ، الى صفصف(١) الموافقة ، وكأني بالقارئ وقد جزم بأن هذا هو المراد ، وان كان مثلي لم يره لأحد من الأموات والاحياء ،

وأما الضرب فاشترطوا فيه أن يكون غير مبرح وروى ذلك ابن جرير مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبريح الايذاء الشديد وروي عن ابن عباس (رض) تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه . أي كالضرب باليد أو بقصبة صغيرة ، وقد روي عن مقاتل في سبب نزول الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد ابن ابي زهير ، وذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى النبي (ص) فقال أفرشته كريمتي فلطمها ، فقال النبي (ص) « لتقتص من زوجها » فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي (ص) « ارجعوا ، هذا جبرائيل أتاني » وأنزل الله هذه الآية ـ فتلاها (ص) وقال ـ أردنا امرا وأراد الله أمرا والذي أراده الله تعالى خير » وقال الكلبي نزلت في سعد بن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن سلمة ، وذكر القصة ، وقيل نزلت في غير من ذكر .

١) الصفصف المستوي من الارض

يستكبر بعض مقلدة الافرنج فى آدابهم منا مشروعية ضرب المرأة الناشز ولا يستكبرون ان تنشز وتترفع عليه فتجعله وهو رئيس البيت مرؤوساً بل محتقرا ، وتصرّ على نشوزها حتى لا تلين لوعظه ونصحه ، ولا تبالي باعراضه وهجره ، ولا أدري بمَ يعالجون هؤلاء النواشز وبم يشيرون على أزواجهن أن يعاملوهن به ، لعلهم يتخيلون امرأة ضعيفة نحيفة ، مهذبة أديبة ، يبغي عليها رجل فظ غليظ ، فيطعم سوطه من لحمها الغريض ، ويسقيه من دمها العبيط ، ويزعم ان الله تعالى أباح له مثل هذا الضرب من الضرب ، وان تجرَّم وتجني عليها ولا ذنب ، كما يقع كثيرا من غلاظ الاكباد ، متحجري الطباع ، وحاش لله ان يأذن بمثل هذا الظلم أو يرضى به ، ان من الرجال الجعظري الجوّاظ (١ الذي يظلم المرأة بمحض العدوان ، وقد ورد فى وصية امثالم بالنساء كثير من الأحاديث ويأتي فى حقهم ما جاءت به الآية من التحكيم وان من النساء الفوارك المناشيص المفسّلات(٢ اللواتي يمقتن ازواجهن ويكفرن أيديهم عليهن وينشزن عليهم صلفا وعنادا ويكلفنهم ما لا طاقة لهمْ به ، فأي فساد يقع فى الارض إذا أبيح للرجل التقيّ الفاضل أن يخفض من صلف أحداهن ويدهورها من نشز غرورها بسواك يضرب به يدها ، أوكف يهوي بها على رقبتها ، ؟ إن كان يثقل على طباعهم إباحة هذا فليعلموا أن طباعهم رقّت حتى انقطعت وأن كثيرا من أئمتهم الافرنج يضربون نساءهم العالمات المدنات، الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات، فعل هذا حكماؤهم وعلماؤهم وملوكهم وأمراؤهم ، فهو ضرورة لا يستغني عنها الغالون فى تكريم اولئك النساء المتعلات ، فكيف تستنكر إباحته للضرورة فى دين عام للبدو والحضر ، من جميع أصناف البشر ،

---

١) الجعظري : الفظ الغليظ المتكبر وله معان كثيرة لا تناسب المقام. والجواظ : الجافي الغليظ وله معان اخر قريبة من هذا المعنى وفي الحديث « ألا اخبركم بأهل النار : كل جعظري جواظ مناع جماع »

٢) الفوارك : اللاتي يبغضن ازواجهن . والمنشاص المرأة الناشزة والتي تمنع فراشها في فراشها فالفراش الاول الزوج والثاني المضربة جمعه مناشيص والمفسلة من النساء التي اذا أراد زوجها غشيانها ونشط لوطئها اعتلت وقالت اني حائض، جمعه مفسلات

الاستاذ الامام : ان مشروعية ضرب النساء ليست بالامر المستنكر فى العقل أو الفطرة فيحتاج الى التأويل فهو أمر يحتاج اليه فى حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة وانما يباح اذا رأى الرجل ان رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه ، واذا صلحت البيئة وصار النساء يعقلن النصيحة ويستجبن للوعظ ، أو يزدجرن بالهجر ، فيجب الاستغناء عن الضرب ، فلكل حال حكم يناسبها فى الشرع ، ونحن مأمورون على كل حال بالرفق بالنساء واجتناب ظلمهن ، وامساكهن بمعروف ، أو تسريحهن باحسان ، والأحاديث في الوصية بالنساء كثيرة جدا

أقول ومن هذه الاحاديث ماهو في تقبيح الضرب والتنفير عنه ومنها حديث عبدالله بن زمعة في الصحيحين قال قال رسول الله (ص) « أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم » ؟ وفي رواية عن عائشة عند عبد الرزاق « أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره » ؟ يذكّر الرجل بأنه اذا كان يعلم من نفسه أنه لا بد له من ذلك الاجتماع والاتصال الخاص بامرأته وهو اقوى واحكم اجتماع يكون بين اثنين من البشر يتحد احدهما بالآخر اتحادا تاما فيشعر كل منهما بان صلته بالآخر أقوى من صلة بعض اعضائه ببعض - اذا كان لا بد له من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها الفطرة، فكيف يليق به أن يجعل امرأته - وهي كنفسه - مهينة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه أو يده؟ حقا ان الرجل الحيي الكريم ليتجافى به طبعه عن مثل هذا الجفاء ، ويأبى عليه ان يطلب منتهى الاتحاد بمن انزلها منزلة الاماء ، فالحديث أبلغ ما يمكن ان يقال في تشنيع ضرب النساء ، واذكر انني هديت الى معناه العالي قبل ان اطلع على لفظه الشريف ، فكنت كلما سمعت ان رجلا ضرب امرأته أقول ياالله العجب كيف يستطيع الانسان ان يعيش عيشة الازواج مع امرأة تضرب ، تارة يسطو عليها بالضرب ، فتكون منه كالشاة من الذئب ، وتارة يذل لها كالعبد ، طالبا منتهى القرب !! ولكن لا تنكر ان الناس متفاوتون فنهم من لا تطيب له هذه الحياة فاذا لم تقدر امرأته بسوء تربيتها تكريمه إياها حق قدره ولم ترجع عن نشوزها بالوعظ والهجران ، فارقها بمعروف وسرحها باحسان ، الا ان يرجو صلاحها بالتحكيم الذي ارشدت اليه الآية ، ولا

يضرب فان الاخيار لا يضربون النساء وان ابيح لهم ذلك للضرورة فقد روى البيهقي من حديث ام كلثوم بنت الصديق (رض) قالت كان الرجال نُهوا عن ضرب النساء ثم شكوهن الى رسول الله (ص) فخلى بينهم و بين ضربهن ثم قال « ولن يضرب خياركم » فما اشبه هذه الرخصة بالحظر، وجملة القول ان الضرب علاج مر، قد يستغنى عنه الخيّر الحر، ولكنه لا يزول من البيوت بكل حال، أو يعم التهذيب النساء والرجال،

هذا وان أكثر الفقهاء قد خصوا النشوز الشرعي الذي يبيح الضرب ان احتيج اليه لازالته بخصال قليلة كعصيان الرجل في الفراش والخروج من الدار بدون عذر وجعل بعضهم تركها الزينة وهو يطلبها نشوزا وقالوا : له ان يضربها أيضا على ترك الفرائض الدينية كالغسل والصلاة، والظاهر أن النشوز أعم فيشمل كل عصيان سببه الترفع والإباء ويفيد هذا قوله ﴿ فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ قال الاستاذ الامام أي ان أطعنكم بواحدة من هذه الخصال التأديبية فلا تبغوا بتجاوزها الى غيرها فابدأوا بما بدأ الله به من الوعظ فان لم يفد فليهجر فان لم يفد فليضرب، فاذا لم يفد هذا ايضا يلجأ الى التحكيم، ويفهم من هذا أن القانتات لا سبيل عليهن حتى في الوعظ والنصح فضلا عن الهجر والضرب، ٠ وأقول صرح كثير من المفسرين بوجوب هذا الترتيب في التأديب، وان كان العطف بالواو لا يفيد الترتيب، قال بعضهم دل على ذلك السياق والقرينة العقلية اذ لو عكس كان استغناء بالاشد عن الأضعف فلا يكون لهذا فائدة، وقال بعضهم الترتيب مستفاد من دخول الواو على أجزئة مختلفة في الشدة والضعف مرتبة على أمر مدرج فانما النص هو الدال على الترتيب ٠ ومعنى لا تبغوا عليهن سبيلا لا تطلبوا طريقا للوصول الى إيذائهن بالقول أو الفعل، فالبغي بمعنى الطلب ويجوز ان يكون بمعنى تجاوز الحد في الاعتداء أي فلا تظلموهن بطريق ما، فمتى استقام لكم الظاهر، فلا تبحثوا عن مطاوي السرائر، ﴿ ان الله كان عليا كبيرا ﴾ فان سلطانه عليكم فوق سلطانكم على نسائكم فاذا بغيتم عليهن عاقبكم، واذا تجاوزتم عن هفواتهن كرما وشمما تجاوز عنكم، قال الاستاذ أتى بهذا بعد النهي عن البغي لأن الرجل انما يبغي على المرأة

بما يحسه في نفسه من الاستعلاء عليها وكونه اكبر منها وأقدر فذكره تعالى بعلوه وكبريائه وقدرته عليه ليتعظ ويخشع ويتقي الله فيها ٠ واعلموا ان الرجال الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة في بيوتهم انما يلدون عبيدا لغيرهم، يعني ان أولادهم يتربون على ذل الظلم فيكونون كالعبيد الاذلاء لمن يحتاجون الى المعيشة معهم

﴿ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ الخلاف بين الزوجين قد يكون بنشوز المرأة وقد يكون بظلم من الرجل فالنشوز يعالجه الرجل بأقرب التأديبات الثلاثة المبينة في الآية التي قبل هذه الآية على ما مر سرده وحلا ورده ٠ وقد يكون بظلم من الرجل فاذا تمادى هو في ظلمه، أو عجز عن إنزالها عن نشوزها، وخيف أن يحول الشقاق بينهما دون اقامتهما لحدود الله تعالى في الزوجية، باقامة اركانها الثلاثة السكون والمودة والرحمة وجب على المؤمنين المتكافلين في مصالحهم ومنافعهم ان يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها عارفين باحواله وأحوالها، ويجب على هذين الحكمين، أن يوجها ارادتهما الى اصلاح ذات البين، ومتى صدقت الارادة كان التوفيق الآلهي رفيقها ان شاء الله تعالى، ويجب الخضوع لحكم الحكمين والعمل به ٠ فخوف الشقاق توقعه بظهور أسبابه، والشقاق هو الخلاف الذي يكون به كل من المختلفين في شق أي في جانب والحكم (بالتحريك) من له حق الحكم والفصل بين الخصمين « فيك الخصام وانت الخصم والحكم » ويطلق على الشيخ المسن لان من شأنه ان يتحاكم اليه لروَيته وتجربته والمراد ببعثهما إرسالهما الى الزوجين لينظرا في شكوى كل منهما، ويتعرفا ما يرجى أن يصلح بينهما، و يسترضياهما بالتحكيم، و إعطائهما حق الجمع والتفريق، روى الشافعي في الأم والبيهقي في السنن وغيرهما عن عبيدة السلماني قال جاء رجل وامرأة الى علي كرم الله تعالى وجهه ومع كل واحد منهما فئام (١ من الناس، فأمرهم علي أن يبعثوا رجلا حكما من أهله ورجلا حكما من أهلها ثم قال للحكمين « تدريان

١) الفئام بالكسر الجماعة من الناس

ماعليكما ؟ عليكما ان رأيتما أن تجمعا و إن رأيتما ان تفرقا أن تفرقا، قالت المرأة رضيت كتاب الله تعالى بما علي به ولي، وقال الرجل أما الفرقة فلا. فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به. وروى ابن جرير عن ابن عباس (رض) انه قال في هذه الآية هذا في الرجل والمرأة اذا تفاسد الذي بينهما أمر الله تعالى ان يبعثوا رجلا صالحا من أهل الرجل ورجلا مثله من أهل المرأة فينظران أيهما المسيء فان كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقسروه على النفقة، وان كانت المرأة هي المسيئة قسروها على زوجها ومنعوها النفقة فان اجتمع امرهما على ان يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز، فان رأيا ان يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ثم مات أحدهما فان الذي رضي يرث الذي كره ولا يرث الكاره الراضي. وأكثر فقهاء المذاهب المعروفة لا يقولون بقولي هذين الامامين الصحابيين فيما هو حق للحكمين والمسألة اجتهادية عندهم والمجتهد لا يقلد مجتهداً آخر، والنص انما هو في وجوب بعث الحكمين، ليجتهدا في اصلاح ذات البين، وهل هما قاضيان ينفذ حكمهما بكل حال، ام وكيلان ليس لهما الا ما وكلهما الزوجان به؟ المسألة خلافية والظاهر الاول لان الحكم في اللغة هو الحاكم

[قال] الاستاذ الامام: الخطاب للمؤمنين ولا يتأتى ان يكلف كل واحد او كل جماعة منهم ذلك ولذلك قال بعض المفسرين ان الخطاب هنا موجه الى من يمكنه القيام بهذا العمل ممن يمثل المسلمين وهم الحكام، وقال بعضهم ان الخطاب عام ويدخل فيه الزوجان وأقاربهما فان قام به الزوجان أو ذوو القربى او الجيران فذاك والا وجب على من بلغه أمرهما من المسلمين ان يسعى في إصلاح ذات بينهما بذلك. وكلا القولين وجيه فالاول يكلف الحكام ملاحظة أحوال العامة والاجتهاد في إصلاح احوالهم، والثاني يكلف كل المسلمين أن يلاحظ بعضهم شئون بعض ويعينه على ما تحسن به حاله. واختلفوا في وظيفة الحكمين فقال بعضهم انهما وكيلان لا يحكمان الا بما وكلا به وقال بعضهم إنهما حاكمان (وذكر مذهب علي وابن عباس بالاختصار وقد ذكرنا الرواية عنهما آنفا) وقوله «ان يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما» يشعر بأنه يجب على الحكمين ان لا يدخرا وسعا في الاصلاح كأنه يقول ان صحت ارادتهما فالتوفيق كائن لا محالة. وهذا يدل على نهاية العناية من الله تعالى فى إحكام نظام البيوت

الذي لا قيمة له عند المسلمين فى هذا الزمان، وانظروا كيف لم يذكر مقابل التوفيق بينهما وهو التفريق عند تعينه، لم يذكره حتى لا يذكر به لأنه يبغضه وليشعر النفوس انه ليس من شأنه ان يقع. وظاهر الامر ان هذا التحكيم واجب لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم إنه واجب و بعضهم إنه مندوب واشتغلوا بالخلاف فيه عن العمل به لأن عنايتنا بالدين صارت محصورة فى الخلاف والجدل وتعصب كل طائفة من المسلمين لقول واحد من المختلفين مع عدم العناية بالعمل به، فهاهم أولاء قد أهملوا هذه الوصية الجليلة لا يعمل بها احد على انها واجبة ولا على أنها مندوبة والبيوت يدب فيها الفساد فيفتك بالاخلاق والآداب، ويسري من الوالدين الى الاولاد،

﴿ان الله كان عليما خبيرا﴾ أي انه كان فيما شرعه لكم من هذا الحكم عليما باحوال العباد وأخلاقهم وما يصلح لهم خبيرا بما يقع بينهم و بأسبابه الظاهرة والباطنة فلا يخفي عليه شيء من وسائل الاصلاح بينهما، واني لأكاد أبصر الآية الحكيمة تومئ بالاسمين الكريمين الى ان كثيرا من الخلاف يقع بين الزوجين فيظن أنه مما يتعذر تلافيه هو فى الواقع ونفس الامر ناشئ عن سوء التفاهم لاسباب عارضة، لا عن تباين فى الطباع أو عداوة راسخة، وما كان كذلك يسهل على الحكمين الخبيرين بدخائل الزوجين لقربهما منهما، ان يمحصا ما علق من اسبابه فى قلوبهما، مهما حسنت النية وصحت الارادة،

ان الزوجية أقوى رابطة تربط اثنين من البشر أحدهما بالاخر فهي الصلة التي بها يشعر كل من الزوجين بأنه شريك الآخر فى كل شيء مادي ومعنوي حتى ان كل واحد منهما يؤاخذ الآخر على دقائق خطرات الحب، وخفايا خلجات القلب، يستشفها من وراء الحجب، اوتوحيها اليه حركات الاجفان، أو يستنبطها من فلتات اللسان، اذا لم تصرح بها شواهد الامتحان، فهما يتغايران في اخفى ما يشتركان فيه، ويكتفيان بشهادة الظنة والوهم عليه، فيغريهما ذلك بالتنازع في كل ما يقصر أحدهما فيه من الامور المشتركة بينهما وما اكثرها، واعسر التوقي منها،

لذلك يصح لك أن تحكم إن كنت عليما بالاخلاق والطباع ، خبيرا بشؤون الاجتماع، بأن تلك الحكمة التي أرسلها امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي القاعدة الثابتة الصحيحة في جميع الامم وجميع الاعصار وانها يجب ان تكون في محل الذكرى من الحكمين اللذين يريدان إصلاح مابين الزوجين كما يجب ان يعرفها ولا ينساها جميع الازواج ـ تلك الحكمة هي قوله للتي صرحت بأنها لاتحب زوجها : اذا كانت احدا كن لا تحب احدنا فلا تخبره بذلك فان اقل البيوت ما بني على المحبة وإنما يعيش (او قال يتعاشر) الناس بالحسب والاسلام اي إن حسب كل من الزوجين وشرفه انما يحفظ بحسن عشرته للآخر وكذلك الاسلام يأمرهما بأن يتعاشرا بالمعروف (راجع تفسير « فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »)

قد اهتدى الافرنج الى العمل بهذه الحكمة البالغة بعد ان استبحر علم النفس والاخلاق وتدبير المنزل عندهم فربوا نساءهم ورجالهم على احترام رابطة الزوجية وان يجتهد كل من الزوجين ان يعيشا بالمحبة فان لم يسعدا بها فليعيشا بالحسب وهو تكريم كل منهما للآخر ومراعاته لشرفه وقيامه بما يجب له من الآداب والاعمال التي جرى عليها عرف امثهم . ثم يعذره فيما وراء ذلك وان علم انه لايحبه فلا يذكر له ذلك ، وقد صرحوا بان سعادة المحبة الزوجية الخالصة قلما توجد وانما يستبدلون بها المودة العملية . ولكنهم باباحة المخالطة والتبرج قد افرطوا في إرخاء العنان حتى صار الازواج يتسامحون في السفاح أو اتخاذ الاخدان ، وهذا ما يعصمنا منه الاسلام

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ رسالة التوحيد للاستاذ الامام و .... صالح التونسي ﴾

(س ٢٩) من أحد طلاب العلم بدمشق الشام

سيدي الاستاذ الامام العلامة فيلسوف العصر ونادرة الدهر ناصر السنة وقامع البدعة من ذكرنا بمناره امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبره واحسانه نطلب من فضيلتكم كما عودتمونا نشر الحقائق وابانة الحق والصدع به بالحكمة والموعظة الحسنة ان تشرحوا لنا معنى كلام حكيم الشرق المغفور له الاستاذ الامام « هذا النوع من العلم علم تقرير العقائد وبيان ماجاء في النبوات عند الامم قبل الاسلام ففي كل أمة كان القائمون بأمر الدين ـ الى قوله ـ وتآخى العقل والدين لاول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل » الخ

حيث ان جاسوس ابي الهدى وصاحب الفتنة السورية الرمضانية .... بدأ بقراءة هذه الرسالة وتتبع ماتشابه منها ابتغاء للفتنة ولأجل ان يطعن في الاستاذ الامام وصار يحرّف الكلم عن مواضعه فأخذ الآن يتبجح ويتكلم عليه ويحرف كلامه على غير مراده ذلك أنه أوّل القائمين بأمر الدين بأنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا على ذلك بقول الامام: وتآخى العقل والدين لاول مرة الخ فقال .... قوله لاول مرة دليل على ان الانبياء السابقين جاءوا بدين غير مؤاخ للعقل وهذا ينافي اعتقاد الاسلام الخ

مع انه على مايظهر من قول الاستاذ الامام القائمون هم رؤساء الاديان الذين حرفوا وابتدعوا

ولما بلغ صاحب المقتبس محمد افندي كرد علي هذه الترهات اخذه الغضب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فذكر في مقتبسه اليومي (عدد ٣٧٤): ان شيخا من مشايخ الجمود فعل كذا وكذا ليحذر الناس عامة والدمشقيين خاصة من ضلاله واضلاله وفساده وافساده ... ثم سيدي تعلمون انه كما أن للحق انصارا كذلك للباطل انصار ولكن العاقبة للحق كما قال عز وجل «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» وقال عز وجل «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» – والآن جئنا راجين كشف مراد الامام رضي الله عنه لينجلي الحق لطالبه وادام المولى النفع بكم

(ج) انتقد قبل الجواب ما جاء في السؤال من الطعن في شخص الشيخ صالح بما لاحاجة اليه في ايضاح السؤال ولاسيما ماحذفته من ذلك الطعن وان كنت جريت في السنين الاخيرة على نشر الاسئلة بنصها ثم أقول

ان مراد الاستاذ من القائمين بأمر الدين رؤساء الاديان كما فهمتم وصرح بذلك رحمه الله تعالى في الجامع الازهر عند ما كان يقرأ الرسالة درسا يحضره الجم الغفير من المجاورين والعلماء والمدرسين الذين لايبلغ الشيخ صالح مد احدهم ولا نصيفه والسياق يأبى حمل الكلام على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه بحث في تاريخ علم الكلام الذي يسمى عند النصارى بعلم اللاهوت وهو علم استحدث بعد الانبياء عندنا وعند أهل الكتاب . ناهيك بما قال علماء السلف في ذم هذا العلم عند ماظهر في أمتنا . وقد ذكر مؤلف الرسالة في درسها بالازهر بعض مذاهب أهل الكتاب في المسائل الكلامية المعروفة عندنا ومذاهبهم فيما لانظير له عندنا كطبيعة المسيح (ع م) ومشيئته . كل ذلك في شرح هذه العبارة التي حرفها هذا الرجل بسوء النية والنظر بعين السخط وحملها ما لاتحمل . ومن دلائل سوء نيته – اذا صح ماروي لي عنه – أنه ضلل مؤلف الرسالة لانه بدأها بسورة الفاتحة دون ما اعتاده اكثر المؤلفين من الحمدلة والتصلية . وهذه العادة وان كانت حسنة ليست واجبة ولاسنة نبوية متبعة ، وحديث « كل أمر ذي بال » على مافي روايته من المقال ، يتحقق

العمل به بالقول ولا يتوقف على الكتابة ولذلك رأينا كثيرا من اساطين العلماء لم يذكروا في أول كتبهم حمدلة ولا تصلية بل بدءوا بعد البسملة بالمقصود كمختصر الامام المزني لمذهب الشافعي بل رأينا كتاب الأم للامام الشافعي لم تذكر التصلية في أوله استقلالا . فياحسرة على الشبان الاذكياء الذين يبتلون بمعلمين يشغلون أذهانهم بمثل هذا الجهل ، ويوهمونهم انه من دقائق العلم ، ويربونهم على استنباط ما يلقي الشقاق والفتن بين المسلمين ، ويغشونهم بأن هذا هو النصر للدين ،

ألا يخطر ببال أولئك الطلاب أن رسالة التوحيد طبعت منذ ثلاث عشرة سنة وقرئت درسا في الازهر على أكثر من ألف أزهري من الطلاب والعلماء واعيد طبعها مرتين وانتشرت في جميع أقطار الارض ودقق النظر فيها كثير من العلماء الذين كانوا يحسدون مؤلفها ويتمنون لو يجدون له عثرة ينتقدونها وكثير من العلماء المحبين له الذين يحرصون على تذكيره اذا نسي وتنبيهه الى خطأه اذا أخطأ وأنه لم يسمع من أحد من أولئك ولا هؤلاء انتقاد على شيء منها الا ماذكرناه في السنة الاولى للمنار من انتقاد الشنقيطي واشرنا اليه في مقدمتنا للطبعة الثانية فلو رأوا فيها غير ماذكر شيئا منتقدا لما سكتوا عنه مع توفر الدواعي لذكره فان ما كان يؤثر عن هذا الرجل لم يكن كالذي يؤثر عن غيره من حيث العناية به وعدمها

لا أقول إن إجازة الجماهير من العلماء لشيء هي دليل على كونه صوابا في نفسه وإنما أقول انها بالقيد الذي ذكرناه دليل على كون ذلك الشيء موافقا لاعتقادهم فاذا أمكن لاحد أن يماري فيه فلا يكون مراؤه ظاهرا مقبولا عند المستقلين المنصفين . فليتأمل أولئك الطلاب هذا وليعلموا أنه لا يوجد كلام قط لايمكن حمله على غير المراد منه حملا يقبله الكثير من الناس المشتغلين بالعلم وليطالعوا كتاب حجج القرآن ويتأملوا كيف استدل جميع أصحاب المذاهب المبتدعة في الاسلام بآياته التي هي في منتهى البلاغة في البيان على تلك المذاهب المتناقضة «يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا»

هذا وان للاستاذ الامام منزعا عاليا في تآخي الدين والعقل في الاسلام لا يدرك مثل الشيخ صالح مرماه فيه وقد بينه رحمه الله في سياق حكمة كون الاسلام آخر الأديان وكون نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا يفهم مثل الشيخ

صالح لان فهمه يتوقف على المعرفة او الالمام بتأريخ الأمم والاديان وعلم الاجتماع البشري وسنن الله تعالى في الترقي وحكمته في نسخ الشريعة المتقدمة بخير منها وبما عند الله أهل الكتاب من كتب الانبياء عليهم السلام وبمسألة تحريفها هل هو لفظي أم معنوي فقط كما يقول أئمة الحديث كالبخاري . على انه لو قرأها بحسن النية والاخلاص لاستفاد منها في دينه ما لا يستفيده من كتاب آخر من كتب العقائد المعروفة ولكنه ينوي بقراءتها تلمس عبارة يمكن حملها بالتحريف والتأويل على غير ما وضعت له ولكل امرئ ما نوى . لا اعجب لتصديه للانكار على رسالة التوحيد دون الكتب الكثيرة المؤلفة في الطعن في الاسلام نفسه والكتب التي نشرها بعض الجاهلين من المسلمين وهي محشوة بما يتبرأ منه الاسلام ومنها ما هو منسوب لطائفته الرفاعية التي فيها ان الشيخ احمد الرفاعي وصل الى درجة صارت السموات السبع في رجله كالخلخال وان الله تعالى وعده ان لا تحرق النار جسدا يمسه هو او أحد خلفائه الى يوم القيامة !!! لا أعجب له بعد ان ترك دروسه في الشام وجاء الآستانة ليسعى في ابطال ما قام به بعض العلماء والفضلاء هنا من تأسيس جمعية اسلامية لأجل إنشاء مدرسة إسلامية عربية عالية لتربية العلماء والمرشدين الجامعين بين التقوى وعلم الدنيا والدين والاستعانة بهم على تعميم التعليم الاسلامي وهي أول جمعية اسست في الاسلام للقيام بهذه الفريضة او الفرائض الكثيرة

شبهته في مقاومة هذا العمل الاسلامي العظيم على ما بلغني عنه أن الداعي اليه وهابي يخشى ان يبث في المدرسة مذهب الوهابية !! ولماذا لم يسع في ابطال جميع مدارس الحكومة التي تقرأ فيها العلوم الطبيعية التي يرى هو كفر جميع الذين يقرأونها وانا على كوننا لا نرى رأيه هذا نعلم أن الكثيرين يخرجون من هذه المدارس بغير دين لأن الدين لا يعلم فيها على وجهه الصحيح المعقول ومنها ما لا دين فيها ألبتة ، ولماذا لم يسع في ابطال مدارس الجمعيات النصرانية التي تعلم اولاد المسلمين مع العلوم الطبيعية دين النصارى وتجبرهم على حضور عباداتهم في الكنائس !!. ألم يجد خدمة يخدم بها الاسلام الا السعي في مقاومة جمعية إسلامية غرضها إغناء المسلمين عن مدارس غيرهم ودفع هذه الشبهات الهاجمة عليهم من تعليم العلوم والفنون الدنيوية

ـ لا نرى الدولة ولا الامة لها غنى عنها !!؟؟؟ أما شبهته تلك فمدفوعة من وجهين

(١) ان الداعي الى هذا العمل لخدمة الدين والدولة والامة ليس وهابيا لانه ليس مقلدا في عقيدته بل هو ناصب نفسه للدفاع بالبرهان عن عقائد الاسلام المثبتة في كتابه وسنته وسيرة سلفه الصالح ويقبل انتقاد كل منتقد ومناظرة كل مناظر فلماذا لم يكتب اليه ببيان ما يزعم انه اخطأ فيه ؟

(٢) لو فرضنا انه وهابي فماذا تضر وهابيته هذا العمل الذي يقوم به جمهور من العلماء ويكون تحت مراقبة جمعية علمية مؤلفة من جميع علماء الارض . إن الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر قد كان سبب تأليفها مشعوذ رومي فهل نقص ذلك من قدرها أو حال دون انتفاع المسلمين بها ؟

يا حسرة على مسلمي هذا الزمان أصبح بأسهم بينهم شديدا وضعفوا امام جميع الامم فهم يخربون بيوتهم بأيديهم ولا يقاومون الا من يسعى لخيرهم ورفعة شأنهم وحفظ دينهم ودنياهم ، ولا يقنطنا هذا من رحمة ربنا والسعي فيما أوجبه علينا فالله لا يصلح عمل المفسدين ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز

***

﴿ اتفاق ريع الوقف على العلم ﴾

(س ٣٠) من صاحب الامضاء الرمزي في (فلفلان)

سيدي الاستاذ الجليل

يوجد في أحد بلداننا مسجد له أوقاف تغل غلة وافرة تزيد عما يلزم له لنحو امام وخطيب ومؤذن وقد اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف ليرة انكليزية .

وقد اختلف في إنفاقها فقال بعضهم يعمر وينفق منها على مافي ذلك البلد من المساجد الأقرب فالأقرب الى المسجد الغني وقال آخرون بل يفتح بها مدرسة لتعليم العلوم الشرعية بجوار المسجد الغني لأن عمارة المساجد بالعبادة لا بالتزويق .

وقال غيرهم بل يؤخذ بها كتب نافعة للقراءة والمطالعة وتعمل مكتبة بجوار المسجد . فماذا يرى حضرة الاستاذ في هذه المسألة لتقطع جهيزة قول كل خطيب ؟

ودمتم نافعين . م ع

(ج) ان الافتاء في مسألة هذا الوقف يتوقف على معرفة شرط الواقف إن

كانت معروفة فان لم يكن هناك شروط تتبين بها جهة مازاد عن مصالح المسجد أوكان الشرط ان يصرف الزائد في الخير مطلقا فأفضل الخير وأنفعه العلم وهل تنفع المساجد وتصح الصلاة الا بالعلم ؟ فالرأي إذاً ان تبنى بجوار المسجد مدرسة يعلم بها المسلمون أحكام الدين وآدابه وتأريخه وما يتوقف ذلك عليه من علوم اللغة العربية وآدابها، وكذا مايعينهم على أمر معاشهم كالحساب ومسك الدفاتر وعلم التجارة والزراعة وغير ذلك من العلوم والفنون النافعة ان تيسره على أن بعض العلماء المحققين (كابن القيم) قد أقاموا الدلائل على جواز بل تفضيل صرف ريع الاوقاف الخيرية المعينة بشرط الواقف فيما هو أنفع مما نص عليه الواقف فمن شاء الوقوف على ذلك فليراجع هذا البحث في كتاب (اعلام الموقعين عن رب العالمين) المطبوع في الهند ومصر

***

﴿ سبب فرض الصلاة ﴾

(س ٣١) من عبد القادر افندي جبر بقاقوس (شرقية)

مولانا الفاضل صاحب مجلة المنار الافخم

بعد تقبيل الايدي نرجو من فضيلتكم افتاءنا عن الصلاة لاي سبب فرضها الله على الاسلام وماسبب نزولها والله يبقيكم وماسبب الركوع والسجود وما المراد منهما؟

(ج) شرع الله الصلاة وفرضها علينا لتتحقق بها بالعبودية له التي تطهر بها نفوسنا من الميل الى الفواحش والمنكرات والاقدام على ارتكابها وتقوى على الهلع والجزع وتتحلى بالشجاعة والكرم والسخاء. وقد بين الله لنا ذلك في آيات من كتابه كقوله عز وجل « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله «إن الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا، الا المصلين» وقوله «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين » وقوله « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون » فصلاة الخاشعين - ولا صلاة إلا لهم - تكون لها كل تلك الفوائد بما تتضمنه من مراقبة الله تعالى وتزكية الروح بذكره وتغذية الايمان به كما بينا ذلك بالتفصيل في تفسير « حافظوا على الصلاة» فراجعه في المنار أوفي (ص ٤٣١ - ٤٤٠ من جزء التفسير الثاني وكذا في ص ٣٧ و١٢٨ منه) وهنالك ترى حكمة الركوع والسجود ايضا

باب العقائد

بحث التحسين والتقبيح (*)

اختلف الناس هل للافعال في نفس الامر حقائق متقررة في نفسها هي أهل لأن ترعى وتؤثر على نقائضها وتستتبع الرفع من شأن المتصف بها كالصدق والانصاف وارشاد الضلال مثلا وحقائق هي في نفسها أهل لأن يعدل عنها وتستتبع الوضع من شأن من اتصف بها من تلك الحيثية كالكذب والظلم مثلا ، فقالت المعتزلة وا كثر العقلاء وجماعة من الحنفية نعم والمراد بالحنفية هم المعروفون بالماتريدية نسبة الى أبي منصور الماتريدي وكذلك أفراد من غيرهم كالامام المحقق الشهير ابن تيمية حتى عدها عليه السبكي مما خالف فيه الاجماع او الا كثر وقد دل ذلك على نزول درجة السبكي فان دعوى الاجماع كاذبة وكذلك الكثرة مع أن مخالفة الا كثر غير ضائرة « وما ا كثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وللسبكي هذا مع فضله نوادر نحو هذا تنادي على من سبكه مع ابن دقيق العيد وابن تيمية فان هذين الرجلين لايلزّ بهما قرين ولم ينفرد ابن تيمية فكم من الحنابلة من صنف في الحط على الاشعري واتباعه كما تجده في التراجم للذهبي وغيره ومن جملة ماينقم عليه هذه المسألة فيقل القائلون بها لان المذاهب المشهورة بين مطبقة على خلاف الاشعري أو مختلفة مع تهجين المخالف له هذه المقالة فلا يغرنك شيوعها في هذه المقلدة كالسبكي وولده فلهم

(*) ننقل هذا الفصل من كتاب تحت الطبع اسمه « العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشايخ » للشيخ أحمد المقبلي من مجتهدي اليمن في القرن الحادي عشر وقد تخبط في موضوعه اكثر علماء الكلام ولم يأتوا الا بتمحلات لامقنع فيها ولكن المصنف بحث بحثا مستفيضا محررا تحريرا قائما آثرنا اثباته في المنار

حوامل قد ذكرنا اسبابها ان كنت موفقا ومن عدل بالله غيره فقد شابه الكفار « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » والحمد لله على العصمة . وقال سائر الاشاعرة: لا، انما تلك الحقائق معناها أن الشارع أمر بها ونهى عنها ولو عكس لانعكس معانيها . هذا تحرير محل النزاع . وأما ذكرهم العاجل والآجل عند المعتزلة فمن أكياسهم والمعتزله لا ينظرون الى عاجل ولا آجل لانهم يحكمون بلزوم الرفع الذي منه المدح وكونه معرضا للثواب والوضع الذي منه الذم وكونه معرضا للعقاب للطاعة والمعصية من حال فعلها وانما منع الاتصال التكليف لان المكلف يصير باتصال الثواب والعقاب ملجأ الى فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الالجاء عندهم شرط في التكليف وهذا أيضا عندهم في التكليف وهو أخص مما نحن فيه وأما مانحن فيه فلا يقولون بلزوم الثواب والعقاب فيه فالغلط عليهم من جهتين ذكر الثواب والعقاب وهما من لوازم التكليف لا من لوازم التحسين والتقبيح والتكليف أخص وذكر العاجل والآجل وسيأتي تتمة لهذا قريبا

ومن المغالطة والخلط لمحل النزاع بغيره قولهم في هذا المقام الحسن والقبح يطلقان لمعان منها موافقة الغرض ومخالفته وحيناً يقولون ملاءمة الطبع ومخالفته ومنها كذا ومنها كذا وهذا اصطلاح لهم ليس بلغة كما صرح به السعد وغيره وليس باصطلاح للخصم حتى يذكر في مقام تلخيص محل النزاع ، وقد أنكر هذا ابن الملاحمي وقال ينبغي لهم صرف فطنهم الى محل النزاع ثم الحاجة فيه . والعجب أن ابن الحاجب وتبعه العضد أهملوا محل النزاع وذكروا هذه الامور وأخذ السعد في الترميم والامر اجلى من ابن جلا، والحق أبلج ، والباطل لجلج ، وكذلك سائر المعتزلة ينكرون هذا الاصطلاح

وإدخاله في تحرير المسألة وردّ مراد الخصم اليه وشدد النكير في الغايات على الرازي في ذكر ذلك فتنبه لهذا وان رأيت في كتب الاشاعرة قولهم يطلق الحسن والقبح لثلاثة معان اتفاقا فانما مستندهم كلام أسلافهم من دون معرفة كلام الخصم كما مضى نظيره وهم في كل المذاهب يجعلون نقل أسلافهم حجة على خصمهم في انه يقول القول مع انه يتبرأ منه وهو مثل ما يقال في المحصيات شهد عليك من هو أعدل منك وقول قراقوش اندفن لو تفتح على نفوسنا هذا لما اندفن أحد كما حكاه السيوطي في رسالة صنفها لحكاياته قال لئلا تنكر مع تطاول الزمان مع انها محققة عنده لقرب عصره أو معاصرته له والذي أظن ان الاشاعرة وضعت هذا الاصطلاح لئلا يتعطل معنى الاحسان والاساءة لغة لانهما من ألفاظ العرب وقد نفوا عنهما وهذا لا ينفعهم مع اعترافهم ان تلك المعاني ليست بلغوية ولكنه يكسر من سورة الاستهجان باثبات اللاغية في اللغة لأشهر اللفظين منها في أشهر معنيين في امثل قولهم ما أحسن مافعل فلان مع فلان وما أقبح فعله مع فلان اذ معناه الاحسان والاساءة قطعا لا تلك المعاني التي تذكر الاشاعرة ستراً لهذه العورة ولهذا نظائر مع كثير ممن أوقعته زلته في لازم شنيع فتنبه لذلك تقف عليه

ثم ههنا شيء مما ينبغي صرف النظر اليه وهو اعتراف الاشاعرة والاتفاق منهم ومن سائر الناس ان التحسين والتقبيح بمعنى الكمال والنقص ثابت فى نفس الامر وهذا يكاد يلحق الخلاف بالوفاق فان الكمال يستتبع الرفع من شأن من اتصف به والنقص يستتبع الوضع من شأن من اتصف به ولا شك ان من الرفع المدح للمتصف بالكمال ومن الوضع الذم للمتصف بالنقص بل إطلاق الكمال والنقص مدح وذم فقولنا كامل لا يمدح وناقص لا يذم مثل

قولنا كامل لا كامل وناقص لا ناقص ويمدح لا يمدح ويذم لا يذم ومعنى الاستتباع انه يناسب العقول وتقبله ولا تأباه وتفرق بينه وبين نقيضه فترى ذم المحسن مناقضا لما ينبغي عند العقل وفي نفس الامر، ومدح المسيء كذلك كما ترى ان الذم والمدح متناقضان وهذا هو معنى الاستحقاق عند المعتزلة ولا يريدون بالاستحقاق الوجوب والحتم وما زادوه من قيد الحتم في أي موضع فلموجب آخر لا بالنظر الى هذا المحل وهذا صريح في كتبهم وسيأتيك ان شاء الله قريبا زيادة إيضاح لمذهبهم

فان انكرت الاشاعرة الاستتباع بهذا المعنى فقد رجعت عن الاقرار بالكمال والنقص وعطلت معناهما وخلصنا من محارات تحقيق مذهبهم فانا تارة ننظر الى هذا المعنى فنحكم عليه بالوفاق، وأخرى الى تصريحهم بنفي الحكمة بأبلغ ما يمكنهم من العبارة فيتبين بالحقيقة الشقاق، هكذا يذكر جماعة من الفريقين كالعضد وابن تاج الشريعة كما يأتي وغيرهما. وفيه عندي وقفة فانهم انما يثبتون الوصفين فيما هو من قبيل الغرائز كالعلم والجهل وكالصدق والكذب أي كونه شأنه الصدق وشأنه الكذب وأما في مثل صدق وكذب وحصل الصدق وحصل الكذب وحصل العلم وحصل الجهل المركب مثلا فيحتاج كونهم يقولون ذلك الى نقل صحيح عنهم والمتتبع من كلامهم خلافه فيسلمون من المناقضة ويقرون على الخلاف وانما التبس على الناظر ما كان بمعنى الثبوت وما كان بمعنى الحدوث فصادف بمعنى ذي صدق كمال عندهم لا بمعنى حصل الصدق واوجده وكيف وقد أنكروا هذا المعنى الاخير في مطلق الفعل وقالوا معنى آكل انه ذو الاكل لا انه فعل كما يأتي تحقيق ذلك وهذا تحقيق بليغ قد فات العضد واضرابه من الفريقين والحمد لله على العثور على الحقيقة

واعلم ان هذا محل النزاع بتمامه، ثم النزاع هل أدرك العقل شيئا من تلك الامور الثابتة في نفس الامر؟ ثم هل هذه الحقيقة بعينها مما أدركه؟ نزاع آخر (١) لا ينافي الكلام في النزاع الاول خلافا ولا وفاقا. أما انه لا ينافيه مع فرض الوفاق هناك فظاهر وأما مع فرض استقرار الخلاف فلأن المخالف هناك قد يتنزل هنا فتيقظ لهذا تسلم من الزلل ان شاء الله تعالى

وقد تضمن تصحيح التحسين والتقبيح ان الباري تعالى مبين للحكم فقط إما بالعقل أو بالسمع وليس الحكم في ثبوته واقفا على اختيار مختار بل هي كسائر الماهيات المجردة. والعجب ممن اقر بهذا ثم شغفه مدح الاسلاف، وايثار الخلق على الحق فقرع فروعا تنادي عليه بعدم الانصاف، ولقد أغرب في ذلك ابن تاج الشريعة، ولم يتمسك من الانصاف بأدنى ذريعة، فانه نصر التحسين والتقبيح نصرا مؤزرا، وسجل على المخالف فعل من استمسك بأوثق العرى، ومن نظره المحقق الموفق، وكلامه المنمنم المنمق، على اثر البحث (قوله) على ان الاشعري يسلم الحسن والقبح عقلا بمعنى الكمال والنقصان ولا شك ان كل كمال محمود وكل نقص مذموم وان اصحاب الكمالات محمودون لكمالاتهم وأصحاب النقائص مذمومون بنقائصهم وانكاره الحسن والقبح بمعنى انهما صفتان لأجلهما يحمد أو يذم الموصوف بهما في غاية التناقض وان انكرهما بمعنى انه لا يوجد في العقل شيء يثاب الفاعل أو يعاقب لاجله، (فنقول) ان عنى انه لا يجب على الله الاثابة أو العقاب لاجله فنحن نساعده على هذا وان عنى انه لا يكون في معرض ذلك فهذا بعيد عن الحق وذلك لان الثواب والعقاب آجلا وان

(١) أي هذا نزاع آخر اه مصححه

كان لا يستقل العقل بمعرفة كيفيتهما لكن كل من علم ان الله عالم بالكليات والجزئيات فاعل بالاختيار قادر على كل شيء وعلم انه غريق نعمة الله في كل لمحة ولحظة ثم مع ذلك كله ينسب من الصفات والافعال مايعتقد انه في غاية القبح والشناعة الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلم يربعقله انه يستحق بذلك مذمة ولم يتيقن انه في معرض سخط عظيم وعذاب أليم فقد سجل على غباوته ولجاجه ، وبرهن على سخافة عقله واعوجاجه ، واستخف بفكره ورائه، حيث لم يعلم بالشر الذي في ورائه، عصمنا الله تعالى عن الغباوة والغواية ، واهدنا هدايا الهداية ، انتهى بحروفه

ثم أخذ في الخبط فقال لما أثبتنا الحسن والقبح العقليين وفي هذا القدر لاخلاف بيننا وبين المعتزلة أردنا ان نذكر بعد ذلك الخلاف بيننا وبينهم وذلك في أمرين (أحدهما) ان العقل عندهم حاكم مطلق بالحسن والقبح على الله تعالى وعلى العباد أما على الله تعالى فلأن الاصلح واجب على الله تعالى بالعقل فيكون تركه حراما على الله تعالى به فالحكم بالوجوب والحرمة يكون حكما بالحسن والقبح ضرورة وأما على العباد فلان العقل عندهم يوجب الافعال عليهم ويبيحها ويحرمها من غير أن يحكم الله تعالى بشيء وعندنا الحاكم بالقبح والحسن هو الله تعالى وهو متعال أن يحكم عليه غيره ، وعن أن يجب عليه شيء وهو خالق أفعال العباد على ما مر جاعل بعضها حسنا وبعضها قبيحا ، وله في كل قضية كلية أو جزئية حكم معين، وقضاء مبين ، واحاطة بظواهرها وبواطنها ، وقد وضع فيها ماوضع من خير أو شر وهو نفع أو ضر ، ومن حسن أو قبح ،(وثانيهما) ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق التوليد ان يولد العقل العلم بالنتيجة عقيب النظر

الصحيح وعندنا العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك أو كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه قد أوقف الله عليه العقل على انه غير مولد للعلم بل أجرى عادته انه خالق بعضه من غير كسب وبعضه بعد الكسب أي ترتيب العقل المقدمات المعلومة ترتيبا صحيحا على مامر انه ليس لنا قدرة ايجاد الموجودات وترتيب الموجودات ليس بايجاد انتهى

ولنتبعه شيئا فشيئا حتى يتبين غلطه ولغطه في مذهب المعتزلة ومذهبه. والتصدي لقول فرد ابطالا وتصحيحا لا ينبغي الا ان هذه المذاهب قد استقرت والرجل يتكلم فيها على أهل ذلك المذهب جميعا فيكون تخصيص كلام معين أقرب الى الانصاف ، وايضاح الاهتداء من الاعتساف ،فاذا انضم الى ذلك كون الرجل من مشاهير ذلك المذهب ثم كون ذلك الكلام في كتاب متداول معروف بالكمال متلق بالقبول من الفحول كهذا الكتاب الذي ذكر هذا الكلام فيه وهو التنقيح وشرحه التوضيح كلاهما له كان أفضى الى مطلوب طالب الحق فنقول : (قوله) احدهما أن العقل حاكم عندهم مطلق على الله تعالى وعلى العباد (قلنا) ماتريد بقولك حاكم؟ أتريد به انه مدرك للحكم الثابت في نفس الامر الذي أقررت فيه آنفا وبلغت في نصرته كل مذهب فان الاحكام الخمسة ترجع الى الحسن والقبح كما ذكرت أنت الآن فلا بد لك من الاقرار بهذا وإلا ناقضت نفسك ، أم تريد أن العقل محصل للحكم ومنشئ له في نفس الامر فلم يقل بهذا أحد ، أم تريد وهو الاقرب من غرضك ان الباريء تعالى اذا أخرج فردا من ماهية الحسن والقبح الى الوجود فكما يلزم ان يسمى بمطلق الفعل فاعلا يلزم

ان يسمى بفعل العدل عدلا وكذلك نقيضه ، فان كان نزاعك لهم من حيث المعنى فان كنت تريد ان صفة العدل ونحوه ثابتة في نفس الامر فان فعله العبد ثبتت واستقرت وان فعله الباريء تعالى خرج عن صفة نفسه كما ياتي من تحقيق كيفية اتصاف الفعل بالاحكام ثم بعد خروجه عن صفة نفسه يحكم فيه الباريء تعالى باحد الاحكام قلنا[1] حاصل هذا الامر مناقضة كلامك الاول وزيادة جهالة من اخراج الشيء عن صفة نفسه وجعل صفات النفس من الممكنات الذي لم يقل به عاقل فيما يعرف فان صفات النفس واجبة والا لما كان للنفس وكان مذهب الاشعري الذي بالغت في تهجينه أقرب الى المعقول لانه لم يثبت للفعل صفة البتة وانما قال مستتبعات الاحكام بمحض اختيار المختار ، وحكم الواحد القهار، وان كان نزاعك للمعتزلة في اطلاق الالفاظ فالامر قريب وهذا بحث عملي وقد جروا على مقتضى اللغة العربية وقد جاء في القرآن ما ظاهره معهم «كتب ربكم على نفسه الرحمة ـ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ـ كان على ربك وعدا مسئولا ـ كان على ربك حتما مقضيا» فان ادعيت منعا عقليا او شرعيا كان بحثا غير هذا وصفت القاعدة عن اللغط وسوء المناظرة والمعتزلة قد اطلقوا لفظ واجب على الله وقبح منه ولم يطلقوا باقي الالفاظ المأخوذة من ألفاظ الاحكام وانت قست لفظ حرام وللالفاظ خصوصات تنشأ عنها ايهامات لاعتراف نظراؤهم شرطوا في اطراد الحقيقة في حق الباريء تعالى ان لا توهم خلاف الصواب فلا ينبغي أن يتقول عليهم مالم يقولوه ومن نظر تعليله لكلام المعتزلة بقوله أما على الله تعالى فلان الاصلح واجب وأما على العباد فلان

(١) هو جواب قوله فان كنت تريد

العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها فمن نظر هذا حكم على الرجل إما بعدم معرفة مذهب المعتزلة وانما يتكلم بحسب الوهم وإما بأنه حين سدد نظره الى اللجاج طاشت الحرارة في دماغه فلم يدر ما قال وهذا أقرب لانه كلام لا يفعله عاقل ولهذا الصنع نظائر في كلام المجادلين فتنبه له

واعلم ان المعتزلة اختلفوا فيما بينهم في معني الوجوب على الله تعالى فقالت البصرية معناه في حق غيره وهو في حقه أحق وأولى (فان قلت) فمن لوازم الوجوب والقبح والثواب والعقاب وذلك لا يعقل في حق الباريء تعالى (قلت) هما من لوازم التكليف والتكليف عندهم طلب الباريء تعالى الفعل المتصف بالحكم من المكلف مع مشقة تلحق المكلف ومع ارادة المكلِّف تعالى وقولنا طلب ليس من عباراتهم انما يقولون اعلام الباريء المكلف شأن الفعل الموصوف الخ والذي ذكرناه أولى فالتكليف غير معقول في حق الباريء تعالى والتكليف انما يكون من الباريء تعالى ولا يصح من غيره لان التكليف مصلحة خالصة أي جلب منفعة او دفع مضرة ولوازمه عندهم الثواب الدائم والعقاب الدائم، والعالم بكل مصلحة وكل مفسدة والقادر على الوفاء كما يريد هو الباريء تعالى . وهذا كله صريح في كتبهم شهير لمن له ادنى معرفة فيها ، وانما التجاسر على الرواية وعدم المبالاة هو الذي كثر الشقاق ، وسلى عن الوفاق ، ولا يخلو مذهب من عدم انصاف الخصم وان اختلفوا قلة وكثرة ، فاتق الله ايها الناظر وقدّر انك قد وقفك بين يديه وسألك عن هذا ولا تغتر وخذ قول اهل المذاهب من كتبهم فبالتجربة انهم لا ينصفون في النقل وأصله انه لا يحتفل

بقول من عزم على خصومته فيجهل قوله فيجهل عليه فالله الله «لا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا»

وحاصل مذهبهم ان المدح والذم من لوازم التحسين والتقبيح والثواب والعقاب من توابع التكليف والبصرية يوجبون الثواب ويحسنون العقاب فقط وللبارىء تعالى ان يسقطه عقلا ولزوم الثواب وحسن العقاب وهما المحسنات للتكليف عندهم كما مضى ومعنى الاستحقاق عندهم انه يحسن لا انه يجب . والبغدادية يقولون يجب الثواب وجوب جود بمعنى ان صفات الكمال تقتضي توفر دواعي الحكيم الى فعله وما خلص الداعي اليه وجب ان يفعله الحكيم ومع هذا يطلقون ان الثواب تفضل اي ليس له جهة وجوب في نفسه فاعرف مذهبهم فكم غلط عليهم اخوانهم البصريون فضلا عن غيرهم ويكفي في حسن التكليف عندهم سابقة الانعام ويقولون بوجوب العقاب ولا يجوزون العفو عقلا لانه لطف للمكلفين واللطف واجب عندهم فمذهب الفريقين في الثواب والعقاب متعاكس . هكذا حكاية مذهب البغداديين قالوا عنهم لا يجوز العفو عقلا وعللوه بانه لطف وقالوا عنهم انه لا يحسن العقاب الا حيث يتضمن نفعا للمعاقب فينتج هذا انه لا يقع العقاب الا اذا حسن ولا يحسن الا اذا انتفع به الغير وتعميم الانتفاع يحتمل اللطف وغيره كالتشفي فتحرر انه قد يقع مقتضي العقاب وهو العصيان ويقع شرط حسن وقوعه وهو يتضمن الانتفاع وقد يخلو عن الشرط اذ لا ملازمة بين المقتضي المذكور وشرط حسن الوقوع فيجب حينئذ أن لا يقع، اللهم الا ان يقولوا لا يُمكّن المكلف من العصيان الا مع العلم بحصول الشرط المذكور وهذا بعيد ويحتاج الى نقل عنهم معتبر فتعميم منع العفو غير

سديد وحكايته عن البغدادية كما ترى والظاهر الغلط عليهم في بعض كلامهم فهذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب وان كان ذلك في كتب اخوانهم البصرية فان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض فليحفظ هذا فانه نفيس جدا

(قوله) العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها ويحرمها قد عرفت سقوطه مما مضى وانه لا معنى له الا بالمعنى المتفق عليه بين الحنفية والمعتزلة

(قوله) وعندنا الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى (قلنا) ما تريد بالحاكم المبيّن للحكم الثابت في نفس الامر فذلك قول المعتزلة حتى شنع عليهم الاشاعرة بان البارىء تعالى عندكم كالقاضي والمفتي وسيأتي لزوم هذا على قول الجميع ؟ أم تريد انه يحصل للفعل صفة الحسن والقبح فقد كنت قررت ثبوت ذلك لا باختيار المختار وان الاختيار مؤخر عنه عند ذكرك ان الله يأمر بالعدل والاحسان في هذا الكلام ؟ ام تريد ان البارىء تعالى هو الملزم لنا ان نأتي الحسنى ونترك القبيح فذلك قول المعتزلة وهو المراد بالتكليف عندهم فأخبرنا ماهذا الخلاف بينك وبينهم

(قوله) ثانيهما ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق التوكيد أن العقل يولد العلم بالنتيجة عقيب النظر الصحيح (قلنا) هذا مجازفة عليهم أو بُهْت لهم ولم ينقل منهم أحد ان العقل يولد العلم وهم متفقون ان العلوم الضرورية يخلقها الله تعالى ابتداء واما النظرية فاختلفوا فيها فقال بعضهم مثل مقالتك هذه يخلقها الله والنظر شرط عادي فقط وقال ابو الحسين ليس النظر يولد العلم انما الناظر يستفصل بنظره ما أجمل عند العقل فعند العقل ثبوت حكم الكبرى عموما فينظر في نسبة الوسط منها فيجده فردا من أفرادها فيلزمه ثبوت حكم الكبرى للصغرى وهو النتيجة . فتقول

مثلا هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق ظلم وعند عقله ان كل ظلم قبيح فتظهر له النتيجة وهي اتصاف هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق بالقبح ولهذا قال مختار في المجتبي وهو تلميذ تلميذه: النظر تجريد الغفلات ، لا ترتيب المقدمات ، وما حكيناه عن ابي الحسين هو ماحكاه تلميذه ابن الملاحمي في كتابه الفائق وقد ذكر الطريقة التي تسميها المعتزلة الحاق التفصيل بالجملة فصرح بما ذكرناه وهذه الطريقة عند المعتزلة هي البرهان عند المنطقيين الا ان متكلمي المعتزلة يقدمون الكبرى التي دلالتها عموم على الصغرى التي دلالتها خصوص ثم يقولون والخاص لاحق بالعام أو التفصيل لاحق بالجملة. القول الثالث قول من قال بالتوليد فقالوا النظر معنى يتولد عنه العلم عند كمال شرائط النظر ولم يقل أحد إن المولد له العقل كما ذكرت وانما العقل آلة للادراك فقط عند الجميع

(قوله) وعندنا ان العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك اذ كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه أوقف الله عليه العقل (قلنا) هذا غير مذهب المعتزلة[1] ولم يقولوا ان العقل يستقل الا باحكام يسيرة كوجوب شكر المنعم ودفع الضرر عن النفس وانصاف الغير وكالظلم والعبث والكذب واما مارميتهم به بضمون هذا الكلام وماقبله وأوهمت انهم يدعون معرفة جميع الاحكام بعقولهم وانهم مثلا يدركون وجوب صوم آخر يوم من رمضان وحرمة صوم أول يوم من شوال وان عقولهم غنية عن تبليغ الرسل

(١) اي ماحكيت عنهم هو غير مذهبهم . ويصح أن تقرأ العبارة: هذا عين مذهب المعتزلة . أي ما ادعيته مذهبا لك ولعله الصواب اه مصححه

ولا فائدة لها عندهم كي يتحقق الخلاف بينك وبينهم لانك انما فضلت نفسك عنهم بذلك فان كنت تحكي عن قوم تختص انت بمعرفتهم يسمون معتزلة فلا يعنينا التعرض لك ولهم وان كان المراد بهم هؤلاء المشاهير: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والجاحظ والنظام وأبو الهذيل والكعبي وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وابو الحسين الخياط وابو عبدالله البصري وابو علي وابو هاشم والقاضي عبدالجبار وابو الحسين والخوارزمي وغيرهم ممن لايحصى عددهم ولا يستقل بدراية مذهبه رواية ولا تخفيه زاوية فهذه مصنفاتهم ومقالاتهم المتواترة عنهم وبين ظهراني اتباعهم وفي بطون كتب الاشاعرة قد بينوها وكرروها وطووها ونشروها كالخريت الفخر الرازي وغيره ولم يفتر عليهم احد ماذكرت اللهم الا ان يروي ذلك عنهم مغمور مسجل على نفسه بالغباوة والجهالة فيكون سلف لك في هذه الضلالة عصمنا الله عن الاهواء ووفقنا لما هو أقرب للتقوى آمين

اذا تقرر هذا فلنتقدم على حجج الفريقين تنبيها على كيفية صيرورة الفعل متصفا بالحسن والقبح فانه من تمام تحرير محل النزاع لتتوارد الحجج على أمر معروف، ومحل مكشوف، : اعلم انهم يحكون خلافا بين الجبائية وسائر المعتزلة ويقولون ان الجبائية يقولون يحسن ويقبح لوجوه واعتبارات والبغدادية يقولون لعينه ويحكي بعض الاشاعرة عن بعض المعتزلة انه لصفة من صفاته والاقرب انه خلاف في العبارة وبيانه ان مراد الجبائية بالوجه الذي وقع عليه الفعل الوجه الذي له دخل في تحسين الفعل وتقبيحه ولأجله سمي حسنا أو قبحا اذ مطلق الفعل وحده او مع ألف وجه لا يصير ويسمى لأجله حسنا وقبحا لا يعتبره عاقل قطعا ككونه حركة مثلا

الى جهة اليمين في وقت الضحى في قمر المنزل وغير ذلك والا للزم كون كل فعل حسنا وكونه قبحا وهو معلوم البطلان والبغدادية لايقولون ان مطلق الفعل قبيح ولا هو مع وجه ملغى كذلك لما ذكر فتبين انه مطلق الفعل متركبا مع وجه او وجوه لها دخل في صيرورته وتسميته حسناً وقبحا وأنا انبهك على وجه غلطهم وهو انهم يأخذون الفعل متركبا مع وصف ملغى أو غير تام كالسجدة مثلا ثم يقولون لو كانت السجدة حسنة اوقبيحة لنفسها لما كانت طاعة للرحمن وكفرا ان كانت للشيطان والجواب ان مراد البغدادية بالفعل ليس السجدة مطلقة ولا هو مع القيود التي صارت بها سجدة بل ذلك كله مع قيود أخر صار بها عبادة للرحمن ومتى كان كذلك لم يخرج عن كونه عبادة الى كونه كفرا الا بنقصان قيد وزيادة آخر والمقيد بقيد غير المقيد بآخر وكذلك القول في لطم اليتيم تأديبا وظلما وغير ذلك . وحاصله ان الظلم مثلا بعد تمام كونه ظلما لايخرج عن كونه قبيحا مادام كذلك فلذا قالوا انه ذاتي اي مادام الظلم مستجمعا لما صار به الفعل ظلما فلا يخرج عن القبح فتأمل هذا فانه بحث نفيس بديع وهو مما ترك الاول للآخر والحمد لله وحده

ثم اعلم انه ليس من ضرورة مطلق الفعل الحسن والقبح ان أريد بالحسن ماله مزية راجحة على مزية الطرف الآخر والمعتزلة يطلقون الحسن على ما عدا القبيح حتى المباح بمعنى مالا حرج في فعله وتركه فعلى هذا لايخلو فعل عنهما ثم المطلق قد يتقدم بقيد أوقيود ولايحصل منها الا اسم مثل مطلق السير فانه مع الاحكام لمطلق الفعل وقد يتقيد بقيد يحصل له به اسم وحكم مثل كونه عدلا وظلما وصدقا وكذبا ثم الوجوه والاعتبارات

التي يحصل بها الحكم هو شيء مقدور وضابطه ما حكم وأدرك العقل عند الحسن والقبح ثم قد يزيد على تلك الوجوه المبينة وجه او وجوه فاذا اعتبر المجموع فتارة يتأكد الحكم الاول فقط مثل الزنا في المسجد في رمضان مثلا وقد يتصف المجموع بحكم مخالف لحكم المزيد عليه والمزيد عليه باق على ما هو عليه فانه مع الزيادة مغاير له مع عدمها فلا بعد ولا احالة في اتصاف كل منهما بغير ما اتصف به الآخر فاذا حكم العقل مثلا بحسن الصدق وقبح الكذب ثم فرضنا انه جاء دليل عقلي أو شرعي بان الكذب الذي فيه عصمة نبي واجب والصدق الذي به هلاكه حرام لم ينقض ذلك علينا قاعدة الحسن والقبح بل ولا هذه الصورة التي ادرك حكمها العقل انما أدرك حسن صدق غير مقيد بكونه يهلك به نبي وقبح كذب غير مقيد بكونه ينجو به نبي . يحكى عن بعض البوادي انهم يبيتون الضيف مع ازواجهم ومحارمهم ويقولون هم اكرم الناس واقراهم للضيف فهؤلاء ضموا الى اكرام الضيف هذه الخسة وسموا المجموع باكرام الضيف والذي يفعل ذلك انما يسمى ديوثاً ونحوه واكرام الضيف انما هو جزء فعلهم هذا وهو اكرام الضيف فيما عدا هذه الخسة ومع تناهي فعلهم هذا في القبح لايخرج اكرام الضيف من كونه من أشرف الخصال وأفضلها ولايكاد فعل يخلو عن مفسدة ولو مجرد المشقة وفوات الدعة ولا عن مصلحة ولو اللذة واطلاق عنان النفس فانها اما منعت من شيء الاشتاقت اليه ولكن يعتبر الارجح ويضمحل عنده المرجوح وهذا يحتاج الى معاودة التأمل وعدم الاستعجال مع نقاوة غريزة وذهن صاف سيّال

فان قلت هذا يخالف قولهم قبح الكذب لكونه كذبا والظلم لكونه ظلما والعلة موجودة بتمامها مع كل عارض مقدر في الكذب لان حقيقته

مقررة لا تزول الا بزواله بخلاف الظن (قلت) انما حكمنا بقبح ما أدرك العقل قبحه بضرورته واما تصيدكم العلة ثم إلحاق مالم تدركه الضرورة العقلية فلا يفيد اليقين لعدم القطع بعدم الفارق وانما غايته الظن الذي الاصل منعه مالم يدل على الاستغناء به دليل فدعه «ولا تقفُ ماليس لك به علم – ان الظن لا يغني من الحق شيئا – ان بعض الظن إثم» فما يؤمننا أن يكون هذا منه ومالم تلجئنا الضرورة العقلية فلا علينا ان نكل أمره الى خبر الشرع، وندعن له بالطاعة والسمع ، فكل مالم تضطرنا اليه الضرورة العقلية، فنحن فيه سمعية وهذا أوسط الامرين بين تفريط الاشاعرة وإفراط المعتزلة

(فان قلت) فهل يجوز تساوي طرفي الفعل في كون كل منهما مصلحة واذا جاز فهل يجوز ان يأمر الحكيم باحدهما معينا واذا جاز فما المخصص حينئذ لانك قدمت أن الترجيح بمحض الاختيار وان جاز في حق القادر نظرا الى الذات فانه يمتنع بالغير لمكان الحكمة (قلت) جواز استواء الطرفين في المصلحة لا مانع منه وأمر الحكيم بذلك كذلك والمرجح حينئذ محض الاختيار كالهارب يختار احدى الطريقين بلا مرجح والذى قدمنا منعه هو حيث لا داعي الى الفعل يرجح في نفس الامر لانه يكون عبثا وهو ممتنع الوقوع حكمة في حق الحكيم وعادة فقط في حق غيره كما يأتي تحقيق ذلك في أواخر مسألة التحسين والتقبيح ان شاء الله تعالى وأما هذا فقد قام الداعي في كل من الطرفين على حدة فلا مانع من تخصيص أحدهما بمحض الاختيار وترى أناسا يناقضون من فرّق بين المسلمين ويغلطونهم وانما الغلط عند من لا يفرق واذ قد أتينا على غرضنا من تحرير محل النزاع وما يتعلق به فلنذكر المعتمد من حجج الفريقين وبالله الاستعانة

(لها تتمة)

ذكرى (*)

﴿ للسوريين عامة . واهل بيروت خاصة ﴾

البلاد السورية من ارقى البلاد العثمانية استعداداً في العلم والعمران وان بيروت ارقى هذه البلاد ، بل هي من اثمن الدرر في تاج آل عثمان

قد زادت قيمة بيروت في نفوسنا بعد الدستور اضعافا مضاعفة ،وصرنا نباهي بها ونفاخر بعد ان كنا نشكو من تلك المعرة الفاضحة : معرة العصبية الجاهلية باسم الدين التي كانت حجابا دون محاسنها الكثيرة ، ومزاياها الجمة ، فقد كانت تتلفع بذلك الثوب المنكر وتتدجج بسلاح البغي والعدوان فكلما سمعت هيعة جردت سلاحها هذا ، وقالت به هكذا وهكذا ، تتوهم انها تجاهد في سبيل الله، وتفتك بعدو لها ولله، وانما كانت تجاهد في غير عدو ،بل كانت تحارب نفسها وهي لا تدري، فيطعن بعض ابنائها صدور الابناء الآخرين وهو لا يرى ولا يبصر ،حتى اذا ما لاح صبح الدستور القى الاخوة السلاح من ايديهم وطفق بعضهم يعانق الآخر ويقبله وهو يبكي على مافرط في ذلك الليل البهيم ، ويبسم لما يرجو في هذا النهار المنير

كان بعض عقلائنا يقولون ان علة تلك الاحقاد والاحن هي الحكومة الاستبدادية التي لا تجد حفاظا لسلطتها الا التفريق بين رعيتها ، ولا سيما أهل الذكاء والعلم منهم، وكان بعضهم يقول ان علة ذلك التدابر والتباغض هي دسائس اصحاب المطامع من الاوربيين، وهناك فريق ثالث يجمع بين القولين، ويثبت كلتا العلتين، ولا خير لبيروت ولا لما يجاورها من البلاد في فوز هاتين السياستين . وانما خيرها في اتحاد ابنائها على ترقيتها وعمرانها ورفعة شأنها وكل من السياستين عقبة كؤد في طريق سعادتها هذه

*) نشرناها في جريدة الحضارة التي تصدر بالآستانة

فرحنا بعد اعلان الدستور من خلع بيروت ذلك الثوب الذي كانت تلتفع به احيانا في تلك الظلمات ونبذ ذلك السلاح الخاطئ الذي كانت تحز به مفاصل اعضائها فتين بعضها من بعض ، واشبعناها ثناء وتقريظا ، وارويناها حمدا وشكرا ، راجين ان يكون الشكر مدعاة المزيد ، وذلك اثر الشكر الطبيعي في نفوس أهل النجدة وعلو الهمة كأهل بيروت

تلك المحمدة التي عكس لنا البريد صوتها وارانا البرق نورها ونحن في مصر قد هاجت شوقنا لرؤية بلادنا ترفل في حللها الزاهية ، في نور شمس الدستور الضاحية . بعد ان تركناها منذ سنين دخلت في جمع الكثرة وهي تتعثر في ذلك الثوب الخلق ، في ذلك الطريق الذي في مثله يقول الراجز

وقاتم الاعماق خاوي المخترق   مشتبه الاعلام لمّاع الخفق

تسير على غير الهدى، الى حيث تقع في مهاوي الردى ، في تلك الحنادس ، بما يخفق من بروق الوساوس ، التي تغريها باعانة المستبد فيها على استمرار استعبادها، أو تمكين الطامع فيها من ازدرادها (لا سمح الله)

زرت بيروت وغيرها من البلاد التي اعدها كلها وطني الخاص فكنت على تفضيلي بيروت على سائر اخواتها من المدن بنات سورية أرى ان الوفاق السلبي وحده لا يثمر ما نحب من عمران البلاد وارتقائها — واعني بالوفاق السلبي ترك ما كان من التنازع والتخاصم ،والتشاتم والتلاحم — وانما تعمر البلاد وتسعد بالوفاق الايجابي وهو انما يكون بالاختلاط وكثرة التزاور والاشتراك في الاعمال المالية ، والجمعيات العلمية والادبية

بذلت لهم نصحي وهم قومي الذين اخبرهم اذا صلحوا واصلحوا ، وتصيبني معرّتهم اذا اساءوا وافسدوا ، راجيا ان يكون ذلك الوفاق الذي سميته سلبيا مقدمة وطليعة لما يكون بعده من الوفاق الايجابي بالتدريج وانا لا أزال مع سائر العقلاء من اخوانهم البعيدين عنهم في مصر والآستانة وامريكا وأوربا ننتظر ان يكونوا هم السابقين الى رفع قواعد بيت الاتحاد على اساس الدستور ليكونوا في مقدمة زعماء الارتقاء في

تلك الديار في هذا الطور الجديد ولتكون مدينتهم ينبوع مدنية تلك الاوطان في ظل الدولة العلية ايدها الله تعالى

بينا نحن على ذلك الانتظار اذا بجرائد بيروت نفسها تعيد على اسماعنا في هذه الايام شيئا من حوادث ليالي الاستبداد الحالكة: بعضها صريح، و بعضها جمجمة وتلويح ، وقد جاء العاصمة أناس منها فاذا هم يتشاءمون ويتطيرون ويرون ان بعض علل التفرق السابق أو كلها قد عادت جذعة أو كادت ... فالله الله يا بيروت في نفسك ، وفي ابناء جنسك ، فان اعداء قومك واعداء دولتك يتربصون بك الدوائر ، ويكيدون لك المكايد

اسمعي يا بيروت وعي فاذا سمعت سمعت سورية كلها واذا وعيت وعت ، واذا لم تلقي السمع ، ولم تفرقي بين الضر والنفع ، فعليك إثمك وإثم سورية كلها

انك ترين في بعض صحف المفسدين الذين يلبسون لك ثياب الناصحين كلاما في التفرقة بين المسلمين والنصارى فاياك ان تغتري بهم ، أو تنخدعي لهم ، نعم ان الكريم ينخدع ولكن في الخير ، ولا عذر له في الانخداع لدعاة الشر ، انهم يقولون لا حق للمسيحي من السوريين ان يتكلم في شئون المسلمين، ونحن مسلمي السوريين وعلماءهم وكتّابهم نقول ان لهم ان يتكلموا في شئوننا كلما رأوا الفائدة للبلاد في كلامهم معنا فيها ولا نسيء الظن فيهم ، لان المصلحة مشتركة بيننا وبينهم

انني لا أسيء الظن بكم ايها الاخوة الاذكياء الفضلاء ، ولا ببلدكم وان لم تخل كغيرها من الجهلاء ، وانما المحب مولع بسوء الظن في كل أمر يتعلق بمحبوبه ، فهذا مايدعوني الى هذا التنبيه

ان رجائي في عقلاء الطائفتين وفضلائهم لعظيم وان مما زاد هذا الرجاء قوة ورسوخا تأسيسهم لنقابة الصحافة في بيروت وعسى ان يشترك معهم جميع اصحاب الصحف اللبنانية والمنتظر من هؤلاء الكتاب النبهاء وقد اجتمعت كلمتهم ان يجمعوا كلمة قومهم على الوفاق ويجتثوا شجرة الخلاف الخبيثة من أصولها ويردُّوا بالاجماع على كل من ينبز بلدهم بلقب التعصب الذميم وان كان من آبائهم او اخوانهم المهاجرين أو المقيمين فانني أرى بعض جرائدنا في امريكا لا تزال تركب متن هذا الخطأ: خطأ

الاتهام بالتعصب الديني وهو هو الذي يثير كوامنه ، ويحرك سواكنه ، ويقوي ضعيفه ، ويحيي ميته ، فما لهم لايذكرون

اذكروا ايها الاذكياء ما يجمع الالباء وتناسوا مايفرق ، الى ان تنسوه ببركة التعاون والاخلاص ، اذكروا ان لكم جامعة كبيرة وهي اللسان ، وجامعة أخرى وهي الديار ، وكل منهما جامعة شريفة لها ذكر مجيد في التاريخ ، وجامعة اخرى وهي العثمانية التي تصل حبلكم بحبل كثير من إخوانكم الشرقيين وما أعز من يكثر إخوانه ويتعدد أعوانه! « وانما العزة للكاثر » ومن أكبر خطأ بعض الجرائد في المهاجر التنفير من هذه الحكومة التي يرجى لكم في ظلها ما لا يرجى لغيركم ان أنتم أتفقتم على تعزيزها بترقية بلادكم وجمع كلمتكم ، ولا حجة لتلك الجرائد الا سوء سيرة رجال الدولة في أدوار الاستبداد البائدة وقياس الآتي على الماضي وهل يقاس الضد على ضده ؟ كلا إن السوريين لم يذوقوا من بأس الاستبداد ما ذاق الارمن ونرى هؤلاء يسارعون اليوم الى اقتطاف ثمار الدستور ويشاركون في الواجبات ليشاركوا في الحقوق . نراهم يعلمون ولدانهم في المدارس النظام العسكري كل يوم ترغيبا لهم في هذه الخدمة الجليلة وما نصارى السوريين دون الارمن ذكاء وعلما بل هم في هذا العنصر العربي ركن عظيم ، تبا لمنكريه باقوالهم ، ومحاولي تقويضه بافسادهم ، فتذكروا وتدبروا ، ولا تنازعوا ولا تدابروا ، واتحدوا وتعاونوا على ترقية البلاد بالعلم والثروة لتكونوا كما يؤهلكم استعدادكم الركن الاعز الاكرم في هذه الدولة ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو اذا شاء يهبكم اجتماع الكلمة وكفى

الفطرة وأسباب الترقي في الكون (*)

كان الله ولا شيء معه الهـــا في ذاته منزها بألوهيتـه فليس بكم ولا كيف محتجبا في أزله منزها عن التحديد فليس بالجسم التعليمي الذي تحده الأبعاد ولا بالشيء المفروض الموهوم الذي تكيفه الأفكار تخيلا وافتراضا وانما هو الكائن في ذاته لا تحيط به العقول ولا تصل اليه الحواس وكيف والحواس لا تدرك الا أعراضا لا تلبث أن تزول ! سبحانه لا يعلم شأنه الا هو

كان الله ولا شيء معه فلا سماء ولا أرض ، ولا طول ولا عرض ، كان مصدر الخير ومفاض النعمة كما قال الرسول (ص) عن ربه عز وجل « كنت كنزا مخفيا لا أعرف فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني » أراد الله أن يُعرف بنفسه ويمتاز بألوهيته التي يظهر فيها مظهر الكمال المطلق من قدرة غالبة وإرادة حكيمة وعلم واسع فأبدع من الخلق ماشاء وكون مملكة متأثرة بتلكم الصفات الثلاث : فالإرادة رتبتها ، والقدرة أبرزتها ، والعلم حفظها من عبث الجهل الذي هو سبب الفساد في كل شيء

ثم فطر الله الكون على قواعد ونواميس كلية وأقام عليها هذا العالم الأكبر : عالم الحياة الحادثة والحركة المتجددة فأوجد مقوماتهـا قوى وكتلا مختلفة التركيب والعناصر . وقد اثبت العلم ان ما خلقه الباري سبحانه وتعالى ينقسم الى قسمين : مادة ونفس فالمادة عبارة عن الاجسام والجسم عبارة عن كل كتلة أشغلت فراغا سواء أمكن النظر اليها أم لا كالهواء والماء فإنهما لا لون لهما فلا تدركهما الابصار

والنفس عبارة عن معان مجردة لا تشغل فراغا ولا تتزاحم مع غيرها من انواعها ولا يزاحمها أيضا غيرها والدليل على ذلك قريب وهو انه يوجد في

(*) محاضرة للشيخ حسين سليمان مفتش مدارس العروة الوثقى بالاسكندرية القاها في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية بتاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

الانسان طريقان : طريق خاص بالاشياء الجسمانية هو الفم يوصل الغذاء الى قاعة جسمانية أيضا هي المعدة بحيث لا يمكن أن يشغل فراغها شاغل لا يصح ان لا يقف عند حد محدود في كميته وذلك كالغذاء النازل فيها فمتى امتلأت دفعت . وطريق نفساني مورده الحس المشترك وقاعة الحافظة تقبل من المعلومات ما لا يتناهى لا تضيق بعلم دون آخر بل هي قابلة لأن تتناول كل المعلومات التي تصل اليها مهما بلغ مبلغ كميتها

وقد قيل في النفس آراء كثيرة لا حاجة بها هنا . ومن المادة والنفس كان التكوين فكانت هذه المجموعة وأودعت السلطة أرقى نفس فيها أفيض عليها من لدن البارئ جل وعلا صفة العلم فكان الانسان بها خليفة وملكا سخر له غيره من عالم المخلوقات

وانقسمت المادة باعتبار مميزاتها الي ثلاثة اقسام : حيوان ونبات وجماد . وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا يقتضي أن يكون وجود الثلاثة في آن واحد إذ لا غنى للحيوان عن النبات ولا للنبات عن الحيوان والكل تقله الأرض وتعطيه من خواصها ما يحتاج اليه . ويظهر من ذلك ان الكائنات كلها لم توجد دفعة واحدة كما هو رأي الفلاسفة وانما وجدت بترتيب حيث كانت العوالم العلوية الفياضة ومنها سار التأثير في العالم السفلي ومن ذلك ربما يصدق قول بعض المنجمين الذين يرصدون الافلاك فيستنتجون من أشكالها حوادث جوية ووقائع أرضية (*

قد يظن انسان ان النبات ليس محتاجا الى الحيوان؛ كلاّ فان النبات محتاج في حياته الى الحيوان فانه يتنفس كالحيوان وبينهما في هذه الصفة ارتباط شديد فالحيوان ينقي الهواء للنبات والنبات ينقي الهواء للحيوان واليك الغابة دليلا وهي المكان الطبيعي الذي لا يخلو من وجودهما فهما يتبادلان منفعتهما . والغرض من هذا الارتباط العظيم بقاء ذلك الكون الى أجله المحدود تتوارد عليه عوامل الترقي كلما كشف العلم عن أسراره وأبان البحث والتنقيب خفاياه (سنة أن ولن تجد لسنة الله تبديلا)

(*) لعل الكاتب يعني بالمنجمين غير علماء الفلك الذين يبنون اقوالهم على المشاهدات والقواعد الصحيحة فان هؤلاء مقطوع في صدقهم اما المعنيون فلعلهم المخرفون الجاهلون الذين يهرفون بما لا يعرفون

أيها السادة : — الترقي في الكون لا يقتضي تغييرا ولا تبديلا في نواميسه (لا تبديل لخلق الله) والا لانقلبت الحقائق وذلك ضرب من المحال وانما ترقي الكون عبارة عن تحسين مادة اجتماع العناصر التي تتآلف منها كتناسب الاوضاع وتوفيق الالوان واتحاد المشارب واقتراب ما تنافر منها بالمعالجة بالعلم والتربية .

انظروا الى الانسان الاول واحتياجاته فكم علم حتى عمل حتى وصل الى ما هو عليه الآن من المدنية الباهرة والذي يكفل ذلك انما هو العلم الصحيح . هذا مبدأ صحيح وقاعدة يجب الاعتماد عليها و الإساءات الحال وقبح المآل فاذاً يجب على المتعاونين والمتعاقدين قبل دخولهما في التعاون والعقد الاتحاد والائتلاف وما أحرى الزوجين أن يكونا كذلك فهما ان لم يأتلفا كانا مدرسة شقاء لابنائهما ومهبط فساد لذريتهما فتعارف الرجل وامرأته قبل الاقتران بها أمر ضروري طبيعي حتى يتم ذلك التقسيم الشرعي في قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فالخبيث يرى الخبث فضيلة في غيره والطيب لا يرى الفضيلة في غير الطيب والا وجب حل العقدة وفك الشركة وقد جاء في الحكم عن العرب « ان لم يكن وفاق ففراق » فهما تغيرت تلك المبادئ الطبيعية أو تنكرت فعلى ممر الزمان يضطر الى الرجوع اليها هذا ما حدا بالاروبيين الآن الى ان يحلوا عقدة الزواج بمجرد اختيار أحد الزوجين وقد بلغ التنافر ببعضهم الى حد مدهش هو ما روته بعض الصحف من طلاق امرأة زوجها لكون لون شعره لم يأتلف بصبغ أثاث منزلها الذي أنفقت فيه مبلغا طائلا وما أظلم تلك المرأة التي لم تر بيع أثاثها أولى من بيع بعلها ! بل ما اظلم الشريعة أو القانون الذي يقرها على صنعها ! . فعقدة الزواج عندنا يا حضرات الاخوان عقدة ذنب عقدت مصالح امرية كثيرة يجب ان نضعها دائما على خارتة البحث والتفكير

والترقي في الكون له أسباب كثيرة وأول أساس فيه المال وما ورد في شريعتنا الغراء من مقال الزهد في المال والتحذير من فتنة الدنيا فانما الغرض منه البعد عن اكبر رذيلة تلصق بالانسانية الا وهي الحرص الذي هو عبارة عن حب المال لذاته وهذا اقبح مايكون في الانسان

ومن الترقي في الكون الاقتصاد في المادة للمحافظة على قوتها النامية لان الاقتصاد هو التوسط فاذا أضعف الارض نبات ضروري كالقطن مثلا وجب أن يستنبت فيها عاما بعد عام حفظا لحياة الارض ويمكننا أن نقيس على هذا المثال الكبير غيره حتى نصل الى أقل الخلائق : النملة تدخر قوت شتائها من صيفها فمخالفة هذه القاعدة عصيان للترقي وجفاء للتقدم، والفلاح الذي يزرع الارض قطنا عامين متواليين طمعا في سعة الرزق جاهل غبي يختار كثيرا ينقطع عنه على قليل يدوم عليه وقد قالت العقلاء (قليل تدوم عليه خير من كثير تنقطع عنه)

ومن الترقي في الكون المدنية العلمية وذلك بايجاد الصناعات والصعود بها الى مدارج الترقي حتى تصل الى تسخير الجماد ليأخذ عن الحيوان ما يجهده كاستخدام البخار والكهرباء لاراحة الحيوان واتجاه قوى الانسان الجسمانية الى مساعدة القوى العقلية وهذا سبب صحيح لترقي العمل والصناعة فان الصانع المفكر لا يشك في أنه يأتي بصناعة متقنة لا يوفق لها الصانع المسخر وشتان بين من يعمل بواسطة عقله ومن يعمل بما اعتادت عليه يداه . اني لا أغلو في هذا المكان اذا قلت أن في خبايا الكون الى الآن اسرارا تستخرجها العقول على مدى الايام . وقد اثبت العلم أن عقول أهل الطينة الحارة أذكى من عقول أهل الباردة فاحتسب على الشرق ان استعمل عقله أن يأتي بما لم تستطعه الاوائل

ومن الترقي في الكون العمران . والانسان وان كان مكلفا بهذه الوظيفة السامية الا انه من العجيب أنه اذا اتسع به الفضاء ادركته الوحشة ومال الى الانس فانضم الى غيره من بني جنسه ليعاونه اولا على مصالحه وليأتنس به ثانيا فاذا ضاق به المكان كره الزحام ومال الى الأثرة وحب النفس وتنازع البقاء مع أقرب الناس اليه وود لو كان هو كل الانسان فما أعجب هذا الانسان ! . نعم يوجد في المزاحمة كبير فائدة من حيث العمران فقد قال الرسول (ص) «الرزق عند تزاحم الاقدام» الا إنه يلزم ان يكون الناس على نظام يكفل لكل حقه فيقف الاجشع عند حده ويساق العالة الى العمل متى قدر عليه وذلك بحرمانه من الصدقة والاعانة وقد ورد عن ابي مسلم الخراساني زعيم الدعوة العباسية أنه مما أوصى به أولاده عند قرب منيته ان لا يعينوا

كلا ولا يعطوا عالة فيكون في جسم الامة اعضاء تألف الكسل في العمل وحتى لا يوجد دجال ولا ذو عرافة وشحاذ قادر على العمل

هذا القانون هو النظام الذي يسنه الله لعباده إما بطريق الوحي وإما بالهام حكماء الامة وعقلائهم وضعه لذلك . تجد عالم الوثنية قائما في بعض الجهات على قواعد وقوانين وضعها الرؤساء لا تخرج عن النظام والترتيب في المعيشة بل قد تكون أشد في التكليف من الأوضاع الالهية وقد أكد لي خبير ان اليابان على ما هم عليه من الوثنية على كعب عال في الاخلاق ويؤيد ذلك بزوغ شمس الحكمة من الهند من قديم الزمان أي قبل أن يصل اليهم الاسلام وعلى أثر ذلك نقول ان فطرة كل مخلوق هي قيامه بالعمل لنفسه اولاً ولما خلق لاجله ثانيا فالمعادن متى أخذت قسطها من خواص الارض وظلت نافعة كان ذلك لفائدة غيرها وكذلك النبات ترى النخلة تبحث بجذورها على الماء فقد تدركه على بعد مئة ذراع أو اكثر وذلك بجهد لو قام به حيوان لأنّ أنين التعب الكادح وكثيرا ما شوهدت جذور النخلة تساقط من بين جدران الآبار الى الماء و بينها و بين تلك الآبار مسافة واسعة . كل ذلك الغرض منه حفظ حياتها لتؤدي وظيفتها التي خلقت لاجلها الا وهي تقديم الرطب الجني لبني الانسان وكذلك الحيوان يعمل أولا لقوام حياته ومنه ما يبذل تلك الحياة الثمينة التي تعب في نموها ويتقدم بها الى غيره ضحية لينتفع بها ذلك الغير كدودة القز المعلومة التي تظل تعمل لتقدم لنا مادة من أنفس المواد لطافة وأغلاها قيمة ألا وهي الحرير . ومنه ما يتفضل علينا بما يخرجه من بطنه شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس كما أخبر بذلك خالق النحل وموفقها الى هذا العمل الكبير الذي لا يطابق بنيتها حيث قال (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)

أيها السادة — ما الذي ترونه في هذا الترتيب؟ هل في هذا الترتيب خرق؟ حاشا، هل في هذه الفطرة ظلم وشر؟ كلا، فمن أين يجيء الشر ومتى يكون المخلوق شريرا؟

انظروا الى الترتيب الآتي أيضا : تتكون المعادن من مادة الارض فتنقصها وكذلك النبات والحيوان ثم تعود تلك الاشياء اليها ولو باستحالة الصورة فتسد موضع النقص منها وهذا سر البقاء للكون فاذا أراد الله اذهابه اختلفت هذه النسب فيحصل الفساد . ذلك ماجنح له كبار علماء التفسير في قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لامعقب لحكمه) فاذا أراد الله القضاء على العالم انقص الارض والانقاص من الطرف مبدأ طبيعي عند ارادة إبادة الشيء وذهب قوم الى ان طرف الارض عبارة عن قطبيها ولكني أقول ان طرف الارض هو مجموع سطحها فكل نقطة فيه تسمى طرفا فكأن مجموع سطحها أطراف لها ولذلك عبر سبحانه وتعالى بلفظ الجمع فقال «ننقصها من أطرافها» ولوكان النقص من القطبين كمافهم بعضهم لعبر الله تعالى بلفظ المثنى أي من طرفيها كما هي سنة القرآن الكريم في الاخبار على أن الجزء الذي فيه الانقلاب والتغير من الارض انما هو سطحها وهو الذي يعقل ان يعتريه النقص

جعل الله بقاء هذا الكون بتبادل الاشياء الثلاثة وغذاء بعضهامن بعض فالارض تأكل نباتاوحيواناوالنبات يأكل ارضاوحيوانا والحيوان يأكل من الثلاثةوهذه الثلاثة تنقسم الى مراتب بحسب القوة والضعف بحيثيات مختلفة فمن حيث ان الحركة والقوة في العمل ظاهرة للحيوان كان هوأقواها وارقاها ومن حيث ان الارض هي أم الكل منها تخرج واليها تعود كان الجماد أقواهاوأبقاهاواذا بحثنا في الاشياء الثلاثة نجدفي كل منها شيئامن الضرر في غيرذاته اي بالنسبة لغيره فقديكون الجمادساما كالمعادن الحريفة الشديدة القبض وكذلك بعض النبات والحيوان . ومن الغريب ان للحيوان الغيرالناطق خاصة يميز بها من النباتات السام من غيره فيجتنبه والطيب من الخبيث فيرعاه ولا يعقل ان تكون الاجسام السامة عديمة الجدوى بل قد تكون نافعة لكذا وضارة بكذا على ان العمدة في الطب القديم والحديث على الجواهر السامة ومن يصدق منا ان البقدونس وهو النبات الطيب المفيد للمعدة والمثانة يقتل الببغاء بمجرد تعاطيه !

علم مما تقدم ان الكائنات الثلاثة متماسة وان منها ما لايجدقوته الا بالافتراس وان الانسان على ترقيه العظيم ماهو الاحيوان مفترس الا ان ماأوتيه من الذكاء والتدبير جعل

طبيعة الافتراس فيه منتظمة : الانسان يصطاد الحيوان فان كان دينه يلزمه بتذكيته (ذبحه) ذكاه والاخنقه أوعبطه او وقذه وفي الذبح بالطريقة الشرعية تخفيف على الحيوان بشرط مراعاة أحكام الذبح الواردة . ولذا كان الذبح من أهم المقاصد الشرعية والديانة الموسوية لها فيه شروط مؤكدة ولا يعد الذبح تعذيبا للحيوان فانه يؤدي به وظيفة خلق لها قال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) والطبيعة الغذائية في الحيوان كله تشهد بأن الانسان من الحيوانات أكالة اللحم ولو امتنع عن أكل اللحم أربعين يوما ضعف مزاجه جدا وربما يمرض مرضا شديدا لو استمر أكثر من ذلك اللهم الا اذا تعود الامر وحينئذ يصير أكل اللحم ضاراً له . الذبح عبارة عن قطع الودجين وانما يقطعان في لحظة فلا يكاد يحس الحيوان لان الجسم حينئذ يكون انفصل عن المخ الذي هو مركز الاحساس

نعم ليس في ذبح الحيوان تعذيب . وانما التعذيب هو أن يعيش عاملا فوق طاقته أو يكون على خلاف طبعه وهي الحال التي تقضي على ذوي العقول بالانتحار تخلصا من شر الحياة . ورد عن الرسول (ص) « اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » وجاء عن بعض الفلاسفة أنه ترفع عن أكل اللحم مدة حياته كأبي العلاء المعري وقد فهم قوم ان الذي حمله على ذلك رأفة منه وشفقة على الحيوان هذا ان لم نعتقد أنه ناشيء من فاقة كان عليها ذلك الحكيم كما جاء في بعض رسائله ومثل هؤلاء من يضرب على نفسه بسور من حديد حتى لاتلزمه الحاجة الواسعة فيشقى في طلبها . على أن الامر ليس كذلك فحاشا ان يجهل المعري ومن نحا نحوه من الفلاسفة أسرار التكوين وانما الغرض من ذلك ان يكسر سورة نفسه فتتجرد من حجاب الجسم الكثيف الذي تزيده الشهوات واللذات ظلمة فتصفو صفاءها الذي ظهر في شعره الحكيم . وهذا هو السبب الحقيقي الذي فرض الشارع لاجله الصوم تقليلا لتلك الشهوات

اذا تقرر هذا المبدأ اقول ليس في الحيوان شر قط خصوصا ما كان منه ابله اذ لافكر توجد به امراض القلب كالحقد والحسد والغرور والاثرة وغير ذلك من أمراض الانسان فكما ان العقل زينة له كان هو مصيبة عليه ذلك مذهب عامة

الفلاسفة يدلك على ذلك ترفع الاسد عن العودة الى فريسته مهما نهكه الجوع لكونه يأنس من نفسه قوة تهيئ له طعامه متى شاء

وربما ائتنس الانسان بوحوش الحيوان ورافق الثعبان فلا يرى منه الا المسالمة المطلقة ويأمن له أكثر من أخيه الانسان قال ابو العلاء المعري رحمه الله :

عوى الذئب فاستأنست للذئب اذ عوى   وصوّت انسان فكدت اطير

وهذه الحكمة مبنية على ماتقدم من انه قد يوجد الانسان بين جماعات ادنياء من الناس فلا يأمن على حياته منهم ويفضل وجوده مع الوحش على وجوده مع هؤلاء الناس . وما كان خلقه من الحيوان الأذى والضرر كما نظن فانه لا يخرج أيضا بهذا الخلق عن كونه يؤدي وظيفة اضطرته اليها طبيعة فيه كالفأرة مثلا تترقب فرصة الليل السادل خيمته على العباد فتبيت تقرض طول ليلها فتفسد الاثاث والرياش ويعلم الله انها لا تعلم له قيمة ولا تتصور له لطافة وما ذلك الا لكونها خلقت حادة الاسنان ترتاح كثيرا لتشغيلها وكذا العقرب ليس بينه وبين غيره ثار فيخرج ليأخذ به بذنبه ولكنه لكونه خلق أعمى تراه يخشى دائما في سيره فيتحصن بذنبه وهذا خلق فيه فلا لوم عليه

فان قلت اذا كان الامر كذلك فكيف اباحت الشريعة الرشيدة لنا قتل هذه الحيوانات ؟ قلت ان هناك مبدأ عمرانيا ضروريا هو اتلاف الحقير لحفظ العظيم ويقابله في ذلك قاعدة أصولية هي : إتلاف الثلث لاصلاح الثلثين جائز

فاذا كان من خلق الفأرة العبث بالاشياء الصالحة وجب قتلها حتى تحفظ تلك الاشياء من التلف كما اذا كان عضو من الاعضاء ضارا بالجسم وجب قطعه وعلى ذلك أباح الشارع أيضا الحكم بالاعدام على القاتل وهو ذلك العمل الذي هو عبارة عن إزهاق الروح ومصادرة البارئ جل وعلا في منحة عباده صفة الحياة فكيف يصح للشارع وهو الذي ينكر ذلك العمل الفظيع بالامس ان يأتي به اليوم وقد استفظعه من غيره ؟

يقال ذلك إذا كان الغرض من الاعدام الاخذ بثأر المقتول فقط ثم إنه لافائدة تحصل للمقتول أو لاهله من قتل القاتل كلا انما الغرض من القصاص تأديب

من كان في نفسه مطمح الى هذا الجرم فيرى انه مقتول لا محالة والنفس عزيزة خصوصا اذا كانت الجرأة على القتل بعامل ليس له كبير تأثير فيها كالاختلاس مثلا أما اذا ضاق بها الامر وكرهت البقاء عليه كالذل والضيم والظلم وهتك العرض ورد الصائل تقابلت الصدور بالسهام ورأت اللذة في آلام الحمام

يهون علينا ان تصاب جسومنا   وتسلم اعراض لنا وعقول

وهذه حالة استثنائية عسى لا يؤاخذ القانون مرتكبها لان النفوس في ذلك تفقد رشدها بخلاف القتل باسباب سافلة ولا يتأتى ذلك الا من الجبناء فكان القصاص لاحدهم أعظم رادع هذا هو معنى الحياة الذي استنتجه عقلاء التشريع من قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون) لولا هذا النظر ما استفاد أهل المقتول من القاتل شيئا أما أخذ الدية فهو أمر ثانوي قد يكون فيه سلوان لاولياء الدم متى كانوا فقراء وليست بمتيسرة في كل الاوقات . على ان المروءة والاباء يأبيان أخذ الدية خصوصا متى كان القتل حاصلا بسوء القصد وذلك يشفي صدر أهل القتيل بموت عدوهم وليس هذا بشيء ولا بمبدأ عمراني متى قصر النظر عليه فلو قابلنا كل شيء بشيء مثله في التلف لما مكثت الدنيا أكثر من مئة عام مثلا : عمرو هدم بيت زيد وزيد يهدم بيت عمرو وخالد مزق ثوب بكر وبكر يمزق ثوب خالد . . .

أما اذا كان القتل اتفاقا وهو ما يسمونه بالقضاء والقدر أو كان بمحض الخطإ فان الدية لا بأس بها متى تيسرت

ومن الترقي في الكون التمتع بحرية العدل واقامة قانون تدين اليه جميع الرؤوس يكفل التساوي بين الناس في حقوقهم . ذلك القانون كان في قديم الزمان عبارة عن أحكام اصطلاحية تتفق عليها الامة سواء أكانت حكيمة أي مطابقة للناموس العام كالشرائع السماوية والاحكام الديمقراطية أم موافقة لاجواء البلاد واجسام سكانها كالاحكام العرفية التي تختلف كثيرا باختلاف الاجيال واستعداد الاجسام. يأتي في الامة جيل لا يردع الا بالسوط ، كما يأتي فيها عينها جيل يؤدبه الصوت .

هنا توجد قاعدة ينبغي ان نذكرها لمناسبة ذكر العدل الا وهي قولهم (التساوي

في الظلم عدل) كيف يكون التساوي في الظلم عدلا وكيف يصح ان يكون الظلم مصدرا للعدل والعدل مصدرا للظلم مثلا ؟ نعم قد يضطر الانسان احيانا الى استعمال الظلم معتقدا انه ظلم اذا لابد منه ولكنه حينئذ لايسمي ظلما وانما يسمى سياسة وهذه القاعدة واسعة الدائرة تشمل القيام على حقوق الانسان والدخول في شخصيته متى كان لا يحسنها وذلك كالحجر على السفهاء والقيام على اليتامى والوصايا على القاصرين ومصادرة السكارى والضرب على ايدي المقامرين ومنع الربا واحتسابه الى قدر معلوم وغير ذلك كما هو خاص بالاحوال الشخصية التي ربما يقال ان الاتفاق فيها يبررها نعم انه يوجد في قواعد التشريع أيضا قولهم لا مشاحة في الاصطلاح ولا حكم بعد الاتفاق . والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وبنيت على تلك القواعد احوال اهمها إباحة القتل للمتبارزين كما في قانون نابليون الا ان مثل تلك الاتفاقات قد تضر بالمجموع الكلي اذ انه مركب من الافراد فساغ إذًا للحكومة القائمة عليه المسئولة عنه ان تضرب على ما يتطرق اليه من الفساد ولو أدى ذلك الى مصادرة الافراد

بقي لنا في هذا المركز نقطة يجب أن تعرض لها لا لاوافيكم علما بها حاشا فانكم عالمون متمدنون اعلم مني بها وانما أرجو ان تنشروها فيعرفها الجاهل الاوهي كلمة الحرية التي كثير من جهالنا ينطقون بها ولا يفهمون معناها الحقيقي نعم كثير من الناس من يجهل معنى هذه الكلمة بل بعضهم يفهم منها عكسها عكسا مضطردا ويرى ان الحرية في إطلاقه يعني في الارض بسكر وعربدة وتهتك وابتذال وان الرجل والمرأة في ذلك سواء . فتخرج متبرجة على مايخالف جميع أجناس النساء الكاملات تحجب وجهها وتكشف زندها وتستر رأسها وتكشف عن ساقيها واذا كست زندها بالقفازين (الجونتي) اظهرت جبينها. ولبعض الرجال معايب ربما ساوت هذه المعايب المتقدمة مما يدل على الانسان المصري في هذه البلاد معكوس الحال ولو امكنه أن يمشي برأسه لا نقلب يمشي عليه حبا في العكس المضطرد! ماهذه الحرية أيها السادة؟!— ان الحرية كما لايخفى عليكم عبارة عن التساوي الممكن بين أفراد الناس وهو المبدأ الذي يجب المحافظة عليه ومحب الحرية أول من يحترم حقوق الغير محافظة

على حقوقه هو إيضا وهو أول من يقول بالآداب وتربية النفس لتتمثل الناس باحاسن العادات ومكارم الاخلاق فتتمتع بمواهبها وتطلق عنان فكرها في ميادين حريتها بما لايخرج عما وضعه قانون عمرانها وأقره عقلاء امتها

الانسان - ايها السادة — مطلق مقيد وليس هذا بعجيب بل هذا من لوازمه وليس ذلك حاطا من كرامته ولولا ذلك لاشبه الحيوان لانه لو كان مطلقا فقط لاشبه سوام الماشية وهمل الحيوان كالكلاب والقطط ولو كان مقيدا فقط لاشبه اذلاء الحيوان كالحمار والبغل والجمل فجهة اطلاقه هي جهة حريته يتصرف فيها كيف يشاء لا يسأل عما ملك ولاعما وهب بشرط أن لايخرج ذلك عما قدمناه . وجهة تقييده هي جهة قيامه بواجباته كاداته لامه وابيه وزوجه وبنيه وفصيلته التي تؤويه وملازمته عادات قومه الضرورية التي قد يختل النظام بتركها كتركه لغته باستعمال غيرها واحتقاره مصنوعات بلاده وغير ذلك مما نراه سببا في انحطاط كثير من الامم واداته أيضا لجامعته ووطنه حتى يعمل هو ايضا لغيره كما قدمناه في قسيميه الحيوان والنبات

ايها السادة — اني اذكر لكم نتيجة استنتجتها مما كتبه العلامة ابن خلدون في هذا المقام تحت عنوان (المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض وان الربع الشمالي منها اكثر عمرانا من الربع الجنوبي .وذكر السبب في ذلك) افاض الحديث هذا العالم الجليل وبعد ان عرف الارض وخططها وذكر منها خطوط الطول والعرض ومدار الكواكب واختلاف مسقط اشعة الشمس باعتبار الزوايا الثلاث برهن على أن الجزء الشمالي منها كثير العمران وذلك بسبب توفر الرطوبة فيه حيث قال

« وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا أفرط الحر جفت المياه والرطوبة وفسد التكوين في المعدن والحيوان والنبات إذ التكوين لايكون الابالرطوبة » ولا بأس هنا بذكر جملة فلكية عن هذا الاستاذ اتماما للموضوع قال « اذا مال رأس السرطان عن سمت الرؤوس في عرض خمسة وعشرين فما بعده - اي بعد هذا العدد - نزلت الشمس عن المسامتة فيصير الحر الى الاعتدال

او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى ان يفرط البرد في شدته لقلة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا بنقصان الحر وان كيفية البرد لاتؤثر عن أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر وأوفر والله أعلم » اه

هذا الربع هو عبارة عن قارة أوربا وهي حقيقة أعظم القارات عمرانا ونتيجتي من موضوع هذا العمران الكبير هي ان الحضارة والعمران الغربي انما هو نتيجة طبيعة القارة لا أن للاوربيين عقولا استثنائية تتفاوت عن غيرها كما يفهم بعض المفتونين بالغرب . واذا كنا نحن أيها السادة لانجد من طبيعة جونا معينا كهؤلاء افلا يجمل بنا ان نعاض ذلك من أنفسنا قوة وشجاعة حتى نتساوى مع اولئك الاوربيين ولعل ذلك سر ذكاء اهل البلاد الحارة فان الله الحكيم العليم يبعث بالمعونة على قدر المؤونة فاعطانا ما انقصه منا من خاصة ارضنا ذكاء وجلدا حبذا لو قدرناه واستعملناه

ومن أسباب الترقي في الكون المطاوعة لمقاديره والتصرف في حوادثه وذلك مايعبر عن ضده بالجمود قال افلاطون : لاتكرهوا اولادكم على اخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم، وهذا أمر ضروري ان لم يكن طوعا فليكن كرها ولشر يعتنا فيه نظر حكمة ورشاد قال الله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) يعني اذا نسخ الله حكما أتى لنا باحسن منه أو بمثله في زمان أوحال يناسبه حيث كان لاتناسبه حاله الاولى وليس ذلك بكبير على الله لانه ليس الغرض منه ان الله تعالى يجهل موافقة الاحكام لاوقاتها حاشا فهذا شيء مستحيل عقلا انما الغرض من ذلك وضع مبدإ للمكلفين يتصرفون فيه بحسب ضروراتهم والنسخ بالبداهة لايتأتى الا في المعاملات المبنية على الاوامر والنواهي وليس بمعقول ان ينسخ توحيد بغيره ولا ان تبدل صلاة بصلاة بل قد يتبدل الحكم بغيره للتخفيف أو التشديد كنسخ

الوصية للاقارب بالميراث وعدة الوفاة من الحول الى اربعة أشهر وعشر ذلك كما قال العلامة الخطيب الشربيني لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كأسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره . اه وكان لسيدنا عمر رضي الله عنه في ذلك أحكام خاصة منها ايقاع الطلاق ثلاثا دفعة واحدة واقامة صلاة التراويح في عشاء رمضان واحكام استثنائية كثيرة في معاملة أهل الذمة لاتخرج عن كونها سياسية اكثر منها شرعية

ومن الترقي في الكون ايجاد قوة الجماعة كاشتراك الافراد في الاعمال واهمها عقد الشركات ومن يكن في ريب من ذلك فليسأل عنها الجالية الاوربية النازلة بنا حيث انا لم نوفق لها حتى الآن نسأل الله حسن التوفيق

هذا أيها السادة ماحضرني من اسباب الترقي الضرورية . وهناك اسباب كمالية لاتخرج عن تحسين ذلك النظام البديع منها الجمعيات والمنتديات والمتنزهات وهي وان كانت كمالية الا انها لابد منها لكل أمة بغية الوصول الى الكمال والله الهادي الى سواء السبيل

آثار علمية أدبية

﴿ اسماء عربية لمسميات افرنجية ﴾

عني اعضاء نادي دارالعلوم بمصر بالتنقيب عن اسماء عربية لبعض المسميات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسماً جديداً او عربوه والاشتقاق والتعريب ليسا جديدين في اللغة بل هما جائزان وواجب ان يصار اليهما عند الحاجة . ونحن ننقل للقراء ماوقع عليه الاختيار في الاجتماع الاول لأعضاء النادي وسنثبت كل مايختارونه على ان كثيرا من هذه الكلمات قد استعملت من قبل واقر الاعضاء على استعمالها اقروا وهذه هي الكلمات:

(استمارة) يرى اعضاء النادي استعمال (استمارة) وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استمار بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا إثبات التاء

لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي أخذ امره

(انفيتيارو) ترجمت بلفظة (مدرَّج) منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء يجمع عليها

(بلوك نوت) تعريبها (اضامة) ومعناها الاوراق منضمة

(بويه) نظرت اللجنة فيما يستعمل للتاوين فوجدته على نوعين : نوع يتخلل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة (صبغ) كصبغ الثياب والورق وما اشبه · ونوع يعلو السطوح فاختارت له كلمة (طِلاء) كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

(تخته بوش) وهو مايسميه الافرنج (véranda) وتعريبه (نجيرة) فقد جاء في لسان العرب ان النجيرة سقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره

(ترابيزه او طاوله) رأت اللجنة من هذا المسمى انواعا : فمنها ما هو للأكل وهذا (خِوان) ويسمى حين وضع الاكل عليه (مائدة) ومنها ماتوضع عليه الاشياء المختلفة وهذه (مِنضدة) مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصصه بعض اللغويين بحرّ المتاع وخياره · ومنها ماهو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة (مكتب) المستعملة

(ترسينه) ان مايخرج عن البناء منه ماهو مغطى وهذا يسمى (كُنَّة) ومنه ماهو مكشوف وهذا (طَنَف) والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة في الدار · على ان هناك لفظة تؤدي المعنى وهي (شُرفة) وقد كثر استعمالها · وقد ورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة (مستشرف)

(جول) اختارت لها اللجنة لفظة (مرمى) على ان كلمة (محجّ) الشائعة في سورية تؤدي نفس المعنى

(خارطة) وصحيحها (خريطة)

(دوسيه) تعريبها (مِلف)

(شماعة أو تعليقة) وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين: أولهما ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة (غِدان) وهو في اللغة « قضيب تعلق عليه الثياب » والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة (شجاب)

(طابور) الكلمة عربية حُرِّفت وصحيحها (تابور)

(كارت فيزيت) سبق اختيار (بطاقة الزيارة) ولامانع من الاستغناء عن المضاف اليه فيقال (بطاقة) كما يقول الافرنج (كارت)

وقد رأت اللجنة ايضا استبدال (سينماتوغراف) بكلمة (خيالة)(*) وهي كل ماتراءى لك من الصور (وفونغراف) بـ (الحاكي) و (ميموغراف) (بمطبعة النضح) و (تيب ريتر) (بمطبعة الازرار) لانها اتخذت قاعدة عامة في تسمية المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من (مطبعة) مضافة الى اكبر مميز لتلك المطبعة · على ان كلمة (الآلة الكاتبة) او (الكاتبة) فقط أقرب من مطبعة الازرار

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تقرير السر الدن غورست سنة ١٩٠٩ ﴾

اصدرت ادارة جريدة المقطم هذا التقرير منذ اكثر من شهر مترجماً بالعربية حسب عادتها وقد اهدت الينا نسخة منه ضاق المنار الخامس عن الكتابة عنها · وهذا التقرير حافل بالتفصيلات عن ادارة القطر المصري وروح الاعمال فيه وقد سرنا من هذا التقرير الفصل المعقود عن حال المعارف في القطر المصري ونماء حركة التعليم ووفرة عدد الطلاب وكثرة الكتاتيب والعناية بتعليم العلوم باللغة العربية بالتدريج مما يدل على ان هذا القطر السعيد ستكون بحار العلم فيه زاخرة وثماره يانعة ان شاء الله تعالى

تقدم العلم في هذه البلاد نام سريع ولا نريد بتقدم العلم توفيق قومنا للاختراعات المفيدة والاكتشافات الجديدة وانما نريد كثرة سواد طلاب العلم والراغبين فيه فاننا لسوء الحظ لا نزال بعداء عن الوصول الى هذه الغاية على اننا سائرون في الطريق وعلى الله قصد السبيل · وانه ليحزننا ان تكون التربية في ارتكاس وانتكاس وتدلّ وانحطاط

(*) المنار : الصواب ان يقال : استبدال (خيالة) بكلمة (سينماتوغراف)

وليس العلم بمغن إيانا أملا اذا لم نترب تربية صحيحة تغرس في نفوسنا عشق الفضيلة وحب الخير لكل البشر وغير ذلك من الشيم التي تنطوي تحت هاتين الكلمتين الكبيرتين وانه ليؤلمنا ان تكون مدارس الحكومة والمدارس الاهلية شرعاً في اهمال امر التربية وعدم العناية بشأنها اللهم إلا مدارس الاجانب التي تخلق تلاميذها باخلاق يخرجون بها من قوميتهم ونحلتهم فيكون الخسار بذلك عليهم وعلينا ولا حول ولا قوة الا بالله

فتن قومنا بالسياسة فصرفتهم اكاذيبها عن العمل النافع لهذه الامة التعسة وصدفت بهم عن الطريق المعبّد والسبيل اللاحب، فتاهوا في بيداء طامسة الصوى والأعلام، واوغلوا في تأويل الرؤى والأحلام، وخدعوا الناس بزهو القول وزخرف الوعود دون الحث على القيام بالأعمال الجسام، اللهم عونا وغفرا ! هل جنى من قبلنا من السياسة ما كانوا يطمحون اليه حتى تكون لنا اسوة حسنة بهم فنغذّ في السير على آثارهم ونقتفي سيرتهم فتكون متابعتنا لهم حذو القذة بالقذة ؟! اللهم لا !

فنهضة أيها القوم واوفضوا سراعا وانسلوا من كل حدب الى مهيع العلم الصحيح والتربية الصالحة ولا يتم ذلك إلا بنشر التعليم الأهلي وان أهل الثراء وعاضدي العلم كثيرون بحمد الله في هذه البلاد ولا نرى انهم يرتضون لانفسهم ان يكونوا دون جمعيــة الفسالات في فرنسا التي انشأت مدارس كثيرة أو دون تلك الفتاة الامريكية التي أسست احدى عشرة مدرسة كلية !

ولعلنا ننشر الفصل الذي في التقرير عن المعارف في المنار السابع

***

﴿ مبادئ الفلسفة القديمة ﴾

مجموعة فيها كتاب (ما ينبغي ان يقدم قبل تعليم فلسفة ارسطو) وكتاب (عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة) تأليف أبي نصر الفارابي الفيلسوف الاسلامي الشهير من أهل القرن الرابع عنيت بنشرها المكتبة السلفية لصاحبيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان. طبعت بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٨ وعدد صفحاتها ٣٥ وثمنها قرشان ونصف قرش وتباع بمكتبة المنار وبالمكتبة السلفية بمصر

اهدت الينا المكتبة السلفية هذا الأثر القديم لأحد فلاسفة الاسلام الاعلام مصدرا بترجمة حفيلة للمؤلف فيها بيان أصله ومنبته وطلبه للعلم وحكاياته مع معاصريه

من العلماء والامراء وذكر ملخص تأريخ الفلسفة في زمانه ومنحاه في الفلســفة و بيان مصنفاته وغير ذلك من الاشياء التي تعرّف بالمؤلف تعريفا تاما ومما جاء فيها بعنوان « فلسفته » اي فلسفة المؤلف ما نصه :

« ولم يكن للفارابي فلسفة خاصة به ، أو مذهب فيها أُثر عنه ، وغاية ما يمكننا التوسل به للوصول الى معرفة آرائه ومبادئه هو مصنفاته التي كان أكثرها في الرقاع والكراريس المبعثرة والفصول والتعاليق كما ذكرنا

« ومن أهم ما صنفه كتابه في (إحصاء العلوم) والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه . وقد قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر الى ستة اقسام : ١ — علوم اللغة ، ٢ — علم المنطق وفيه الخطابة والجدل ، ٣ — الرياضيات وتشمل الهندسة والحساب ومبحث النور وفن النجوم والموسيقي وجرّ الأثقال والاحجام ويدخل في علم النجوم مباحث الفلك والتكهن والأحلام وعلم الجوّ والهواء ، ٤ — العلوم الطبيعية وهي عشرة ، ٥ — العلوم المدنية وتشمل القضاء والخطابة ، ٦ — علم الكلام وما وراء الطبيعة .

« وهذا التقسيم كثير اوجه الشبه بتقسيم العلوم الذي اصطلح عليه علماء اوربا في العصور الاخيرة ، والفارابي كما ترى يقدم المنطق والرياضيات وأكثر العلوم الطبيعية المحضة فالعلوم الاجتماعية . ويلاحظ قراء كتب الفارابي أنه قد ألم بالتمييز بين الاصول والفروع وذلك ما اسس عليه كونت خطته في تقسيم العلوم ثم هذبه هربرت سبنسر ونقحه . »

نقلنا هذه الفقرة ليطلع عليها اهل الجمود الذين باتوا يحرمون ممارسة هذه العلومّ والتوفر على دراستها عسى ان يتزحزحوا عن مواقف جمودهم فيخرجوا من مأزق مناقشاتهم ومحالاتهم النظرية الى فضاء العلوم الصحيحة الدينية العلمية والدنيوية العملية واذا كان يعز عليهم احتذاء الاوربيين فلهم أسوة حسنة بأسلافهم العاملين

والكتاب مفيد في بابه بل لا نظير له فهو كفهرس جامع لتعريفات الفلسفة القديمة وشرح وجيز لاصولها وله فهرس حاو لاسماء الاماكن والاعلام الواردة في الكتاب

وهذا من محسنات الكتاب ومنها جودة الطبع والترتيب فنحث الراغبين في تعرف الفلسفة القديمة على اقتنائه



﴿ القطار السريع لعلم البديع ﴾

رسالة مختصرة في علم البديع ألفها حفني بك ناصف القاضي بالمحاكم الاهلية ومدرس علم الادب بالجامعة المصرية تحقيقا لرغبة بعض طلاب مدرسة الحقوق وقد اختار المؤلف شرح بديعية تقي الدين لمكانتها من الشهرة ومنزلتها بين الادباء ولأن في ابياتها ذكر الأنواع البديعية . مثال ذلك قوله في مطلعها مشيرًا الى حسن الابتداء وبراعة الاستهلال :

لي في «ابتدا» مدحكم يا عرب ذي سلم « براعة تستهلُّ » الدمع كالديَم

وقد اعجبنا هذا الكتاب اكثر من كل كتب البديع التي رأيناها فهو مختصر مفيد «ان لم يحفظ على الغيب ، فانه يوضع في الجيب » كما قال مؤلفه ويمكن للطالب أن يضرب بسهم في علم البديع اذا قرأ هذا الكتاب فهو يغنيه عن الاستاذ

انا من كارهي علم البديع لا من محبيه ومع ذلك فاني أرى معرفته ضرورية لدارسي العلوم العربية لأنه حلقة من سلسلتها فلا يحسن ان يبقى طالب هذه العلوم في محارة من فقدان هذه الحلقة ويصبح كمنتحلي مذهب دارون مضطربا متلمسا لحلقته المفقودة ! على ان حفني بك قد اشرع السبيل للرغّاب في علم البديع وادناهم من هذه الحلقة ولكن من ابن للدارونيين بحفني بك آخر يدنيهم من متآم الواسع ؟!

وقد نشر هذه الرسالة السيد حسين رافع وطبعها طبعا متقنا وجعل ثمنها قرشا ونصف قرش وتطلب من المكتبات المشهورة



﴿ الاستمناء ﴾

ماذا يقول الملاحدة والكافرون بالله تقليدا في امراض الافراد والأمم

الادبية ؟ وما رأيهم في علاجها يا ترى ؟ هل يستسهلون الزعم أن تبيين اضرار هذه الأمراض وسوء عاقبتها للمبتلين بها يأخذ بشكائم نفوسهم ويزجرهم عنها ! ؟ إن كانوا يزعمون هذا — وهم زاعمون — فلا مشاحّة في انهم مكابرون للحق مدابرون

لا ريب في ان الاستمناء من افتك تلك الأمراض الادبية في عقول الشبان وجسومهم ولإن انتهى عن ممارسته منتهٍ بتبيين ضرره في جسمه وعقله فقد يزدجر بازائه مئة ممن تأدبوا بآداب الدين وتخلقوا بأخلاقه فالدين وحده هو العلاج الشافي من هذه الأمراض الوبيلة لا سيما وان الشبان يؤتون من ناحية الوجدان لا من ناحية الاقناع والبرهان وهم المبتلون بهذه العلة التي تتأصل في كثيرين منهم تأصلا ينتهي بموته أو جنونه! لذلك كان حقا على مؤلف هذا الكتاب «الاستمناء» الدكتور هـ . فورنيه أو مترجمه بالعربية الدكتور مقصود أن يشير الى نهي الدين عن الاستمناء وإيعاد مزاوليه بأشد العقوبات، والنصوص مستفيضة في الدين الاسلامي على تحريم الاستمناء وعده من الموبقات الكبائر ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكتاب فني صحي فان الغرض منه الفائدة لا الدراسة

وفي الكتاب فوائد كثيرة ابلغها عظة ذكر مصير ممارسي الاستمناء وما مصيرهم الا الموت بالسل أو بعد الجنون المطبق وهم في زهرة الشباب ونضارة العمر . وقد انتقدنا في هذا الكتاب ذكر طرق الاستمناء الكثيرة التي يتعلم منها الشبان ما كانوا يجهلون . هذه غائلتها فما فائدتها ! ؟

وهو يباع بعشرة قروش صحيحة في جميع المكتبات

القضاء والنواب

كراسة صغيرة تقع في ١٨ صفحة بحجم المنار لمؤلفها شكري افندي العسلي الدمشقي «قائمقام» الناصرة المّ فيها بتأريخ القضاء في الاسلام وادواره واقسامه بعد بحث ودرس . قال : «وقد انشأت هذه المقالات بعد ان طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملته والاشباه والنظائر والاحكام السلطانية وتاريخ الطبري

وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة الامة في اختلاف الأئمة والميزان للشعراني وسراج الملوك وغيرها »

وهي مفيدة في بابها فنشكر للمؤلف صنعه ونحمده على هديته

معنى الحياة

كتاب لطيف الحجم والشكل يقع في ١٥٠ صفحة بالقطع الصغير تأليف اللورد افبري من اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي وقدعني بترجمته بتصرف وديع افندي البستاني . اودعه مؤلفه نصائح لنابتة قومه ليكونوا باتباعها سعداء في الحياة الدنياومن آكد تلك النصائح واجلها تربية قوة الارادة وصدق العزيمة والشجاعة والثبات وغير ذلك من كرائم الاخلاق وفضائل الشيم التي يستفيد ذووها ويفيدون . وقدارشد الى فوائد مراعاة الاقتصاد واحتجان الاموال وكون هذين هما اساس مجد الامم . وقد انكرنا على المترجم ترجمته لبعض الفصول بالشعر وتمنينا لو كان احكم إنشاء واصح عبارة . ويطلب من مكتبة المعارف بمصر وثمنه ثلاثة قروش صحيحة

النصيحة الاحسانية

قصيدة طويلة للسيد عبدالله بن علوي بن عبدالله العطاس يحث فيها على ممارسة العلوم والأعمال العمرانية وحبذا هذا الصنع من الاستاذ الناظم وعسى أن يكثر من هذا النصائح نظما ونثرا

الاتحاد الاسلامي

جريدة انكليزية اصدرها في (طوكيو) عاصمة اليابان احمد افندي فضلي الضابط بالجيش المصري قبلاً ومحمد بركة الله افندي الروسي وقد اخذا على عاتقهما تفهيم اليابانيين حقائق الاسلام فنعم العمل عملهما وحبذا الصنع صنعهما وقيمة اشتراكها شلنان في العام او عشرة قروش صحيحة وهي قيمة تافهة لاتكادتفي بنفقات البريد فنحث القراء على الاشتراك فيها ومساعدتها بما في الامكان

حسين وصفي رضا

باب الاخبار والآراء

﴿ جمعية العلم والارشاد ﴾

قد عرف القراء موضوع هذه الجمعية العلمية الخيرية التي رحلنا الى دار السلطنة لاجل السعي لتأسيسها فيها . وقدطال الامد على منتظري خبر تأسيسها حتى يئس اشدهم غيرة وحرصا وكتبوا الينا ينصحون لنا بترك السعي لها في هذه العاصمة ولو يئسنا كما يئسوا لعدنا أدراجنا كما اقترحوا ولكن اليأس مرض صار وبائيا في بلادنا ونحمد الله تعالى أن نجانا منه فلم يجد الى قلبنا سبيلا . نعم إنني كدت أيأس من بعض من كنت أرجو مساعدتهم من الكبراء ولكن رجائي في الله وثقتي بتوفيقه لم يزد في مظنة اليأس الا قوة ورسوخا

بعد السعي الطويل مدة ثمانية أشهر وقع الاتفاق من اصحاب الشأن على تأسيس الجمعية لتكون هي التي تؤسس المدرسة العالية التي نوهنا بها من قبل ووقع الاختيار على ان يكون المؤسسون اثني عشر وهم :

(١) الشريف جعفر باشا حفيد الشريف عبد المطلب احد امراء مكة المكرمة السابقين
(٢) مصطفى افندي مستشار المشيخة الاسلامية
(٣) مصطفى عاصم افندي الرئيس الثاني لمجلس المبعوثين وأحد علماء الآستانة
(٤) موسى كاظم افندي من العلماء واعضاء مجلس الاعيان
(٥) محمود أسعد افندي من العلماء وناظر الدفتر الخاقاني
(٦) حسن فهمي افندي مبعوث سينوب وأحد علمائها
(٧) سني الدين افندي معاون مشاور الحقوق بنظارة الاوقاف
(٨) فؤاد بك احد أعضاء مجلس شورى الدولة ورئيس كتابه
(٩) اسماعيل حقي بك مدير قسم الإلهيات والادبيات في دار الفنون ومدرس الاصول والكلام فيها
(١٠) احمد نعيم بك بابان احد اعضاء مجلس المعارف
(١١) تحسين بك احد اعضاء ديوان المحاسبات
(١٢) محمد رشيد رضا صاحب المنار

وتقرر أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف لهذه الجمعية دائما

هذا وقد دعي الاعضاء الى الاجتماع الرسمي الاول لانتخاب رئيس لهم في ٢٧ جمادى الاولى بدار الفنون . فأما فؤاد بك وتحسين بك فهما في أوربا مع حاشية ولي العهد واما الباقون فمنهم من حضر ومنهم من كان له مانع فكتب ورقة بانتخابه أو وكل من ينتخب عنه . فالذين حضروا هم الشريف جعفر باشا ومستشار المشيخة وموسى كاظم افندي واسماعيل حقي بك وأحمد نعيم بك وكاتب هذه السطور وقد اتفقنا جميعا على انتخاب الشريف جعفر باشا رئيسا لهذه الجمعية وعقدت الجلسة الاولى برياسته فقرئ فيها النظام الرسمي الذي وضعه هذا العاجز فتقرر ان ترسل نسخ منه الى جميع الاعضاء ليدققوا النظر فيه وان استحسنه كل من قرأه منهم، وأن يصدق عليه بعد المذاكرة في الجلسة الثانية التي تنعقد يوم الاحد الآتي ثم يقدم الى نظارة الداخلية. وتقرر أيضا ان يجتمع الاعضاء في ضحوة كل يوم احد. فالحمد لله أولا وآخرا وإياه نسأل تمام التوفيق

(تنبيه) ماذكر في بعض جرائد العاصمة العربية من ان الجمعية قررت ان تكون مدرسة دار العلم والارشاد مؤلفة من صنفين كل صنف ٢٠ طالبا لا صحة له فالجمعية لم تقرر في امر المدرسة شيئا

﴿ النظام الاساسي لجمعية العلم والارشاد ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم »

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا * وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون *

﴿ الفصل الاول ﴾

(في تأسيس الجمعية ومقصدها)

(المادة الاولى) تأسست في دار السعادة جمعية باسم «جمعية العلم والارشاد»

(المادة الثانية) مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعليم العلوم الدينية والدنيوية والتصنيف فيها . وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخريج العلماء والمرشدين

(المادة الثالثة) لاتشتغل الجمعية بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا بسياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أعضاء الجمعية ومجلس ادارتها)

(المادة الرابعة) للجمعية رئيسان رئيس شرف ورئيس عامل فرئيس الشرف هو صاحب المشيخة الاسلامية والرئيس العامل ينتخب من اعضاء مجلس ادارة المركز العمومي

(المادة الخامسة) اعضاء الجمعية ثلاثة اقسام: أعضاء عاملة واعضاء معاونة واعضاء شرف، فالعاملون هم الذين يقومون بأمور الجمعية بالفعل والمعاونون هم الذين يشتركون فيها بمبلغ معين من المال يؤدونه في كل سنة أو كل شهر بالاطراد، واعضاء الشرف هم عظماء الامة الذين ينفعون الامة بمالهم أو مكانتهم من الفضل والكمال نفعا عظيما

(المادة السادسة) مركز الجمعية العمومي دار السعادة ويكون لها في الخارج شعب لكل شعبة منها مجلس ادارة

(المادة السابعة) أعضاء مجلس الادارة في المركز العمومي اثنى عشر عضوا وهم المؤسسون للجمعية ماداموا فاذا استقال احدهم أوخلا موضعه بسبب ما فانتخاب بدله ومجازاة من يخل من الاعضاء بنظام الجمعية الاساسي كل منهما يكون بمقتضى مواد النظام الداخلي للجمعية

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في الهيئة العمومية)

(المادة الثامنة) تجتمع الهيئة العمومية للجمعية كل سنة مرة في وقت معين بدار السعادة، وتتألف هذه الهيئة من اعضاء مجلس الادارة من المركز العمومي ومن مندوبي الشعب الخارجية

(المادة التاسعة) الهيئة العمومية رقيبة على مجلس الادارة وهي تدقق النظر في ميزانية الجمعية وفي اعمال مجلس الادارة مدة السنة وتقرر ماتراه في ذلك وماتقرره يكون نافذا بالاكثرية المطلقة فيما عدا ما اشترط اكثرية ثلثي الآراء

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في أموال الجمعية)

(المادة العاشرة) تكون اموال الجمعية من الاشتراكات الموقوتة والاعانات

والتبرعات والوصايا والهدايا والاوقاف الخيرية التي توقف عليها ومن ريع رأس مالها ومن أجور التعليم في المدارس التي ستنشئها ، والمبلغ الاحتياطي يحفظ وينمى بحسب ماتراه الهيئة العمومية

(المادة الحادية عشرة) مجلس ادارة الجمعية ليس له ان يقرض من مال الجمعية ولا أن يقترض لها الا بقرار من الهيئة العمومية

(المادة الثانية عشرة) تنشر الجمعية في كل سنة كراسة في بيان ميزانيتها ودخلها وخرجها واسماء الباذلين ومقدار مابذلوه لها، ومن ينهى عن التصريح باسمه يذكر بلقب «فاعل خير»

(الخاتمة)

(المادة الثالثة عشرة) يجوز تعديل احكام هذا النظام عند الحاجة بقرار من الهيئة العمومية بأكثرية ثلثي الآراء من اعضائها المرتبة

﴿ رأي محمد عبيدالله افندي في صاحب المنار ومشروعه ﴾

نشره في العدد الرابع من جريدته الذي صدر في ١٤ صفر سنة ١٣٢٨، وهو:

﴿ المدرسة العربية ﴾

« مشروع الاستاذ الفاضل صاحب المنار »

ان الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أشهر من ان ننوه بفضله للقراء اذ قد عرفه وانتفع بعلمه كل منور العقل من الامة الاسلامية، وقد قدم الآستانة هذا الفاضل منذ اشهر لمقصد شريف ومشروع جليل يدل على مزيد اهتمامه باصلاح الامة الاسلامية وغيرته عليها . وذلك انه ينوي فتح مدرسة عربية في دار الخلافة يدرس فيها كل علم نافع ولا سيما العلوم العربية

وهو لم يزل مقيما في العاصمة يقابل رجال الحكومة من حين الى آخر ويفاوضهم في هذا المشروع طلبا للمعونة من الحكومة بما يلزم لمشروعه من المال . ونحن وان لم نعلم بالتفصيل ماهي العلوم التي تدرس في هذه المدرسة وكيف تكون طريقة التعليم فيها وكم مدة التحصيل الا اننا نعتقد اعتقادا جازما ان مدرسة عربية برأسها مثل الاستاذ ويقوم بتدبيرها وترتيبها لجديرة بأن تكون كثيرة المنفعة كبيرة الجدوى خصوصا والعلوم العربية اليوم في اشد الحاجة الى مجدد كهذا العربي الصريح يسعى

في نشرها واصلاح طريقة التعليم فيها فقد أصبحت يضرب بصعوبة تعلمها المثل عند الناس . وعليه فنحن ننادي أولي الامر من رجال الحكومة بأندى صوتنا ان يلتفتوا الى مشروعه بكل اهتمام ونسترعيهم السمع الى ماينزع اليه من الامر النافع وليس ذلك يبعد من الحكومة التي هي اليوم تضرب على نغم الاصلاح في كل أمر من أمور الامة

﴿ المنتدى الادبي ﴾

أسس بعض النجباء من طلبة العرب في المدارس (المكاتب) العالية في الآستانة ناديا سموه « المنتدى الادبي » وساعدهم على ذلك كثيرون من أهل الفضل والسعة اعانة لهم على ماقصدوا من أمر التربية والتعليم

كانوا قبل ذلك متفرقين قلما يعرف أحدهم أحدا أو يستفيد من علمه وادبه او تجربته الا مايكون بين المتجاورين في مواضع الاقامة من التلاقي والاجتماع في الملاهي العامة التي تسمى في مدن البلاد العربية بالقهاوي ويسمى الملهى منها في الآستانة «قراءتخانة» أي بيت القراءة تسمية لها بخير مايكون فيها وهو قراءة الجرائد فقط ولا يحسبن القارئ انها كحجرات المطالعة او غرف المطالعة المعهودة في بعض البلاد التي يوجد فيها كتب كثيرة تقصد لاجلها لا لاجل اللهو بلغو الحديث او اللعب بالنرد وشرب المنبهات

قام اعضاء ادارة النادي بشؤونه قياما يحمدون عليه فأحسنوا الادارة ونشطوا في تحصيل مبالغ الاشتراك، وضبطوا الدخل والخرج، واقتصدوا في النفقة بقدر الاستطاعة، حتى كان عملهم ـ وهم مبتدئون فيه ـ موضع الاعجاب، ولكن رأى بعض اخوانهم من اعضاء النادي انه كان في الامكان أن يحسنوا ويقتصدوا اكثر مما فعلوا، واستحسن هؤلاء ان يستبدل بهم غيرهم ليجربوا كما جربوا، ورأى الآخرون ان هذا مخالف للقانون فيجب ان يتموا مدتهم التي عينها قانون المنتدى، فقال المعارضون نعدل مادة القانون ونعيد الانتخاب، فاجتمعت الجمعية العمومية للمنتدى وبعد المناقشة واخذ الآراء تقرر برأي الاكثرين ان يبقى القانون على ما هو عليه وان لايعاد الا انتخاب من نص فيه على انتخاب بدل عنهم او اعادة انتخابهم وكان صاحب هذه المجلة وكاتب هذه السطور حاضرا تلك الجلسة وكذلك

حضرها صديقنا عبد الحميد افندي الزهراوي فنشهد ان الخلاف بين الاعضاء فيما ذكر لم يكن بدعا من الخلاف في الاندية والجمعيات او مجالس النواب ولا كان مزلزلا لرجائنا في نابتتنا الجديدة في مدارس دار السلطنة .

نؤدي هذه الشهادة وقد سئلناها لأن بعض الجرائد العربية نشرت مقالة بامضاء (سائح متلف) أسرف بها في انتقاد المنتدى الادبي إسرافا لم نشك عند قراءتها في تعمده التحامل لغرض ليس لنا ان نفتات عليه فيه ، ولا نرى فائدة في بيان مانرى من قوادمه وخوافيه ، وقد تكون له نية حسنة ، استجاز أن يتوسل اليها بتلك الوسيلة السيئة ، ومن كان حسن النية لايصر على خطإه وهو يعلم ، ولا يدافع عن نفسه اذا ظهر له الحق وتبين ، وقد اساء بعض اعضاء المنتدى الظن ببعض اخوانهم الذين يرجى خيرهم ، ولانخشى أن تضر مثل تلك البادرة إن صح عزوها اليهم ، فأنصح لهم جميعا ان يغفروا الهفوات ، ويجذب كل منهم أخاه اليه بخير مايراه من جواذب الفضيلة فيه ، فالكيس من استكثر من الاصدقاء ، والاحمق من استكثر من الاعداء ،

﴿ خليل حمدي حماده باشا ﴾

فجعت المملكة العثمانية في هذا الشهر بوفاة هذا الرجل المصلح الاداري القدير ، والسياسي المحنك الخبير ، نابغة البلاد السورية والمصرية ، والحجة الناهضة على علو استعداد الامة العربية ، شهد بفضله الانكليز وغيرهم من الافرنج بمصر ، واذعنت له قلوب جميع العثمانيين في الآستانة ، فان كتم الشهادة له الحاسدون والمتعصبون منهم ، فقد نطق بها المنصفون والمستقلون فيهم ، وناهيك بشهادة مولانا السلطان محمد الخامس الذي كان يلقبه بالغيور ، (غيرتلي) والصدر الاعظم حسين حلمي باشا الذي قال عنه انه جاء يعلمنا كيف تدار الامور ، ثم بشهادة صاحب جريدة «يكي غزته» وهي أقرب جرائد العاصمة الى الاستقلال ، وجريدة «صباح» الواقفة عند نقطة الاعتدال ،

ليس اكبر فضل الفقيد في رأيي أنه مانيط به عمل الا واتقنه ، وانه كان آية في حسن ادارة الجمارك المصرية ، وكان يأتي بالمعجزات في إصلاح نظارة الاوقاف العثمانية ، بل اكبر فضله انه كان على حسن قيامه باعباء الحكومة ، موجها فضل

عنايته وهمته الى إصلاح شأن الامة . وكان من عمله فى ذلك بالقطر المصري جمعية الحمالين في الاسكندرية وتربية اولادهم وتعليمهم ، وجمعية مكارم الاخلاق ، والملاجئ العباسية ، وما خدم به جمعية العروة الوثقى ، ولم يدع الى خدمة عامة الاوكان له فيها الرأي الصحيح ، والباع الطويل ، فهذه هي المنقبة التي تحيا بها الامم وتتفاضل عظماء الرجال

كان رحمه الله اشد من رأيت اهتماما بالمشروع الاصلاحي الذي سعيت له سعيه هنا ، قدره قدره ، وادرك فكره البعيد ما فيه إصلاح الامة وخير الدولة ، وكان وهو ناظر الاوقاف يعدني بأن يرتقي في مساعدته من مال الاوقاف الى عشرين ألف ليرة في السنة ، وكان بعد الخروج من نظارة الاوقاف اشد اهتماما بنجاح المشروع وارجى الناس في مساعدته لانه اعلى من نعرف الآن همة في السعي والعمل للمصلحة العامة ، فهو في هذه الفضيلة من طبقة الاستاذ الامام وحسن باشا عاصم رحمهم الله تعالى وعزى هذه الامة المبتلاة بقحط الرجال عنه وعنهما بايجاد من يخلفهم في ذلك ، ونخص بالتعزية كبير بيت حماده الحاج محيي الدين افندي وسائر الاسرة الكريمة ، ونسأل الله تعالى أن يحيي ذكر فقيدنا بذريته المباركة ، كما هو حي بآثاره الحميدة

(الاغلاط التي وقعت في الجزء ٣ و٤ و٥ و٦ من هذا المجلد وصوابها)

(اغلاط ج ٣ م ١٣)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٤	٤	الهاء	والهاء
٢٢٢	٣	العرب	العثمانيين
«	٢١	وتلوبحا	وتلوبحا
٢٢٨	٢٣	حلبي	چلبي
٢٢٥	٦	وما	ما
«	١٧	ارتنا	رأينا
٢٣٨	٥	أحد	كل أحد

(اغلاط التفسير في ج ٤ م ١٣)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٣	١٠	جحر	حجر
«	١٨	وعفى	وعفا
٢٤٥	٧	تخلص	يخلص
٢٤٦	١٠و١٢	المظاهرة	المصاهرة
٢٤	٥	يسد	يصد
«٩	١١	الحر	الحرة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥١	١٧	ماطلعت عليها	مما طلعت عليه
٢٥٢	٢١	وهو	وهي
٢٥٥	١٠	راوية	روايته
٢٥٧	١٣	فريقا من	فريقا منكم من
٢٥٨	٥	الاقدار	الاكدار
«	٢٠	ومن	وعن

(اغلاط ج ٥ م ١٣)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢١	٨	وقيل	قيل
٣٢٢	٨	والاسفرايني	والاسفرايني
«	١٥	الناقلات المؤمنات	المؤمنات الناقلات
«	١٥	ومنها أيضا	وفيه أيضا
٣٢٢	١٨	وفي لفظ عند	وفي رواية لهما « الكبائر الاشراك بالله والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس » وفي لفظ عند

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٣	٣	وهو من ذاته	وهو في ذاته
٣٢٥	٨	محترما ولا	محترما للدين ولا
«	١٣	وان	كأن تعد صغيرة وان
«	١٥	ذنب	ذنب
٣٢٦	٥	الكبائر بحسب	الكبائر انما تعد كبائر بحسب
«	٦	وحسب ضررها	ومقدار ضررها
«	٢١	طاعة ازيد	طاعته ازيد
«	٢٢	معصية	معصيته
٣٢٧	٣	المنزلة	المنزلة اه
«	٤	قال لالأنه	قال لأنه
«	٢٤	لكن هذا	لان هذا
٣٢٩	٦	واتبع	وأتبع
«	٧	سماع	بسماع
«	٢١	المعيشة» اه	العيشة» (ص اه
٣٣٠	٦	يكفر من	يكفر — اي يستر او يزيل — من
«	٦	دخول	اثر دخول
«	٨	وأزاله ،	وازاله ومحا معه ما دونه من احتقار الملكية المجرى على دخول ملك غيره وان كان فعله ،
«	١٣	عليه . بل	عليه ؟ لا
«	١٤	هذا الحسنات	هذا الذنب الحسنات
«	١٦	درر ابي	در أبي
٣٣١	١١	٣٣ :	٣١ :
«	١٧	وعدم	والذى يلزمه عدم
٣٣٩	٣	الحكومة	حكومة الدولة
٣٤١	١٠	ابدا	قط
٣٥٦	٧	او العرب	وسائر العرب

(تنبيه) البيت الذي في آخر صفحة ٣٧١ واوله واديب قوم الخ محله في اول صفحة ٣٧٣ قبل البيت الذي اوله يلهو الخ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٨٥	٢	انممت لكم	اكملت لكم
٣٨٦	١٣	بلغة	بلغات
٣٨٧	٢٢	رحمه	قال رحمه
٤٠١	٣	موَلِيَ	موَالِيَ
٤٠٢	٩	ومن قوله	و«من» في قوله
«	١٦	فأعطوا هؤلاء	فأعطوا أيها المؤمنون هؤلاء
«	٢٠	تعالى رقيب	هو رقيب
«	٢١	وغيرها فلا	وغيرها الآن شأنه الدائم شهود كل شيء فلا
٤٠٣	٣	المخاطبين	المحكي عنهم والمخاطبين
«	٤	المخاطبون	المحكي عنهم والمخاطبون
«	٤	بامتثاله	وبامتثاله
٤٠٤	٣	اسلم	اذا اسلم
٤٠٤	٩	ويوصي	ويوصي

وهذه الجملة تلحق بالسطر التاسع صفحة ٤٠٤ وهي : وظاهر ان الذي نسخ هذا الارث هو قوله تعالى (٣٣ : ٢٧ وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا) وهو في سورة الاحزاب اما الموالي في الآية التي تفسرها فهم الوارثون كما في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام (١٩ : ٤ واني خفت الموالي من ورائي) : وبعدها السطر العاشر واوله : هذا وان الاستاذ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠٤	٢١	الرِّجال	الرِّجال
٤٠٥	٣	يريد	يريداً
٤٠٥	٣	يوفَّق	يوفِّق
٤٠٥	٢٣	غوضا	عوضا
٤٠٦	٣	رياستهم .	رياستهم فهل هذا الا بداهة الفطرة الذي لا يستطيع عصيانه الا بعض الافراد؟ .
٤٠٦	٢١	إن	أن
٤٠٦	٢٣	وتثبت	وتثبت
٤٠٦	٢٥	بوظيفتم	بوظيفتها
٤٠٨	١	ويتبع	اقول ويتبع
«	٦	شئون	شؤون
«	٦	الذي اشير	هو ما اشير

الفصل الثاني والعشرون (*

(الايمان والآيات وخوارق العادات)

قال بعض الناس في تلك الأيام لا عجب اذا آمنت «خديجة» ببعلها فان رابطة الزوجية تستدعي مثل ذلك ولكن ذا القدرة العظيمة قد أتى هؤلاء القائلين بما يعارض مزاعمهم اذ طفق بعض من سمع هذا النبأ يؤمن به ولم يبق المصدق به « خديجة » وحدها فاضطروا أن يخترعوا أسبابا أخرى للايمان به

حرب فكرية قامت أمام هذا النبإ الجديد عند شيوعه ، ارتجت له مكة وما حولها ، انقسمت الافكار ، تباينت الانظار ، وفي مثل هذه المواقف يعرف الراجحون بحسن الفطرة ، وقوة الفطنة اذ يكونون من السابقين في رؤية الدقائق ، والوصول الى الحقائق

قال نفر منهم :

«لقد عرفنا محمداً طول هذه السنين فما عرفنا الكذب صاحبا له ، ولا عرفناه صاحبا للخداع ، وقد قام اليوم يخبرنا بأمر وقع له ليس هو بدعا من الامور ، ولا هو بضارنا شيئا . أتانا يخبرنا بامر يشبه ما نسمعه عن أمر موسى نبي بني اسرائيل ولم يكن أمر موسى الا نافعا لقومه فلعل الله سبحانه يريد أن يهدي الينا نفعا بواسطة هذا الرجل الصادق الامين منا»

قالوا :

*) تابع لما نشر في (ص ٣٩٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

« يقول صاحبنا ان روحا أتاه وأوحى اليه ماأوحى ، ولا شيء من هذا ببعيد عن العقل اذا تأدب العقل ووقف أمام بحر القدرة الازلية الابدية وقفة العارف أن هذا بحر لا حد له • ويقول انه أمر بتبليغ الناس هذا الوحي وما سيتلوه»

قالوا:

« ان هذه الدعوى عظيمة فان كان مادعاه حقا كان من العار العظيم والضرر الكبير أن نرد هدية ربنا عز وجل الذي اهدى الينا العقل من قبل وهو يعزز اليوم تلك الهدية بهدية أخرى ربما كانت من نوعها وربما كانت من نوع أعلى وهل يرد حامل العقل مثل هذه الهدية بعد أن يذيقه العقل طعم الرشد والمعرفة ويأتيه بروائح مايهب الفاطر جل وعلا من صنوف المعارف. وان كان مادعاه غير حق فان حبله سيكون قصيراً لان لدينا عقولا ولا يضرنا حينئذ ظهور أمره »

وقال نفر:

« لماذا يدعي الصادق الامين هذه الدعوى ان لم تكن صحيحة ، هل فقد عقله ؟ كلا فانا لا نزال نرى صحته واعتداله على أتمهما ، هل تغيرت أخلاقه؟ كلا فان من الاخلاق ما رسخ مع كثرة الاعوام وقل ان يئيض الصادق مائنا . كلا بل الامر جد ، والدعوى صدق ، وان لهذا الامر لناصراً آمن قوة ساقته بعد أن عاش أربعين سنة – الى الاتيان بهذا الامر الغريب الصعب عليه ، وان الايمان بقدرة الله تعالى ليدعونا الى اجابة هذا الداعي من لدنه ، وان الاخلاص ليدفعنا الى اعلاء الكلمة التي تنزلت الينا فضلا من ربنا ورحمة ، انا به مؤمنون ! »

كان في مقدمة هذا النفر أبو بكر ذلك الرجل الذي لم يعرف الى ذلك الوقت بعيب عند قومه وليت شعري لماذا تجول الظنون وتحوم في تلمس الاسباب لايمان أمثال هؤلاء الافاضل مع اتفاق العقلاء على أن الذي رسمنا صورته من تفكراتهم هو المطابق لحكمة المعتدلين

القائل ان «خديجة» انما آمنت ببعلها لانه بعلها هو في سعة من ظنه هذا اذا شاء . ولكن بما مهدناه من المثل بايمان أبي بكر نتمنى أن يكون انتفع بمعرفة أن طريقة ايمان « خديجة » كانت أعلى مما يظن

ان الذي آمن به أبو بكر ثم مئات ثم ألوف غيره لا يجوز للعاقل المنصف ان يحرم زوجته العاقلة من شرف الطريقة التي آمن بها هؤلاء الافراد ثم الجماعات

ان ظنون الناس تكون على حسب أخلاقهم وطباعهم وتصوراتهم فالذين يصرون على ادعاء أن السيدة «خديجة» لم تؤمن بهذا الروح الجديد الا لان صاحبه هو بعلها هم إما جامدون في معرفة الاخلاق البشرية على شيء يستعيذ العاقل بالله من تفاهته وهو القسم الرديء منها، وإما هم مجبولون على العناد، وإما هم مستعظمون لتصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات

نحن لا نسوغ لانفسنا أن نعيب أحدا ممن كان حظهم قليلا من علم اخلاق الناس ولا ندعي أنا نستطيع بالكلمات القليلة التي نقولها الآن بمساعدة واذن من الصدد أن نودع في أفكارهم علما جديدا واسعا ولكنا نستطيع أن نذكرهم بان أخلاق الافراد ليست على شاكلة واحدة بل منها ماهو في أسفل السفل ومنها ماهو في أعلى العلى ، ومن الناس من يغلب عليهم من الصدق والاخلاص مايملك قلوبهم ويجعلها بعيدة عن التصنع

والرياء ، وعن الارتياب بالامور التي ليست غريبة عن محيط القدرة والحكمة والعناية الازليات اذا حدث بها المعروفون عندهم بالصدق والامانة ، ويجعلها قريبة من كل مافيه تمجيد اسم الفاطر جل وعلا وتعظيم مظاهر أمره وسره . وبعد هذه التذكرة نستطيع أن نقول لهم ان سيدتنا هذه كانت من أهل هذا الخلق الجليل كما تشهد سيرتها . ومتى تزحزح هؤلاء عن مركزهم في علم الاخلاق سهل عليهم أن يشتركوا معنا في معرفة أنه ليس محكوما على «خديجة» بالحرمان من الايمان الصحيح المبني على أسباب صحيحة لا على كونه بعلها

وأما المجبولون على العناد ، والغرور والاعجاب ، فلا نتعبهم بسماع أقوالنا اذ ربما أتت ثقيلة عليهم ، ولا نتعب انفسنا بمخاطبتهم اذ قد تأتي علينا ثقيلة • فلهم دينهم فيما توقفهم فيه جبلتهم ولي ديني فيما يمشي معه قلبي

وبقيت لي كلمة مع الذي يستعظم تصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات كثيرة • إن هذا معذور في نظري والتفاهم بيني وبينه سهل لاني لا أطلب ان يترك ما بيده من النظريات بل أمشي معه في الحديث وهي في يده فنبلغ معه غاية حسنة تصلح ان تكون ملتقى لنا مهما تشعبت حولها آراء اخرى لكل واحد منا

أنا أقول معك ياصاحبي ان الذي يطالبه غيره بالتصديق له أن يطالب هو بالأدلة والآيات ، ولكن اذا سمعت بصدق ولم تسمع قصة طلبه للدليل والآية فلا تحكم بأنه آمن من غير دليل وآية الا اذا كنت تعرفه من قريب وتعرف أن بضاعته كلها تقليد الآباء والمعلمين

أنت تعرف أن أبا بكر وامثاله ممن صدقوا محمدا (صلى الله عليه وسلم)

لم يكن لهم آباء سبقوهم في تصديقه ، ولا معلمون حملوهم على تأييده ، وتعرف انهم كان لهم حلوم راقية رائقة ، وألباب زكية فائقة ، فهل تظن أنهم صدقوه بغير آيات بينات ، وأدلة ساطعات ؟

المشارب في الاستدلال مختلفة وأخشى ان يكون مشربك فيه كشرب الذين لا يعدون الآية الا الامر الخارق للعادة ولذا رأيت أن لا أودع هذا المقام من غير أن أحادثك بالآيات والخوارق بعد ان اسلفت طريقة «خديجة» على النحوين لتعلم كيف يمكن أن يكون ايمان كل مؤمن بمحمد (عليه الصلاة والسلام)

اذا وقع شيء خارق للعادة لا يستطيع احد حينئذ أن ينكر انه آية عظمى ولكن ماهي العادة وهل يمكن أن تخرق (أي تخالف) وهل وقع شي من هذا ؟ يعنون بالعادة عادة الاشياء وطبيعتها ويعبر بعضهم عنها بسنة الله تعالى في الكوائن. والذين بحثوا في امكان خرق العادة لم يفرقوا بين شيء وشيء بل جعلوا الكلام في هذا الموضوع على اطلاقه ومن هنا اشتد خلافهم. والذاهبون الى وقوع الخوارق لم يذكروا في الامثلة التي أوردوها من صور هذه الخوارق الاشيئا يسيرا جدا لا يصلح ان يلتفت اليه خصومهم فضلا عن أن تكون به قناعتهم

ان لله عز وجل سننا في كل موجود ، أو نقول ان لكل موجود عادة وطبيعة ، والشمس مثلا من جملة الموجودات فهل يقول الذين يعتصمون بالخوارق يمكن أن تصير هذه الشمس برغوثا وتبقى هذه الارض على حالها ويظل الناس فيها ناسا يبصر بعضهم بعضا بغير نور ويحيون هذه الحياة عينها متمتعين بحدائق وفواكه ، ولحوم وشحوم ، ومياه جارية ، وأزهار

زاهية ، وصيف وشتاء وربيع وخريف ... الى آخره ... الى آخره ؟؟

أنا لا أعرف ماذا يقولون ولكني مع ايماني كايمانهم أو أكثر بعظيم قدرة الله تعالى يجدونني اذا قالوا في هذه المسألة « نعم » مفارقا لهم وقائلا اذا تغيرت سنة الله سبحانه في الشمس فصارت هي برغوثا تتغير سنته في ايضا فأصير أنا غير انسان وغير باحث عن الخوارق

الذكي يفهم من هذا المثال أن بحث الخوارق المدون في كتب جميع الملل لا يقف أمام نفخة من روح الله الحكيم اذا اراد عز وجل اعلان النيرة على حكمته وسننه ، ويفهم أيضا أن الدين الذي هو من أكبر هدايا العناية الازلية لا يتوقف عليها اذ لو توقف عليها وكان لا بد في ظهور وصدق المأمور بتبليغه من ظهور خارقة لما تيسر تصديق أحد لان كل واحد حينئذ يخترع فيقترح صورة من الخوارق لسنن الله ، وناظم الكون سبحانه لم يشأ الى الآن نثره على ما يهواه المقترحون

الاقتراحات لا حد لها ولا عد ولا نظام ، هذا يقترح مثلا ان تصير الشمس برغوثا ، وآخر يقترح ان يصير المشتري عصفوراً ، وآخر يقترح ان يكون المريخ (طرطوراً) وآخر يقترح ان يصير القمر قريا ، وآخر يقترح أن يكون عطارد عطاراً ، وآخر يقترح ان تكون الزهرة زهرة لا تذبل أبداً ، وآخر يقترح أن ينضب البحر كله وتظل الانهار جارية ، وآخر يقترح ان يصير البحر كله براً او البر كله بحراً والناس كلهم سمكات مؤمنات مصليات صائمات ، وآخر يقترح أن يكون التراب كله ذهبا ، وتنبت عليه اشجار التفاح والليمون والاعناب والزيتون ، وآخر يقترح ان يصير الوقت كله ليلا وتحبس الشمس في حجرة من حجرات الملوك ،

وآخر يقترح ان يصير الوقت كله نهارا ويذهب النوم الى الشجرات الدائمة اليقظة ... الى آخره ... الى آخره ...

نعم ان مبدع منظومات الكون لم يشأ الى الآن نثرها ولا نستطيع ان نقول انه ينثرها على حسب الاقتراحات لتأييد الرسل فما معنى مباحثتنا معشر البشر بانه هل يستطيع ذلك أم لا يستطيع بعد ادعائنا بعدم تحدد قدرته وبعد سماعنا وحيه يرشدنا بهذا الكلام العالي « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

بعد تقرير هذا اقول ان البشر لا يستطيعون أن يعرفوا كل سنن الله تعالى او كل عادات الاشياء وطبائعها بل لا يستطيعون ان يعرفوا جميع اسرار كائن من الكائنات وجميع طبائعه بالتمام ، ثم هم لا يعرفون ايضا مقدار عنايته عز وجل بالانسان وانه مازال يمده بصنوف الهدايات ، وأنه قد يشاء اعلان آية له لاظهار عنايته به فيريه شيئا مثلا على خلاف ما تعلمه من عادات بعض الاشياء التي لا يترتب على تخلف المعروف من عاداتها نثر المنظومات ومن امثلة ذلك ان النار شأنها الاحراق وقد تقتضي سنته تعالى لاعلاء معارف الانسان وهدايته ان يريه النار غير محرقة لسبب تتعلق القدرة باخفائه

ان مثل هذا يقع ونعده من جملة سنن الله تعالى لان من جملة سننه ابداع هذا الانسان واطلاعه على واسع القدرة ، وبديع الصنعة ، واحتجاب الحكمة ، واختصاص العناية

ومن هذا التفصيل يتبين للقارئ أنا مؤيدون للآيات لا منكرون لها . وقصارى ما نقول إن الدين لا يتوقف على الخوارق بقدر ما يقترح المقترحون ، ويظن الظانون ، ويخترع المخترعون ، وانما يؤيده الله تعالى بآيات تنشرح لها البصائر المستعدة ، ولا نقول ان هذه الآيات فيها

تحويل لسنة الله تعالى أو عادة الاشياء وطباتها اذ لا تبديل لسنته سبحانه وانما فيها معونة ربانية نعرفها بآثارها

وربما كرهنا التعبير بالخوارق الذي اصطلح عليه المدونون وان كانت المناقشة على الالفاظ بغيضة الينا وبعيدة عن رأينا . ونحب التعبير بالآيات (كما عبر القرآن الحكيم) ويالله ما اكثر الآيات على أن ماأتى به هذا المختار هو فضل رباني وأمر روحاني

لقد أنبته الله نباتا حسنا ، وشمله بالعناية منذ كان في الصبا ثم الشباب وهو غير شائن ذلك الاهاب حتى دخل الكهولة وتاق الى التكمل وفي هذه السن بدأه بتحبيب العزلة وتفريغ الفكر من الصور الفواني ليشرق فيه الجلال الذي لا يفنى ثم أعلن لروحه روحا من لدنه كما منح هذا من قبله رجالا كثيرين من المصطفين كابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومن الآيات ان هذا الوحي صالح مصالح لنا ولم نجده طلب منا أن نعبده من دون الله وانما قال لنا انا عبد الله جئتكم ببلاغ من عنده انه وحده له الحكم ، وانه وحده اليه المرجع والمآب ، ولو قال لنا انا الحكم لوجدنا مقترحين عليه ان يجعلنا خالدين ، اذن لوجدناه عاجزا

الحمد لله لقد جاءنا هذا الرسول بآيات كثيرة لا نستطيع عدها : جاءنا بالعلوم وهو امي ، وجمع كلمة الشعوب وهو وحيد ، ورفع الله له من الذكر مالم يرفع لمثله وجعل هديه باقيا ، وصوته عاليا ، وروح تأييده ساريا ، ولذا ليس اليوم بنا من تعجب حين نسمع ايمان أقرب الناس منه واعرفهم به بل نحن بخديجة وابي بكر مقتدون ، ولربنا على هذه العنايات والآيات شاكرون ، وبوحي الله لهذا المصطفى مؤمنون

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(الجمعة سلخ رجب ١٣٢٨ - ٥ اغسطس (آب) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٥ : ٤٠) وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦ : ٤١) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧ : ٤٢) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ

قرينا (٣٧ : ٤٣) وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليما

قال البقاعي في وجه اتصال الآية الاولى من هذه الآيات بما قبلها مانصه :
ولما كثرت في هذه السورة الوصايا من أولها الى هنا نتيجة التقوى (كذا) العدل والفضل والترغيب في نواله ، والترهيب من نكاله ، الى ان ختم ذلك بارشاد الزوجين الى المعاملة بالحسنى وختم الآية بما هو في الذروة من حسن الختام من صفتي العلم والخبر وكان ذلك في معنى ماختم به الآية الآمرة بالتقوى من الوصف بالرقيب ، اقتضى ذلك تكرير التذكير بالتقوى التي افتتحت السورة بالامر بها فكان التقدير حتما فاتقوه عطف عليه أو على نحو «واسألوا الله من فضله» أو على «اتقوا ربكم» الخُلُق المقصود من الخلق المبثوثين على تلك الصفة وهو العبادة الخالصة التي هي الاحسان في معاملة خالق ، وأتبعها الاحسان في معاملة الخلائق ، فقال ـ « واعبدوا الله » الخ واقول انه ابعد في العطف ، واحسن في الترتيب والوصف

الاستاذ الامام : كل ماتقدم من الاحكام كان خاصا بنظام القرابة والمصاهرة وحال البيوت التي تتكون منها الامة ، ثم انه تعالى بعد بيان تلك الاحكام الخصوصية ، أراد ان ينبهنا الى بعض الحقوق العمومية ، وهي العناية بكل من يستحق العناية وحسن المعاملة من الناس ، فبدأ ذلك بالامر بعبادته تعالى ، وعبادته ملاك حفظ الاحكام والعمل بها وهي الخضوع له تعالى وتمكين هيبته وخشيته من النفس ، والخشوع لسلطانه في السر والجهر ، فمتى كان الانسان على هذا فانه يقيم هذه الاحكام وغيرها حتى تصلح جميع أعماله ولذلك كانت النية عندنا تجعل الاعمال العادية عبادات كالزارع يزرع ليقيم أمر بيته ويعول من يمونه ويفيض من فضل كسبه على الفقراء والمساكين و يساعد على الاعمال ذات المنافع العامة فعمله بهذه النية يجعل حرثه من افضل العبادات فليست العبادة في قوله هنا ﴿ واعبدوا الله ﴾ خاصة بالتوحيد كما قال المفسر (الجلال) بل هي عامة كما قلنا تشمل التوحيد وجميع مايعده من الاعمال

﴿ ولا تشركوا به شيئا ﴾ من الاشياء أو شيئا من الاشراك (قال) اختلف تعبيرهم والمعنى واحد ، والاشراك بالله يستلزم الايمان به والنهي عنه يستلزم النهي عن التعطيل بالاولى . أقول يعني ان الشرك هو الخضوع لسلطة غيبية وراء الاسباب والسنن المعروفة في الخلق بان يرجى صاحبها ويخشى منه ماتعجز المخلوقات عن مثله ، وهذه السلطة لاتكون لغيره تعالى فلا يرجى غيره ولا يخشى سواه في أمر من الامور التي هي وراء الاسباب المقدورة للمخلوقين عادة لان هذا خاص به تعالى فمن اعتقد أن غيره يشركه فيه كان مؤمنا مشركا (١٢ : ١٠٦ وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) وأما التعطيل فهو إنكار الالوهية ألبتة أي إنكار تلك السلطة الغيبية التي هي مبدأ كل قوة وتصرف وفوق كل قوة وتصرف ، فاذا نهى تعالى ان يشرك به غيره فيما استأثر به من السلطة والقدرة والتصرف ولم يجعله من الهبات التي منحها خلقه وعرفت عن سنته فيهم فلأن ينهى عن إنكار وجوده وجحد ألوهيته يكون أولى .

(قال) والاشراك قد ذكر في القرآن بعض ضروبه عند مشركي العرب وهو عبادة الاصنام باتخاذهم أولياء وشفعاء ووسطاء عند الله تعالى يقربون المتوسل بهم اليه ويقضون الحاجات عنده كما هو المعهود من معنى الولاية والشفاعة عندهم والآيات في ذلك كثيرة (١٠ : ١٨ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الارض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) ـ (٣٩ : ٣ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

وذكر ان أهل الكتاب دخل عليهم الشرك فالنصارى عبدوا المسيح عليه السلام وبعضهم عبد أمه السيدة مريم رضي الله عنها وقال الله في الفريقين (٩ : ٣٢ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لااله الا هو ، سبحانه عما يشركون) وقد ورد في تفسيره بالحديث الصحيح المرفوع أنهم كانوا يضعون لهم أحكام الحلال والحرام فيتبعونهم فيها وسبق ذكر ذلك في التفسير غير مرة (قال) فالشرك انواع وضروب أدناها مايتبادر الى اذهان عامة المسلمين أنه العبادة لغير الله كالركوع والسجود له ، وأشدها وأقواها هو ماسماه

الله دعاء واستشفاعا وهو التوسل بهم الى الله وتوسيطهم بينهم و بينه تعالى فالقرآن ناطق بهذا وهو المشهور في كتب السير والتاريخ ، فهذا المعنى هو أشد انواع الشرك وأقوى مظاهره التي يتجلى فيها معناه أتم التجلي ، وهو الذي لا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا عبادة أخرى

ـ ثم ذكر ان هذا الشرك قد فشا في المسلمين اليوم وأورد شواهد على ذلك عن المعتقدين الغالين في البدوي «شيخ العرب» والدسوقي وغيرهما لا تحتمل التأويل، و بين أن الذين يؤولون لأمثال هؤلاء إنما يتكلفون الاعتذار لهم لزحزحتهم عن شرك جلي واضح الى شرك أقل منه جلاء ووضوحا ولكنه شرك ظاهر على كل حال وليس هو من الشرك الخفي الذي وردت الاحاديث بالاستعاذة منه الذي لا يكاد يسلم منه الا الصديقون ومنه ان يعمل المؤمن العمل الصالح من العبادة لله تعالى ويحب أن يمدح عليه أو يتلذذ بالمدح عليه (مثلا)

اقول ثم عقب الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالوصية بالوالدين فقال

﴿ و بالوالدين إحسانا ﴾ أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا تاما لا تقصروا في شيء منه يقال أحسن به وأحسن له وأحسن اليه ، وقيل اذا تعدى الاحسان بالباء يكون متضمنا لمعنى العطف . وعندي أن التعدية بالباء ابلغ لاشعارها بالصاق الاحسان بمن يوجه اليه من غير اشعار بالفرق بينه وبين المحسن ، والتعدية بالى تشعر بطرفين متباعدين يصل الاحسان من احدهما الى الآخر

والاحسان في المعاملة يعرفه كل أحد وهو يختلف باختلاف احوال الناس وطبقاتهم وإن العامي الجاهل ليدري كيف يحسن الى والديه و يرضيهما ما لا يدري العالم النحرير اذا اراد ان يحد له ذلك ، قال بعضهم إن جماع الاحسان المأمور به ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن في الكلام معهما ، وان يسعى في تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر سعته ، وانت تعلم ان من فعل ذلك وهو لا يلقاهما إلا عابسا مقطبا ، أو أدى النفقة التي يحتاجان اليها وهو يظهر الفاقة والقلة فانه لا يعد محسنا بهما ، فالتعليم الحرفي لا يحدد الاحسان المطلوب من كل أحد بل العمدة فيها اجتهاد المرء وإخلاص قلبه في تحري ذلك بقدر طاقته وحسب فهمه

لا كل الارشاد الإلهي التفصيلي في ذلك بقوله عز وجل (١٧ : ٢٣ وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه و بالوالدين احسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ٢٤ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ٢٥ ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا) فأنت ترى الرب العليم الحكيم الرحيم قد قفى هذه الوصية البليغة الدقيقة ببيان ان العبرة بما في نفس الولد من قصد البر والاحسان والاخلاص فيه وان التقصير مع هذا مرجو الغفران ، وقد فصل بعض العلماء القول في ذلك كالغزالي في الاحياء وابن حجر في الزواجر .

قال الاستاذ الامام : الخطاب لعموم الافراد اي ليحسن كل لوالديه وذلك انهما السبب الظاهر في وجود الولد ونموه بما بذلا من الجهد والطاقة في تربيته بكل رحمة واخلاص وقد بينت كتب الاحكام الظاهرة ما للوالدين من حقوق النفقة و بينت كتب الدين جميع الحقوق والمراد بكتب الدين كتب آدابه كالاحياء للغزالي ويجمع هذه الحقوق كلها آيتا سورة الاسراء ـ وذكرهما وتكلم عليهما قليلا ـ

وأقول ان هنا مسألة مهمة قلما نجد أحدا من علمائنا بينها كما ينبغي وهو ان بعض الوالدين يتعذر إرضاؤهما بما يستطيعه اولادهما من الاحسان بل يكلفون الاولاد ما لا طاقة لهم به وما أعجب حكمة الله في خلق هذا الانسان ، قلما تجد ذا سلطة لا يجور و لا يظلم في سلطته حتى الوالدين على أولادهما ، وهما اللذان آتاهما الفاطر من الرحمة الفطرية ما لم يوت سواهما ، قد تظلم الام ولدها قليلا مغلوبة لبادرة الغضب او طاعة لما يعرض من اسباب الهوى ، كأن تتزوج رجلا تحبه، وهو يكره ولدها من غيره ، وكأن يقع التغاير بينها و بين امرأة ولدها وتراه شديد الحب لامرأته يشق عليه ان يغضبها لاجل مرضاتها هي ، ففي مثل هذه الحال قلما ترضى الأم بالعدل، وتعذر ولدها في خضوعه لسلطان الحب ، و إن هو لم يقصر فيما يجب لها من البر والاحسان ، بل تأخذها عزة الوالدية ، حتى تستل من صدرها حنان الامومة ، و يطغى في نفسها سلطان استعلائها على ولدها ، ولا يرضيها الا ان يهبط من جنة سعادة الزوجية لاجلها ، وربما تلتمس له في مثل هذه الحال زوجا أخرى ينفر منها طبعه ،

وما حيلته وقد سلب منه قلبه ، كما انها تظلمه من اول الامر بمثل هذا الاختيار ، وظلم الآباء فيه أشد من ظلم الامهات ، ولا تجب طاعة الوالدين في مثل هذا ، ويأويح الولد الذي يصاب بمثلها ، ولاسيما اذا كانا جاهلين بليدين يتعذر إقناعهما ،

ولعلك اذا دققت النظر في أخبار البشر لاتجد فيها اغرب من تحكم الوالدين في تزويج الاولاد بمن يكرهون ، أو إكراههم على تطليق من يحبون ، ثبت في الهدي النبوي الشريف ان الثيب من النساء أحق بنفسها فليس لابيها ولا لغيره من أوليائها ان يعقدوا لها الا على من تختاره وترضاه لنفسها ، لانها لممارستها الرجال تعرف مصلحتها ، وان البكر على حيائها وغرارتها ، وعدم اختبارها وعلمها يعلم الاب الرحيم من مصلحتها ، يجب أن تستأذن في العقد عليها ، ويكتفى من إذنها بصماتها ، وظاهره انها اذا لم تظهر الرضى بل صرحت بعدمه لايجوز العقد عليها ، ومن قال من الفقهاء إن الأب ولي مجبر كالشافعية اشترطوا في صحة تزويجه لبنته بدون إذنها أن يكون الزوج كفؤا لها وان يكون موسرا بالمهر حالاً وان لا يكون بينها و بينه عداوة ظاهرة ولا خفية ، وان لايكون بينها و بين الولي العاقد عداوة ظاهرة . فهذا قولهم في العذراء المخدرة ، وأما الرجل فهو أحق من أبيه بتزويج نفسه إجماعا وليس لأبيه ولاية عليه في ذلك فكيف يتحكم الوالد في ولده بما لا يحكم به الشرع ولا ترضى به الفطرة ، أليس هذا من ظلم الاستعلاء الذي يوهم الرجل ان ابنه كعبده ، يجب ان لايكون له معه رأي ولا اختيار في أمره ، لا في حاضره ولا في مستقبله الذي يكون عليه بعده ، وان كان الوالد جاهلا بليدا ، والولد عالما رشيدا ، وعاقلا حكيما ؟؟ والويل كل الويل للولد اذا كان والده الجهول الظلوم غنيا ، وكان هو معوزا فقيرا ، فان والده يدلّ عليه حينئذ بسلطتين ، ويحاربه بسلاحين ، لايهولنك أيها السعيد بالابوين الرحيمين ما أذكر من ظلم بعض الوالدين الجاهلين القساة فاني اعلم من امر الناس مالا تعلم ، اني لأعرف ما لا تعرف من أخبار الامهات اللواتي تحكمن في أمر زواج بناتهن او أبنائهن تحكما كان سبب المرض القتال ، والداء العضال ، فالموت الزؤام ، ثم ندمن ندامة الكسعي ولات ساعة مندم ، ولعلك تعلم ان تحكم الآباء في ذلك اشد واضر ، وادهى وأمر ، على انه اكثر

ومن ضروب ظلم الوالدين الجاهلين للولد العاقل الرشيد منعه من استعمال مواهبه في ترقية نفسه في العلوم والاعمال ، ولا سيما اذا توقف ذلك على السفر والترحال ، والامثلة والشواهد على هذا كثيرة جدا في كل زمان ومكان ، وأول ماخطر في بالي منها عند الكتابة الآن اثنان : شاب عاشق للعلم كان أبوه يمنعه منه ليشتغل بالتجارة التي ينفر منها لتوجه استعداده الى العلم ، ففر من بلده الى قطر آخر ثم الى قطر آخر ، يركب الاهوال ، ويصارع أنواء البحار ، ويعجم عود الذل والضر ، ويذوق طعوم الجوع والفقر ، ورجل دعي الى دار خير من داره ، وقرار اشرف من قراره . ورزق أوسع من رزقه ، في عمل افضل من عمله ، وأمل في الكمال أعلى من سابق أمله ، ورجاء في ثواب الله اعظم من رجائه ، فاستشرفت له نفسه ، واطمأن به قلبه ، ولكن والدته منعته ان يجيب الدعوة ، ويقبل النعمة ، لاحبا فيه ، فانها لاتستطيع ان تماري في ان ذلك خير له ، ولكن حبا في نفسها ، وإيثارا للذتها وأنسها ، نعم ان العجوز ألفت بيتها ومن تعاشر في بلدها من الاهل والجيران ، فآثرت لذة البيئة الدنيا لنفسها ، على المنفعة العليا لولدها ، ولعله لو اختار الظعن لاختارت الاقامة ، وفضلت فراقه على صحبته ، و بعده على قربه ، ونبزته بلقب العاق ، وادعت انها لم تتعد حدود الرحمة والحنان ، ووافقها الجمهور الجاهل على ذلك لبنائه الاحكام على المسلّمات ، ومنها أن الاولاد هم الذين يؤثرون اهواءهم على بر والديهم ، وان الوالدين لايختاران لولدهما الامافيه الخير له ، وأنهما يتركان كل حظوظهما ورغائبهما لاجله ، ولا ينكر أحد ان لهذا اصلاصحيحا ولكنه ليس من القضايا الكلية الدائمة ، أما الام فذلك شأنها مع الطفل الاماتأتي به بوادر الغضب من لطمة خفيفة تسبق بها اليد من غير روية واختيار ، أودعوة ضعيفة تعد من فلتات اللسان ، ولسان حالها ينشد :

أدعو عليه وقلبي … يقول يارب لا لا

فاذا كبر وصار له رأي غير رأيها ، وهوى غير هواها — وذلك مالا بد منه — تغير شأنها معه ، وهي اشد الناس حبا له ، فلا ترجح رأيه وهواه في كل مسائل الخلاف ، بل لاتعذره ايضا في كل مايتبع فيه وجدانه ، ويرجح فيه استقلاله ، وأما الاب فهو على فضله وعنايته بأمر ولده أضعف من الام حبا ورحمة وإيثارا ، واشد استنكارا لاستقلال

ولده دونه واستكبارا ، حتى إنه ليقسو عليه ويؤذيه ويشمت به ويحرمه من ماله ويؤثر الاجانب عليه . واكثر ما يكون ذلك من الاب الغني مع ولده المحتاج اذا خالف هواه « إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وإن طغيانه يكون على حسب مايرى لنفسه من السلطة والفضل والاستعلاء حتى انه لينتحل لنفسه صفات الربوبية، ويتسلق بغروره الى ادعاء الالوهية ، وقد كنت أنكر على ابي الطيب قوله

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وأعده من المبالغة الشعرية حتى كدت بعد اطالة التأمل في أحوال الوالدين مع الاولاد وتدبر ما أحفظ من الوقائع في ذلك أجزم بأن قوله هذا صحيح مطرد . فكم رأينا من غني قد انغمس في الترف والنعيم، وأفاض من فضل ماله على المستحقين وغير المستحقين، وله من الولد من يعيش في البؤس والضنك، ولا يناله من والده لماج ولا مجاج من ذلك الرزق ، لانه لم يرض ان يكون منه كعبد الرق ،

إنما اطلت في هذا لأن الناس غافلون عنه فهم يظنون ان وصايا الدين حجة على ان للوالدين ان يعبثا باستقلال الولد ماشاء هواهما ، وانه ليس للولد أن يخالف رأي والديه ولا هواهما ، وان كان هو عالما وهما جاهلين بمصالحه وبمصالح الامة والملة، وهذا الجهل الشائع مما يزيد الآباء والامهات إغراء بالاستبداد في سياستهم للاولاد فيحسبون ان مقام الوالدية يقتضي بذاته ان يكون رأي الولد وعقله وفهمه دون رأي والديه وعقلهما وفهمهما ، كما يحسب الملوك والامراء المستبدون انهم أعلى من جميع افراد رعاياهم عقلا وفهما ورأيا او يحسب هؤلاء وأولئك انه يجب ترجيح رأيهم وان كان افينا ، على رأي اولادهم ورعاياهم وإن كان حكيما

اذا طال الامد على هذا الجهل الفاشي في أمتنا فان الامم التي تربي اولادها على الاستقلال الشخصي تستعبد من بقي من شعوبنا خارجا عن محيط سلطتها قبل ان ينقضي هذا الجيل

يجب ان نفهم ان الاحسان بالوالدين الذي امرنا به في دين الفطرة هو ان نكون في غاية الادب مع الوالدين في القول والعمل بحسب العرف حتى يكونا مغبوطين بنا وان نكفيهما امر ما يحتاجان اليه من الامور المشروعة المعروفة بحسب

استطاعتنا ، ولا يدخل في ذلك شيء من سلب حريتنا واستقلالنا في شؤوننا الشخصية والمنزلية ، ولا في اعمالنا لانفسنا ولملتنا ولدولتنا ، فاذا اراد احدهما او كلاهما الاستبداد في تصرفنا فليس من البر ولا من الاحسان شرعا ان نترك ما نرى فيه الخير العام او الخاص ، او نعمل ما نرى فيه الضرر العام او الخاص ، عملا برأيهما واتباعا لهواهما ، من سافر لطلب العلم الذي يرى أنه واجب عليه لتكميل نفسه او خدمة دينه او دولته ، أو سافر لاجل عمل نافع له او لامته ووالداه أو احدهما غير راض لانه لا يعرف قيمة ذلك العمل فانه لا يكون عاقا ولا مسيئا شرعا وعقلا ، هذا ماينبغي ان يعرفه الوالدون والاولاد : البر والاحسان ، لا يقضيان سلب الحرية والاستقلال

أرأيت لو كانت أمهات سلفنا الاماجد كأمهاتنا أكانوا فتحوا الممالك ، وفعلوا هاتيك العظائم ؟ كلا بل كانت الاسيفة الرقيقة القلب منهن كتماضر الخنساء رضي الله عنها تدفع بنيها الاربعة الى القتال في سبيل الله وترغبهم فيه بعبارات تشجع الجبان، بل تحرك الجماد ، فقد روى ابن عبد البر عن الزبير بن بكار أنها شهدت حرب القادسية ومعها أربعة بنين لها فقالت لهم من أول الليل : يابنيَّ أنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله الا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين ، من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية ، خير من الدار الفانية ، يقول الله تعالى « ياأيها آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا أصبحتم ان شاء الله سالمين ، فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على اعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطرمت لظى على سياقها ، وجللت نارا على اوراقها ، فيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة ، . فلما كان القتال في الغد كان يهجم كل واحد منهم ويقول شعرا يذكر فيه وصية العجوز ويقاتل حتى يقتل فلما بلغها خبر قتلهم كلهم قالت :

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته . ولوشئت ان أروي لك مثل خبرها عن أم عبدالله بن الزبير وغيرها لفعلت ، أفترى هذه الامة تعتبر اليوم بسيرة سلفها وهي لم تعتبر بما بين يديها ، وأمام عينيها ، وما يتلى كل يوم عليها ، من احوال الامم التي كانت دونها في العلم والقوة ، والعزة والثروة ، فأصبحت منها في موقع النجم ، تشرف عليها من سماء العظمة بالامر والنهي ، ومنشأ ذلك كله الاستقلال الشخصي في الارادة والعقل ، فان الآباء والامهات متفقون فيها على تربية أولادهم على استقلال العقل والفهم في العلم ، واستقلال الارادة في العمل ، فقرة أعينهم ان يعمل أولادهم بارادة انفسهم واختيارهم ما يعتقدون أنه هو الخير لهم ولقومهم ، وانما قرة أعين أكثر آبائنا وأمهاتنا أن ندرك بعقولهم لا بعقولنا ، ونحب ونبغض بقلوبهم لا بقلوبنا ، ونعمل أعمالنا بارادتهم لا بارادتنا ، ومعنى ذلك أن لا يكون لنا وجود مستقل في خاصة أنفسنا ، فهل تخرج هذه التربية الاستبدادية الجائرة ، أمة عزيزة عادلة ، مستقلة في أعمالها ، وفي سياستها وأحكامها ، ؟ ام البيوت هي التي تغرس فيها شجرة الاستبداد الخبيثة للملوك والامراء الظالمين ، فيجنون ثمراتها الدانية ناعمين آمنين ؟ فعليكم يا علماء الدين والادب ان تبينوا لامتكم في المدارس والمجالس ، حقوق الوالدين على الاولاد ، وحقوق الاولاد على الوالدين ، وحقوق الامة على الفريقين ، ولا تنسوا قاعدتي الحرية والاستقلال ، فهما الاساس الذي قام عليه بناء الاسلام ، (١) وان علماء الشعوب الشمالية التي سادت في هذا العصر علينا ، يعترفون بأنهم أخذوا هاتين المزيتين (استقلال الفكر والارادة) عنا ، وأقاموا بناء مدنيتهم عليهما ، ولله در القائل منا : لاعب ولدك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اجعل حبله على غاربه . وسنعود الى هذه المسألة ان شاء الله تعالى

قال تعالى ﴿ وبذي القربى ﴾ أي وأحسنوا بمعاملة ذي القربى وهم أقرب الناس الى الانسان بعد الوالدين الذين يلونهما في الحقوق . وفي سورة البقرة (٢ : ٨٢ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى) الخ

(١) بينا حكمة ظهور الاسلام المدني في العرب دون الشعوب القريبة العهد بالمدنية كالروم مثلا في مقالة (اعادة مجد الاسلام) التي نشرناها في الجزء الرابع من المجلد الثالث من المنار

فأعيد الجار هنا ، ولم يعد هناك . قال بعض المفسرين النكتة في ذلك أن الوصية بذي القربى مؤكدة في هذه الامة زيادة عن تأكيدها في بني اسرائيل لان إعادة الجار للتأكيد . وعندي انه يمكن ان تكون إعادة الجار لافادة التنويع فان الاحسان بالوالدين غير الاحسان بالاقربين اذ يجب للوالدين من الرعاية والتكريم والخضوع ما لا يجب لغيرهما . ومتى ارتقت الشرائع بارتقاء الامة حسن فيها مثل هذا التحديد والتدقيق في الحدود والواجبات لاستعداد الامة له

الاستاذ الامام : اذا قام الانسان بحقوق الله تعالى فصحت عقيدته وصلحت أعماله ، وقام بحقوق الوالدين فصلح حالهما وحاله ، تتكون بذلك وحدة البيوت الصغيرة المركبة من الوالدين والاولاد ، وبصلاح هذا البيت الصغير يحدث له قوة فاذا عاون اهله البيوت الاخرى التي تنسب الى هذا البيت بالقرابة وعاونته هي ايضا يكون لكل من البيوت المتعاونة قوة اكبر يمكنه أن يحسن بها الى المحتاجين الذين ليس لهم بيوت تكفيهم مؤنة الحاجة الى الناس الذين لا يجمعهم بهم النسب وهم الذين عطفهم على ذوي القربى بقوله ﴿ واليتامى والمساكين ﴾ فان الله تعالى يوصي باليتامى في مثل هذا المقام لان اليتيم يهمل امره بفقده الناصر القوي الغيور وهو الاب ، أو تكون تربيته ناقصة بالجهل الذي هو جناية على العقل ، أو فساد الاخلاق الذي هو جناية على النفس ، وهو بجهله وفساد اخلاقه يكون شرا على اولاد الناس يعاشرهم فيسري اليهم فساده ، وقلما تستطيع الام أن تربي الولد تربية كاملة مهما اتسعت معارفها . وكذلك المساكين لا تنتظم الهيئة الاجتماعية الا بالعناية بهم وصلاح حالهم فان اهمل أمرهم الاغنياء كانوا بلاء وويلا على الناس . وقلما ينظر الناس في المسكنة الى غير العدم وصفر الكف والمهم معرفة سبب ذلك فان من الناس من يكون سبب عدمه وعوزه ضعفه وعجزه عن الكسب ، او نزول الجوائح السماوية تذهب بماله من غير تقصير منه ، وهذا هو المسكين الحقيقي الذي تجب مواساته بالمال الذي يقع موقعا من كفايته ، ومنهم العادم الذي ماعدم المال الا بالاسراف والتبذير والحيلة والفخفخة الباطلة ، ومنهم العادم الذي ماعدم المال الا لكسله واهماله للكسب طمعا فيما في أيدي الناس واتكالا عليهم ، أو بسلوكه فيه مسلك

الغش والخيانة حتى يفضح سره ويظهر امره فيحبط عمله ، فالمساكين على ضربين : مسكين معذور يساعد بالمال بنفقة أو يساعد على تحصيله بكسبه ان كان قادرا على ذلك ، ومسكين غير معذور يرشد الى تقصيره ، ولا يساعد على اسرافه وتبذيره ، بل يدل على طرق الكسب ، فان اتعظ وقبل النصح ، والا ترك أمره الى أولي الامر ، والله بصير بالعباد ، اه بتصرف وزيادة واختصار

ثم قال تعالى: ﴿ والجار ذي القربى والجار الجنب ﴾ الجوار ضرب من ضروب القرابة فهي قرب بالنسب ، وهو قرب بالمكان والسكن ، وقد يأنس الانسان بجاره القريب ، مالا يأنس بنسيبه البعيد ، ويحتاجان الى التعاون والتناصر مالا يحتاج الانسباء الذين تنائت ديارهم . فاذا لم يحسن كل منهما بالآخر لم يكن فيهما خير لسائر الناس ، وقد اختلف المفسرون في الجار ذي القربى والجار الجنب فقال بعضهم الاول هو القريب منك بالنسب والثاني هو الاجنبي لا قرابة بينك وبينه ، وقال بعضهم الاول هو الاقرب منك دارا ، والثاني من كان ابعد مزارا ، وقيل ان ذا القربى من كان قريبا منك ولو بالدين ، والاجنبي من لا يجمعك به دين ولا نسب . وفي حديث ضعيف السند عند أبي نعيم والبزار عن جابر بن عبدالله (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام ، وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار » وثبت الامر بالاحسان في معاملة الجار غير المسلم في احاديث أخرى كأحاديث الوصايا المطلقة والوقائع المعينة كعيادته (ص) لولد جاره اليهودي في الصحيح ، وروى البخاري في الادب المفرد عن عبد الله بن عمر (رض) أنه ذبح له شاة فجعل يقول لغلامه : اهديت لجارنا اليهودي أهديت لجارنا اليهودي ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » فهذا دليل على ان ابن عمر فهم من الوصايا المطلقة في الجار أنها تشمل المسلم وغير المسلم وناهيك بفهمه وعلمه ، ومن تلك الوصايا حديث أبي شريح الخزاعي في الصحيحين مرفوعا « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره » ورواه غيرهما عن غيره ،

قال الاستاذ الامام حدد بعضهم الجوار بأربعين دارا من كل جانب من الجوانب الاربعة والحكمة في الوصية بالجار ، هي التي تعرفنا سر الوصية ومعنى الجوار ، المراد بالجار من تجاوره وتتراءى وجهك ووجهه في غدوك أو رواحك الى دارك فيجب أن تعامل من ترى وتعاشر بالحسنى فتكون في راحة معهم ويكونون في راحة معك اه فهو يرى ان امر الجوار لايحدد بالبيوت والتحديد بالدور مروي عن الحسن وحدده بعضهم بأربعين ذراعا والصواب عدم التحديد والرجوع في ذلك الى العرف ، والاقرب حقه آكد . واكرام الجار من اخلاق العرب قبل الاسلام وزاده الاسلام تأكيدا بالكتاب والسنة . ومن الاحسان بالجار الاهداء اليه ودعوته الى الطعام وتعاهده بالزيارة والعيادة

قال تعالى ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ روي عن ابن عباس (رض) فيه قولان: الرفيق في السفر ، والمنقطع اليك يرجو نفعك ورفدك . وروى عبد بن حميد عن علي كرم الله وجهه انه المرأة ، أي لانها هي التي قضت الفطرة ونظام المعيشة ان تكون بجنب بعلها واذ كان الاصل في خطاب الشرع ان يكون للرجال والنساء جميعا وان كان بضمير المذكر للتغليب جاز ان نقول ان المراد بالمرأة الزوج ورجلها مثلها فيجب على كل منهما الاحسان بالآخر ، ويحتمل ان يكون الامام عبر بلفظ الزوج المراد به الجنس فظن الراوي انه يريد المرأة لانها أحوج الى احسان بعلها منه الى احسانها فرواه بالمعنى ، وقال الاستاذ الامام هو من صاحبته وعرفته ولو وقتا قصيرا . وهذا القول أعم وأشمل من قول بعضهم انه الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه بقيد «ولو وقتا قصيرا» يشمل صاحب الحاجة الذي يمشي بجانبك يستشيرك أو يستعينك وما كان اكثر هؤلاء الاصحاب عنده رحمه الله تعالى كان لايكاد يتراءى للناس في طريق الا وتراهم يوفضون اليه من كل نصب يمشون بجانبه مستشيرين أو مستعينين

قال تعالى ﴿ وابن السبيل ﴾ المشهور في تفسيره هنا المسافر والضيف وقلنا في تفسير آية (٢: ١٧٥ ليس البر) هو المنقطع في السفر لايتصل بأهل ولا قرابة كأن

السبيل ابوه وأمه ورحمه وأهله ، وقال الاستاذ الامام هنا انه من تبناه السبيل في غير معصية، أي السائح الرحالة في غرض صحيح غير محرم، والمتبادر انه من لا يعرف الا من الطريق أو في الطريق وانما ضيقوا في تفسيره في آية مصارف الصدقات لانهم لا يرون كل من عرف في الطريق مستحقا للزكاة وأما الاحسان المطلق فالامر فيه أوسع وهو مطلوب دائما في كل شيء ومع كل احد، كل شيء بقدره ، وفي الحديث الصحيح « ان الله كتب الاحسان في كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » الخ وهو في كتاب الصيد في صحيح مسلم فيما أذكر . وانما جاءت الآية فيمن يتأكد الاحسان بهم والضيف والمسافر منهم وان لم يكونوا مستحقين للزكاة، والامر بالاحسان بابن السبيل يتضمن الترغيب في السياحة والاعانة عليها وقد اهملها المسلمون في هذه العصور الا قليلا خيره أقل . وذكرت في هامش تفسير هذه الكلمة من آية « ليس البر » في الجزء الثاني ان اللقيط يوشك ان يدخل في معنى ابن السبيل . واختار بعض اذكياء المعاصرين في رسالة له ان هذا هو المعنى المراد ، واللفظ يتسع للقيط ولا سيما في باب الاحسان ما لا يتسع لغيره ، وهو أولى وأجدر من اليتيم بما ذكرنا من الحكمة والفقه في الامر بالاحسان به ، وانما غفل جماهير المفسرين عن ذكره لندرة اللقطاء في زمن المتقدمين منهم ، ولاحظ للمتأخرين من التأليف الا النقل عنهم ، لانهم في الغالب قد حرموا على انفسهم الاستقلال في الفهم لئلا يكونوا من الاجتهاد الذي تواطؤا على القول باقفال بابه ، وانقراض أربابه ، والرضى باستبدال الجهل به ، فان غير المستقل بفهم الشيء لا يسمى عالما به كما هو بديهي وعليه اجماع علماء السلف ،

وقد كثر من هذه الازمنة اللقطاء ولولا عناية الجمعيات الدينية من الاوربيين بجمعهم وتربيتهم وتعليمهم لكان شرهم في البلاد مستطيرا ، فلله در هؤلاء الاوربيين ما اشد عنايتهم بدينهم ، ونفع الناس به بحسب اجتهادهم واستطاعتهم ، ويا الله ما أشد غفلة المسلمين وجهل جماهيرهم بأنفسهم وبغيرهم فانهم يزعمون انهم أشد من الافرنج عناية بدينهم وغيرة عليه وعملا به بل يزعمون أن الافرنج قد تركوا الدين ألبتة ، يستنبطون هذه النتيجة من بعض أحرارهم الغالين الذين يلقونهم فيسمعون منهم كلم الالحاد ، أو من السياسيين منهم الذين يزلزلون

ثقتنا بالدين لما يجهل اكثرنا من المقاصد والاغراض ، ونحن احق الناس بتربية اللقطاء ، وجميع انواع البر والاحسان ،

قال تعالى « وما ملكت أيمانكم » أي واحسنوا بما ملكت ايمانكم ، من فتيانكم وفتياتكم ، وعبر في آية البر وفي آية الصدقات (٦١:٩) بقوله « وفي الرقاب » أي تحريرها وهذا هو الاحسان الاتم الاكمل وهو من المالك يحصل بعتقهم ، ومن غيره باعانتهم على شراء انفسهم دفعة واحدة او نجوما واقساطا وهو المعبر عنه بالمكاتبة، ودون هذا إحسان المالكين المعاملة اذا استبقوهم لخدمتهم و بينت السنة ذلك قولا وعملا ومنها ان لا يكلفوا ما لا يطيقون . وروى الشيخان وابو داود والترمذي من حديث ابي ذر مرفوعا « هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبالغ ويؤكد في الوصية بهم في مرض موته فكان ذلك من آخر وصاياه ، ومنه ما رواه احمد والبيهقي من حديث انس قال كانت عامة وصية رسول الله (ص) حين حضره الموت « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل يغرغرها في صدره وما يفيض بها لسانه ، فهل بعد هذه العناية من عناية ، وهل بعد هذا التأكيد من تأكيد ؟ قال الاستاذ الامام أوصانا الله تعالى بهؤلاء الذين يعدون في عرف الناس أدنى الطبقات لئلا نظن ان استرقاقهم يجيز امتهانهم ويجعلهم كالحيوانات المسخرة ، فبين لنا ان لهم حقا في الاحسان كسائر طبقات الناس . والاحاديث في هذا الباب كثيرة

« ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » قال الاستاذ الامام هذا تعليل أو بمنزلة التعليل لكل هذه الوصايا المتقدمة ، والمختال هو المتكبر الذي يظهر على بدنه أثر من كبره في الحركات والاعمال ، فيرى نفسه أعلى من نفوس الناس ، وانه يجب على غيره أن يتحمل من تيهه ما لا يتحمله هو منه ، فالمختال من تمكنت في نفسه ملكة الكبر وظهر أثرها في عمله وشمائله فهو شر من المتكبر غير المختال ، والفخور هو المتكبر الذي يظهر اثر الكبر في قوله كما يظهر في فعل المختال فهو يذكر

مايرى انه ممتاز به على الناس تبجحا بنفسه وتعريضا باحتقار غيره . فالمختال الفخور مبغوض عند الله تعالى لانه احتقر جميع الحقوق التي وضعها عز وجل وأوجبها للناس وعمي عن نعمه تعالى عليهم وعنايته بهم بل لا يجد هذا المتكبر في نفسه معنى عظمة الله وكبريائه لانه لو وجدها لتأدب وشعر بضعفه وعجزه وصغاره فهو جاحد أو كالجاحد لصفات الالوهية التي لا تليق الا بها ولا تكون بحق الا لها . فمن فتش نفسه وحاسبها علم انه لا يعينه على القيام بعبادة الله تعالى و يطهره من نزغات الشرك به ومنازعته في صفاته و يسهل عليه القيام بوصاياه هذه و بغيرها الا سكون النفس ومعرفتها قدرها ببراءتها من خلق الكبر الخبيث الذي تظهر آثار تمكنه ورسوخه بالخيلاء والفخر . ان المختال لا يقوم بعبادة الله تعالى لان عملا ما لا يسمى عبادة الا اذا كان صادرا عن الشعور بعظمة المعبود ، وسلطانه الاعلى غير المحدود ، ومن أوتي هذا الشعور خشع قلبه ، ومن خشع قلبه خشعت جوارحه ، فلا يكون مختالا ، ان المختال لا يقوم بحقوق الوالدين ولا حقوق ذوي القربى لانه لا يشعر بما عليه من الحق لغيره ، واذا كان لا يقوم بحقوق الوالدين وفضلهما عليه ليس فوقه الا فضل الله تعالى ولا بحقوق ذوي القربى وهم بمقتضى النسب في طبقته ، فهل يرى نفسه مطالبا بحق ما لليتيم الضعيف ، أو للمسكين الاسيف ، أو للجار القريب او البعيد ، أو للصاحب النبيه أو المغمول(١) ، أو لابن السبيل المعروف أو المجهول ؟ كلا ان هذا رجل مفتون بنفسه ، مسحور في عقله وحسه ، فلا يرجى منه البر والاحسان ، وانما يتوقع منه الاساءة والكفران ، اه بتصرف وزيادة

وأقول ليس من الكبر والخيلاء ان يكون المرء وقورا في غير غلظة ، عزيز النفس مع الادب والرقة ، حسن الثياب بلا تطرس (٢) ولا ابتغاء شهرة ، روى مسلم وابو داود والترمذي من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال (ص) « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمص الناس » و بطر الحق رده استخفافا به وترفعا او عنادا ، وغمص الناس وغمطهم

(١) المغمول هو الخامل (٢) تطرس الرجل لم يطعم ولم يشرب الا طيبا والمتطرس المتأنق المختار

احتقارهم والازدراء بهم . وروى الطبراني وابن مردويه عن ثابت بن قيس بن شماس قال كنت عند رسول الله (ص) فقرأ هذه الآية فذكر الكبر وعظمه فبكى ثابت فقال له رسول الله (ص) « مايبكيك » فقال يارسول الله إني لأحب الجمال حتى انه ليعجبني ان يحسن شراك نعلي ، قال « فأنت من أهل الجنة انه ليس بالكبر ان يحسن راحلتك ورحلك ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس » وروى ابو داود من حديث ابي هريرة ان رجلا جميلا اتى النبي (ص) فقال اني أحب الجمال وقد أعطيت منه ماترى حتى ماأحب ان يفوقني احد بشراك نعل فمن الكبر ذلك ؟ قال (ص) « لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس » . ومن الخيلاء إطالة الثياب وجر الاذيال بطرا ومنه مشية المرح فترى الشاب يتمطى ويمرح ويأرن(١) كالمهر او العجل و يضرب برجليه الارض « ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » ولكن يجوز ذلك في الحرب ومثله التعليم العسكري والفخور كثير الفخر يعد مناقبه ويزكي نفسه تعاظما وتطاولا على الناس وتعريضا بنقصهم وتقصيرهم عن بلوغ مداه . والجمع بين هاتين الخلتين : اظهار العظمة والكبرياء بالعمل والقول . هو التناهي في الكبرياء والعتو على الله تعالى باحتقار خلقه والامتناع من الاحسان اليهم بالقول والعمل بدلا من الفخر والزهو عليهم بالقول والعمل ولا سيما أصحاب تلك الحقوق المؤكدة وذلك منتهى الكبر والاحاديث في ذلك كثيرة ، وكانوا يتفاخرون في الجاهلية بآبائهم فنهوا عن ذلك في الاحاديث نهيا صريحا فتركوه ، والفخر في الشعر اذا أريد به الترغيب في الفضيلة فلا بأس به والا كان مذموما

ثم انه تعالى بين حال هؤلاء المتكبرين بقوله (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله) روى ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر بسند صحيح عن ابن عباس قال كان كردم بن زيد حليف كعب بن الاشرف

(١) أرن يأرن نشط ينشط فهو أرون

واسامة بن حبيب ونافع ابن ابي نافع وبحري بن عمرو وحيي بن أخطب ورفاعة ابن زيد بن التابوت (كلهم من اليهود) يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم فيقولون لهم لاتنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون مايكون . فأنزل الله تعالى «الذين يبخلون – الى قوله – وكان الله بهم عليما » وروى ابن حميد وغيره عن قتادة انه قال في الآية هم أعداء الله تعالى أهل الكتاب بخلوا بحق الله تعالى عليهم وكتموا الاسلام ومحمدا صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل . و بناء على هاتين الروايتين جعل المفسر (الجلال) الآية كلاما مستأنفا في اليهود ،فجعل الذين يبخلون مبتدأ خبره محذوف تقديره لهم وعيد شديد ، والظاهر انه بدل من قوله تعالى «من كان مختالا »اوصفة له على القول بوقوع الموصول موصوفا وعليه الزجاج ، وقيل انه منصوب أو مرفوع على الذم ، وأقرب منه ومن قول الجلال انه خبر لمبتدإ محذوف أي هم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل. والبخل بضم فسكون و به قرأ الجمهور و بالتحريك و به قرأ حمزة والكسائي وقرئ بضمتين و بفتح وسكون وهما لغتان أيضا

الاستاذ الامام : قال المفسر يبخلون بما آتاهم الله من العلم والمال وهم اليهود. وهما قولان فمن خص البخل بالبخل بالعلم جعل الكلام في اليهود ومن قال هو البخل بالمال لم يجعله في اليهود فالمفسر جمع بين القولين وخص الكلام باليهود واضطر لاجل ذلك الى قطع الكلام وجعل « الذين » مبتدأ خبره محذوف وان لم يوجد في الكلام مايدل عليه ، ولمن يحمل الكلام على اليهود مندوحة عن هذا القطع الى أهون منه وهو القطع من ابتداء قوله تعالى « ان الله لايحب » الخ ومن العجيب أن مثل ابن جرير الطبري حمل الكلام على اليهود كأنه تعالى بعد تلك الاوامر بالاحسان ختم الكلام بقوله ان الله لايحب اليهود ، وما هذا بأقرب الى البلاغة من القطع الاول ، وأعجب من قول ابن جرير تعليله إياه بأنه لايوجد في الناس أمة تأمر الناس بالبخل على انه دين فتعين ان يكون المراد بالبخل بغير المال. وكأن ابن جرير لم يخبر الناس فان من طبيعة البخيل الامر بالبخل بحاله ومقاله ليسهل على نفسه خلقه الذميم و يجد له فيه اقرانا وأمثالا . وذكر الاستاذ ان من

الناس من أمروه بالبخل مرارا ، وان امرهم كان يؤثر في نفسه أحيانا، حتى انه ربما رد يده بالدراهم الى جيبه بعد إخراجها اذا كان للبخيل المنفر شبهة قوية كقوله ان هذا غير مستحق فاعطاؤه إضاعة واذا وضع مايراد إعطاؤه إياه في موضع كذا يكون خيرا وأولى ، وأقول إن هذا وقع لي أيضا حتى في هذا الاسبوع الذي كتب فيه وانا في القسطنطينية ، وليس لدي الآن تفسير ابن جرير فاراجع عبارته فاني أرى العجب العجاب فيما نقله عنه الاستاذ وهو مخالفته للرواية التي نقلتها آنفا عن بعض التفاسير في سبب النزول وهي مروية عنه وعن ابن اسحق وابن المنذر، والذم على الامر بالبخل لايتوقف على الامر به باسم الدين فليراجعه من شاء ،وليتذكر القارئ مانبهنا عليه من قبل في سبب النزول وهو انهم يذكرون فيه الحوادث التي اقترنت بزمن نزول الآية اذا كانت تناسبها وإن لم تكن الآية نزلت في الحادثة التي ذكروها خاصة بأن تكون نزلت في سياق هي متممة له ،ولكن الراوي رأى انها تتناول تلك الحادثة ، او ظن أنها نزلت فيها خاصة ، وقد يكون مخطئا في اجتهاده لمنافاة ذلك لاسلوب القرآن البليغ ولنعد الى سياق الاستاذ الامام في الآية قال مامثاله

المتبين في السياق ان قوله تعالى « ان الله لايحب من كان مختالا فخورا » تعليل لما قبله ، وان قوله «الذين يبخلون » الخ وصف لمن كان مختالا فخورا أو بدل منه ولم يذكر مايبخلون به فيخصه بالمال لان الاحسان بالوالدين وذي القربى وما عطف عليهم في الآية لم يكن مرادا به الاحسان بالمال فقط كما علم مما تقدم بل منه الاحسان بالقول والمعاملة ، فالمراد بالبخل البخل بذلك الاحسان المأمور به فهو أعم من البخل بالمال فيشمل البخل بلين الكلام وإلقاء السلام والنصح في التعليم و بالنفس لانقاذ المشرف على التهلكة ، وكذلك كتمان ماآتاهم الله من فضله يشمل كتمان المال وكتمان العلم ، وجيء به بعد الاول لتوبيخ أهله ، و بيان أنهم لاحق لهم فيه ، ويجوز ان يخص البخل بامساك المال ،ويجعل الكتمان عاما شاملا لما عداه من انواع الاحسان ، فالكلام في الاحسان، والمقصرون فيه إنما يقصرون بعلة الخيلاء والفخر ، اللذين هما مظهر الترفع والكبر ، فهو يبين لنا أن من كان ملوث النفس بتلك الرذيلة لايكون محسنا ،لان الكبر يستلزم جحود الحق ، ولا سيما اذا ظهرت

آثاره بالقول والعمل ، وجحود الحق يستلزم منعه ومنعه هو البخل ، فبين ان الملوثين بذلك الخلق الذي يبغض الله صاحبه ولا يحبه (وهو الكبر البين أثره) يبخلون بما أمروا به من الاحسان ويأمرون الناس بالبخل إما بلسان المقال واما بلسان الحال بأن يكونوا قدوة سيئة في ذلك ، ويكتمون نعم الله تعالى عليهم بانكارها وعدم الشكر عليها بالانفاق منها ولذلك توعدهم بقوله ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ أي وهيأنا لهم بكبرهم وكفرهم ، وبخلهم وعدم شكرهم ، عذابا ذا إهانة يجمع لهم فيه بين الالم والمهانة والذلة جزاء كبرهم وقال للكافرين ولم يقل لهم للايذان بأن هذه الاخلاق والاعمال إنما تكون من الكفور ، لامن المؤمن الشكور

﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ الرئاء ويخفف فيقال الرياء مصدر راءى كالمراءاة ، والجملة عطف على الذين يبخلون وأعيد الموصول للدلالة على المغايرة في الاصناف كقوله « والذين اذا فعلوا فاحشة » من سورة آل عمران ، أي إن مانعي الاحسان من أهل الفخر والخيلاء صنفان صنف يبخلون ويكتمون فضل الله عليهم وصنف يبذلون المال لا شكرا لله على نعمته واعترافا لعباده بحقوقهم ، بل ينفقونها رئاء الناس أي مرائين لهم يقصدون ان يروهم فيعظموا قدرهم ، ويحمدوا فعلهم ، فالمرائي لايقصد بانفاقه الا الفخر على الناس بكبريائه ، وإشراع الطريق لخيلائه ، فانفاقه اثر تلك الملكة الرديئة . والكبرياء كما تكون من شيء في نفس الشخص ، تكون ايضا بما يكون له من المال والعرض . فانك لترى الرجل يمشي ينظر الى عطفيه ويفكر في نفسه هل هو محل الاعجاب والتعظيم من الناس أم لا (والمرجح عنده نعم على لا) وشر هذا دون شر البخيل فان هذا يحمل الناس على قبول اختياله وفخره في مقابلة شيء يبذله لهم فكأنه رأى لهم شيئا من الحق عليه وهو بدل التعظيم والثناء الذي يطلبه برئائه ، واما البخيل فقد بلغ من احتقاره للناس واختياله وفخره عليهم أن لا يرى لهم عليه حقا ما فهو يكلفهم تعظيمه ، ومدحه لاجل ماله – وماله في الصندوق مكتوم عنهم – فهو شر من المرائي بلا شك ، ولذلك قدم ذكر البخلاء اهتماما بهم لانهم أعرق في تلك الرذيلة وآثارها . والمرائي في الحقيقة بخيل لايرى لاحد عليه حقا

ولكنه يتوهم انه صاحب الفضل على الناس ولذلك يخص بذله في الغالب من لاحق لهم عنده ويبخل على أرباب الحقوق المؤكدة حتى على زوجه وولده وخادمه ، وعلى الاقربين حتى الوالدين ، ولا يتحرى في انفاقه مواضع النفع العام ولا الخاص وانما يتحرى مواطن التعظيم والمدح وان كان الانفاق هنالك ضارا كالمساعدة على الفسق او الفتن ، فهو تاجر يشتري تعظيم الناس له وتسخيرهم لقضاء حاجه والقيام بخدمته

أقول إن مابينه الاستاذ الامام هنا هو الرياء الحقيقي الممقوت عند الله وعند خيار عباده ويقول علماء الاخلاق الدينية ان للرياء أنواعا ومراتب وان منها أن يبذل المال لمستحقه امتثالا لامر الله تعالى وقياما بالحق وإيثارا للخير وقد يخفيه ولكنه يحب أن يحمد على ذلك اذا عرف ، ويعدون الرياء من الشرك الخفي ويقولون ان منه ماهو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، كهذا المثال الذي ذكرناه ، وانما هذا من قبيل مايحاسب عليه انفسهم الصديقون ، ويقال في مثله حسنات الابرار سيئات المقربين ، والحق ان من جاء بالاحسان لانه إحسان مرضي عند الله نافع للناس ، فلا يضيره حبه ان يحمد بما فعل ، وان كان عدم المبالاة بذلك لذاته اكمل ، وقد بينت ذلك بالتفصيل في تفسير (٣ : ١٨٨ لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية فراجعه في ص ٢٢٥–٢٨٨ من الجزء الرابع من التفسير ، أو في المنار

الاستاذ الامام : ثم وصف الله تعالى هؤلاء المجرمين المرائين بقوله ﴿ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ وهو من عطف السبب على المسبب والعلة على المعلول ، ذلك بأن المرائي يثق بما عند الناس مالا يثق بما عند الله ، ويرجح التقرب اليهم على التقرب اليه ، ويؤثر ماعندهم من المدح وتوقع النفع ، على ماأعده الله في الآخرة على الايمان وعمل الصالحات فالله في نظره المظلم أهون من الناس ، فهل يعد مثل هذا مؤمنا بالله ايمانا حقيقيا مؤمنا باليوم الآخر كما يجب ؟ أم يكون إيمانه تخيلا كتخيل الشعراء ، وقولا كقول الصبيان : والله مافعلت كذا . فالواحد منهم ينطق باسم الله ويؤكد باسمه الكريم الكلام وهو لايعرف الله وانما يسمع الناس يقولون قولا فيقلدهم بما

يحفظ منه ، لايعرف انه هو موجد الكائنات ، النافذ علمه وقدرته بما في الارض والسموات ، فهل يكون مثل هذا مؤمنا بالله واليوم الآخر ؟ كلا انه لو كان مؤمنا باليوم الآخر موقنا بأن له هنالك حياة أبدية لانهاية لها ، لما فضل عليها عرض هذه الحياة القصيرة التي لاقيمة لها

ومن آيات الفرق بين المخلص والمرائي ان المرائي يلتمس الفرص والمناسبات للفخر والتبجح بما أعطى وما فعل والمخلص قلما يتذكر عمله أو يذكره الا لمصلحة كأن يرغب بعض الناس في البذل فيقول للغني مثلا اني على فقري أو على قدر حالي قد أعطيت في مصلحة كذا كذا درهما أو دينارا فالاليق بك ان تبذل كذا

وأقول ان من شأن الكافر الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ان لايبذل مالا ولا يعمل عملا صالحا الا بقصد الرياء والسمعة لانه ليس له وراء حظوظ هذه الدنيا أمل ولا مطلب والمؤمن ليس كذلك فان وقع منه الرياء فانما يقع من ضعيف الايمان قليلا ولا يكون كل عمل المؤمن كذلك بل يكون ذلك إلماما يندم عليه صاحبه ويسرع الى التوبة ، والا كان كافرا مجاهرا ، اومنافقا مخادعا ، وسيأتي شيء من تحقيق هذا البحث في تفسير قوله تعالى في هذه السورة (١٤١ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا)

قال تعالى ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ أي ان الحامل لأولئك المتكبرين على ماذكر هو وسوسة الشيطان التي عبر عنها في آية البقرة بقوله (٢: ٢٦٨ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء)فبين ان هؤلاء قرناء الشيطان وهو بئس القرين فعلم ان حالهم في الشر كحال الشيطان ، ولم يصرح بالمقصد بل اكتفى بذم من كان الشيطان قرينا له وهذا من الايجاز الذي لايجده الانسان في غير القرآن ، قال الاستاذ الامام . أقول وفي الآية تنبيه الى تأثير قرناء المرء في سيرته ومايبغي من اختيار القرين الصالح على قرين السوء ، وتعريض بتنفير أولئك الانصار من مقارنة أولئك اليهود الذين كانوا ينهونهم عن الانفاق في سبيل الله و بيان انهم شياطين

يعدون الفقر و ينهون عن المعروف و يأمرون بالمنكر ، والقرين الصالح من يكون عونا لك على الخير مرغبا لك فيه ، منفرا لك بنصحه وسيرته عن الشر مبعدا لك عنه ، مذكرا لك بتقصيرك ، مبصرا إياك بعيوب نفسك ، وكم اصلح القرين الصالح فاسدا ، وكم افسد قرين السوء صالحا ،

﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ قال الاستاذ الامام مامثاله مع زيادة وايضاح : أي ما الذي كان يصيبهم من الضرر لو آمنوا وأنفقوا ، وهذا الكلام موجه الى جميع المكلفين المخاطبين بالقرآن . وكان اكثر العرب يؤمنون قبل البعثة بالله تعالى وكونه هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما ومنهم من كان يؤمن بحياة أخرى بعد الموت وكانوا مع ذلك مشركين وإيمانهم على غير الوجه الصحيح ، وكذلك اهل الكتاب كانوا يؤمنون بالله و باليوم الآخر ولكن الشرك كان قد تغلغل فيهم أيضا ، فالمراد الايمان الصحيح مع الاذعان الذي يظهر أثره في العمل ، و « لو » على معناها وجوابها محذوف دل عليه ما قبله من الاستفهام والكلام مسوق مساق التعجب من حالهم في انفاق المال وعمل الاحسان لوجه الله عز وجل وابتغاء رضوانه وثوابه في الآخرة ، والمراد من التعجب اثارة عجب الناس من حالهم اذ لو أخلصوا لما فاتهم منفعة الدنيا ، ولفازوا مع ذلك بسعادة العقبى ، وكثيرا ما يفوت المرائي غرضه من التقرب الى الناس وامتلاك قلوبهم وتسخيرهم لخدمته أو الثناء عليه ويفوز المخلص الذي يخفي العمل بذلك من حيث لا يطلبه ولا يحتسبه ، ففي هذه الحالة يكون للمخلص سعادة الدارين ، ويرجع المرائي بخفي حنين ، بل يكون قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، فجهل المرائين جدير بأن يتعجب منه لانه جهل بالله وجهل بأحوال الناس ، ولو آمنوا وأخلصوا وأحسنوا ووثقوا بوعد الله ووعيده لكان هذا الايمان كنز سعادة لهم ، فان من يحسن موقنا ان المال والجاه من فضل الله على العبد وانه ينبغي أن يتقرب بهما اليه تعلو همته فتهون عليه المصاعب والنوائب ، ويكون هذا الايمان الصحيح عوضا له من كل فائت ، وسلوى في كل مصاب ،

وفاقد الايمان الحقيقي عرضة للغم واليأس من كل خير عند ما يرى خيبة أمله وكذب ظنه في الناس فاذا وقع في مصاب عظيم كفقد المال ولا سيما اذا ذهب كل ماله وأمسى فقيرا ولم ينقذه الناس ولا بالوا به فان الغم والقهر ربما أماتاه جزعا لاصبرا، وربما بخع نفسه وانتحر بيده، ولذلك يكثر الانتحار من فاقدي الايمان . وأما المؤمن فان أقل ما يؤتاه في المصائب هو الصبر والسلوى فيكون وقع المصيبة على نفسه أخف، وثواء الحزن في قلبه أقل، وا كثره أن تكون المصيبة في حقه رحمة، وتتحول النقمة فيها نعمة، بما يستفيد فيها من الاختبار والتمحيص، وكمال العبرة والتهذيب، (أقول وقد بينا هذا في تفسير آيات من سورة آل عمران ولا سيما قوله تعالى ٣: ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن الى الآية ١٤١ فتراجع من ص ١٣٧ - ١٥٢ من جزء التفسير الرابع مع ما في معناها . وقال بعضهم في تفسير « واسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة » ان النعم الباطنة هي المصائب التي يستفيد منها المؤمن زيادة الايمان والاعتبار) على ان المؤمنين المحسنين المخلصين يكونون أبعد عن النوائب والمصائب من غيرهم ، وقد يبتلي الله المؤمن ويمتحن صبره فيعطيه إيمانه من الرجاء بالله تعالى ما تخالط حلاوته مرارة المصيبة حتى تغلبها أحيانا ، وان من الناس من يعظم رجاؤه بالله وصبره على حكمه ورضاه بقضائه واعتقاده انه ما ابتلاه الا ليربيه و يعظم أجره حتى انه ليأنس بالمصيبة ويتلذذ بها وهذا قليل نادر ولكنه واقع

﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ اتى بهذه الجملة بعد ما تقدم لتنبيه المؤمن على الا كتفاء بعلم الله تعالى بانفاقه وعدم مبالاته بعلم الناس ، فهو الذي لا ينسى عمل عامل ولا يظلمه من أجره عليه شيئا وهو الذي يسخر القلوب لمن شاء قال الاستاذ الامام لو لم ينزل في معاملة الناس بعضهم لبعض الا هذه الآيات « واعبدوا الله - الى قوله - عليما » لكانت كافية لهداية من له قلب يشعر وعقل يفكر، ثم اخذ يبين تقصير المنتسبين الى الاسلام في اتباع هذه الاوامر وذكر من حال الناس في معاملة الوالدين والاقربين والجيران واليتامى والمساكين ما يتبرأ منه الاسلام ، وكل ما ذكره مشاهد معروف واين المعتبرون المتعظون

باب العقائد

بحث التحسين والتقبيح (*)

احتجت المعتزلة بوجوه (الاول) ان استحقاق المدح على العدل والاحسان والذم على الظلم والعدوان ضروري والمنازع مباهت ولا يرتاب منصف آثر الحق على الخلق في صحة هذه الحجة وأما تسليم الخصم لها [1] ثم يقولون هو ليس محل النزاع انما محل النزاع بمعنى استحقاق المدح عاجلا والثواب آجلا الى آخره وقد عرفت غلطهم على المعتزلة وانهم انما يقولون الثواب والعقاب من لوازم التكليف الذي هو أخص من الحسن والقبح وأعجب منه ذكرهم العاجل والآجل كما مضى ومن نازعنا في هذه التخطئة فهذه كتب المعتزلة والحمد لله فليأتنا بشيء من كتب أبي الحسين وغيره من المعتزلة أعني كتبهم المعتمدة لا ممن أخذ النقل عن المعتزلة من كتب الاشاعرة وان كان من أتباعهم كصاحب

(١) ينظر أين جواب أما ؟ لعله سقط من الناسخ شيء هو الجواب وفيه ما يصلح لعطف « ثم يقولون » عليه . كأن يكون هكذا : وأما تسليم الخصم لها فلعل المنصفين يلتزمونه ثم يقولون هو ليس محل النزاع الخ ويمكن تصحيح الكلام بتقديرات أخرى فتأمل اهـ مصححه

(*) تابع لما نشر في ص (٤٢٥ م ١٣)

الفصول بل كتبهم مشحونة بالتفصيل الذي اسلفناه وهو شاهد صدق على خطا هذا النقل . فان ابيت الاحتجاج (١) بما حكاه الدامغاني عن بعض الامامية وقد نوظر فانقطع ثم قال: الحجة إجماعنا ايتها العصابة الامامية . وانت فتقول الطريق الى رد ما قلت اتفاق هذه الجماعة من الاشاعرة أهل التحقيق قلنا نزاعنا ليس في التحقيق انما في صحة الرواية وهي تنبني على التحري وعدم المجازفة ولهذا ترى ابن الصلاح والنواوي وابن حجر العسقلاني وغيره ممن غلب عليهم علم الحديث لا يكادون يقيمون لهؤلاء المشار اليهم بالتحقيق هنا ميزانا لما كان صناعة أولئك عمدتها الرواية ثم ان الطريق الذي عرفنا به كون الاشاعرة ناقلين عن المعتزلة هو الطريق الذي عرفنا به كون المعتزلة قائلين بالمقالة فما ترى لو حضرك اشعري ومعتزلي وقال المعتزلي هذه مقالتي وقال له الاشعري بل مقالتك هذه على ابهما كنت تعتمد وارجع الى الحمصية وحكاية قراقوش لعمرو

أما من دفع هذه الضرورة وقال لانعرف بين تعذيب زيد بانواع العذاب ، والتلعب به باشنع مايستهجنه أولو الالباب، وبين اكرامه بانواع النعم ومرافق الارتفاق ، بل بين سب الله تعالى بعد معرفته بصفات الكمال وجلائل النعم ، وبين حمده وشكره على ذلك الجود والكرم ، وقال انما الفرق بين هذه الاشياء ونحوها بميل الطبع ومرون الانسان عليها للتعارف عليها أو للتأديبات الشرعية او غير ذلك . فالجواب عن هذا أنا نفرق بين

(١) لعل الصواب إلا الاحتجاج اه مصححه

تلك الامور التي ذكرتم وبين كون الفعل يترتب عليه حسن المدح والذم فأنتم قد سلمتم لنا هذا الفرق وسميتم ماسميناه تحسينا وتقبيحا كمالا ونقصا وأما انكاركم بعد هذا الاقرار وقضاؤكم بان المدح والذم لا ينشئان عن فعل البتة وانما يمدح على الشيء ويذم لان الشارع أمرنا بذلك وما بين ذلك الفعل والمدح الذي رتبه عليه الشارع بالنظر الى ذاتيهما الا ما بين الضب والنون ولم يكن أمره أيضا المرجح بل بمحض الاختيار . ولو عكس وأمر بالعكوف على سبه وكفران نعمته وعبادة الشيطان وأوجب الكفر وحرم الايمان وقال أنا أحق باللعن والشيطان بالعبادة. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لكان ذلك عندكم كنقيضه لا فرق بينهما فلعمري ما أنتم أحقاء بعد ذلك بالمناظرة ولا بمن يرتجى منه الانصاف ولا جئتم باقرب مما جاء به السوفسطائية ولا أدلتهم بامتن مما أدلوا به ومانقول لمن أقر على نفسه بذلك الا قد قلب فؤادك وبصرك كما لم تؤمن بالحق أول مرة، ولم تبال اين يقع قدمك في نظرك أول خطوة، ولو سرنا معه على نمط الجدل لقلنا له قد ادعينا نحن واكثر الفرق كما عرفت انا ادركنا هذا المعنى المتنازع فيه بضرورة عقولنا وفرقنا بينه وبين تلك الامور التي لم يبلغ فهمك الى غيرها فنحن نصادقك على اعترافك على نفسك بالجهل بهذا الامر الذي هو الهدى كل الهدى فمن أين سنح لك الحكم علينا بعدم العلم بما ادعينا العلم به ضرورة حتى زعمت انا ظننا احد تلك الامور التي ذكرت أمرا خارجا عنها وحكمك انما هو جهل مركب فانك في الحقيقة قد شككت في صحة عقولنا لما ادعينا العلم بما جهلت

وهبني قلت هذا الصبح ليل أيعمى المبصرون عن الضياء

***

﴿ الحجة الثانية ﴾

اذا لم يقبح من الله شيء جاز كذبه الصادق وتصديقه الكاذب فلا يعلم صدق نبي قط ولا يوثق بخبر من أخباره تعالى . واعترضها ابن الحاجب وقرره العضد ولنعتمد تقريره ليقوم مقام ما هو في معناه من ألفاظ غيره ولفظه «لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله تعالى امتناعا عقليا وان كنا نجزم بعدمه عادة لانهما من الممكنات وقدرته شاملة ولو سلم امتناعه فلانسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم انتفاءه لجواز أن يمتنع لمدرك آخر أولا يلزم من انتفاء دليل معين انتفاء العلم بالمدلول» والجواب (قوله) لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله امتناعا عقليا (قلنا) انما يلزمكم سد باب النبوة وعدم الوثوق بالشرائع مع عدم التسليم (قوله) وان كنا نجزم بعدمه عادة (قلنا) أتريد أن التجربة أفادتك ان المعجزة لاتظهر الاعلى صادق وان الله تعالى لايخبر الا بالصدق والسؤال وارد على نبوة كل نبي وعلى كل خبر من جهته تعالى ومن قد سلم لك امكان فرد على أصلك الفاسد؟! أم تريد أنه عند المعجزة وعند سماعنا بخبر من أخباره تعالى يخلق الله لنا علما ابتدائيا اجرى عادته بذلك؟!! وحاصله ان العلم الحاصل لمن عرف المعجزة حاصل عندها لا بها فهذا قول بان المعجزة في نفسها لادلالة لها على نبوة النبي والذي علمناه من نفوسنا أن

هذا العلم الضروري لم يحصل لنا انما عرفنا وجه الاعجاز وانه من فعل الله تعالى فقلنا هذا صدّقه الله تعالى ومن صدّقه الله تعالى فهو صادق كسائر الاستدلالات ولو اختلت احدى مقدمتي الدليل لبطل (فان قلت) نحن ننظر في المعجزة فيحصل العلم بخلق الله تعالى لغيرها من الادلة (قلنا) انما يكون حصول العلم بعد صحة كل من المقدمتين وههنا الكبرى غير صحيحة فان من صدقه الله فهو صادق لادليل على صحتها على أصلكم وهي وقولنا ومن صدقه الله فهو كاذب سواء . ويقال لهذا القائل متى تزعم ان الله يخلق هذا العلم الضروري؟ أبعد معرفة وجه دلالة المعجزة فهو لايتم حتى تعرف أن من صدقه الله تعالى فهو صادق ؟ أم تزعم أنه من رآها اوسمعها حصل له هذا العلم ؟ فهذا معلوم كذبه ضرورة (ان قلت) خلقُ الله علما بصدق نبيه ممكن فمن أين لك القطع بعدمه (قلنا) كم ممكن نحن قاطعون بعدمه لاعن دليل كقطعنا بانه ليس في حضرتنا رجل له ألف رأس وقطع احدنا بانه لايثبت جثمانه في الملإ الاعلى بان الله يقدر على قطع ما بيننا ؟ وان الجبل الذي رأيناه في اللحظة الاولى لم يتحول بعد خطيبا وغير ذلك من العلوم العادية حقا فهذا العلم الذي تدعونه نرده بالعلم الابتدائي

ولقد تجاسر من ادعى هذا العلم على أهل السموات والارض ولو قال احد قولا لايحتمل الصدق والكذب وقال للمخاطبين : معكم علم قد خلقه الله لكم بصدق قولي لكان تكذيبه من أهون شيء مع استواء الامرين في الامكان فكيف بهذا الذي يدفعه كل عاقل . فان ادعيتم أن هذا العلم الضروري بصدق المعجزة وصدق الله تعالى لاعن دليل حاصل لنا بعد سماع لفظ الخبر ورؤية المعجزة أو سماعها من دون نظر وادعوا انا كذبكم مخالفة للضرورة

كان للسوفسطائية أن يردوا تكذيبنا لهم بذلك حين ادعوا أن لاعلم عندهم ألبتة في أي شيء، فقلنا: هم بعد ادراكهم لماهية العلم وادراكهم لاتصافهم به منكرون للضرورة ، فلهم على هذا أن يقولوا تكذيبكم لنا كذب الا انهم يدعون على الناس عدم العلم وانتم تدعون عليهم العلم فادعوا ما هو الاصل فكان دعواهم أقرب من دعواكم وكنتم اكثر منهم لجاجا، واقبح اعوجاجا، وادركتم ما كان فاتهم لانهم لا يمكنهم دعوى العلم الضروري لئلا يثبتوا العلم، فانقطعوا وانتم أثبتموه ثم صرتم تدعونه على من خالفكم فيما اعياكم فكنتم كمن قال ، فادركتم ما تمني واحال

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى — بي الحال حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت ادركت بعده — دقائق فكر ليس يدركها بعدي

(قوله) لانهما من الممكنات وقدرته شاملة (قلنا) مسلم والذي قصد خصمك وهو عدم وثوقك بالنبوة وصدق خبر الشارع مبني على ذلك (قوله) ولو سلم امتناعه فلا نسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم انتفاءه بجواز ان يمتنع لمدرك آخر اذ لا يلزم من انتفاء دليل معين انتفاء العلم بالمدلول (قلنا) أما خصمك فقد كفاه هذا الدليل المبين وأما أنت فقد فاتك هذا الدليل على أصلك الفاسد فقال خصمك جوّز على الله تعالى الكذب وتصديق الكاذب ولم يقل فاقطع على تصديق الله تعالى الكاذب وعلى كذبه سبحانه في اخباره فجوابك بجواز دليل يدل على امتناع ذلك في حقه تعالى لا ينافي ما ألزمك من عدم الوثوق بالشريعة والذي يدفع الالزام هو وجود دليل لا جوازه

واعلم أن الدليل الذي يذكرونه هنا هو العادة وقد عرفت سقوطه

وقد يقول بعضهم هو صادق لذاته لانه متكلم لذاته وجوابه بعد تسليم الكلام القديم وتنوعه لئلا ينتشر البحث أنه لا فرق عندكم بين الصدق والكذب بالنظر الى البارئ تعالى فلعله كاذب لذاته ويلزمكم أن تتعلق قدرته بالكذب بمعنى انه يقدر على أن يخبر بالشيء لا على ما هو به لان ما بالذات لا يتناقض كما انه لما كان قادرا لذاته أي قدرة واجبة لا يحتاج في ثبوتها الى غير ثبوت الذات لم يكن من الممكن أن يعجز . لا يقال قد علم من ضرورة دين الانبياء صلوات الله عليهم وصفه بأنه صادق أبدا لانا نقول صدقهم لا يمكن الجزم به مع بقاء هذا الاشكال فليتأمل هذا البحث فلم يجد المحققون فيه الا المغالطة والتلبيس انظر هذا المحقق الذي صار المحقق كالعلم له كيف ألزم انه يجوز كذب الشرائع فقال يجوز أن يكون هناك دليل يدل على الصدق ، وهل لغير هذا المضيق بعد الدليل؟. ياهذا لا مخبأ بعد بوس ، ولا عطر بعد عروس ، ثم نقول هب ان هناك مدركاً هو مستندكم لكن هذه كتبكم قد طبقت البسيطة وقد بالغنا في التتبع لها فما وجدناكم ذكرتم شيئا الا هذه الاعذار الباردة ، والمغالطات التي لا طمع في الاعتماد عليها والمساعدة ، وماهذه حال من تصدى لنصيحة الامة، وزعم أنه كفاها مهمّ الملاحدة وكشف الغمة ، متى يدرك هذا المدرك الناظرون ، ويهتدي به الحائرون ، فانا قد شارفنا تمام الف عام والف شهر من موت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كأنكم أودعتم ذلك المدرك امام الامامية فلا يظهر الا بظهوره، واستعملتم في تبيينه رموز الباطنية التي لا يبدونها الا لمن يثقون بغروره

وأعجب من هذا جواب الامام الرازي فانه قال في النهاية ما معناه

صدق النبي متوقف على مقدمتين (احداهما) ان المعجزة نازلة منزلة قول الله له صدقت (والثانية) أن من صدقه الله فهو صادق ، فنحن وان كنا لا يمكننا القطع بالثانية الا مع القول بالتحسين والتقبيح العقليين لكن المعتزلة قطعوا بصحة الاولى مع انها خبر يحتمل الصدق والكذب ولم يضرهم ذلك فلم يضرنا القطع بالثانية مع الاحتمال انتهى ولم يحضرني الكتاب المذكور حتى انقل صورة لفظه فان تيسر لي ذلك ألحقته والا فعلى الناظر استيعاب ذلك فان هذا الفصل محل ريبة اولا يقول هذا القول مسلم كيف من هو من اعلام المسلمين اذ هو كالصريح ان المتشرعة على غير يقين من صحة الشرائع سبحان الله العظيم . وما اظهر ركة قوله : ان الاولى خبر يحتمل الصدق والكذب وما صدور مثل هذا القول عن مثله ينبغي أن يحمل ألبتة على ظاهره لوضوح قلة الانصاف فيه ثم وان ظهور بطلانه يغنينا عن التصدي لجوابه اذ هذا البحث انما يخاطب به المنتهي المحيط بتحقيق مذهب الفريقين المتحلي بالانصاف اذا وجد وقد سلك هذه الطريقة الجويني في الارشاد وحيث أورد على نفسه انه لا معنى للمطالبة الشرعية مع القول باستحالة أثر القدرة الحادثة لانه اختار في الكتاب المذكور انها مثل العلم سواء فاجاب بان المعتزلة يلزمهم على أصولهم كذا وكذا وعدد الزامات ولم يتعرض للحل اصلا وهو دأبه في المضايق في الكتاب المذكور فيقال له هب انه لزم المعتزلة ماذكرت فماذا يغني عن طالب الحق ان يعترف انك على باطل و تلطخ صاحبك بباطل آخر فانما غرضي معرفة الحق وكشف عوراتكم لا يقضي وطري

***

﴿ الحجة الثالثة ﴾

لزوم إفحام الانبياء فيقول المرسل اليه للرسول يجب علي طاعتك أم لا فان كانت لا تجب استرحت وان كانت واجبة فبالعقل أم بالشرع؟ فعلى مذهبهم لا بد أن يقول بالشرع فيقول لا يلزمني اجابتك حتى يثبت الشرع عندي ولم يثبت بعد لعدم معرفتي صدقك ومجرد الدعوى لا يكفي فكم ادّعى هذا الشأن كاذب وأنا لا ألزم نفسي تعرّف الشرع حتى يجب عليّ التعرف فقد تمانع الامران وأجابوا عن هذه الحجة أولا بالمعارضة للمعتزلة بأن وجوب النظر عندهم نظري فنقول لا انظر في صحة دعواك حتى يدرك عقلي وجوب النظر وليس ببديهي فلا يدركه حتى انظر (والجواب) إنا نقطع أن من عرض له حيرة في شيء يخشى من اغفاله ضررا فانه يناله هم وغم يضرّ به فان أزال ذلك يتبين حقيقة الامر بالنظر أو بالاخذ بالاحوط حيث يتهيأ في بعض الصور وان كان الاخذ بالاحوط من نتائج النظر الا أنه ربما أمكن بأدنى تأمل فان المعقول تقبل لومه وذمه لتركه ازالة ذلك الضرر وهو خاصية القبح كما مضى فكيف من خوّفه الرسول بخزي الدنيا والآخرة وعذابهما وفوت كل نفع وادراك كل ضرر لا يجد من نفسه مزعجا للنظر بحيث يذم على إغفاله هذا سيما فى هذه الصورة مكابرة ظاهرة فالنظر واجب يدرك وجوبه بادنى التفات بحيث يعد من الاوليات ويلحق بها وقد ضرب له الغزالي مثلا فى بحث النظر نفسه

فقال ما معناه لو قيل لانسان : الاسد خلفك مقبل عليك وهو آخذك ان لم تجد الهرب فاذا قال لا حامل لي على الهرب الا العلم بصدق خبرك وانا لا اعلمه حتى ألتفت ولا ألزم نفسي الالتفات حتى يتحتم عليّ الالتفاف قال فان هذا معدود من الحمقى لا من العقلاء فعده اياه من الحمق واخراجه عن زمرة العقلاء من دون تحاش يدل على ان هذه قضية يعلمها كل عاقل بضرورة عقله وهو معنى الذم الذي قلنا هو خاصية القبح ومقابل القبح الواجب وهذا منه قول بالوجوب والقبح العقليين وتجنب عبارة الخصم أمر سهل لا يقع النزاع فيه بين المحصلين فقد وضح الفرق بين الامرين وان هذا الاشكال غير وارد على المعتزلة

واجابوا ثانياً بالحل وحاصله ان وقوع النظر لا يتوقف على وجوبه وقالوا أيضا وجوبه لا يتوقف على وقوعه أما الاول فلإمكان وقوع النظر ممن يجب عليه، وأما الثاني فلان النظر واجب بالشرع نظر أولم ينظر وهذا الجواب من المغالطة بمكان ومن ترويجات العضد تخييله الفرق باعتراض الوجه الاول وترك الثاني وهما من واد ، والجواب عن الأول ان امكان معرفة صدق النبي لا يوجب اتباعه بل الموجب معرفة صدقه بالفعل وقد فرضنا امتناع المرسل اليه عن تعرف ما لا يجب عليه تعرفه ولو قال النبي كما قلتم يمكنك معرفة صدقي قبل العلم بوجوب المعرفة لكان من جوابه نعم ولكن ليس لك إلزامي بنفس الامكان اذ الممكنات كثيرة هذه أحدها فان ادعيت لهذه الحادثة خصوصية يبلغ بها الوجوب فهو اول المسئلة ولا جواب للرسول حينئذ وبهذا اعترضه العضد وغيره والجواب عن الثاني ان هذا من تكليف الغافل الذي اتفقنا على امتناعه ودعوى الفرق بينهما بان

هذا يمكنه النظر وذاك لا يمكنه لا يكفي لأنّا الآن فرغنا من بيان انه لم يقم حجة على الممتنع في النظر فهو معذور عن النظر واذا عذر لعدم الحجة فلا عقاب على ما المرء معذور عنه فلا يتحقق في حقه الوجوب الشرعي الذي ادعيتم إذ لا يجتمع بوجوب الفعل والعذر عنه لأن المعذور لا يذم وتارك الواجب يذم والفرق المدعى خارج عن الجامع ومجرد ترويج ان يجمعهما عدم قيام الحجة والامكان في حق هذا دون ذلك لا يتم فارقا لخروجه عن محل النزاع ومثله الفرق بين التكليف بالمحال لنفسه والمحال لغيره كالتكليف بالجمع بين النقيضين وتحمل الواحد منا جبل أحُد الى مكة مثلا .

ولا يلتبس عليك هذا بالتكليف بإيجاد ماعلم عدم وجوده فانه لا احالة فيه ألبتة فانه لو اخبر الصادق انك لا تقوم من مقعدك ريثما تتلو الفاتحة فانك تعلم تمكنك من القيام والبقاء على السواء كما كنت قبل خبره لكن خبر الصادق دل على وقوع أحد الجائزين فانه لا بد للجائز من أحدهما ولا دخل للعلم في تأثير احالة ولا امكان وكيف يؤثر التابع في المتبوع فليتأمل جدا . ومحل هذه مسألة الافعال فان ذكر والا فقد كفاك هذا أيها المدرك فليتأمل هذا طالب النجاة ، وليتخبط بتعامي التعصب من اتخذ الهه هواه ، أما قولهم في هذا المقام الوجوب عندنا ثابت بالشرع نظر أولم ينظر فمصادرة فان ذلك نتيجة البحث فكيف يجعل بعض مقدماته !

وحاصله انا نقول لو كان الوجوب بالشرع دون ان يدركه العقل لزم إفحام الانبياء فلا يقوم لهم حجة لانسداد طريق الشرع بعدم النظر

ولا يمكن إلزام النظر قبل ثبوت الشرع فلما لم يجدوا مخلصا عن افحام الانبياء رجعوا الى نفس الدعوى وقالوا الوجوب عندنا قد ثبت بالشرع قبل النظر فيمن يصل اليه فينظر أو لا ينظر فكأنهم قالوا عدم قيام الحجة للنبي لا يضرنا لان نفس الوجوب لا يتوقف على لزوم امتثال المكلف ذلك الواجب . اذا حققت هذي عرفت انه كلام فارغ فانه قد قال خصمهم سلمنا الوجوب كما تدعون لكن يلزم عليه افحام الرسل فكيف يقال الوجوب ثابت عندنا بالشرع نظر أو لم ينظر والمطلوب انما هو التخلص من افحام الانبياء لتقوم لهم الحجة على المكلف وليس النزاع في نفس ثبوت الوجوب اذ قد سلّم تنزلا انما الكلام في لزوم عدم قيام حجة الانبياء فاعرف ان هذا الخبط من الاذكياء له شأن والله المستعان وأما حجج نفاة التحسين والتقبيح العقليين فالتعويل عليها أضعف من التعويل على نقض حجج المثبتين لهما كما سيتضح لك

***

(الحجة الاولى)

ما اعتمده ابن الحاجب في مختصر المنتهى وهي انه لو حسن الفعل وقبح لغير الطلب لم يكن تعلق الطلب لذاته والجواب ان هذا مبني على ان الطلب صفة ذاتية متميزة عن العلم والارادة وخصمكم ينكر ذلك كله ولم يتم لكم ذلك بدليل ناهض فهو بناء على غير أساس ومع تسليمه فالمتعلق (بالكسر) من حيث انه متعلق تابع لمتعلَّقه فلا يتحقق التعلق بدونه وذلك لا ينافي كون تعلقه لذاته كما قاله الجميع في العلم ولهذا اعترضه سعد الدين . وزبدة هذا وحاصله ان تعلق المتعلق بشيء وكان ذلك

الشيء ذا أوصاف متغايرات فالطلب تعلق بفعل له صفة الحسن مطلقا لا بمطلق الفعل ووضع هذه الحجة الساقطة مبني على نفي الحكمة بل على احالتها فليتأمل

***

(الحجة الثانية)

لو كان يثبت للفعل صفة الحسن والقبح لا باختيار مختار كما قالت المعتزلة والباري تعالى ليس الا مبينا لما ثبت في نفس الامر — لم يكن تعالى مختارا في الحكم بل يكون كالمفتي والقاضي يبين الحكم ثم يلزم أو يتوعد على عدم الامتثال وتوعد عليه بالثواب والعقاب (الجواب) ان أردتم انه ليس مختارا في جعل الحكم حكما فهو عين مذهب خصمكم وهو أول البحث كما مر توضيحه وان أردتم انه ليس بمختار في التبيين والالزام على معنى انه ليس له ان يخبر بحكم غير ثابت في نفس الامر ولا ان يلزم به فهو كذلك ايضا لان الاخبار لا بد ان يطابق والا كان كذبا وكذلك الالزام لا بد من وجه حامل عليه كما مضى تقريره وكل ذلك لا ينافي الاختيار وان اردتم انه يصير مضطرا الى التبيين حتى يكون بمنزلة الواجب غير المختار فلا وجه للزومه وهو ظاهر

وعلى الجملة فهذه الحجة بينة السقوط لان اللازم منها غير مذهب الخصم أو ماعدم لزومه بيّن . أما التشنيع بقولكم كالمفتي والقاضي فشيء يستخف به الجاهلون ولم يجئ بشيء بدع فان هذا شأن الماهيات كلها كماهية القديم والواجب والممكن والمستحيل والضد والنقيض والنفي والاثبات وسائر الماهيات فانها متقررة بخصوصياتها التي بها تمايزت وتقررت وعلمت

ولذا تقرر الله سبحانه على من لم يفرق بين ماهيتين بالاستفهام والتعجب والانكار كقوله تعالى «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون – أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون – أفمن يخلق كمن لا يخلق – أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار» الى غير ذلك وقال الله سبحانه «كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها» وقال تعالى «ان ربي على صراط مستقيم» وقال تعالى «قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن» وقال تعالى «والله لا يحب الفساد» وقال تعالى «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» وقال تعالى «ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله – ان الله لا يظلم الناس شيئا – ان الله لا يظلم مثقال ذرة – هل جزاء الاحسان الا الاحسان» الى غير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على ان المنهيات والمأمورات متقررة كتقرر القديم والحادث والنفي والاثبات فمن قال لا فرق بين الاحسان والاساءة الا بحسب اعتبار الاعتراف وانه لا معنى للفاحشة مثلا الا ذلك المتعارف والافهي والايمان سواء في الخلو عن الحكم وفي نظر الشارع وانما اتفق الامر باشياء والنهي عن اشياء لمجرد الاحسان لا لحامل ايضا فمن كان هذا شأنه فوالله مافي انصافه مطمع لكن كثرة المقلدين للاشعري في هذه الهفوات ألجأ المتدينين الي الاعذار معذرة الى ربنا وكفى به حكما

ثم أنا نبين الآن ان هذا الامر اعني كون الحكم غير واقف على اختيار مختار في كونه حكما لازما لزوما بينا على قواعد الاشاعرة وبيانه أن الحكم

عندهم خطاب الله والخطاب القولي الذي هو من صفات الفعل اتفاقا على وفق النفسي وعبارة عنه فقوله مثلا «أحل الله البيع وحرم الربا» لا بد أن يكون معنى حل البيع وحرمة الربا متضمنا له الكلام النفسي والنفسي غير مختار فيه وتعلقه لذاته كما هو شأن القديم وهم أيضا مصرحون بان الحكم قديم والقديم غير مختار فيه اتفاقا والباريء تعالى انما يبين لنا ماثبت في الازل ويلزمنا امتثال الجري على مقتضاه فالحكم اذاً ثابت بلا اختيار مختار اتفاقا ويتعين على هذا محل النزاع وينحصر في جهتين احداهما هل يعلل ثبوته الاشاعرة لا لقدمه؟ المعتزلة [1] نعم لامكان التعليل ثانيهما هل يدرك العقل مستقلا بعض جزئياته؟ المعتزلة نعم. لامكان معرفة الموجب له وهو كون الفعل ظلما مثلا واحسانا. الاشاعرة لا. لانه غيب محجوب وهذا التحقيق والالزام مع وضوحه لم أر من ذكره ولا مايقرب منه ولا زلت اسائل من أظنه أهلا لان يسأل فما كان مطمح نظري الا أن يفهموا السؤال ولم يكن واما لاستيقان واستقلال عقولهم بحقيقة الامر وشفاء السائل فرام بعيد، ومرمى حال دونه حجب التقليد، فليتأمله من بقي من المنصفين بين الجد والانصاف [2] فكل مبتكر محل لاجالة النظر ولا يمنعه الالتفات

(١) اي تقول المعتزلة في الجواب نعم الخ وسيأتي جواب الاشاعرة بعد السؤال الثاني اه مصححه

(٢) تاملناه فوجدناه حقا بل هو ماهدانا الله اليه قبل الاطلاع على هذا الكتاب بسنين ولنا كلام يدل عليه وللمصنف فضل التقدم بحسب علمنا فاننا لم نره لاحد من قبله . ومما يؤيد القرآن من السنة في هذه المسألة حديث الاعرابي الذي اسلم فأمر النبي (ص) ان يعلموه الصلاه فعلموه الفاتحة وسورة «اذا زلزلت» وارادوا أن يعلموه سورة اخرى فقال حسبي هذه حتى أعمل بها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن

لقولهم : ماترك الاول للآخر ؟فانه يكفي في معارضة هذه اللفظة قولهم: كم ترك الاول للآخر، ولله درابن مالك حيث يقول اذا كانت العلوم منحا الهية ، ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ، ماعسر على كثير من المتقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الانصاف ، ويصد عن جميع الاوصاف ، انتهى

**

﴿ الحجة الثالثة ﴾

« السمعية »

وهي اشفها بحسب الظاهر وهي قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ووجه الاستدلال انه تعالى أخبرانه لا يعذب بدون بعثة الرسول ومن قال العقل مستقل لقيام الحجة يلزم على قوله أن يسوغ التعذيب (الجواب) أن هذه مصادرة على المطلوب [1] لان النزاع في جواز التعذيب لا في وقوعه وكم من جائز غير واقع وما قاله العضد وجرى عليه السعد وقلدهما الناس انه انما لزمتهم الحجة لمنع العفو عقلا عند المعتزلة فغلط على غلط لان هذه الحجة ذكرت لرد هذا المذهب وقد عرفت ان القائل به اعم من ذلك ولا ملازمة بينه وبين منع العفو عقلا والقائل بعدم العفو عقلا شرذمة من البغدادية وسائر أهل هذه المقالة قائلون بجواز العفو عقلا

= يعمل مثقال ذرة شرا يره » فأمرهم النبي (ص) ان يتركوه وشهدله بأنه فقه في دينه وما كان فقهه الا العزم على ترك كل مايعتقد انه شر وفعل كل ماقدر عليه مما يعتقد انه خير فاقر النبي (ص) على تحديد الخير والشر باجتهاده وعقله اه مصححه

(١) الاشبه مغالطة اه من هامش الاصل

وكثير منهم يقولون بجوازه سمعا ونحن منهم كما هو قول اكثر الامة والمحققين المنصفين غير المتحجرفين بل صريح الكتاب والسنة اللذين لا يعدل بهما ولا يعول على غيرهما ومن عجائب العضد والسعد انهما ذكرا هذا الكلام السابق فيما يختص الجبائية من الرد فكان غلطا على غلط وهذه مسألة خلاف بين المعتزلة والجبائية بل البصرية بأسرها يجوزون العفو عقلا والكعبي واتباعه يمنعونه فهي مما اشتهر فيه الخلاف بين أهل المصرين لكن مثل هذه الاشياء أصلها ماذكرت لك آنفا من عدم الاحاطة بمذهب الخصم لعدم صرف الهمة اليه ، فيجهله فيجهل عليه ، شنشنة من عدم الانصاف ، الذي هو أصل الخلاف ، فهذا شيء كثير جربناه في نقل الاشاعرة عن المعتزلة والعكس بحيث يمتنع المنصف من قبول احدهم على الآخر والغلط على المعتزلة أكثر منه في العكس فجرب ان كنت تدعي انك صادق الهمة فليس شاهدا باسوا التجربة

ثم هذه الآية الكريمة حجة على البغدادية في منعهم العفو عقلا وهذا مذهب ركيك قادهم اليه القول بوجوب اللطف مع القول بانه لا وجه للتعذيب سواه ، والمذاهب ثلاثتها كل منها أوهى من الآخر اعني مذاهب البغدادية المذكورة غير انه بقي لهم هنا عذر ان لم ينصوا على خلافه وهو انهم انما عللوا الواقع من العذاب بانه انما وقع لانه لطف وكل لطف واجب فاذا جاء الشرع بعدم تعذيب أهل الفترات مثلا فلا يلزمهم القول بتعذيبهم فليتهم يحفظ هذا حذرا من الغلط عليهم وهو وجه وجيه يبعدهم عن التشنيع ، ان ادركه من علم الله سبحانه حسن الصنيع

لا يقال في الآية وجه آخر من الاحتجاج غير ما ذكروه وهو ان قولهم ما كنت فاعلا وما كنت لأفعل نحوه ان هذا الامر لا يلائم حالي ولا يليق بي كما قال تعالى « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وهو بمعنى الاول ثم قال « وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون » وغير ذلك من الآيات وغيرها لا تجد الاستعمال الا هكذا ولذا يفسرها الزمخشري واضرابه من فحول العربية بقولهم أي ما صح وما استقام وليس بمستنكر ان يدل مجموع كلام على معنى لم يحصل للافراد مع تفرقها كما قالوا في قولهم كان يفعل كذا انه يفيد الاستمرار وقد قيل ذلك في يفعل على انفراده ومدلول الفعل المطابقي من حيث هو انما هو الحدث الذي من شأنه وحقيقته التقضي وقد قال السعد في موضع من حاشية الكشاف: واعتبارات البلغاء دلالة رابعة كما ان العادة طبيعة خامسة : هذا لفظه وقد مر لنا عليه هناك مناقشة وفي الكشاف بل في فن البيان كله شيء كثير من هذا فليختبر ، فهذا تنبيه وهو معنى خصوصية التراكيب التي وضعوا لها في المعاني ، ومن ذلك دلالة الاستثناء في جاءني القوم الازيدا فان افراد هذا التركيب لا يدل على عدم مجيء زيد لكن زعم بعضهم ان دفع فهم عدم مجيء زيد كدفع الضرورة وذكر ذلك في المطول فمع تمام ذلك يكون مما ذكرنا والله أعلم

واذا كان لا يليق بالحكيم ولا يلائم شأنه التعذيب قبل البعثة فهو معنى ان الحجة لا تقوم قبل الشرع اذ لو قامت حينئذ لكان التعذيب ملائما ثم رأيت الاسنوي قد أشار الى هذا الوجه في شرح المنهاج بعد ان

قلته نظرا فنقول لا يضرنا ذلك أما أولا فهي محتملة بقوة ان المراد عذاب الاستئصال بدليل السياق لان العذاب مطلق فهو مع القيدين على سواء أعني الدنيوي والأخروي والسياق معين لاحد القيدين وان عممنا فلا يضرنا أيضا لانا نقول انه قد يقال ذلك في ما يحافظ عليه أعم من ان يكون متحتما أو غير متحتم بقول ما كنت لأترك إخراج الزكاة وما كنت لاترك فضيلة صدقة النفل وحاصله تنزيل ما ليس بحتم منزلة المتحتم بجامع العدم على المحافظة والآية من القسم الثاني جمعا بين الادلة فالباريء تعالى لسعة رحمته وبالغ حكمته يقول ما كنت لا كتفي بمجرد حجة العقل حتى أردفها بحجة السمع ، مبالغة في الإعذار ، وقطعا لتعلة المبطلين الاغمار ، كما قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون » وحكى عنهم هنا على فرض عدم الرسول الاعتلال بعدمه كما كان يعتل المبطلون بكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قارئا كاتبا وليس ذلك من شرط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا اسند الارتياب الى المبطلين وقال هنا « ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك » وفي هذه الآية نفسها دليل على مانحن فيه لمن له فهم وذوق والله الموفق .

ونظير هذه المسألة ان المعتزلة قالوا لو كان للكافر لطف في المقدور ولم يفعله لم تقم عليه الحجة سهل لهم اقتحام ذلك ما رأوا من مبالغة الله سبحانه وله الحمد بالالطاف وانواع الترغيب والترهيب وقد نقض ذلك سبحانه بقوله « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » واعتذارهم بمشيئة الاكراه ساقط اذ لا نسلم تسميته ذلك هداية لغة ولعلنا نتعرض لهذه

المسألة فنستوفي الكلام منها والا فهذا تنبيه كاف للمنصف

هذه الحجج الثلاث هي التي اعتمدها ابن الحاجب وشراح كتابه وغيرها ركيك كقولهم يلزم ان يكون فعل العبد كالايمان مثلا أشرف من فعل الله تعالى كالشيطان وهذه هي الشبهة التي زعموا ان ضراراً رجع عن الاعتزال من اجلها ونظير هذه الحجة ماقاله المشركون للمسلمين انهم تحللون ماتقتلون وهو المذكاة وتحرمون مايقتله الله سبحانه وهو الميتة فانزل الله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً، ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون*ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون*أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا»؟ وعزى هذا الحديث السيوطي في أسباب النزول الى الحاكم وأبي داود وغيرهما من حديث ابن عباس وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال لما نزلت « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» ارسلت فارس الى قريش ان خاصموا محمدا فقولوا له ماتذبحه أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله بشمشار من ذهب يعني الميتة فهو حرام ! ؟ فنزلت هذه الآية « وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم » قال: الشياطين من فارس وأولياؤهم من قريش

أبو حامد الغزالي (*)

٨

﴿ تكفير المقلدين له ورأيه في الردة والكفر ﴾

الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، والاسلام ان تشهد أن لا آله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت الى ذلك سبيلا. هكذا فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن صدق عليه هذا التفسير كان مؤمنا مسلما لا يخرجه من الاسلام الا تكذيبه لشيء مما جاء به الرسول (ص) من أمر الدين عالما انه جاء به غير متأول فيه . وما عدا ذلك من مخالفة احكام الدين بالقول او الفعل او الاعتقاد يعد خطأ وسببه الغالب الجهل ومن الجهل ما يعذر صاحبه فيه كجهل الدقائق والامور الخفية ومنها ما لا يعذر فيه الا اذا كان قريب العهد بالاسلام كتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والقول على الله بغير علم ، والحساب على الله تعالى ،

وقد مضت سنة النبي (ص) وسيرة اصحابه (رض) بتحامي تكفير أحد ممن يظهر الاسلام ويصلي الى القبلة وان ظهرت عليه آيات النفاق وكانوا يعذرون من أخطأ في شيء من أمر دينه ويتلطفون في تعليمه وما زال امر المسلمين على هذه السنة حتى ظهر فيها الابتداع وصار لأهله فرق وشيع يدعون اليها ويناضلون دونها فكان منهم أن كفروا من يخالفونهم فيما انفردوا به وإن كان المخالفون هم السواد الأعظم الذين تلقوا الدين بالقول والعمل وحافظوا عليه قبل ظهور تلك البدعة . وقد كان من امر أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أن قاتل الخوارج المبتدعين وصلى على

(*) تابع لما نشر في (ص ٨٣٣) من المجلد الثاني عشر

قتلاهم ولم يكفرهم ببدعتهم . فكان مما امتاز به أهل السنة والجماعة على أهل البدعة والفرقة أن اهل السنة لا يكفرون احدا من أهل القبلة لأنهم يجمعون الكلمة ويتقون التفرق في الدين لشدة نهي كتاب الله عنه ووعيده لمن يقترفه . ولم تكن السنة مذهبا ولا مذاهب لبعض المسلمين فيتعصبون لها على غير أهلها بل كان كبار العلماء كأئمة الفقه الأربعة وشيوخهم من السلف يعذرون كل من خالفهم في اجتهادهم ويصلون معه كما كان يفعل الصحابة (رض)

ثم حدثت المذاهب في الجماعة المنسوبة الى السنة فكانوا شيعا كل شيعة تنتمي الى امام من العلماء الذين كانوا على السنة وتتعصب لما نقل عنه وعن أتباعه وكل من انتسب اليه ثم تدرجوا من التعصب لما يسمونه مذهبهم الى تخطئة سواه من متبعي غيره من المذاهب المنسوبة الى علماء السنة مثل مذهبهم ثم الى التضليل ثم الى التكفير لهم وللعلماء المستقلين اذا خالفوا مذهبهم وهم مع هذا يعترفون بأنهم مقلدون وليس من شأن المقلد ان يبحث في تخطئة أحد لأنه تابع لغيره ولا علم له في نفسه وقد حدث من جراء هذه التعصبات فتن كثيرة سودت بها صحائف التاريخ

ان ظهور فتنة التكفير التي احدثها اهل البدعة في المنتسبين الى السنة جعل مصابها عاما في المسلمين حتى كانت السبب في وقوف حركة العلم دون بلوغ غايته المرجوة فيهم بل في رجوعه القهقرى لأن الاشتغال به صار محصورا في تفهم كل جيل بعض كتب الأجيال التي قبله دون ان يكون له حكم مستقل في المسائل ومن لا يكون له حكم لا يكون له علم وهذا هو معنى ما نقل من اجماع سلفنا على ان المقلد لا يسمى عالما وعلى إطلاق أهل القرون الاولى لفظ العالم بمعنى المجتهد ولفظ الجاهل على المقلد وان قتل الكتب بحثا وفهما . وكيف لا يرجع العلم القهقرى اذا كان من أنعم الله عليهم بالقرائح الذكية والاذهان اللوذعية لايستطيعون ان يشكروا الله عليها باستعمالها في استنباط مسائل العلوم إما خوفا من تكفير الناس إياهم اذا هم جاءوهم بغير ما وقف جهلهم عنده واما لاعتقادهم أن ذلك من العبث لانه لا ينتفع به أحد ، وان هم استعملوا عقولهم والحال ما ذكر فانها لا تأخذ حظها من الاستقلال ، ولا تبلغ الغاية في حلبة السباق ، ومن تصباه جمال العلم فجعله عاشقا

مستهترا ، لا يجد له من غرامه مهربا ، تمتع به في خلواته ، وحجب محاسنه عن اصدقائه وعداته ، فان اضطر الى الكلام ، لاذ بالكنايات والاشارات والألغاز ،

أصبو الى الشرق ان كانت منازلها ... في جانب الغرب خوف القيل والقال
أقول في الخد خال حين أنعتها ... خوف الوشاة وما في الخد من خال

فمتى تستنير عقول عامة المسلمين بمبادي العلوم التاريخية فتعلم ان أصحاب العمائم من المقلدين الجاهلين ، قد اتخذوها عسكرا لمحاربة العلم والدين ، بتضليلهم وتكفيرهم للعلماء المستقلين المصلحين ، وأنهم بذلك مخالفون لهدي السنة التي كان عليها الائمة الذين يدعون اتباعهم والانتساب اليهم لأن أولئك الائمة متفقون على عدم تكفير أحد يشهد بواحدنية الله تعالى و بصدق رسوله محمد (ص) في جميع ما جاء به عن ربه عز وجل وإن خالف في مباحثه ما هو المشهور عنهم بل وان خالف النصوص متأولا لا جاحدا ، وقد صرح بعض فقهائهم بناء على ذلك الاصل المجمع عليه عند السلف (عدم تكفير أحد من المسلمين) بأنه اذا وجد مئة قول قوي بكفر احد وقول واحد ضعيف بايمانه فيجب ان يفتى بهذا القول ويحكم بايمانه

***

بعد هذا التمهيد أقول إن أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى كان من أصحاب تلك اللوذعية والفطانة التي لا يرضى من أوتيها بكفر نعمتها وعدم استعمالها ، وان بدعة التكفير كانت قد انتقلت في زمنه من المبتدعة الى المنتسبين الى السنة ، وإنه جبن في أول عهده بالاستقلال في العلم عن إظهار ما خالف فيه اجتهاده ما عليه جمهور أهل عصره ثم اظهر بعض ذلك في الاحياء مع المداراة ، ونوع من المجاراة ، ثم قوي دينه وكل يقينه فصرح في بعض كتبه المختصرة (كالقسطاس المستقيم) بما لم يصرح بمثله في الاحياء الذي ذم فيه التقليد في مواضع كثيرة وجرى فيه على تقليد الشافعي في اكثر الاحكام أو جميعها

هاج ذلك منه أصحاب العمائم ، وسكنة الأثواب العباعب ، وعجزوا عن مناظرته فجردوا عليه سلاح الجهل والابتداع ، ورموه بالكفر والالحاد ، كما يفعل أمثالهم وأضرابهم

الى الآن ، فلم يعبأ بجهلهم ، ولم يرجع الى باطلهم ، ولا سكت عن إنارة الاذهان ، بما وصل اليه من العلم والعرفان ، وهكذا كان المصلحون وهكذا يكونون ، الى ان تستنير العامة فتميز بين العلماء المستقلين ، و بين الادعياء الجاهلين ، فيعود للامة الاسلامية مجدها ، وتطلع بعد الافول شمس سعدها ، والعاقبة للمتقين ، «ولتعلمن نبأه بعد حين»

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

كتاب وجيز كتبه في هذه المسألة ابو حامد رحمه الله تعالى جوابا لمن بلغه تكفير بعض المتعصبين إياه ، قال في أوله بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وآله واصحابه مانصه

«أما بعد فاني رأيتك أيها الاخ المشفق ، والصديق المتعصب ، موغر الصدر منقسم الفكر ، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين ، وزعمهم أن فيها مايخالف مذهب الاصحاب المتقدمين ، وان العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر ، فهون أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ، لا تضيق به صدرك ، وفل من غربك قليلا ، «واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا» ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف ، فأي داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين ، (صلى الله عليه وسلم) وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، وأي كلام أجل واصدق من كلام رب العالمين ، وقد قالوا انه أساطير الاولين ، و إياك ان تشتغل بخصامهم ، وتطمع في افحامهم ، فتطمع في غير مطمع ، وتصوت في غير مسمع ، أما سمعت ماقيل

كل العداوات قد ترجى مودتها ... الا عداوة من عاداك من حسد

ولو كان فيه مطمع لاحد من الناس ، لما تلي على أجلهم رتبة آيات الياس ، اوما سمعت قوله تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم

لقال الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين) وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون) » اه

أقول يريد أبو حامد رحمه الله تعالى ان مثل هؤلاء الشيوخ الحاسدين المتعصبين على تقليدهم للاشعري كمثل أولئك المشركين لا في الشرك والكفر بل في الحسد والتعصب وجعل همهم كله في إهانة من حسدوه وإظهار انه على باطل وعدم توجيه أذهانهم الى فقه ماهو عليه والنظر في دليله ، بل توجيهها الى مكابرته أو تأويله ، وهكذا يفعل أشباههم في الحسد والتعصب اليوم : ندعوهم الى الكتاب والسنة ، ونطالبهم بالآية والحجة ، فيأبون الا النبز بالالقاب ، والهجر والسباب ، ثم ذكر ابو حامد أن هؤلاء لم يبق فيهم استعداد لمعرفة الحق في الايمان والكفر وعلل ذلك بقوله « وانى تتجلى اسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكنزهم سواسهم ، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم ، فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان » ؟؟ ثم ذكر أن جل بضاعتهم في العلم البحث في النجاسة ، وما أشبه ذلك مما لا يجلو بصيرة ، ولا يطهر سريرة ،

زلزال المقلدين وشأنهم

بعد تلك الفاتحة ذكر ابو حامد فصلا في حال المقلدين موجها الكلام الى مخاطبه قال : (فصل) فأما أنت اذا أردت ان تنتزع هذه الحسكة من صدرك ، وصدر من هو في حالك ، ممن لا تحركه غواية الحسود ، ولا تقيده عماية التقليد ، بل تعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال اثارها فكر وهيجها نظر . فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فان زعم ان حد الكفر مايخالف مذهب الاشعري او مذهب المعتزلي او مذهب الحنبلي اوغيرهم فاعلم انه غر بليد ، قد قيده التقليد ، فهو أعمى

من العميان ، فلا تضيع باصلاحه الزمان ، وناهيك حجة في افحامه ، مقابلة دعواه بدعوى خصومه ، اذ لايجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا .

ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري ، ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي ، فاسأله من أين ثبت له ان الحق وقف عليه ؟ حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زائدا على الذات ولم صار الباقلاني اولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني ؟ ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني؟ أكان ذلك لاجل السبق في الزمان ؟ فقد سبق الاشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ! أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فبأي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده ؟ فان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر على غيره ؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم ؟ وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة ؟ وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع الى لفظ لاتحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعما انهما جميعا متوافقان على دوام الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع الى الذات او الى وصف زائد عليه خلاف قريب لايوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات ، وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات ، قادر على جميع الممكنات ، وانما يخالف الاشعري في أنه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين؟ وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها واثباتها؟

فان قال انما اكفر المعتزلي لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة تستحيل ان توصف بالاتحاد او تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لايستبعد من الاشعري قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحد (؟) هو توراة وانجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهي وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر مايتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الامر والنهي فكيف

تكون حقيقة واحدة يتطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات على شيء واحد فان تخبط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلاً له كان مستتبعا تابعا واماما لامأموما فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد، وطالب لصلاح الفاسد، وهل يصلح العطار ماافسد الدهر، ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب. اما الكفر فلانه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لايثبت الايمان الابموافقته، ولا يلزم الكفر الابمخالفته، وأما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لاترى في ذلك الا مارأيت وكل مارأيته حجة وأي فرق بين من يقول قلدني في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا الا التناقض » اه

أقول أيعتبر بهذا من يجلون في هذا العصر ابا حامد ويعبرون عنه بالامام وحجة الاسلام فيكفون عن الطعن في العلماء المستقلين الذين يدعون الامة الى البصيرة في دينها والاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ام يحملهم الحسد على الاصرار على الطعن فيهم وتنفير العامة منهم بذلك اللقب الممقوت عندهم (الاجتهاد) ويوهمونها ان دعاة الكتاب والسنة، يمنعونها من اتباع الائمة ، والصواب الذي يمنعها من ذلك اولئك المقلدون الجاهلون الذين لم يتبعوا الائمة في الاهتداء بالكتاب والسنة ولاقرءوا كتبهم وانما يريدون ان تكون العامة وراءهم متبعة لهم والمستقلون لايدعون احدا الى اتباعهم وتقليدهم في شيء قط وانما يدعونهم الى الرجوع الى الاصل

حد الكفر وتعريفه

قال أبو حامد : (فصل) لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر بعد ان تناقض عليك حدود اصناف المقلدين فاعلم ان شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني اعطيك علامة صحيحة فتطردها وتعكسها لتتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن

تكفير الفرق وتطويل اللسان في اهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين بقول لا إله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفرهو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به والايمان تصديقه في جميع ما جاء به — الى أن قال في اجمال التفريع على هذا التعريف — فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة

(فصل) اعلم ان الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل الغور لأن كل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه السلام فالحنبلي يكفر الاشعري زاعما انه كذّب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش ، والاشعري يكفره زاعما انه مشبه وكذب الرسول في انه ليس كمثله شيء ، والاشعري يكفر المعتزلي زاعما انه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له ، والمعتزلي يكفر الاشعري زاعما ان اثبات الصفات تكفير للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه فينكشف لك غلوّ هذه الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضا

فأقول : التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى المخبر وحقيقته الاعتراف بوجود ما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده إلا ان للوجود خمس مراتب ولأجل الغفلة نسبت كل فرقة مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول عليه السلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر امثالها في التأويلات :

اما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى اخذه ادراكا وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل المعروف الذي لا يعرف الا كثرون للوجود معنى سواه

وأما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ اذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد يتمثل للانبياء والأولياء في اليقظة والصحة صور جميلة محاكية لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشرا سويا) وكما أنه عليه السلام رأى جبريل كثيرا ولكن ما رآه في صورته الا مرتين وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد قال « من رآني في النوم فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي » ولا تكون رؤيته بمعنى انتقاله من روضة المدينة الى موضع النائم بل هي على سبيل وجوده في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبسا من نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لأن الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال وانما تصير خطا في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة

واما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر على ان تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج

وأما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه دون ان يثبت صورته في عقل أو حس أو خارج كاليد مثلا فان صورتها محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير ان يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

واما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الاشياء

(فصل) اسمع الآن امثلة هذه الدرجات في التأويلات . أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع فانه يجري على ظاهره ولا يتأول اذ هذه اجسام موجودة في انفسها ادركت بالحس والخيال اولم تدرك

واما الوجود الحسي فأمثلته في التأويلات كثيرة واقنع منها بمثالين : احدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار » فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض وأنّ قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ينزّل الخبر على ان اهل القيامة يشاهدون ذلك و يعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجودا في حسهم لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين باليأس من الموت بعد ذلك إذ المذبوح ميؤس منه ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح

المثال الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت علي الجنة في عرض هذا الحائط » فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها ولا يمتنع ان يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما نشاهد السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك ابصارا مفارقا لمجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك التفرقة بين ان ترى صورة السماء في المرآة وبين ان تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل

واما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم « كأني انظر الى يونس

ابن متى عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله تعالى يقول له لبيك يايونس » والظاهر ان هذا إنباء عن تمثيل الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقا على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجودا في الحالة ولا يبعد ان يقال ايضا تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور ولكن قوله (كأني انظر) يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض التفهيم بالمثال لاعين هذه الصورة وعلى الجملة فكل مايتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقلّ ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل

وأما الوجود العقلي فأمثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين : أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم « آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة امثال هذه الدنيا » فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي والخيالي ثم قد يتعجب فيقول إن الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف تتسع السماء لعشرة امثال الدنيا والسماء ايضا من الدنيا وقد يقطع المتأول هذا العجب فيقول المراد به تفاوت عقلي لاحسي ولا خيالي كما يقول مثلا هذه الجوهرة أضعاف الفرس أي في روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل

المثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا » فقد أثبت لله تعالى يدا ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يدا روحانية عقلية أعني انه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها ان روح اليد ومعناها مابه يبطش ويفعل ويعطي و يمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه السلام « أول ما خلق الله العقل فقال ـ بك اعطي و بك أمنع ـ » ولا يمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرضا كما يعتقده المتكلمون إذ لا يمكن أن يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما يسمى قلما باعتبار أنه تنقش به حقائق العلوم في ألواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا وإلهاما فانه قد

ورد في حديث آخر أن « اول ماخلق الله تعالى القلم » فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز ان يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما باعتبار إضافته الى مايصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما يسمى جبريل روحا باعتبار ذاته وامينا باعتبار ما أودع من الاسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكينا عند ذي العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة

وهذا القائل يكون قد اثبت قلما ويدا عقليا لا حسيا وخياليا وكذلك من ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون

وأما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فان الغضب مثلا حقيقته انه غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا لا ينفك عن نقصان وألم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزله على ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات التأويلات

(فصل) اعلم ان كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وانما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعاني ويزعم ان ماقاله لامعنى له وانما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبيس اومصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة

ولا يلزم كفر المؤولين ماداموا يلازمون قانون التأويل كما سنشير اليه . وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الاسلام إلا وهو مضطر اليه فأبعد الناس عن التأويل احمد بن حنبل رحمة الله عليه

وأبعد التأويلات عن الحقيقة واغربها أن تجعل الكلام مجازا او استعارة

هو (؟) الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي مضطر إليه وقائل به فقد سمعت الثقاة من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن حنبل رحمه الله تعالى صرّح بتأويل ثلاثة احاديث فقط احدها قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الاسود يمين الله في الارض » والثاني قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن » والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن » فانظر الآن كيف اول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول ـ اليمين تقبل في العادة تقربا الى صاحبها والحجر الاسود يقبل ايضا تقربا الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسمي لذلك يمينا وهذا الوجود هو الذي سميناه الوجود الشبهي وهو ابعد وجوه التأويل

فانظر كيف اضطر اليه أبعد الناس عن التأويل وكذلك كما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين فتأوله على روح الاصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية أعني ان روح الاصبع مابه يتيسر تقليب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى القلوب فكني بالاصبعين عنهما وانما اقتصر احمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن ممعنا في النظر العقلي ولو امعن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله، والاشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة وأقرب الناس الى الحنابلة في أمور الآخرة الاشعرية وفقهم الله فانهم قرروا فيها اكثر الظواهر الا يسيرا، والمعتزلة أشد منهم توغلا في التأويلات ،وهم مع هذا ـ اعني الاشعرية ـ يضطرون ايضا الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يؤتى بالموت في صورة كبش املح وكما ورد من وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري أول وزن الاعمال فقال : توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها اوزانا بقدر درجات الاعمال ـ وهذا رد الى الوجود الشبهي

البعيد فان الصحائف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال هي اعراض فليس الموزون اذًا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل، والمعتزلي تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهو ابعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح احد التأولين بل ان تعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التأويل إلا ان يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا، والموت وان كان عرضا فيستحيل فينقلب كبشا بطريق الانقلاب ، والاعمال وان كانت اعراضا وقد عدمت فتنقل الى الميزان ويكون فيها اعراض هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربقة العقل » اه

باب المقالات

التعاون والتخاذل (*)

نحن في زمن فاز فيه المتعاونون ، وهلك فيه المتخاذلون ، سعدت فيه أمم بأعمال الجماعات ، وشقيت امم باسرة الافراد ، فالامم فيه درجات بعضها فوق بعض فأعلاها ما كثرت فيه الجمعيات ، المتعاونة على الخير بقدر كثرة الخيرات ، ويليها ما قلت فيه الجمعيات ففاتها من الخيرات والمنافع ما فضلها به مافوقها ، ويعبر عن هذه الامم بالامم الحية العزيزة ، والحياة والعزة فيها متفاوتة — أو مقولة بالتشكيك كما يقول المنطقيون — فلذلك يخاف ويرجو بعضها بعضا ، وأية أمة عاقلة تأمن سنة الله في تنازع البقاء ، وطمع الاقوياء في الضعفاء ؟

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة الحضارة التي تصدر في الاستانة

واما الامم الذليلة التي تقابل هذه الامم فهي في دركات متفاوتة ايضا ادناها منها في القسمة العقلية ما ليس فيها جماعات تتعاون على الخير ولا على الشر ، ولا يخذل بعض افرادها بعضا في الاعمال النافعة ، ويليها في السفل الامة التي يتخاذل افرادها في الخير فلا ينبري فيها احد لعمل نافع لها الا ويتصدى بعض الافراد لمناهضته وخذله . واما الامة التي تعدفي الدرك الاسفل فهي التي تتألف فيها الجماعات لتأييد الباطل وعمل المنكر ، ولخذلان الحق ومقاومة المعروف ،

لايخذل فرد من الافراد ، ولا جماعة من الجماعات ، عملا من أعمال الخير لأنه مع الاعتراف بأنه خير ، وانما يخذلونه بادعاء انه شر ما او يشتمل على الشر أو يترتب عليه شيء من الشر ، ومنهم من يعتقد صحة ما يدعي لجهله كنه العمل او لان بغضه أو حسده للعامل يقلب صورة العمل في مخيلته ويلونه بغير لونه فهو ينظر الى مافي خياله ويحسب انه عين ما في الخارج ، ومنهم من يضل على علم ويتعمد الفرية والبهتان ، ارضاء لحسده او حسد من يغريه بالمقاومة والخذلان ، أو اعتذارا عن الامتناع من المساعدة التي تنتظر من مثله ، وهو يبخل بها ولا يعترف ببخله ،

الحسود الذي يبغي بحسده ، والشحيح الذي يطيع شحه ، وصاحب الهوى الذي يتبع هواه بالباطل لا مطمع في اتقاء شرهم الا باصلاح نفوسهم او مقابلتهم بقوة لا قبل لهم بها فان كان الاول متعذرا على العامل فالثاني مما يتيسر له الا اذا فقدت الامة استعداد الخير وكانت في حكم سنن الله في عدد الهلكى . واما من يخذل العمل النافع لاعتقاده انه ضار فعلاجه سهل وطبه حاضر اذا كان مخلصا تقيا سواء كان سبب اعتقاده الجهل المطلق ، او السخط الذي أراه العمل بغير صورته الحقيقية ، ولكن قد يعسر التمييز بينه وبين سيء النية ، او تجهل الطريق لايصال العلاج اليه

ليس بيني وبين معالجة المخلص الحسن النية الا ان يصل صوتي الى أذنه او يلقى كتابي بين عينيه ، فيقرأ او يسمع الحجة التي ادلي بها اليه ، وكأني به وقد زال عنه الغشاء ، وانكشف له الغطاء ، فاستبق باب المتاب ، واستغفر ربه وأناب ، اقول له الخلاف بين البشر سنة غريزية فيهم لا مطمع في تبديلها فاذا جعلنا

الخلاف في الرأي والفهم سببا للتنازع والتخاذل ، نكون سجلنا على انفسنا الفشل الدائم والهلاك البطيء او العاجل ، ولا يختلف الناس في شيء كاختلافهم في الامور الاجتماعية وما به ترتقي الامم او تتدلى لان كل واحد يدعي العلم بذلك وان كان يقل في الناس ذو العلم الصحيح التفصيلي بمسائل الاجتماع البشري واصلاح احوال الامم ، يقل ذلك في الشعوب التي استبحر فيها العمران وارتقت علومه ، ويكون اندر من الكبريت الاحمر في سائر الشعوب ، فان وجد فيها كان مجهول القدر ، غير متمكن من كل ما يقدر عليه من النفع ، بل ربما كان علمه سبب بلائه ومحنته ، واضطره الى الهجرة من وطنه ، وكأين من نبي كريم ، وعليم حكيم ، وصوفي كبير ، وسياسي خبير ، كافأه قومه على ماتصدى له من إصلاحهم باهراق الدم ، او النفي من الارض ، او الضرب او السب ، ثم ظهر في حياته او بعد مماته انه كان هو المصيب وكل من ناوأه من المخطئين الخاطئين

اذا تذكر المخالف هذا ووعاه إنتقل به الى البحث في ضعفنا ، وحاجتنا الى دفع الخطر عن انفسنا ، وكون ذلك لايتم لنا الا بالتعاون والتناصر ، مع ترك التخاذل والتدابر ، فان لم نفعل ذلك كان مابقي لنا من القوة الممسكة ممزقا ، وكنا نحن الممزقين

فاذا هو فقه هذا وتدبره أقول له اننا اقوام نجتمع في أمور وتتفرق في أمور ، فإذا نظر كل منا الى مايخالفه فيه غيره دون ما يوافقه فيه وجعل مابه الخلاف قاضيا على مابه الوفاق تمزقت قوانا واذا نظر كل منا الى ما به الوفاق فعززه وقواه تتحد قوانا و يستفيد كل منا ويفيد

المختلفون منا في المذاهب متفقون في أصل الدين فلماذا يضع اهل كل مذهب مسائل الخلاف بينهم وبين اهل المذهب الآخر نصب أعينهم فيجعلونها سببا لاضعاف كل منهم للآخر ولا يجعلون مابه الوفاق من أصل الدين سببا لتقوية كل منهم للآخر وذلك لايمنع كلا منهم ان يتفق مع من يوافقه في المذهب على اعمال أخرى تنفعهم ولا تضر غيرهم ،

لماذا يختصم السني والشيعي في بخارى مثلا ولا نفع لاحد منهما في اختصامها وانما الخسار عليهما معا والربح كله للروسية السالبة لاستقلالها والمستعبدة لهما معا ،

ولماذا يتقاتل الزيدي وغير الزيدي في اليمن وهو مما يضعف كلا منهما ، ولماذا لايتحدون فيما هم متفقون فيه كأصل الدين والوطن فيقوى كل منهما بقوة الآخر ويبقى حرًّا في مذهبه لايجادله احد فيه الا بالتي هي أحسن فلا يعامل المسلم أخاه المسلم الذي يوافقه في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بشر مما أمره الله تعالى ان يعامل به أهل الكتاب الذين يخالفونه في الايمان بخاتم النبيين والمرسلين ، وما انزل عليه من الكتاب المبين ، فان استكبر مخالفته إياه في فهم بعض النصوص حتى فهم كلمة التوحيد فليعلم ان آفة المخطئ الجهل وانما يعالج مرض الجهل بالعلم والحلم دون العدوان والبغي ،

والمختلفون منا في الدين متفقون في أمور أخرى يقوى كل منهما بالارتباط مع الآخر بها كالوطن واللغة والجنسية السياسية فلا ينبغي ان يشتغل كل من المسلم والنصراني بمقاومة الآخر بما به الخلاف بل على كل منهما أن يشتغل بالتعاون مع الآخر بما به الوفاق ، فينهضان معا بعمارة البلاد وتنمية الثروة وكل ما يتم به تعزيز الدولة ، وهناء المعيشة ،

والمختلفون منا في اللغات متفقون في واحدة او اكثر من الجامعات العظيمة التي اشرنا اليها كالدين والوطن واللغة والجنسية فليعمل كل قوم في هذه الدولة مع كل من يشاركهم في جامعة ما لتقوية تلك الجامعة ناظرين دائما الى جهة الوفاق ، متسامحين فيما لاعدوان فيه من جهة الخلاف ، ومن يعب منهم اخاه او يخذله فيما يخالفه فيه من غير عدوان ولا بغي من ذلك المخالف فذلك إما غر مفتون ، وإما احد الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ،

اذا كان من المصلحة العامة ان يكون الاقوام والجماعات احرارا فيما يخدمون به الجامعة الخاصة والجامعة العامة فمن المصلحة ايضا ان يكون الافراد احرارا فيما يخدمون به اللغة والوطن والدين والدولة ومن يكيد لأحد منهم ليحبط عمله فهو من المفسدين كالذين يكيدون لمدرس لكيلا يُنتفع بدرسه ، أو مؤلف ليصرفوا الناس عن تأليفه ، او لصاحب صحيفة ينشرها او خطبة يخطبها ، او مدرسة يؤسسها فينبذونهم بالالقاب ، ويصدون عنهم الناس ،

سيقول المحرفون ان في هذا القول منعا لحرية الانتقاد، وابطالا لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلا . ثم كلا . ليس هذا من المنع لما ذكر وانما هو عين الانتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا فليكن الانتقاد والامر والنهي: بيان لبطلان الباطل ولحقية الحق من غير تهييج للعصبية، ولا إغراء بالاصرار على الخطية، ألا وليحاسب انفسهم المغرورون الذين يدعون القيام بهذه الفريضة، ثم يخذلون العاملين بالسعاية والغيبة، ولا يوجهون اليهم الانتقاد فيما بينهم وبينهم، وياعجبا لماذا يسكتون عن كثير من المنكرات المجمع عليها، ويُعنون بتحمل الانكار في المسائل المجتهد فيها، الا إن الحاسد المكابر لاعلاج له، يبدأ به حسده فيقتله، ألاوان فيما قلناه مقنعا للمخلصين، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

***

نابتة المدارس والمكاتب (*

أناخ الصيف بكلاكله، وضرب الحرُّ بجرانه، فانشأت المدارس والمكاتب توصد أبوابها، وتنثر على البلاد أزاهر طلابها، وتهدي اليهم جني جناتها، فمن طلابها من يغادرها موقتا لزيارة الوطن، وصلة الرحم، ويعود اليها جمّ النشاط، وافر الاغتباط، ليتم المدة، ويكمل العدة، ومنهم من يودعها الوداع الاخير، بقلب الحفيظ ولسان الشكور، وهم المتخرجون الذين تم فصالهم، وبلغوا في هذه المعاهد رشدهم، وآن لهم ان يخدموا الملة والامة بالاستقلال ويطلبوا بالثبات في خدمتهم درجة الكمال،

يرى الكثيرون من الناس ان الطالب الذي يغادر معهد العلم لاجل صلة الاهل ومودة القربى لايطالب منه في مدة الصلة الا الراحة من تعب الدرس، وترويض الجسم وترويح النفس، بما يباح له من اللعب واللهو، وان المتخرج قد استراح

*) المدارس في عرف الاستانة معاهد العلم الديني القديمة وان قرئ فيها غيره والمكاتب معاهد العلم النظامية العصرية، وكتبنا هذه المقالة في الاستانة فالكلام فيها موجه الى العثمانيين أولا وبالذات ففيها ماهو خاص بهم واكثر نصائحها عامة . وما ننشره هنا اصح مما نشر بجريدة الحضارة وفيه زيادة

من عهد التحصيل والتعلم، ودخل في طور الاستقلال والتنعم، فما عليه الا ان يهتم بجمع المال، والتمتع بما يقدر عليه من الحلال، ومنهم من لايرى قيد الحلال ضروريا ولكنه ربما يشترط المحافظة على عرف الكبراء، وعادات الاغنياء، فما عرفوه من المنكرات كان عنده معروفا، وما انكروه من الفضائل والخيرات كان عنده منكرا،

لهذا كانت سيرة الكثيرين من طلاب العلوم والفنون سيئة في اعتقاد الامة، وصورتهم المعنوية مشوهة في نظرها العقلي، فهي تتهم نابتة العلوم الدنيوية بتهمة، ونابتة العلوم الدينية بتهمة أخرى، وقد يكون لكل من الفريقين انصار من الاهل والاصدقاء، واصحاب الحاجات والخلطاء، يعتزون بهم، ويقنعون من الجاه بعصبيتهم، فينصر أحدهم الآخر ظالما كان أو مظلوما، ويؤيده لائما وملياً، فيسري بذلك دود الفساد في جسم الامة حتى تكون من الهلكى، ويتعارض الجاه بين رجال الدين ورجال الدنيا، فيتصادم حزباهما، ويقع الشقاق بينهما

أيها النابتة الجديدة! قد آن لهذا التباين ان يزول، قد آن للمتعلمين ان يتجردوا من الاهواء والحظوظ، قد آن لهم ان يعلموا ان للعلم فائدة فوق فائدة الحرفة، وثمرة اشرف من ثمرة الكسب والتجارة، قد آن لهم أن يعلموا ان المدرس والحاكم (عامل الحكومة) والطبيب والمهندس، ووكيل الدعوى ومحرر الجريدة منكم اذا لم يكن لهم غرض من عملهم الا الكسب الذي يعيشون به فلا فرق بينهم وبين الصائغ والحائك والحداد والنجار والحمال كل اولئك يعملون مالا بد للامة منه لاجل أن يعيشوا بثمرة عملهم،

تذكروا ان لكم وراء الكسب بعلمكم وعملكم عملا تقدرون عليه ولا يقدر عليه غيركم، ومقاما عاليا يسهل عليكم العروج اليه دون سواكم، تذكروا انكم انتم المطالبون باخراج أمتكم من ظلمات الجهل الى نور العلم، ورفعها من حضيض الفساد الى اوج الرشاد، وانقاذها من مضيق الفقر والفاقة، الى بحبوحة الغنى والثروة، انتم المطالبون بذلك بمعرفتكم قيمة انفسكم، وبحسن سيرتكم في خاصة انفسكم، وبتعارفكم وتآلفكم وتعاونكم فيما بينكم، وبهدايتكم وارشادكم لغيركم، وعلى كل من الراحلين الى البلاد منكم واجبات، أذكركم بها بهذه الكلمات:

يتبغي ان يوطن كل واحد منكم نفسه على خدمة الامة ورفع شأنها وان يراها

اهلا لذلك بما منحها الله من القوى اذا هو شكر الله عليها باستعمالها في ذلك ، فمن يوطن نفسه على ذلك ويحملها على الاستعداد له تعل همته ، وتعظم مروءته ، وتتعلق آماله بمعالي الامور ويتنزه عن سفسافها، ومن لم يرج من نفسه الاصلاح كان جديرا بان لا يرجوه غيره منه ، وان لا يكون مصلحا بعلمه ولا عمله ، ومن لم يكرم نفسه لا يكرم

يشتبه على بعض الناس تكريم النفس وحملها على معالي الامور بالعجب والغرور ، والفرق بينهما كالفرق بين الظلمات والنور ، والظل والحرور ، فالاول يكون عالي الاخلاق حسن الاعمال مع التواضع والنزاهة والبراءة من التبجح والدعوى فهو قدوة حسنة في اخلاقه وآدابه واعماله ، وأما الثاني فهو يدعي ما ليس فيه ، ولا تهمه الا حظوظ نفسه ، ويحب ان يحمد بما لا يفعل ، ويحتقر العاملين ، ويغمط الحقوق ، فيكون قدوة سيئة في اخلاقه واقواله وافعاله

ان المعجب المغرور يرى نفسه في مرآته جميلا ولكنه في مرآة غيره دميم مشوه فهو لا يغش ولا يخدع الا نفسه الخبيثة ، واما عالي الهمة وكبير النفس فانه يراها دائما مقصرة لانه لا يعمل عملا الا وهو يرى ان الواجب عليه والمستطاع له اكثر منه واكمل ، ولا يحجبه عن اعتقاده هذا حمد الحامدين له ، ولا ثناء الراضين عن عمله ، المعجبين بعلمه وأدبه ، فاذا فطنتم أيها الاخوة لهذا الفرق فاجعلوه ميزانا لكم في محاسبة انفسكم لئلا تكونوا حسانا في مرآة انفسكم قباحا في مرآة غيركم .

ان من الناس من يكون استعداده لمعالي الامور والقيام بالمصالح العامة قويا ومنهم من يكون استعداده لذلك ضعيفا ، فمنهم من تحرك هذه الذكرى همته للعمل الذي يقوي الاستعداد ، ومنهم من لا يقيم لها وزنا ، ولا يفهم لها معنى ، فمن رأى انها هدته الى كنز ما كان يعرفه ، أو زادته شوقا الى شيء كان يحن اليه ويألفه ، فليحمد الله تعالى وليبشر بأن سيكون ممن ترتقي بهم أمتهم ، وتعتز بهم دولتهم ، وتعمر بهم بلادهم ، ومن رأى انها من لغو القول ، أو من قبيل تكليف المشي على الماء ، أو العروج الى السماء ، فليعلم انه خلق ليكون اجيرا يعمل لأكل فلا يغشن نفسه بدعوى ما لم يخلق له

ألا وان العمل يقوي الاستعداد الضعيف فمتى وضعتم هذا الغرض الشريف

(ترقية الامة) نصب اعينكم ووطنتم انفسكم على السعي له في طريقه والدخول عليه من بابه ، فانكم في كل يوم تزدادون فضيلة وهمة واقداما

ألا وان التخلية مقدمة على التحلية فينبغي ان تطالبوا أنفسكم بان يراكم قومكم في منصرفكم هذا اليوم خيرا مما فارقوكم عليه خلقا وادبا ورأيا وعملا وقولا ، يجب ان لا يروا منكم ما ينكرون ، وأن لا يسمعوا منكم ما يكرهون ، يجب ان يروا منكم العفة والنزاهة والتقوى والصدق والغيرة والحماسة والفتوة ، يجب ان لا تدعوا لهم مجالا للشك في دينكم ولا في اخلاصكم لامتكم ودولتكم ، فان ارتفعت همتكم الى ذلك فابشروا فان فوزكم فيما تريدون من ايقاظ الامة وعزة الدولة سيكون قريبا

لا تظنوا ان من كان فاقدا لشيء من تلك الفضائل، او مبتلى بشيء من المعايب ، وتكلف اخفاء عيبه ، واظهار فضيلة ليست خلقا له ، يعد مرائيا منافقا ، فان الرياء والنفاق هو ان يصر المرء على عيبه ويرضى بالبقاء عليه ويحاول أن يوصف بضده ، او ان يعمل العمل امام الناس ليقولوا فلان عمل وهو لا يرغب في ذلك العمل ولا في ان يكون من أهله ، ولست في هذا ارغبكم بالرياء وانما ارغبكم في التكلف ، الذي هو طريق التخلق ، فالحلم بالتحلم ، كما ان العلم بالتعلم ، والترك داعية النسيان والهجر وسيلة السلوان ، على ان من يتكلف الخير رياء ، اقرب الى الخير والكمال ممن يعمل السوء جهارا ، وقد قالوا الرياء قنطرة الاخلاص

اراني أطلت عليكم في مسألة واحدة ما كنت اريد الاطالة فيها، كيلا يفوتني القصد فيما يبنى عليها ، وهو ما ينبغي ان تحثوا الناس عليه ، وترغبوهم فيه ، واني اذكر منه ما يخطر ببالي من المهمات

اول ما تعنون به الترغيب في العلم في المكاتب والمدارس الرسمية والدينية الاهلية على حسب الرغبة والميل وتيسر الاسباب

لا حديث كحديث العلم والتعليم يجب التوسع فيه ، والتبسط في ارجائه ومناحيه ، فبينوا للامة فوائد التعليم الاهلي الوطني واقنعوهم بان ترقي الامة لا يكون الا به ، ورغبوهم ايضا في مكاتب الحكومة ، و بينوا لهم كيف يتوقف ترقي الدولة على نابغي

المتخرجين في مكاتبها الملكية والعسكرية والعلمية والقضائية وكيف تتزاحم العناصر العثمانية فيها لان هذا العصر هو عصر المباراة بين العناصر

من فروع احاديث العلم او اصوله مسألة اللغة فبينوا للامة وجه الحاجة الى اتقانها لغتها ، وجعلها هي القطب لترقيها في نفسها ، و بينوا لها وجه توقف ترقية الدولة على اتقان لغتيها : لغتها الرسمية المنسوبة الى مؤسسها وهي العثمانية ، ولغتها الدينية من حيث هي اكبر دول الاسلام وهي العربية ، التي تستمد منها الدولة علوم الدين والادب والقضاء

ويحسن الانتقال من الترغيب في التعليم العسكري الى الترغيب في الجندية نفسها ، حببوا هذه الخدمة الجليلة للامة ، بينوا لها الفرق العظيم بين الجندي البائس الحقير الجائع العاري الحافي في زمن عبد الحميد ، و بين الجندي العزيز الكريم الشبعان الكاسي الذي خصص له في ميزانية الحكومة الدستورية اكثر من اربعة آلاف قرش في السنة ليبين كل من العرب والارنؤود لأهل بلادهم انه لا يليق بهم أن يكونوا أشد العناصر تقصيرا في هذه الخدمة الشريفة من حيث هم اجدر العناصر بالسبق اليها والتبريز فيها لما هم عليه من الشجاعة والحمية والاقدام

اخبروا أهل كل مدينة وكل قرية وكل حلة وكل دار تحلون فيها عن همة ابناء وطننا الارمن أنهم يمرنون جميع اولادهم في جميع مكاتبهم ومدارسهم على التعليم العسكري بلغتهم فسيكون جميع افراد هذا الجيل الجديد من الارمن جنودا سواء منهم الغني والفقير والرفيع والوضيع ، يقولون من دخل من أبنائنا في جندية الدولة كان متعلما متمرنا لا يلقى تحكما ولا اهانة بل يكون سابقا مقدما سريع الترقي ومن لم يدخل منهم لا يضره هذا التعليم الذي يروض بدنه ويعلي همته ويزيد نشاطه وقد يفيد في يوم ما ، فاذا رضي بعض قومكم بأن لا يكون للتعليم الاهلي عين في بلادهم ، ولا أثر بعد العلم بأن التعليم عام في الارمن شامل لجميع ذكرانهم وإناثهم ، فهل يرضون ايضا ان يسبقوهم في ميدان الشجاعة والاقدام ، كما سبقوهم في حلبة العلم والعرفان ، ان كانت قد مرضت عقولهم ولقست نفوسهم حتى رضوا بالاولى فهل خمدت حميتهم وتضاءلت شجاعتهم فيرضوا بالاخرى ؟ ؟ هذا ما لا يعترفون به ابدا بل لا يعترفون بالاولى أيضا وانما يعتذرون عنها فطالبوهم بازالة العذر بالقول والعمل ،

من هذا الباب ادخلوا على قلوبهم ، من هذه النافذة أشرفوا على خفايا الغيرة من زوايا سرائرهم ، بهذا الاسلوب من القول حركوا سواكن النجدة والحمية من نفوسهم ، ثم أقنعوهم بأن الإحصاء الدقيق لنفوسهم هو الوسيلة الاولى من وسائل الخدمة العسكرية الشريفة ، وان للاحصاء فوائد اخرى اهمها تكثير عدد المبعوثين

على ذكر المبعوثين أقول انني اعلم انه لا بد لكم من الخوض في أمر المبعوثين وأعلم ان كثيرا منكم يغلون او يفرقون في نقدهم فأوصيكم في هذا المقام بثلاث (١) ان يكون جل كلامكم في ذلك عليا كبيان معنى الحكومة النيابية ، وما ينبغي ان يكون عليه النواب (المبعوثون) من العلم بالمصالح العامة ومن الصفات والاخلاق كاستقلال الرأي والاخلاص والشجاعة وحسن البيان وقوة العارضة وما يترتب على ذلك من ترقية الامة وعمران بلادها ومن اصلاح حال الدولة ورفعة شأنها ، فالبحث في هذا هو الذي يعد الامة الى حسن الاختيار في الانتخاب الآتي (٢) ان تذكروا المحسن من المبعوثين باحسانه والهمام بهمته لتعرف الامة قدره وتكرمه فيكون الشكر مدعاة المزيد من حسن خدمته والارتقاء فيها ، وما وجب شكر المحسن في الشرع وحسن في نظر العقل الا ليكون مدعاة المزيد من الاحسان ، وليكون ذلك رافعا لهمة المستعد الخامل وشجاعة الجبان المتواكل ، — (٣) ان تتنزهوا عن الطعن في الضعفاء العاجزين والذين رضوا أن يكونوا من غيرهم كقدح الراكب ، اوصدى الناعب ، وحسبكم ان تكونوا ادباء نزهاء غير غاشين ولا مخادعين ، وان تتحاموا بذلك اخراج الاضغان ، وتأريث العداوة والبغضاء ، انظروا الى الحسن وكبروه واعلوا شأنه وغضوا ابصاركم عن القبيح وادفنوه بالإعراض عنه والاهمال له

ما وصلت الى هذا الرجا من ارجاء القول الا ورأيتني امام ميدان واسع لا يأذن لي مابقي من المقال بالايجاف والايضاع فيه ، رأيتني امام مسألة مقاومة الجامدين والغافلين من الامة لاصلاح المصلحين وتنفير العامة عنهم ليحبط عملهم أو يبطئ نموه فتتأخر ثمراته ، هذا مرض من اعضل امراض هذه الامة قد قوى في هذا العصر باختلاف طرق التربية واساليب التعليم وقد اشرنا الى هذا في أوائل المقال فعليكم أيها الشبان العقلاء ان تتبعوا في علاجه طريق التحصيل المنطقية في تمييز

الضروب المنتجة من الضروب العقيمة دون طريق الاسقاط ، عليكم ان تعظموا شأن الاصلاح والمصلحين ولا تذكروا خصومهم بسوء ، عليكم بيان الحق للامة فمتى بان وظهر زهق الباطل وان لم تحاربوا أهله جهارا ، عليكم ان تكبروا قيمة حرية الفكر واستقلال الرأي ، وان تدعوا المخالفين الى المناظرة الادبية بالكتاب ، دون السعاية والاغتياب، والتنابز بالالقاب ، فمن اعرض عن ذلك ظهر عجزه ، وبطل كيده وسحره ، « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين »

لاترضوا بالترفع عما يزيد الشقاق في الامة بل وجهوا عنايتكم للتأليف بين العناصر المختلفة ، والاديان والمذاهب المتعددة ، اجمعوا ولا تفرقوا ، بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا ، ان يد الله على الجماعة ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، بذلك يقوى استعداد الامة للاصلاح القريب ، والعاقبة للمتقين

عليكم أن تحثوا الامة على النشاط في الكسب ، رغبوها في ترقية الزراعة وفي الاستعانة على ذلك بتعلم طرقها الحديثة في مدارس الحكومة ، رغبوها في إحياء الصناعة الوطنية والاستزادة منها، استعملوا المصنوعات الوطنية ورغبوا الاغنياء والحكام في استعمالها فان هذه هي الطريقة المثلى لرواجها ، رغبوا اهل الوطن في الاشتراك المالي في الزراعة والصناعة والتجارة فان هذا أقرب طرق الالفة والاتحاد

وأخص طلاب العلوم الدينية بأن يترفعوا عن الظهور بمظهر الفاقة ، أو يرضوا لانفسهم بشيء من المهانة ، أذكرهم بأنهم أجدر الناس بعزة النفس وكرامتها ، والزهد فيما في أيديهم من حطامها ، فعليهم ان يكونوا قدوة في أخلاقهم وفضائلهم ، لتقبل اقوالهم في الحث على الفضيلة والتقوى ، علموا الناس السنة ، نفروهم من البدعة، فكل حديث في الدين بدعة سيئة ، واما الابتداع في أمور الدنيا فتعتريه الاحكام الخمسة ، ابنوا وعظكم دائما علي آيات القرآن ، وأمزجوه بالاحاديث الصحيحة مع عزوها الى مخرجيها ، قاوموا دجل الدجالين ، واجمعوا بين مصالح الدنيا وحكمة الدين ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين »

البهتان العظيم

كنت سامرا مع ناظر الداخلية بداره في اوائل المحرم فذكرنا سوء التفاهم بين العرب والترك فذكر أن عبيدالله افندي مبعوث آيدين شينشيء جريدة عربية في العاصمة لاجل هذه المسألة وفهمت منه ان ذلك برأي الحكومة ومساعدتها فقلت يخشى ان تزيد هذه الجريدة في سوء التفاهم فان مديرها مشهور بالتعصب على العرب فلا يثقون بقوله ولا بنيته فهلا اخترتم لهذا العمل غيره · قال الناظر انه يظهر لنا انه محب للعرب غال فيهم ولعلكم سمعتم ماذكرتم عنه من بعض مناظريه من مبعوثي العرب ،قلت لا وإنما انا أعرفه بنفسي فانه كان بمصر وكان يصرح في المحافل العامة بما يستنكره العرب وبأنه ينبغي للترك ان يستغنوا عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بأن يترجموه بلغتهم وقد جرت بيني وبينه مناظرة في ذلك · قال الناظر اما الاستغناء عن القرآن العربي بترجمته فلا أوافقه عليها ولكنني أعرفه محبا للعرب

وفي ذلك الشهر نفسه اصدر عبيدالله افندي جريدته وكان من أمرها ماعرف الخاص والعام فقد قامت عليها قيامة الجرائد العربية في مصر وولايات سورية كلها وفي أمريكة تفضح مقاصد صاحبها وفي إلقاء الشقاق والبغضاء والتعصب الذميم الجنسي والديني بين العرب وشكوه الى الحكومة وطعنوا في الحكومة ولاسيما نظارة الداخلية لما شاع وذاع من مساعدتها له وصار يضرب باسمه المثل في التفريق والافساد بين جميع الناطقين بالضاد ، ونحمد الله أن جاء ماسعى اليه في جريدته من إثارة الفتن بين المسلمين والنصارى في بيروت وسائر البلاد السورية بضد ماسعى اليه فقد تمكنت الالفة والوحدة الوطنية بين الفريقين واتفقت جرائدهما على ذلك

من غرائب هذا الرجل انه يجمع في جريدته بين الاضداد والنقائض فيمدح الشيء ويذمه مطلقا ويثبت الشيء وينفيه كذلك ، ويحث على الامر وينفر عنه فاذا اعترض عليه في بعض ما يكتبه أمكنه أن يدعي لنفسه الطرف الآخر ويستدل عليه ببعض ما كتبه فهو في مشربه وحاله وعقله واخلاقه ليس اهلا لان يناظر أو

يجادل وانما اهتمت الجرائد العربية بشأنه لاعتقادها ان الحكومة هي التي دفعته الى هذا العمل ولاجل أن تتخذ فتنته ذريعة لجمع الكلمة بين أبناء الوطن العربي لمقاومة من اتفقوا على انه عدو لكل عربي

ومن غريب امره انه لا يستحي من مكابرة الحس، واعطاء الضد حكم الضد ، فهو يصرح بأن العرب كلهم مسلمون وانه لا يعقل هو ولا أحد من الترك انه يوجد في العرب نصراني • ومثل هذا في المكابرة ما بهتني به ويا له من بهتان عظيم قلما يوجد في المخلوقين بشكل الانسان من يرضى لنفسه التصريح بمثله وهو بهت الانسان جهرا في كتابة تطبع وتنشر بضد ما هو مشهور به وتحريف كلامه المعروف عندهم والاصرار على ذلك بعد انكار الجماهير عليه في الاقطار المتفرقة والبلاد الكثيرة

أحمد الله تعالى أن عرف لي كل من يعرفني اخلاصي في الدعوة الى الوفاق والاتحاد بين المتفرقين في الاديان والمذاهب والاجناس والمشارب ، فكم دعوت المسلمين الى الاتفاق مع من يعيش معهم في كل قطر ومملكة وكم دعوت العثمانيين خاصة الى الاتحاد وكم سعيت في هذه السبيل . ولما حدث ما حدث بعد الدستور من سوء التفاهم بين العرب والترك سعيت الى تلافي ذلك بالقول والكتابة والسعي عند أولي الامر في العاصمة لكن لم يظهر لي أحد من أولي الامر العناية بما سعيت اليه الا حسين حلمي باشا في وزارته ولكن سر به كثيرون من الفضلاء . وكنت نشرت عدة مقالات في ذلك بجرائد العاصمة التركية والعربية قبل ظهور جريدة الحضارة وعدة مقالات في هذه الجريدة

حدق عبيدالله نظره في هذه المقالات ودقق النظر ليجد فيها عبارة تقبل التحريف بمراد ظاهر ليجعله تكأة له في هجوي وذمي والتنفير عني وعن مشروعي فلم يجد فعمد الى البهتان المبين فنقل من إحدى مقالاتي في جريدة الحضارة جملا محكية عن ساسة أوربا الذين يريدون القضاء على هذه الدولة بتفريق عناصرها مع الرد على أولئك الساسة وتحذير العثمانيين من الاصغاء اليهم وحثهم بالبراهين على الاتحاد الذي فيه خيرهم اجمعين . فزعم أولا انني كتبت تلك العبارة عن لسان الاوربيين لاجل تفريق العثمانيين وانه لايوجد في الاوربيين من يغرينا بالتفرق وانما هم يدعوننا

الى الوفاق !! ثم سكت مدة وصار ينقل تلك العبارة ويعزوها الي مباشرة وترجمها الى التركية غير مرة لينفر اخواني الترك مني ، ولم يخجل من ادعائه انني انا الذي أقول تلك الاقوال وأدعو العثمانيين الى التفرق والانفصال ،فمثله كمثل من يعمد الى مثل قوله تعالى « وقالوا إن هذا إلا إفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون » الآية وقوله « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » فحذف من الآيتين لفظ « قالوا » وزعم ان القرآن يطعن في القرآن وفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «سبحانك هذا بهتان عظيم »وقد روينا في الصحيحين والسنن ان النبي (ص) قال « انما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت »

أنكر علي عبيد الله أولا ان في الاوربيين من يرى في ترويج سياسته تفريق العثمانيين بعضهم من بعض ولا سيما الترك والعرب ، أنكر ذلك وهو يعرفه كما هي عادته وفي كلامه مايشعر به بل صرح به في العدد الاخير من جريدته الذي أعلن فيه إيقاف إصدارها الآن ولكن الغافلين من قرائها الذين ينسون عند قراءة كل عدد ما كتب في غيره بل عند كل جملة مايناقضها من الجمل قبلها قد يصدقونه فيما يبهتني به ومن الاخلاق التي رسخت في هذه العاصمة وفي رجال هذه الحكومة خلق التسليم والتصديق بالشر والارتياب في الخير طبع هذا الخلق في نفوس الكثيرين منهم العهد الحميدي الذي لم يكن لهم فيه من شاغل الا الوسوسة والتجسس والاتهام بالشر

هذا وانا نحن الذين عشنا في شر أيام العهد الحميدي في مصر بعيدين عن استبداده وعن وساوسه أعرف بسياسته من الذين عاشوا فيه واعرف بسياسة أوربا أيضا وقد اشرت في مقالات (العرب والترك) الى بعض سعي الافرنج من استقلال العرب وعبيدالله يعرف شيئا من هذا ولكنه يتعمد كتم الحق واظهار الباطل لما له من الهوى في ذلك .ويمكنني ان انقل كلمة وجيزة في هذا الباب من الكتاب المسمى (الدول المعظمة امام الانقلاب العربي) الذي ألفه اوجين جونغ الذي كان واليا لفرنسا في الهند الصينية وهي قوله في ص ٢٢٨ ماترجمته :

«ان العناصر التي تتكون منها الدولة العثمانية وهي الالبان والمكدونيون في أوربا والروم في جزائر الارخبيل والارمن والاكراد والعرب في آسيا كلها اصبحت منذ

زمن تتحرى طريق الانفصال من هذه الشجرة التي تنخرها دود الفساد فلو نظرنا الى كل من هذه العناصر نجد العنصر التركي أدناها (ادونها) الا ان السبب الذي ساعده على استبقاء نيره على عاتق هذه العناصر الى اليوم انما هي معونة العنصر العربي له الذي هو في نفسه اكثر عددا من جميع تلك العناصر وفي جملتها العنصر التركي وما وفق الترك الى ضمان اخلاص العرب لهم وارتباطهم بهم على كونهم يظلمونهم كسائر العناصر الا باستنجادهم الديني لشعورهم الديني وجعل المصلحة التركية عين المصلحة الاسلامية

« فالعرب اليوم قد شعروا بوجودهم وصاروا يأنفون أن يخدعوا بعد ذلك وأن يحافظوا على سلاسل اسرهم وأغلال استعبادهم ـ فيكفي ان يمد العرب إمدادا قليلا حتى تتهدم الدولة العثمانية من نفسها كما ينهدم القصر المبين من ورق اللعب » اه

فهذه كلمة وجيزة من أحد الكتب الكثيرة التي ألفها الاوربيون لاغراء أوربا بفصل العرب من الترك واسقاط هذه الدولة لا سمح الله وقد صدق في قوله ان العرب مخاصون لهذه الدولة ولاخوتهم الترك وان سبب ذلك الاسلام وكذب ايهامه لقومه اننا تحولنا عن اخلاصنا . ولكن اذا بقيت جريدة عبيد الله تنفث سموم التفريق والافساد حتى أنست العرب ما كتبته اقدام وغيرها من قبل ولم تتدارك هذه الحكومة ذلك وسائر ما نصحنا لها بتداركه فلا يعلم الا الله مصير الامور . ونحن قد نصحنا قومنا ونصحنا حكومتنا كما امرنا نبينا (ص) بقوله « الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم

(الاغلاط التي وقعت في الجزء السادس من هذا المجلد وصوابها)

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠١	٩	غيره	غيرهم	٤٠٩	١٦	وليس	ليس
٤٠٢	٥	من	في	٤١٦	٢٣	بينا	بينهما
«	٩	ومن قوله	و« من » في قوله	٤١٩	١٣	عند الامم	كان معروفا عند الامم
٤٠٤	٩	انه أسلم	انه اذا أسلم	٤٢٣	٧	الخبرة	الخيرية
٤٠٥	٣٣	غوضا	عوضا	٤٤٤	٣	الاذكياء بالجم الالباء	الاذكياء الالباء بالجم
٤٠٧	٨	الجنس	الجنسين				

الفصل الثالث والعشرون (*)

﴿ اعلان الدعوة ، واحتمال الاذى ، والثبات ﴾

لم تقف فضائل السيدة « خديجة » عند ما ذكرناه الى الآن من سيرتها بل هي كالينابيع الثرور لا تغيض . والآن يشرف القارئ معنا على مجلى من اعظم المجالي لفضائل هذه السيدة الجليلة . جاء الآن دور الثبات في سبيل الحق ، وهذا الثبات لا نجده في كل عصر الا في صحائف أفراد ندرتهم بين بني آدم أعظم من ندرة الياقوت بين الحجارة ، وكثرة فوائدهم أعظم من قطرات الغيث

لقد مر على بني آدم ألوف من الاعوام وفي كل عصر وجد منهم ألوف الالوف ومن كل هذا العدد العظيم لا نعرف مئة ثبتن في سبيل الحق مع شدة المعارضة ثبات « خديجة » أما ثبات بعلها الكريم فلا ينبغي أن نقيس به بعد ما قدمناه ثبات أحد فانا قد وصلنا في الفصول السابقة الى بيان أنه مؤيد أعظم تأييد ، وأنه سمع الوحي الإلهي آمرا اياه أن يقوم بأعباء الرسالة والتبليغ ، فأصبح الفرق بينه وبين غيره عظيما جدا منذ أتاه هذا الوحي . وعندنا معشر المؤمنين به أنه هو المختار الاعظم ، والمصطفى الاكبر، فلذلك لا نرى ثباته في سبيل الحق يعادله أو يقاس به ثبات ظل هذا المختار ثلاث سنين يدعو سرًّا ثم أمر أن يجهر بالامر فلم

(*) تابع للنشر في (ص ٤٧٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

يجد الى جانبه زوجة تثبط وتخوف أو يضعف قلبها فتؤثر الراحة وطمأنينة البيت على النصب واحتمال الاذى بل وجد قرينة صالحة القلب للوقوف معه بالصبر والسكينة أمام المعارضين والمعارضات وما أشد ما كان أمام هذا الداعي الى غير ما عرف القوم وما أحوج هذه الحالة الى قلوب كلما كبر المعاندون كيدا تقول « الله اكبر » ؟!

الله اكبر ، كان المعاندون افرادا وجماعات قد امتلكت الانفة والعزة نفوسهم ، واجتذبت قلوبهم ، وامتصت من أفئدتهم النداوة فأصبحت نسمات الهدى تزعجها ، وحرارة الانذار تكاد تحرقها ،

قريش وما قريش ؟! قبيلة ترى لنفسها السبق بكل فضيلة والشرف على كل فصيلة ، لها انوف شامخة كأنها تطاول السماء ، وأعناق متلعة كأنها تتصيد كل علياء ، تعادّ كل قوم بالنجباء فتكثرهم ، وتفاخر من تشاء بالعظماء فتفخرهم ، مثلها بين القبائل كالشمس مكانة ، وكالروضة نضرة وعبيرا

هذه القبيلة التي حالها ما وصفنا من قوة الشكيمة وشدة الاباء ومزيد التعالي كانت قد أصيبت من الاقتداء بمضرته اذ كانت بعض العقائد التي صادفتها في موردها ومصدرها في البلاد المجاورة قد التصقت بعقولها حتى أصبحت ترى التصدي لاقتلاعها منها اعتداء على حقوقها ، وانتهاكا لحرماتها

هذه القبيلة كان لها من نور الذكاء ما يبهر الناظرين ولكن قد تراكمت على افكارها سحائب من آثار التقليد حالت بين ذكائها وبين الحقائق العالية حتى رأيناها تدرج مع البلداء في مدرج واحد من تأليه صور صماء عمياء بكماء جامدة قد صنعتها الأيدي فقامت تحسب أن هذه الصور تضر وتنفع ، وتجلب وتدفع ، وتقرب الى الخالق الأعظم وتشفع ،

وراحت تعلن أن لهذه الصور مجدا ، وتستحق شكرا وحمدا ، وظلت تصنع لها ما تصنع الامم لآلهتها من ذبح القرابين ، ونذر النذور ، وتوجه القلوب ، وإخبات الصدور ، وتعلق القلوب

نعم ساورت تلك العقائد قلوبها حتى صارت الانفس فيها لا تنبسط لشيء انبساطها لتمجيد تلك الآلهة ولا تنقبض لشيء انقباضها للطعن فيها أو النقص من تكريمها

هذه حال القوم الذين أمر هذا الرسول أن يقوم فيهم منذرا وداعيا الى معرفة الله تعالى وتوحيده ، وكانت قريش تعرف هذا الاسم الجليل الدال في هذه اللغة على واجب الوجود موجد السموات والارض ولكن لم تكن تعرف ما ينبغي أن يكون عليه جلال الذي يعبر عنه بهذه الكلمة من الكمال والبعد عن مشابهة الحوادث ، وقد جرها الجهل بالله تعالى وسننه وآياته الى ما جر كثيرا من الامم اليه من جهل كثير من الحقائق. واني ما أشبه نتائج الجهل به عز وجل الا بسلسلة طويلة يستدرج بها ذلك الجاهل الى أسوإ النهايات اذا لم تتداركه الاسباب من عناية الرءوف الرحيم جلت آلاؤه ، وتعالت أسماؤه

ولقد كاد حظ قريش من هذه السلسلة ـ سلسلة الجهل ـ يصل بها الى مستقر لا تغنيها فيه الرفعة على أمثالها ممن ضرب الجهل خيامه عند خيامهم ، ولا تجديها القوة اليسيرة التي كانت تجدها في اجتماعها ذلك . كاد الاتكال على الاصنام يعفي كل آثار الفطرة منها ، ويطمس كل رسوم الذكاء ، ويذهب بما تركه فيها من المحاسين بعض فضلاء الاسلاف قبل عهدهم بهذه الآلهة التي فتنوا بها . أصبحت لا تعي ما هو فضل الله ، وما هي

رحمة الله، وما هي عناية الله ، وغدت بعيدة عن معرفة ماهو الروح، وما هي خصائص الروح، وما هي عبادة الروح للاحد المحيط بكل شيء ، وراحت معرضة عن العلم بمراقي الامم واتساع دائرتها،وعن معرفة وظيفتها من تتميم ارادة الفاطر باظهار البدائع على يدها،وظهور آلائه وآثار عنايته عليها ، وأصبح قصارى مايجول بفكر الواحد من هؤلاء القوم أحد شيئين يشيلان في ميزان العقلاء :شيء يرضي به وهمه في التزلف الى تلك الحجارة التي اتخذها آلهة ، وشيء يرضي به وهمه في الكبرياء ، ولم يدر مغرورهم أن التزلف الى تلك الحجارة وأمثالها هو منتهى التسفل العقلي ، وأن تلك الكبرياء ،لاتجديهم شيئا اذا دهمهم داهم خارجي، كما وقع لهم يوم «أبرهة»

هذه السلسلة الطويلة من نتائج الجهل بالله تعالى وسننه وآياته اصبحت قيدا لمداركهم قد أحكمت حلقاته فهم لا يستطيعون مادام موجودا أن يبرحوا ماهم فيه لان جاذبا منه يجذبهم من حيث لايرونه كلما تحركوا

هذه هي السلسلة التي اقتضت عناية البارئ أن تظهر آية عظيمة في قدها وتخليص تلك الفطر من قيدها ، واقتضت الحكمة البالغة والتدبير الاسمى أن يكون ذلك بواسطة من انفسهم ، وأن نجري الهداية على سننها في الاولين فيلاقي الواسطة مايلاقي ، ويصبر مايصبر ، ويتم الله مايريد . ولذلك لما قام هذا المصطفى يعلن هذه الدعوة : لقي تلك الصوادم وماتلك الصوادم؟ جهل وغرور، وكبرياء وعتو، وقسوة وفظاظة، وتعصب للمألوف، ونفرة من الوعظ والنصح، واباء أمام الانذار، وطغيان وبهتان وعدوان، واقدام على قتل الذي يذكر آلهتهم بما يكرهون

أي قلب لولا التأييد الرباني يجد الى الصبر سبيلا أمام هذه الصوادم،

وأي ناصية لولا العون الرحماني تظهر للقاء هذه الصوادم ، وأي امرأة غير «خديجة» ترى بعلها في جوف هذه الغوائل ثم لاتزيده الا حمدا على القيام بوظيفته وايناسا بوقوفها معه في وجه كل خصم لدود

أوذي (عليه صلوات الله وتسليماته) بأنواع الاذى لما أسمعهم الدعوة، تكاثر المفتاتون عليه والمفترون ، وظاهر سوادهم الجاحدون والممترون ، من اقرب اقربائه ظهر الجافون المتباعدون عنه، والهازئون به والساخرون منه ، دع عنك البعداء ، ومن اكل قلبهم حسد أو بغضاء ، قال المفترون هو يطلب الملك علينا ، وقالوا عن الوحي الالهي هو شعر جاء به الينا، وقد حشروا ماعرفوه من العيوب وأرادوا عزوها اليه لينفروا الناس منه وينتقموا لآلهتهم التي بدههم بجحودها، وكشف لهم عوار جودها، وأيسر مافعلوه سبهم اياه والهزء به والافتراء عليه ومجافاته ثم مجافاة من لم يجافه

فعلوا كل هذا وهو متدرع بالصبر ، مثابر على الصدع بالامر ، وفي هذا كانت معه هذه الدرجة الشريفة الفاضلة تعلم محبي الحق كيف يكون الصبر من أجله ، وتهدي الى الاجيال الآتية اجل صورة لثبات الجأش أمام الصعوبات

وياما أحلى الصبر اذا كانت عاقبته كعاقبة صبر هذا الرسول الكريم فقد كانت العقبى ذلك الفوز العظيم الذي يقل في الدنيا من لم يسمع خبره ولنعم عقبى الصابرين

— خلاصة الدعوة —

أما الدعوة الشريفة التي أعلنها فهذه أصولها :

(١) العلم بأن لاشيء يستحق التأليه الا الله الخلاق العظيم الذي

لايشبه الحوادث ولا يشبهه شيء منها

(٢) العلم بأن هذا البارئ المصور ذو عناية خاصة بالنوع الانساني ومن عنايته به اتحافه بصنوف الهدايات ومنها الهداية بواسطة وحي أعلى للرسل المصطفين

(٣) العلم بأن هذا الداعي الجديد الى الله هو رسول مصطفى قد أرسله الله بدين يدعو الى السعادة في هذه الحياة وحياة أخرى يوم الجزاء

(٤) العلم بان الايمان بهذا الرسول يقتضي الاذعان والتسليم الى كل ماجاء به

هذه أصول الدعوة التي كان مأمورا أن يبدأ بها الناس وهي ملخصة بهاتين الجملتين الشريفتين «لا إله الا الله محمد رسول الله» فمن قالهما مطمئنا بهما قلبه دخل تحت اللواء المحمود لواء المحمدية الذي يظل مئات الملايين في يومنا هذا

والرسالة المحمدية لم تكن لقريش ولا للعرب خاصة بل هي للناس كافة ولكن البدء بالعشيرة الاقربين كان هو الذي تقتضيه الحكمة حتى اذا أجابوا كانوا عونا للدعوة لا عونا عليها

الفصل الرابع والعشرون

﴿ بعد عشر سنين ﴾

بعد عشر سنين من عهد الرسالة كان المؤمنون قد كثروا واخذ العناد من الخصوم يزيد، وجمل الحسد يلتهب في قلوبهم لهذا النجاح الذي كانوا يحسبونه محالا وكم يحسب أمثالهم مثل هذا الحسبان

كان الجاحدون في نار من ذلك الحسد، والمؤمنون في جنة من الفرح بنعمة الله ورحمته، كان الجاحدون يفكرون كيف يزهقون هذا الروح الجديد، والمؤمنون ينتظرون من مولاهم اعلاء شأنه، كان الجاحدون حيارى في هذا الداعي فطورا يسبونه وطورا يهزأون به، وأحيانا يرجعون الى أنفسهم ويحاسبون حسهم وعقلهم فيه فيجدونه بعيدا عن المين وسائر المظان التي كانوا يظنون، وكان المؤمنون من يقينهم في حظ عظيم من الطمأنينة وانشراح الصدر وفرح الضمير. كان الجاحدون يرجعون الى تلك الحجارة فيشكون اليها المحمديين وما أتوه من مخالفة قومهم وتأييد ذلك الرجل الذي لا يذكر آلهتهم الا بسوء، وكان المؤمنون يرجعون الى من لا تدركه الابصار متوجهة اليه وجوههم، مسلمة اليه قلوبهم لا يتوكلون الا عليه ولا يأخذون الا بسننه. كان الجاحدون عكوفا حول تلك الاصنام الجامدة، وكان المؤمنون يقولون سبحان الله سبحان الله عما يصفون، تعالى الله علوا كبيرا. كان الجاحدون كثيري الغم والهم، وكان المؤمنون مع شدة ما لاقوه من الاذى فرحين مستبشرين قد أبدل الله لهم مرارة الصبر حلاوة، وذلة القلة عزة،

وفي أواخر تلك السنين العشر الشداد كان على سرير الاحتضار شخص عزيز جدا عند المؤمنين ولم يشمت الجاحدين في تلك الايام شيء مثل مغادرة هذا الشخص لذلك العالم الاسلامي الذي نشأ وترعرع بينهم بالرغم منهم

كان في هذا الشخص العزيز روح ترفرف في هذا المحيط الصغير، تارة ترفع البصر الى مقرها الاقدس عند المحيط الاعظم فتحاول الطيران اليه، وتارة تلقي به على هذا المحيط الذي أنست به فتظل مرفرفة عليه، وجانحة

الى المكوف لديه ، وكان جاذب من قلوب هذا العالم الاسلامي يتمنى بقاءه ، وجاذب من امر الله وسنته يقضي بطيرانه ، وأمر الله أعلى واليه المصير

هل عرف القارئ من هذا المودع العزيز ذلك كان شبح سيدتنا « خديجة » فقف أيها القلم خاشعا ، لقد ماتت من تركت للفضائل حياة لا تفنى ، لقد انتهى هذا العمر الذي أمدك بهذه المواد السامية ، ولن تجد لك أيها القلم شرفا بعد هذه السيرة الا اذا سرت بنقل التاريخ المحمدي

***

سبحان رب الكون هذا حكمه ... في الروح قد سيمت بهذا الواقع
مرآتها هذا الشخوص بها ترى ... زمنا وترجع للمحيط الواسع

لقد مرت روح سيدتنا « خديجة » بهذه الدار فرأينا منها ما نقلناه للقارئ والآن هي لدى المحيط الواسع فهل تجلى اليوم على هذا العالم الذي مرت به وترى أن تلك الكامة التي قاست في سبيلها مع بعلها الكريم ما قاست قد أعلاها الله تعالى وعظم شأنها ونصرها العرب وغير العرب وأصبحت برور الارض وبحورها مملوءة كل هذه العصور الى يومنا هذا بمن يقول من جميع اجناس البشر « لا اله الا الله محمد رسول الله »

وقد ولدت سيدتنا « خديجة » من زوجها الكريم بنين وبنات وبقيت لها من بنتها السيدة « فاطمة الزهراء » ذرية مباركة في أكثر أقاليم الارض والحمد لله ولكن هل تجلى اليوم تلك الروح الشريفة وترى أن كل المؤمنين يعدون اليوم أولادها . فالسلام عليك يا أم المؤمنين ، سلام الله ورحمته وتحياته على روحك الطاهرة يا أماه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ السبت سلخ شعبان ١٣٢٨ – ٣ ستمبر (ايلول) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٩ : ٤٤) إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠ : ٤٥) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلاءِ شَهِيدًا (٤١ : ٥٦) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا

قال البقاعي في نظم الدرر مبينا وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها : ولما فرغ من توبيخهم قال معللا له « ان الله » الخ وقال الرازي اعلم ان تعلق هذه الآية بقوله

تعالى « وماذا عليهم لو آمنوا » الخ فكأنه قال فان الله لا يظلم من هذه حاله مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فرغب بذلك في الايمان والطاعة اه

وقال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : بعد ما بين تعالى صفات المتكبرين وسوء حالهم وتوعدهم على ذلك اراد ان يزيد الامر تأكيدا ووعيدا فبين انه لا يظلم احدا من العاملين بتلك الوصايا قليلا أو كثيرا بل يوفيه حقه بالقسطاس المستقيم ، فالآية تتميم لموضوع الاوامر السابقة وترغيب للعاملين في الخير كما قال في سورة الزلزلة « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » الخ فمن سمع هذه الآية تعظم رغبته في الخير ورجاؤه في الله تعالى

وللعابثين بالكتاب و بعقائد الناس كلام في الآية أقاموه على اساس مذاهبهم فمن ذلك قول المعتزلة انه يجوز الظلم على الله تعالى (عقلا) لأنه لو لم يكن جائزا لما تمدح بنفيه ورد عليهم الآخرون بانه تعالى نفى عن نفسه السنة والنوم وانتم متفقون معنا على استحالة ذلك عليه فردوا عليهم بأن نفي الظلم كلام في أفعاله ونفي النوم كلام في صفاته وفرق بينهما — وهذا كله من الجدل الباطل والهذيان ، وادخال الفلسفة من الدين بغير عقل ولا بيان ، ومثله قول بعض المنتمين الى السنة بجواز تخلف الوعيد ولا يعد ذلك ظلما لان الظلم لا يتصور منه تعالى و بلغ بهم الجهل من تأييد هذا الرأي الى تجويز الكذب على الله تعالى وجعلوا هذا نصرا للسنة . والذي قذف بهؤلاء في هذه المهاوي هو الجدل والمراء لتأييد المذاهب التي التزموها والتزام كل فريق تفنيد الآخر وإظهار خطإه لا طلب الحق أينما ظهر . ولهم مثل هذه الجهالات الكثير البعيد عن كتاب الله ودينه كقول المعتزلة : ان بعض الاشياء حسن لذاته و بعضها قبيح لذاته ويجب على الله تعالى ان يفعل الاصلح من الامرين الجائزين وكقول بعض من لم يفهم مسألة أفعال العباد بما يدل على جواز العبث على الله تعالى وكل هذا جهل

والذي يفهم من الآية ان هناك حقيقة ثابتة في نفسها وهي الظلم وان هذا لا يقع من الله تعالى لأنه من النقص الذي يتنزه عنه وهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم وقد خلق للناس مشاعر يدركون بها وعقولا يهتدون بها الى ما لا يدركه

الحس ، وشرع لهم من أحكام الدين وآدابه ما لا تستقل عقولهم بالوصول الى مثله في هدايتهم وحفظ مصالحهم وجعل فوائد الدين وآدابه سائقة الى الخير صارفة عن الشر لتأييدها بالوعد والوعيد فمن وقع بعد ذلك فيما يضره و يؤذيه وتترتب عليه عقوبته كان هو الظالم لنفسه لان الله لا يظلم أحدا

ونفي الظلم ههنا على اطلاقه يشمل المؤمن والكافر والذرة فيه عبارة عن منتهى الصغر في الاجسام وقيل الذر الهباء وقيل النمل الصغير أو الذرة رأس النملة الصغيرة . واظهر من هذه الآية في العموم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » الخ وقد قدر مفسرنا (الجلال) في الآية هنا (احدا) للاشارة الى العموم . ولكن ورد في الكافرين ما يدل على انه لا أثر لعملهم في الآخرة كقوله « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » وقوله في عملهم « فجعلناه هباء منثورا » وقد قال بعضهم في الجمع ان الله يجازيهم على أعمالهم في الدنيا وهذا تأويل لا يأتي في سورة الزلزلة لان الكلام فيها خاص بيوم القيامة . وقال بعضهم غير ذلك كل يحمل الآية على مذهبه كما هي عادة المقلدين في جعل مذاهبهم أصلا والقرآن العزيز فرعا يحمل عليها ولو بالتأويل السقيم والتحريف البعيد

(قال) ومن العجب أن يقول قائل بهذه التأويلات وقد ورد في الاحاديث المسلمة عند قائليها ان بعض المشركين يخفف عنه العذاب بعمل له : حاتم بكرمه وأبو طالب بكفالته النبي ونصره إياه — بل ورد حديث بالتخفيف عن ابي لهب لعتقه ثويبة حين بشر بالنبي (ص) هذا وابو لهب هو الذي ورد فيه (تبت يدا أبي لهب وتب) الخ السورة فالمعنى الصحيح اذن للآيات هو ان الله لا يقيم وزنا للمشرك في مقابلة شركه بمعنى انه لا يقابل الشرك عمل صالح فيمحوه بل الاعمال الصالحة بازاء الشرك هباء ولكن المشرك العاصي أشد عذابا من المشرك المحسن . ولا يعقل ان يكون المحسن والمسيء عنده تعالى سواء فان هذا من الظلم المنفي بلا شك

أقول المثقال — مفعال من الثقل — المقدار الذي له ثقل مهما قل . واطلق على المعيار المخصوص للذهب وغيره وهو معروف . والذرة أصغر مايدرك من الاجسام كما اختار الاستاذ الامام وما أطلق على النملة وعلى رأسها وعلى الخردلة وعلى الدقيقة

من دقائق الهباء - وهو ما يظهر في نور الشمس الداخل من الكوى - الا لبيان مكان صغر هذه الاشياء ولذلك روي عن ابن عباس في الذرة روايتان مختلفتان روي عنه انها رأس النملة وروي عنه انه أدخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة . وروي أن ابن مسعود قرأ : ان الله لا يظلم مثال نملة . وقد بينا من قبل ان مثل هذه القراءة لا يقصد بها القرآن وانما يقصد بها التفسير . والظلم معناه في الاصل النقص كما قال تعالى في سورة الكهف « كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا » فمعنى قوله تعالى ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ ان الله تعالى لا ينقص أحدا من أجر عمله والجزاء عليه شيئا ما وان صغر كذرة الهباء بل يوفيه أجره . ولا يعاقبه بغير استحقاق للعقوبة وقد بينا معنى نفي الظلم عن البارئ في مواضع من التفسير ومن المنار منها تفسير (٣ : ١١٧ وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) فيراجع في ص ٧٩ من جزء التفسير الرابع ومنها تفسير (٣ : ٢٨٢ ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) فيراجع في ص ٢٦٦ من ذلك الجزء ايضا . ولا أذكر غيرها الآن .

ومما يوضح هذا المعنى في التفسير الكلام في الجزاء وموازين الاعمال . ولا تفهم هذه الآية حق الفهم الا باستبانة ما حققناه غير مرة في معنى الجزاء وكون الثواب والعقاب تابعين لتأثير اعمال الانسان في نفسه بالتزكية أو التدسية والقرآن يفسر بعضه بعضا ويؤيد بعضه بعضا وما أخطأ كثير من العلماء في فهم كثير من الآيات الا ذهولهم عن مقارنة الآيات المتناسبة بعضها ببعض واستبدالهم بذلك تحكيم الاصطلاحات والقواعد التي وضعها علماء مذاهبهم وارجاع الآيات اليها وحملها عليها فهذا يستشكل نفي الظلم عن الله عز وجل لان العبيد لا يستحقون عنده شيئا من الاجر فيكون منعه أو النقص منه ظلما ثم يجيب عن ذلك بأنه بالنسبة الى الوعد فهو قد وعد بإثابة المحسن وأوعد بعقاب المسيء ثم جعلوا جواز تخلف الوعد او الوعيد محل بحث وجدال أيضا ، وهذا يقول ان إثابة المحسن وعقاب المسيء أمر حسن في ذاته موافق للحكمة فهو واجب عليه تعالى أو واجب في حقه كما يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص فقام الآخرون يجادلونهم على لفظ يجب عليه ولعلهم قالوا يجب له فحرفوها ومهما قالوا

فالمقصد واحد وهو إثبات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص وأكثر الجدل الذي أهلك المسلمين وفرقهم شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض كان مبنيا على المشاحة في الالفاظ والاصطلاحات . وكتاب الله ودينه يتبرأ من ذلك وينهى عنه . ومن فهم من مجموع القرآن ما قررناه مرارا في مسألة الجزاء يفقه معنى نفي الظلم عليه تبارك اسمه وتعالى جده فلكل عمل أثر في نفس العامل يرفع بنفسه بالحق والخير الى عليين ، أو يهبط بها الى سافلين ، ولذلك درجات ومثاقيل مقدرة في نفسها لا يحيط بدقائقها الا من احاط بكل شيء علما

﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ أقول أي انه تعالى لا ينقص أحدا من أجر عمله مثقال ذرة ولكنه يزيد للمحسن في حسنته فان كانت الذرة التي عملها العامل سيئة كان جزاؤها بقدرها وان كانت حسنة يضاعفها له الله تعالى عشرة أضعاف او أضعافا كثيرة كما قال تعالى في آية أخرى (٦ : ١٦٠ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) وفي معناها آيات . وقال (٢ : ٢٤٤ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) وقرأ ابن كثير « وان تك حسنة » برفع حسنة أي وان توجد حسنة يضاعفها . وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابن جبير « يضعفها » بتشديد العين من التضعيف وهو بمعنى المضاعفة . وردوا قول ابي عبيدة ان ضاعف يقتضي مرارا كثيرة وضعف يقتضي مرتين

﴿ ويؤت من لدنه اجرا عظيما ﴾ يعني أن فضله تعالى اوسع أن يضاعف للمحسن حسنته فلا يكون عطاؤه الا في مقابلة الحسنات بل هو يزيد المحسنين من فضله ويعطيهم من لدنه أي من عنده لا في مقابلة حسناتهم أجرا عظيما أي عطاء كبيرا . قالوا انه سمى هذا العطاء اجرا وهو لا مقابل له من الاعمال لانه تابع للأجر على العمل فسمي باسمه من قبيل مجاز المجاورة . ولعل نكتة هذا التجوز هي الايذان بأن هذا العطاء العظيم لا يكون لغير المحسنين فهو علاوة على أجور أعمالهم والعلاوة على الشيء تقتضي وجود ذلك الشيء فلا مطمع فيها للمسيئين الذين غلبت سيئاتهم المفردة على حسناتهم المضاعفة ، فأولئك بالمشركين الذين طمست حسناتهم في ظلمة شركهم

والعياذ بالله تعالى . والظاهر ان هذا الاجر العظيم هو النعيم الروحاني برضوان الله الاكبر وقد تقدم الكلام فيه غير مرة فراجعه في مظانه

ومن مباحث اللفظ في الآية حذف النون في قوله «وان تك» فان أصلها «تكن» فحذفت النون للتخفيف سماعا وعللوه بتشبيهها بحروف العلة من حيث الغنة والسكون . «ولدن» بمعنى عند وقال بعضهم ان لدن أقوى في الدلالة على القرب من عند فلا يقال لدي مال الا اذا كان حاضرا ، ويقال عندي مال وان كان غائبا

﴿ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال الاستاذ الامام : بعد ماجاء بالوعد والوعيد في الآية السابقة جاء بهذه الآية معطوفة بالفاء فهو يقول اذا كان الله لا يضيع من عمل عامل مثقال ذرة فكيف يكون حال الناس اذا جمعهم الله وجاء بالشهداء عليهم وهم الانبياء فما من امة الا ولها بشير ونذير

هذه الشهادة هي التي غفل عنها الناس وبكى لها النبي صلى الله عليه وسلم اذ أمر بعض الصحابة بأن يقرأ عليه شيئا من القرآن وهو صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالقرآن

هذه الشهادة يوم يجمع الله الناس مع انبيائهم هي عبارة عن مقابلة عقائدهم واخلاقهم وأعمالهم بعقائد الانبياء وأعمالهم وأخلاقهم

تعرض أعمال كل أمة على نبيها لا فرق بين اليهود والنصارى والمسلمين وسائر أتباع الانبياء فمن شهد لهم نبيهم بعد معرفة أعمالهم وظهورها بأنهم على ما جاء به وعمل وأمر الناس بالعمل به فهم الناجون .

إن كل أمة من أتباع الانبياء تدعي اتباعه وان كانت قلوبهم مملوءة بالحقد والحسد والغل وأعمالهم كلها شرورا ومفاسد عليهم وعلى الناس فهؤلاء يتبرأ الانبياء منهم وان ادعوا هم اتباعهم والانتماء اليهم

وقد اختلفوا في المراد بقوله (على هؤلاء شهيدا) قيل ان المراد به شهادة خاتم المرسلين على المرسلين قبله فهم يشهدون على أممهم وهو يشهد عليهم وقيل هي شهادته على أمته وهذا هو الموافق لقوله تعالى (٢ : ١٤٢ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) والخطاب للمؤمنين

في عصر التنزيل وقد تقدم في تفسيره إن هذه الامة تكون بسيرتها شهيدة على الامم السابقة وحجة عليها في انحرافها عن هدي المرسلين ، وان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يكون بسيرته العالية وسنته المعتدلة حجة على المفرطين والمفرطين من امته اتباعا للبدع الطارئة والتقاليد المحدثة من بعده فراجع تفصيل ذلك في أول الجزء الثاني من التفسير . واما الحديث الذي أشار اليه الاستاذ فهو ما روى احمد والبخاري في صحيحه والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث ابن مسعود أنه قال قال لي رسول الله (ص) « اقرأ علي » قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « نعم أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت سورة النساء حتى أتيت الى هذه الآية « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد » الخ فقال « حسبك الآن » فاذا عيناه تذرفان . فليت شعري هل يعتبر المسلمون بهذا وهم المشهود عليهم كما اعتبر الشهيد الاعظم فيبكون لتذكر ذلك اليوم كما بكى ويستعدون باتباع سنته ، واجتناب جميع البدع والتقاليد الدينية التي لم تكن في عهده ، لأن يكونوا كاصحابه أمة وسطا لا تفريط عندها في الدين ولا إفراط لا في أمور الجسد ولا في أمور الروح أم يظلون سادرين في غوايتهم ، مقلدين لآبائهم ، ألا يعلمون كيف يكون حال الكافرين والعاصين في ذلك اليوم

﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ﴾ قيل ان هذا استئناف لبيان حال الكافرين التي أشير الى شدتها والظاهر عندي انه جواب « فكيف » في الآية قبلها ومعنى تلك الآية فكيف يكون حال الناس اذا جئنا من كل أمة بشهيد الخ والجواب يومئذ يود أي يحب ويتمنى الذين كفروا وعصوا الرسول فلم يتبعوا ما جاء به ان يصيروا ترابا تسوى بهم الارض فيكونوا واياها سواء كما قال في آخر سورة النبإ « ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا » وقيل أن يدفنوا وتسوى بهم الارض أو تسوى عليهم كما تسوى على الموتى عادة . وقيل يتمنون أن تكون الارض لهم فيدفعونها فدية فتكون مساوية لهم (٥ : ٣٩ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة

ماقبل منهم) وقرأ نافع وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين المفتوحة على أن أصلها تتسوى فأدغمت التاء في السين لقربها منها في المخرج، وقرأها حمزة بتخفيف السين مع الامالة بحذف تاء تتسوى الثانية وهي لغة مشهورة

﴿ ولا يكتمون الله حديثا ﴾ عطف على يود . أي لا يكتمون شيئا من خبر كفرهم ولا سيئاتهم في ذلك الوقت الذي تقوم به الحجة عليهم بشهادة انبيائهم الذين كانوا ينسبون اليهم ما كانوا عليه من كفر وأباطيل و بدع وتقاليد . قال بعض المفسرين ان قوله تعالى « ولا يكتمون الله حديثا » ليس خبرا مجردا وانما الواو فيه للحال والمعنى انهم يودون لو يموتون أو يكونون ترابا فتسوى بهم الارض ولا يكونون كتموا الله تعالى وكذبوا أمامه على أنفسهم بانكار شركهم وضلالهم الذي بينه تعالى من حالهم في الآخرة بقوله (٦ : ٢٢ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ٢٣ ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ٢٤ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) فهم عندما يكذبون و ينكرون شركهم إما لاعتقادهم ان ما كانوا عليه ليس شركا وانما هو استشفاع وتوسل الى الله بمن اختار من خلقه ، وإما مكابرة وتوهما أن ذلك ينفعهم و يدرأ عنهم العذاب ، عند ذلك يشهد عليهم الانبياء المرسلون أنهم لم يكونوا متبعين لهم فيما أحدثوا من شركهم وانما كان شيئا ابتدعوه من عند انفسهم بقياس ربهم على ملوكهم الظالمين وامرائهم المستبدين الذين يتركون عقاب بعض المسيئين بشفاعة المقربين اليهم من بطانتهم و يقربون من لا يستحق التقريب بشفاعتهم أيضا . فاذا شهدوا عليهم تمنوا لو كانوا سويت بهم الارض وما اقترفوا ذلك الكذب . وروى الحاكم عن ابن عباس (وصححه) انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيتمنون أن تسوى بهم الارض . ومن جوز ان يكون ذلك خبرا مجردا معطوفا على «يود» قال انهم ينكرون في بعض مواقف القيامة و يعترفون في بعضها و يصح ان يقال انهم كذبوا وكتموا في ذلك اليوم وان يقال انهم اعترفوا وما كذبوا بأن يكون حصل كل واحد من النقيضين في وقت غير الوقت الذي حصل

فيه الآخر . ومثل هذا مشاهد في محاكمة المجرمين في الدنيا ينكرون ثم يقرون ، ويكذبون ثم يصدقون ، وقال بعضهم ان المراد بالكتمان هنا كتمان الحق في الدنيا ككتمان أهل الكتاب صفة النبي (ص) والبشارات به . وظاهر كلام الجمهور ان الحديث في الآية هو الكلام وذهب البقاعي الى ان معناه الشيء المحدث أي المبتدع الذي لم يجئ به رسلهم قال أي شيئا أحدثوه بل يفتضحون بسيء أخبارهم ، ويحملون جميع أوزارهم ، جزاء لما كانوا يكتمون من آياته ، وما نصب للناس من بيناته

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ محاربة المنار للتقليد ومذهبه ﴾

(س ٣٢) من صاحب التوقيع بسمبس (برنيو)

حضرة العلامة المفضال العظيم، الفهامة الاستاذ الحكيم، سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر شيد الله بوجوده منار الاسلام، واهتدى بهديه الانام

و بعد اهداء كل تحية واحترام فلقد كان المنار منذ سنين حارب فيها التقليد والمقلدين، ودعاهم الى الاهتداء بالسنة وكتاب رب العالمين، وحسم بسيف الدليل والبرهان ألسنة المبتدعين، وعني بتوحيد المذاهب الاسلامية المختلفة طبقا للكتاب والسنة

النبوية ، إن ذلك لحق. ولكن رأيت في ذلك داء يجب تداركه بالعلاج حيث توهم كثير من الناس ان صاحب المنار لم يتمسك بمذهب من مذاهب الائمة الأربعة (رضوان الله عليهم) بل هو مستقل بمذهبه . حتى قال بعضهم : اذا كان هو قد خرج من مذاهب الائمة ورفض كتب المتقدمين وأخذ بجتهدفاني لا أتبعه بل اتبع العلماء المتقدمين واطلع على كتبهم واقرأ فيها فان للاجتهاد شروطا كثيرة بل نقل ابن حجر عن بعض الاصوليين انه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد (اي مستقل)

فما رأيكم في هذا الوهم فهل تستحسنون أن تزيلوه وتبينوا مقاصدكم بالاستقلال أم تسكتون عليه ؟ هذا والسلام نعم الختام . م . ب . ع

(ج) قد تكرر بيان هذه المسألة في المنار وصرحنا غير مرة بأننا لم نقصد قط ان ندون لنا مذهبا نحمل الناس على اتباعه وأننا لاندعو أحدا الى تقليدنا بل لانجيز له ذلك وإنما ندعو المسلمين الى البصيرة في دينهم اتباعا لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» فنحن باتباعه (ص) ندعو الى الله عز وجل بفهم كلامه والتأسي برسوله مع البصيرة اي الدليل والحجة فمن ظهرت له الحجة والبصيرة فيما نكتبه فاتبعها لايكون مقلدا لنا وانما يكون متبعا للبصيرة التي يرضاها الله له . ولا ننهى أحدا عن طلب البصيرة في الدين من كتب الائمة المتقدمين بل نأمر بذلك ونحث عليه ونحب لكل الناس ان يستفيدوا منها كما استفدنا ونستفيد دائما وانما نذكرهم بأن يطلبوا منها البصيرة بفهم كلام الله وكلام رسوله واستبانة سنته لا لأن يجعلوا كلام العلماء هو المقصود لذاته فقد ذكر الامام المزني صاحب الامام الشافعي رضي الله عنهما في أول مختصره لمذهب الشافعي انه نقله ليستعين به الطالب له قال مع اعلاميه بأنه (أي الشافعي) لايجيز له ولا لغيره ان يقلده به . فنحن نستعين بالمفسرين على فهم القرآن ولا نقلد أحداً منهم في فهمه وإنما نتبع البصيرة متى استبانت ونستعين بكتب المحدثين والفقهاء على فهم السنة ولا نقلد احداً منهم في رأيه وانما نتبع البصيرة ونحث اخواننا على طلب البصيرة في الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وان كانوا متبعين لبعض المذاهب فهي لاتمنعهم أن يكون لهم حظ من الاهتداء والبصيرة

وليعلم السائلون وغيرهم أن الاصل في التقليد هو الثقة فقد جرت عادة الناس باتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام كطوائف الباطنية . فمتى انقطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم و بين دين الله الذي انزله على رسوله (ص) وحرموا البصيرة التي هي سبيل الله واتبعوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون» (من سورة الانعام ٦:١٥٣) ولذلك نهى ائمة الفقه الاربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذي هو الاخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة في الكتاب والسنة . وكيف لاينهون عن ذلك ويعلمون انه يصد الناس عن سبيل الله ويحملهم على الاستغناء بكلام غير المعصومين الذين لايسلم أحدهم من الخطا مع حسن القصد فكيف اذا وثق الناس بفاسد السريرة المتعمد لهدم الشريعة كالباطنية . وقد كان أحدهم يرجع عن كلامه بعد ان يكون نقل عنه وقد رجع الشافعي بمصر عن مذهبه الذي وصل اليه اجتهاده قبل ذلك فصار الناقلون لعلمه يقولون المذهب القديم والمذهب الجديد وقد رأيت قول صاحبه المزني في عدم إباحته تقليد أصوله

وخلاصة القول اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) كل بقدر استطاعته وان طالب الاهتداء من العامة يمكنه أن يسأل العلماء عن ذلك عند الحاجة اليه لا عن رأيهم وفهمهم لكلام المقلدين فقط كمتأخري الفقهاء ، وقد فصلنا القول في ذلك من قبل تفصيلا . ولا يتم هذا الاهتداء الا بالعناية باللغة العربية ولا شيء اضر على الاسلام في هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغني المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله عز وجل بلسان عربي مبين، فالغاية من هذه المفسدة اذا وقعت (لاسمح الله) ان يكون الاعاجم من المسلمين عرضة لترك الدين وسنوضح ذلك ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ هل يعتد بايمان أهل الكتاب بعد الاسلام ﴾

(س ٣٣) من أحد علماء تونس المستقلين صاحب الامضاء

مقام حجة الدين وإمام أئمة المصلحين سيدي محمد رشيد رضا صاحب المنار الزاهر أعلى الله به كلمة الحق

علمت بما اطلعت عليه من مجلدات المنار الاغر رأيكم في معنى الاسلام ـ وهو ماهدتني الفطرة الى فهمه من قوله تعالى « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » ولم أكن اقرأ المنار ، ولكن اشكل عليّ حفظكم الله تعالى مايلوح من كلامكم في هذا الغرض من ان الاسلام الذي تكون به النجاة في الآخرة هو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح من اي أمة كان صاحبه وفي أي زمان وجد ومكان ، فهل رأيكم رفع الله بكم قواعد الدين ان الذين هادوا والنصارى اليوم يفوزون يوم الجزاء برضوان الله تعالى اذاهم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات وان كفروا بما انزل على محمد (ص) والذي كنت أفهم من معنى الاسلام ولن أزال أفهم انه الايمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل ، فمن آمن بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مسلم عندي بلاشك . كتبت اليك لا كون علي بينة من رأيكم فاني لا أدين بالظنون واللوائح ، ولا اسكن الى ماتمليه عليّ القواهر ، وقد استفدت هذا الخلق من قراءة ماتكتبون ـ والله يحفظكم

(احد القراء بتونس)

(ج) لكل مقام مقال ونحن قد صرحنا من قبل في بعض المقامات بان الايمان هو كما عرفه النبي (ص) ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وفسرنا الاسلام في التفسير بما علمه السائل الفاضل ورضيه وقال ان الفطرة هدته من قبله الى فهمه وهو مايتبادر من القرآن الحكيم وفسره في مقام آخر بما جاء في الحديث من الاعمال أو الاركان الخمسة وفي مقام آخر بأنه الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مجموعه ونحن نرى السائل

هنا فسر الاسلام بالايمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل وهذا التفسير ليس هو الذي فهمه من القرآن ولا هو الذي ورد في الحديث في جواب جبريل ولا هو الذي يفسره به العلماء وهو يعرف ماورد في الحديث وما قاله علماء العقائد في تفسيره كما يفهم المراد من استعمال القرآن وانما غرضه هنا ان يبين ان الايمان بالرسل من أصول الدين الاسلامي وهو كذلك

ثم اننا بينا في مقام آخر ان المقصد من الدين الذي جاء به جميع الرسل من عند الله هو الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات لان هذا هو ماتتزكى به الانفس وترتقي به الارواح وتستعد لمنازل الكرامة في الآخرة والنجاة من العذاب ، والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الوسيلة لتعليم البشر هذه المقاصد وهل يمكننا ان نقول غير ذلك في مقام تفسير قوله تعالى (٢ : ٦١ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي تفسير (٤ : ١٢٢ ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ١٢٣ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)

وقد روى ابن جرير وابن ابي حاتم عن السدي قال التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا ، وقالت النصارى مثل ذلك . فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا (ص) بعد نبيكم وقد امرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فانزل الله تعالى «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ـ الى قوله ـ ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا » فانت ترى ان القرآن الحكيم قد ناط دخول الجنة وسعادة الآخرة بالايمان والعمل الصالح في مقام إنكار المفاخرة بين اهل الكتاب والمسلمين .

وذلك ان اهل الكتاب جعلوا مقصد الدين وقطبه الذي يدور عليه امر

النجاة والسعادة في الآخرة هو الانتماء الى انبيائهم وانهم إنما ينجون بجاههم لا باتباعهم وإقامة ماجاؤا به من الهداية فكان مثلهم ومثل من اتبع سننهم من المسلمين كمثل عبيد جعلهم سيدهم في مزرعة ليعمروها وينتفعوا بها و يستعينوا بما فيها من الثمرات على اصلاح شأنهم وإعداد انفسهم لمقام خير منها في جوار السيد وارسل اليهم عبدًا آخر من عبيده المتعلمين المهذبين بكتاب بين لهم فيه مايوجبه عليهم من الاعمال فبلغهم هذا العبد الرسول رسالة سيده وسيدهم فصدقوه واقام بينهم عاملا بالكتاب حتى مات . ثم لم تكن فتنتهم الا أن تركوا العمل بالكتاب واتباع ذلك الرسول الفاضل في اعماله وآدابه واعتقدوا ان ذكر اسمه بالخير والمبالغة في تعظيمه وتعظيم كتاب السيد بالقول يغنيان عن العمل الذي تعمر به المزرعة ويرتقي به اهلها ويكونون اهلا لما وعدهم به السيد من المقام الكريم اذا هم اقاموا كتابه،

أرأيت اذا كان أهل المزرعة فريقان فريق منهم صدقوا الرسول ولم يعملوا بما جاء به من عند السيد وفريق آخر لم تبلغهم رسالته أو بلغتهم على وجه لا يحرك الى النظر ولا يؤدي الى الاقتناع ولكنهم علموا بالنظر العقلي أو بتعليم رسول سابق كان أرسله السيد من قبل ان الذي يرضيه من عمران المزرعة هو كذا وكذا وان الذي يجب أن يكونوا عليه من العلم والآداب فيما بينهم هو كذا وكذا وعملوا بذلك بقدر طاقتهم على حسب اجتهادهم أيكونون مرضيين عند سيدهم أم لا . وهل يعقل أن يكذب العبد الطائع الخاضع رسول سيده ومولاه و يرفض دعوته و يرد رسالته ؟؟ كلا إنه لا يعقل أن تبلغ المؤمن بالله واليوم الآخر القائم بالأعمال الصالحات دعوة رسول من عند ربه فيردها ويجحدها وانما يفعل ذلك من فسد إيمانهم وساءت أعمالهم فاتبعوا أهواءهم فانا لا أصدق أن المؤمن بالله واليوم الآخر العامل للصالحات من أهل الكتاب تبلغه دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم على وجهها ويردها لان من كان على شيء من العلم والخير وتبين له علم أعلى من علمه واكمل ، وخير أرقى مما هو عليه وأفضل ، يرى نفسه مضطرة الى قبول ذلك ولا يصرفه عنه وهو من مقتضى فطرته الاحسد وعتو وكبر ملكن على نفسه أمرها ويندر أن يكون ذلك من المؤمنين الصالحين ، فأنا أحكم على من بلغته دعوة الاسلام بشرطها وردها بقوله

عز وجل (٤ : ١١٤ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وفي القرآن دلائل كثيرة على ماقلنا

بعد كتابة هذا راجعت كتاب (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) لابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى فرأيته يشير الى ان من بلغته الدعوة بدليلها تنبعث نفسه بطبعها الى النظر ان كان من أهل الدين والخير قال بعد بيان حكم الضالين من هذه الامة ما نصه « وأما من سائر الامم فمن كذبه (ص) بعد ما قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه فاذا قرع سمعه ذلك فأعرض عنه وتولى ولم ينظر ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر . ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك (كان الترك في زمن الغزالي وثنيين) الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل أقول من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبعث به داعية الطلب ليتبين حقيقة الامر ان كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين وذلك كفر ، وان انبعثت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه ان يفتر عن الطلب بعد ظهور المخايل بالأسباب الخارقة للعادة ، فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فأدركه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية » اه

هذا وان السائل الكريم يعلم ان المسلمين لا يعنون بالدعوة الى دينهم ولا سيما على الوجه الذي يحرك الى النظر في هذا العصر - ولكل عصر من الحركات النظرية ما هو خاص به ، بل هم لا يبالون بتعليم المنسوبين الى الاسلام حقيقة الاسلام فقد أهمل هذا الدين حتى صار علماؤه على قلتهم جاهلين بكتابه وسنته وعاجزين عن النهوض بحجته الا افرادا شذاذا يظهر الواحد منهم بعد الواحد في

بعض الاقطار بالمصادفة والاتفاق بل باستعداده الخاص وحوادث الزمان وا كثر هؤلاء الملايين من المسلمين لم يلقنوا شيئا من أمر دينهم حتى ان منهم في بعض انحاء الهند من لا يعرف من الاسلام الا جواز اكل لحم البقر الذي يخالفون به جيرانهم الوثنيين ، ومنهم في روسية من هم أجهل من هؤلاء ، بل اخبرني أحد أئمة العسكر البحرية أمس انه كان يسأل الجماهير من افراد العسكر الاناطوليين عن دينهم ونبيهم فيقولون ديننا العسكرية البحرية ونبينا السلطان عبد الحميد ، ولولا الأوقاف التي وقفها السلاطين والأمراء وأهل الخير من الأمة على العلماء الذين يشتغلون بعلوم الدين و بعض المناصب الشرعية التي يقصد بها الرزق لما رأيت في الاستانة ومصر وتونس وفاس وغيرها من البلاد عشر معشار من تجد من المعممين الذين يذيبون أدمغتهم في حل رموز هذه الكتب المعقدة أوالمسلطة التي اختاروها من تصانيف المسلمين بعد ضعف العلم فيهم حتى كأنها كتب منزلة يتعبد بها ، وما هي والله بالكتب التي يمكن لقارئها أن يظهر بها حقيقة دعوة الاسلام وحجة الله به على العالمين ، بل نرى اكثر المارسين لها قد نفروا المسلمين عن الاسلام فما بالك بغيرهم

هذا ما حملنا على بذل النفس والنفيس في السعي الى تربية اسلامية وتعليم اسلامي تظهر بهما دعوة الاسلام وحجته وتنقذ الملايين المسلمين من الجهل بدينهم ودنياهم الذي صاروا به حجة على الاسلام تنفر عنه الأنام ، وفتنة للكافرين تبعدهم عن حقيقة الدين (٦٠ : ٥ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم)

* * *

﴿ الصلاة . مواقيتها وجمعها وغايتها ﴾

(س٣٤) من كاتم لاسمه في مصر القاهرة

حضرة الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم ـ بعد التحية والاكرام ارجو الاجابة على ما يأتي :

(١) ما هي الآيات الشريفة التي تؤيد اقامة الصلوات في مواعيدها المقررة

(٢) هل الجمع بين صلاتين جائز وفي أي ظروف ؟

(٣) ما رأيكم في موظف بمصلحة تقضي عليه وظيفته أن لا يقيم صلاته أثناء تأديته أعماله فهل عليه من حرج اذا جمع بين صلاتين مثلا ليؤديهما أثناء خلوه من العمل ؟

(٤) اذا كانت الغاية من الصلاة هي الاخلاص للخالق بالقلب مما يؤدي الى تهذيب الأخلاق ، وترقية النفوس ، وكان من المحتم على كل مسلم أن يقيم صلاته بمواعيد ، فكيف يعقل ، والناس على ما نرى ، ان كل الصلوات التي تقام في المساجد والبيوت ، هي باخلاص عند كل المسلمين ؟ ، واذا كان الجزء القليل منها هو المقصود من الدين ، والمبني على الفضيلة ، فلماذا لا تترك الحرية التامة للناس في تحديد مواعيد اقامة صلواتهم ؟ . والاما الفائدة التي تعود على النفس من الركوع والسجود بلا اخلاص ولا ميل حقيقي للعبادة بل اتباعا للمواعيد واحتراما للتقاليد ؟

(ج) ١ـ أما الجواب عن الأول فحسبك في التوقيت المطلق منه قوله تعالى (٤ : ١٠٢ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا مكتوبا مقيدا بأوقات محدودة . وفي التفصيل قوله تعالى (١٧ : ٧٨ أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر) وقوله سبحانه (٣٠ : ١٧ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ١٨ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) وكانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح و بالذكر

٢ — وأما الجواب عن الثاني فالجمع إنما يكون عند جماهير العلماء في السفر وكذا في المطر عند الشافعية لأجل المحافظة على الجماعة . وقد تأول بعض العلماء بذلك حديث ابن عباس الثابت في كتب الصحاح والسنن المشهورة « صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا الظهر والعصر والمغرب والعشاء » أي الظهر والعصر ثمانيا لأن كل واحدة منهما أربع ركعات، والمغرب والعشاء سبعا لأن الاولى ثلاث والثانية أربع فالنشر فيه غير مرتب على اللف . وفي رواية عنه في صحيح

مسلم وسنن الشافعي « صلى الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعا من غير خوف ولا سفر » روي عن مالك انه قال أرى ذلك في المطر » وعليه العمل عند الشافعية ولكنهم اشترطوا له شروطا لا يدل عليها الحديث بل ظاهره انه رخصة تؤتى عند عروض شاغل قوي ويدل على ذلك ما قاله راويه ابن عباس في تعليله كما في سنن الشافعي « لئلا يحرج أمته » ولو فرضنا ان ذلك كان في وقت المطر لكان المطر مثالا لنفي الحرج لا شرطا للرخصة على أن ذلك لو كان في جماعة وقت المطر كما يرى الشافعية لتوفرت الدواعي على نقله فرواه كثيرون فالظاهر من هذه العبارة أن الجمع في الاقامة رخصة لمن كان يلحقه في اداء الصلاة في وقتها مشقة والحرج والعسر مرفوعان بنص القرآن العزيز فحمل بعض الفقهاء لها على وقت المطر او وقت المرض كأن كان يعلم انه يصيبه دور الحمى في وقت الثانية فيجمعها مع الاولى كل ذلك من قبيل المثال لمن ينظر في الامر نظرا عاما غير مقلد فيه والشيعة تجيز الجمع مع الاقامة كما هو المشهور عنهم ولا أدري أيعدون ذلك رخصة كما هو ظاهر هذه الرواية عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أم يعدونه عزيمة لكثرة ما يأتونه كما يروى عنهم

٣ — واما الجواب عن الثالث فقد علم مما قبله وملخصه ان الاصل في الصلاة ان تؤدى في اوقاتها المعروفة وذلك ثابت بالكتاب والسنة وعمل جماهير المسلمين سلفا وخلفا وان للرخصة وجها لمن شق عليه اداء بعض الصلوات في وقتها وما اظن ان عملا من اعمال مصالح الحكومة وما في معناها كالشركات الكبيرة يمنع العامل فيه من أداء الصلاة في وقتها دائما وانما يكون ذلك نادرا فان صلاة الفريضة تؤدى في خمس دقائق او اقل . ورأيت كثيرا ممن خبرت حالهم من هؤلاء العمال يستثقلون الصلاة لاجل الوضوء وإنما يشق عليهم منه غسل الرجلين غالبا فان كوبا من الماء يكفي لغسل الوجه واليدين الى المرفقين ويسهل ذلك على المرء اينما كان ولكن غسل الرجلين قد يشق على العامل في احيان كثيرة والمخرج من هذه المشقة ان يمسح ولو على جوربيه فالحنابلة وغيرهم من علماء السلف يجيزون المسح على كل ساتر للرجلين كاللفائف ودليلهم أقوى ولما افتيت في المنار بهذا صار كثير من تاركي الصلاة

يحافظون على صلاتهم في اوقاتها يتوضؤن في الصباح فيسبغون الوضوء ويغسلون ارجلهم ويلبسون جواربهم وفوقها الخفاف فالاحذية أو الاحذية فقط ثم يذهبون الى أعمالهم فاذا أراد أحدهم ان يتوضأ في أثناء العمل وهو في عمله يمسح على الساتر كائنا ما كان ، ويحسن ههنا أن نذكر القارئ بما ختمت به آية الوضوء وهو بعد ذكر طهارة الرجلين « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

٤ — واما الجواب عن الرابع فهو يتضح لكم اذا تدبرتم تفاوت البشر في الاستعداد وكون الدين هداية لهم كلهم لا خاصة بمن كان مثلكم قوي الاستعداد لتكميل نفسه بما يعتقده انه الحق وفيه الفائدة والخير بحيث لو ترك الى اجتهاده لا يترك العناية بتكميل إيمانه وتهذيب نفسه وشكر ربه وذكره. وقد رأيت بعض المتعلمين في المدارس العالية والباحثين في علم النفس والاخلاق ينتقدون مشروعية توقيت الصلوات والوضوء وقرن مشروعية الغسل بعلل موجبة وعلل غير موجبة على الحتم ولكن تقتضي الاستحباب وربما انتقدوا أيضا وجوب غير ذلك من انواع الطهارة بناء على ان هذه الامور يجب ان تترك لاجتهاد الانسان يأتيها عند حاجته اليها والعقل يحدد ذلك ويوقته !! هؤلاء تربوا على شيء وتعلموا فائدته فحسبوا لاعتيادهم واستحسانهم اياه انهم اهتدوا اليه بعقولهم ولم يحتاجوا فيه الى ايجاب موجب ولا فرض شارع وان ما جاز عليهم يجوز على غيرهم من الناس ، وكلا الحسابين خطأ فهم قد تربوا على أعمال من الطهارة (النظافة) منها ما هو مقيد بوقت معين كغسل الاطراف في الصباح (التواليت) وهو مثل الوضوء ، أو الغسل العام ، ومنها ما هو مقيد بعمل من الاعمال، وتعلموا ما فيه من النفع والفائدة فقياس سائر الناس عليهم في البدو والحضر خطأ جلي.

ان اكثر الناس لا يحافظون على العمل النافع في وقته اذا ترك الامر فيه الى اجتهادهم ولذلك نرى البيوت التي لا يلتزم اصحابها او خدمها كنسها وتنفيض فرشها وآنيتها كل يوم في أوقات معينة عرضة للاوساخ فتارة تكون نظيفة وتارة تكون غير نظيفة ، واما الذين يكنسونها وينفضون فرشها وبسطها كل يوم في وقت معين وان لم يصبها اذى ولا غبار فهي التي تكون نظيفة دائما. فاذا كانت الفلسفة تقضي

بأن يزال الوسخ والغبار بالكنس والمسح والتنفيض عند حدوثه وأن يترك المكان أو الفراش أو البساط على حاله اذا لم يطرأ عليه شيء فالتربية التجربية تقضي بأن تتعهد الامكنة والاشياء بأسباب النظافة في أوقات معينة ليكون التنظيف خلقا وعادة لاتثقل على الناس ولا سيما عند حدوث أسبابها ، فمن اعتاد العمل لدفع الاذى قبل حدوثه أو قبل كثرته فلأن يجتهد في دفعه بعد حدوثه أولى وأسهل . وعندي أن أظهر حكمة التيمم هي تمثيل حركة طهارة الوضوء عند القيام الى الصلاة ليكون أمرها مقررا في النفس محتما لاهوادة فيه . وقد قال لي منشل أنس وكيل المالية بمصر في عهد كرومر انه يوجد الى الآن في أوربا أناس لايستحمون مطلقا وانا نحن الانكليز أكثر الاوربيين استحماما وانما اقتبسنا عادة الاستحمام عن أهل الهند ثم سبقنا جميع الامم فيها ، فتأمل ذلك وقابله بعادات الامم في النظافة التي هي الركن العظيم للصحة والهناء

واعتبر هذه المسألة في الاعمال العسكرية كالخفارة عند عدم الحاجة اليها لئلا يتهاون فيها عند الحاجة اليها وجعلها مرتبة موقوتة مفروضة بنظام غير موكولة الى غيرة الافراد واجتهادهم

اذا تدبرت ما ذكرنا فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأجل تكميل فطرة الناس وترقية أرواحهم وتزكية نفوسهم ولا يكون ذلك الا بالتوحيد الذي يعتقهم من رق العبودية والذلة لأي مخلوق مثلهم وبشكر نعم الله عليهم باستعمالها في الخير ومنع الشر ولا عمل يقوي الايمان والتوحيد ويغذيه ويزع النفس عن الشر ويحبب اليها الخير ويرغبها فيه مثل ذكر الله عز وجل أي تذكر كماله المطلق وعلمه وحكمته وفضله ورحمته وتقرب عبده اليه بالتخلق بصفاته من العلم والحكمة والفضل والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال . ولا تنس ان الصلاة شاملة لعدة أنواع من الذكر والشكر كالتكبير والتسبيح وتلاوة القرآن والدعاء فمن حافظ عليها بحقها قويت مراقبته لله عز وجل وحبه له أي حبه للكمال المطلق وبقدر ذلك تنفر نفسه من الشر والنقص وترغب في الخير والفضل ، ولا يحافظ العدد الكثير من طبقات الناس في البدو والحضر على شيء ما لم يكن فرضا معينا وكتابا موقوتا ، فهذا النوع من ذكر الله المهذب للنفس (وهو الصلاة) تربية عملية للأمة تشبه الوظائف العسكرية في

وجوب اطرادها وعمومها وعدم المهوادة فيها ، ومن قصر في هذا العمل القليل من الذكر الموزع على هذه الاوقات الخمسة في اليوم والليلة فهو جدير بأن ينسى ربه وينسى نفسه ويغرق في بحر من الغفلة ، ومن قوي إيمانه وزكت نفسه لا يرضى بهذا القليل من ذكر الله ومناجاته بل يزيد عليه من النافلة ومن أنواع الذكر الأخرى ما شاء الله أن يزيد ، ويتحرى في تلك الزيادة أوقات الفراغ والنشاط التي يرجو فيها حضور قلبه وخشوعه وهو الذي استحسنه السائل .

وجملة القول ان الصلوات الخمس إنما كانت موقوتة لتكون مذكرة لجميع افراد المؤمنين بربهم في الاوقات المختلفة لئلا تحملهم الغفلة على الشر أو التقصير في الخير ولمريدي الكمال في النوافل وسائر الأذكار أن يختاروا الأوقات التي يرونها أوفق بحالهم ،

وإذا راجعت تفسير « حافظوا على الصلوات » في الجزء الثاني من تفسيرنا تجد بيان ذلك واضحا وبيان كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا واظب المؤمن عليها ، ومن لا تحضر قلوبهم في الصلاة على تكرارها فلا صلاة لهم فليجاهدوا أنفسهم

***

﴿ جمع القرآن وعدم ضياع شيء منه ﴾

(س ٣٥) صاحب الامضاء في الاسكندرية

قال السائل في كتاب خاص انه عرضت له شبهة في مسألة جمع القرآن ثم شرح ذلك بقوله

« تعلمون أيها السيد أن القرآن الكريم جمع في خلافة الصديق رضي الله عنه كما تعلمون بل تتيقنون عدم حفظ واحد له جميعه والا لما كان هنالك معنى لتلقفه من صدور الرجال — على ذلك لا اتردد في ضياع شيء منه خصوصا وانهم لم يجدوا حافظا لآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) الخ السورة الا خزيمة بن ثابت فاذا صح هذا وهو الواقع استنتج من ذلك جواز موت

صحابي آخر قبل الجمع انفرد على الأقل بما انفرد به خزيمة هذا ان لم نقل اثنين أو ما فوق العشرة فما قول السيد في ذلك وما الدليل على عدم الضياع وطريقة الجمع يتسرب اليها الشك في كل مكان بالدليل العقلي م ٠ ع ٠ م

(ج) أعجب ما في هذا السؤال زعم السائل أنني أتيقن عدم حفظ أحد من الصحابة (رض) للقرآن كله واستدلاله على هذه المسألة بتلقفه من صدور الرجال ! ! فاما أنا فاني أوقن أنه قد حفظ القرآن كله جمع كثير من الصحابة في عهد النبي (ص) وان لم يصرح المحدثون الا بعدد افراد معروفين منهم فقد صرحوا بأنه قتل في حرب أهل اليمامة سبعون من القراء وكان ذلك سبب اقتراح عمر جمع القرآن على أبي بكر (رض) وبأن أهل الصفة من فقراء الصحابة كانوا منقطعين في المسجد لحفظ القرآن والعبادة ويعرف السائل أن العرب كانوا من أجود الناس حفظا على أن البدو في جميع الامم أجود حفظا من الحضر والعرب اذكى الامم بدوا وحضرا حتى أنه كان من حاضر بهم من يظن أن من شأن الانسان أن يحفظ كل ما يسمع كما يروى عن ابن عباس (رض) وقد رأى رجلا استكبر حفظه لرائية عمر بن أبي ربيعة حين سمعها مرة واحدة فقال وهل يسمع الانسان شيئا ولا يحفظه ؟ فقد كانوا يحفظون ما يسمعون من حسن وقبيح ما يعجبهم منه وما لا يعجبهم فكيف تكون عنايتهم بحفظ كلام الله عز وجل وهم يؤمنون بأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة وانهم يتقربون به الى ربهم وينالون رضاه وقد تعمدوا ذلك وحرصوا عليه وعنوا به أشد العناية وقد رغبهم الله ورسوله بحفظه

على أن حفظه أن يضيع شيء منه لا يتوقف على حفظ الكثيرين له كله بل يكفي فيه حفظ الكثيرين لكل سورة من سوره وهل يعقل أن تنزل سورة ولا يحفظها الجم الغفير من أهل الصُفّة المقيمين في المسجد لاجل حفظ القرآن من النبي (ص) وكذا من غيرهم من المقيمين في المدينة وكان اكثرهم يصلي مع النبي (ص) لا يتخلف عنه أحدهم الا لعذر عارض وكان يقرأ القرآن كله في الصلاة كما كان يدارسهم إياه سورة سورة على النحو الذي يتدارسه مع جبريل (ع م) اذ ورد في الصحيح انه كان يعارضه القرآن في رمضان كل سنة مرة أي كل ما

نزل منه وفي آخر رمضان من عمره الشريف عارضه جبريل القرآن مرتين وكان قد تم نزوله أو كاد فعلم من ذلك أنه حان أجله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم ان الذين تولوا جمع القرآن في المصحف بأمر أبي بكر ثم بأمر عثمان كانوا يحفظونه وانما كانوا يجمعون المكتوب في الصحف والعظام وغيرها ويراجعون القراء الحافظين لأجل أن لا يبقى مجال لدعوى أحد من المنافقين أو غيرهم أن عنده شيئا منه يخالف المجموع في المصاحف فيشكك به بعض الضعفاء أو الجاهلين . ولو رأى المنافقون أن في جمع القرآن شبهة ما لأذاعوا بها واكثروا الإرجاف ولم يقع شيء من ذلك ولو وقع لقامت له القيامة وعرفه كل الناس

اما آخر سورة التوبة فقد كان يحفظها الجم الغفير ومنهم جامعوا القرآن وقد التمسوها ممن كتبها وهم بها عالمون فوجدوها عند خزيمة أو أبي خزيمة الانصاري كما رواه البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت الذي كان يتولى الجمع ، وكذلك آية « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه » الخ فقد روى البخاري والترمذي عن زيد رضي الله عنه انه قال فقدت آية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله (ص) يقرأها فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت الانصاري الذي جعل رسول الله (ص) شهادته بشهادة رجلين وذكرها فالحقتها في سورتها من المصحف . فأنت ترى أنه التمس شيئا كان يعرفه ، كيف لا وهو أحد الحفاظ المشهورين الذين جمعوا القرآن كله عن النبي (ص) فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث انس (رض) قال جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) اربعة كلهم من الانصار : ابيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد . قيل لانس من أبو زيد ؟ قال أحد عمومتي . وقد قال علماء الاصول ان العدد لامفهوم له ، اقول ولا سيما في مثل هذا الخبر الذي يخبر صاحبه عما علم او بعض ماعلم عن قومه وكان اكثر الحفاظ من فقراء المهاجرين أهل الصفة (رض) نكتفي الآن بهذا الجواب المجمل الموجز الذي كتبناه في مركب يجري بنا في زقاق (بوسفور) القسطنطينية ، ونظن أنه يكفي السائل فان لم يكفه فليراجع ما كتبناه من قبل في احد مجلدات المنار وما كنت أظن انه لم يقرأه وهو على ماأعهد ولوع بالمنار حريص على تتبعه ، وستفصل هذه المسألة

تفصيلا فيما سنكتبه من أصول الدين لطلاب مدرسة «دار العلم والارشاد» ثم ننشره على سائر الناس ان شاء الله تعالى

***

﴿ هدايا الجرائد الى مشتركيها ﴾

(س ٣٦) من صاحب الامضاء الذي رغب الينا كتمان اسمه من (بيروت)

سيدي الاستاذ المرشد الشيخ محمد رشيد رضا منشئ « المنار » دام مجده

بعد التحية الى السيد المفضال ارجو من سيادته واحسانه الجواب عن سؤالي الآتي بيانه في جزء المنار القادم في رجب وله الثناء الجميل وذلك :

ماقولكم دام نفعكم ، في البند الرابع من « البيان » الذي اذاعته جريدة الحقيقة ـ البيروتية وهو «تقدم ادارة الجريدة لكل خمس مئة مشترك من مشتركيها هدية بالاقتراع تبلغ قيمتها خمسة وعشرين ليرة أفرنسية في كل سنة موزعة على عشر نمر منها حسبما هو مبين أدناه

١	ورقة بنك عقاري
١	ساعة ذهبية
٢	ساعة فضية
٢	ليرة أفرنسية
٤	نصف ليرة أفرنسية
١٠	الجمع

وتضاعف هذه الهدايا بزيادة المشتركين على نسبة خمسة وعشرين ليرة لكل خمس مئة مشترك اه

فهل يجوز لجريدة الحقيقة أن تعطي مشتركيها المذكورين (الهدية) على الوجه المرقوم وهل يجوز لمشتركيها قبول هذه الهدية أفيدوني ولكم مزيد الفضل (مستفيد)

(ج) لاأعرف مايمنع جواز اعطاء هذه الهدية ولا قبولها

باب العقائد

بحث الكلام في الاختلاف (*

قد نوه الله سبحانه بالاختلاف في الدين وكرر ذلك في كتابه العزيز تكريرا كثيرا لعلمه سبحانه وتعالى بضرره في الدين وكم كرر ذلك في بني اسرائيل قائلا « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ونحوها فكانه يقول احذركم مثل فعلهم مدلين بالشبه وعدم تبين ذلك في دينكم فانكم ان فعلتموه فعلتموه بعد قيام الحجة عليكم ولا يحملكم عليه الا البغي لا التدين وان من اراد الله واتبع رضوانه فانه يهديه سبل السلام ويخرجه من الظلمات الى النور فصدق الله تعالى ما وجدنا الخلاف الا في محل قد تبين الحق فيه ، وادلى المخالف للحق بشيء لا ينبغي الاستناد اليه ، فهو انما جعله صورة والحامل الحقيقي البغي لنيل حظ دنيوي وقد يكون البلاء من النظر في شيء النظر فيه تكلف ما لا يعني وقد نعم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنهى عن مظان الخلاف وحذّر منها كالجدل في القدر وقال الله تعالى « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اتركوني ما تركتكم » وكمل الله سبحانه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبق شيء يقربنا الى الجنة الا بيّنه لنا ولا شيء يقربنا الى النار الا بيّنه

(*) منقولة عن كتاب العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشايخ لاحد مجتهدي القرن الحادي الذي يطبع بمطبعة المنار

وما عفا الله تعالى عنه وسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يريد الله سبحانه أن نبحث عنه بمجرد عقولنا القاصرة فانها انما جعلت الدنيا في قدر محدود في علم الله سبحانه وجاءت الرسل بتتميم ما تم به النعمة وتؤكد الحجة فما عدا ذلك فضول يخاف ضرره ولا يُرجى نفعه ، وقد قام بمراد الله تعالى في ذلك خير القرون فكانوا يحاذرون الاختلاف أشد المحاذرة ويصرحون بذلك ومافرط منهم تلافوه أشد التلافي، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ، كما كان من طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ولقد صبر من بقي من الصحابة بعد خلافة النبوة على أمراء الجور أشد الصبر وأقبلوا على صلواتهم وصيامهم وجهادهم وسائر القرب يتواصون بالحق والصبر والمرحمة، ويحاذرون شق عصا المسلمين وكل ما يجر الى الخلاف وهو المانع والله أعلم لسيوفهم الباترة ، التي استولت على ابطال العرب والاكاسرة والقياصرة ، من أن تجتمع على الملك الجائر حتى يقعد مكانه عادلاً

ثم مضوا الأمثل فالأمثل الى ان ظهرت البدع بسبب التنقير عما سكت الله عنه ورسوله ولو كان لهم من ذلك خير لوفقهم الله على تلك المطالب على لسان رسوله ولم يتركهم يتخبطون لكن النفوس طمّاحة والدعوى عريضة فتكلم بعض الناس على ما سكت الله عنه وبحثوا في كلام الفلاسفة واختلطوا بهم في أيام الدولتين وناظروهم فاحتاجوا الى تحرير الجواب على شبههم ورأوا ان تلاوة القرآن التي كانت جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجواب اصحابه رضي الله عنهم لا تقنع الخصم ولا تنصفه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي امراء الاجناد ان يدعوا الى احدى ثلاث الدخول في الاسلام، أو الجزية، أو الحرب، لم

يجعل منها أن تنتشر اخبارهم وصحفهم وحكمتهم وشبههم وفلسفتهم ثم يناظرهم فقهاء الصحابة بهذا الاتصاف المولد بعد الصحابة هو الداهية الدهياء

ثم حدثت بين المسلمين أنفسهم نوادر كالكلام في القدر ومسألة خلق القرآن والتعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم واتصل بذلك المناظرة عند الملوك والامراء وصارت عصبية ، والدعوى من الجانبين أن ذلك تدين وما هو الا انهم لما تعدوا طورهم ولم يقفوا على حدهم الذي وقفهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، تركهم الله وشأنهم والبسهم شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض فكان خليفة يوافق هؤلاء فيذيق مخالفيهم العذاب الاليم ويخلفه الآخر وينقض ما فعله الاول وينكل هؤلاء ويوطي شأن هؤلاء حتى استحكم الشر وصار الناس شيعا، يولد المولود في قوم فلا يسمع من الانصاف شيئا بل يجد شيعته مطبقين على ان مخالفهم ليس على شيء، وانما هي فتنة وحادثة في الاسلام ويمدحون نفوسهم بكل خير وينزهونها من كل شر ويعزون الى المخالف نقيض ذلك

ترى المعتزلة يقولون في كتبهم كان الناس على دين واحد فحدث الجبر في امرة معاوية والمروانية ثم حدث القول بتكليف مالا يطاق من فلان وقت فلان ثم حدث القول بعدم خلق القرآن ثم حدث كذا من فلان في وقت كذا مع ذكر أسباب وروايات، فيأتون على جميع مذاهب مخالفيهم انها حوادث تجد ذلك في حكاية الملل والنحل وافراد المقالات لا في كتاب ولا في الف كتاب ثم تنظر كتب المتسمية بالسنية يقولون كان الناس جميعا قبل حدوث القدرية على ان الله خالق افعال العباد ليس

للعباد منها الا النسبة المسماة بالكسب ويجمعون على كذا وكذا بجميع مذاهبهم كل على مايراه ويعتقده ثم حدث رأي المعتزلة بان العبد ممكن وحدث كذا وكذا الى آخر مذاهب المخالف كذلك وتسمي المعتزلة نفسها بالعدلية وأهل العدل والتوحيد وأهل الحق والفرقة الناجية والمنزهون لله عن النقص وغير ذلك وتسمي خصومها بالمجبرة القدرية المجوزة المشبهة الحشوية المرجئة وغير ذلك .والاشاعرة وسلفهم مثل ابن كلاب والمحاسبي وغيرهم يسمون نفوسهم بأهل السنة ويسمون المعتزلة المبتدعة القدرية وقس على هذا

فترى الضعيف الرأي والدين بل القوي الذي لم يتداركه الله سبحانه بفضل عناية وتوفيق يرى تطبيق من نشأ فيهم ولقنوه كتبهم وقد ملأت الارض مع شحنها بالتحذير من كتب المخالف والجلوس الى المبتدع فكما فعلته قريش فيملأ قلبه ويطرق سمعه ذلك في كل ماكر النظر والجم النفير قد رأيت مافعلوا ، ومن يرد الله هدايته يتهم هذا ويبعده عقله لكن قليل ماهم انما تراه يشب على مادب عليه ويشيب على ماشب عليه ، ويمضي عمر المتدين بالقيام والصيام ، وطالب العلم بالتصنيف والكلام على الخلاف والوفاق ، وربما يعرف المذاهب خيرا من اهلها ويعلم انه قد صار بينه وبين من لقنه مراحل ،ثم همه كله مصروف الى ما نشأ عليه يثبته ويهدم مقابله، مانجد خلاف هذا الا في الندرة من النادر من المباحث ولذا تجده يقول في المبحث اذا أراد مخالفة شيعته : الله يحب الانصاف يتبجح بانه قد انصف وهذه الكلمة دليل عدم الانصاف وانه لو كان ديدنه الانصاف كما يدعي لما استغرب هذه النادرة التي وقعت لانه طول عمره بزعمه جار على الانصاف

فهذا مثل من قال فرسي والحمد لله وانما يفعلون ذلك فيما لا ينفر عنهم بلى قد تجد احدهم ينتقل من مذهب الى آخر بسبب شيخ أو دولة أو غير ذلك من الاسباب الدنيوية والعصبية الطبيعية ولذا تجده ينتقل من مذهب برمته الى آخر برمته كما رووا ان ابن عبد الحكم اراد مجلس الشافعي بعد موته فقيل له قال الشافعي الربيع احق بمجلسي فغضب وتمذهب لمالك وصنف كتابا سماه الرد على محمد بن ادريس فيما خالف فيه الكتاب والسنة هكذا ذكره ابن السبكي وقد علم الله سبحانه والراسخون في العلم ان الحق لم يكن برمته عند فرقة والباطل عند البواقي وان كان كل منهم يدعي ذلك بل عند كل قوم حق وباطل لكن الحق والحمد لله لا يخرج عن مجموعهم وما الحق كله الا عند من بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد له من الخطإ في اجتهاداته ايضا في المسائل المعفو عن الخطإ فيها لا في المهمات فالمفروض انه وقف على ماوقفه عليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلا خطأ، وقل لي من ذا الذي وقف على ماوقف ،وقنع بماجاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتمذهب ويؤثر الاسلاف على الكتاب والسنة ، ويترك هذا الداء الدوي ويتمسك بالانصاف في مايأتي ويذر ، لا والله ما أعرف أحدا في هذه الكتب التي قد طبقت البسيطة الا وقد تخبط وخلط ،وتعسف لمذهبه وما أنصف ، ورد كتاب الله تعالى الى عقيدته وحرف ،

اما المتكلمون فهو صنيعهم وان كان في تضاعيف كلامهم ماينفع في الجملة وصنعتهم بدعة وما ابتدع قوم بدعة الا وتركوا سنة ولايخلص من الخير الا الشيطان لعنه الله ولكن هؤلاء المحدثون الذين يزعمون الثبوت

على السنة وينهون عن الكلام قد سرت فيهم المفسدة اكثر منها في غيرهم لانهم قاعدون في طريق الشريعة والمفسدة والحرب والفتك والحيات والعقارب والسموم والسباع في الجادة اعظم ضررا منها في ثنيات الطريق مع انهم دائهم (١) جاء من الخوض في الكلام وصاروا أشد عصبية من المتكلمين لان المتكلمين بنوا أمرهم على التفتيش وان لايلام الطالب على المباحثة وايراد الاسئلة واختراع التعليلات بل يعدون ذلك ظرافة وكمالا فربما انكشف للمتأخر مع تعاقب الانظار تقارب كلام الفريقين ونحو ذلك كما انكشف لاتباع الاشعري بطلان الجبر ثم تشبثوا بالكسب ثم تبين عواره فصاروا الى مذهب المعتزلة من حيث المعنى كما مضى وليس ثبوت الاختيار يختص بالمعتزلة حتى ينفر عنه انما هو دين الله وحجته فمن حقق من المتأخرين هون ماعظم سلفه ولانت عريكته، وأما المحدثون فانما أخذوا شيئا باول رؤية ثم لم ينفروا كأن ذلك بدعة وصدقوا ولكنه بدعة من أوله الى آخره فما لهم دخلوا فيه ،كان دخولهم من غير نية لكن دس لهم الشيطان : انتم أهل السنة فمن يذب عنها ان تركتم هؤلاء؟ فلاهم اقتصروا على ماهم عليه ولا هم بلغوا الى مقاصد القوم ليتمكنوا من الرد عليهم

(١) لعل الاصل «مع ان داءهم»

باب المقالات

﴿ التربية القويمة ، والسياسة الحكيمة ﴾ (*)

— الثقة والظنة —

اظهار الثقة بالانسان مجلبة لما تحصل به الثقة ، وابتغاء الظنة فيه مدعاة لما تتحقق به الظنة ، فالمعاملة بالثقة اصل الصلاح والاصلاح ، والمعاملة بالظنة اصل الفساد والافساد رب ولدك مراعيا هذين الاصلين تحل بينه و بين الرذائل ، بما تطبعه في نفسه من ملكات الفضائل ، لاتذكر له الرذيلة ولا تنهه عنها ولم يأتها لانه لاينهى عن الشيء الا من جعل عرضة لاتيانه ، لاتتهمه بفعل شيء ولا تجعله في موضع المراقبة ليتقي السوء ، بل اشغله بالصالحات عن السيئات ، وحل بينه و بين اسبابها وطرقها حتى لاتخطر بباله ان استطعت ، فان علمت انه سمع بشيء منها اورآه فاذكر له مضار ذلك الشيء ومهانة أهله وسوء احدوثتهم وما ينتظر من العاقبة السوءى لهم ، اذكر له ذلك من باب بيان الواقع ، واظهار الحقائق ، مؤيدا بالدلائل والشواهد ، واجعل نفسك واياه من طبقة شريفة عالية لايليق بشرفها أن تعاشر اولئك المسيئين ولاأن تجعلهم موضوع أحاديثها الا قليلا تقصد به العبرة بأحوال البشر والشفقة عليهم من ظلم الظالمين منهم الذين يكونون بفساد تربيتهم قدوة سيئة لفاقدي العلم وفاسدي التربية ،

اذا علمت ان ولدك يعرف ولدا أو رجلا غير مؤدب وانه عرضة لمحادثته ومعاشرته فلا تنهه عن ذلك نهيا صريحا يشعره بانك تمنعه منه بسيطرتك عليه ، بل أشعره بأنك تعلم انه يحتقره في نفسه ولا يرضى لها ان تتخذه صاحبا ولاعشيرا وابن على هذا نصحه بان لايظهر له الاهانة والاحتقار في وجهه ويكتفي من ذلك بالاعراض

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة الحضارة

عنه كما امر الله تعالى بقوله «خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» واذا تعرض ذلك الذي لا أدب له و بدأه بالحديث فليكن جوابه جواب مسالمة وتخلص يفهم مخاطبه منه مع الادب انه لا يحب مجاراته والاسترسال في الحديث معه، كما وصف الله الكملة من عباده بقوله « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» أي قالوا قولا يسلمون به من الاثم ، ولا يقارعون الجهل ؛ ولا ينجي من شر الشرير مثل البعد عنه وترك الاساءة والاحسان اليه ؛

ان نفس الولد تشبه الصحيفة البيضاء النقية وان سمعه و بصره هما القلمان اللذان يكتبان فيها انواع العلوم ويرسمان فيها صور الاخلاق والآداب ، فينبغي ان لا يسمع الا حسنا ولا يرى الا حسنا، يتحتم هذا في طور التقليد الذي يسلّم فيه بكل ما يروى ويحاكي كل ما يرى ، وكلما قويت فيه ملكة التمييز بنفسه بين الحق والباطل والحسن والقبيح يذكر له بالتدريج كل ما هو معرض له من سيئات العالم وشروره بالاساليب التي تنفره من الباطل والشر وترغبه في الحق والخير

ألم تر الى علماء التربية كيف يتحامون في كتب التعليم ذكر ألفاظ الجرائم والشرور والفحش والرفث لكيلا تشتغل نفوس النشء بها قبل ان تقوى بالحق والفضيلة وحب الخير

دخل في الاسلام بيت من بيوت الامريكيين :رجل وامرأته واولادهما ومنهم ابنة معصر ذكية الفؤاد وكانوا في مصر فرغبوا الى بعض معارفهم من المصريين ان يدلهم على عالم من علماء الاسلام يأخذون عنه ما يحتاجون اليه من احكام الاسلام ، فدلهم صاحبهم على الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) لانهم كانوا يعرفون اللغة الفرنسية ولا يعرفون من العربية الا قليلا والاستاذ كان يحسن هذه اللغة ؛ ولان الاستاذ هو الرجل العارف الكامل الذي يرجى ان يمثل الاسلام الاعلى لامثال هؤلاء الافرنج الذين تربوا تربية عالية واخذوا حظا عظيما من العلوم، فكانوا يلقونه و يسألونه و يسرون بما يجيبهم و يتلقونه بالاذعان

كانوا يتذاكرون يوما فجري لفظ اليأس على لسان الاستاذ فقالت له تلك البنت الشابة منهم أتأذن لي ياسيدي أن أسألك عن امر اشتبه عليّ في قولك ؟

قال نعم قالت كيف يذكر مثلك لفظ اليأس وانت تعلم ان الالفاظ التي لها مدلولات ضارة اذا ألقيت واستعملت فلا بد ان تؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ما ؛ أليس هذا صحيحا ؟ قال بلى ؛ وانني قلت مرة كلمة في تصوير تأثير الكلام ،قلت انني اذا ألقيت الكلمة وانا وحيد ببيتي في حندس الظلام فلا بد أن تبقى تلك الكلمة معلقة في الهواء حتى تصادف نفسا مستعدة فتؤثر فيها ؛ قالت الفتاة أتأذن لي أن أفسر قولك هذا بما فهمته ؟ قال نعم ؛ قالت ان الانسان يكون علمه بالشيء قبل ان يتكلم به اجماليا مبهما فاذا تكلم به انتقل الى حيز التفصيل والتجلي و يستدعي ذلك إعادته وسماع الناس له فيؤثر في نفوسهم ؛ ـ او ما هذا معناه ـ قال احسنت. وغرضنا من ذكر هذه الواقعة ان أرباب التربية العالية يتحامون ذكر الالفاظ التي تذكر بالمعاني الضارة الا عند الضرورة

* *

ألا وان حب الخير و إيثاره من مقتضى الفطرة وهو الغالب على الناس ولولا ذلك لفسدت الارض وانما يقع الشر في الغالب لعدم تربية فاعله على التمييز الصحيح بينه و بين الخير له في عاجله وآجله ؛ فهو عرض يعرض من الجهل وسوء التربية

من آيات هذا انك ترى الطفل من ابتداء عهده بالتمييز يسر اذا وصفته بالخير و يزداد رغبة فيه و يمتعض اذا وصفته بضده و ربما بكى وانتحب وهذا أعون صفات الفطرة السليمة على التربية القويمة

اذا رأيت من وليدك أمارة الكسل وأردت أن تنشطه على العمل فصفه بالنشاط واظهر له انك تثق به وترى أنه أهل للقيام بالعمل الذي توجهه اليه ، واذا أتى شيئا منه فاحمده عليه ، فبذلك يتجدد له من الهمة والنشاط ما لم يكن له من قبل ، صفه بالجرأة والشجاعة يكن جريئا شجاعا ،صفه بالصدق والامانة يكن صادقا امينا ،اجعله محلا لثقتك في حب العلم والعمل تجده أهلا لها ،

لا تتهمه برذيلة من الرذائل فانك بذلك تسهل عليه ارتكابها فان اللوم اغراء، ومن يهن يسهل عليه الهوان ؛ فالمرء يشق عليه بمقتضى الفطرة ان يعرف بالباطل

و يوصف بالشر ولو بحق ولذلك يخفي عيبه واخفاؤه اياه يكون عونا للمربي على تغييره منه وحمله على تركه ، فاذا فضح امره هان عليه التهتك والمجاهرة بالمنكر بل ربما يتهم المرء ببعض المنكرات اتهاما باطلا فيحمله ذلك على اتيانها ، وقد يعزى اليه مالم يفعل من المعروف والخير فيحمل نفسه على تحقيق الظن به ، كما روي عن بعض السلف انه سمع بعض الناس يقول ان هذا الرجل يقوم الليل كله ، فعز عليه ان يوصف بما ليس فيه ويكذب من احسن الظن به فصار يقوم الليل كله وكان قبل ذلك لايقوم الا بعضه . ومن امثال العامة في بلادنا « من ائتمنك لاتخنه وان كنت خوانا »

نعم ان هذه الطريقة لاتطرد في الكبار كما تطرد في الولدان ، ولكنها تفيد في سياسة الرجال ، كما تفيد في تربية الاطفال ، بل تفيد في سياسة الامم والشعوب فانك اذا أردت ان تحث قوما على عمل من الاعمال النافعة فلا ينبغي ان تصفهم بالبعد عنه والكراهة له والجهل بمنافعه وفوائده وضعف الهمة عن القيام به وشح النفوس وبخلها ان تجود بالمال في سبيله ، انك ان تصفهم بذلك تزدهم اعراضا وضعفا وخمولا ، واذا انت وصفتهم بالمروءة والنجدة وعلو الهمة وسخاء النفس و بسط الكف ترى نصحك مسموعا وارشادك مقبولا

كانت السياسة الحميدية في دولتنا شرسياسة أخرجت للناس لأنها بنيت على أساس الظنة والريبة في الامة ولاسيما في المتعلمين من افرادها،وقد ورد في الحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الريبة في الناس أفسدهم » (رواه ابو داود) وكذلك فعل عبد الحميد أفسد أمته عليه حتى صار أكثر المقربين منه والمتمتعين بالسلطة والثروة في ظله يتمنون زواله ، فما بالك بمن كان يطاردهم و يضيق عليهم مسالك الحياة ، ولا نذكر من نفاهم من الارض ، او زجهم في غيابة السجن ،

انه اتهم جماهير المتعلمين بعدم الاخلاص له وبتمني زواله فصاروا كذلك ، ولماذا يكون الناس غير مخلصين لملكهم وأميرهم ولحكومتهم ودولتهم؟ ان الاخلاص هو الاصل ولا يتحول الناس عن الاصل الالسبب موجب يعرض لهم ، افلم يكن من العقل والحكمة ان يبحث ذلك الجبار عن سبب ما كان يتهم به عقلاء الامة والعارفين

بمصالحها من كراهتهم اياه وعدم اخلاصهم له ،و يستعين على ذلك ببطانته وخاصته، ثم يزيل ذلك السبب العارض ، و يرجع بخيار أمته الى الاصل الثابت ؟ بلى ولكنه ما كان يثق بأحد ثقة تامة فيستعمله في ذلك ، فكانت قاعدة سياسته السوءى أن يبحث دائما عن عيوب الناس ومفاسدهم و يصدق كل مايلقى اليه في ذلك أو يأخذه بالتسليم احتياطا ويبني عليه ما يبنيه على مايصدقه و يوقن به ،ولا يبحث عن محاسن الاخيار وفضائل الفضلاء ليستعين بهم على اصلاح الفاسد وتقويم المائل ، بل لايصدق مايبلغه من ذلك ، فكان كل أحد عنده ظنينا مريبا ، فكيف يستطيع مع ذلك ان يصلح عملا ، او يتقي زللا ؟

استعمل في ذلك الالوف من عمال الحكومة في جميع اعمالها ومصالحها، والمئين من الجواسيس في عاصمتها وولاياتها ، وكذا في مصر وعواصم أوربا واشهر مدنها ، واشتهر امر سياسته هذه حتى بلغ افسادها من الامة ان صار ابناء الرجل و بناته العذارى يتقربون الى السلطان بالوشاية والسعاية فيه فيصب عليه سوط العذاب ، او يسام النفي من البلاد ،و يأخذ اولاده الجعل على ذلك وهم فرحون - الى هذا الحد وصل فساد سياسة عبد الحميد في هذه الامة ولا سيما في العاصمة فهو ما افسد الناس عليه فقط بالتهمة والريبة وانما افسدهم أيضا في انفسهم حتى قطع اقوى صلات الصلاح وأمتنها بينهم وهي صلة الاولاد بالوالدين

كان الاستاذ رحمه الله تعالى يقول ان اخوف ما أخافه من استبداد عبدالحميد وظلمه هو افساده لاخلاق العثمانيين لا لادارتهم فان اصلاح الادارة من بعده يسهل اذا كانت الاخلاق صالحة ولا يحتاج الى زمن طويل اذا كانت الاخلاق سليمة ، ومتى فسدت الاخلاق فان اصلاحها لايسهل الا بعشرات من السنين كما جربنا في انفسنا (يعني المصريين) فان اسماعيل باشا افسد الادارة وافسد الاخلاق ، فلما وجدنا ريح الحرية واردنا ان ننهض بالاصلاح كان فساد الاخلاق هو الذي عاقنا لافساد الادارة ولولا ذلك لكانت هذه المدة التي أبيح لنا فيها مانشاء من التربية والتعليم والكتابة والخطابة والاجتماع كافية لان نرتقي فيها ونكون أمة

وقع ما كان يتوقع ذلك الامام الحكيم فقد افسدت السياسة الحميدية السوءى

أخلاقنا حتى صار الاصلاح عسرا علينا مع الحرية على مقربة مما كان في زمن الاستبداد فان الذي كان يتصدى للاصلاح في عهد عبد الحميد كان يتهم بعدم الاخلاص له ، والذي يتصدى له الآن قد يتهم بعدم الاخلاص للدستور ولرجاله، أو العثمانية وعناصرها ، ولا يزال كثير من الكبراء على ما تعودوا في العهد الحميدي يصدقون التهم وان كانت سعاية افك وبهتان ،ويرتابون في طالب الاصلاح وان قام على صدقه الدليل والبرهان ، وكذلك شأن الامم والشعوب في طور الضعف والجهل

* *

أخطأ كثير من المصريين باساءة الظن باخوانهم المخالفين لهم في الرأي واتهامهم بخيانة الوطن ويقع كثير من العثمانيين في مثل هذا الخطإ وضرره عظيم ، أنا لاأقدر أن أصدق بوجود أحد يريد بأمته أو دولته سوء ، ولكن يوجد في كل أمة أفراد قلائل تغلب عليهم الاثرة حتى انهم لايبالون في طلب حظوظهم بالمصلحة العامة ، ويوجد أفراد قلائل يضادونهم فيغلب عليهم الايثار حتى انهم لايبالون بمصلحتهم الخاصة اذا عارضت المصلحة العامة أو عاقتهم عنها ، وا كثر الناس لا يرضون أن تمس المصلحة العامة بسوء بل يودون حفظها وإن كان ا كثر سعيهم لانفسهم لا لأمتهم ، والذين يتصدون للقيام بالمصالح العامة بالعمل والتعليم أو الكتابة والخطابة يخطئون ويصيبون ويتفقون في الرأي ويختلفون ، ولايجوز اتهام أحد منهم بقصد السوء لامته ، وانما ينبغي ان يتناظروا بالحجة والبرهان ، مع اعتراف كل منهم للآخر بأنه يريد الخير ويطلب الحق ، الا أن يظهر من بعض الناس مايدل على اتباعه لهواه في الانتقام من غيره كالبهتان المبين ، والتحريف الظاهر ، فذلك الذي لايناظر ولا يراجع بل يترك للزمان حتى يفضح بهتانه، ويتولى خذلانه ، مع بيان الحق في نفسه ، والتحذير من الباطل ورجسه

لقد كان عجب الناس من خطاب ابراهيم حقي باشا الذي اعرب فيه عن قاعدة السياسة في وزارته أن يتبع فيها قوله تعالى «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» وشاع في العاصمة انه سيكون من فروع هذه القاعدة طلبه العفو عن المتهمين بالجرائم السياسية من العثمانيين واستعادة اللاجئين الى أوربا منهم ،ولكن لم يعجب الجمهور

طلبه اعطاء معاش التقاعد لرجال عبد الحميد المنفيين في رودس لانه اسراف في الاحسان الى شر المسيئين .واعجب من ذلك الطلب تعليله اياه بأنه لم يثبت عليهم شيء رسميا !!!

على ان سياسة دولتنا اصعب السياسة واعقدها فلا ينطبق عليها كل ماينطبق على غيرها من قواعد علم الاخلاق وعلم الاجتماع ،فنسأل الله تعالى ان يوفق رجالها ويؤيدهم بروح منه ليكونوا مصدر الحياة والخير والبركة لها وللشعوب المكونة لامتها ، آمين

﴿ الحق للقوة والقوة بالحق ﴾

كن قويا بالحق يعرف لك حقك كل أحد: العلم قوة، والعقل قوة، والفضيلة قوة، والاجتماع قوة ، والثروة قوة ، فاطلب هذه القوى بالحق تنل بها كل حق مفقود ، وتحفظ كل حق موجود

الوالدان يفضلان العالم من أولادهما على الجاهل، والغني على الفقير، والقوي على الضعيف ، يكرمانه بذلك بالمكالمة والمعاملة فيكون بين أخوته الذين هم دونه كأنه من طبقة غير طبقتهم ، فهل يلام غيرهما على مثل هذا التفضيل والتكريم

الاخوة أنفسهم يعتزون باخيهم القوي بالعلم أو المال أو العقل أو الاخلاق أو العصبية ويفضلونه على انفسهم وان كان أصغر منهم سنا ولا يوجد أفراد من الناس بينهم من المساواة مثل مايكون بين الاخوة ولاسيما اذا كانوا أشقاء افلايكون غيرهم أجدر بتفضيل القوي وتكريمه ؟،

الجماعات كالافراد في احترام القوة وحفظ حقوق اهلها وتكريمهم وتفضيلهم على أمثالهم سواء كان اهلها أفرادا أم جماعات ، فالعشائر في القبيلة الكبيرة، والعناصر في الامة العظيمة ، تتفاضل فيخضع ضعيفها لقويها ويعترف له بحق التقدم عليه، وبغير ذلك من الحقوق ومكان كل منهما من الآخر كمكان الاخ من أخيه ، فما قولك في القبائل والشعوب الاجنبية بعضها مع بعض وكل منها غريب عن الآخر يرى

مصلحته غير مصلحته وربما كانت قوته آفة عليه لا منفعة له

القوي بأي نوع من انواع القوى اكثر حقوقا من الضعيف لانه أقدر على كسب الحقوق فانما يكسب الناس مايكسبون بصفاتهم ومواهبهم التي يكونون بها أقوى استعدادا ممن عداهم

المباراة والتنازع بين الاقوياء والضعفاء من السنن الاجتماعية في البشر ، واعدل احوال القوي مع الضعيف ان يرضى بحفظ حقه الذي يكسبه بقوته من الطرق المشروعة فلا يبغي على الضعيف بغير حق مشروع ، وأفضلها أن يكون إماما له ومرشداً ، وحاميا له من اعتداء غيره وعضداً ، وشرها أن يبغي عليه ويهضم حقوقه «وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم »

انما كانت المباراة والمنافسة سنة من سنن الفطرة لأن الله أودع في نفس الانسان حب الكمال والسبق والتفوق فهو بذلك يزكي نفسه ويطهرها من ادران النقائص التي تشينها عند المعاشرين والاقران ، وبه يحملها على مايعد في بيئته من معالي الامور وكرائم الشيم ، وبه يوسع دائرة وجوده بالنعرة والتعصب والترقية لكل ماينسب الى نفسه كالاهل والعشيرة والقوم والامة والدولة والوطن والمذهب الديني والعلمي والسياسي والصناعة ، يباري في كل ذلك من يخالفه وينافسه ، ويلح في ذلك ويبالغ بقدر مايرى من المزاحمة والمعارضة من المخالفين ، فاذا فترت المزاحمة من المخالف فترت الهمة وضعفت العزيمة وانحط شأن الافراد والجماعات والاقوام فمن استطاع ان يجعل جماعة او قوما بمعزل عن المباراة والمنافسة مع غيرهم فقد استطاع ان يقضي عليهم بالضعف والخمول واضاعة الحقوق الموجودة ، واكتساب المزايا والفواضل المفقودة

المباراة والمنافسة من الفضائل ، ومعارج الارتقاء للشعوب والقبائل ، لولا مايعرض فيها من البغي ، واعتداء حدود الحق والعدل ، فلو ان الناس يتبارون في المسابقة الى الخير والفضل متحريا كل فريق منهم أن يكون اكمل من الآخر من غير بغي عليه ولاعدوان لكان ارتقاء البشر اسرع واقرب ، ولكن القوة تغري صاحبها بالطغيان ، ويجمح به في البغي والعدوان ، فالحق يكتسب بالقوة ويحفظ بالقوة وانواع القوة كثيرة كما

اشرنا الى ذلك في صدر المقالة ولبعض القوى من الغناء والفائدة في بعض المواطن ماليس للاخرى واعلى القوى واشرفها واغناها قوى النفس: العقل والعلم والاخلاق، فاذا وجدت تبعها غيرها الا الكثرة ، واذا فقدت لايغني عنها غيرها حتى الكثرة، وان القوي ليقوي الضعيف بمباراته ومعارضته ويقضي عليه باهماله ومحاسنته، بأهون مما يقضي عليه بسحقه وابادته

الامثلة لما ذكرنا من الاصول والقواعد الاجتماعية كثيرة تراها بين يديك في سائر الاقوام وتقرأها في تاريخهم : إنما نسخ الاسلام بعض الاديان وأضعف البعض الآخر في البلاد التي دخلها بعدم معارضتها وترك أهلها لمنازعة أهلها . وقد حدث في الاسلام مذاهب كثيرة ما بقي منها الا ما جرى بين أهلها التعارض والتنافس ، ولولا بادرة العصبية التي بدرت من المأمون في مقاومة اللغة الفارسية لذابت وتلاشت في اللغة العربية بقوة الاسلام كما زالت اللغة القبطية من مصر . واضطهدت اليهود في أوربا قوى الكثرة والسلطة ، فالجأ هؤلاء الى قوة الرأي والحيلة ، فقلبوا سلطة الملوك وصار لهم مكانة عالية في أعظم الممالك الاوربية وأرقاها

تزاحمت الشعوب الاوربية وتنافست فارتقت وعزت وصار بعضها قريبا من بعض في القوى الكسبية كالعلوم والفنون والصناعات والاخلاق والاجتماع والاتحاد وبقي التفاوت عظيما في قوتي الكثرة والثروة ، اتفقوا على تأمين الشعوب الضعيفة بالقلة (كسويسره) من بغي القوة بالكثرة ، وتحالف المتقاربون في القوى الحربية ليأمن القوي من بغي الاقوى ، فالقاعدة التي بني عليها هذا التحالف هي ان المزاحمة والمنافسة في السبق والتفوق في كماليات الحياة تفضي بطبعها الى المناصبة والمقاومة وهذه تفضي الى البغي والعدوان ولايحول دون البغي والعدوان الا تكافؤ قوى الاقران

علينا نحن معاشر العثمانيين ان نكون على بصيرة في حياتنا الجديدة التي نستقبلها للدستور ، ولا بصيرة للجاهل بمثل ما أشرنا اليه من سنن الاجتماع ومن لا يعتبر بأحوال الامم والشعوب في هذه السنن

نحن أمة مؤلفة من شعوب شتى لا جامعة لها كلها الا اعتقادها ان ارتباط بعضها ببعض يكون لها قوة عامة يعتز بها كل واحد منها وتكون مباراته ومنافسته

للآخر من غير بغي ولا عدوان سببا لقوة الوحدة العامة بقوة أفرادها

يجب أن تتبارى عناصرنا في تقوية أنفسها بالعلم والثروة وان يعلم كل عنصر منها انه اذا بقي متخلفا عن اخوته فان أمه الدولة تفضل عليه اخوته من العناصر الاخرى في جميع أعمالها كما تفضل أم الاولاد ولدها العالم على الجاهل

ان مباراة العناصر العثمانية بعضها لبعض مع الاتفاق على البر بوالدتهم الدولة العلية والاحسان بها ورفع شأنها هو الذي يسرع ترقيهم وترقي الدولة ، فعليها ان ترغبهم في المباراة والمنافسة وتمنعهم من البغي والاعتداء فيهما فقط ، وأن لا تحابي عنصرا منهم محاباة لا يأذن بها شرعها ودستورها

بل أقول انه ينبغي للولايات وللألوية وللاقضية ان تتبارى وتتنافس في العمران ، بل ينبغي للمدن والقرى وللشركات والافراد في البلد الواحد ان تتبارى في ذلك فالمباراة هي السائق القوي للارتقاء السريع مع اتقاء البغي من بعضهم على بعض

أعجبني اهتمام أهل بيروت والشام بأمر السكة الحديدية التي يقال انها ستكون بين طرابلس والعراق ومذاكرتهم في جعل طريقها من بلديهم وان كنت أرى انهم غالطون في رأيهم وحسبانهم ان تلك السكة تضر بتجارتهم أو تنقصها وفي حسبانهم ان ايثار بيروت والشام على طرابلس أمر ميسور . والصواب عندي ان وجود هذه السكة يزيد جميع البلاد السورية والعراقية عمرانا فتنمو الثروة فيها كلها ومنها بيروت والشام ولكن الزيادة النسبية في طرابلس تكون اكثر منها في بيروت وذلك لا يضر بيروت بل يفيدها ولا سيما اذا اتصلت بطرابلس بخط عريض وذلك من أيسر الامور .

وجملة القول ان هذا العصر هو عصر المباراة والمنافسة من سبق فيه ساد وعلا ومن تخلف فيه خاب وخسر ، وامتهن واحتقر ، فعلى العقلاء من كل عنصر وفي كل ولاية وكل بلد أن يحثوا قومهم على ذلك وان تكون وجهتهم فيه ترقية الامة والدولة بترقية أنفسهم ليكونوا بعلومهم ومعارفهم وثروتهم واجتماعهم حصنها الحصين ، وركنها الركين

الاسلام في نيازالاند (*)

﴿ قول لحاكمها ﴾

لما زرت نيازالاند منذ ٢٠ سنة لم يكن الاسلام موجودا الا في بقعة أو بقعتين جاءها به بعض العرب ومن ذلك الحين انتشر الاسلام انتشارا عظيما لا سيما في السنوات العشر الاخيرة وقد امتازت قبيلة (الياوس) بالميل الى الاسلام ونشره وأما القبائل المقيمة غربي بحيرة (نيازا) فليس بينها مسلم وقد تغلبت البعثة الاسكوتلاندية الدينية هناك فمال القوم الى النصرانية ، أما الاسلام فقد كان انتشاره من ساحل إفريقية الشرقي وليس من السودان والفضل الاعظم في نشره لعرب جاءوا من زنجبار وقد نمت هذه النهضة الاسلامية بدون مساعدة وليس فيها شيء من قبيل الدعوة الجامعة . وفي جميع بلاد (باو) من بحيرة نيازا الى الساحل الشرقي يوجد في كل قرية تقريبا جامع وامام ، وليس في هذه النهضة شيء من التعصب أو العداء فان جماعة الياوس يميلون الى الحكومة ولا تزال هذه النهضة حتى الآن خالية من كل أذى(؟!) على أنه مما لا ريب فيه دائما أن الاسلام معارض للنفوذ الاوربي(!!) أما الحكومة فقد جرت على خطة النزاهة فلم تفضل دينا على دين آخر ولا خوف من هذا القبيل ما دامت هذه خطة الحكومة ولا أظن أن النهضة الاسلامية تنتشر الى جنوبي (زمباسي) نظرا لقوة النفوذ الاوربي هناك اه

وقد نشرت هذا القول جريدة الدايلي تلغراف من كبريات جرائد لندرة وقفت عليه بهذه المقالة

(*) كلام للسر الفرد شارب حاكم نيازالاند نشره في جرائد لندره وترجمته بالعربية جرائد مصر اليومية

«إن نهضة الاسلام لجديرة من انجلترا بعناية أكثر من العناية المبذولة الآن في سبيلها نظرا لاتساع سلطة ملك انجلترا على المسلمين ولأن لها منهم رعايا أكثر من رعايا سلطان الدولة العثمانية، ولقد قلنا مرارا ان كثرة عدد المسلمين في المملكة الانجليزية جعل واجباتها نحو الاسلام ذات صفة خاصة!

«على أنها فرطت في اهمال هذه الواجبات واذا بأمة أخرى تغتنم الفرص السانحة وتدرك ماجهله الانجليز وتفعل مالم يفعلوه

«فالواجب الاول المفروض على انجلترا نحو الاسلام هو أن تفهم هذا الشعب ولا سبيل الى هذا التفاهم الا بتعليم جميع الانجليز الذين يختلطون بالمسلمين لغات الشعوب الاسلامية وطريقة فكرتهم وشرائعهم. الا أن الدولة لم تقتصر على اهمال هذا الواجب اهمالا تاما ولكنها لم تعين له النفقات ولم تبذل في سبيله من الاهتمام ماهو جدير به» على أن مراسلنا في برلين يقول في رسالته الاخيرة: إن المانيا تهتم كثيرا بما أهملناه فقد انشأوا في المانيا «مجلة تاريخ ومدنية الشرق الاسلامي» وفي أكثر من مدرسة جامعة المانية يوجد قسم خاص لتعليم لغات الشرق وآدابه. وقد سعى الالمان بواسطة هذه المباحث وراء التدخل بين المسلمين لمصلحته الخاصة وقد أشار مراسلنا في برلين الى وجود مدارس المانية في مراكز عديدة في المملكة العثمانية وانهم ينوون انشاء مدرسة جامعة المانية في آسيا الصغرى أو ما بين النهرين، وهي مساع سلمية تبذلها المانيا في سبيل تعزيز روابط العلاقات بينها و بين الدولة العثمانية، فهل سعت انجلترا السعي الواجب في سبيل تعزيز الصلات بينها و بين الشعوب الاسلامية التي تتولى أمورهم؟ وأهم هذه البلاد هي الهند ومصر. نحن نرسل اليهما نخبة من رجالنا لتولي أمورهما وهم ما بين انجليزي واسكوتلاندي وارلندي ولكننا لانبذل الجهد لافهام قومنا في انجلترا بالذات هذه الحقيقة بحيث يدركون ما يفعله رسل دولتنا هناك. فان مدارسنا الجامعة لا تحفل بالدروس الشرقية كما ان المدارس العامة لاتتعرض لها، والذين يعرفون اللغة العربية في انجلترا أو يعلمون شيئا عن الاسلام وحياة المسلمين هم أندر من الكبريت الاحمر. ان من مصلحة حكومة الهند وسلطتنا في مصر أن نعد بعض رجالنا ليقفوا على حركة الاسلام

وسيره. لا يفهم من قولنا هذا انه لا يوجد في انجلترا من يعلم ذلك والحقيقة ان فيها عدد غفير من هؤلاء العالمين الذين يهتمون بهذا الامر. فعندنا الجمعية الآسيوية الملوكية وجمعية آسيا الوسطى وعندنا بعض أساتذة جامعاتنا ولهم اهتمام تام باللغة العربية والاسلام، على أن الدروس في تلك المدارس ليس فيها ما يحفز الانسان الى السعي والاهتمام وكان يجب على الحكومة أن تعين مبلغا كبيرا إعانة لمعهد شرقي عظيم يدفع بكثير من شباننا الى الانقطاع لنقل حقيقة الشرق الى الغرب وهذا النقل ضروري لمصلحة الغرب والا فان الغرب لا يمكن أن يدرك حقيقة الشرق، ولقد زعم قوم منذ عشرين سنة أن الاسلام لا يمكن أن يدرك حقيقة الغرب لان إدراكه له يؤدي الى سقوطه، ومنذ خمسين سنة زعم (رانك) أن الاسلام يضعف كلما أثرت فيه المؤثرات الغربية، ومع ذلك فقد تواترت النهضات الاسلامية من ذلك الحين، ففي إفريقية ظهر المهدي وأمثاله والسنوسي وانتشر الاسلام جنوبا فجرف كل دين آخر في سبيله وأوجد وراء بحيرة تشاد المدن الكبيرة وهي ذات نظام وشرائع تختلف كثيرا عن الهمجية السابقة ولم يؤثر في الهنود اختلاطهم بالانجليز وهذه الدولة العثمانية التي سميت قبلا «بالرجل المريض» قد نهضت نهضة وطنية على قاعدة لا تختلف عن الاسلام في شيء. وكل هذا هو من قبيل وضع خمر جديدة في زجاجات قديمة (!) ولا نعلم حتى الآن ماذا تكون النتيجة على أن حالة مصر تفيدنا ان الغرب كان عجولا وكان الاولى به أن يتدبر الامر طويلا. فدراسة هذه المسائل من مقتضيات المصلحة الوطنية الانجليزية وجدير برجال سياستنا أن يعتنوا به عناية خاصة اه

(المنار) عسى ان يكون لمحاربي العربية عظة بهذا الكلام، وأن يعلموا ان محاربة العربية محاربة للاسلام

الدعوة الى التعليم

(في حضرموت)

« لصاحب الامضاء »

ليس مشروع الدعوة حديث العهد عند الامة الحضرمية فانه من المشروعات التي اهتمت لها منذ ثماني حجج لكونه من الحاجات الضرورية لحياة الامة وغنائها ولذلك لايألو جهدا بعض ذوي الهمم العالية في استنهاض همم ابناء جلدتهم الى القيام بتأسيس مدرسة في إحدى مدن حضرموت جامعة لانواع العلوم تشرق من جوانبها انوارها عسى ان يحيوا ما اندثر من مجد اسلافهم القديم ويقتدوا باخوانهم من أبناء ملتهم سيرا في سبيل النهضة

ولكن بالعجب! ان هذا المشروع لم يتم الى الآن مع ان الحضرميين الموجودين الآن في هذه الجزائر ينيفون على اربعين ألف نسمة غالبهم في سعة من الرزق لو فرضنا ان عشرة آلاف منهم أغني ربعهم في الدرجة الاولى ونصفهم متوسطون والربع الاخير مقلون وجعلنا نصف الربع الاول اعني ثمنهم ممن تبلغ ثروتهم الملايين ومئات الالوف ووزعنا المطالب عليهم لجاءت النتيجة كما يأتي :

	عدد	على كل واحد	الجملة
الثمن الاول	٥,٠٠٠	٥,٠٠٠ روبية	٢٥٠,٠٠٠ روبية
الثمن الثاني	٥,٠٠٠	٢,٥٠٠ «	١٢٥٠٠٠ «
النصف المتوسط	٢٠,٠٠٠	١,٠٠٠ «	٢٠٠,٠٠٠ «
المقلون	١٠,٠٠٠	١ «	١٠,٠٠٠ «
			٥٨٥,٠٠٠ حاصل الجمع

فتكون هذه دفعة واحدة فيشترون بها عقارات من هذه الاراضي ذات ريع كثير ويكون الريع على قدر ما تحتاج اليه المدرسة

فهذه الامة الموجودة في هذه الجزائر هي بالنسبة الى الموجودين في الجهة الحضرمية الذين انهكهم الفقر المدقع والجهل المظلم اقل عددا

أليس لنا في اغنيائنا في هذه الاقطار رجل كريم يظهر الغيرة العربية والحمية الاسلامية والشفقة الانسانية والرأفة الاخوية فينهض بأمته ويجبر كسرها ؟ أليس فينا من يبرهن اننا من سلالة أولئك الرجال الماضين الذين بذلوا جهدهم حتى ملأوا الكائنات نورا ؟! فمتى نرى اخراج هذا المشروع وابرازه الى الوجود ؟ وأنى لنا ذلك ومن لنا والامة غارقة في غياهب الغفلة ودياجير التقليد والاوهام !! والله انهم لاهون بغناهم لايفكرون فيما اصاب هذه الامة ولا يبالون بها ترقت أم تدلت، اعتزت أم ذلت، بل كل ذلك لديهم سواء.

فيا للخجل! أليس عارا ان نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ماحل بقومنا من السقوط الى الدرك الاسفل والانحطاط والتدلي في الهيئة الاجتماعية ولا تستفز احدا منا الغيرة ولا الحمية لانقاذها من ربقة الذل وانتياشها من وهدة الجهالة؟

فاذا عرفنا هذا علمنا اننا بعيدون عن أوامر ديننا منحرفون عن سبيل الاسلام السوي لقد شوهنا وجهه وأضررنا بسمعته عند بقية الامم ولو كان فينا قطرة من دم آبائنا الكرام وذرة حمية للجامعة القومية لتآزرنا واتحدنا على إحياء الشعور وايقاظ النائمين واثارة الافكار والحث على الانفاق. فتداركوا أيها الحضرميون الوقت قبل فواته وقبل ان يتخطفكم الداء الغربي ويضع الاغلال في اعناقكم كما وضعها في اعناق الهنود والمصريين والجاويين ولسوف تندمون ولا ينفع الندم !! تفكروا واعملوا قبل نزول البلاء ولا تتهاونوا مثلما تهاون اخواننا التونسيون والجزائريون والمراكشيون متكلين على الخرافات حتى دهمهم البلاء ولم تغنهم خرافاتهم ونحن الآن محتذون مثالهم وسائرون في طريقهم نتخبط كأن بنا مسا من الشياطين!

اشفقوا أيها الحضرميون على دينكم وقومكم ووطنكم وسمعة سلفكم ومستقبل أيامكم وأولادكم فاننا لفي غرور عظيم. واذا نظرنا بعين الحق والانصاف ونفي الحماقة والتعصب الاعمى نرى مايوجب الاضطراب واليأس من تكاسلنا وتنافرنا في جانب بقية الامم التي تسابق الى تنازع البقاء!

ناشدتكم الله أيها الرجال المخلصون في خدمة الوطن والامة : ماالفائدة في فتح المدارس في جاوه وحدها لأبناء العرب ؟ هل تعود على الوطن واهله بكل ماترجوه له من الفوائد ؟ لاأظن ،لان ابناء العرب هنا لم يعرفوا معنى الوطن بل هم يكرهون ذكر اوض العرب ! وان قلت يكرهون العرب انفسهم ولا يحبون الامن نشأوا بينهم لما كنت مبالغا ! فالفائدة عائدة لشخصيتهم فقط لالمجموع أهل وطنهم كما توهم الاغرار - اذا فرضنا ان ابن العرب المستعجم حاز القدح المعلّى في لغة الاجانب والكتابة والحساب ونال الشهادة المدرسية في الهندسة وما أشبه فهل تظنون ان الحكومة الاجنبية تمنحه رتبة وتعطيه راتبا يوازي نصف أو ربع ماتعطيه لاحد الاوربيين ؟ كلا - فرضنا انه صار كاتبا في الحكومة أو عندأحد التجار الافرنج راتب شهري قدره عشر روبيات الى خمس عشرة روبية فيعيش بهذه فيبقى مدة حياته في هذه الجزائر : فهل للوطن اذا فائدة أو لابناء وطننا التعيس الحظ ؟ كلا ! فحينئذ لايكون في فتح المدارس هنا كل الفائدة لابناء العرب بل الفائدة فتحهافي وطنناالعزيز وتعليم الثابتة هناك ويمكن ان يرسل أولاد العرب الذين يولدون هنا الى تلك المدارس فتكون العاقبة محمودة لهم ولوطنهم وملتهم جميعا

فهل تليق بنا هذه الغفلة مع أن للعرب خصوصا وللمسلمين عموما علماء واغنياء في غالب مستملكات الاجانب ؟!

فبأي شيء تعاملهم الاجانب ؟ هل أحد منهم نال رتبة والٍ أو حاكم أوأعطته راتبا يوازي راتب أقل واحد من الاوربيين ؟ أو هل نظرت اليهم بعين الشرف والعز والاحترام ؟ كلا وانما هم ينظرون اليهم بعين الاحتقار كما ينظرون الى ارذل حيوان ولسان حالهم يقول: لو كان هؤلاء يعدون من بني الانسان لكان لهم سلطة على بلادهم ولأصلحوا ذات بينهم - فكيف تريدون الاجانب على اكرامكم وانتم لم تكرموا انفسكم فمن أي باب تطلبون الشرف ؟ فالشرف هوفي ترقية الوطن ولمّ شعث ابنائه والاخذ بناصر المظلوم وانتياش الجاهل من حمأة الغفلة و بذل العلوم المفيدة و بذل المال لتأسيس المدارس - وفقنا الله الى مافيه صلاحنا

بتاوى (جاوه) ——— على بن شهاب

قانون حق التأليف (*)

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى «حق التأليف» .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها لسان آخر أو افراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواعظ والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية أو الفكاهة . أما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقتة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل «حقها محفوظ» «ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها» فحقها محفوظ.

ولكن المقالات والرسوم والاخبار اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لايعتبر فيها حق التأليف على شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لايجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل أحد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

(*) نشرته جريدة الحضارة ثم طبعته على حدة

المادة السادسة — ان حق التأليف عائد للمؤلف في حياته اما بعد وفاته فهو عائدا اولا لأولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانيا لآبائه وامهاته. ثالثا لاحفاده بالتساوي . وعليه لايجوز طبع ونشر هذه المؤلفات أو ترجمتها للسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها أو ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة هو ثماني عشرة سنة اما حق التأليف في الترانيم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها ويشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح.

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر تبتدئ اعتبارا من تاريخ نشرها .

المادة العاشرة — لايجوز تمثيل رواية منثورة أو منظومة أو تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنثورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لا لمقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف

المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من أي أثر كان لضرورة أو لفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لاتنشر المكاتيب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حيا أو من عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد أو اكثر ضمن أحكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتبارا من وفاة المترجم .

المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقاولة فحق التأليف او الترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادته من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتبارا من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقاولة مخصوصة بين الشركاء فيجري حكم المقاولة تماما واذا حدث خلافٌ ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — اذا لم يبق لأثر صاحبٌ ما كأن توفي مؤلفه بلا وارث او انقطعت الوراثة او حدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك الأثر وترجمته .

المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل أحد ان يطبع الآثار المطبوعة قبلا والتي لاصاحب لها وفقا للمادة السابقة واما الذين يودون طبع اثر لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة وحينئذ لايجوز لغير صاحب الامتياز أو ورثته طبع هذا الاثر في ظرف هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع الاثر في مدة سنة أو عطل سنة بعد مباشرة طبعه فيعد الامتياز كأن لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا نفدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتبرة التي يرجى منها فائدة للعموم ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقر ورثة المؤلف أو اهمالهم أو عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة ولمديرية المعارف في الخارج ويقيدوه و يسجلوه ليحفظوا

بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الا صورة واحدة كالالواح والتماثيل والتعاليق (المداليات) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدفتر المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم الاثر وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صحائفه ويوضع له رقم بالترتيب وبعدها يوقع عليه من صاحب الاثر او وكيله الرسمي .

المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ليره عثمانية فقط خرجا للقيد والتسجيل ويعطى بمقابله من قبل نظارة المعارف او مديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معمولا به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقتة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لا تسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها . تعلن في آخر السنة الآثار التي قيدت وسجلت في ظرف السنة واسماء مؤلفيها رسميا بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الاثر او المترجم اوصاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا أو يتركوا في ظرف المدة النظامية حق التأليف او الامتياز تماما أو موقتا او بتعيين عدد النسخ لآخر بموجب مقاولة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري او الآخذ حينئذ قائما مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفة في المدة الباقية .

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقاولة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيدية ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف .

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بائعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقاولة خصوصية .

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغيرا ما في الاثر بدون اذن المحرر واذا اجرى ذلك منع نشر الاثر بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر .

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثيله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منثورة أومنظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية أواستنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالفوطوغراف او بوسائط اخرى واعمال قوالب للآثار القلمية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين.

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفسية لغير اصحابها يعد انتحالا وكذلك من قدم وأخر عبارات كتاب او اناشيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه يعد بحكم المنتحل .

المادة الحادية والثلاثون — التقيدات والشروح والحواشي لاتعد انتحالا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وفقرات من اثر آخر لاثره ونوه بانه اخذه من محل آخر لايكون منتحلا .

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الآثار التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها او توسط بطبعها او مثل رواية منثورة أومنظومة يغرم بخمس وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا ويحبس من أسبوع الى شهرين وتضبط منه الآثار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه الآثار في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمس ليرات عثمانية الى خمس وعشرين ليرة جزاء نقديا .

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الاثر المتضرر يعطى بحقها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى.

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتبا زيادة عن

المقاولة التي عقدوها مع المؤلف معاملة الذين خالفوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها و يؤخذ منهم بدل ما باعوه منها و يعطى كل ذلك لصاحب الاثر .

المادة الخامسة والثلاثون — تطبق أحكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين بحق المتحلين أيضا .

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الاثر المشترك ان يراجعوا المحكمة على الانفراد ويطلبوا الضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون — لا يجوز للدائنين حجز آثار المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيرا بعرضها للبيع ووقاية أصحابها من الغدر .

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذيلة عليه .

المادة التاسعة والثلاثون — ان الذين طبعوا اثرا قبل نشر هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحبه أو ورثته عليهم مراجعة صاحبه أو ورثته واستحصال رضائهم واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى أصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الاربعون — ان تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية .

المادة الحادية والاربعون — ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء أو بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه

المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية مأموران باجراء هذا القانون.

في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨

وفي ٦ مارس سنة ١٣٢٦

باب الأخبار والآراء

تعارض العقل والنقل
(في الاسلام) (*)

نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب المكرم الاخ في الله مفيد السائلين وقدوة الناسكين امام المحدثين سالك منهج الراشدين شيخنا الفاضل الامجد محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله من كل شر وجعلنا و إياه من اتباع سيد البشر آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته . اما بعد فانه وصل الينا عزيز كتابكم ، تلوناه مسرورين بسني خطابكم ، وحمدنا الله على ما اولاكم ، اصلح الله احوالنا واحوالكم ، واحسن عواقب الجميع انه ولي التوفيق

و بعده اني نظرت في اماكن من كلام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه مثل توسطه في ذم السياسة وذم التقليد ومحبته لطريق السلف وحثه على النظر فيه في اصول الاعتقاد وحثه على مآخذ الائمة من الكتاب والسنة واحترام اهل الحديث واهل الاثبات وتمييزه طريقهم عن غيره ، فحق لي ان أقول هو العالم الحبر الذي ينبغي ان تشد

(*) سؤال من الشيخ عبد العزيز السناني العالم السلفي عن عبارة للاستاذ الامام في كتاب الاسلام والنصرانية وجهه الى الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عالم دمشق العامل الشهير وجواب هذا عنه واذعان السائل لجوابه

اليه الرحال ووددت اني سألته في حياته ايضاح قاعدة في اصل الاعتقاد قد رسمها في كتاب الاسلام والنصرانية في تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض قال في كتابه « اتفق اهل الملة الاسلامية الاقليلا ممن لاينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل اخذ بما دل عليه العقل . و بقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الامر الى الله في علمه، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل. (وقال) وبهذا الاصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل » اه كلامه فقسمها ثلاثة اقسام، الاول التقديم عند التعارض مطلقا، والثاني التفويض، والثالث التأويل، فالاول لولا ذمه لتقليد الفقهاء فضلا عن الآراء الفلسفية لقلنا هذا تقليد لهم بناه على اصلهم، والثاني التفويض وفيه مافيه، والثالث لولا تمييزه واعلاؤه طريقة السلف لقلنا عني بالتأويل اصطلاح المتفلسفة الذي حقيقته التبديل، وكذلك (قال) وهذا الذي عليه عمل النبي صلى الله عليه وسلم فهمنا من ذلك انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة لكن لم نحط به علما خلاف ما يتوهم، ولأنه بعيد من الغباوة والتقليد بغير الوقوف على الحقائق، واني لعلى نظر بل على قدم ان العقل عقلان عقل صحيح وعقل فاسد وان النقل نقلان (؟) نقل صريح صحيح ونقل غير صحيح فالعقل الصحيح، موافق للنقل الصريح، لا تعارض ولا تنازع بينهما وما حصل من التنازع فهو من سوء الافهام ليس هو اختلال في العقل الصحيح، ولا قصور من النقل الصريح ،ومع هذا لم يرتفع عني وجه الاشكال بالكلية، بل على هنيه، لما في ذلك من الاجمال واحتمال التفاصيل مايحتاج الى فهم سيال وفكر وقاد فاستشكلت ذلك جدا ،وطلب التسليم لقاعدة صاحب الاسلام والنصرانية اعوزني الى ان انظر في كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية المسمى بالجمع بين العقل الصحيح والنقل الصريح وهو بهامش كتابه منهاج السنة في الرد على الرافضة فسرحت نظري في اول الكتاب واسترسلت به نحو فصلين فعسر علي التسليم للتقديم مطلقا فأوقفني ذلك الكتاب على ثبيل ابحاث موارد طرق شتى متباعدة الاعماق ،متخالفة المساق ، متباينة المذاق ، فمنها ماهو ملح اجاج آسن كدر ، ومنها ماهو عذب صاف فرات سائغ للشراب ،

وما بينهما في الاقل والاكثر مزج من الجانبين فصوبت نظري مليا في ذلك فاذا الناس في تنوع طرقهم الى مواردهم يهرعون سراعا ،أقطاعا وأرسالا وأشتاتا، لا يصدهم وذح قذى مافي مواردهم ، فسبحان الله لقد استعذب كل اناس مشربهم ، ثم علوت اعلا ثبيل تلك الموارد ، دنف البدن من زواعج التفكر ، شعث القلب لهفا ، متفطر الكبد ظمأ ، مرتجف الاعظم وجلا ، مفتقرًا لِلم شعث قلب ، وضم فطرة كبد ، ونعش ظمإ ، وسكون اعظم ، وتمريض طبيب ، فاستجرت بذلك اليكم ، كي استضيء بنور علمكم ، واستصبح بمشكاة فهمكم ،وأستعين بباسق فضلكم ،الى معرفة أصول الايمان الذي انزلت به الكتب ،وارسلت به الرسل ،وما يتوقف وجود الايمان على وجوده، وما يعدم ممن عدمه ، ولكم في ذلك إن شاء الله الأجور الوافرة ، والمقامات الفاخرة ، في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله واياكم السداد ، وألهمنا و إياكم الرشاد ، انه رؤف بالعباد ، هذا ما يلزم

وأبلغ سلامي فريد عصره ، نابغة دهره ، مفيد المستفيد ، امام وقته ، بركتي ومحبي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ الاخ محمد ديب واخوانكم السادة الابرار ، وأولادكم الاطهار ، ومحبيكم الاخيار ، ومن لدينا مخدومكم محمد وابن عمه احمد والمشايخ أهل النهى السادة الفضلاء كافة بيت الآلوسي علي افندي ومحمود شكري افندي وكافتهم والشيخ عبد الرزاق الاعظمي وكافة من تلامذة هؤلاء واساتذة تصحبهم ، فعند ذكركم يودعونا السلام عليكم ومن يحبكم وانتم في أمان الله وحسن رعايته والسلام غرة ربيع ثاني سنة ١٣٢٤ المحب الداعي

عبد العزيز ابن محمد السناني

ثم ذيله بقوله :

صاحب هذه القاعدة المذكورة (١) اقواله في الحث على التمسك بالدين الحق وايضاح مآثره وتقديمه وتقديسه لاصوله في سائر أقواله في كتبه ومجالسه ومحافله يخالف ما تتخيله من التناقض فيها اللهم الا وهما وليس العصمة لغير الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(١) يعني الاستاذ الامام صاحب قاعدة الجمع بين العقل والنقل

جواب الشيخ جمال الدين القاسمي

باسمه تعالى وبحمده

الى الشيخ الامام الرباني ، الشيخ عبد العزيز السناني ، أبقاه الله مفيدا للطالبين ، وداعيا للحبل المتين ، وقائما بنصر السنة القويمة ، والمحجة المستقيمة ،

سلام الله عليكم ورحمته وبركته ورضوانه

أنهي اليكم انه وصلني عزيز خطابكم ، وكريم كتابكم ، فحمدت المولى على صحتكم ، ودعوت لكم بدوام افادتكم ، وعموم النفع بمباحثتكم ، تضمن كتابكم الجليل ، أهم بحث جليل ، ومسألة جديرة بالتحقيق ، واعارتها النظر الدقيق ، مسألة اضطربت فيها الانظار ، واعملت فيها من عهد السلف الافكار ، وصنفت فيها المصنفات ، وتنوعت فيها المذاهب والمقالات ، مسألة هي أشهر المسائل الكلامية ، ومحك افهام الفئة السلفية والخلفية ، مسألة من وقف منها على الصواب ، بعد اجتيازه عقبات الارتياب ، فقد فاز فوزا عظيما ، وكان في الامة اماما حكيما ،

قبل ان نتكلم في هذا البحث أريد ان أذكر امرا أراه من أوجب الواجبات ، وأهم المهمات ، ألا وهو اطراح العصبية المذهبية ، والحمية القومية ، والالتفات في كل مسألة الى دليلها ، والبحث مع برهانها ، فإنا عن الحق نبحث ، واليه نسعى ، والحق ما قوي فيه الدليل ، وانضح معه البرهان ، فمن أدلى ببرهان ناصع وحجة قويمة فهو المحق الواجب اتباعه ، المتحتم اقتفاؤه ، من أي مذهب كان ، ومن أي فرقة وجد ، وفي أي قطر ولد ، وفي أي جيل نشأ ، والحاصل انا أبناء الدليل ، وأتباع البرهان ، اقول هذا أولا

ثانيا من الآداب التي يفترض - فيما أراه - سلوكها والأخذ بها ، والدعوة اليها ، وهي من لوازم التمهيد الاول - رفع التنافر من الفرق ، ومحو التضليل والتفسيق من النفوس ، واقامة الاعذار ، لسائر أهل الأنظار ، ما داموا داعين الي الدين ، متمسكين بشرعه المتين ، يصلون صلاتنا ، ويستقبلون قبلتنا ، وان

يتحقق ان الكل طالبون للحق ، جادون للحصول عليه ، ساعون وراءه ، فيعذرهم بذلك ويرحمهم ، ثم من أخطأ منهم الدليل ، ونكب عن سواء السبيل ، فيما يعتقد خصمه فانه بعد بذله جهده معذور بالاتفاق ومأجور بنص الشارع ، وعلى خصمه ان يحمد مولاه ، على ما هداه ، ويشكره على ما أولاه ، ويقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا ان هدانا الله ،

لا أنكر ان المرء اذا بحث وفحص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي يخالفون به أهل الحديث كله انحرافا ، ووجد أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهرا ، ولكن آسف لأن تكون هذه المسائل مدعاة للتفرق ، سائقة للتحزب والتعادي ، باعثة على التنابز بالألقاب ، مثيرة أحيانا للطعن بانسان إثر الترامي بشظايا اللسان ، هذا وديننا واحد ، وكتابنا واحد . وقبلتنا واحدة . وأصول إيماننا واحدة . من أين أتينا ومن أي صوب رمينا ، ؟ اتينا من نبذ الوحدة ، والزهد في التآلف ، والرغبة عن التضام ، من دخلاء أفسدوا جامعتنا ، أو من غلاتنا ، أو من مقصرين عن فهم روابط الدين ، فأنا لله

نحن في عصر أحوج الى الرجوع الى المتفق عليه ، والدعوة بالحكمة اليه ، فمن انقاد ، واعتنق سبيل السداد ، والا فلا تفسيق ولا تضليل ، ما دام على قانون التأويل ، وقد صرح بذلك حجة الاسلام عليه الرحمة

انما عجلت بهذا التمهيد أنا لسنا من قوم يتحزبون لفريق دون آخر ، ولا ممن يعادي المخالف عداوة قلبية ، بل ممن يبين الحق الذي يراه ، ويجادل بالحكمة والموعظة الحسنة من يأباه ، فان اهتدى فلنفسه ، وان أصر معتقدا حجية ما لديه وصحة ما ينتحله فيكشف له غلطه ، فان رجع (فذاك) والا بأن عاد الى مشربه ، وقد استحكم في قلبه قواعد مذهبه ، فما عليك الا إبانة الرشاد ، والله الهاد ،

مبحثنا في دعوى تعارض العقل والنقل

ما ذا يقول العاقل من هذه الجملة التي دبت على الالسنة ، ومشت مع الزمان ، وصقلها مرور الايام ، وامتزجت بكلام أهل النظر وتآليفهم قرنا بعد قرن ، وجيلا

بعد جيل ، حتى أصبحت أصلا أصيلا ، وغدت ركنا ركينا ، يتحا كم أهل النظر اليها ، ويعولون في مشكلاتهم عليها ،

لعمر الحق ان بثها في أسفار العلم ، وتلقينها لروّاد الفهم ، لما يندهش له الفكر ، ويتألم له القلب السليم ، ولا يعده ذو الفطنة الوقادة ، والفطرة الصحيحة الا من الدخائل على أصول الدين ، دخائل الخلف المبتدعين ،

من ينكر أثر هذه الجملة على أصول الدين ، ومن لا يألم لما جنته على قواعد اليقين ، ؟ يكاد ينخلع القلب مما ترمي اليه من امكان تعارض العقل والنقل ، وتباين الامرين ، ومعاذ الله أن يوجد تعارض أو شبه تعارض أو امكان تعارض بين العقل والنقل ، بل العقل في النقل والنقل في العقل، وماهما لتعرف الحق الا كالرؤية المشروطة بسلامة البصر وانبساط الضياء ، فلا عقل بدون نقل ، ولا نقل بدون عقل ، العقل والنقل متآخيان في هذه الملة الحنيفية ، وممتزجان في أصولها وفروعها ، كلياتها وجزئياتها ، امتزاج الماء في العود والروح في الجسد ، ومتلازمان تلازما لا يقبل الانفكاك بوجه ما كلزوم نظام الكواكب لسيرها المقدر

شهرة هذه القاعدة

حدثني نحرير امام أن حشويا من بيروت نم على الاستاذ عليه الرحمة هذه القاعدة بدعوى تفرده بها ، وعدم سماعه لها ، فأسفت لأن يصل الحال بالحشوية الى انكار المشهورات سيما مثل هذه القاعدة التي هي أصل المتكلمين أجمعين ، وما بنا من حاجة الى التعريف بشهرتها من الاسفار الموجودة وتأييدها ، فانها بديهية ، الا ان البديهي قد ينبه عليه ، لغشاوة تحول دون النظر اليه ، قال السيد الزبيدي في كتابه إيثار الحق على الخلق « تقديم العقل على السمع اولى عند التعارض لان السمع عُلم بالعقل فهو أصله ولو بطل العقل بطل السمع والعقل معا وهذه من قواعد المتكلمين »

وقال الامام ابن فورك في كتابه تأويل المتشابه « ما صح من الخبر المروي في باب الصفات فهو مرتب على دلائل العقول ليجمع بين الدليلين ، ويوفق بين الحجتين »

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد « ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل السمع به »

ويكفي ان شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان ألف كتابه المسمى موافقة صريح المعقول ، الصحيح المنقول ، لمناقشة هذه القاعدة حيث قال في أوله « قول القائل : اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل ونحو ذلك من العبارات فانه يجب تقديم العقل ، هذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه » الى آخره وكلام الائمة في هذه القاعدة شهير الا ان الحشوي لا يعلم ولا يريد أن يعلم

اذكرني كلام هذا الحشويّ ـ والشيء بالشيء يذكر ـ ماوقع من حشوي آخر غبيّ قيل له ان السبكي في جمع الجوامع رد على من زعم انقراض الاجتهاد من عصر الاربعمئة وصحح بقاءه الى عصره فاخذته الرجفة ، وآلى بأنه قرأه ودرسه ، وسبره وفحصه ، ولم ير لتلك المقالة من أثر ، فقيل له لو قرأته لدريته ، ثم ترامى على محاوره وتوسل اليه ان لايضن عليه بموضع ذلك من الجمع فقال له راجع ماقاله في بحث خلو الزمان عن مجتهد وهو قوله . « والمختار انه بعد جوازه لم يثبت وقوعه » أي وقوع الخلو ، فسقط بين يديه ، وكاد يقضى عليه ، والقصد ان تلك العبارة شهيرة وان كانت في كل كتاب تحكى من الالفاظ اسلوبا خاصا قد يخفى انها هي هو

سبب تأصيل هذه القاعدة

قدمنا مايلم بالنفس من التألم لدعوى تعارض العقل والنقل وانها عبارة ما كان ينبغي اعارتها ادنى نظر فانه متى اجرى بالنقل على طريقه الصحيح تصافح مع العقل بادئ بدء ولكن يضطرنا للكلام عليها مايتوكأ عليه كثير من الخائضين في الكلام مع الفرق والباحثين في علم الكلام ، أرى بعد ثبوتها في كتب الائمة واندراجها في مباحثهم ان لها وجوها بعضها صحيح و بعضها فاسد واليك البيان،

لما حدث في عهد السلف الخوض في الصفات والبحث في المعاني عن مروياتها وذاع ذلك وانتشر بين حملة الآثار و بين ارباب النظر . انقسمت الناس في ذلك ثلاثة أقسام فريقان منهم متطرفان وفريق معتدل

اما الفرقة الاولى المتطرفة فهي الفئة المشبهة فانها غلت في الاثبات غلوا خرجت به عن المعقول رأسا ، فأجرت كل ماورد على ظاهره المعهود في المخلوقين والمفهوم عند الاطلاق على الأجسام، فانتهى بهم الامر الى التجسيم البحت، والتحديد الصرف، واخذت آراؤهم الحمقى يتلاعب بها الهوى كيف شاء، وتفرقوا الى مشبهة الحشوية ومشبهة الشيعة الغالية ومشبهة الحلولية، كما تراه في كتب المقالات

ولعل هذه الفرقة هي التي استثناها الاستاذ الامام رحمه الله بقوله « الاقيلا ممن لاينظر اليه » وفي الواقع هم شرذمة قليلون اذا نسبوا لغيرهم ولقوة جمودهم لم يقم لهم وزن كما أقيم لغيرهم

واما الفرقة الثانية فقامت في مقابلة اولئك وغلب عليها النظر والتأويل واوهمت ان الاولى تنقل مالايليق بالتوحيد، وتروي مالايصح في الدين، فرمتها بكفر أهل التشبيه والتمثيل، ومروق اهل الالحاد والتعطيل، وقضت على تلك المرويات بأنها مجازات وردت على مناحي معروفة للعرب معهودة في لغتهم وأساليبهم ثم برهنوا على ذلك بان حملها على حقيقتها محال لما يلزم من الحدوث وحلول الحوادث به، يعنون بحقيقتها ما هومعروف لهم من صفات الخلق واحوالهم، قالوا فلما جاء النقل بما يوهم محالا عند العقل كان للعقل التقديم على النقل وملاحظته أولا و بالذات، فما أمكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه والا قالوا هو من الالفاظ المتشابهة المشكلة التي لاندري ماأريد بها، و بالجملة فجعلوا قاعدتهم الكلية العقلية اصلا محكما والمروي المنقول فرعا له فكان العقل عندهم مقدما على النقل مطلقا وهؤلاء الفرقة أيضا من الغلاة في التنزيه المتعصبة فيه، ولذلك كانت فرقة جائرة غير معتدلة ولا مقتصدة فان دعواها في سائر المرويات انها مجازات وان العقل مسيطر على النقل يصرفه كيف شاء كدعوى ان النقل يقبل كيفما كان: احاله العقل أم لا، صح سنده ام لا، في ان كليهما طرفان جائران، والقصد والتوسط خيرهما، ولذا قال السيد الزبيدي « ومن البدع بدع المشبهة على اختلاف انواعهم وبدع المعطلة على اختلافهم ايضا فغلاتهم يعطلون الذات والصفات والاسماء ومنهم الباطنية ودونهم الجهمية. ومن الناس من يوافقهم في بعض ذلك دون بعض، (ثم قال) فالفريقان المشبهة والمعطلة انما أتوا من تعاطي

علم مالايعلمون ، ولو انهم سلكوا مسالك السلف في الايمان بما ورد من غير تشبيه لسلموا ، فقد اجمعوا على ان طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعوا ان طريقة الخلف أعلم ، فطلبوا العلم من غير مظانه بل طلبوا علم مالايعلم فتعارضت انظارهم العقلية وعارض بعضهم بعضا في الادلة السمعية فالمشبهة ينسبون خصومهم الى رد آيات الصفات ويدعون فيها ماليس من التشبيه والمعطلة ينسبون خصومهم الى التشبيه ويدعون في تفسيره مالاتقوم عليه حجة ، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار، والاقتداء بالسلف الاخيار ، والاقتصار على جليات الابصار، وصحاح الآثار » انتهى . وطريق الجمع هو طريق السلف المقتصد ويأتي بيانه على حدة وهو طريق الفريق المعتدل

والمقصود ان الفرقة الثانية القائلة بالتنزيه البحت المحكمة للعقل في النصوص تحكيما مطلقا القائلة بتقديمه على النقل بطريقها الذي بيناه فقاعدتها المذكورة فاسدة باطلاقها اذ لو قيل لها ماهو العقل، وما ميزانه، وهل يمكن عدم التناقض في مناحيه، وهل يمكن حمل الامة على سبيله حملا لاينازعهم وجدانهم في قضية منه، لكان الجواب الحيرة في الاولين ، والسلب في الآخرين ، فان العقل لايمكن تحديده في هذا المقام بالكنه ولا بالعرض، وليس له ميزان ومعيار خاص لتباين الآراء في التأويلات العقلية ، وجواز ان يهدم في اليوم مابنى منها في الامس، والمشاهدة قاضية بمنازعة الوجدان لكثير من مسائله وتناقض الانظار فيها تناقضا جليا بما لايجد الواقف عليه سكون نفس ولا اطمئنان قلب ، فاذن ليس مع من يدعي تقديم العقل مطلقا او معارضة المعقول ما يجزم بانه معقول صحيح متفق عليه معلوم بالضرورة، وماسبيله كذلك فلا تصح الدعوى المذكورة فيه على اطلاقها، ومن ادعاها اظهر تناقضه واضطر الى مايعدل رأيه ، و يلطف مشربه ، و يصحح مذهبه،

واما الوجه الآخر الذي تصحح به هذه القاعدة وتسلم عند كل منصف و يكون عليها مسحة من الحق ولمعة من الصواب فذلك في مثل ماقصده الاستاذ عليه الرحمة في حج خصمه النصراني وإفحامه . فقد زعم خصمه ان من قضايا الدين مايعلو على متناول العقل والفهم بل يناقضه ، وانه يجب مع ذلك التسليم به تدينا،

وانه لا أثر للعقل في باب الدين اصلا لاطراحه معه جانبا ولزوم الخضوع الاعمى، شاء العقل أم أبى ، فناقشه الاستاذ بان هذا يستحيل ان تقبله الفطرة السليمة أو تأتي به شريعة موحاة ، وانه من اوضاع الذين انحرفوا بعد ماتبين لهم المدى ، وانه لو صح ذلك - علي زعم الخصم - لكان الاحرى به ان ينبذه و ينتهج ماهو خير له ، وذلك في دين اساسه العقل، وقوامه العقل ، ودعائمه العقل ، ومبانيه العقل ، فقصده عليه الرحمة هدم مابنوه من ذلك الاصل الفاسد الذي يتبرأ منه العقل السليم وابانة ان الدين الحنيفي نزل مؤاخيا للعقل بل العقل مرده واليه تحاكمه ولذلك اكثر التنزيل من التنبيه على العقل والتنويه به في مثل قوله «أفلا يعقلون» «لعلهم يعقلون» «وما يعقلها الا العالمون» في ايات لاتحصى ، و بالتحاكم الى العقل يعلم الخصم ان ليس مرد ديننا هو الخضوع الاعمى لكهنة الباطل الذين انتحلوا لانفسهم الربوبية في التشريع وردوا عقائد شعبهم الى اهوائهم وكلفوهم مالا يطيقون من اعتقاد مايحيله العقل كالثالوث والاستحالة . . .

بل الدين الحنيفي دين العقل، دين النظر ، دين التدبر، فمن استعمل عقله ونظره وفكره من الملاحدة وتأمل في محاسنه وقابل بينه و بين غيره من الأديان لم يلبث ان يعتنقه اعتناقا يمتزج به في لحمه ودمه حتى يستميت في الذود عن حماه ،

ثم ترقى الاستاذ عليه الرحمة الى نكاية الخصم بأن العقل يقدم على النقل اذا عارض قضاه ليعلم الخصم أن الاساس الاكبر والمرجع الاعلا هو العقل ، وأن ليس في الدين ما ينافيه ولا ما يناقضه لابتنائه عليه ، حتى لو وجد ما يعارضه بادىء بدء لروجع العقل فيه فيجريه على أصله وقاعدته ويقضي للواهم أن لا تعارض

ورأي الاستاذ رحمه الله أن التفويض والتأويل كليهما من قضاء العقل في المسألة، وهو كذلك لانه لولا ذلك لكان الامر إما على حقيقته المعهودة كما فهمه الجهل وهو محال ، وإما على أنه فوق العقل وذلك غير معهود في مبدأ الدين المتين،

وانما كان التفويض أحد وجهي قضاء العقل لان للعقل ان يقول للباحث « بعد ما وضح وثبت صدق الخبر بذلك من المعصوم الذي استنارت حجته فما عليك الا الايمان بما جاء به تفصيلا فيما فصل واجمالا فيما أجمل ومنه أوصاف الربوبية

وما يضاف الى سموها فيكفيك الاذعان للمنقول منها ولم تكلف الخوض في اكتناهها فهو ما لا تبلغه قوتك ، ولا تصل اليه قدرتك ، وربما عثر بك الحال ، الى الزلل في المتعال ، فتكون جاوزت قدرك ، وتعديت طورك » وهذا القضاء قضاء مرضي لا يأباه القلب ، ولا يجافيه ذو اللب ،

كما أن قضاء العقل بالتأويل قضاء مقبول ، لا تحيله العقول ، بل هو الذي آثره جمهور النظار الفحول ، وقد طالعت من ذلك كتاب ابن فورك رحمه الله فرأيته توسع في توجيه المروي من الصفات توسعا غريبا أقام في كل فصل من الشواهد العربية نظاما من مُثُلِهم نثرا ما يقنع الباحث بل يدهشه حتى يخيل للناظر أن ليس وراء ذلك مرمى . وقد حاول رد طريقة السلف وما روي عنهم الى مشربه ورد شبه الطاعنين على المحدثين في طريقة غريبة ، وان تعسف في كثير من التأويل ونوقش في توجيهه كل ما روي في الباب ولو موضوعا فذلك بحث آخر ، والقصد أن تأويلاته سائغة وفي لغة العرب متسع لها وترحيب بها ، ومن ينكر وفرة المجاز في اللغة ورقة أساليبه ، و بديع كناياته ، ولطيف مواقعه ، وأسرار اعجازه و بلاغته ، لا جرم انه باب من أبواب الخطاب عظيم ، وركن من أركان اللغة قويم ، على ان من المروي ما لا يمكن معه الا المجاز مهما حاول محاول لحديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وحديث (الحجر الاسود يمين الله في الارض)

نعم ثمة في باب الصفات ماهو أرقى من المذهبين المذكورين - مذهب التأويل والتفويض - وذلك من إثبات تلك الصفات بلا تأويل ولا تمثيل اثباتا حقيقيا يليق بالذات العلية ،

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان في رسالته المدنية « مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ان هذه الاحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتصان عن تأويل يفضي الى تعطيل ، وتكييف يفضي الى تمثيل ، وقد أطلق غير واحد ممن حكى اجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف انها تجري على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه

عنها ، وذلك ان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية فنقول ان له يدًا وسمعا ولا نقول ان معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم »

ثم قال عليه الرحمة والرضوان : و بعض الناس يقول « مذهب السلف أن الظاهر غير مراد ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد » وهذه العبارة خطأ إما لفظا ومعنى أو لفظا لا معنى لان الظاهر قد صار مشتركا بين شيئين أحدهما أن يقال ان اليد جارحة مثل جوارح العباد وظاهر الغضب غليان القلب لطلب الانتقام وظاهر كونه في السماء أن يكون مثل الماء في الظرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والاحاديث فقد صدق وأحسن اذ لا يختلف أهل السنة ان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله بل اكثر اهل السنة من اصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة لكن هذا القائل اخطأ حيث ظن ان هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والاحاديث وحيث حكى عن السلف مالم يقولوه ، فان ظاهر الكلام هو مايسبق الى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام وليست هذه المعاني المحدثة المستحيلة على الله هي السابقة الى عقل المؤمن بل اليد عندهم كالعلم والقدرة والذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضا تدل على حدوثنا يمتنع ان يوصف الله بمثلها فكذلك ايدينا ووجوهنا ونحوها اجسام محدثة لايجوز ان يوصف الله بمثلها ثم لم يقل أحد من أهل السنة اذا قلنا ان لله علما وقدرة وسمعا و بصرا ان ظاهره غير مراد ثم يفسره بصفاتنا ، فكذلك لايجوز ان يقال ان ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ماهو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال ان ظاهر شيء من اسمائه وصفاته غير مراد فقد اخطأ لانه مامن اسم يسمى الله به الا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يفضي الى ان يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ولايخفى مافي هذا الكلام من الفساد

والمعني الثاني ان هذه الصفات انما هي صفات الله سبحانه على مايليق بجلاله نسبتها الى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته فيعلم ان العلم صفة ذاتية للموصوف ولها خصائص ولا يدرك لها كيفية كما يعلم ان له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب ، (ثم قال) افيجوز ان يقال ان الظاهر غير مراد بهذا التفسير ؛ لايمكن ، فمن قال ان الظاهر غير مراد بمعنى ان صفات المخلوقين غير مرادة قلنا له اصبت في المعنى لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا الى غرضهم وكان يمكنك ان تقول تُمَرُّ كما جاءت على ظاهرها مع العلم بان صفات الله ليست كصفات المخلوقين وانه منزه مقدس عن كل مايلزم منه حدوثه او نقصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثاني وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية وغيرهم فقط اخطأ اه كلامه

وقد سبق شيخ الاسلام الى هذا الامامُ ابن بطه رحمه الله حيث قال في الفصل الثامن من كتابه . ... « ثم نهاية شغبهم ان اثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم لما نراه في الشاهد وهذا الشغب ينعكس عليهم ويعلم بطلانه بذلك ، ألا ترى أن في الشاهد ان الفاعل للاشياء المتقنة العالم الخبير الحي السميع البصير جسم والله سبحانه حي سميع بصير عليم خبير فاعل وليس بجسم ، فاثبات الصفات له على ماجاء به النص عنه أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم لايوجب التجسيم ولا التشبيه بل كل شيء يتعلق بالمحدث مكيف ، وصفات الباريء لا كيفية لها ، فالتجسيم والتشبيه منتفيان عنه وعن صفاته و بالله التوفيق »

وكذلك جوّد في ايضاح هذا المشرب الامام ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين في مباحث التوبة فننقله عنه ونجعله مسك الختام

قال رحمه الله بعد ان ناقش من اوقع الامة في اودية التأويلات وشعاب الاحتمالات والتجوزات

(فان قلت) فهل من مسلك غير هذا الوادي الذي ذممته فنسلك فيه أومن

طريق ليستقيم عليه السالك ؟ (قلت) نعم بحمد الله الطريق واضحة المنار بينة الاعلام مضيئة للسالكين وأولها ان تحذف خصائص المخلوقين ، عن إضافتها الى صفات رب العالمين ، فان هذه العقدة هي أصل بلاء الناس فمن حلها فما بعدها أيسر منها ، ومن هلك بها فما بعدها أشد منها، وهل نفى أحد مانفى من صفات الرب ونعوت جلاله الا لسبق نظره الضعيف اليها واحتجابه بها عن اصل الصفة وتجردها عن خصائص المحدث فان الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها فيظن القاصر اذا رأى ذلك اللازم في المحل المحدث انه لازم لتلك الصفة مطلقا فهو يفر من إثباتها للخالق سبحانه حيث لم يتجرد في ظنه عن ذلك اللازم وهذا كما فعل من نفى عنه سبحانه الفرح والمحبة والرضاء والغضب والكراهة والمقت والبغض وردها كلها الى الارادة فانه فهم فرحا مستلزما لخصائص المخلوق من انبساط دم القلب وحصول ماينفعه وكذلك فهم غضبا هو غليان دم القلب طلبا للانتقام وكذلك فهم محبة ورضا وكراهة ورحمة مقرونة بخصائص المخلوقين فان ذلك هو السابق الى فهمه وهو المشهور في علمه الذي لم تصل معرفته الى سواه ولم يحط علمه بغيره ولما كان هو السابق الى فهمه لم يجد بدا من نفيه عن الخالق والصفة لم تتجرد في عقله عن هذا اللازم فلم يجد بدا من نفيها»

«ثم لاصحاب هذه الطريق مسلكان أحدهما مسلك التناقض البين وهو اثبات كثير من الصفات ولا يلتفت فيها الى هذا الخيال بل يثبتها مجردة عن خصائص المخلوق كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر وغيرها فان كان اثبات تلك الصفات التي نفاها يستلزم المحذور الذي فرّ منه فكيف لم يستلزمه اثبات ما اثبته ؟ وان كان اثبات ما اثبته لايستلزم محذورا فكيف يستلزمه اثبات ما نفاه ؟ وهل في التناقض اعجب من هذا ؟ ، والمسلك الثاني مسلك النفي العام والتعطيل المحض هربا من التناقض والتزاما لاعظم الباطل وامحل المحال ، فاذًا الحق المحض في الاثبات المحض الذي اثبته الله لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تبديل ، اه

و بالجملة فهذا المذهب الاخير مع المذهبين قبله كلها اجمالا من المعقول أعني مما ابان العقل فيها معاني سليمة مما يوهم محالا عنده ، و به يعلم ان ليس في الدين ماينافر

العقل أو يعارضه بل هما كالسدى واللحمة في كونهما قوام الثوب وكالروح والجسم في حفظ الحياة

* * *

هذا مارآه الفكر القاصر في القصد من تنويه الاستاذ المرحوم بالعقل أعني حج خصمه واعلاء منزلة العقل في الدين الاسلامي وتنبيه خصمه على ان بالعقل يميز الانسان بين احوال الماضي والحال فيفرق تبعا لذلك بين الشرائع فلا بد ان يعثر بسبب تعضيد العلم والبداهة (؟) على الدين الذي يجب ان يكون خاتمة الاديان كلها و باقيا بقاء النوع الانساني

والاستاذ المرحوم وان كان يجري في كلامه أحيانا على قواعد النظار والمتكلمين و يدافع بها فهو لم يخرج عن حبه للسلف واعتقاده بمشربهم واذ كرانا ليلة كنا في ضيافته في داره وسمرنا معه اكثر من ثلث الليل أيام رحلتنا الى تلك الاقطار وقد كنت قرأت في مواضع من كلامه ميلا لمذهب الخلف المأولين من الاشاعرة وغيرهم وقد افضى البحث بنا الى مسألة الصفات اني قلت له « اني لاعجب من هؤلاء المتأولين المندفعين على رفع الظواهر المكبرين لاطلاقها أفهم أغير من الله على ذاته المقدسة حيث اطلق في كلامه وعلى لسان رسوله تلك النعوت الجليلة التي تأبى كثرتها التأويل الذي لايؤمن في اكثره من التعطيل ؟ افليس الاثبات على الطريقة السلفية هو الاصوب والاقرب؟ »فرأيته رحمه الله أقر على ماقلت وصدق ما ذكرت ولم ينتصر لمذهب الخلف ولم يشر اليه مع انه يلتذ في غير هذا المبحث حاور وناقش وحقق ودقق ، هذا ماتحققه منه، رحمه الله ورضي عنه

نتيجة البحث

أوضحنا أن قصد الاستاذ هو التنويه بالعقل في الشرع وملاحظة انه الاصل في اثبات قواعد الايمان وهذا مما لا ريب فيه فان وجود الله تعالى ووحدته في ألوهيته وما يجب له من جلائل النعوت وتصديق رسوله برسالته بما نصبه دليلا على صدقه كل ذلك مما نظر فيه العقل وتدبره فآمن به ، وهذه الاصول التي هي قوام الشرائع انما مستند ثبوتها النظر العقلي اتفاقا

فملحظ تقديم العقل على النقل انما هو رعاية العقل في النقل بالوجوه التي قدمناها و به يظهر ان كلامه رحمه الله موجه لما تقتضيه حكمة التشريع في الاسلام وسره وتفوقه على ما عداه من الأديان التي حرفها أربابها ، وعلى تسليم انه وافق آراء الفلاسفة في هذه القاعدة كغيره من أئمة المتكلمين فلا غضاضة عليه في ذلك فقد خرجناها على وجه لا يبعد عن الصواب ، وجليّ انه ليس كل ما للفلاسفة مذموما بل المذموم ما ناقض شرعا أو هدم ركنا ، وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة ، والحكمة متقبلة من أي لسان لانها مساوقة للحق كما اشرنا له قبل ، قال الامام ابن عبد البر حافظ المغرب وإمامه في كتابه جامع بيان العلم وفضله في باب جامع في الحال التي تنال بها العلم « وروينا عن علي رضي الله عنه انه قال في كلام له : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه »

اشرتم الى أن التفويض فيه ما فيه والحق لكم لانه في طيه إشعارا بأن الناس خوطبت بما لا تعقله ولا تفهمه ولا هو من لغتها مع أن اللسان عربي مبين لقوم ساروا في الفصاحة ونبغوا في البلاغة ولم يتطاولْ عليهم فيهما ، ومعلوم أن أشرف ما في القرآن المأمور بتدبره هو ما جاء فيه من نعوت الرب وصفاته الجليلة فاذا لم يعلم أحد معناها فأنّى يستدل بها ، وفيه سدٌّ لباب الهدى والبيان منها ، وحينئذٍ فقول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف قول فيه ما فيه ، واحتجاج من احتج لهم بالوقف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) من الغلط في الاستدلال فان المراد بتأويله ما يؤول اليه الامر فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ذلك في حق الله تعالى هو كنه ذاته وصفاته التي لايعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما «الاستواء معلوم والكيف مجهول» وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف : انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه

فلفظ التأويل في الآية انما أريد به التأويل في لغة القرآن وهو الذي تعرفه السلف وهو الذي أراده الله في مثل قوله « هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله »

وقال يوسف « يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل » فجعل في الآية الاولى ما يؤول اليه أمرهم من العذاب وورود النار تأويلا وفي الآية الثانية نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه

وأما التأويل الذي هو التفسير وبيان المراد به فهذا لا يصح ارادته من الآية لان الصحابة والتابعين فسروا جميع القرآن وكانوا يقولون ان العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به وان لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه

وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب فان ما أعده الله لاوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر فذاك الذي أخبر به لا يعلمه الا الله

نعم من وقف في الآية على قوله تعالى (والراسخون في العلم) أراد منها هذا المعنى وانه يعلم تأويله وهو منقول عن ابن عباس أيضا وهو قول مجاهد ومحمد بن جعفر وابن اسحاق وابن قتيبة والقول الاول منقول عن ابي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وعروة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف ، فلا منافاة بين القولين ، لانفكاك الجهتين ،

والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، ولشيخ الاسلام بسط لهذا المبحث في كثير من مؤلفاته الشهيرة ،

واما ما ذكرتموه من أن التأويل حقيقته التبديل الذي هو اصطلاح المتفلسفة أي ولذلك اعترفوا بأنه غير اسلم لما فيه من خطر رفع الظواهر المنتهي الى تغييرها وتغيير البراهين أو اكثرها مع أن القصد بإيحائها والاعلام بها هو إفادة الامة ونصحها وهدايتها ، فمن التكلف أن يعدل عن البيان الناصع الرافع للبس المزيل للاجمال الى اسلوب يوقع الامة في أودية التأويلات ، وشعاب الاحتمالات والتجوزات ،

ما بحثتموه في التفويض والتأويل هو من نقد المدققين في باب الصفات الذين تجلى لهم ذلك المشرب المعتدل في أزهى حلاه ، ومع ذلك فنقدهم لا يحبط من قدر من ذهب الى التفويض والتأويل ، ولا يقضي عليهم بالتفسيق والتضليل ، فان ذلك قصارى جهدهم ، وغاية نظرهم ، وقدمنا ان للعقل قبولا ما ولا ملام على

من بذل جهده ، وأخلص قصده ، نعم يلام من جمد على التقليد المحض بعد أن وضحت الحجة ، واستبانت المحجة ،

وقد قدمنا أن الحجة قويت في الاثبات بلا تشبيه ولا تأويل وقد نقل الشعراني في اليواقيت والجواهر عن الشيخ ابن عربي رحمه الله أنه حذر من التأويل وناقش منتحليه في مواضع من فتوحاته فمنها قوله

« اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف » قال « وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يدا ويدين وأيديا وأصبعا وأصبعين وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا وتعجبا وإتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلما وكلاما وأمثال ذلك » قال « وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل »

وقال أيضا « جميع الأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الآلهي قال تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح ، فننسب تلك المعاني المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ، ولا نحكم في شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت فيهم هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم ، فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة » قال « وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالف واطال في ذلك

وقال أيضا رحمه الله « اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم من ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة

أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ، ثم أنه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط ، وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك »

« فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيئا مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم أنه اذا حصل شيئا من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه ، (وأطال مع ذلك ثم قال) وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم أن فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى

بقية البحث

ذكرتم انه يفهم من كلام الاستاذ رحمه الله انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة الخ وكذلك ظاهر كلامه بادئ بدء الا انا بمعونة ما قدمناه من ان قصده من مبحثه هو التنويه بالعقل في نظر الشرع يعلم ان مراده ان الكتاب العزيز وصحيح السنة والعمل النبوي كلها مما مهدت السبل بين يدي العقل فكان العقل يقفوها أينما انجهت ، ويساوقها كيفما سارت ، إلا أن ثمة أثرا من السنة يؤيد مذهب التأويل الذي يتبادر من سياق تقديم العقل ، وللاستاذ في تآليفه أسلوب غريب يباين المعهود فقد لا يراد من سبكه البليغ ما عهد ارادته من غيره ،

هذا ما سنح لسقيم البال ، في فهم كلام هذا الامام المفضال ، وما كنت أظن أن أختلس من وقتي هذه الكلمات فلدي من العوائق عنها ، ما لا يسمح لي بالدنو منها ، اللهم الان بركة دعائكم ، واغتنام بديع فوائدكم ، مما يرجى معه شرح الصدر ، وتسهيل الأمر ، وارجو أن تدققوا فيما كتبت ، وترشدوني الى ما فيه سهوت ، فان القصد الوقوف على الحق ، واعتاق الفكر من اغلال الرق ، والحقيقة بنت البحث ، واراني بانتظار جوابكم الميمون ، وارشادكم الحصون ، نفعنا المولى ونور اذهاننا بعوارفكم ، انه خبير مجيب ،

ماحملني على اطالة الجواب وتكبير البحث نوعا ما الا ابلاغه لمسامع اخواني وصحبي ممن لم يتأهلوا بعد لمطالعة الكتب الكبيرة في هذا الموضوع ، وفيهم حرص على الوقوف على تحقيق ذلك فاردت ان اقدمه بين يدي مستقبلهم نموذجا يشرفون منه على مجمل تلك المباحث الكبيرة، فلا ملام فيما تخلله من النقول المعروفة لديكم ،

زارني اثناء كتابتي هذه الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري فقرأ كتابكم وجانبا كثيرا مما كتبت فاستحسن التوسع في هذا الموضوع وقال انه يقل دونه مجلد وأكد عليَّ ان تدققوا فيما كتبنا وان لاتضنوا علينا بما يظهر لكم من المناقشة لتتم الفائدة وهو يسلم عليكم

واني أهدي اعظم التسليمات لحضرات السادة الآلوسيين الكرام شموس الهدى الاعلام السيد محمود شكري افندي والسيد علي افندي وحضرة العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي الاعظمي ومن يصحبهم من الاساتذة، ومن كل التلامذة ، بارك الله في حياتهم ، ونفع الامة بعلومهم ، ومن عندنا العلامة الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار والشيخ محمد ديب الغنيمي واشقائي يهدونكم السلام ويرجون دعواتكم الصالحة ، في الاوقات الكاملة الراجحة

قاله بفمه وامر برقه وكتب هنا بقلمه الفقير محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

جواب الجواب

لم يمض على ارسال الجواب لذلك السؤال ردح من الزمن حتى أرسل الينا صاحب السؤال العالم البركة الصالح الشيخ عبد العزيز السناني المتقدم ذكره بجواب كنا نود وايم الحق ان نستعيض عن تلك المدائح بالمناقشة والانتقاد ، ولكن ابى الحق الا ان يظهر ويكون له التأثير القوي ، والنفوذ الخارق في أمثال هاته المباحث الخطيرة ولو كره المعاندون . ونحن نذكر نص الكتاب حفظا لتلك الآثار خشية ان تغتالها ايدي الضياع مع تصرف يسير، وحذف لجمل خصوصية لاتفيد فائدة عامة وهاك صورته:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب الاجل الامجد العالم الفاضل اوحد زمانه ، مفزع السائلين ، مرشد الناسكين ، امام المحدثين ، الموفق لمنهج الراشدين ، شيخنا وبركتنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله تعالى من كل شر وجعلنا واياه من اتباع سيد البشر آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ومغفرته ومرضاته . وبعد وصل الينا كتابكم الشريف ، المفيد بالجواب السداد الموجز المنيف ، المقيد لشوارد المسائل المهمة ، والا نموذج لما حوته جل كتب الجهابذة المحققين اهل النظر الكبار ، فياله من جواب ماأجله واشرفه ! كيف لا وقد حل حزازة الصدر ، في الذود بما عقده الاستاذ الحكيم من أصول الدين ، وانبلج به مأخذ الوجه المستقيم من الكتاب والسنة وافادنا فوائد وعاد الينا بعوائد كنا عنها في سدف ، فاستضاءت لنا وجوهها ، فأتى بما فوق ما املناه فلا خاب املنا ، ولا افلس مفزعنا ، تالله لقد حط عنا مؤنة النظر والتكلفات وحذرنا صعب العقبات المتحريات (كذا) بالملكات ، وفتح لنا ابواب سني الطرق واقوم السبل ، وجعل بالسعادتين ، فيافوز من أهل لجني تلك الثمرات ، فلزم ان نحفظه ونستحفظ عليه ، ونجعله عدة لمراقي سني السير ، ومردا لطامح الفكر ، وجامح الخطر ، وكذلك من نظر في الجواب من اهل التحقيق طلب مناصورة السؤال الباعث للجواب رغبة لنسخهما ولا غرو اذ كان صدره من ذوي السهم الراجح والمال الرابح، والدرجة العليا من اهل العلم الذين شرفهم الله بشرف العلم ، وكرمهم بوقار الحلم ، فلله الحمد جل ثناؤه حيث كلف لدينه حفظاء من خلقه ، يحملون قواعد شرائعه، ويذبون عن عراه ، بغي من بغاه ، ويدفعون عنه كيد كل شيطان وضلالة، وجعلهم لاهل الدين اعلاما ، وللاسلام والهدى منارا ، ولاهل الحق قادة ، وللعباد أئمة وسادة يتحرون جزيل الثواب من الله ، ويتوخون رضى الله بالصواب ،

(ثم قال في وصف العلماء المصلحين، الذين يقومون بالاصلاح ويقاومون به) :

فلم يكن يثنيهم عن النصيحة لله مامنهم - يريد الجهلة - يلقون ، بل كانوا بعلمهم على

جهلتهم يعودون و بفضلهم على بغضهم يأخذون ، و يجعلون لمن بعدهم آثارا على الايام باقية ، وسبلا الى الرشاد هادية ، جزاهم الله على أمة نبيهم افضل جزاء ، وحباهم من الثواب أجزل ثواب ، (الى أن قال) :

وهم الطائفة الموعودة بالبقاء لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، وجعلهم مفزعا بما أودعهم الله من نور العلم ، يكشف بهم سدف ظلم الجهل ، والتباس الضلال ، فمن نعمه جل شأنه أن جعل من تلك الطائفة في زمننا من اتصف بتلك الصفات ، فنسأل الله أن لايحرمنا فضلهم ، والاقتباس من نور علمهم ، (الى أن كتب مايلي) :

هذه مسألة أهمتنا غاية ، وحدثتني نفسي بمراجعة صاحب المنار التمس ايضاحها ، فقصرتم نجعتنا ، وارحبتم صاحبنا ، وأزلتم سدفنا ، جزاكم الله عنا وعنه أفضل جزاء ، وأجزل ثواب .

وجميع الاخوان المحبين أخذوا بنسخ السؤال والجواب المذكور وذلك لاعجابهم به جزاكم الله عن الجميع خيرا .

المحب

في : ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ — عبد العزيز المحمد السناني

التقاريظ

﴿ ديوان الخطيب ﴾

للشعراء تأثير في ايقاظ الامم معروف لاينكره الا من انكر التاريخ وانت تعلم منزلة حسان بن ثابت وتأثير شعره في اوائل الدعوة الاسلامية ثم انك لاتجهل مقام مثل الشاعر فيكتور هوغو في أمته ، ولقد طلع في هذه الاثناء هلال في فلك شعراء العربية جاء بمثال من الشعر لم نجد غيره حذاه ، ذلك الشاعر هو فؤاد افندي حسن الخطيب احد موظفي المعارف في حكومة السودان المصري ، جاء ببدايات من نظمه برز فيها على كثير من نهايات غيره ، انتهج بالشعر العربي منهجا جديدا وصدر ديوانه هذا بمقدمة في تاريخ اللغة العربية والشعر لم ينسج على منوالها الشعراء والكتاب واليك مثالا من قوله في العتاب

أإخواننا الاتراك مدوا لنا يدا ... من الود انا قد مددنا لكم يدا
اخذنا باهداب العتاب وانما ... اتيناه من كل ضغن مجردا

فقلتم وقلنا غير ان قلوبنا ... على العهد ترعى حرمة العهد سرمدا
وما نتقاضى ثورة دموية ... فلسنا عطاشا نطلب الدم موردا
ولكننا نرجو اخاء موطدا ... يعز علينا ان يكون مهددا

ومن قوله في الغزل

بعد موتي عناصر الجسم تنحـ ... ـل فيمتصها النبات طعاما
فاذكريني اذا تكللت بالزهـ ... ـر ففيه هباء جسمي اقاما
وانشقيه فان فيه اريجا ... عاطرا كان في فؤادي غراما

والديوان قد طبع طبعا حسنا على ورق جيد بمطبعة المنار ويباع في مكتبتها بثلاثة قروش صحيحة ولتلامذة المدارس العالية بقرشين

***

﴿ كتاب الكلية العلمانية الفرنسوية ﴾

اهدت الى ادارة المنار الكلية العلمانية الفرنسوية في بيروت كتابها السنوي وفيه بيان فروعها وشروطها وقوانينها

وهي أربع دوائر دائرة التعليم العام ودائرة الاعداد للمدرسة الطبية والدائرة الصناعية والدائرة التجارية وتنوي انشاء فرع زراعي في نواحي البقاع حيث الخصب وسعة الارض ، ولاصبغة دينية لهذه الكلية ولعلها أول بعثة علمية غربية جاءت الى الشرق باسم العلم عاريا عن اسم الدين فانها ذكرت انها لا تتعرض لدين التلامذة كما انها لاتعارض أحدا بدينه وربما سهلت له الطريق كما تقول

وقد ذكر في مقدمة كتابها هذا ان غاية هذه البعثة العلمانية انما هي خدمة فرنسا خارج فرنسا في مستعمراتها وفي البلاد الاجنبية ونشر لغتها ومبادئها الخ

فهل يعتبر أهل البلاد ومن بيدهم زمام الامور و يعلمون بأنهم أولى من أولئك الافرنسيين بترقية لغة البلاد وآداب الشرق وانهم ان لم يسبقوا الى ذلك سبقهم القوم العاملون وان اهمال المعارف واللغة والآداب مضيعة للجامعة القومية وتفريق للعناصر الوطنية ولو انشئ في كل بلد وكل قرية نواد باسم اتحاد العناصر أو الاتحاد والترقي

صالح مخلص رضا

مقدمة خديجة (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ذكر الله تعالى والثناء عليه
والشكر له قبل كل شيء)

دخل هذه الدار عدد لا يحصى من بني آدم بجموعهم عمرت القرى والامصار، وتحركت أفلاك العلوم والاعمال، وتعاقبت أسلاك الاجتماع والاحوال، واذا فتحت كتب السير والتاريخ لا تجد ذكراً لعشر من دخلها ولا لعشر عشرهم ولا للواحد في الالف، ولا للواحد في ألف الالف منهم فلماذا يُعنى المؤرخون بهذا القليل من بني آدم ويهملون الكثير منهم؟

ليس بعجيب ما صنع المؤرخون فان الاكثرين من بني آدم متشاكلو السيرة، متشابهو الحالة والغاية، على ما بين سيرهم من التغاير، وبين أحوالهم من التفاوت، وذلك أن حاصل أمرهم تعب وكد ومزاحمة وحيرات وحسرات في تحصيل ما اشتهوا أو تعودوه من المطالب جل أو حقر، فماذا

*) بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي مؤلف سيرة السيدة خديجة

عسى أن يذكر المؤرخ من حكايات هؤلاء التي يمكن أن تكتب كلها هكذا: « جاءوا الى هذه الدنيا فاشتغلوا بأسباب معايشهم وعاشوا خاضعين للغالب وذهبوا غير تاركين أثراً في هذه الدار الا ان كان ولداً على شاكلتهم »

وأما أولئك الافراد القليلون الذين لهم بعد مماتهم وجود ظاهر بالآثار فان في سيرهم للتاريخ ذخراً من غرائب الاستعداد الإنساني، وبدائع مظاهره، وجلائل مآثره، وامثلة التفاوت بين أفراده، والارتقاء والتكامل في مجموعه، بواسطة آحاد من جملته، بذلك يستمد التاريخ جدته كل يوم، ويأخذ المزيد لرونقه عند كل فرد وكل قوم

واولئك الافراد صنوف: فرسول مبشر، وحكيم مبصر، وكاتب مفكر، وشاعر مذكر، وفاتح مغير، ومخترع محير، وكاشف منور، وباحث مصور، واجتماعي محور، وشرعي مقرر، ونصاح مبرر، ولساني مفسر، ومفضال ميسر

هؤلاء الصنوف أقطاب التاريخ على أخبارهم يدور، ومآثرهم مشارقه منها يستمد النور، ووراءهم في الذكر يأتي من اشتهروا بخلق من الاخلاق، ومن عرفوا في عشيرة بطيب الاعراق، ومن هنا يظهر لنا أن الشهرة ليست بشيء عند التاريخ اذا لم تؤيد بمآثر. ولولا هذا لتعب المؤرخون في سرد أسماء كثيرة لا يستطيعون أن يبيضوا وجوه دفاترهم بشيء من أعمال أصحابها ممن كانوا كباراً في العيون لانهم أبناء أماجد مثلا وهم لم تمجدلهم همة، ولم تؤثر عنهم منقبة، ويظهر لنا أيضاً أن اعراض التاريخ عن

ذكر من لم تبهرها مآثرهم هو احسن درس في الاخلاق ألقاها علينا المؤرخون عن عمد أو بالتصادف وذلك لان النفوس انما يغريها بالباقيات الصالحات تذكار اهلها وتمداحهم ، وانما ينهنهها عن الخمول سرعة انطفاء الخاملين ، وطول اشراق الباقي ذكرهم في العالمين

ثم ان من لهم الباقيات الصالحات التي يبقون ويذكرون بها هم افعل الحداة بالنفوس وانهض بها الى المكارم فحكاية أحوالهم هي أفضل مآخذ الاخلاقيين الذين يجتهدون في أن يفهموا اقارئهم كيف يتكمل الانسان وكيف يصير من الاقطاب اقطاب التاريخ

* * *

اللهم إني أستسقي جودك وإحسانك لأرواح المؤرخين الذين تركوا كنوزاً كثيرة لنفوسنا من سير الأقطاب من آبائنا، وأستغفرك عن زلة زلها أكثرهم من حيث لا يشعرون وهي إهمالهم كثيرا من سير الأقطاب من أمهاتنا،

لقد علمنا أن الفرق ليس بكبير في الفطرة بين الرجل والمرأة ، وليست المرأة بمحرومة من المزايا التي يعلو قدر المتحلي بمثلها من الرجال ، ذلك أننا نرى لهنّ عقولا سايمة ، وقلوبا كريمة ، وهمما عظيمة ، وهل للرجال ينابيع للمكارم غير هذه العقول والقلوب والهمم ؟. ونرى الاديان اعتبرت المرأة كالرجل في التكليف بالعقيدة والعبادة والآداب . ونرى الاجتماع اعتبر المرأة كالرجل في التكليف بالعمل وما زال نصيبها منه

كبيرا وتابعا لتقسيم الاعمال على حسب مرتبة محيطها من العالم ثم على حسب مرتبتها من محيطها . وهذا غير ما نعلمه من فضل بعض الفاضلات الماضيات اللاتي تصلح سيرهنّ أن تكون هدًى للرجال قبل النساء ، ولولا تلك الزلة التي ذكرناها للمؤرخين لكان اللاتي نعلمهن أكثر وما اللاتي نعلمهن الآن من الفاضلات بقلائل

من هؤلاء سيدة قد سمع بفضلها العالم كله ولكن العارفين بتفاصيل فضائلها ومزاياها قليلون . الشرق سمع بهذه السيدة والغرب، الترك يعظمون اسمها والعرب ، وفارس والهند ، والافغان والسند ، وفي أرض الصين تعظم ، وفي الدنيا الجديدة تكرم ، واذا فتحت دفاتر المؤرخين عفا الله عنهم لا تجد فيها تحت اسم هذه السيدة الجليلة الا كلمات يسيرة في ترجمة حالها ، وشرح خلالها ، ولكنا نحن شاكروهم على هذه الكلمات التي يملأ سناها العقول والقلوب فتهتدي بها على قلتها الى عظيم أمرها كما يدرك المبحرون عظمة المنار اذا كانت أشعته عظيمة السطوع

ولقد كنت تفكرت في ان اكافئ والدتي ببعض المكافأة فتبينت بعد طول التفكر ان عظيم فضلها عليّ هو أبعد من أن يوفى شيء من حقه ولكن تراءى لي أنه يسرّها أن أعلن للملإ فضل جنسها وأذكرهم بما نسوه من احترام حقوق هذا الجنس ولم أجد أحسن طريقة الى هذه الغاية الجليلة من شرح سيرة هذه السيدة التي هي احدى جدّاتها

فمن مدد تلك الكلمات القليلة التي تركها لنا المؤرخون في ترجمة حال هذه السيدة أؤلف هذه القصة الحقيقية والى روح والدتي أرفعها هدية على راحة خشوعي وضعفي ، ومن خزائن رحمة الله ورضوانه أستنزل تحية طيبة مباركة لهذه الروح البارّة

ومن راقه هذا المؤلف الصغير وحصلت له به لذة وفائدة فلي حق أن أرجوه شيئا ولا أرجوه الا ان يكون مساعدا في اقامة حقوق المرأة وكرامتها وآدابها . ان النساء أمهاتنا معشر الرجال وعلى حسب تربيتهن نكون فلنطلب من محيطنا أن يهذب بالعلم الامهات ويسعى لترقية مداركهنّ وآدابهنّ !

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(الاثنين سلخ رمضان ١٣٢٨ ــ ٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٤٣ : ٥٧) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا

قال البقاعي في نظم الدرر : ولما وصف الوقوف بين يديه في يوم العرض والاهوال الذي أدت فيه سطوة الكبرياء والجلال الى تمني العدم ومنعت فيه قوة

يد القهر والخبر أن يكتم حديثا وتضمن وصفه انه لا ينجو فيه الا من كان طاهر القلب والجوارح بالايمان به والطاعة لرسوله (ص) — وصف الوقوف بين يديه في الدنيا في مقام الانس وحضرة القدس المنجي من هول الوقوف في ذلك اليوم والذي حظرت معاني اللطف والجال فيه الالتفات الى غيره وأمر بالطهارة في حال التزين به عن الخبائث فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ﴾ الخ وقال بعضهم في وجه الاتصال انهم لما نهوا عن الاشراك به تعالى نهوا عما يؤدي اليه ولو بغير قصد وقيد لما أمروا فيما تقدم بالعبادة أمروا هنا بالاخلاص في رأس العبادة

الاستاذ الامام أمر الله تعالى في الآيات السابقة بعبادته وترك الشرك به وبالاحسان للوالدين وغيرهم وتوعد الذين لا يقومون بهذه الاوامر والنواهي وقد عرفنا من سور أخرى أن الله تعالى يأمر بالاستعانة بالصلاة على القيام بأمور الدين وتكاليفه كما قال (٢ : ١٥٣ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) وقال (٢ : ٢٣٨ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقال (٧٠ : ١٨ ان الانسان خلق هلوعا ١٩ اذا مسه الشر جزوعا ٢٠ واذا مسه الخير منوعا ٢١ الا المصلين) وقد كثر في القرآن الامر بالصلاة لا بالصلاة هكذا مطلقا بل باقامتها وإنما إقامتها القيام بها على الوجه الاكمل وهو أن ينبعث المؤمن اليها بباعث الشعور بعظمة الله وجلاله ويؤديها بالخشوع له تعالى فهذه الصلاة هي التي تعين على القيام بالاوامر وترك النواهي ولذلك جاء ذكرها هنا عقب تلك الأوامر والنواهي الجامعة ، وقد ذكرت الصلاة في القرآن بأساليب مختلفة وذكرت هنا في سياق النهي عن الاتيان بها في حال السكر الذي لا يتأتى معه الخشوع والحضور مع الله تعالى بمناجاته بكتابه وذكره ودعائه فالمراد بالصلاة حقيقتها لا موضعها وهو المساجد كما قال الشافعية والنهي عن قربانها دون مطلق الاتيان بها لا يدل على ارادة المسجد اذ النهي عن قربان العمل معروف في الكلام العربي وفي التنزيل خاصة (١٧ : ٣٢ ولا تقربوا الزنا) والنهي عن العمل بهذه الصيغة يتضمن النهي عن مقدماته ومن مقدمات الصلاة الاقامة فقد سنها الله لنا لاعدادنا للدخول في الصلاة

= وقال بعض المفرقين الذين يحملون القرآن على مذاهبهم المستحدثة ان الآية تدل على جواز بل وقوع التكليف بالمحال إذ وجه الأمر الى السكران وهو لا يعي الخطاب . والجواب عنه من وجوه (أحدها) أن الخطاب موجه الى المسلم قبل السكر بأن يجتنبه اذا ظن انه ينتهي به الى التلبس بالصلاة في أثنائه فهو أمر بالاحتياط واجتناب السكر في اكثر الاوقات . اقول ولذلك قال العلماء ان هذه الآية تمهيد لتحريم السكر تحريما قطعيا لا هوادة فيه. فان من يتقي أن يجيء عليه وقت الصلاة وهو سكران يترك الشرب عامة النهار وأول الليل لانتشار الصلوات الخمس في هذه المدة فالوقت الذي يتسع للسكر هو وقت النوم من بعد العشاء الى السحر فيقل الشرب فيه لمزاحمته للنوم الذي لا بد منه وأما أول النهار من بعد صلاة الفجر الى وقت الظهيرة فهو وقت العمل والكسب لاكثر الناس ويقل ان يسكر فيه غير المترفين الذين لا عمل لهم وقد ورد انهم كانوا بعد نزولها يشربون بعد العشاء فلا يصبحون الا وقد زال السكر وصاروا يعلمون مايقولون — قال (ثانيها) ان الأمر موجه الى جمهور المؤمنين لانهم متكافلون مأمورون بمنع المنكر فعليهم ان يمنعوا السكران من الدخول في الصلاة فالأمر على حد « فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها » أي على أحد الاقوال اذ يدخل فيه الزوجان (ثالثها) ان السكر الذي يطلبه الغواة لا ينافي فهم الخطاب وهو النشوة والسرور ففي هذه الحالة يفهم السكران ويُفهم ويصح ان يوجه اليه الخطاب ولكنه لا يضبط أعماله وأفكاره وأقواله بالتفصيل ولذلك قال تعالى ﴿ حتى تعلموا ماتقولون ﴾ فأما ما ينتهي اليه السكران مما لا يقصد فصاحبه لا يخاطب فيه وهو ما عرف به أبو حنيفة السكران اذ قال انه الذي لا يفرق بين الارض والسماء وهناك قول آخر في معنى هذا القول . وهذا التعليل للنهي يفيد ان العلم بما يقوله الانسان في الصلاة من تلاوة وذكر واجب أو شرط والعلم به فهمه ولهذا المعنى أجاز ابو حنيفة الصلاة بغير العربية لمن لا يحسنها أي الى أن يحسنها أو يعجز . هذا هو حاصل المعنى على القول بأن المراد بالصلاة حقيقتها كما هو الظاهر فان اريد بها موضعها فالمراد تنزيه المساجد وهي بيوت الله عن اللغو والكلام الباطل الذي من شأنه ان يبدر من السكران

أقول روى أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه عن علي كرم الله وجهه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون . فنزلت . وفي رواية ابن جرير وابن المنذر عن علي ان إمام القوم يومئذ هو عبد الرحمن وكانت الصلاة صلاة المغرب وكان ذلك لما كانت الخمر مباحة . وهذا يدل على ان المراد بالصلاة حقيقتها وروي عن سعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ان المراد بالصلاة هنا مواضعها وروي عن الشافعي انه حمل اللفظ على الامرين معا بناء على تجويزه الجمع بين الحقيقة والمجاز . وروي عن جعفر والضحاك وهو احدى الروايتين عن ابن عباس ان المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم ولعل من روي عنه ذلك شبه النعاس بالسكر وجعل حكمه كحكمه فظن الراوي انه فسره به والعلة في قياسه عليه ظاهرة وفي حديث أنس عند البخاري مرفوعا « اذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف فلينم حتى يعلم ما يقول » . وحتى للغاية وفي بعض كلام الاستاذ الامام ما يشعر بأنها للتعليل والظاهر الاول كحتى في الجملة الآتية

وقوله تعالى ﴿ ولا جنبا ﴾ عطف فيه قوله ولا جنبا على قوله وانتم سكارى والمعنى لاتقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا فجملة وانتم سكارى حالية فهي في حيز النصب وفرق عبد القاهر في دلائل الاعجاز بين الحال المفردة والجملة الحالية فمعنى جاء زيد راكبا أن الركب كان وصفا له حال المجيء فهو تابع للمجيء مقدر بقدره ومعنى جاء وهو راكب أن الركب وصف ثابت في نفسه وقد جاء هو في حال تلبسه به ، وقد تكون الجملة الحالية غير وصف لذي الحال كقولك جاء والشمس طالعة وقد يتقدم مضمونها فعل ذي الحال الذي جعلت قيدا له وقد يتأخر عنه واما الحال المفردة فيعتبر فيها مقارنة فعل ذي الحال ولهذا قال بعض فقهاء الشافعية من قال لله علي أن اعتكف صائما وجب عليه أن يصوم لاجل الاعتكاف ولا يجزئه أن يعتكف في رمضان ، ومن قال لله علي أن أعتكف وأنا صائم لا يلزمه صوم لاجل الاعتكاف

بل يجزئه أن يعتكف في رمضان لأن مضمون الجملة الحالية لا يشترط ان يكون مقارنا لفعل ذي الحال كما يشترط ذلك في الحال المفردة . هذا واني لا اذكر اني رأيت للمفسرين بيانا لنكتة اختلاف الحالين في هذه الآية فلم لم يقل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أو لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى ولا وأنتم جنب أو يجعل الأولى مفردة والثانية جملة ، وهل يقع هذا الاختلاف في تعبير القرآن اتفاقا أو لمجرد التفنن في العبارة ؟ كلا ان النكتة ظاهرة لا تخفى على من كانت اللغة ملكة له وقد تخفى عن من تكون صناعة عنده لا يفهم دقائق نكتها الا عند تذكر القواعد الصناعية التي تدل عليها وتدبرها ، ومن كانت له الملكة والصناعة قد يفهم المراد في الجملة ويغفل عن ايضاحها بالقواعد الصناعية . إن التعبير بجملة « وانتم سكارى » يتضمن النهي عن السكر الذي يخشى ان يمتد الى وقت الصلاة فيفضي الى أدائها في أثنائه فالمعنى احذروا أن يكون السكر وصفا لكم عند حضور الصلاة فتصلوا وانتم سكارى ولا يتحقق امتثال هذا النهي الا بترك السكر في وقت الصلاة بل فيما يقرب من وقتها وليس المعنى لا تصلوا حال كونكم سكارى ، وعلى هذا لا يرد الاعتراض الذي أورده الاستاذ الامام وأجاب عنه بثلاثة أجوبة وانما كان يرد لو قال تعالى لا تقربوا الصلاة سكارى ، أو يقال في دفعه هذا والجواب الأول من تلك الأجوبة في معنى هذا ولكنه ليس مأخوذا من منطوق الآية ومدلول الجملة الحالية وانما فهمنا منه انه مأخوذ من توقف الامتثال على اجتناب السكر قبل الصلاة وصرح بأنه من باب الاحتياط واما نهيهم عن الصلاة جنبا فلا يتضمن نهيهم عن الجنابة قبل الصلاة ولهذا لم يقل وانتم جنب . فيا لله العجب من دقة عبارة القرآن الحكيم و بلاغتها واشتمالها على المعاني الكثيرة باختلاف التعبير فقد دلت الآية باختلاف الحالين على ان الشارع يريد صرف الناس عن السكر وتربيتهم على تركه بالتدريج لما فيه من الاثم والضرر ولا يريد صرفهم عن الجنابة لأنها من سنن الفطرة وانما ينهاهم عن الصلاة في أثنائها حتى يغتسلوا فهذا النهي تمهيد لفرض الطهارة من الجنابة وكونها شرطا للصلاة وذلك النهي تمهيد لتحريم الخمر ألبتة في سياق ايجاب الفهم والتدبر لما في الصلاة من الاذكار والتلاوة

والجنب قال الاستاذ الامام يعرفه كل أحد يعني من قراء العربية لانه مستعمل الآن عند الخاصة والعامة في المعنى الذي جاء به القرآن ، ولكنه لم يذكر ما هي صيغته وما معنى أصل مادته . وقد استعملت العرب هذا اللفظ استعمال المصادر في الوصفية فقالوا هو جنب وهي جنب وهما جنب وهم جنب وثناه وجمعه بعضهم فقالوا جنبان وأجناب وجنوب . وقال أبوالبقاء هو مشتق من المجانبة بمعنى المباعدة وليس بظاهر . وقد قالوا جانبه بمعنى سار الى جنبه ومنه الصاحب بالجنب لرفيق السفر والاصل فيه انه يركب بجانب رفيقه في الشقدف على البعير فيكون اشارة الى المضاجعة التي هي أعم أسباب الجنابة

﴿ إلا عابري سبيل ﴾ أي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الاحوال الاحال كونكم عابري سبيل أي مجتازي طريق، وقيل ان هنا صفة بمعنى غير ولم يلتفت صاحب هذا القول الى ما اشترطه ابن الحاجب من تعذر الاستثناء . ومن قال ان المراد بالصلاة هنا حقيقتها فسر عابر السبيل هنا بالمسافر ومن قال ان المراد بالصلاة مواضعها أي المساجد فسره بالمجتاز لحاجة قاله الاستاذ وغيره وقد استدل الشافعية بالآية على جواز مرور الجنب في المسجد اذا كانت له حاجة وعلى تحريم المكث فيه عليه . وقد علمت ان الشافعي يجيز أن يراد بالصلاة هنا حقيقتها ومكانها معا وحينئذ يجعل استثناء العبور باعتبار المكان واني لأستبعد التعبير عن السفر بعبور السبيل والسفر مذكور في الآية وفي غيرها من الآيات بلفظ السفر فالمتعين عندي في العبور ما قاله الشافعية وهو بالمرور بالمسجد لأنه من قرب الصلاة سواء أريد بها المكان وحده أم المكان والحقيقة أم الحقيقة وحدها لأن المكث في المسجد من مقدمات الصلاة فالمنع منه يدخل في النهي عن قرب الصلاة . ويؤيد هذا ما هو معروف من كون بعض جيران المسجد النبوي كان لبيوتهم أبواب ومنافذ من المسجد فكانوا يعبرون منه الى بيوتهم وكان كثير من فقراء الصحابة يقيمون في المسجد فلما نزلت الآية فهموا منها ولا بد ان اقامة الجنب في المسجد تعد من قرب الصلاة فلو لم يستثن عابري السبيل لكان على أولئك الجيران حرج في الزامهم أن لا يخرجوا من بيوتهم قبل الاغتسال اذا كانوا جنبا . ولم يأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسد

تلك الابواب والكوى الا في آخر عمره الشريف وقد استثنى خوخة ابن أبي قحافة (أبي بكر - رض) والخوخة الكوة والباب الصغير مطلقا أو ما كان في الباب الكبير

﴿ حتى تغتسلوا ﴾ أي لا تقربوا الصلاة جنبا لا بأدائها ولا بالمكث في مكانها الى أن تغتسلوا الا ما رخص لكم فيه من عبور السبيل في المسجد وحكمة الاغتسال من الجنابة كحكمة الوضوء هي النظافة والطهارة كما سيأتي في آية الوضوء من سورة المائدة ولهاتين الطهارتين فوائد صحية وأدبية سنبينها هناك بالتفصيل ان شاء الله تعالى . والاغتسال عبارة عن إفاضة الماء على البدن كله ومن شأن الجنابة أن تحدث تهيجا في المجموع العصبي فيتأثر بها البدن كله ويعقبها فتور وضعف فيه يزيله الماء ولذلك جاء في الحديث الصحيح « إنما الماء من الماء »

وقد جهل هذا من اعترض على حكمة التشريع وقال لو كان الدين موافقا للعقل لما أوجب في الجنابة إلا غسل أعضاء التناسل فأوجب الله تعالى فيما جعله غاية للنهي عن صلاة الجنب أن يتحرى الانسان في صلاته النظافة والنشاط كما أوجب فيما جعله غاية النهي عن صلاة السكران ان يتحرى فيها العلم والفهم وتدبر القرآن والذكر ويتوقف هذا على معرفة لغة القرآن فهي واجبة على كل مسلم . وهذا شيء من مشروعية الغسل

ولما كان الاغتسال من الجنابة يتعسر في بعض الاحوال ويتعذر في بعضها ومثله الوضوء وكانت الصلاة عبادة محتومة وفريضة موقوتة لا هوادة فيها ولا مندوحة عنها لانها بتكرارها تذكر المرء اذا نسي مراقبة الله تعالى فتعده للتقوى بين لنا سبحانه الرخصة في ترك استعمال الماء والاستعاضة عنه بالتيمم فقال ﴿ وان كنتم مرضى أو على سفر ﴾ والشأن فيهما تعسر استعمال الماء ولاسيما في الحجاز وغيره من جزيرة العرب وقد يكون الماء ضارا بالمريض كبعض الامراض الجلدية والقروح

﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ﴾ أي أو أحدثتم حدثا أصغر وهو خروج شيء من أحد السبيلين (القبل والدبر) وعبر عنه بالمجيء

من الغائط كناية كما هي سنة القرآن في النزاهة بالكناية عما لا يحسن التصريح به والغائط هو المكان المنخفض من الارض وأهل البوادي يقصدون بحاجتهم الاماكن المنخفضة لأجل الستر والاستخفاء عن الابصار ، ثم صار لفظ الغائط حقيقة عرفية في الحدث لكثرة الاستعمال ، ويكنى عن الحدث في المدن الآهلة التي تتخذ فيها الكنف بكنايات أخرى . وملامسة النساء كناية عن غشيانهن والافضاء اليهن وحقيقته اللمس المشترك من الجانبين ولو باليد ﴿ فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ أي ففي هذه الحالات : المرض والسفر وفقد الماء عقب الحدث الاصغر الموجب للوضوء والحدث الاكبر الموجب للغسل - تيمموا صعيدا طيبا أي اقصدوا وتحروا مكانا ما من صعيد الارض أي وجهها طيبا أي طاهرا لا قذر فيه ولا وسخ فامسحوا هناك بوجوهكم وأيديكم تمثيلا لمعظم عمل الوضوء فصلوا . وفي حديث عمران بن حصين (رض) عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا معتزلا لم يصل في القوم فقال يا فلان ما منعك ان تصلي ؟ فقال يا رسول الله اصابتني جنابة ولا ماء قال « عليك بالصعيد فانه يكفيك » وهذا في الحضر

الاستاذ الامام : المعنى ان حكم المريض والمسافر اذا ارادا الصلاة كحكم المحدث حدثا اصغر أو ملامس النساء ولم يجد الماء فعلى كل هؤلاء التيمم فقط . هذا ما يفهمه القارئ من الآية نفسها اذا لم يكلف نفسه حملها على مذهب من وراء القرآن يجعلها بالتكلف حجة له منطبقة عليه . وقد طالعت في تفسيرها خمسة وعشرين تفسيرا فلم أجد فيها غناء ولا رأيت قولا فيها يسلم من التكلف ثم رجعت الى المصحف وحده فوجدت المعنى واضحا جليا ، فالقرآن أفصح الكلام وأبلغه وأظهره وهو لا يحتاج عند من يعرف العربية مفرداتها وأساليبها الى تكلفات فنون النحو وغيره من فنون اللغة عند حافظي أحكامها من الكتب مع عدم تحصيل ملكة البلاغة - الى آخر ما أطال به في الانكار على المفسرين الذين عدوا الآية مشكلة لأنها لم تنطبق على مذاهبهم انطباقا ظاهرا سالما من الركاكة وضعف التأليف

والتكرار التي يتنزه عنها أعلى الكلام وأبلغه . واذا كان رحمه الله قد راجع خمسة وعشرين تفسيرا رجاء ان يجد فيها قولا لا تكلف فيه فانا لم أراجع عند كتابة تفسيرها الا روح المعاني وهو آخر التفاسير المتداولة تأليفا وصاحبه واسع الاطلاع فاذا به يقول « الآية من معضلات القرآن » ووالله ان الآية ليست معضلة ولا مشكلة وليس في القرآن معضلات الا عند المفتونين بالروايات والاصطلاحات وعند من اتخذوا المذاهب المحدثة بعد القرآن أصولا للدين يعرضون القرآن عليها عرضا فاذا وافقها بغير تكلف أو بتكلف قليل فرحوا والا عدوها من المشكلات والمعضلات ، على ان القاعدة القطعية المعروفة عن من انزل عليه القرآن (ص) وعن خلفائه الراشدين (رض) ان القرآن هو الاصل الأول لهذا الدين وان حكم الله يلتمس فيه أولا فان وجد فيه يؤخذ وعليه يعوّل ولا يحتاج معه الى مأخذ آخر وان لم يوجد التمس من سنة رسول الله (ص) على هذا أقر النبي (ص) معاذا حين أرسله إلى اليمن و بهذا كان يتواصى الخلفاء والائمة من الصحابة والتابعين وقد رأى القارئ ان معنى الآية واضح في نفسه لا تكلف فيه ولا إشكال ولله الحمد

سيقول ادعياء العلم من المقلدين نعم ان الآية واضحة المعنى كاملة البلاغة على الوجه الذي قررتم ولكنها تقتضي عليه ان التيمم في السفر جائز ولو مع وجود الماء وهذا مخالف للمذهب المعروف عندنا فكيف يعقل أن يخفى معناها هذا على أولئك الفقهاء المحققين و يعقل أن يخالفوها من غير معارض لظاهرها أرجعوها اليه . ولنا ان نقول لمثل هذا - وان كان المقلد لا يحاج لانه لا علم له - وكيف يعقل ان يكون أبلغ الكلام وأسلمه من التكلف والضعف معضلا مشكلا وأي الامرين أولى بالترجيح : الطعن ببلاغة القرآن لحمله على كلام الفقهاء أم تجويز الخطإ على الفقهاء لانهم لم يأخذوا بما دل عليه ظاهر الآية من غير تكلف وهو الموافق المتمم مع غيره من رخص السفر التي منها قصر الصلاة وجمعها و إباحة الفطر في رمضان فهل يستنكر مع هذ ان يرخص للمسافر في ترك الغسل والوضوء وهما دون الصلاة والصيام في نظر الدين ؟ أليس من المجرب ان الوضوء والغسل يشقان على المسافر الواجد للماء في هذا

الزمان الذي سهلت فيه اسباب السفر في قطارات السكك الحديدية والبواخر ، أفلا يتصور المنصف ان المشقة فيهما أشد على المسافرين على ظهور الابل في مفاوز الحجاز وجبالها ؟ هل يقول منصف ان صلاة الظهر أو العصر أربعا في السفر أسهل من الغسل أو الوضوء فيه؟. السفر مظنة المشقة يشق فيه غالبا كل مايؤتى في الحضر بسهولة واشق مايشق فيه الغسل من الجنابة والوضوء وان كان الماء حاضرا مستغنى عنه . واضرب لهم مثلا هذه الجواري المنشآت في البحر كالاعلام فان الماء فيها كثير دائما وفي كل باخرة منها حمامات أي بيوت مخصوصة للاغتسال بالماء السخن والماء البارد ولكنها خاصة بالاغنياء الذين يسافرون في الدرجة الاولى أو الثانية وهؤلاء الاغنياء منهم من يصيبه دوار شديد يتعذر عليه معه الاغتسال أو خفيف يشق عليه الاغتسال ولا يتعذر فاذا كانت هذه السفن التي يوجد فيها من الماء المعد للاستحمام مالم يكن يوجد مثله في بيت أحد من أهل المدينة زمن التنزيل يشق فيها الاغتسال أو يتعذر فما قولك في الاغتسال في قطارات سكك الحديد او قوافل الجمال والبغال ؟

الا إن من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحة في عبارة القرآن ، التي هي أظهر وأولى من قصر الصلاة وعدم الصيام ، واظهر في رفع الحرج والعسر الثابت بالنص وعليه مدار الاحكام ،واحتمال ربط قوله تعالى « فلم تجدوا ماء » بقوله « وان كنتم مرضى أو على سفر » بعيد بل ممنوع ألبتة على انهم لايقولون به في المرضى لان اشتراط فقد الماء في حقهم لافائدة له لان الاصحاء مثلهم فيه فيكون ذكرهم لغوا يتنزه عنه القرآن ، ونقول ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم فلولا ان السفر سبب للرخصة كالمرض لم يكن لذكره فائدة ولذلك وقف حمار الشيخ في العقبة هنا . وما ورد في سبب نزولها من فقد الماء في السفر أو المكث مدة على غير ماء لاينافي ذلك . رووا انها نزلت في غزوة المريسيع ، عرّس النبي (ص) في تلك الغزوة ليلة فسقطت من عائشة قلادة لاسماء أختها كانت عليها فلما رحلوا ذكرت ذلك للنبي (ص) فبعث رجلين في طلبها ونزلوا ينتظرونهما على غير ماء فأصبحوا وليس معهم ماء فأغلظ ابو بكر على عائشة وقال حبست رسول الله (ص) والمسلمين على غير ماء فنزلت الآية فلما صلوا بالتيمم جاء اسيد بن الحضير

الى مضرب عائشة فجعل يقول ماأكثر بركتكم يا آل أبي بكر وفي رواية يرحمك الله تعالى ياعائشة مانزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله تعالى فيه للمسلمين فرجا . فهذه الرواية وهي من وقائع الاحوال لاحكم لها في تغيير مدلول الآية ولا تنافي جعل الرخصة أوسع من الحال التي كانت سببا لها ، الاترى انها شملت المرضى ولم يذكر في هذه الواقعة انه كان فيها مرضى شق عليهم استعمال الماء على تقدير وجوده وليس فيها دليل على أن كل الجيش كان فاقدًا للماء ولا أن النبي (ص) جعل التيمم فيها خاصا بفاقدي الماء دون غيرهم . واننا نرى رخصة قصر الصلاة قد قيدت بالخوف من فتنة الكافرين كما سيأتي في هذه السورة ونرى هؤلاء الفقهاء كلهم لم يعملوا فيها بمفهوم هذا الشرط المنصوص الذي كان سبب الرخصة افلا يكون ماهنا أولى بأن لايشترط فيه شرط ليس في كتاب الله ؟ وروي في سبب النزول ايضا ان الصحابة نالتهم جراحة وابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك للنبي (ص) فنزلت

واذا ثبت ان التيمم رخصة للمسافر بلا شرط ولا قيد بطلت كل تلك التشديدات التي توسعوا في بنائها على اشتراط فقد الماء ومنها ماقالوه وجوب طلبه في السفر وما وضعوه لذلك من الحدود كحد القرب وحد الغوث . وأذكر انني عند ما كنت أدرّس شرح المنهاج في فقه الشافعية قرأت باب التيمم في شهرين كاملين لم أترك الدرس فيهما ليلة واحدة فهل ورد ان النبي (ص) أو أحد الصحابة تكلم في التيمم يومين أو ساعتين ؟وهل كان هذا التوسع في استنباط الاحكام والشروط والحدود سعة ورحمة على المؤمنين أم عسرا وحرجا عليهم وهو مارفعه الله عنهم ؟ ؟

﴿ ان الله كان عفوا غفورا ﴾ العفوّ ذو العفو العظيم ويطلق العفو بمعنى اليسر والسهولة ومنه في التنزيل « خذ العفو » وفي الحديث « عفوت لكم صدقة الخيل والرقيق » أي اسقطتها تيسيرا عليكم . ومن عفوه تعالى أن أسقط في حال المرض والسفر وجوب الوضوء والغسل . ومن معاني العفو محو الشيء يقال عفت الريح الأثر ويقال عفا الأثر (لازم) أي امحى ومنه العفو عن الذنب عفا عنه وعفا له ذنبه وعفا عن ذنبه أي محاه فلم يرتب عليه عقابا فالعفو أبلغ من المغفرة لان المغفرة من الغفر

وهو الستر وستر الذنب بعدم الحساب والعقاب عليه لاينافي بقاء أثر خفي له ومعنى العفو ذهاب الأثر فالعفو عن الذنب جعله كأن لم يكن بأن لايبقى له أثر في النفس لاظاهر ولا خفي . فهذا التذييل للآية مبين منشأ الرخصة واليسر الذي فيها وهو عفو الله تعالى ومشعر بأن ما كان من الخطإ في صلاة السكارى كقولهم قل ياأيها الكافرون اعبد ماتعبدون ونحن نعبد ماتعبدون مغفور لهم لايؤاخذون عليه . واننا نختم تفسير الآية بمسائل لابد منها

(المسألة الاولى معنى التيمم اللغوي والشرعي) قدعلمت ان التيمم في الآية بمعنى القصد وهو المعنى اللغوي قال الاعشى

تيممت قيسا وكم دونه من الأرض من مهمه ذي شزن

ثم صار حقيقة شرعية في العمل المخصوص وهو ضرب اليدين بوجه الارض ومسح الوجه واليدين بهما وصاروا يقولون تيمم بالتراب وقد جمع بعضهم بين المعنيين فقال

تيممتكم لما فقدت أولي النهى ومن لم يجد ماء تيمم بالترب

(المسألة الثانية محل التيمم) نص الآية ان محله الوجه واليدان ولكن اليد تطلق كثيرا على ما تزاول به الاعمال من الكف والاصابع وحدها الرسغ وان شئت قلت المفصل الذي يربط الكف بالساعد وهي التي تقطع في حد السرقة ، وتطلق على الذراع من أطراف الاصابع الى المرفق ، وتطلق على مجموع الذراع والعضد الى الابط والكتف ولذلك اختلف الناس في مسح اليدين على ثلاثة أقوال واختلفت الروايات فيه أيضا عن النبي (ص) والصحابة والتابعين واننا نلخص ذلك مع بيان الراجح فنقول: جاء في الصحيحين من حديث عمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له «انما كان يكفيك هكذا» وضرب (ص) بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه وسيأتي نصه وسببه وما قيل فيه . وفي لفظ للدارقطني «انما كان يكفيك ان تضرب بكفيك في التراب ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما وجهك وكفيك الى الرسغين» وذكر النووي في شرح مسلم ان هذا مذهب عطاء ومكحول والاوزاعي واحمد واسحق وابن المنذر وعامة اصحاب الحديث . أقول

وعليه الشيعة الامامية أيضا . وروى الترمذي ان ابن عباس احتج له باطلاق الايدي في آية السرقة والاتفاق على ان المراد بهما الكفين ورد الحافظ ماأوله به النووي وروى الدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعا «التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين» وهذا هو عمدة جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية وغيرهم وفي اسناده علي بن ظبيان وثقه يحيى بن القطان وهشيم وغيرهما ولكن قال الحافظ ابن حجر هو ضعيف ضعفه ابن القطان وابن معين وغير واحد

وفي رواية من حديث عمار ان المسح الى الابطين وبها أخذ الزهري وستعلم مافيها ولفظ حديث عمار في رواية الصحيحين وغيرهما عن عبد الرحمن ابن أبزى ان رجلا أتى عمر (رض) فقال إني اجنبت ولم أجد ماء فقال له لاتصل فقال عمار أما تذكر ياأمير المؤمنين اذ أنا وأنت في سرية فاصابتنا جنابة فلم نجد الماء فاماأنت فلم تصل واما أنا فتمعكت في التراب وصليت فقال (ص) «انما كان يكفيك ان تضرب بيدك في الارض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك» فقال عمر اتق الله ياعمار فقال ان شئت لم أحدث به فقال نوليك ماتوليت أي بل نكلك الى ماقلت ونرد اليك ما وليته نفسك وذلك اذن له برواية الحديث والافتاء به وهذا هو المعتمد الذي لاحجة على غيره وله بوب البخاري في صحيحه قال الحافظ في الفتح :

«قوله باب التيمم للوجه والكفين أي هو الواجب المجزئ واتى بذلك بصيغة الجزم مع شهرة الخلاف فيه لقوة دليله فان الاحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث ابي جهم وعمار وما عداهما فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه والراجح عدم رفعه فأما حديث ابي جهم فورد بذكر اليدين مجملا وأما حديث عمار فورد بذكر الكفين في الصحيحين وبذكر المرفقين في السنن وفي رواية الى نصف الذراع وفي رواية الى الآباط فأما رواية المرفقين وكذا نصف الذراع ففيها مقال وأما رواية الآباط فقال الشافعي وغيره ان كان ذلك وقع بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فكل تيمم صح للنبي (ص) بعده فهو ناسخ له وان كان وقع بغير أمره فالحجة فيما أمر به . ومما يقوي رواية الصحيحين في الاقتصار على الوجه والكفين كون عمار كان يفتي بعد النبي (ص) بذلك وراوي الحديث أعلم بالمراد به من غيره

ولا سيما الصحابي المجتهد » اه كلام الحافظ ابن حجر وهو فصل الخطاب في المسألة

﴿ المسألة الثالثة التيمم ضربة واحدة ولا ترتيب فيه ﴾ في المسألة روايتان وفي رواية شقيق لحديث عمار في الصحيحين التصريح بضربة واحدة فهي اقل مايجزئ والجمهور من الفقهاء وأهل المذاهب على الضربتين قال الحافظ في الفتح

« قوله ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه كذا في جميع الروايات بالشك وفي رواية ابي داود تحرير ذلك من طريق أبي معاوية ايضا ولفظه ثم ضرب بشماله على يمينه ويمينه على شماله على الكفين ثم مسح وجهه . وفيه الاكتفاء بضربة واحدة في التيمم ونقله ابن المنذر عن جماهير العلماء واختاره وفيه ان الترتيب غير مشروط في التيمم قال ابن دقيق العيد اختلف في لفظ هذا الحديث فوقع عند البخاري بلفظ «ثم» وفي سياقه اختصار ولمسلم بالواو ولفظه ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه وللاسماعيلي ماهو اصرح من ذلك . قلت ولفظه من طريق هارون الحمال عن ابي معاوية «انما يكفيك ان تضرب بيديك على الارض ثم تنفضهما ثم تمسح بيمينك على شمالك وشمالك على يمينك ثم تمسح على وجهك » اه

﴿ المسألة الرابعة ما هو الصعيد ﴾ قال في القاموس والصعيد التراب أو وجه الارض ، وقال الثعالبي في فقه اللغة الصعيد تراب وجه الأرض . وفي المصباح الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره ، قال الزجاج لا أعلم اختلافا بين أهل اللغة في ذلك . وقال في المصباح أيضا ويقال الصعيد في كلام العرب على وجوه: على التراب الذي على وجه الارض وعلى وجه الارض وعلى الطريق . أقول ولأجل هذا اختلف الفقهاء فقال بعضهم يجوز ان يضرب يديه على أي مكان طاهر من الارض ويمسح وجهه ويديه . واستدلوا من الروايات بتيمم النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة من جدار كما في الصحيحين . وقال بعضهم انه لا يجزئ الا بالتراب واستدلوا على ذلك بحديث « وجعلت تربتها لنا طهورا » وهو عند مسلم من حديث حذيفة مرفوعا وفي رواية ابن خزيمة بلفظ التراب . ومثلها حديث علي عند احمد والبيهقي باسناد حسن « وجعل التراب لنا طهورا » وجعلوا للتراب معنى مقصودا كما ستعلم في مسألة حكمة التيمم

وأجاب الاولون عن هذا بأن لفظ التربة والتراب لا يؤخذ بمفهومه لانه مفهوم لقب ذهب جمهور الاصوليين الى عدم اعتباره فهو لا يخصص المنطوق وانما قال بمفهوم اللقب الدقاق . على ان التراب هو الاعم الاكثر من صعيد الارض فخص بالذكر في بعض الروايات . لأجل ذلك وجاءت بعض الروايات بلفظ الارض كحديث جابر المرفوع في الصحيحين والنسائي « وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا » واستدلوا بلفظ « منه » في سورة المائدة اذ قال « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه» فقالوا ان هذا لايتحقق الا فيما ينفصل منه شيء ، وعارضهم الآخرون بما تقدم ذكره من تيمم النبي من الجدار في المدينة ولهم أن يقولوا انه ربما كان عليه غبار وفي رواية للشافعي انه حكه بالعصا ثم مسح منه وفيها مقال على أن ماينفصل منه شيء ليس خاصا بالتراب فأكثر مواد الارض ينفصل منها شيء اذا ديست أو سحقت ومن التراب اللزج الذي ييبس فلا ينفصل منه شيء بضرب اليدين عليه الا ان يداس كثيرا أو يدق ، ويرى هؤلاء ان « من » في آية المائدة للابتداء لا للتبعيض وهو خلاف المتبادر وأقرب منه أن تكون لبيان ماهو الاكثر والاغلب ولو كان الغبار قيدا لا بد منه لذكر في آية النساء لأنها متقدمة في النزول على سورة المائدة وعمل الناس باطلاقها زمنا طويلا ، وهي التي تسمى آية التيمم وهذا التقييد فيه عسر ينافي الرخصة ونفي الحرج الذي علّلت به في سورة المائدة فان المسافر يعسر عليه ان يجد التراب الطاهر الذي ينفصل منه الغبار في كل مكان ولهذا رأيت بعض المستمسكين بهذا المذهب يحملون في أسفارهم اكياسا فيها تراب ناعم يتيممون منه والعمل باطلاق الآية أوسع من ذلك وأيسر ، ولو كان الغبار مقصودا لما نفض النبي (ص) كفيه بعد ان ضرب بهما الارض كما في رواية شقيق لحديث عمار ولما امر بنفخهما في رواية عن عبدالرحمن بن ابزى له وهل يبقى بعد النفض والنفخ مايكفي لاصابة الوجه واليدين من الضربة الواحدة ؟ فجملة القول ان الدليل على اشتراط التراب أو الغبار غير قوي فيضرب المتيمم بيديه أي مكان طاهر من ظاهر الارض حيث كان ويمسح فان وجد مكانا فيه غبار واختاره للخروج من الخلاف فذاك ولكن ينبغي ان ينفض يديه أو ينفخهما من الغبار

ولا يعفر وجهه به وان عد بعضهم التعفير من حكمة التيمم فالسنة تخالفه

﴿ المسألة الخامسة التيمم عن الحدثين لفاقد الماء ، المسافر والمقيم فيه سواء ﴾ تقدم حديث عمار في السفر وحديث عمران بن حصين في الرجل الذي اعتزل الصلاة مع الجماعة للجنابة وفقد الماء وقول النبي (ص) له « عليك بالصعيد فانه يكفيك » وهو في الصحيحين وسنن النسائي . وفي حديث ابي ذر عند أصحاب السنن مرفوعا وصححه الترمذي بلفظ « ان الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجد الماء فليمسه بشرته فان ذلك خير » وفيها رواية شقيق لحديث عمار قال كنت عند عبد الله وأبي موسى فقال أبو موسى ارأيت يا أبا عبد الرحمن لو ان رجلا أجنب ولم يجد الماء شهرا كيف يصنع فقال لا يتيمم وان لم يجد الماء شهرا فقال ابو موسى كيف بهذه الآية في سورة المائدة « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » قال عبد الله لو رخص لهم في هذه الآية لأوشك اذا برد عليهم الماء ان يتيمموا بالصعيد ، قال إنما كرهتم هذا لذا ؟ قال نعم فقال أبو موسى لعبد الله ألم تسمع قول عمار لعمر بعثني رسول الله (ص) فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت بالصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت رسول الله (ص) فذكرت له ذلك فقال « إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا وضرب بكفه ضربة على الارض ثم نفضها ثم مسح بها ظهر كفه وشماله أو ظهر شماله بكفه ثم مسح بهما وجهه » فقال عبد الله أو لم تر عمر لم يقنع بقول عمار أقول بل قنع عمر بقول عمار كما تقدم ولكنه كان يكره التوسع في هذه الرخصة وكان عمر وعبد الله يريان ان التيمم انما يكون عن الوضوء دون الجنابة ويريان ان المراد بالملامسة مس البشرة وانه ينقض الوضوء وعليه الشافعية وروي ان عمر وعبدالله بن مسعود رجعا عن قولها هذا ولم يحك ذلك عن غيرهما الا عن ابراهيم النخعي من التابعين وقد انعقد الاجماع بعد ذلك على مشروعية التيمم للوضوء والجنابة وان كيفيته واحدة

﴿ المسألة السادسة في كون المتيمم لا يعيد الصلاة اذا وجد الماء ﴾ وهذا هو ظاهر الآية فان الله تعالى اسقط عنه شرط الطهارة بالماء . وفي حديث ابي سعيد الخدري عند أبي داود والنسائي والدارمي والحاكم والدارقطني قال خرج رجلان في سفر

فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ولم يعد الآخر ثم أتيا رسول الله (ص) فذكرا له ذلك فقال للذي لم يعد « أصبت السنة وأجزأتك صلاتك » وقال للذي توضأ وأعاد « لك الأجر مرتين »

﴿ المسألة السابعة الرواية في تيمم المسافر مع وجود الماء ﴾ قد علمت أن هذا هو الظاهر المتبادر من الآية التي لا يظهر بدونه تفسيرها بغير تكلف يخل ببلاغتها ولكنني لم أر في ذلك رواية عملية صريحة الا حديث الاسلع بن شريك في سبب نزول الآية . ففي الدر المنثور للحافظ السيوطي ما نصه :

« واخرج الحسن بن سفيان في مسنده والقاضي اسماعيل في الاحكام والطحاوي في مشكل الآثار والبغوي والباوردي في الصحابة والدارقطني والطبراني وابو نعيم في المعرفة وابن مردويه والبيهقي في سننه والضياء المقدسي في المختارة عن الاسلع بن شريك قال كنت أرحل ناقة رسول الله (ص) فأصابتني جنابة في ليلة باردة وأراد رسول الله (ص) الرحلة فكرهت ان أرحل ناقته وأنا جنب وخشيت ان اغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض فأمرت رجلا من الانصار في حملها ثم رضفت احجارا فأسخنت بها ماء فاغتسلت ثم سمعت (لعله ادركت) رسول الله (ص) وأصحابه فقال « ياأسلع مالي أرى رحلتك تغيرت » قلت يارسول الله لم أرحلها رحلها رجل من الانصار . قال « ولم » قلت اني اصابتني جنابة فخشيت القر على نفسي فأمرته ان يرحلها ورضفت احجارا فأسخنت بها ماء فاغتسلت به ، فأنزل الله « ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولا جنبا الا عابري سبيل ـ الى قوله ـ ان الله كان عفوا غفورا » واخرج ابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني والبيهقي في سننه من وجه آخر عن الاسلع قال كنت أخدم رسول الله (ص) وأرحل له فقال لي ذات ليلة « ياأسلع قم فارحل » فقلت يارسول الله اصابتني جنابة فسكت عني ساعة حتى جاءه جبريل بآية الصعيد فقال « قم ياأسلع فتيمم » ثم اراني الاسلع كيف

علمه رسول الله (ص) التيمم فضرب رسول الله (ص) بكفيه الارض فمسح وجهه ثم ضرب فدلك احداهما بالاخرى ثم نفضهما ثم مسح بهما ذراعيه ظاهرهما وباطنهما اه وحديث الأسلع في التيمم بالضربتين في سنده الربيع بن بدر وهو ضعيف وممن رواه عنه الدارقطني . والروايات في التيمم في السفر قليلة وفي اكثرها ذكر فقد الماء فهذا هو الذي جعل الآية مشكلة أو معضلة عند المفسرين على ان اكثر تلك الروايات منقولة بالمعنى ومن نظر في الآية نظرا مستقلا فهمها كما فهمنا قال السيد حسن صديق خان :

قال تعالى «وان كنتم مرضى أو على سفر أوجاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم» وقد كثر الاختباط في تفسير هذه الآية والحق ان قيد عدم الوجود راجع الى قوله «أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء» فتكون الاعذار ثلاثة السفر والمرض وعدم الوجود في الحضر وهذا ظاهر على قول من قال ان القيد اذا وقع بعد جمل متصلة كان قيدا لآخرها وأما من قال انه يكون قيدا للجميع الا ان يمنع مانع فكذلك أيضا لانه قد وجد المانع ههنا من تقييد السفر والمرض بعدم الوجود للماء وهو أن كل واحد منهما عذر مستقل في غير هذا الباب كالصوم ويؤيد هذا أحاديث التيمم التي وردت مطلقة ومقيدة بالحضر . اه شرحه للروضة الندية وقد اتفق لي أن رأيته عند أحد الاصدقاء بعد كتابة تفسير الآية وارساله من القسطنطينية الى مصر ليطبع فيها فألحقته بهذه المسألة

ولا يخفى أن الاحتياط الاخذ بالعزيمة وعدم ترك الطهارة بالماء الا لمشقة شديدة وناهيك بما في استعمال الماء من النظافة وحفظ الصحة والنشاط للعبادة كما سيأتي بيانه في تفسير آية الوضوء من سورة المائدة إن شاء الله تعالى . واني لم اتيمم في سفر من اسفاري قط على اني وجدت في بعضها مشقة مافي الوضوء

(المسألة الثامنة التيمم من الجراح والبرد) الجراح من المرض أو في معنى المرض فهو مظنة الضرر من استعمال الماء أو المشقة وقد ورد في أسباب نزول الآية ان بعض الصحابة فشت فيهم الجراح وأصابتهم الجنابة فنزلت آية التيمم فيهم

كما تقدم . وفي حديث جابر عند أبي داود وابن ماجه والدارقطني وصححه ابن السكن قال خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله (ص) اخبر بذلك فقال «قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذ لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده» وقد تفرد بهذا الحديث الزبير بن خريق وليس بالقوي وروي من طرق اخرى فيها مقال . وعن عمرو بن العاص انه لما بعث في غزوة ذات السلاسل قال احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت ان اغتسلت ان أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح فلما قدمنا على رسول الله (ص) ذكروا له ذلك فقال «يا عمرو صليت باصحابك وأنت جنب ؟» فقلت ذكرت قول الله تعالى «ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما» فتيممت ثم صليت . فضحك رسول الله (ص) ولم يقل شيئا رواه احمد وأبو داود والدارقطني وابن حبان والحاكم واخرجه البخاري تعليقا . قال العلماء ان ضحك النبي (ص) ابلغ في اقرار ذلك من مجرد السكوت على ان سكوته حجة فانه لا يقر على باطل . واشترط العلماء في التيمم للبرد العجز عن تسخين الماء ولو بالأجرة وشراء الماء السخن بالثمن المعتدل

(المسألة التاسعة في حكمة التيمم) جرى جماهير العلماء على أن التيمم أمر تعبدي محض لا حكمة له الا الاذعان والخضوع لأمر الله تعالى وذلك أن لاكثر العبادات منافع ظاهرة لفاعليها ومنها الوضوء والغسل فاذا هي فعلت لأجل فائدتها البدنية أو النفسية ولم يقصد بها مع ذلك الاذعان وطاعة الشارع الحكيم لم تكن عبادة ولذلك كان التحقيق ان النية واجبة في العبادات كلها ولا سيما الطهارة ومعنى النية قصد الامتثال والاخلاص لله في العمل لا ما ذكره بعضهم من الفلسفة ، فالحكمة العليا للتيمم هي أن يأتي المكلف عند الصلاة بتمثيل بعض عمل الوضوء ليشعر به الى انه اذا فاته ما في الوضوء أو الغسل من النظافة ، فانه لا يفوته ما فيه من معنى الطاعة ، فالتيمم رمز لما في الطهارة المتروكة للضرورة من معنى الطاعة

التي هي الاصل في طهارة النفس المقصودة من الدين أولا و بالذات والتي شرعت طهارة البدن لتكون عونا عليها ووسيلة لها فان من يرضى لنفسه أن يعيش في الاوساخ والاقذار لا يكون عزيز النفس أبيّ الضيم كما يليق بالمؤمن ، وسيأتي شرح هذا المعنى عند قوله تعالى في آية الوضوء من سورة المائدة « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

ويلي هذه الحكمة حكمة أخرى عالية وهي ما في تمثيل عمل الطهارة بالاشارة من معنى الثبات والمواظبة والمحافظة فمن اعتاد ذلك يسهل عليه إتقان العمل وإتمامه ومن اعتاد ترك العمل المطلوب الموقت في بعض أوقاته لعذر يوشك أن يتهاون في بعض الاوقات لغير عذر بل لمحض الكسل فملكة المواظبة والمحافظة ركن من أركان التربية والنظام وترى مثل ذلك واضحا جليا في نظام الجندية الحديث فانهم في مأمنهم داخل المعاقل والحصون يقيمون الخفراء عليهم آناء الليل والنهار في أوقات السلم والأمان لكيلا يقصروا في ذلك أيام الحرب ، ولهم مثل ذلك أعمال كثيرة هم لها عاملون ، كذلك نرى العمال في المعامل والبواخر يتعاهدون الآلات بالمسح والتنظيف في أوقات معينة كما يتعاهد الخدم في القصور والدور العامة والخاصة للأمراء والحكام وغيرهم من الذين يلتزمون النظام في معيشتهم يتعاهدون الأماكن بالكنس والفرش والاثاث بالتنفيض والمسح في أوقات معينة وان لم يكن هنالك وسخ ولا غبار ، و بذلك تكون هذه المعاهد كلها وما فيها نظيفا دائما ، ومامن مكان تترك فيه هذه القاعدة العملية وتتبع قاعدة تنظيف الشيء عند طروء الوسخ أو الغبار عليه فقط الا وتراه عرضة للوسخ في أوقات كثيرة . فاذا تأملت هذا ظهر لك ان إباحة القيام للصلاة عند فقد الماء مثلا بدون الاتيان بعمل يمثل طهارتها ويذكر بها تضعف ملكة المواظبة حتى يصير العود اليها عند وجود الماء مستثقلا وإن في التيمم تقوية لتلك الملكة وتذكيرا بما لا بد منه عند امكانه بغير مشقة . هذا ما ظهر لي ولم أسمعه قبل من استاذ ولا رأيته في كتاب ولعلك تراه معقولا مقبولا لا تكلف فيه ثم انني انقل لك ماقاله العلماء في ذلك . قال العلامة ابن القيم في اعلام الموقعين

(فصل) ومما يظن انه على خلاف القياس باب التيمم قالوا انه على خلاف

القياس من وجهين (أحدها) ان التراب ملوث لا يزيل درنا ولا وسخا ولا يطهر البدن كما لا يطهر الثوب (والثاني) انه شرع في عضوين من أعضاء الوضوء دون بقيتها وهذا خروج عن القياس الصحيح . ولعمر الله انه خروج عن القياس الباطل المضاد للدين وهو على وفق القياس الصحيح فان الله سبحانه جعل من الماء كل شيء حي وخلقنا من التراب فلنا مادتان الماء والتراب فجعل منهما نشأتنا وأقواتنا وبهما تطهرنا وتعبدنا فالتراب اصل ماخلق منه الناس ، والماء حياة كل شيء وهما الاصل في الطبائع التي ركب عليها هذا العالم وجعل قوامه بهما وكان أصل مايقع به تطهير الاشياء من الادناس والاقذار هو الماء في الامر المعتاد فلم يجز العدول عنه الا في حال العدم أو العذر بمرض أو نحوه وكان النقل عنه الى شقيقه وأخيه التراب أولى من غيره ، وان لوث ظاهرا فانه يطهر باطنا ثم يقوي طهارة الباطن فيزيل دنس الظاهر أو يخففه ، وهذا أمر يشهده من له بصر ناقد بحقائق الاعمال وارتباط الظاهر بالباطن وتأثر كل منهما بالآخر وانفعاله عنه

(فصل) وأما كونه في عضوين ففي غاية الموافقة للقياس والحكمة فان وضع التراب على الرءوس مكروه في العادات وانما يفعل عند المصائب والنوائب ، والرجلان محل ملابسة التراب في اغلب الاحوال . وفي تتريب الوجه من الخضوع والتعظيم لله والذل له والانكسار ما هو أحب العبادات اليه وأنفعها للعبد ولذلك يستحب للساجد ان يترب وجهه لله وان لا يقصد وقاية وجهه من التراب كما قال بعض الصحابة لمن رآه قد سجد وجعل بينه وبين التراب وقاية فقال ترب وجهك . وهذا المعنى لا يوجد في تتريب الرجلين . وأيضا فموافقة ذلك القياس من وجه آخر وهو ان التيمم جعل في العضوين المغسولين وسقط من العضوين الممسوحين فان الرجلين تمسحان في الخف والرأس في العمامة فلما خفف عن المغسولين بالمسح خفف عن الممسوحين بالعفو اذ لو مسحا بالتراب لم يكن فيه تخفيف عنهما بل كان فيه انتقال من مسحهما بالماء الى مسحهما بالتراب فظهر ان الذي جاءت به الشريعة هو أعدل الامور وأكملها وهو الميزان الصحيح

واما كون تيمم الجنب كتيمم المحدث فلما سقط مسح الرأس والرجلين بالتراب عن المحدث سقط مسح البدن كله بالتراب عنه بطريق الأولى اذ في ذلك من المشقة والحرج والعسر ما يناقض رخصة التيمم ويدخل اكرم المخلوقات على الله في شبه البهائم اذا تمرغ في التراب فالذي جاءت به الشريعة لا مزيد في الحسن والحكمة والعدل عليه ولله الحمد اه

وقال الشعراني في الميزان في وجه قول الشافعي واحمد لا يجوز التيمم الا بالتراب أو برمل فيه غبار وقول أبي حنيفة ومالك بجوازه بالحجارة وجميع اجزاء الارض حتى النبات عند مالك أقول وكذا الثلج والجليد في رواية ما نصه : « ووجه الأول قرب التراب من الروحانية لأن التراب هو ما يحصل من عكارة الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فهو اقرب شيء الى الماء بخلاف الحجر فان اصله الزائد الصاعد على وجه الماء فلم يتخلص للمائية ولا للترابية فكان ضعيف الروحانية على كل حال بخلاف التراب . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول إنما لم يقل الشافعي وغيره بصحة التيمم بالحجر مع وجود التراب لبعد الحجر عن طبع الماء وروحانيته فلا يكاد يحيي العضو الممسوح ولو سحق لا سيما اعضاء امثالنا التي ماتت من كثرة المعاصي والغفلات وا كل الشهوات . وسمعته مرة أخرى يقول نعم مافعل الشافعي من تخصيص التيمم بالتراب لما فيه من قوة الروحانية به بعد فقد الماء لاسيما اعضاء من كثر منه الوقوع في الخطايا من امثالنا فعلم ان وجوب استعمال التراب خاص بالاصاغر ووجوب استعمال الحجر خاص بالا كابر الذين لا يعصون ربهم لكن ان تيمموا بالتراب زادوا روحانية وانتعاشا . وسمعته مرة أخرى يقول وجه من قال يصح التيمم بالحجر مع وجود التراب كونه رأى ان اصل الحجر من الماء كما ورد في الصحيح ان رجلا قال يارسول الله جئت اسألك عن كل شيء فقال رسول الله (ص) « كل شيء خلق من الماء » انتهى ـ الى ان قال الشعراني ـ لكن لا ينبغي للمتورع التيمم بالحجر الا بعد فقد التراب لانه مرتبة ضعيفة بالنظر للتراب ثم أورد آية التقوى بقدر

الاستطاعة والحديث الذي بمعناها ثم قال ونظير مانحن فيه قول علمائنا في باب الحج ان من لاشعر برأسه يستحب إمرار الموسى عليه تشبيها بالحالقين فكذلك الامر هنا فمن فقد التراب المعهود ضرب على الحجر تشبيها بالضاربين بالتراب اه المراد منه

وقال الشيخ احمد المعروف بشاه ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة ما نصه : لما كان من سنة الله في شرائعه أن يسهل عليهم كل ما يستطيعونه وكان أحق انواع التيسير ان يسقط ما فيه حرج الى بدل لتطمئن نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم باهمال ما التزموه غاية الالتزام مرة واحدة ولا يألفوا ترك الطهارات اسقط الوضوء والغسل في المرض والسفر الى التيمم . ولما كان ذلك كذلك نزل القضاء من الملإ الأعلى باقامة التيمم مقام الوضوء والغسل وحصل له وجود تشبيهي انه طهارة من الطهارات وهذا القضاء أحد الامور العظام التي تميزت بها الملة المصطفوية من سائر الملل وهو قوله صلى الله عليه وسلم « جعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء » أقول انما خص الارض لأنها لا تكاد تفقد فهي أحق ما يرفع به الحرج ولأنها طهور في بعض الاشياء كالخف والسيف بدلا عن الغسل بالماء ، ولأن فيه تذللا بمنزلة تعفير الوجه في التراب وهو يناسب طلب العفو . وانما لم يفرق بين بدل الغسل والوضوء ولم يشرع التمرغ لأن من حق ما لا يعقل معناه بادي الرأي أن يجعل كالمؤثر بالخاصية دون المقدار فانه هو الذي اطمأنت نفوسهم به في هذا الباب ، ولان التمرغ فيه بعض الحرج فلا يصلح رافعا للحرج بالكلية . وفي معنى المرض البرد الضار لحديث عمرو بن العاص . والسفر ليس بقيد انما هو صورة لعدم وجدان الماء يتبادر الى الذهن . وانما لم يؤمر بمسح الرجل بالتراب لان الرجل محل الاوساخ وانما يؤمر بما ليس حاصلا ليحصل به التنبه اه

اقول احسن ماأورده الشعراني التنظير بمسألة امرار الموسى على رأس من

لاشعر له عند التحلل من الاحرام ، وأحسن ماقاله الدهلوي مسألة اطمئنان النفس بالبدل واتقاء ان يألفوا ترك الطهارة وهذا قريب من الوجه الثاني الذي اوردته أو شعبة منه على انني مارأيته الا بعد ان قررت هذا المعنى مرارا و كتبته قبل الآن ولله الحمد اولا وآخرا و باطنا وظاهرا

(الاغلاط التي وقعت في الجزء الثامن من هذا المجلد وصوابها)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٦١	٤	لدنهِ	لدنهُ
٥٦٢	٩	وللعابثين	(قال) وللعابثين
٥٦٢	١٧	التزموها	تقلدوها
٥٦٢	٢٣	والذي	(قال) والذي
٥٦٣	٣	وتترتب	وترتبت
٥٦٣	٥	ونفي	(قال) ونفي
٥٦٣	٦	الصغير	الصغير الاحمر
٥٦٣	١٨	توبية	ثوبة
٥٦٣	١٨	ورد فيه	نزل فيه
٥٦٥	٥	بنفسه	نفسه
٥٦٥	١٨	فلا يكون	فقط بأن لا يكون
٥٦٦	١٨	اتباعه	اتباع نبيها
٥٦٨	٥	يشهادة	بشهادة

باب العقائد

بحث في الخلاف (*)

ولنوضح لك صورة من كثير صور من شطارة أهل وقتنا الذين هم كما ذكرنا خير الناس [1] سيرة اليوم فيما علمنا وكيفية تصرفهم فانه انما تعد معائب من غلبت عليه مناقبه

كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

وضعوا عن زكاة الغنم على كل شاة أربعة دراهم من ضربهم وستسمع الآن قدرها فتؤخذ على مئتي شاة مثلا ثمانمئة درهم مع أن الواجب شاتان ولم يكونوا قبل يعتدون بنصاب الشاة والبقر ثم ذكروا النصاب لكن تؤخذ قيمة نحو ما ذكر كالمتعينة لا من عين المال وهذا حق المال الشرعي بزعمهم ولا ندري بأي وجه تعين ما ذكر من الصورتين ولا كيف تكون الثالثة وكثير من المآخذ له نحو ذلك من المدخل هذا ما سمعنا في بعض الجهات ويزيد قليلا وينقص كذلك في بعض الجهات والمقصود التقريب . هذا حين يريدون الأخذ وأما حين يريدون انصاف المظلوم من الظالم فيأمرون باخذ الدية الف حرف والحرف عبارة عن أربعين درهما من ضربهم وهي تخرج الدية تقريبا من الذهب مئة دينار وستين أو سبعين دينارا فيسقطون نحو أربعة اخماس الدية وعلى هذا فقس حال خير الناس الذين يجب شكر الله على ان انعم بهم نظرا الى سائر الارض وسألت بعض قضاتهم حسن

(*) نقلا عن كتاب العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشايخ (١) يريد الزيدية

الخيمي ماهذه الدية التي تحكمون فيها ؟ فقال قال الامام يعني المتوكل اسماعيل بن القاسم امام العصر تكون هذه الدراهم قيمة عن نوع آخر من انواع الدية يعني لان انواعها عندهم كلها اصول في أهل الابل والذهب وغيرها على السواء ويخير الجاني عندهم ايضا . فقلت للقاضي تعال ننظر في قيمة تلك الانواع فنظرنا فما رأيناها الا متقاربة بالنظر الى الارض التي كنا فيها صنعاء وما والاها وعلى الجملة فانما ذلك الجواب ترميم والمسألة مائلة عن السنن كاخواتها في جميع الفرق انما الغرض التمسك للتنبيه

صورة أخرى قليل نفعها لهم كثير ضررها بل بلية عظيمة على جميع الناس في وقتنا هذا ضربة فضة من عمل الكفار يسمى القروش فاخذت هذه الدولة منها وضربتها دراهم وخلطوا فيها نحاسا نحو الربع تقريبا ليكثر عددها فيربحون بزعمهم ذلك القدر الزائد وهي سنة اقتدوا بها عن من مضى من الاتراك وغيرهم الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . لكن لم تر الناس اذ ذاك المصارفة وزنا لانه لا يصلح لهم بيع الفضة بالنحاس وهو ربا ايضا فصارت الضربة كسائر السلع يرتفع عنها تارة وينخفض أخرى ويبيعون الدراهم بالقروش بالعد لا بالوزن فعملوا هذا الباطل وهم يعلمون حين دعتهم الضرورة الى الصرف ثم نهاهم الامام عن الصرف مع اصراره على الضربة وشدة حاجتهم الى المصارفة فكان عملهم معهم كما قال

القاه في اليم مكتوفا وقال له   إياك إياك ان تبتل بالماء

ومن مفاسد الخلاف استحلال الاعراض وهو واضح فانظر ما في هذه المصنفات من العياط والهتور والتكفير بلا دليل حتى ان الاشاعرة

اصلوا انه لا يكفر أحد من أهل القبلة وانما الكفر البواح ولا كفر بالتأويل ثم نجد في تضاعيف كتبهم المناقضة وكذلك الماتريدية في كلام امامهم الاعظم ان لا يكفر أحد من أهل القبلة ولم أر التكفير اسهل على أحد ولا اكثر منه في متأخري الحنفية كأنهم يكفرون بكل إلزام ولو في غاية الغموض ، ومنع بعض الناس قريبا من بعض متفقهتهم نعله فقال كفرت لانك هونت العلماء وهو تهوين للشريعة ثم للرسول ثم المرسل ونحو هذا يفعلون في كل شيء ، وفعل بعضهم شيئا من منكرات الدولة فقال المظلوم: هذا ظلم وحاشى السلطان من الامر والرضى به . فقال انا خادم الدولة المنتمية الى السلطان فقد نسبت الظلم الى السلطان فهونت ماعظمت الشريعة من امر السلطان فكفرت فأخذوه وجاءوا به الى القاضي وحكم عليه بالردة ثم جدد اسلامه وفعل مايترتب على ذلك. وهاتان الحكايتان في مكة عصرنا مجرد مثال ولا تزال السنتهم رطبة بذلك وهو في رسائل المتأخرين وفتاويهم وسائر كتبهم وهي عظيمة هونها عموم الجهل وكساد الانصاف ، ونفاق النِّفاق والاعتساف ، نسأل الله حسن الخاتمة لنا ولجميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ثم رأيت كتاب التمهيد لابي شكور السالمي من الحنفية واذا هو لم يكد يسلم منه أحد من التكفير لان من أول الكتاب الخ يقول قال أهل السنة والجماعة كذا وقالت الاشاعرة وقالت الفلانية ولا يزال يحكم بالكفر كقوله قال أهل السنة والجماعة ان الله تعالى لم يزل كان خالقا (١) موصوفا بهذه الصفة وقالت الاشعرية والكرامية مالم يخلق الخلق لم يكن خالقا وهذا

(١) يوشك ان يكون اصل العبارة ان الله تعالى كان – في الازل – ولم يزل كما كان خالقا الخ

كفر انتهى صورة لفظه ومن العجب ان يسمي نفسه أهل السنة والجماعة في كل محل ثم يعد أفراد الفرق الذين يتسمون بذلك كالاشعرية وغيرهم، وغيره لم يبلغ هذا الحد بل يقع منهم ذلك نادرا يقول بعض الاشاعرة قال أهل السنة وخالفت الماتريدية او الحنابلة أونحو ذلك على ان ذلك شائع باعتبار التسمية بذلك انما اخترعها صاحبها ولم يوافقه عليها الخصم ولكل ان يدعي (وليلى لاتقرلهم بذا كا) وهذا المذكور لاأدري ماأقول فيه فانه يحكي الاقوال ويجيء بما لا يوجد في أي كتاب ولا هو ممايتركب على الناقل ولا هو نادر واما المعتزلة فانما مدلول المعتزلي عنده من يصح ان ينسب اليه كلما ألقته الشياطين ، اوجالت به وساوس المجانين ،فليطالع وعلى الجملة فاكثار الاطلاع سيما على الكتب المشهورة في كل فرقة يزيد المهتدي بصيرة وطمأنينة في الهدى مع التوفيق والتسديد ، واخلاص النية للعزيز الحميد ،

واما المعتزلة فهم فريقان وليسوا كلهم يكفرون بالتأويل كما تراه في كتب الاشاعرة ولكن صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير بل يروي الكذب والبهت كما قدمنا وكما تذكر الاشاعرة ان المعتزلة تنكر عذاب القبر ترى ذلك فاشيا بينهم حتى القشيري في التحبير شرح الاسماء الحسنى وكأنه استند في ذلك الى الكشف . واما النقل فباطل وهو شبيه قذف الغافلات فان المعتزلة لايكاد يظن قائلا يقول هذا الاشذوذاً مثل المريسي وضرار وهمايبت الغرائب مع ان ضرارا ليس من المعتزلة في روايتهم لانهم رووا عنه القول بالرواية بحاسة سادسة ورووا عنه القول بخلق الافعال وانه رجع عن الاعتزال بسبب شبهة ان يكون فعل العبد

أشرف من فعل الله تعالى وعلى الجملة فليس شذوذ عن الفريقين بغريب وانما المنكر إلزام المعتزلة قوله وانما هذه المسألة كسائر المسائل بل لابد فيها من شذوذ كشذوذات العنبري والظاهرية وهذا شيءكبير يطلعك عليه كتب المقالات ودع عنك المتكلمين

ومن المضحكات عند المحدثين أنهم ينقمون على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى يجرحون من يقول ودّ انه معه في كل المواطن كشريك القاضي ومن لا يحصى(١) ثم تراهم يفتون بكفر من لا يساعدهم على نوادر ما عليها معرّج ويرون ما المعلوم خلافه لكل من عرف ذلك بلا حياء كما حكى الذهبي ان ابن دحية قال في يحيي بن نعمان ضال مضل عجّز الله وقال نحن أقدر منه وهو قول القدرية جميعهم وهذه الجملة الأخرى الظاهر انها من قول ابن دحية ويحتمل انها من قول الذهبي مع انه لم يعترضها ومن قال انه أقدر من الله فهو كافر تصريح لا من باب التأويل ونحو هذا ما حكى في ترجمة عمر بن ابراهيم العلوي انه جاروديّ لا يرى الغسل من الجنابة فلو صدق لكان قد انكر ضروريا من الدين ولم يعاملوه بذلك وكلماتهم متناقضة اذا تكلموا في غير فنهم

(١) تقدم قريباً كلام الذهبي في الجرح بالتشيع وان المراد به اذا بلغ الى الحط على الشيخين فتكرير المصنف رحمه الله لمثل هذا عنهم داخل في قوله ومن مفاسد الخلاف استحلال الاعراض فالمحدثون اتقى لله من مثل هذا فهم الذين رووا أن حب علي رضي الله عنه علامة الايمان وبغضه علامة النفاق فكيف يرضون لانفسهم بالنفاق الذي صاحبه في الدرك الاسفل من النار فليس هذا انصاف لهم من المصنف رحمه الله اه من هامش الاصل

وهكذا كل دخيل وليس لهم في ذلك كل العناية مع ان قوله جارودي لا يرى الغسل من الجنابة يفهم من هذه العبارة انها وصف كل من كان جاروديا فيتسع الخرق على الراقع وكما مضى ذكره من قولهم من قال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى فهو كافر وغير ذلك وكمن قال في صالح بن حيّ ذاك الاواه انه قد استصاب منذ زمان ولم يجد من يصلبه يعني لانه يرى الخروج على أهل الجور كرأي الحسين بن علي ثم حفيده زيد بن علي ومن تبعهم من الزيدية بل وابن الزبير ومن تابعه من فضلاء الصحابة والتابعين بل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم الا أن خطأهم كان واضحا لان امامهم لم يكن يتشبث به الريب ولقد كانوا فتنة لهذه الامة كما قال عمار رضي الله عنه والله انها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اياه تطيعون أم هي فرضي الله عنها وعن طلحة والزبير وعن علي وعمار ومن هو من ذلك القبيل كالحسين السبط وزيد بن علي وأبعد الله مروان وابن جرموز وابن ملجم والحجاج ويزيد وابن زياد ومن هو من ذلك القبيل أميرهم ومأمورهم

ولعمري لمقاصد أئمة الزيدية في قيامها وسيرها أشبه بالصالحين من السلف لولا دخل من الهوى وغلو فيما يعود على الرياسة وداؤها كمين ما يظهر الا بعد أن يستحكم وبعد الاستحكام لا يمكن علاجه كالكَلَب ولقد دخل داؤها في كل ذي مقصد حتى في الوعاظ الذين رأس مالهم التحذير من الدنيا التي قطبها الرياسة فتيقظ من الاحوال لما ذكرنا وغير ما ذكرنا مما يطالعك عليه كتب الجرح والتعديل وكتب السير والاخبار والحكايات والآثار مع التيقظ في كل باب لزواياه وخباياه وليتهم شفاهم ما في الكتب

أعني المختلفين حتى يختص هذه المفاسد من له اطلاع على الكتب ويسلم من ذلك العامة

ولكن استولى عليهم الشر فصاروا يكررونه على المنابر كل جمعة كانه الذي وصاهم الله بالتذكير به لينفعوا المؤمنين وأمرهم بالسعي اليه فالخارجي يلعن أمير المؤمنين والرافضي يلعن الخلفاء الراشدين والسني يسب الشيعي والشيعي يسب الباغي والجبري وهذه سنة سنية سنها من سنها في سب علي رضي الله عنه فيا لها من شنيعة ما أخزاها، وفضيحة عم بلاها، ولولا ان عمهم الوهن في دينهم لقام أهل كل جامع حين سمعوها والعجب ممن يحسن الآن لواضعها كأنه يريد أن يشارك فيها لما تأخر عن وقتها فأخزى الله المحاباة في الدين، والضنة بالانفس والاموال والبنين، ولقد ضاهت هذه الامة أهل الكتابين في قولهم « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب » وبعضهم يقول في بعض فوق ما ذكرنا والانصاف أن الحق لم يخرج عن أيديهم جميعا والحمد لله فعند كلهم كل الحق وكل قد ابتدع وان اختلف قلة وكثرة وصغرا وكبرا ومن يطلب الحق وقد هيأه الله ويسره يعرف هذا من ذلك « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

***

ومن مفاسد الخلاف سد باب الجهاد لاعداء الاسلام مع انه فرض كفاية وهو سنام الدين، ولا انقطاع له الى يوم الدين، ولما استحكمت العداوة بين فرق المسلمين تركوا الكفار وصرفوا هممهم في حرب بعضهم

بعضا وانما استحكم ذلك من حين استحكم التفرق وصاروا أجنادا مجندة وقد كان في الدولتين حين كان السلطان واحدا جهاد الكفار مستمرا مع عدم استقامة الخلفاء على الحق ولكن كم بين تلك الأحوال وهذه الأحوال لو يستطيع أحدهم اليوم أن يستعين على خصمه من المسلمين بالكفار لفعل(1) وليتهم تصالحوا على أن يأمن بعضهم بعضا ويشتغل كل منهم بمن يليه من الكفار ويستعين بعضهم ببعض ولكن ذلك لو كان المراد مطلوب الله منهم ولو اتبعوه لكانت يدهم واحدة كما قدمنا نعم من اتصلت مملكته بالكفار حفظها منهم كحفظه من مخالفه المسلم وهذا نوع من الجهاد ولكن المطلوب صرف همم المسلمين لحرب الكفار والغزو وان لم يخشوهم الا من باب حفظ الملك ولكن عداوة في الله ولتكون كلمة الله هي العليا في جميع أرضه وهذا هو الفرض الذي لا يسوغ الاجماع على تركه

* * *

ومن مفاسد الخلاف سد باب التفقه في الدين ومعرفة الكتاب والسنة حتى صار المتشوف لذلك متفقا على جنونه وخذلانه عندهم ويصرحون ان الاجتهاد قد استحال منذ زمان وانما دس لهم الشيطان ذلك لانه لو بقي الباب مفتوحا لوقع لمتأخري المجتهدين ان يوافقوا هذا في مسألة وذاك في أخرى ويصير لبعضهم اتباع فينتقض عليهم استقرار المذاهب ويختلط الامر حتى يعود كما كان في وقت الصحابة رضي الله عنهم وهذا يقرر مغزى

(1) انهم قد استطاعوا وفعلوا والاولى ان لا نعيد ذكر ذلك ونحن نسعى في تلافيه

الشيطان لعنه الله تعالى قد دس لهم ذلك ومن لم يصرح بذلك فعمله عليه تراه يدأب اكثر عمره في العربية واصول الادلة ومعرفة الحديث ثم اذا صار مدرسا متمكنا في تلك الفنون اخذ في كتب التفاريع المدونة من الباب الذي دخله الجاهل بتلك الفنون وكأن الكتاب والسنة مع هذه التفاريع اجنبية لا تتراءى نيرانهما ولو نظر في شيء من الادلة ووقع في نفسه شيء ما ينبغي ان ينظر فيه لما قدر على التظهر بذلك لانهم يقومون عليه ويردون ماجاء به بلسان واحد ويقولون هذا يتقم على الائمة ويخالفهم يرى نفسه خيرا منهم ، واقل احواله معهم ان يسقط جاهه عندهم ويحرموه هذه الارزاق وان كان له ضد منافس قد يسعى به الى الدولة ويقضون فيه على حسب مايقضي الهوى في القضية .حتى ان السبكي ذكر انه نظر في مسألة السماع فرآها حلالا ثم قال الحمد لله الذي جعلنا من مقلدي امام اذا تاقت نفوسنا للنظر في مسألة لم تقع الا على قوله فانظر هذه الكلية التي تدل على عراقة هذا التحرير في الكمال والدين. وكذلك ذكر ان الذين بلغوا درجة الاجتهاد من علماء الشافعية مع عدم المخالفة ليسوا بمقلدة انما وافق اجتهادهم اجتهاده قال ولا يخرجهم ذلك عن الانتساب الى الشافعي فانظر طبقات المذكور ترى فيها العجائب ومن فعل نحو فعله صار وجيها عند أهل ذلك المذهب في حياته وبعد موته وأما من قال أنا اتبع هذه الآية وهذه السنة وان خالفت الامام فذلك المتخبط المدعي الذي لا يرفع الى كلامه رأسا بل ينهى عنه وعن كتبه وهذا في جميع هذه الاحزاب المحزبة فصار الباب منغلقا ، حتى صار المعروف منكرا ، وذكر التعلق بالكتاب والسنة وترك

المذاهب الممهدة كالزندقة عندهم خلا انهم لا يقولون الكتاب والسنة هو الضلال خشية ان يكون كفراً بواحاً ولكن يقولون قد انسد باب معرفتهما وما عرفوا أنه اذا انسد باب معرفتهما فقد سقطت حجتهما فوجودهما وعدمهما على السواء ولكنهم لا يعبأون بهذا ويقولون قد اخذ ثمرتهما الائمة وفعلوا مايجب فالحجة اليوم كلامهم لا غير وصارت تلاوة الكتاب مجرد تعبد والحذر أن يتدبره التالي فيخالف الائمة فيضل وكذلك السنة الا ان قراءتها بركة وربما يحصل لهم بذلك مراتب دنيوية ووجه في الناس والا كان فعلهم مجرد عبث

وهذا الذي وصفناه من يظن ولم يعرف حال الناس مايسوغ له ان يقع هذا أبداً ومن عرفهم علمه ضرورة فذكرنا لنحو هذا مجرد إنكار فمن يجهله لا يصدقه في علماء الاسلام الذين طبقوا الارض ومن يعرفه يقول وما ثمرة هذا الهذيان وهيهات ليس الشأن في معرفة ذلك من احوالهم انما الشأن في السلامة من الوقوع معهم فانا رأينا الفضلاء فعلوا كما ذكره صاحب كليلة ودمنة من شأن السلطان ووزيره في شرب الماء فهذا هو سد باب التفقه في دين الله لأن دين الله الكتاب والسنة والفقيه انما هو من عرفهما واما معرفة هذه التفاريع فمجرد استغناء عن عين الحكم فالمسمى بالمفتي والحراث والسوقة سواء اذ أولئك لا يخلون من أحكام قد قلدوا فيها فما زاد عليهم هذا المفتي الا بكثرة الصور التي جمعها وليست من الفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في شيء . ألا تراه معترفاً انه لا يقدر على معرفة النسبة بين ما عنده وبين الكتاب والسنة ؟

واعجب مما ذكر انهم جروا على هذا النمط فيما بين المتقدم والمتأخر

فيعتبرون المتأخر ويطرحون المتقدم عصراً فعصراً الى يومنا هذا مثلا لو قال المنتسب الى الشافعي من الطلبة قال الشافعي لسخروا منه وقالوا يرى نفسه أهلا لمعرفة قول الشافعي (١) بل لو قال قال الرافعي وانما المصرية منهم اليوم مقصورون على الرملي يقولون لا يجوز الافتاء بغير قوله ويقولون اخذ علينا العهد بذلك لا ندري اي الابالس اخذ عليهم ذلك لكنا سمعنا ذلك منهم وأهل مكة يقولون لا نعدل بقول ابن حجر الهيتمي فصار شأن العلماء المتقدمين وكتبهم كشأن الكتاب والسنة ولذا ترى تلك الكتب مهجورة. لقد وجدت في باب السلام اربعة عشر مجلدة عرضها صاحبها بثمن مجلدة صغيرة من المحطية مع ان في تلك مثل العزيز شرح الوجيز ثم لم تنفق وأرجعها الدلال لصاحبها وهذا في الشافعية آكد منه في غيرهم وكل قد فعله حتى سمعنا من بعض الطلبة انه لا يجوز العمل على قول المتقدم لان المتأخر قد ميز الصواب من الخطإ

ونقول لهم لو خلقكم الله سبحانه في العصر المتقدم عليكم وانتم على الحال الذي انتم عليه الآن أكانت حجة الله عليكم قائمة عليكم؟ فلا تراهم يجيبون الا بنعم فنقول ننتقل معكم الى العصر الذي قبله كذلك حتى نبلغ الى عصر الصحابة ثم الى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيعترفون بالحق ويصرون الى ذلك الحال المألوف بمجرد الهوى وكأنهم لم يسمع وكأنك

(١) طبع في هذه الايام كتاب (الام) للامام الشافعي وبهامشه رسالته في الاصول ومختصر المزني فقال بعض علماء الشافعية في مصر والحجاز ان طبع هذا الكتاب مفسد للمذهب وفيه ضرر عظيم وهم ينهون عنه وينأون عنه !! فرحم الله المصنف وكل عالم مستقل اه مصححه

لم تقل، ونقول لهم هل المتأخر أفضل من المتقدم حتى رجحتم اتباعه؟ فيقولون بل المتقدم أفضل فنقول فقد عدلتم عن الافضل وقد يقول أحدهم انما هو استقصار لنظرنا عن معرفة قول الاول فنقول لا فرق بين كتاب وكتاب وليس من اللازم ان المتأخر أجلى بيانا واوضح عبارة وبرهانا بل لا يزالون مختلفين وكلام الله ورسوله أصح وأوضح، وأجل وأجلى واشرح، واذا بلغ عجزكم الى ما ذكرتم قلنا يا أغبا الناس وأدناهم، ثم لا نسلم لكم معرفة كلام احدث المصنفين، ولا كلام اشياخكم المدرسين، على قدر ما اعترفتم به على تقوسكم من سوء الحال، وسقوط الشأن وضيق المجال، فاتقوا الله في هذه الصحف والاقلام، والمساجد التي صدعتموها بالخصام، ولكم بباقل أسوة في شعره، فلقد كان اعرف منكم لقدره، حيث يقول مترجما عن عذره

يلومون في حمقه باقلا ... وللصمت أجدر بالاموق
خروج اللسان ومد البنان ... أحب الينا من المنطق

وهذا باعتبار شبيه قول الامامية: غير المعصوم يجوز عليه الخطأ قلت لبعضهم فهل المعصوم حاضر أبدا عند المكلف لكلما عرض عليه كي يصونه عن الخطإ؟ قال لا بل لا بد من واسطة غير معصوم قلت فاذا ذلك مسلم والمعصوم موجود هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدل هذا الدليل مع تسليمه الا على معصوم واحد لا على ثلاثة عشر معصوما فانقطع ويناسب هذا المحل قولي

برئت من التمذهب طول عمري ... وآثرت الكتاب على الصحاب
ولي في سنة المختار صلى ... عليه الله ما يشفي التهاني

ومالي والتمذهب وهو شيء ... يروح لدى المماري والمحابي
وأما من يريد الحق صرفا ... ويوجل قلبه ذكر العقاب
ويرجو حسن عقباه اذا ما ... تميزت المنازل في الثواب
وفيه همة عاقت وتاقت ... سقوط الشأن أو حسن المآب
وقد رزق الحياء فلا يسوي ... برب العالمين بني التراب
فلا والله لا يرضى صنيعا ... أباه كل من تحت السحاب
لئن أبقى الاله لهم صوابا ... لقد ضلوا كثيرا عن صواب
رضيت لهم من الوجه الذي لم ... يخل من الشريعة بالنصاب
وأثري من سوى هذا فاني ... أرى انصافهم شيب الغراب
لعمري انما حاولت أمرا ... بعيدا عن شكوك وارتياب
ولكن حبهم حلوى هواهم ... اذاقهم الاصابة طعم صاب
فلم تر من يسدد سهمه في ... حيال الحق في رجع الجواب
وغاية أمرهم لغط وبهت ... ورفض للمروءة والعتاب
يقولون ادعى أمرا عظيما ... يكاد لديهم يدعى بصابي
وقالوا ليس يعرف من إمام ... مقاما وهو للانصاف آبي
لئن كنتم غلوتم في إمام ... وما هبتم مفارقة الكتاب
تبرضتم ثمادا ثم قلتم ... تجنب وارد البحر العباب
وقلتم قد حجبتم أن تنالوا ... بدون امامكم فهم الخطاب
فمن ذا بالفلاح أحق منا ... ولم يُر دون فهم من حجاب
وقلنا حجة الرحمن فينا ... الى يوم القيامة والحساب
ولو لم يخلق النعمان أو من ... يضاهيه من العلما النجاب

ولكن ذا الكتاب وذا حديث م النبي وذا اللسان بلا استراب
ويستفتي الذي قصرت يداه بغير تحزب وبلا انتساب
كاعراب زمان الصحب كانوا واعلام سقوا صفو الشراب

ومن مفاسد الخلاف ترك الجمعة والجماعة وهما من شعار الاسلام أما الجمعة فلكثرة التحكم في شرائطها وانما هي صلاة من الصلوات أقرب ما يشترط فيها اتحاد الجماعة لانها شرعت لاجتماع المسلمين في هذا اليوم وكانوا يعطلون مساجد الجماعات لها وهذا أمر فوضى في مصر اليوم يصلون في المساجد بلا تقيد بقيد حتى أن الشافعية يصلون الجمعة ثم يصلون الظهر على الاطلاق ورأيت مصريا في مكة فرغ من الجمعة ثم قام فصلى الظهر فقلت ما هذا فقال أنا شافعي مذهبنا نصلي الجمعة ثم نصلي الظهر فقلت لعل ذاك في مصر لتعدد الجمع على غير شرط التعدد وهاهنا ليس الا جمعة واحدة فاستفاق فليت شعري لم لم يصلوا الجمعة في مكة أربع مرات كسائر الصلوات نظرا الى أساليبهم المخترعة ؟ ولعل ذلك يكون بعدُ إن تمادى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فتساهلوا في هذا الامر الواضح وحافظوا على ما ليس كذلك كاشتراط إمام عادل كزعم بعضهم أعني السلطان أو اشتراطه ولو جائرا أو اشتراط أربعين أو مصر جامع أو نحو ذلك مما اتفق وقوعه في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من دون دليل على الاشتراط وهذه أمور مطولة في الفروع والمقصود أن الخلاف هو الذي عطل الجمعة ولم يكن ذلك في عصر الصحابة رضي الله عنهم ولقد صلوا خلف الحجاج ولله در عثمان رضي الله عنه وأرضاه وقد قيل له أنت إمامنا ويصلي للناس اليوم امام بدعة؟ يعني ايام حصره فقال رضي

الله عنه خيار أعمالهم الصلاة ان لم يقتدوا بهم فيها فبم يقتدون ؟ أو كما قال رضي الله عنه

ولقد غلت الزيدية حتى حرموا حضور صلاة الجمعة في بلد السلطان الذي ليس على شرطهم وقالوا لا تصح الصلاة ويعيد الظهر بل قال قائلهم وينتقض وضوء الخطيب للمعصية لأن بعض المعاصي عندهم ينقض الوضوء وما شئت من غلو وكذا اشتراط الاربعين عند الشافعية وتراهم في البلدان الصغار يعدون الجماعة كما يعد الغنم شيء لم يؤنس في السلف ولا متشبث الا آثار ضعيفة وتركت الجماعة لذلك في غير الجامع الكبار ولم يكن شيء مما تشبثوا به يصلح لتخصيص كتاب الله تعالى وأعجب منه اشتراط المسجد مطلقا أو المسقف كقول المالكية وسائر شرائطها مما ينبئك ويلزمك ان كنت ذا همة أن لا تعدل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

ومما يصلح مقصدا للمتمكن أن يجمع ما وضح أنه بدعة في الفروع في كل فرقة فينجى من ذلك التصنيف الكثير وما باب من أبواب الفقه الا قد تعصبوا فيه أو لم يتعصبوا لكن بنوا على أصل منهار ثم فرعوا فروعا وطال الدليل الى أن تصير تلك الفروع سيما الأبعد الانزل في عداد الأجنبية ثم لم يلتفتوا الى النظر في الاصل المبني عليه فانه لو كان صحيحا لما أدى الى الامور المستشنعة لكن يصممون الى أن يخرج أحدهم عن الجماعة ويخرج خصمه في الباب الآخر تحقيقا لشر الخلاف واظهارًا لعظم المفاسد فيما نهى الله سبحانه عنه ويراها مسألة فرعية سهلة ويقولون مسائل الاجتهاد أمرها هين انما الشأن في العقائد وهذا من اصطلاحاتهم

وربما تكون تلك العقيدة التي رفعوا شأنها ليست من الدين لا اثباتا ولا نفيا ولا يظهر لها مفسدة وتلك الفرعية السهلة قد صارت مفسدتها من أعظم المفاسد وهاك مثالا من ذلك

فما استعظموه من العقائد أن الانسان اذا أراد أن يكلم زيدا وجد لنفسه حالة لم يكن قبل ارادة التكلم ولا بعدها وهذا القدر متفق عليه فقالت الاشاعرة هذه حالة مستقلة فينا وهي في الباريء صفة مستقلة كذلك ونسميها الكلام ثم نعبر عنها بالالفاظ وقالت المعتزلة الذي يجده الانسان انما يرجع الى علمه بمعنى ما سيكلم به زيدا وترتيب اللفظ الدال عليه مع علمه بالقدرة على ذلك وارادة التكليم فليس ما نجده بصفة مستقلة ومدلول كلم وتكلم في اللغة فعل الكلام والتكلم وهو اللفظ فقط واطلاقه على ما في النفس مجاز فقط كسائر الملكات فلا صفة للباريء تعالى نفسية تسمى كلاما انما كلامه فعله فمعنى تكلم خلق الكلام في جسم من الاجسام وانما قالوا في جسم لان الكلام عرض لا بد له من محل والباريء تعالى ليس محلا للاعراض فتعين اشتراط المحل عندهم والكلام على هذه الصفة في الباريء تعالى وغيره من فضول الكلام ومعنى تكلم في اللغة معروف فلنقتصر عليه لا سيما في حق الباريء تعالى ونقول تكلم حقيقة لغوية ولم يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غير هذا فانظر هذا الذي طبق الاقطار هل هو من الدين في شيء ان كنت ممن جعله الله أهلا لذلك

باب المقالات

الفسق العلني والدستور (*)

حدثنا غير واحد من الفضلاء الذين جاؤا العاصمة من طرابلس الشام ان بعض سماسرة الفسق جاءها بثلة من النساء الروميات العاهرات اللواتي يتجرن باعراضهن فانشأن يرقصن كل ليلة في بعض الملاهي وهن في هيئة منكرة من التبذل والتبرج والتهتك تغري من رآها بالفسق ثم يعدن الى منازلهن وقد جذبن اليهن من جذبن من الفساق يختلفون اليهن جهرا فيبذلون لهن أموالهم وصحتهم وشرفهم ودينهم ويخرجون حاملين منهن جراثيم داء الزهري (الحب الافرنجي) وسمه القتال المعدي فيلقونه في بيوتهم و بيوت من يؤاكلونهم و يشاربونهم حتى ان الدكتور ماريا أحد أطباء البلد المشهورين قال لبعض محدثينا انه عرض عليه كثيرون من المصابين بهذا الداء بعد استقرار هؤلاء العاهرات في طرابلس وكان ذلك نادر الوقوع فيها فكم يكون عدد الذين عرضوا على غيره وعدد الذين لم يعرضوا على الاطباء لجهلهم واهمالهم

واخبرنا أولئك المخبرون ان علماء طرابلس وأهل الدين والشرف فيها حرجت صدورهم واضطربت قلوبهم وضاقت عليهم نفوسهم وشكوا الامر الى حكومتهم فلم تشكهم ولا اجابتهم الى ازالة المنكر القبيح الذي لم تتعوده بلدتهم، وظن الجماهير من الناس ان المجاهرة بالفسق من لوازم الحكومة الدستورية فهو بلاء واقع ما له

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة الحضارة

من دافع لان رجال الدستور هم الذين يحمونه ، واطلعني أحد هؤلاء على كتاب جاءه من صديق له وكلاهما من مستخدمي الحكومة وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقول فيه ان عدد الارتجاعيين يكاد ينمو و يزداد في طرابلس وقاها الله وسائر البلاد من شر الارتجاع وأهله، وسنبين لهم بالبرهان خطأهم في سوء ظنهم هذا بالدستور ورجاله

ان طرابلس الشام قد امتازت منذ القرون الماضية والايام الخالية بمزايا قلما توجد بلدة في الدنيا تفوقها أو تضارعها فيها وهي المحافظة على شعائر الدين وآدابه الاجتماعية ، والخلو من مواخير الفسق واومرية ، وحانات السكر العلنية ، و بيوت القمار الخصوصية، ولا اذكر انني رأيت في السنين التي عشتها فيها أحدا من السكارى الا رجلين أحدهما زنجي كبير السن كان يجول في حارة النصارى فيتجمع عليه الصبيان يعبثون به و يسخرون منه ، وقد اعتاد السكر من خدمته لبعض النصارى في أيام شبابه ، والثاني شاب من أولاد الصناع كان يشرب سرا وربما خرج مترنحا ثملا فكان لافتا لاعناق الناظرين المتعجبين ، ومحركا لالسنة المحوقلين المسترجعين ، وأذكر ان مدرعة فرنسية وقفت في ميناء طرابلس فخرج بعض ضباطها الى البلد فجعل يجول فيها فطلب من الترجمان أن يذهب به الى ماخور النساء أو يأتيه بامرأة يتمتع بها فلما سمع أهل السوق هذا هموا بالضابط فأنذرهم بعض الاذكياء مغبة الامر واسرع باعلام الحكومة فأرسلت اليه من رجال الشحنة والشرطة من حافظ عليه الى أن عاد الى البحر بعد ما أفهمه الترجمان أن هذه البلدة ليس فيها نساء للفسق

ان بلدة هذا وصفها وقد كانت ولا تزال من اكثر البلاد اشتغالا بالعلم الديني بالنسبة الى عدد السكان جديرة بأن تضيق ذرعا بالفسق العلني يفاجئها شر مفاجأة وقد كان لحكومتها سلطان من الدستور على منع هذا المنكر المخالف لآداب القوم العمومية ولكن متصرفها السابق كان جاهلا خاملا بليدا وأما المتصرف اللاحق فلم يبلغنا أنهم شكوا اليه ذلك ولعلهم لم ييأسوا من الحكومة ولعل المتصرف الجديد لا يقصر في تلافي هذا الامر الأمرّ ، و إزالة هذا العمل النكر ، وهو قد رأى بعينيه، وسمع بأذنيه ، وعمل بيديه ورجليه ، في منع ما هو دونه من المنكرات في العاصمة كمنع تبرج النساء واختلاطهن بالرجال في مثل يوم عيد الدستور ومنع الصبيان من

الحمامات . كل ذلك عناية من الحكومة الدستورية العليا بالآداب الاسلامية ، ولا يتوهمن أن الامر قد استقر فهو يدوم بحركة الاستمرار ، وانه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء ، فالامر لا يزال في أوله ولا تزال أخطاره محصورة في دائرة ضيقة ، فيجب أن يرقع قبل اتساعه ، وتداوى العلة قبل إعضالها

قد استفظع هذا المنكر أهل العلم والدين والغيرة على العرض — وهم السواد الاعظم في طرابلس الشام — وا كثرهم لا يعرف من شره الا انه عمل محرم في الشرع فماذا يقولون وماذا يعملون اذا علموا بما وراءه من الشرور والرزايا في هتك الاعراض واغتيال الاموال وفشو الامراض وفساد داخلية البيوت وهو ما سنشرحه في مقالة أخرى ؟؟

يجب على أهل العلم والدين أن يعيدوا الكرة بمطالبة الحكومة المحلية بمنع هذا المنكر من بلدهم المخالف لآدابهم العمومية التي نص القانون على وجوب احترامها وذلك يكون في كل مكان بحسبه ، وجمهور أهل العلم والدين والمروءة هم المحكمون في عرف بلدهم وآدابه ، ولانه هتك لحرمة الدين الذي كفل القانون الاساسي حفظه واحترامه بل لم يقبل الا لبنائه على أساسه ، واقتباسه من نبراسه ، فان لم تبادر الحكومة المحلية الى اجابة طلبهم فليرفعوا الامر الى حكومة العاصمة ولو بلسان البرق

لا تصدقوا وسوسة شيطان الارتجاع بتفضيل تلك الحكومة الاستبدادية البائدة على الحكومة الدستورية الدائمة ان شاء الله تعالى في حفظ الشرع وآداب الدين ، فانا قد رأينا من هذه الحكومة اكثر مما كنا نتوقع من اتقاء ما يخدش الشعور الديني ، ولم يكن أحد يستطيع أن يحتج بالدين على شيء في العصر الحميدي المظلم فاعلموا الآن انكم أقدر على حفظ دينكم وعرضكم اذا عرفتم كيف تحفظونه فحكومة الدستور هي حكومة الامة وحكومة الاستبداد هي حكومة رجل واحد لا قيمة فيها للامة ولا لدينها ولا لعرضها ولا لشرفها .

ألم يبلغكم أن أهل البصرة أرادوا أن ينصبوا تمثالا لابي الدستور (مدحت باشا) فمنعتهم الحكومة العليا من ذلك لانه مخالف للشرع الاسلامي ، ألم تعلموا أن يجلس

الوكلاء قرر منع انتشار كتاب تحرير المرأة اذ طبع مترجما بالتركية لئلا يكون سببا لكثرة الخوض في مسألة رفع الحجاب عن النساء ، حتى عد بعض الناس الحكومة مغالية في ذلك ، أفترون أن هذه الحكومة ترضى بان يثلم أولئك الروميات الفواجر شرفكم ويهتكن آدابكم الدينية والقومية و يسلبن أموالكم - في زمن يقاطع العثمانيون فيه تجارة اليونان المباحة - ويفسدن امر الصحة العمومية، ويزدن في اسباب التعدي والجنايات؟؟ حاش للحكومة ان ترضى بذلك اذا كنتم أنتم تكرهونه وتمقتونه ، فاطلبوا المقاصد بأسبابها ، واءتوا البيوت من ابوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

***

مضار البغاء ومفاسده

للزنا مضار ومفاسد كثيرة في الصحة والاخلاق والروابط الزوجية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والانتاج لاجلها كان محرما في الاديان فان الله تعالى لم يحرم على الناس شيئا إعناتا للناس ولا منعا لهم من التمتع بالذات التي لا ضرر فيها وانما حرم عليهم كل ماهو ضار وأباح لهم كل ماهو نافع وما كان فيه نفع وضر فالترجيح في الشريعة لما فيه دفع المفسدة وحفظ المصلحة والمنفعة جار على الطرق الموافقة لنظام الفطرة وقوانين المنطق المعقولة ، واشد الزنا ضرراً واكثر مفاسد البغاء المستباح الذي يتخذه العواهر حرفة تكون معروفة في البلد فكل من شاء ذلك تيسر له متى شاء مادام يملك أجرة البغي

هذا الضرب من الفسق هو الذي يسرع افساد الصحة والآداب وتقليل النسل وايقاع الشقاق في البيوت حتى تصل الى درجة يستباح فيها اكثر الاعراض وتفشو القيادة والدياثة حتى لا يوثق بنسل أحد الا النادر من الناس واكثر الشبان الجاهلين لا يعرفون من أمر هذه المفاسد شيئا فيقضي الفسق على حياتهم الجسدية والادبية والمنزلية من أول النشأة ولا يعرفون من أين جاءهم البلاء بل لا يدرون به الا بعد وصوله الى حد اليأس ولا سيما في البلاد الصغيرة (كطرابلس الشام التي سرى اليها هذا البغاء الآن) التي ليس فيها مستشفيات تداوى فيها الامراض

والأدواء التي تتولد من الزنا كالزهري والسيلان ، ويعتبر بما يرى فيها من العبر من كان لا يعرف ذلك من الشبان

أول رزايا البغاء وأسرعها حصولا انتشار المرض الزهري القتال ويا ليت هؤلاء الشبان المساكين يعرفون شيئا من عواقب الزهري وما ينتهي اليه . ليتهم يدخلون المستشفى في مثل الاستانة ومصر فيشاهدون بأعينهم بعض المصابين بهذا الداء ، ومنهم الذي فقد بصره وسمعه ومنهم من سقطت أسنانه وتآكل لسانه ، ومنهم من استؤصلت منه أعضاء التناسل ، وأهونهم حالا من كان قريب عهد بالمرض وقد انتشرت البثور على جسده ولم تصل سمومها الى أعضائه الرئيسة ، ويالها من مناظر تشخص لها الابصار وترجف لهولها القلوب

يا ليت هذا الداء الخبيث لم يكن معديا اذاً كان يكون وباله على أولئك الفساق وحدهم وهم له مستحقون ، ولكنه من الادواء التي تسري بضروب من العدوى لا يعرف طرق التوقي منها الا من لهم إلمام بعلم الصحة وهم في بلادنا قليلون ، فياحسرة على أهل بيت يغوي الشيطان أحدهم فيقوده الى تلك المواخير النجسة فيعود حاملا الى أهله الابرياء المساكين ذلك السم القتال فيلقح به امرأته وأولاده واخوته واخواته وربما أصاب به والديه فانه قد ينتقل بفضل الطعام وسؤر الشراب وبالتقبيل واللمس اذا كان هنالك جرح أصابه ذلك السم ولو جرح الخلال في اللثة

ومن رزايا هذه الفاحشة ومصائبها أن من افتتن بها يصير يؤثر الحرام على الحلال فان كان أعزب تضعف داعية الزواج الشرعي في نفسه ولذلك يقل الزواج في جميع البلاد التي يفشو فيها الزنا ومضار ذلك كثيرة منها قلة النسل ومنها كثرة الايامى من النساء وذلك مدعاة لخروجهن من حظيرة العفة والصيانة حتى ان العوانس من العذارى الابكار يلجأن أحيانا يلتمسن الاخدان في البيوت السرية، فكيف يكون حال الارامل ؟ وان كان متزوجا يهجر امرأته ولو جميلة ويأوي الى بغي دونها جمالا وفتاء وان شاركه فيها من لا يحصى من اسافل الناس وبذلك تضعف غيرته على العرض ويضيق ذرع امرأته ويخونها الاصطبار فتنتقم منه والجزاء من جنس العمل

يتوهم بعض المغرورين بأنفسهم انه يسهل عليهم الجمع بين التهتك في الفسق و بين صيانة نسائهم عنه وان قل نصيبهن منهم ، وانما ذلك هو الجهل والغباوة وعدم الخبرة والتجربة فما ذكرناه من افضاء تهتك الرجال في الفسق الى افساد نسائهم هو من القضايا المعقولة الثابتة بالتجربة المؤيدة بحديث « عفوا تعف نساؤكم » فان استبعدته عقولهم الضعيفة فليعلموا أن المشاهدة والتجربة أقوى حجة من نظريات الفلاسفة الحكماء . أفلا تكون أقوى من نظريات الجهلة الاغبياء؟ ولو كانت النظريات المتبادرة الى الرأي أقوى من علم المختبر للشيء والعالم به من المشاهدة أو خبر التواتر عن المشاهدين والمجربين لكان من المردود بادئ الرأي ادعاء رغبة الفاسق عن زوجته الجميلة الطاهرة المقصورة عليه الى عاهرة دونها في كل شيء ولكنه واقع ومن أغرب وقائعه ان امرأة في مصر بحثت عن سبب هجر زوجها لمضجعها زمنا طويلا فعلمت انه يأوي الى بعض مواخير الفسق الخفية فذهبت الى قوادة الماخور واعطتها صورتها ورغبت اليها أن تعرضها مع الصور اللواتي عندها على فلان (الذي هو زوجها) فلما عرضت الصورة عليه جذب بصره حسن صورة امرأته ولم يفطن لها لانه لم يخطر في باله أن تعرف ذلك المكان او تميل الى الفاحشة مثله وكانت اجمل من جميع النساء اللواتي يختلفن اليه فلما طلبها من القوادة طلبت منه مالا كثيرا فوق ما كانت تطلبه عادة فبذله وبعد أن اجتمع بامرأته وهو لايعرفها وأظهر لها أنه كان أسعد الناس بلقائها وانه ماسر في حياته بامرأة كسروره بها تعرفت اليه ووبخته وقالت له كيف تكون اسعد الناس بقربي في الحرام مع الخسارة وبذل المال لهذه القوادة الملعونة ولا تكون أسعد الناس في الحلال مع حفظ المال ...

الا فليعلم أهل طرابلس الشام ومن على شاكلتهم ـ من المتعرضين لانشاء البغاء في بلادهم ـ أنهم اذا لم يتداركوا هذا الامر قبل ثباته واستقراره فان أعراضهم على خطر وان ماعندهم من الغيرة والحماسة الآن سيكون في أول العهد بهذا البلاء سببا لسفك الدماء ثم تضعف الغيرة رويدا رويدا حتى تكثر القيادة والدياثة كما في جميع البلاد التي فشا فيها البغاء والبشر متشابهون في الاستعداد لذلك والعلل مربوطة بمعلولاتها والاسباب موصولة بمسبباتها

إن الغيرة على الاعراض في مثل طرابلس الشام شديدة عند جميع طبقات الناس حتى ان أجهل الجاهلين وافسقهم ليندفع الى قتل من يعلم انه اعتدى على عرض اية امرأة من عشيرته بلا مبالاة ولا حذر من العاقبة فاذا استقر أمر هؤلاء المومسات اللواتي فتحن باب البغاء في هذه البلدة وترتب على ذلك أثره الطبيعي من فساد البيوت وابتذال الاعراض فلا بد أن يكثر سفك الدماء فيها ، فهل تفكر العلماء والفضلاء وأهل الغيرة والنجدة في هذه العواقب ولم يبالوا بها أم هم عنها غافلون ؟؟

يغلب على ظني أنه لو جمع بعض العقلاء فتيان البلد الشجعان (الابضايات) و بين لهم أن هذه الفتنة ستكون سببا لتهتك الاعراض وسفك الدماء وفساد الصحة واضاعة الاموال لسبقوا العلماء الى السعي في منعها وتلافي شرها قبل تمكنها ورسوخه

إنما أخرت الاشارة الى ذهاب المال لانه في نظر أهل وطننا دون العرض والنفس ولكنهم اذا اعتادوا هتك العرض يرجحون المال فان البلاد التي فشا فيها الزنا كلها قد كثرت فيها القيادة والدياثة لاجل المال حتى ان الرجل ليتجر بعرض امرأته وبناته ، وهذا مما يعده اكثر بلادنا من المحال الذي لايتصور وقوعه منهم لظنهم أن شدة الغيرة صفة من صفاتهم الطبيعية التي لاتتغير وكان غيرهم يظنون هذا الظن الباطل ولم يشعروا ببطلانه الا بعد موت الغيرة بفشو الفسق على ان المال عزيز عند كل الناس في كل مكان وزمان والمحافظة على الثروة هي اساس قوة الامم وعزتها في هذا العصر . ولست أعني باضاعة الفسق للثروة وذهابه بالاموال مايتبادر الى اذهان الاكثرين الذين أوجه اليهم هذا الخطاب من الشفقة على الشاب الفقير الذي يضيع معظم كسبه بجعله من نصيب هؤلاء المومسات وانما أعني ماهو أعظم من الشفقة على هؤلاء الظالمين لانفسهم أعني أن هذا البغاء يذهب بحظ عظيم من مال الامة الى جيوب الاجانب الذين أذلوها وبزوا دولتها باستعلائهم عليها بالثروة فان معظم المومسات في الشرق من اليونانيات والرومانيات والنمساويات والفرنسيات الخ وهن يرسلن معظم مايسلبنه من فاقتنا الى بلادهن فيكون نقصا من ثروتنا ومزيدا في ثروة امهن ودولهن ولولا مايأخذه اليونانيون واليونانيات من مصر وغيرها من البلاد الخارجية لاضمحلت دولتهم وضعفت أمتهم بالفقر المدقع

ان مفاسد البغاء في بلاد اسلامية صغيرة مثل طرابلس الشام ستكون أعظم وا كثر من مفاسده في البلاد التي آدابها غير اسلامية وفي البلاد الاسلامية الكبيرة التي يسهل فيها اخفاء الفسق قبل أن يخف وقعه على الجمهور بالاعتياد الذي يضعف الدين ويفسد الفطرة ، فلا يمكن بيان تلك المفاسد بالتفصيل في مقالة أو مقالات قليلة واني لاعجب من سكوت حملة الاقلام في طرابلس عن ذلك وعن حفز الهمم لمقاومته وحثها على تلافيه كما اعجب من ضعف العلماء والفضلاء في المطالبة بمنع هذا المنكر

هذا واني قد بلغت خبر ماحل بطرابلس مولانا شيخ الاسلام وهو الذي عرفت منه النجدة والغيرة فاذا شكا أهل هذه البلدة الى الحكومة الادارية لم تشكهم فليرفعوا الامر اليه وأنا الضمين لهم بأنه يأخذ بيدهم ولعله عهد الى نظارة الداخلية بوجوب الاهتمام بسماع شكوى الاهالي في مثل منع هذه المنكرات فيجب على أهل طرابلس ان يكونوا قدوة صالحة لغيرهم في الخير ولا يكونوا قدوة سيئة لهم بالسكوت على مثل هذا المنكر الذي سيحل بهم مثلهم والله الموفق والمعين



حجاب المرأة في الاسلام (*

تباينت آراء الناس في مسالة الحجاب في هذه الايام . وكثرت فيها مناقشات الكتاب . فمنهم من ضل الطريق . ومنهم من هدي الى سواء السبيل . ولما كانت هذه المسألة من أكبر مسائلنا الاجتماعية الحاضرة . رأيت أن افيض القول فيها وامحصها تمحيصا ينبلج به الحق . وينقشع به الباطل . مؤيدا قولي بالحجة العقلية والبرهان ومعززا له بحديث الرسول (ص) وآي القرآن الحكيم فأقول : —

الحجاب عادة قديمة موجودة قبل الاسلام و بعده وعند أمم لم تعرف من هذا الدين الكريم شيئا فلم يكن الاسلام موجده ولا مؤيده . وهو الآن عند المسلمين يكاد يكون قاصرا على نساء الطبقة الوسطى والعالية وقد خرج في هذه الايام الاخيرة عن معناه الحقيقي وأصبح ضربا من ضروب الزينة والتبرج تظهر به النساء كاسيات عاريات . مظهرات لمحاسنهن . مخفيات لعيوبهن : فهن يخدعن به الرجال . ويغررن الناظرين بتلك المظاهر المرونقة الكاذبة التي لولاها ما بالى أحد بالنظر الى تسعة اعشارهن . ولا وجه مفتون عينه اليهن . ولا أعلم أن أحدا من العقلاء يستحسن هذا الحجاب الكاذب أو ينتصر له . ولا اظن ان غيرة الرجال تلتئم معه . أو تقنع به . فليس الخلاف بين العقلاء في أمر هذا الحجاب الحالي وانما خلافهم في الحجاب الحقيقي وهو ستر المرأة وجهها وكفيها عن الاجانب عنها فيقول قوم انه نافع ومفيد وان الدين يأمر به . ويقول آخرون انه ضار لا فائدة فيه وان الدين بريء منه . وكلا الفريقين يؤيد رأيه بالادلة . والحق يقال ان دلائل الفريق الاول سفسطة باطلة . ودلائل الفريق الثاني يقينية قاطعة ولولا خوف التطويل لسردنا دلائل الاولين . وادحضناها بالبرهان المبين . ولكنا نكتفي

*) بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي

بذكر دلائل الآخرين . فانما هي الحق اليقين . وليس بعد الحق الا الضلال المبين .

أما مضار الحجاب فهي كثيرة متنوعة نأتي هنا على بعضها : —

أولا ـ ان الحجاب يحول دون انتخاب الرجال لازواجهم فيجعل الزواج تابعا للصدفة والاتفاق بدلا من الاختيار والانتخاب . فمن أسعده حظه صادفته امرأة حسناء توافق مشربه وهواه . ومن أشقاه وقع في قبيحة شوهاء . لا يمكنه أن يقيم معها الا على البغضاء والشحناء . فيكثر بينهما الشقاق . المؤدي الى الطلاق . أو تعدد الزوجات . ولا يخفى ما يجره علينا ذلك من المصائب الاجتماعية والاخلاقية والدينية . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لاحد الانصار وكان قد خطب امرأة (أنظرت اليها؟) قال لا قال ـ (أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) والنظر الى النساء لاجل الزواج لا يتفق بحال من الاحوال مع الحجاب فاننا اذا كشفناه عنهن لمن يريد الزواج لعرضناهن للخجل والاستحياء والسخرية والازدراء ولأصبحن كالسلع في الاسواق تتناولهن أعين المشترين . وهو أمر تنفر منه الطباع السليمة . وتأباه المروءة . ولا يتفق مع كرامة المرأة في شيء فتقع في حضيض الذل والاهانة وتتعرض لهزؤ المازئين . وسخرية الساخرين العابثين بالاعراض وللعب الشبان الفاسقين . ولا دواء لهذه الامراض سوى سفور النساء للرجال في جميع الاحوال واتخاذ ذلك عادة لهن حتى تتقى أمثال تلك المعائب والمضار التي تنشأ للمتزوجين والمتزوجات من الحجاب . ولا يخفى ان اصلاح مسألة الزواج عليها اصلاح البيوت واصلاح الامة بأسرها

ثانيا ـ ان الحجاب يكثر من حوادث التزوير في سائر العقود كما لا يخفى وهو عقبة كؤود في سبيل صحتها وفي الشهادة والمحاكمة . فكم من امرأة سلبت أموالها بسبب الحجاب ؟ وكم من فتاة عقد عليها بدون اذنها وكان المتكلم غيرها من وراء ستار ؟ وكم من نساء رمين بالافك والبهتان من غير علمهن وهن محصنات غافلات ؟ وكم من شاهدة زورا تخفي خجلها أمام أعين القضاة بالبرقع والنقاب وتفتري الكذب ولا يعلم من أمرها شيء ؟ الى غير ذلك من الرزايا والمصائب التي جرها علينا الحجاب واني والله لاعجب غاية العجب كيف يصح

العقد على فتاة لم ترها ولم تره . وربما اذا نظر أحدكما للآخر اشمأز منه ونفر . فكيف بعد ذلك يمكننا أن نقول ان الرضى حصل بين الطرفين مع انه رضي باللسان فقط وكل منهما يوجس خيفة من منظر الآخر على أن الرضى اللساني أيضا في كثير من الاحوال لا يحصل من جانب الفتيات ويكون صادرا من احدي قريباتهن كما هو معروف

ثالثا ـ ان الحجاب يفسد صحة النساء ويمنعهن من الرياضة البدنية . ومن استنشاق الاهوية النقية في الاماكن الصحية . فتسوء بنيتهن . وتكثر أمراضهن . وتعتل صحتهن . ويلدن المعلولين والمعلولات .

رابعا ـ ان الحجاب لاشك أنه أكبر مانع لاتمام التربية والتعليم والتهذيب وعائق لتثقيف عقل المرأة وتوسيعه وتكبيره بالتجربة وممارسة الاعمال ومخالطة الرجال في بعض الاحيان في اجتماعاتهم الصالحة كالتي تحصل في المساجد للصلاة ولتعليم الدين . ومانع لها من مشاهدة المناظر الطبيعية . وبدائع الاختراعات الصناعية . فيبقى عقلها ضيقا . وذهنها فارغا ومخها خرفا خاويا . فلا تبث في أذهان بنيها وبناتها سوى الاضاليل والترهات . والخرافات والخزعبلات . فتفسد عقولهم وآدابهم وأخلاقهم . ولا يخفى ان التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ولذلك يصرف الواحد منا وقتا طويلا وتعبا كبيرا لتطهير عقله مما زرعته فيه أمه الغبية الجاهلة منذ طفوليته ونشأته . ومن كان في شك مما أقول فما عليه الا أن يقارن بين عقول نساء الافرنج وأبنائهم وبين عقول نسائنا وأبنائنا ليتضح له صحة ما أقول . وقد علمت بالاختبار أن جمهور البنات اللاتي يأخذن الشهادات من مدارسنا لا تمتاز عقولهن بعد الحجاب عن البنات الجاهلات الا شيئا يسيرا فان مدارك أكثرهن تجدها قاصرة ضيقة مفعمة بالاباطيل والترهات والاوهام والخرافات معجبة بما تعلمته من القشور الفارغات

خامسا ـ ان الحجاب يمنع الفقيرات أو غير المتزوجات من الحصول على أقواتهن الا بشق الانفس ويضيق عليهن أنفاسهن ويعسر عليهن الاعمال أو الاشتغال بأي عمل يكتسبن منه رزقهن من نحو خدمة أو صناعة أو زراعة أو تجارة ولا يخفى ما يجلبه البرقع على التاجرات مثلا (والتجارة أخف شيء يمكن عملهن به) من الضيق والحر

والعرق والاضرار بالصحة وعسر الحركة ، والله تعالى يقول (ماجعل عليكم في الدين من حرج)

سادسا ـ ان الحجاب كثيرا مايحرم الرجل لذة الخروج مع زوجه وأولاده واصطحابهم في رياضاته وأوقات فراغه ويمنعهم من مشاركته في أنسه ولذاته . وهي أمور ضج منها المجربون فنشأ عن ذلك كثرة هجران الرجل لزوجته وأولاده وعدم اجتماعه بهم الا وقت نومهم وهو يقضي معظم وقته في الاماكن العمومية (كالقهوات) بين الميسر والخمر والفسق والسعي في اصطياد الغواني مع أنه لو خرج معزوجته لتمتع كل منهما بالآخر ونال كل منهما حظه من لذة الحياة والائتناس برفيقه ومشاهدة المناظر الطبيعية والصناعية واكتفى كل منهما بالآخر واستفاد من حديثه وامتنع الرجل من النظر لغير امرأته وامتنعت هي من النظر الى غير زوجها لحياء الواحد منهما من الآخر وخشيته ومراقبته لوجوده معه . ولا يخفى على أحد فوائد ذلك من الوجهة الادبية والاجتماعية وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج مع بعض نسائه الى الاماكن الخلوية لاستنشاق الهواء النقي ولمسابقتهن جريا والمزاح معهن بالقول الحسن

سابعا ـ ان البرقع أو النقاب المستعملان الآن مما يشوق النفوس لرؤية ماتحته فان ألذ شيء الى الانسان مامنع عنه فهو يحمل أهل الفسق والفجور على التعرض للنساء في الطريق ومغازلتهن والسعي في كشف سترهن كما هو حاصل الآن بكثرة فان أنواع البراقع تظهر عادة الاعين والحواجب وهي في أغلب النساء جميلة فيغتر الناظر ويظن أن باقي الوجه جميل مع أنه قد يكون منفرا اذا كشف جميعه . ولذلك قيل في أمثلة العامة (ان البرقع غشاش) وقد سمعت من بعض الشبان الفاسقين أن أحدهم يسعى وراء المرأة المتبرقعة زمنا طويلا ويصرف مالا كثيرا في الحصول عليها وتعبا كبيرا حتى اذا نجح معها وقادها الى احدى دور الفسق وكشفت عن وجهها نفر منها وندم على مافعل وحاول أن يخلص منها بكل وسيلة ولولا الحجاب ما اغتر هذا المغرور بكل واحدة ولذلك تكثر مداعبة النساء المتبرقعات في الطرق من الرجال وتقل مداعبة السافرات لان الجمال الحقيقي قليل جدا والنقاب يزين جميع النساء للرجال ويوهمهم أنهن كلهن جميلات فهو كالشيطان يغري الانسان ويحمله على الفسق والفجور . هذا

وان تعود الرجال لرؤية جمال النساء يقلل من التأثر بهن والافتتان بحسنهن والانسان المتعود على ذلك يملك نفسه أكثر ممن لم يتعود والخلاصة أن الحجاب منبع الرذائل والسفور أصل الفضائل ولاشك ان الحجاب هو السبب الوحيد في أكثر ماوقعنا فيه من المصائب والرزايا والبلايا . ولاأعلم له من فائدة واحدة سوى غيرة الرجال الكاذبة من رؤية غيرهم لوجوه نسائهم مع أن الرؤية لاضرر فيها ولاضرار . والقول بأن الحجاب الحقيقي يقلل من الزنا اذا سلم فهو مدفوع بأن الزنا يمكن تقليله بوسائل أخرى كالتي أتى بها الدين الاسلامي المنيف (وسيأتي بيانها) من غير أن يكون لها من المضار ماللحجاب مما سبق بيانه وهي اذا اتبعت تماما فان الزنا يكاد يمحا من الوجود وهذه الوسائل تنحصر في ثلاث مسائل وهي (١) التربية الدينية (٢) واقامة الحدود مع الترغيب في الزواج وتيسيره (٣) والاتيان بآداب للرجال والنساء وسيأتي ذكرها تفصيلا وليس من بينها الحجاب لان ضرره أكثر من نفعه ويمكن الاستغناء عنه بأشياء أخرى غيره . واليك الدليل : —

أجمع علماء المسلمين وأئمتهم على أن الوجه والكفين ليسا بعورة في الصلاة وأن كشفهما غير مبطل لها وعلى ذلك جرى عملهم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم . وقال ابن جرير في تفسيره (ان للمرأة أن تبدي من بدنها مالم يكن عورة كما أن ذلك للرجال لان مالم يكن عورة فغير حرام اظهاره) . وحكى القاضي عياض عن العلماء انه لايجب على المرأة ستر وجهها وكفيها في طريقها وعلى الرجال غض البصر عنها وقال ان ذلك اجماع المسلمين . وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت ابي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال (ياأسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا) وأشار الى وجهه وكفيه ولذلك أبيح لنساء المسلمين أن يحضرن صلاة الجماعة في المساجد وهن مكشوفات الوجوه في زمن رسول الله وزمن أصحابه وأتباعهم . وأوجب الدين الاسلامي على المرأة أن تكشف وجهها في الحج مدة الاحرام كلها بحيث يبطل حجها اذا هي غطت وجهها والاحرام مدته طويلة فتبقى فيه النساء مختلطات بالرجال في سائر مواقف الحج وهن كاشفات لوجوههن . فلو كان في ذلك مفسدة لما أوجبه

الاسلام وقرره . ولو فتشت القرآن من أوله الى آخره والاحاديث الصحيحة لما وجدت فيها أمرا واحدا يوجب ستر المرأة وجهها وكفيها بل بالعكس تجد أن القرآن يستثنيها في قوله (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) كاعليه اجماع المفسرين . وقد عدل عن الأمر بتغطيتها الى تغطية غيرها في قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . الآية ولم يقل على وجوههن فلو كان كلامهم صحيحا لقال هنا (وليضربن بخمرهن على وجوههن) ، أما استشهادهم على الحجاب بآية (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) فسيأتي بيان معناها على ان هذه الآية هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب وسترى أنها لا تنهض بها لهم حجة . ولم يرد في القرآن مطلقا ذكر للتبرقع والانتقاب أو ما في معناها ولو كانا واجبين لورد ذكرهما مرة واحدة بل مرارا كثيرة . واذا كانت نساء المسلمين في عصر التنزيل محتجبة فما معنى قوله (ولا تمدن عينيك) وقوله (يغضوا من أبصارهم) وقوله (ولو أعجبك حسنهن) فكيف يعجبه حسنهن وهو لا يراهن ؟ وما فائدة عدم مد الاعين اليهن وغض النظر عنهن وهن محتجبات ؟ ؟ (البقية تأتي)

﴿ كتاب الخمسة والمثة ، وكتاب الهمسة في الاصول الخمسة ﴾

الف حضرة العالم الفاضل السيد محمد طيب العلوي المكي مدرس درجة التكميل في مدرسة دار العلوم بلكنو « الهند » التي أنشأتها ندوة العلماء كتابين سمى أحدهما « كتاب الخمسة والمثة » في نصر الفئة ، ويحتوي هذا الكتاب على خمسة ومثة من الادلة عدا الممهدات والتنبيهات

والكتاب الآخر سماه « الهمسة » في الاصول الخمسة » جعله كالمدخل الى التوغل في علوم البلاغة وقد تقرر تدريسه في مدرسة دار العلوم المذكورة والكتابان لم يطبعا بعد وقد بعث لادارة المنار بأنموذجين من الكتابين المذكورين لينشرا في المنار وها هما

(انموذج من كتاب الخمسة والمثة)

الاول ان الله ارسل الرسل ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه وليجعلوهم على كلمة واحدة ويعلموهم كيف الطريق الى مرضاة الله وما هي الاسماء التي يرضاها الله لنفسه فيدعا بها فلو وكلوا بعد ارسال الرسل الى عقولهم لكان ارسال الرسل فضلا لان دليل العقل قد كان وكيف يرسل الرسل لرفع الخلاف ثم يحكم على ما يأتون به ما هو منشأ الخلاف وانما قلنا ان العقل هو منشأ الخلاف لثلاثة أوجه (الاول) ان الحاجة انما وقعت عند الاختلاف والاختلاف انما وقع بين العقلاء لاختلاف عقولهم فكانت عقولهم هي منشأ الخلاف (الثاني) ان العقل مختلف في ذاته قوة وضعفا وغفلة وتنبها وباعتبار مايقارنه من العوائد والمعارف واذا كانت العقول مختلفة اختلفت آراؤها ومتى اختلفت الآراء وقع التشاح والتحزب فكيف يقول من أرسل لرفع هذا الخلاف : ان كلامي ان خالف عقولكم فلا تقبلوه بل أولوه بحسب ما ترون فان هذا ليس رفعا للخلاف بل هو أمر زائد اذ لكل أحد ان يقول ان هذا الكلام لا يقبله عقلي لانه يخالف مألوفي أو يخالف دليلي أو هذا الكلام يقوي رأي فلان وهو خصمي

(الثالث) ان العقول لو لم تكن مختلفة لم يحتج الى حكم لان الناس انما يرجعون الى الحكام عند الاختلاف فاذا ثبت ان العقول هي منبع الخلاف امتنع ان تكون هي الحكم فالحكم ما سواها فاذن ثبت ان كلام الشارع هو الحكم فلا يؤول اذا خالف بعض ادلة المعقول ولا سيما والرسل جاءت لتبين للناس ما لا تصل اليه عقولهم وليكفوهم مؤونة البحث بعقولهم وليكفوهم عن الخلاف فيما بينهم فلو ردوهم الى عقولهم لزادوا الطين بلة

قال : فهذا دليل واحد من الخمسة والمثة ليس باعلاها ولا أدناها، ثم قال :

(انموذج من كتاب الهمسة في الفنون الخمسة)

« لو » يستعملها الناس في الاخبار عن سبب عدم الخبر الذي هو الجزاء، تقول لو جئتني لأكرمتك يعني ان سبب عدم اكرامي هو عدم مجيئك وقد خبط الناس هنا مدة الى ان حقق ذلك العلامة التفتازاني في شرحية المطول والمختصر الا انه

جوز وقوع الشرطية في الكلام موافقا لاصطلاح المناطقة فان معنى الشرطية عندهم هو الاخبار بأن بين المقدم والتالي تصاحب فمعنى ان جئتني اكرمتك ليس الوعد بالاكرام بل هذه القضية كاذبة أومحتملة عندهم أي معناها لان الاحتمال من معناها «أن جاء زيد» مصاحب لاكرم زيد ومعنى مصاحبتها انهما مجتمعان على الصدق في الواقع والظاهر انهما لا يجتمعان وان احتملا الاجتماع فمعناها عندهم محتمل وعند أهل اللسان متعين حتى انه يقول ان فلانا وعدني ثم ان المصنف حقق معنى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وبين انه لا يصح مجيئه على اصطلاح المناطقة فان العرب لا تعرف ذلك بل ولا علماؤها فان أبا هلال حين ذكر المذهب الكلامي نص على انه لا نظير له في كتاب الله ثم أيد ما قدره من ان المراد ليس نفي الالهة المستقلة الذي يجزم به الناس فطرة ودليلكم هذا باقداركم لا يثبت به العلم فكيف يستدل على المعلوم بما لا يثبت به العلم بل المراد ان الله تعالى لو كان معه من يتداخل في امره لفسد نظم السموات والارض وذلك لان الشفاعة لا تكون الا للمدافعة عمن أوجبت عليه القاعدة امرا لا يحبه وهذه المداخلات مخلة بالانتظام قطعا ولهذا عقبها بقوله «لا يسأل عما يفعل» ثم بقوله «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون »

﴿ تنبيه ﴾

﴿ كتاب الدارس في المدارس ﴾

هو كتاب خطي لم يطبع بعد والموجود منه نسخة واحدة قديمة عند حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار من علماء دمشق الاعلام وقد نقل عنه نسخة حضرة العالم المؤرخ رفيق بك العظم وهو الكتاب الذي القى عليه ذلك الدرس في دمشق وتراه منشورا بهذا الجزء من المنار ص ٦٨١ وقد فاتنا هذا التنبيه عقيب نشره

باب الأخبار والآراء

درس على كتاب الدارس

﴿ في المدارس ﴾ (١)

١

أيها السادة

إن تاريخ كل أمة سواء كان مجيدا أو غير مجيد لا يخلو مستقبله من ارتباط بماضيه لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تترتب عليها نهضة الامم أحيانا وتغير مجرى الحياة الاجتماعية بأن تسرع بخطى الشعوب الى مراقي الصعود معناها اذا كان ماضي الامة عظيما محترما في التاريخ تحرص على أن يكون أعظم احتراما في حاضرها أو على أن تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شيئا منه واذا كان ماضيها سيئا غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه وتطلب لنفسها حاضرا أسعد منه . فالنتيجة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يتحصل على مثل هذه النتيجة من الامم ؟

تتحصل عليه أمة تعلم ان لها تاريخا فتدرسه وماضيا فتبحث فيه وترجع اليه لاسيما اذا كان تاريخا مجيدا له آثار معروفة في الوجود وأثر محقق في الاجتماع والامة

(١) القى هذا الخطاب العلامة المؤرخ رفيق بك العظم في حفلة حافلة في مدينة دمشق ارصد ريعها لجمعية البنات العلمية

كالفرد فخورة بالماضي الجميل اذا تمثل لها نفخ فيها من روحه فملأها نشاطا ودفعها الى الامام اشواطا

وان أمة لا تعرف تاريخها فأحر بها أن يتنكر لها الزمان وتذري بها الشعوب لجهلها بماضيها وان تنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض

إن المدنية الاسلامية التي رفع منارها أسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض ومجرى الاجتماع كان لمدينتكم هذه حظ وفير منها ولا سيما في التوفر على انشاء معاهد العلم ودور التربية والتهذيب

هذا أيها السادة ما دعاني لان اقف بينكم خطيبا افتح صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق بأسلافكم الغابرين ومدينتكم الفيحاء وفيها ذكرى للذاكرين ، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

ان هذه الذكرى ماترونه في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الف وثلاثمئة وستين صحيفة وهو كتاب (الدارس في المدارس) تأليف المؤرخ العلامة الشيخ محمد بن محيي الدين النعيمي وهو خاص بما انشئ من معاهد العلم والمساجد ودور العجزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مئتين وبضعا وثمانين . لو وزعت المدارس منها على السنين منذ انشاء أول مدرسة في القرن الخامس أي سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة الى عهد المؤلف في أوائل القرن العاشر لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تنشأ أو دار للعجزة والمرضى تشاد هذا فضلا عما أنشئ من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب نتلو عليكم بعضا من أسماء المدارس التي جاءت فيه ولا أطيل خوفا من ضيق الوقت .

أما تواريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاوقاف التي حبست على الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرّسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها أو نبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ابن تيمية صاحب التآليف المشهورة وقاضي القضاة صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير وغيرهم من مشاهير العلماء ومن علماء

الطب مثل الرؤساء ابن أبي أصيبعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين اللبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخوار وعماد الدين الدنيسري واضرابهم

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن أبي الحكم الباهلي وعز الدين السويدي وأبي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيمارستان النوري القائم الى اليوم من عمل يده واضرابهم

وها نذا اقرأ لكم مثالا واحدا من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ الدارس هذا في ترجمة أفضل الدين ابن أبي الحكم نقلا عن الصفدي قال :

« محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي » هو أفضل الدين أبو المجد ابن أبي الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيبا حاذقا وله يد طولى في الهندسة والنجوم (أي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمّالة وعمل ارغنا وبالغ في اتقانه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نور الدين بن الشهيد ولما عمر البيمارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل أمر الطب فيه اليه الخ ما قال

هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفاضل الكبير منهم وعدد كثير مثلهم من أهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس أو تخرجوا على رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في اكثر من مئة مجلد ، وتاريخ الحافظ ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلدا وهما موجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليهما ما ألفه علماء تلك القرون الافاضل وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك والطب والرياضيات كالهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم يعلم مقدار ما لهذه المدارس ومؤسسيها من الفضل على الامة وما للنابغين فيها من الأثر العظيم في الوجود بما سهروه من الليالي الطوال في التحرير والتحبير وما عانوه من النصب في وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم وما قولكم في ان عالما واحدا من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع

وثمانين وخمسمئة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكمية كما ذكر ذلك ابن أبي اصيبعة في ترجمة المومأ اليه

ولا يظنن أحدكم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان اكثر علمائها وطلبتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها

كلا فان فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلا ومن هذه المدارس المدرسة الدخوارية والدنيسرية واللبودية كما سترون ذلك فيما يأتي ان شاء الله

فضلا عن هذا فقد اخبرنا التاريخ ان معاهد العلم كانت مشاعا بين طلابه من كل فن وان الطبيب أو الفلكي مثلا كان يلقي دروسه في أي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة بل في الجوامع والمساجد ايضا لانها كانت قبل ان توجد المدارس على شكلها المعهود أي قبل القرن الرابع أشبه بمدارس للعلم بل هي المدارس عينها وما زالت كذلك معاهد للعبادة والعلم معا الى اليوم كما تعلمون

واذكر لكم مثالا واحدا على ان المدارس كانت شائعة لطلاب كل علم ما قاله ابن أبي أصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال : « وكان مقيما بدمشق وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمشتغلين عليه في انواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئا من العلوم الحكمية »

واعلموا أيها السادة ان كثيرا من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس بالضرورة وممن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثالا للباقين احمد بن الحسين الدمشقي واليكم ما جاء من ترجمته في هذا الكتاب نقلا عن ابن كثير قال :

« الجمال المحقق احمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي » اشتغل على مذهب الشافعي وبرع فيه وافتى وأعاد وكان فاضلا في الطب وقد ولي مشيخة الدخوارية (مدرسة طبية) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرضى بالبيمارستان النوري على قاعدة الاطباء وكان مدرسا بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيدا بعدة مدارس الخ ما قال

هذا يدلكم على ان العلوم كانت مشاعا بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالما بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعامتها المدنية الاسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ كدربي ومنتسكيو وكوستاف لوبون وافردوا للمدنية الاسلامية كتبا خاصة اتوا فيها على ذكر ما تركه التمدن الاسلامي من آثار الترقي والعلم التي يجهلها أهله لهذا العهد يا للاسف وللعار !

نحن الآن أيها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة ذلك التمدن الاسلامي الذي اخنى عليه الزمان واذا سمحتم لي فاني اختم كلامي بنبذة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام على كتاب الدارس هذا ان شاء الله

٢

علمنا مما سبق عدد المدارس ودور العجزة التي أنشئت في دمشق ولكن من الذي انشأ هذه المدارس ورفع بنيانها وادر الخيرات عليها وأنفق من ماله على طلابها اهي الحكومة أو الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالاطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة ولا يطالب من الحكومة امرا . ولهذا فان كل ماجاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما أنشأه الافراد وقام بمال اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير وارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم البعض كلا بل كان الافراد من كل الطبقات من أهل اليسار يتسابقون الى تشييد المعاهد العلمية حسبة لله وحبا بعمل الخير واستبقاء للذكر الحسن في الوجود فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين اسسوا هذه المدارس ، كل مدرسة يؤسسها

شخص بمفرده ويحبس عليها من ملكه مايكفي ريعه لبقائها، بل أقول لكم والخجل يكاد يمنعني من التكلم والحزن يوشك ان يعقد لساني ان العبدان عبدان أسلافكم أيها السادة شيدوا بأموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم فياللفضيلة كم ترفع العبدان الى منزلة السادة في حين ينحط السادة الى منزلة العبدان !

ان العبدان كانوا ارفع نفوسا واسخا كفوفا منا الآن ياللخجل والخسران

ان الكلام وحده لايغني عن برهان . وانكم تنتظرون مني الدليل على هذا البيان واليكم امثلة من عمل العلماء والتجار والسيدات والعبدان

قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب :

﴿ المدرسة الطبية الدخوازية ﴾

المدرسة الدخوازية بالصاغة العتيقة بدرب الخضراء قبلي الجامع الاموي انشأها مهذب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار في سنة احدى وعشرين وست مئة بالصاغة العتيقة كما تقدم وأول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدنيسري وهو بها الى الآن الخ . . .

﴿ المدرسة الدنيسرية ﴾

غربي البيمارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبله قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وست مئة

« عماد الدين ابوعبدالله محمد بن عباس الربعي » الرئيس الطبيب ولد بدنيسر سنة ست مئة وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفقه للشافعي وصحب البهاء زهير وتأدب به وصنف ، الى ان قال نقلا عن الاسدي « العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بيمارستان نور الدين الشهيد » الخ

﴿ المدرسة اللبودية ﴾

« اللبودية النجمية » مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وست مئة » الى ان قال نقلا عن ابن ابي اصيبعة « كان علامة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكمية » الخ . . .

هذا عمل العلماء واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان :

﴿ المدرسة المزلقية ﴾

المزلقية بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخاص الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده سنة اربع وخمسين وسبع مئة وكان ابوه لبانا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند جامع يلبغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها كسب فيها مئة الف دينار وثمان مئة درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر املاكا كثيرة وانشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار . انفق على عمارها مايزيد على مئة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة الحسنة وعين للحجرة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت في كل عام الى آخر ماقال ...

وهذا مثال آخر لتاجر غيره ايضا

﴿ المدرسة الرواحية ﴾

شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقة شمالي جيرون وغربي الدويلقي وقبلي السيفية الحنبلية : قال ابن شداد بانيها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في من مات سنة اثنتين وعشرين وست مئة « والزكي ابن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية بدمشق وأخرى بحلب » الخ

ومن امثلة عمل النساء

﴿ المدرسة العالمية ﴾

العالمية شرقي الرباط الناصري غربي سفح قاسيون تحت جامع الافرم واقفتها الشيخة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة

التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيخية بانيها الشيخ ابو عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحبية بقاسيون على الحنابلة الخ ...

ومن امثلة عمل العبدان

﴿ المدرسة الصارمية ﴾

الصارمية داخل باب النصر والجابية قبلي العذراوية بشرق ، قال القاضي عز الدين بانيها صارم الدين از بك مملوك قايماز النجيبي ورأيت مرسوما بعتبتها ما صورته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى الخ .»

ارأيتم ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا يعملون مالا يعمله الجماعات منكم اليوم؟ ، ان الافراد هم الذين ينهضون بالامم وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعامتها وتشييد بنيانها

تعلمون ايها السادة ما كان لترجمة كتب أهل التمدن القديم كاليونان والفرس الى العربية من الأثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء العباسيين وقد يتوهم البعض ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم واخصهم امير المؤمنين المأمون، والحال ان للكثير من الافراد ورجال الفضل والنبل من الامة يدا لا تنكر في هذا السبيل

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لا يقل تأثيرا في الهيئة الاجتماعية عن عملهم مجتمعين . ولذا لا أبالغ ان قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكائهم وعلمهم المدنية وشيدوا اركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل أهل السخاء والجود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم على المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية . ومن هؤلاء الافاضل الاجواد

الذين رصدوا جزءا كبيرا من اموالهم على المترجمين للكتب العلمية في تلك العصور علي بن عيسى العباسي ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير وعلي بن يحيى الكاتب وابن المدبر الكاتب وثاوري الاسقف ومحمد بن عبد الملك الزيات وبختشوع الطبيب والعدد الكثير من امثالهم المولعين بالترقي والعلم الذين كان ينفق كل واحد منهم اموالا طائلة على نقلة العلوم الى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن أبي اصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين الف دينار قال هذا فضلا عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد

وإنا والله لنتمنى ان تجمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وترقية الناشئة من ابناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم لعوضها عليهم ابناؤهم اضعافا مضاعفة في الغد بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشرين سنة جنة قطوفها العلم وسياجها القوة والحياة

ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول :

بمثل هذا البذل على ترجمة كتب العلم ونشرها بين الكافة . والاستفادة منها ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابو عثمان الدمشقي وابن كرنيب ويحيى بن عدي المنطقي وابي الفرج الطبيب وابي الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي واضرابهم من العلماء الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة إبان التمدن الاسلامي

ومثل بني زهر ويحيي بن السمينة وابي القاسم المرحيطي امام الرياضيين والفلكيين في عصره وابن السمح الغرناطي المهندس وسعيد ابن عبد ربه وابي جعفر الترحالي وابي الوليد بن رشد وابنه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل بن الهيثم البصري صاحب التآليف الغزيرة في الرياضيات والفلك والمبشر بن فاتك وعلي بن رضوان وتلميذه افرائم ابن الزفات والشيخ السديد رئيس

الاطباء شمس الرئاسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين أبي خليقة وأمثالهم ممن ظهروا في مصر

كل هؤلاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المئة ممن ظهروا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم أي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة قدروا قدر العلم فشيدوا معاهده وترجموا كتبه واكرموا أهله فتكون من عمل أولئك وهؤلاء وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي فقدناها بعدُ ولم نستطع اللحاق بأبناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وتشييد دورها مع انا قد يطلب منا الآن ونحن جماعات فلا نجيب ما كان يعمله الافراد من اسلافنا من تلقاء أنفسهم وبمحض رغبتهم بالعلم والمعارف وحبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم

وبالجملة أيها السادة إننا أمة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا أسلافنا درسا لا يمحوه الزمان ، وقد نقش في كل زاوية من المشرق ومكان ، فلا يبلغ بنا ضعف النظر أو ضعف القلوب والهمم وفساد الاخلاق واستحالة الدم إلى أن نتناساه ولا نقرأ صحفه الزاهية التي يدعونا كل سطر منها الى التذكر والتفكر والسعي الحثيث الى الترقي الذي مناطه العلم . والعلم يحتاج الى المال . فالمال المال ! الكرم الكرم ! الانتباه الانتباه ! والا قضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا أسلافنا الطاهرون ولا يكون ذلك ان شاء الله ما دام فينا الكرام الغيورون والرجال المفكرون والسلام عليكم .

حياة الزيتونيين

كتبت مقالة في المجلد الثاني عشر من المنار (ص ٦٥) عن اضراب الأزهريين عن حضورهم دروسهم الآن أن يجابوا الى مطالب لهم طلبوها وحبذت صنعهم ذلك وعددته نهضة لهم وكان الكتاب يسمون عملهم اعتصابا ولكن تلك النهضة أو ذلك الاعتصاب كانت نتيجته الفشل لأن مقدماته ألفت من التنازع ولأن أولي الامر هنا رابهم أمر الأزهريين واكبروا مطالبتهم لهم بأن يتوفروا على اصلاح حالهم فخذلوهم وذلك شأن أرباب السلطة يزدرون طلاب تغيير الحال ويعدونهم من المجترمين المذنبين !

اعتصب الأزهريون في العام الماضي وليست حالهم دون حال اخوانهم الزيتونيين بل ربما كانوا أرقى منهم فكان من المنتظر أن ترن اصداء خطب الأزهريين في جامع الزيتونة فتزلزل قواعد الجمود وتتداعى لها أركان الخمول وشاء الله أن يحذو طلاب جامع الزيتونة حذو طلاب الجامع الأزهر في طلب تغيير الحال الى ما هو أصلح للمآل وأنجح للأعمال وانما المدرستان أو الكليتان تسيران على نمط واحد هو ذلك الطراز القديم طراز الافتراضات وكثرة التمحل والتأويل فيها حتى صارت العلوم في هذين المعهدين مناقشات نظرية عقيمة تؤخر عن طلاب الدنيا ولا تلحق بأهل الدين

صاح صائح التونسيين واعتلى خطيبهم المنبر طالبا حياة جديدة تبعثه من قبر الخمول والجمود فأجفلت لصيحته قلوب واغتبطت أفئدة وانما أجفل أولئك الذين يستطيعون انتياشه ولكنهم لا يرضون منه الا أن يبقى سادرا لاهيا ويحسبونه عاقا مارقا اذا تطالّ الى المجد وطمح الى العلوّ والسموّ

لقد تفتحت مغالق قلوبنا اذ حملت الينا ريح الغرب اريج اخواننا الزيتونيين الذين اعتصموا في مطالبهم بالأناة والصبر وجنحوا للسكينة والحلم واستمسكوا بالعروة

الوثقى التي لا انفصام لها ولا خذلان لمن استمسك بها. تمثلناهم غادين رائحين ولهم من آداب الدين الحنيف وعظاته روادع من الادب وزواجر من الحياء ومن سيرة اعلام قرطبة وأئمة بغداد وأدباء غرناطة دروس حكيم يهديهم الى الطريقة المثلى فكنا نشعر بسرور لا يدانيه سرور ونقول في أنفسنا تالله لو أعطيت لهم العلوم الصحيحة النافعة لفاق الخلف السلف والله يؤتي فضله من يشاء فهو لا يختص بجيل ولا قبيل

طال الأمد على سكون المسلمين وركونهم الى مخلفات قرون الظلمات التي ضعف فيها شأن العلم وجمدوا على التقاليد الخلقة التي لا تنهض بها حجة ولا يقام عليها دليل ولم تكن حالهم اذ أخذوها قضية مسلمة الا كحال أولئك الذين نزل فيهم قوله تعالى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ولو رجعوا الى تاريخ أسلافهم في عصور السعادة لاحتذوا حذو أولئك ونبذوا طريقة هؤلاء ظهريا ويا بعد ما بينهما

لم يكن للمسلمين وقد احاطت بهم العظات وطافت بهم النذر أن يرتضوا لانفسهم بقاء التسكع في دياجير الجهل والتمرطل في حياض الخمول وهم الذين أرشدهم دينهم الى الضرب في مناكب الارض والنظر في اسرار الكون والاعتبار بتأريخ الامم التي بادت وانقرضت لكفرها بأنعم الله وجعل العزة وصفا لاهل دينه لاتنفك عنهم ماداموا مؤمنين

ليس بعجيب أن ينهض المسلمون في مشارق الارض ومغاربها مادام القرآن الحكيم محفوظا في صدورهم متناولاً بين أيديهم وهو الذي ينحي على التقليد واهله ويستفز الهمم ويحدو العزائم الى طلب الآخرة بالعمل الصالح وطلب الدنيا بالسير في مناكبها وعلومها انما هي وسيلة موصلة اليهما ليس بعجيب ان ينهضوا وانما العجيب أن يلبثوا في عماية عن أمره ونهيه معرضين عن نذره وعظاته ولذلك قلنا ولا نزال نقول ان اصلاح المسلمين لايأتي الا من ناحية دينهم وعلمائه حملة القرآن فنحن اليوم نقرظ عمل الزيتونيين ونعده مبدأ حياة جديدة ستكون زاخرة بالعلوم النافعة حافلة بالاعمال الرافعة ان شاء الله تعالى ونثني على اولئك الزعماء الفضلاء الذين نظموا الاعتصاب وساروا بهم على نهج التؤدة والرزانة ونحمد للحكومة جنوحها للين

واجابتها المطالب التونسيين بعد تلك الذبذبة والتغشم والانذار والوعيد واحراجها صدر العدل بسجن فئة من زعماء الطلاب وانا نقول الآن عفا الله عما سلف ونهنئ اخواننا الطلاب المجتهدين بفوزهم وفلجهم ونرجو أن تبقى نفوسهم دائما ظمأى الى مالم يأتوا من العلوم واعيذهم ان يخدعوا بأماديح المادحين ويركنوا الى الفاشين المتفيهقين فليس ماأحرزوه هو كل الاصلاح وانما هو وشل من بحر وعلى الله قصد السبيل ولعلنا نوفق لكتابة مقال مطول في هذا الموضوع

حسين وصفي رضا

الشيخ جمال الدين الافغاني

(والشيخ محمد عبده) (*)

كنت كتبت رسالة بينت فيها فساد زعم الذين يتهمون الشيخ جمال الدين الافغاني بالمروق وأوضحت بطلان هذا البهتان بأجلى بيان وطبعت تلك الرسالة ونشرتها فتداولتها الايدي واشتهرت بين الناس و بعدذلك سمعنا ببهتان جديد وهو أن الاستاذ لم يكن مارقا ولكنه كان وهابيا

عجبا هل يعرف هؤلاء الذين يهرفون بما لايعرفون معنى رميهم الناس بالمروق تارة وبالوهابية تارة أخرى ؟ أم هل درى أولئك الخراصون الافاكون ناشرو الافك والبهتان أنهم بعملهم هذا يدخلون تحت طائلة قوله تعالى « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة » الخ ؟

وأما الوهابية فهي بالحقيقة اسم للذين اعتنقوا هذا المذهب وهم معظم سكان بلاد العرب ومذهبهم ليس بينه و بين مذهب الحنبلية فرق كبير

عجبا أصار من الدين عندنا أن نثق بكل كلام يراد به ايذاء أي شخص

(*) كتب محمد عاكف افندي الكاتب المعروف هذه المقالة ونشرها بجريدة شورى التي تصدر في اورنبورغ في الروسية تحت هذا العنوان فنقلناها عنها

والطعن عليه ؟ وكيف يجوز أن نعمد الى رجل صحيح العقيدة صالح الاعمال ونقول إنه رجل صالح لكنه مارق من الدين، ثم يتلقى الناس هذا القول وينتشر من دون ترو ولا نظر في أعمال وأحوال من نسب ذلك اليه فلا يمضي قليل زمن حتى يشيع بين الناس بأن فلانا مارق وان فلانا زنديق

ثم كيف يجوز لنا الحكم بمجرد نقل قوم لا يعرفون من أحوال من يحكمون عليه بهذه الافتراآت ولا من كلامه شيئا يصحح حكمهم ؟

انا نعلم أن اكبر جرم في الاسلام هو أن يحكم الانسان على عقيدة انسان آخر ويتحكم فيها وينسبه الى الزندقة تارة والى الوهابية تارة أخرى بمجرد اختلاف في المشرب أو لأقل سبب مع أن الواجب الاسلامي يأمرنا باحترام عقيدة مطلق إنسان ما دام يوجد دليل واحد على اسلاميته ضد تسعة وتسعين دليلا على الكفر وانه لا يجوز الحكم بالكفر مع وجود ذلك الدليل

ان اتهام كبار المصلحين بالوهابية في بلاد العرب و بالفرماسونية في بلاد الترك و بالبابية في بلاد العجم و بالدهرية والمروق في بلاد الروسيا صار امرا معروفا ومشهورا جدا . وان تعجب فعجب نعت خيرة رجال الاسلام بتلك النعوت مثل جمال الدين الافغاني مع انهم هم وحدهم المعروفون بالمدافعة عن الدين الاسلامي وهم انفسهم المجتهدون في ترقية بنيه بتربيتهم تربية صحيحة وهم الذين افنوا عمرهم الثمين بانشاء المدارس ليجعلوا لابناء أمتهم حظا من العلوم التي تنهض بهم من حضيض الذل الى اوج العز وتؤهلهم للجهاد في معترك هذه الحياة ليخرجوا من اسر المغلوبية

اذا اعترض علينا معترض من أهل الملل الاخرى قائلا : انكم تتهمون أفضل رجالكم واعلمهم واعقلهم واعلاهم قدرا واشدهم غيرة على ملتكم بالمروق والدهرية والفرماسونية والوهابية مع انهم لا يريدون لكم الا الخير والرقي والسعادة فلماذا ؟ ألأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل والادب والحمية وحسن الخلق ؟؟ فماذا يكون جوابنا ترى ؟

اذا بحثنا في تاريخ الرجال الغيورين في القطر المصري الذين يدأبون على منفعة

الاسلام ويخدمون المسلمين خدمة صادقة نجد انهم تلامذة جمال الدين الافغاني وانهم انما نبغوا بفضل تربيته القويمة

لو كان الرجل مارقا من الدين كما يقولون لما قدر ان يوجد رجالا ممتلئين غيرة على الدين وأهله يخدمونه أجل الخدم (لان فاقد الشيء لا يعطيه) ولاهم لهم سوى ترقي الانسانية بكل همة ونشاط

ان جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ضاقت عليه الارض بما رحبت سواء كان في الافغان أو العجم أو تركيا أو أوربا ولم يسمح له ان يقيم في احدى هذه البلاد ناعم البال منشرح الصدر . ولو كان من محبي المال والجاه والمناصب العالية لترك ما اضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة والقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامي ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدي الى النوم الابدي ان لم يسعف بالمنبهات من مثل ارشاد جمال الدين

نعم لو ان جمال الدين ترك خدمة الاسلام واشتغل ببث افكاره في العالم ولم يعمد الى ايقاظهم لانهالت عليه سحب الدنانير ولكان موضع الاحترام وصاحب المقام الذي لا يرام في جميع البلاد

ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفس السامية لم تنزل به في هذا الحضيض حضيض المجد الزائل فما زال مشمرا عن ساعد الجد مجتهدا بترويج مقاصده الخيرية يصارع الايام و يكافح النوائب غير هياب ولو وجل وثبت في موقف يتعذر على غيره الوقوف فيه حتى صح ان يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصدقت عليه عبارة كمال بك التركي « احسن شيء وافضله في هذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

هذا وان الذين يفترون على جمال الدين الافغاني بالمروق والوهابية تراهم لا يألون جهدا برمي الشيخ محمد عبده با كثر مما رموه به (كان الكفر والمروق على نسبة النفع للامة) نعم ان لهؤلاء الافاكين مصنع كفر لا يفتأ يصوغ من حلى الكفر اجودها لهؤلاء الرجال العظام فانا ارجو منهم بعد النظر في مؤلفات الشيخ محمد عبده ان يثبتوا لي علامات الوهابية التي ينكرونها عليه ولو بأي صفة كانت ويظهروها للملا

ان بعض الناس يقول « انه لا موازنة بين زهد الشيخ محمد عبده و بين علمه » (١) وربما كان كذلك وهل اذا امضى الشيخ محمد عبده عمره معتكفا بالمساجد مواظبا على صلاة النافلة أ كان يفيد الاسلام اكثر مما افاده ؟ اننا لا نظن ذلك بل ان رده على عالم افرنجي مثل هانوتو ومدافعته عن حقوق الملايين من المسلمين هي في نظرنا أحسن عملا واكثر ثوابا من الاعتكاف وصلاة النافلة

انظروا الى قول عمر رضي الله عنه لأبي قلابة التابعي « أن اكتسابك الرزق لعيالك أحسن عندنا من اقامتك في المسجد » وهل يعجز أبو قلابة عن تربية عياله وأولاده في زمن يعيش فيه الناس بقليل من النفقة عيشة الرفاهية من غير تجشم مشاق الكسب ؟ ومع ذلك فقد أمره عمر رضي الله عنه بالكسب ونهاه عن الاقامة في المسجد

اما محمد عبده فانه لم يكن مثل ابي قلابة ولا هو في زمن مثل زمنه بل هو في زمن يحتاج فيه ان يشمر عن ساعد الجد لاجل تربية عائلة تبلغ الملايين من الاشخاص

هانحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا مثل جمال الدين ومحمد عبده وقد مضيا الى خالقهما وتركانا كالماشية بلا راع بل اننا اصبحنا واقفين موقف الحيرة لا ندري ماذا نعمل ولا نهتدي طريق النجاة

فالواجب علينا ان نذكر مثل هذين الاستاذين بالخير لانهما خدما الدين وكانا من حماته وأن نسأل لهما من الله الرحمة والغفران لكي ينالا جزاء عملهما الصالح نعم ويجب أن نعترف بفضلهما وارشادهما لئلا تجهلنا الاجيال المقبلة وتعيبنا حيث اننا لا نعرف لاهل الفضل فضلهم ولأجل أن يعلم القوم الآخرون اننا أناس نعرف فضل المصلحين واننا لسنا ممن يكفرون النعم ، ويحسن ان أوردهنا حكاية صغيرة وأجعلها ختاما لهذا الموضوع وهو أنه قابلني قبل خمس سنوات رجل افرنجي وقال لي « انكم قوم محرومون من معرفة الصناعة وانتم معذورون في هذا أما في عدم تفكركم في معرفة قدر الرجال فلستم بمعذورين بل ان هذا ذنب لكم لا يغتفر وهو من أشنع الذنوب » فاعتبروا يا أولي الابصار .

(١) عبارة الاصل مشوشة

الخلافة الاسلامية
(والجامعة العثمانية)(*)

١

« افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »
« قرآن كريم »

ان الدين أعظم مهذب للنفوس وآثاره تظهر في الناس بقدر استعدادهم للخير أو الشر وبهذا كان التباين الذي لولاه لما ثبت دين اذ لو توحدت الفكرة الدينية لزالت الصعوبات لان كل فريق مضطر ان يناضل الآخرين ليثبت لهم انه على حق . وما هي البراهين التي تحملنا على تصديق فريق وتكذيب آخر ؟ لماذا نعتبر والد ابراهيم مخطئا في عبادة الاصنام ولماذا نحبذ فعل ابراهيم عليه السلام لتحطيمه تلك الاصنام وعبادته الحي القيوم الذي لا يغفل ولا ينام ؟ «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم» الآية

يتأمل الانسان فيما حوله من الكائنات فيجدها سائرة بنظام واحد ميسرة لما خلقت له « ماترى في خلق السموات من تفاوت» . وما الطبيعة الا ذلك الناموس الذي يخضع له كل شيء في الوجود واني بقدر ماوصل اليه بحثي اعتقد اعتقادا راسخا أن الاسلام هو الدين الطبيعي أو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ذلك هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وان جميع مبادئه موافقة

(*) لعلي افندي فهمي الكاتب المعروف

للنواميس الطبيعية واني أؤمل ان كل محب للحقيقة يسلم معي بهذا الاعتبار ويعترف بما للاسلام من المزايا النافعة والمبادئ الشريفة

طرق كثير من كتاب الغرب باب الكلام في الاسلام، ونبيه عليه الصلاة والسلام ، ومن سوء حظي اني لم أتمكن من الوقوف على آراء السابقين وان فزت ببعض آراء اللاحقين مثل دانيل ولوثر وملانشون وهربوات . ولكني أرى هؤلاء الناس يتطاولون على ماليس لهم به خبر شأن كثير من بني الانسان في كل زمان ومكان. ليست دهشتي من الذين يذمون الاسلام مثل هانوتو ولورد كرومر با كثر من دهشتي لمارثين لوثر وهو ذلك الحر الابي المفكر الذي كون المذهب البروتستاني بالرغم عن سلاسل واغلال الفاتيكان في العصور الوسطى . ولكن الاغراض السياسية تسربت الى نفوس هؤلاء الكتاب فاعمت بصيرتهم فلم يخطوا الا ماتوحيه اليهم اغراضهم . الا ان الحق لايعدم انصارا وانا لذا كرون هنا في مقدمة هذه الرسالة بعض آراء المنصفين من كتاب الغرب في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ليرى كل منصف ان الاسلام لايعدم من الاعداء ظهيرا وكفى بالله وليا ونصيرا.

كتب مستر جون ويفنبورت الرحالة الشهير في كتابه (تاريخ محمد): « هل في الامكان انكار فضل رجل (يعني النبي صلعم) قام باصلاحات عظيمة خالدة لبلاده بان جعل جميع أهلها يعبدون الله الواحد القهار ويهجرون عبادة الاصنام ذلك الذي منع قتل الموؤدة وحرم شرب الخمر ولعب الميسر؟ »

وكتب ادوارد جيبون : «ان دين محمد خال من الشكوك والظنون والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله بعدان نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب

وهذا الدين أكبر وأجل من ان تدرك اسراره العويصة عقولنا الحالية »

وكتب مستر ديفو نويت في كتابه (اعتذار الى محمد والاسلام): « انه لمن الحماقة ان نظن ان الاسلام قام بحد السيف وحده لان هذا الدين الذي يهدي للتي هي أقوم - يحرم سفك الدماء ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويجب ان نعترف هنا بان علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات - التي أنعشت أوربا منذ القرن العاشر - مقتبسة ومقتطفة من القرآن (؟) بل ان أوربا مدينة للاسلام بأكثر من ذلك لانه الدين الذي أمر بالدستور والديموقراطية ونهى عن الاستبداد في قوله (تعالى) «وأمرهم شورى بينهم» « وشاورهم في الامر » . منح الاسلام الانسان جميع حقوقه المدنية ولتتذكر أوربا انها مدينة للمسلمين انفسهم بحفظ آداب الغرب القديمة حينما كانت هي في ظلام دامس فحفظوا آثار فلاسفة اليونان وانشأوا علوم الطب والهندسة وغيرها . وبعبارة أخرى ان المسلمين هم اساتذة أوربا أثناء همجيتها من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر »

وكتب كاتب مقالة تحت عنوان (الشرق والغرب) جاء فيها: « لقد ساوى الاسلام بين جميع الناس في الحقوق السياسية ورفع عن كواهلهم الضرائب الفادحة في قديم الزمان وحفظ لهم جميع حقوقهم وذم استعباد الانسان للانسان » ومع ذلك فان ساسة أوربا وخصوصا الانجليز منهم لايدخرون وسعا في التطاول على الاسلام ورميه بكل نقيصة وانه داعية التأخر بمناسبة وبغير مناسبة ، من ذلك انه عندما حصل اعتصاب طلبة الازهر قالت التيمس والجرائد التي على شاكلتها ان الازهريين ميالون للتأخر وهذه الافتراآت تنافي ميل علماء الاسلام وتعاليمه على خط مستقيم . قال أحد فضلاء الانجليز

في احدى الجرائد بهذه المناسبة: «اننا نعتقد انه اذا كان ثمة دين خال من مبادئ التقهقر فما هو الا الدين الاسلامي الحنيف» وهل يقدر انسان على نسيان ماقام به علماء الازهر وشيخ الاسلام نفسه في اثناء تلك الحركة الدستورية التي قامت سنة ١٨٨٢ ؟ من غير العلماء اصدر قرارا ضد توفيق باشا؟ ألم يكن شيخ الاسلام في الآستانة هو الذي قال للسلطان: ان الشورى ليست من روح الاسلام فقط بل انه يأمر بها أمرا ؟ ومن قام في مجلس المبعوثان وخطب الخطب العصماء بوجوب مساواة جميع العناصر العثمانية بصرف النظر عن الملل والنحل في مصالح الوطن غير العلماء ؟

ولقد قام العلماء بمثل هذا العمل في روسيا فانه لما كان الارمن والتتر يفتك بعضهم ببعض سنة ١٩٠٥ على مرأى من البوليس الروسي في باكو كان رجال الدين المسلمون أول من نهض لحسم النزاع بين الطوائف والعشائر . وهاهم رجال الدين الاسلامي يبذلون جهدهم في سائر البلاد ويحثون التتر على تشييد المدارس لنشر العلوم الحديثة لترقية ابنائهم والقاء المحاضرات التي تعصمهم عن ارتكاب الآثام

ولكن الحكومة لسوء الحظ تحاول ايقافهم عن مساعيهم الحميدة خوفا من أن يستنير الاهالي فيسعوا لاسقاطها ويتوسعوا بطلب حقوقهم منها. ومن عجيب مايلاحظ ان مسيحيي تلك الجهة ومعظمهم من الفلاحين قد تأثروا بارشاد رجال الدين الاسلامي وسعيهم وراء العلوم والمعارف فدخل الكثيرون منهم في دين الله أفواجا واضطرت الحكومة ان ترسل الى تلك النواحي مرسلين خصوصيين لمقاومة تلك الحركة الضارة في نظرها. هذا هو الاسلام وهؤلاء هم رجاله ومع ذلك فان سواس الانجليز

لا يخجلون من أن يصموه ويصموا رجاله بالتأخر والتقهقر .

ولا شك في أن آراء أولئك المنصفين من رجال الغرب اكبر حجة عليهم اذ أقروا بأن هذا الدين القويم لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فتم بذلك قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» .

ولا عجب أن يقر أولئك الناس بفضل النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أقروا بعجزهم عن معارضة فحوى آيات الذكر الحكيم القائل «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» «وانك لعلى خلق عظيم» «ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك» وهذه الآيات مصداق للحديث الشريف «أدبني ربي فأحسن تأديبي» أو كما قال

يدعون ان الاسلام خال من الوطنية فهل يقتنع أولئك المفترون بما جاء في الذكر الحكيم: «رب اجمل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» ألا يخجلون من حكاية أبي رثال الذي دل صاحب الفيل على طريق وطنه وخان بلاده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم قبره كما فعل هو ذلك بيده الشريفة ؟ ألم يأتهم نبأ الحديث المتداول «حب الوطن من الايمان»

يدعون ان الاسلام دين توا كل وتقاعد لا عمل ولا نشاط فيه . وهذا قول مردود ودعوى كاذبة بنص الذكر الحكيم «وان ليس للانسان الا ماسعى» والحديث المتداول على الالسنة ايضا «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» والحديث الشريف «ليس بخيركم من أخذ من هذه وترك هذه انما خيركم من أخذ من هذه وهذه»

يدعون ان الاسلام لا يلائم بعض العلوم الحديثة مع انها في الحقيقة ونفس الامر فرية يدحضها ما حواه القرآن الشريف أصل هذا الدين الحنيف من الحث على العلم والسعي واكتشاف اسرار الطبيعية قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » « قل انظروا في السموات والارض » « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ومما خلق الله من شيء » « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

يزعمون ان الاسلام استعبد المرأة ويستدلون على ذلك بالحجاب أو النقاب ولا يفقهون ان ذلك يعزى الى العوائد التقليدية اكثر مما يعزى الى الاصول الدينية . ولقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فلم يجعلها متاعا له كما يزعمون نظرا لإباحة الطلاق وتعدد الزوجات ولا يدرون ان هذه التصرفات تكون لأسباب غير عادية وانه اذا افرط فيها المسلمون فذلك راجع لأخلاقهم الشخصية وليس افراطهم هذا من الدين في شيء. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « فاذا خفتم الا تعدلوا فواحدة الى قوله تعالى «ذلك أدنى الا تعولوا » ثم جاء بعد ذلك « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وفي حديث شريف « ابغض الحلال الى الله الطلاق » . وفي قوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان ذلك لآيات لقوم يتفكرون » فمن ذلك يرى المنصف ان تعدد الزوجات والطلاق أمران يكادان يكونان محرمين في الاسلام .

لقد أباح الاسلام للمرأة حتى القضاء فاذا منحها غيره من الاديان من هذه الجهة؟

ينكر هؤلاء القوم على المرأة مطالبتها بحقوقها بصفتها حقوقا لاهبة كما هو الحاصل الآن في أمريكا وأوربا ثم يطنطنون باستعباد المرأة في الاسلام وهي تطالبهم ببعض ما منحه الاسلام لها فيسخرون منها ! جاء في الذكر الحكيم : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » وهي ميزة لا تكاد تذكر والسبب فيها أن الرجل بناء على النظامات الكونية هو الذي يسعى ويكد وهي اكثر منه راحة في خدرها بوجه العموم وهي معرضة للتأثيرات القلبية والنفسانية التي قد تتغلب على العقل فكان الرجل في هذا المعنى كشكيمة لتطرف النفس والعقل .

يدعون ان الاسلام دين حرب وعداء، لا سلام وصفاء، ويقيمون على ذلك دليلا معكوسا من الفتوحات التي تمت في صدر الاسلام ولو أبصر هؤلاء المدعون لعلموا ان تلك الفتوحات لو تمت على أيدي غير المسلمين لاذيقت تلك الامم التي غلبت على أمرها أنواع الذل والمسكنة بناء على قواعد الاستعمار الاوربية التي لا يسع المقام شرحها . جاء في القرآن : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » هذا ما كان يعمل به الفاتحون من أمراء الاسلام أفلا تخجل أوربا اذا قارنت به عملها اليوم في الشعوب التي أخنى عليها الدهر فوقعت تحت سلطانها؟ جاء في القرآن الكريم « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

لها » ولم يكن القتال في الاسلام الا لتأييد الدعوة وللدفاع عنها قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » هذه بعض آيات من الذكر الحكيم فأين أمرها مما قاله المستر موط المرسل الامريكي في خطاب القاه على جمهور من المرسلين في الشرق الادنى : « بواسطة مئة رجل نظيركم يحتملون الصعاب وعشرين الف جنيه يقدر الله ان يلاشي الاسلام وينتاش بلاد العرب من قبضة الشيطان !!! » ؟

ان نصارى الشرق لم يأمنوا الاكراه على ترك دينهم بفضل شجاعة افرادهم ولا بعجائب كنيستهم ولكن الذي وقاهم ذلك انما هو ماأوردناه من الآيات القرآنية فانها ضمنت لهم سلامة استقلالهم الديني وصانت عقيدتهم من كل اعتداء ولو كان المسلمون الآن كما كانوا في صدر الاسلام لما أمكن أولئك المرسلين ان يأتوا بمعشار مايفعلونه في الشرق الآن بل لانتشر الاسلام في سائر انحاء العالم لانه دين مساوق للطبيعة ملائم للنوع الانساني في جميع اطواره يقبله كل عقل فطري لم تدنسه التقاليد . بل لو كان المسلمون الآن كما كانوا عليه في صدر الاسلام لما قدرت أوربا بأن تستعمر شبرا واحدا من بلادهم أو بلاد الشرق أو تستعبد قبيلة واحدة فيها. قال الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده «ان الازهر كالاسد محبوس في قفص والحكومة المصرية كالحارس على بابه فاذا فتح ذلك الباب كان أول فريسة لذلك الاسد ذلك الحارس» (١) ونحن نزيد على ذلك انه لو فتح ذلك الباب وتنسم ذلك الاسد نسيم الحرية لاعاد الشرق الى الشرق والغرب الى الغرب

(لها بقية)

(١) المنار : تفتقر هذه العبارة الى اثبات ورودها عن الاستاذ الامام

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(الاربعاء ٣٠ شوال ١٣٢٨ - ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٨٦ﻫ ١٩١٠ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٤٧:٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا
(٤٨:٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ، وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

قال الرازي في وجه الاتصال بين هذه الآيات وما قبلها: اعلم انه تعالى لما ذكر من أول هذه السورة الى هذا الموضع أنواعا كثيرة من التكاليف والاحكام الشرعية قطع ههنا ببيان الاحكام الشرعية وذكر احوال اعداء الدين وأقاصيص المتقدمين لان البقاء في النوع الواحد من العلم مما يكل الطبع ويكدر الخاطر فاما الانتقال من نوع من العلوم الى نوع آخر فانه ينشط الخاطر ويقوي القريحة اه وقال النيسابوري الذي اختصر التفسير الكبير للرازي في تفسيره: ثم انه سبحانه لما ذكر من أول السورة الى هنا أحكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من آثار المتقدمين وأحوالهم لان الانتقال من اسلوب الى أسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة اه

أقول غلط المفسران كلاهما في قولهما ان الكلام انتقال الى ذكر أحوال المتقدمين وإنما هو انتقال الى ذكر أحوال المعاصرين للنبي (ص) من أهل الكتاب فكأنهما توهما ان الآية نزلت في زمنها وما قالاه في الانتقال من اسلوب الى آخر صحيح وهو أعم مما نحن فيه وقال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

الكلام انتقال من الاحكام وما عليها من الوعد والوعيد الى بيان حال بعض الامم من حيث أخذهم بأحكام دينهم وعدمه ليذكر الذين خوطبوا بالأحكام المتقدمة بأن الله تعالى مهيمن عليهم كما هيمن على من قبلهم فاذاهم قصروا يأخذهم بالعقاب الذي رتبه على ترك أحكام دينه في الدنيا والآخرة. والمنتظر من المؤمنين بعد ذكر الاحكام الماضية وما قرنت به من الوعد والوعيد أن يأخذوا بها على الوجه الموصل الى اصلاح الأنفس وهو أثرها المراد منها وذلك بأن يؤخذ بها في صورتها ومعناها لا في صورتها فقط ولكن جرت سنة الله في الأمم أن يكتفي بعض الناس من الدين ببعض الظواهر والرسوم الدينية كما جرى عليه بعض اليهود في القرابين وأحكام الطهارة الظاهرة وهذا لا يكفي في اتباع الدين والقيام به على الوجه المصلح للنفوس كما أراد الله من التشريع فاراد الله تعالى بعد بيان بعض الاحكام التي لها رسوم ظاهرة كالغسل والتيمم ان يذكر المسلمين بحال بعض الامم التي هذا شأنها وكون هذا لم يغن عنها من الله شيئا ولم ينالوا به مرضاته ولم يكونوا به أهلا لكرامته ووعده فقال

﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ قال ابن جرير نزلت في طائفة من اليهود وروى ذلك عن ابن عباس وغيره ويرى بعضهم ان أهل الكتاب فيها أعم والرؤية في قوله تعالى «ألم تر» قلبية علمية كما قال ابن جرير وقيل بمعنى النظر والمعنى ألم ينته علمك أيها الرسول أولم تنظر الى هؤلاء الذين أعطوا نصيبا أي حظا وطائفة من الكتاب الالهي كيف حرموا هدايته واستبدلوا بها ضدها فهم يشترون الضلالة باختيارها لانفسهم بدلا من الهداية ويريدون أن تضلوا السبيل أي طريق الحق القويم كما ضلوا فهم يكيدون لكم ليردوكم عن دينكم إن استطاعوا. والتعبير بالنصيب يدل على انهم لم يحفظوا كتابهم كله وذلك أنهم لم يحفظوه في زمن انزاله عن ظهر قلب كما حفظنا القرآن ولم يكتبوا منه نسخا متعددة في العصر الاول كما فعلنا حتى اذا ماقد بعضها قام مقامه البعض الآخر بل كان عند اليهود نسخة واحدة من التوراة هي التي كتبها موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ففقدت كما بينا ذلك في تفسير الآية الاولى من سورة آل عمران (ص ١٥٥ - ١٥٩ من الجزء الثالث من التفسير) وفيه بحث تاريخ كتابتها وحقيقة الموجود الآن منها وبحث كتابة الانجيل كذلك. ويؤيد ذلك قوله تعالى في كل من اليهود والنصارى «فنسوا حظا مما ذكروا به» وسيأتي في سورة المائدة فهو تصريح بمفهوم ماهنا، يقول هنا انهم أوتوا نصيبا أي حظا ويقول هناك انهم نسوا حظا، فالكلام يؤيد ويصدق بعضه بعضا والتعبير بأوتوا الكتاب في موضع آخر لا يعارضه لان الكتاب للجنس ومن لم يعرف هذه الحقيقة من المفسرين قال ان المراد بالكتاب علمه

وقال الاستاذ الامام قال أوتوا نصيبا من الكتاب لانهم لم يأخذوا الكتاب كله بل تركوا كثيرا من أحكامه لم يعملوا بها وزادوا عليها والزيادة فيه كالنقص منه فالتوراة تنهاهم عن الكذب وإيذاء الناس وأكل الربا مثلا وكانوا يفعلون ذلك وزاد لهم علماؤهم ورؤساؤهم كثيرا من الاحكام والرسوم والتقاليد الدينية فهم يتمسكون بها وليست من التوراة ولا مما يعرفونه عن موسى عليه السلام وهم يدعون اتباعه في الدين فالامر المحقق الذي لا شك فيه هو انهم يعملون ببعض أحكام التوراة

وقد أهملوا سائرها ففي مقام الاحتجاج بالعمل بالدين وعدمه يذكر الواقع وهو انهم لم يؤتوا الكتاب كله اذ لم يعملوا به كله وانما عملوا ببعضه ، وفي مقام الاحتجاج عليهم بالايمان بالنبي والقرآن يناديهم « ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا » الخ كما ترى في الآية التالية لهذه الآية ومثلها كثير

هذا ماقرره الاستاذ في الدرس ولما انتهى الى هنا قلت أليس التعبير بالنصيب إشارة أو نصا على أنهم لم يحفظوا الكتاب كله بل فقدوا حظا ونصيبا آخر منه؟ فقال بلى فأجاز مافهمته وأقره وكنت بينت هذا من قبل في الكلام على شريعة حمورابي ونسبتها الى التوراة وماهي التوراة وذلك في المجلد السادس من المنار . فالذي لم يعملوا به من التوراة على مااختاره الاستاذ الامام يكون قسمين أحدهما ماأضاعوه ونسوه وثانيهما ماحفظوا حكمه وتركوا العمل به وهو كثير أيضا . وقال بعض المفسرين ان المراد بما أضاعوه من الكتاب نعت نبينا (ص) وجعل بعضهم اشتراء الضلالة هو بذل المال لتأييد اليهودية والكيد للاسلام ومقاومته فقال كان بعض عوام اليهود يعطون أحبارهم المال ليستعينوا به على ذلك

﴿ والله اعلم باعدائكم ﴾ أي والله أعلم منكم بأعدائكم ذواتهم كالمنافقين الذين تظنون انهم منكم وما هم منكم وأحوالهم وأعمالهم التي يكيدون بها لكم في الخفاء وما يغشونكم به في الجهر بابراز الخديعة في معرض النصيحة واظهار الولاء لكم والرغبة في نصركم ﴿ وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ لكم يتولى شؤونكم بارشادكم الى مافيه خيركم وفوزكم وينصركم على اعدائكم بتوفيقكم للعمل باسباب النصر من الاجتماع والتعاون والتناصر واعداد جميع مايستطاع من وسائل القوة فلا تغتروا بولاية غيره ولا تطلبوا النصر الا منه باتباع سننه في نظام الاجتماع وهدايته في القرآن ومنها عدم الاعتماد على الاعداء وأهل الأثرة الذين لايعملون الا لمصلحة انفسهم كاليهود . وكفى بالله وليا أبلغ من كفى الله وليا أو كفت ولاية الله لان الكفاية تعلقت بذاته من حيث ولايته

قد كان اليهود في الحجاز كالمشركين أشد الناس عداوة للمسلمين ومقاومة لهم

كما أخبرنا العليم الخبير في سورة المائدة ثم كان من مصلحتهم فوز المسلمين في فتح سورية وفلسطين ثم الأندلس ليسلموا بعدلهم من ظلم النصارى لهم في تلك البلاد فكانوا مغبوطين بالفتح الاسلامي وقد كانوا يظلمون في جميع بقاع الارض غير الاسلامية حتى كان ما كان بكيدهم وسعيهم من هدم صروح استبداد البابوات والملوك المستعبدين لهم في أوربا وادالة الحكومات المدنية من حكم الكنيسة فظلوا يُظلمون في روسيا واسبانيا لأن السلطة فيها دينية وقد كادوا ولا يزالون يكيدون لهدم نفوذ الديانة النصرانية من هاتين المملكتين باسم الحرية والمدنية ونفوذ الجمعية الماسونية كما فعلوا في فرنسة وان لهم يدا فيما كان في روسية من الانقلاب وفيما تتمخض به اسبانية الآن، فهم يقاومون كل سلطة دينية تقف في وجههم لاجل تكوين سلطة دينية لهم وقد كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لا لأنهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية فانهم كانوا آمن الناس من الظلم فيها حتى انهم كانوا يفرون اليها لاجئين من ظلم روسية وغيرها وانما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك اسرائيل وكانت الحكومة العثمانية تعارضهم في امتلاك الارض هناك فلا يملكون شيئا منها الا بالحيلة والرشوة ولهم مطامع أخرى مالية في هذه البلاد فهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة لتساعدهم على ما يبتغون فاذا لم تتنبه الامة العثمانية لكيدهم وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم فان الخطر من نفوذهم عظيم وقريب فانهم قوم اعتادوا الربا الفاحش فلا يبذلون درهما من المساعدة الا لينالوا مثقالا أو قنطارا من الجزاء ، واذا كانوا بكيدهم وأموالهم قد جعلوا الدولة الفرنسية ككرة اللاعب في أيديهم فازالوا منها سلطة الكنيسة وكانت تدعى بنت الكنيسة البكر وحملوها على الظلم في الجزائر وهي التي تفاخر الامم والدول بالعدل والمساواة وهي في الذروة العليا من العلم والمدنية والسياسة والثروة والقوة أفلا يقدرون على أكثر من ذلك في الحكومة العثمانية وهي على ما نعلم من الجهل والضعف والحاجة الى المال ؟ ؟ وطمعهم فيها أشد، وخطره أعظم، فان بيت المقدس له شأن عظيم عند المسلمين والنصارى كافة فاذا تغلب اليهود فيه ليقيموا فيه ملك اسرائيل ويجعلوا المسجد الاقصى (هيكل

سليمان) ـ وهو قبلتهم ـ معبدا خالصا لهم يوشك أن تشتعل نيران الفتن ، ويقع ما نتوقع من الخطر ، وفي الأحاديث المنبئة عن فتن آخر الزمان ما هو صريح في ذلك فيجب ان تجتهد الأمة العثمانية في دره ذلك ومدافعة سيله بقدر الاستطاعة لئلا يقع في ابان ضعفها فيكون قاضيا على سلطتها ونسأل الله السلامة

﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ هذا بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب واتصفوا بالضلالة والاضلال وقوله « والله أعلم بأعدائكم » الخ جمل معترضة بين البيان والمبين أو بيان لأعدائكم والاعتراض ما بينهما ، أو متعلق بنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا ، أو التقدير من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم كما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما أموت وأخرى ابتغي العيش اكدح

أي فمنهما تارة أموت فيها الخ ومثله كثير ، والأول أظهر . وتحريف الكلم عن مواضعه هو إمالته وتنحيته عنها كأن يزيلوه بالمرة أو يضعوه في مكان غير مكانه من الكتاب أو المراد بمواضعه معانيه كان يفسروه بغير ما يدل عليه قال الاستاذ الامام التحريف يطلق على معنيين (أحدهما) تأويل القول بحمله على غير معناه الذي وضع له وهو المتبادر لأنه هو الذي حملهم على مجاحدة النبي (ص) وإنكار نبوته وهم يعلمون إذ أولوا ولا يزالون يؤولون البشارات به الى اليوم كما يؤولون ما ورد في المسيح ويحملونه على شخص آخر لا يزالون ينتظرونه (ثانيهما) أخذ كلمة أو طائفة من الكلم من موضع من الكتاب ووضعها في موضع آخر وقد حصل مثل هذا التشويش في كتب اليهود : خلطوا فيما يؤثر عن موسى عليه السلام ما كتب بعده بزمن طويل وكذلك وقع في كلام غيره من الأنبياء وقد اعترف بهذا بعض المتأخرين من أهل الكتاب وانما كان هذا منهم بقصد الاصلاح . وهذا النوع من التحريف لا يضر المسلمين ولم يكن هو الحامل على إنكار ما جاء به النبي (ص)

هذا ما قرره الاستاذ الامام في الدرس وكتبت في مذكرتي عند كتابته كأنه وجد عندهم قراطيس متفرقة أي بعد أن فقدت النسخة التي كتبها موسى عليه السلام فأرادوا أن يؤلفوا بين الموجود فجاء فيه ذلك الخلط ، وهذا سبب ما جاء

في أسفار التوراة من الزيادة والتكرار . وقد اثبت العلماء تحريف كتب العهد العتيق والعهد الجديد بالشواهد الكثيرة وفي كتاب (اظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي رحمه الله تعالى مئة شاهد على التحريف اللفظي والمعنوي فيها والأول ثلاثة أقسام تبديل الالفاظ وزيادتها ونقصانها

فمن الشواهد على الزيادة ماجاء في سفر التكوين «٣٦ : ٣١ وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في ارض ادوم قبل أن ملك ملك لبني اسرائيل » ولايمكن ان يكون هذا من كلام موسى عليه السلام لانه لم يكن لبني اسرائيل ملك في تلك الارض الا من بعده وكان أول ملوكهم شاول وهو بعد موسى بثلاثة قرون ونصف . وقد قال آدم كلارك أحد مفسري التوراة : اظن ظنا قويا قريبا من اليقين ان هذه الآيات (اي من ٣٢ ـ ٣٩) كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن الناقل انها جزء المتن فأدخلها فيه !!

ومنها في سفر تثنية الاشتراع «٣ : ١٤ يائير بن منسّى اخذ كل كورة ارجوب الى تخم الجشوريين والمعكيين ودعاها على اسمه باشان حووث يائير الى هذا اليوم » قال هورن في المجلد الاول من تفسيره بعد إيراد هذه الفقرة والفقرة السابقة « هاتان الفقرتان لايمكن ان يكونا من كلام موسى (عليه السلام) لان الاولى دالة على ان مصنف هذا الكتاب (سفر التكوين او التوراة كلها) وجد بعد زمان قامت فيه سلطنة بني اسرائيل ، والفقرة الثانية دالة على ان مصنفه كان بعد زمان اقامة اليهود في فلسطين» الى آخر ما قاله ومنه ان هاتين الفقرتين ثقل على الكتاب ولاسيما الثانية .

وقد صرح هؤلاء المفسرون بأن عزرا الكاتب قد زاد بعض العبارات في التوراة وصرحوا في بعضها بأنهم لا يعرفون من زادها ولكنهم يجزمون بأنها ليست مما كتبه موسى . وكثرة الالفاظ البابلية في التوراة تدل على انها كتبت بعد سبي البابليين لبني اسرائيل وهنالك شواهد على تحريف سائر كتبهم تراجع في الكتب المؤلفة لبيان ذلك

﴿ ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ﴾ أي ويقول هؤلاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعنا قولك وعصينا أمرك روي عن مجاهد انهم قالوا

سمعنا قولك ولكن لا نطيعك ، و يقولون له أيضا « اسمع غير مسمع » قال المفسرون ان هذا دعاء عليه زاده الله تكريما وتشريفا ومعناه لا سمعت أولا أسمعك الله ، وهذا في مكان الدعاء المعتاد من المتأدبين للمخاطب : لا سمعت مكروها ، أولا سمعت أذى ، وقيل معناه غير مقبول ما تقول وهذا مروي عن مجاهد . وقال الاستاذ الامام يحتمل أن يكون المعنى واسمع شيئا لا يستحق أن يسمع ، وأما « راعنا » فقد روي أن اليهود كانوا يتسابون بكلمة « راعينا » العبرانية أوالسريانية فسمعوا بعض المؤمنين يقولون للنبي (ص) راعنا من المراعاة أو بمعنى ارعنا سمعك فافترصوها وصاروا يلوون ألسنتهم بالكلمة ويصرفونها الى المعنى الآخر ﴿ ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ﴾ فيجعلونها في الظاهر راعنا و بليّ اللسان وإمالته « راعينا » ينوون بذلك الشتم والسخرية أوجعله راعيا من رعاء الشاء أو من الرعن والرعونة » قال في الكشاف (فان قلت) كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا (قلت) جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به اه ، وقد تقدم شرح ذلك في تفسير (٢: ١٠٣ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) من سورة البقرة و بينا هنالك ان الاستاذ الامام لم يرتض ما قالوه في كون هذه الكلمة سبا بالعبرانية واختار في تعليل النهي عنها انها لما كانت من المراعاة وهي تقتضي المشاركة نهوا عنها تأديبا لهم اذ لا يليق ان يقولوا للنبي (ص) ارعنا نرعك كما هو معنى المشاركة كما نهوا أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض (قال) وهناك وجه آخر يقال في اللغة : راعى الحمار الحمر ، اذا رعى معها فكان اليهود يحرفون الكلمة الى هذا المعنى وان كان فيها سب لأنفسهم على حد « اقتلوني ومالكا » ، ومن تحريف اللسان وليه في خطابهم للنبي (ص) قولهم في التحية « السام عليكم » يوهمون بفتل اللسان وجمجمته انهم يقولون السلام عليكم وقد ثبت هذا في الصحيح وانه كان عليه السلام بعد العلم بذلك يجيبهم بقوله « وعليكم » أي كل أحد يموت

﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ﴾ أي لو أنهم قالوا سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، واسمع مانقول وانظرنا أي أمهلنا وانتظرنا ولا تعجل علينا ، يقال نظره بمعنى انتظره وهو كثير في القرآن ، أو انظر الينا نظر رعاية و رفق لكان خيرا لهم وأقوم مما قالوه لما فيه من الادب والفائدة وحسن العاقبة

﴿ ولكن لعنهم الله بكفرهم ﴾ أي خذلهم وأبعدهم عن الصواب بسبب كفرهم أي مضت سنته في طباع البشر واخلاقهم ان يمنع الكفر صاحبه من مثل هذه الروية والادب ، ويجعله طريدا لايدلي الى الخير والرحمة بحبل ولا سبب ، ﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ من الايمان لا يعتد به اذ لا يصلح عمل صاحبه ولا يزكي نفسه ولا يرقي عقله ولو كان إيمانهم بكتابهم ونبيهم كاملا لكان خير هاد لهم الى الايمان بمن جاء مصدقا لما معهم من الكتاب ومهيمنا عليه يبين مانسوا منه وما حرفوا فيه ، ثم انه جاء باصلاح جديد في اتمام مكارم الاخلاق ونظام الاجتماع وسائر مقاصد الدين فمن كان على شيء من الخير وجاءه زيادة فيه لايكون الا مغبوطا بها حريصا على الاستفادة منها ـ أو لايؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فان الامة مهما فسدت لايعم الفساد جميع أفرادها بل تغلب سلامة الفطرة على أناس يكونون هم السابقين الى كل إصلاح جديد، هكذا كان وهكذا يكون فهي سنة من سنن الله في الاجتماع، وقد نبهنا من قبل على دقة القرآن في الحكم على الامم اذ يحكم على الاكثر فاذا عم الحكم يستثني وهي دقة لم تعهد في كلام البشر

(٤٦ : ٤٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

خاطبهم في هذه الآية بالذين أوتوا الكتاب كما تقدم آنفا في تفسير أوتوا نصيبا

من الكتاب فذلك نعي عليهم بما اضاعوا وحرفوا ،وهذا إلزام لهم بما حفظوا وعرفوا، يقول ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتب ﴾ الآيه أي جنسه على ألسنة أنبيائهم أو التوراة خاصة ﴿ آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ﴾ منه من تقرير التوحيد الخالص واتقاء الشرك كله صغيره وكبيره واثبات النبوة والرسالة وما يغذي ذلك الايمان ويقويه من ترك الفواحش والمنكرات وعمل الصالحات أي مصدقا لما معكم من أصول الدين وأركانه التي هي المقصد من ارسال جميع الرسل لايختلفون فيها وانما يختلفون في طرق حمل الناس عليها وهدايتهم بها وترقيتهم في معارجها بحسب سنة الله في ارتقاء البشر بالتدريج جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كما أن العدل هو المقصد من جميع الحكومات وانما تختلف الدول في القوانين المقررة له باختلاف أحوال الامم ، فليس من العقل ولا الصواب ان تنكر الامة تغيير حاكم جديد لبعض ما كان عليه من قبله اذا كان يوافقه في جعله مقررًا للعدل مقيما لميزانه بين الناس كما كان أو اكمل ، وفي هذه الحال يسمى مصدقا لما قبله لامكذبا ولا مخالفا ، فالقرآن قرر نبوة موسى وداود وسليمان وعيسى وصدقهم فيما جاؤا به عن الله تعالى ووبخ الاقوام المدعين لاتباعهم على إضاعتهم لبعض ماجاؤا به وتحريفهم للبعض الآخر ، وعلى عدم الاهتداء والعمل بما هو محفوظ عندهم ، حتى أن أكثرهم هدموا الاساس الاعظم للدين وهو التوحيد فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهًا واحدا كما سيأتي في سورة التوبة ويذكر أيضا في تفسير الآية الآتية ـ فتصديق القرآن لما معهم لاينافي مانعاه عليهم من الاضاعة والنسيان والتحريف والتفريط

﴿ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ﴾ أي آمنوا من قبل أن ننزل بكم هذا العقاب وهو طمس الوجوه وردها على أدبارها ، فالطمس في اللغة هو ازالة الأثر بمحوه أو خفائه كما تطمس آثار الدار واعلام الطرق بنقل حجارتها أو بالرمال تسفوها الرياح عليها ومنه « ربنا أطمس على أموالهم » و الطمس على الاعين في قوله « ولو نشاء لطمسنا على أعينهم » يصدق بازالة نورها و بفؤورها

ومحو حدقتها وكذلك طمس النجوم، والوجه يطلق على وجه البدن ووجه النفس وهو ما تتوجه اليه من المقاصد ومنه « اسلمت وجهي لله » وقوله « ومن يسلم وجهه الى الله » وقوله « فأقم وجهك للدين حنيفا » والأدبار جمع دبر « بضمتين » وهو الخلف والقفا ، والارتداد على الأدبار هو الرجوع الى الوراء يستعمل في الحسيات والمعنويات فمن الأول الارتداد عن الأدبار في القتال وهو الفرار منه ومن الثاني « ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم » فظاهر معنى العبارة هنا آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوه مقاصدكم التي توجهتم اليها في كيد الاسلام ونردها خاسئة خاسرة الى الوراء باظهار الاسلام ونصره عليكم وفضيحتكم فيما تأتونه باسم الدين والعلم الذي جاء به الانبياء، وقد كان لهم عند نزول الآية شيء من المكانة والمعرفة والقوة، فهذا ما نفسرها به على جعل الطمس والرد على الأدبار معنويين و به قال مجاهد ولكن أوجز فقال نطمس وجوها عن صراط الحق فنردها على أدبارها في الضلالة، وقال السدي نزلت في مالك بن الصيف ورفاعة بن زيد بن التابوت من بني قينقاع قال ومعناه فنعميها عن الحق ونرجعها كفارا ، وقال الضحاك يعني أن نردهم عن الهدى والبصيرة فقد ردهم على أدبارهم فكفروا بمحمد (ص) وما جاء به . وظاهر كلام هؤلاء ان المخاطبين بهذه الآية هم الذين كانوا على ما يعتقدون انه الحق من التوراة وانهم كانوا معذورين عند الله فيما هم عليه كأنهم الذين قال فيهم « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون » فحذرهم من إرجاء الايمان والتسويف به أن يطول عليهم العهد فيصعب عليهم الايمان ويضعف استعدادهم لقبوله بتعلق قومهم بهم وغرورهم هم بجاههم فيهم

وجعل ذلك بعضهم حسيا ظاهرا فقال المعنى نطمس آثارهم من الحجاز ونردهم على ادبارهم بالجلاء الى فلسطين والشام وهي بلادهم التي جاؤا الحجاز منها ورواه ابن زيد عن أبيه . وروي عن ابن عباس ان المراد جعل وجوههم في أقفيتهم وفهم من رواه عنه انه تهديد بالمسخ وقالوا انه يكون في آخر الزمان أو في الآخرة أو هو مقيد بعدم ايمان أحد من أولئك المخاطبين وقد آمن بعضهم والوجه الذي قررناه

أولا هو الذي اختاره الاستاذ الامام في الدرس فقال طمس الوجه ان يعرض له مايغطيه فيمنع صاحبه ان يتوجه الى مقصده ومتى بطل التوجه الصحيح الى المقصد امتنع السعي اليه المؤدي الى الوصول وذلك هو الخذلان والخيبة ، أي آمنوا قبل ان نعمي عليكم السبيل بما نبصر المؤمنين بشؤونكم ونغريهم بكم فتردون على أدباركم بأن يكون سعيكم الى غير خيركم

وأورد الرازي وجوها أخرى منها ان المراد بالوجوه الوجهاء الرؤساء أي قبل ان نزيل وجاهتهم وعزهم ، ومنها ان المراد بطمس الوجوه تقبيح صورتها كما يقال طمس الله وجهه وقبح الله وجهه بمعنى تقبيح صورتها ، يعني ان ذلك يكون بما يلاقونه من الذل والكآبة عند مايغلبون على أمرهم

﴿ أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ قال بعضهم انه هددهم بالطمس أو اللعن وهو الطرد والاذلال المعنوي ثم انفذ الثاني أي على قول من جعل الطمس بمعنى المسخ وأما من جعله بمعنى الخذلان أو الاخراج من المدينة وجوارها الى الشام فيقول ان الاول قد حصل حتما ولانزاع في ذلك . وقال الاستاذ الامام ورد في أهل السبت ان الله أهلكهم فمعنى اللعنة هنا الاهلاك بقرينة التشبيه وبه صرح أبو مسلم ويحتمل ان يكون معنى اللعن هنا عذاب الآخرة والمعنى آمنوا قبل ان تقعوا في إحدى الهاويتين الخيبة والخذلان وفساد الامر وذهاب العزة باستيلاء المؤمنين عليكم وقد كان ذلك في طائفة منهم أجلوا من ديارهم وخذلوا في كل امرهم ـ أو الهلاك وقد وقع بقتل طائفة أخرى وهلاكها ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾ أي واقعا أي شأنه أن يفعل حتما والمراد هنا امر التكوين المعبر عنه بقوله عز وجل « إنما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون »

(٤٧ : ٥٠) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا مُّبِينًا (٤٨ : ٥١) أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩ : ٥٢) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا

روى ابن المنذر عن ابي مجلز قال لما نزل قوله تعالى (٣٩: ٥٣ قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) قام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فتلاها على الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه فقال يارسول الله والشرك بالله؟ فسكت مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ﴾ وروى ابن جرير نحوه عن ابن عمر ، وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أيوب الانصاري في رجل شكا ابن أخيه للنبي (ص) انه لا ينتهي عن الحرام . وذكر الفخر الرازي أنها نزلت في وحشي قاتل حمزة (رض) اذ أراد أن يسلم وخاف أن لا يقبل إسلامه وذكر في ذلك محاورة ومراجعة عزاها الى ابن عباس وهي لا تصح فلا حاجة الى إيرادها

الاستاذ الامام : قالوا ان سبب نزول هذه الآية قصة وحشي وانه ندم على قتله لما أخلفه مولاه ما وعده من عتقه وراجع النبي (ص) في إسلامه فكأنهم يثبتون ان الله جلت عظمته كان يداعب وحشيا وأصحابه ويستميلهم بآية بعد آية ولا حاجة الى هذا كله فالكلام ملتئم بعضه مع بعض فهو بعد ما ذكر من شأن اليهود وان عمدتهم في تكذيب النبي (ص) تحريف أحبارهم للكتاب واتباعهم لهم في أمر الدين كما قال في آية أخرى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) وورد في تفسيرها المرفوع انهم كانوا يتبعونهم في التحليل والتحريم من غير رجوع الى أصل الكتاب ، فهذه الآية تشير الى انهم وقعوا في الشرك المشار اليه في الآية الاخرى اذ الشرك بالله يتحقق باعتماد الانسان على غير الله مع الله في طلب النجاة من رزايا الدنيا ومصائبها أو من العذاب في الآخرة كما يتحقق بالاخذ بقول

بعض الناس في التشريع كالعبادات والعقائد والحلال والحرام . واثبات الشرك لليهود هنا وفي تلك الآية لا ينافي تسميتهم اهل الكتاب الذي يدخل فيه الايمان بالله والانبياء فانه قال في الآية السابقة « فلا يؤمنون الا قليلا » أي إيمانا لا يعتد به اذ لا يقي صاحبه من الشرك

اقول قد بينا في مواضع كثيرة من التفسير حقيقة الشرك في الألوهية وهو الشعور بسلطة وتأثير وراء الاسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى وكل عمل ينشأ عن ذلك الشعور ، والشرك في الربوبية وهو الأخذ بشيء من أحكام الدين والحلال والحرام عن بعض البشر دون الوحي وهذا النوع من الشرك هو الذي أشار الاستاذ الامام الى تفسير النبي (ص) لآية التوبة به وهي قوله تعالى في أهل الكتاب كلهم (٩ : ٣٢ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله الا هو ، سبحانه وتعالى عما يشركون) فسر النبي (ص) اتخاذهم أربابا بطاعتهم واتباعهم في أحكام الحلال والحرام كما ذكرنا غير مرة ، فهذا إثبات لطروء الشرك على أهل الكتاب وان لم يجعل ذلك عنوانا لهم في القرآن لانه ليس من أصل دينهم وليميزهم عن مشركي الوثنيين ، وبينا أيضا ان الشرك في الالوهية والربوبية قد سرى منذ قرون كثيرة الى بعض المسلمين حتى عرفت طوائف منهم بنبذ الاسلام ألبتة كطوائف الباطنية (راجع مباحث الشرك في ص ٥٧ و٦٨ - ٧٦ و٣٥٤ - ٣٦٠ من جزء التفسير الثاني وفي ص ٢٤ و٤٥ و٣٢٥ و٣٤٧ من جزئه الثالث و٨٢ من جزئه الخامس وفي غير هذه المواضع من التفسير والمنار) وباثبات الشرك لأهل الكتاب تظهر مناسبة وضع هذه الآية بين هذه الآيات في محاجتهم ودعوتهم الى الاسلام كأنه يقول لا يغرنكم انتماؤكم الى الكتب والانبياء وقد هدمتم اساس دينهم بالشرك الذي لا يغفره الله بحال من الاحوال

أما الحكمة في عدم مغفرة الشرك فهي أن الدين انما شرع لتزكية نفوس الناس وتطهير أرواحهم وترقية عقولهم والشرك هو منتهى ما تهبط اليه عقول البشر وافكارهم ونفوسهم ومنه تتولد جميع الرذائل والخسائس التي تفسد البشر في أفرادهم وجمعياتهم لأنه عبارة عن رفعهم لافراد منهم أو لبعض المخلوقات التي هي دونهم أو مثلهم الى

مرتبة يقدسونها ويخضعون لها ويذلون بدافع الشعور بأنها ذات سلطة عليا فوق سنن الكون وأسبابه وان ارضاءها وطاعتها هو عين طاعة الله تعالى أو شعبة منها لذاتها فهذه الخلة الدنيئة هي التي كانت سبب استبداد رؤساء الدين والدنيا بالاقوام والامم واستعبادهم إياهم وتصرفهم في أنفسهم وأموالهم ومصالحهم ومنافعهم تصرف السيد المالك القاهر بالعبد الذليل الحقير وناهيك بما كان لذلك من الاخلاق السافلة والرذائل الفاشية من الذل والمهانة والدناءة والتملق والكذب والنفاق وغير ذلك

والتوحيد الذي يناقض الشرك هو عبارة عن اعتاق الانسان من رق العبودية لكل أحد من البشر وكل شيء من الاشياء السماوية والارضية وجعله حرا كريما عزيزا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة الا لمن خضعت لسننه الكائنات ، بما أقامه فيه من النظام في ربط الاسباب بالمسببات ، فلسننه الحكيمة يخضع ، ولشريعته العادلة المنزلة يتبع ، وإنما خضوعه هذا خضوع لعقله ووجدانه ، لا لامثاله في البشرية واقرانه ، وأما طاعته للحكام فهي طاعة للشرع الذي رضيه لنفسه ، والنظام الذي يرى فيه مصلحته ومصلحة جنسه ، لا تقديسا لسلطة ذاتية لهم ، ولا ذلا واستخذاء لاشخاصهم ، فان استقاموا على الشريعة أعانهم ، وان زاغوا عنها استعان بالامة فقوّمهم ، كما قال الخليفة الاول في خطبته الاولى بعد نصب الامة له ومبايعتها إياه « وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فأعينوني ، وان زغت فقوموني » فهكذا يجب ان يكون شأن الموحدين مع حكامهم وهكذا يكونون سعداء في دنياهم بالتوحيد كما يكونون اشقياء بالشرك الجلي أو الخفي

وأما سعادة الآخرة أو شقاؤها فهو أشد وأبقى ، والمدار فيهما على التوحيد والشرك أيضا ، ان روح الموحدين تكون راقية عالية لا تهبط بها الذنوب العارضة الى الحضيض الذي تهوي فيه أرواح المشركين ، فمهما عمل المشرك من الصالحات تبقى روحه سافلة مظلمة بالذل والعبودية والخضوع لغير الله تعالى فلا ترتقي بعملها الى المستوى الذي تنعم فيه أرواح الموحدين العالية في أجسادهم الشريفة ومهما أذنب الموحدون فان ذنوبهم لا تحيط بأرواحهم ، وظلمتها لا تعم قلوبهم ، لأنهم بتوحيد الله ومعرفته وعز الايمان ورفعته يغلب خيرهم على شرهم ، ولا يطول

الأمد وهم في غفلتهم عن ربهم ، بل هم كما قال تعالى « اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » يسرعون الى التوبة ، وإتباع الحسنة السيئة « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا ذهب أثر السيئة من النفس كان ذلك هو الغفران ، فكل سيئات الموحدين قابلة للمغفرة ، ولذلك قال تعالى

﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ أي يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من عباده المذنبين وانما مشيئته موافقة لحكمته ، وجارية على مقتضى سننه ، كما بينا ذلك في مواضع كثيرة من التفسير (راجع في الفهارس عند مادة مشيئة) وقد اشرنا اليها آنفا بقولنا ومهما اذنب الموحدون الخ وهو بيان لما يشاء غفرانه وسنته في ذلك ،

وأما سنته تعالى فيما لا يغفره من الذنوب فتظهر من المقابلة وتلك هي الذنوب التي لا يتوب منها صاحبها ولا يتبعها بالحسنات التي تزيل أثرها السيء من النفس حتى يترتب عليه أثره السيء في الدنيا ثم في الآخرة فان العقاب على الذنوب عبارة عن ترتب آثارها في النفس عليها كما تؤثر الحرارة في الزئبق في الانبوبة فيتمدد ويرتفع ، وتؤثر فيه البرودة فيتقلص وينخفض ، فهذا مثال سنته تعالى في تأثير الاعمال الصالحة والسيئة في نفوس البشر وجزائهم عليها كما بينا ذلك مرارا في التفسير وغيره (راجع مادة ذنب وعقاب وجزاء في فهارس التفسير والمنار)

وقد اضطرب في فهم الآية على بلاغتها وظهورها اصحاب المقالات والمذاهب الذين جعلوا القرآن عضين فلم يأخذوه بجملته ويفسروا بعضه ببعض كالجمع بين المشيئة والحكمة والنظام بل نظروا في كل جملة على حدتها وحاولوا حملها على مقالاتهم كالمرجئة والمعتزلة والخوارج وغيرهم فهذا يقول ان الشرك وغير الشرك سواء في كونهما لا يغفران الا بعد التوبة وهذا يقول انها دالة على عدم وجوب العقاب على الذنوب وجواز غفرانها كلها ما اجتنب الشرك وذاك يقول انها تكون على هذا مغرية بالمعاصي مجرئة عليها ، والآية فوق ذلك تحدد ما يترتب عليه العقاب في الدنيا والآخرة حتما لافساده للنفوس البشرية وهو الشرك وتبين ان ماعداه لا يصل الى درجته في افساد النفس فمغفرته ممكنة تتعلق بها المشيئة الآلهية فمنه

مايكون تأثيره السيء في النفس قويا يقتضي العقاب ومنه مايكون ضعيفا يغفر بالتأثير المضاد له من صالح الاعمال (راجع تفسير انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الخ ص ٤٤٠ – ٤٥٢ من جزء التفسير الرابع)

﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ هذه الجملة تشعر بعلة عدم غفران الشرك والمعنى ومن يشرك بالله واجب الوجود قيوم السموات والارض القائم بنفسه الذي قام به كل شيء بأن يجعل لغيره شركة ما معه – دع الالحاد بانكار سلطته التي هي مصدر النظام البديع في الكون – سواء كانت تلك الشركة بالتأثير في الايجاد والامداد أو بالتشريع والتحليل والتحريم – من يشرك به في ذلك فقد افترى إثما عظيما أي اخترع ذنبا مفسدا عظيم الفحش والضرر ، سيء المبدإ والأثر ، تستصغر في جنب عظمته جميع الذنوب والآثام ، فيكون جديرا بأن لا يغفر وان كان مادونه قد يمحوه الغفران ، والافتراء افتعال من فرى يفري واصل معناه القطع ، ويطلق على الكذب والافساد لأن قطع الشيء الصحيح مفسد له والشرك بالقول لا يكون الا كذبا و بالفعل لا يكون الا فسادا . قال الراغب الفري قطع الجلد للخرز والاصلاح والافراء (قطعه) للافساد والافتراء فيهما وفي الافساد أكثر ولذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم ، وذكر الآية وغيرها من الشواهد .

كانت اليهود تفاخر مشركي العرب وغيرهم بنسبهم ودينهم و يسمون انفسهم شعب الله وكذلك النصارى وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم « نحن ابناء الله واحباؤه » وقولهم « لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى » وقول اليهود خاصة « لن تمسنا النار الا أياما معدودة » وكل هذا من تزكيتهم لأنفسهم وغرورهم في دينهم وروى ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب فأنزل الله فيهم ﴿ الم تر الى الذين يزكون انفسهم ﴾ واخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ومجاهد وابي مالك . قاله السيوطي في لباب النقول . اقول وروى ابن جرير ايضا ان سبب نزولها تزكيتهم لانفسهم بالآيات التي اشرنا اليها آنفا . وروي عن السدي انه قال نزلت في اليهود

قالت اليهود انا نعلم أبناءنا التوراة صغارا فلا تكون لهم ذنوب وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا ماعملنا بالنهار كفر عنا بالليل ،وذكر روايات أخرى ورجح ان تزكيتهم لانفسهم وصفهم إياها بأنها لاذنوب لها ولا خطايا وانهم ابناء الله واحباؤه أما معنى « ألم تر » فقد ذكر قريبا والاستفهام للتعجيب من حالهم . وتزكية النفس تكون بالعمل الذي يجعلها زاكية أي طاهرة كثيرة الخير والبركة واصل الزكاء والزكاة النمو والبركة في الزرع ومثله كل نافع فتزكية النفس بالفعل عبارة عن تنمية فضائلها وخيراتها ولا يتم ذلك الا باجتناب الشرور التي تعارض الخير وتعوقه وهذه التزكية محمودة وهي المرادة بقوله تعالى « قد افلح من زكاها » اي نفسه . وتكون بالقول وهو ادعاء الزكاء والكمال ومنه تزكية الشهود وقد اجمع العقلاء على استقباح تزكية المرء لنفسه بالقول ومدحها ولو بالحق ولتزكيتها بالباطل اشد قبحا وهذا هو المراد هنا وهذا النوع من التزكية مصدره الجهل والغرور ومن آثاره العتو والاستكبار عن قبول الحق والانتفاع بالنصح ،وقد رد الله عليهم بقوله ﴿ بل الله يزكي من يشاء ﴾ أي ليست العبرة بتزكيتكم لانفسكم بأنكم ابناء الله وأحباؤه وانكم لاتعذبون في النار وانكم ستكونون اهل الجنة دون غيركم لأنكم شعب الله المختار بل الله يزكي من يشاء من عباده من جميع الشعوب والاقوام بهدايتهم الى العقائد الصحيحة والآداب الكاملة والاعمال الصالحة أوشهادة كتابه لهم بموافقة عقائدهم وآدابهم وأخلاقهم وأعمالهم لماجاء فيه «فلاتزكوا أنفسكم هوأعلم بمن اتقى»

﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ أي ولا يظلم الله هؤلاء الذين يزكون أنفسهم ولاغيرهم من خلقه شيئا مما يستحقونه بأعمالهم ولو حقيرا كالفتيل ، وقد بينا من قبل ان اصل الظلم بمعنى النقص أي لاينقصهم من الجزاء على أعمالهم الحسنة شيئا ما بعدم تزكيته إياهم لان عدم تزكيتهم انما تكون بظلمهم لانفسهم بعدم اتباعهم لما تكون به النفس زكية من هداية الدين والعقل ونظام الفطرة. والفتيل مايكون في شق نواة التمرة مثل الخيط وماتفتله بين اصابعك من وسخ او خيط وتضرب العرب به المثل في الشيء الحقير فهو بمعنى « ان الله لايظلم مثقال ذرة » وتقدم تفسيره من عهد قريب. فخذلان الملوثين برذيلة الشرك في الدنيا بالعبودية لغيرهم وغير ذلك من آثار انحطاطهم ، وعذابهم في الآخرة وحرمانهم من نعيمها، لايكون بظلم من الله عز وجل لهم ، ونقصه إياهم شيئا من ثواب

أعمالهم ، وانما يكون بنقصان درجات أعمالهم ، وعجزها عن العروج بأرواحهم، بل بتدسيتها لنفوسهم ، لتزكيتهم إياها بالقول الباطل دون الفعل « ولكل درجات مما عملوا » كدرجات الحرارة في ميزانها ودرجات الرطوبة في ميزانها ، فما كل درجة من الاولى يغلي بها الماء، ولا كل درجة منها يكون بها جليدًا ، ولا كل درجة من الثانية يكون بها المطر ، وكدرجات امتحان طلاب العلوم في المدارس ، أو الأعمال في الحكومة لا ينال الفوز الا بالدرجات العلى المحدد أدناها وأعلاها بالحكمة

والآية تدل على ان الله تعالى يجزي كل عاملِ خير بعمله وان كان مشركا لأن لعمله أثرا في نفسه يكون مناط الجزاء فاذا لم يصل تأثير عمل المشرك الى الدرجة التي تكون بها النجاة من العذاب ألبتة فان عمله ينفعه بكون عذابه أقل من عذاب من لم يعمل من الخير مثل عمله ، مثال ذلك في الدنيا رجلان يشربان الخمر احدهما مقل والآخر مكثر فضرر المكثر يكون اكبر من ضرر المقل ، وآخران متساويان في الشرب ولكن بنية احدهما قوية تقاوم الضرر ان يفتك بالجسم وبنية الآخر ضعيفة لا تستطيع المقاومة فان ضرر هذا من الشرب يكون أشد من ضرر ذاك . كذلك الروح القوية السليمة الفطرة الصحيحة الايمان المزكاة بالعمل الصالح لا تهبط بها السيئة الواحدة والسيئتان الى درجة الاشرار الفجار فتجعلها شقية مثلهم بل يغلب خيرها على الشر الذي يعترض لها فيزيله أو يضعفه حتى يكون ضررها غير مهلك ، ومنه تعلم ان بعض المؤمنين الصالحين قد يعذب في الدنيا والآخرة بذنبه ولكنه لا يكون من الهالكين الخالدين

والعبرة بهذه الآية وما قبلها للمسلمين هي وجوب اتقاء ما هم عليه من الغرور بدينهم كما كان أهل الكتاب في عصر التنزيل وما قبله وما بعده بقرون ، واتقاء مثل ما كانوا عليه من تزكية أنفسهم بالقول واحتقار من عداهم من المشركين الذي انجرّ الى احتقار المسلمين عند ظهور الاسلام حتى كانت عاقبة ذلك الغرور وتلك التزكية الباطلة في الدنيا أن غلبهم المسلمون على أمرهم ، واستولوا على أرضهم وديارهم وليعلموا ان الله العظيم الحكيم لا يحابي في سننه المطردة في نظام خلقه مسلما ولا يهوديا ولا نصرانيا لأجل اسمه ولقبه أو لانتسابه بالاسم الى أصفيائه

من خلقه بل كانت سننه حاكمة على أولئك الاصفياء أنفسهم حتى ان خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم قد شج رأسه وكسرت سنه وردّي في الحفرة يوم أحد لتقصير عسكره فيما يجب من نظام الحرب ، فالى متى أيها المسلمون هذا الغرور بالانتماء الى هذا الدين وانتم لا تقيمون كتابه ولا تهتدون به ولا تعتبرون بما فيه من التذر ، ألا ترون كيف عادت الكرة الى تلك الامم عليكم بعد ما تركوا الغرور واعتصموا بالعلم والعمل ، بما جرى عليه نظام الاجتماع من الاسباب والسنن، حتى ملكت دول الاجانب اكثر بلادكم ، وقام اليهود الآن ليجهزوا على الباقي لكم ، و يستردوا البلاد المقدسة من أيديكم ، ويقيموا فيها ملكهم ؟؟؟ فاهتدوا بكتاب الله الحكيم و بسننه في الأمم واتركوا وساوس الدجالين الذين يبثون فيكم نزغات الشرك فيصرفونكم عن قوام العقلية والاجتماعية وعن الاهتداء بكلام ربكم الى الاتكال على الأموات ، والاستمساك بحبل الخرافات ، و يشغلونكم عن دينكم ودنياكم بما لم ينزله الله تعالى عليكم من الأوراد والصلوات ، وما غرضهم بذلك الا سلب أموالكم ، وحفظ جاههم الباطل فيكم ، أفيقوا أفيقوا ، تنبهوا تنبهوا ، واعلموا ان الله لم يظلم ولايظلم أحداً فتيلا فما زال ملككم ، وذهب عزكم ، إلا بتركـ هداية ربكم ، واتباع هؤلاء الدجالين منكم ،

﴿ انظر كيف يفترون على الله الكذب ﴾ أي انظر يا أيها الرسول كيف يكذبون على الله بتزكية أنفسهم وزعمهم أنهم شعبه الخاص وأبناؤه وأحباؤه وانه يعاملهم معاملة خاصة يخرجون فيها عن نظام سننه في سائر خلقه ، وهذا تأكيد للتعجيب من شأنهم في الآية السابقة لتعتبر به

﴿ وكفى به إثماً مبيناً ﴾ أي وكفى بهذا الضرب من آثامهم إثما بينا ظاهرا فانه تعالى لم يعاملهم معاملة خاصة مخالفة لسنن الاجتماع البشري التي عامل بها غيرهم ولكنهم قوم مغرورون جاهلون ، وقد اطلق الاثم على الكذب خاصة ، وعلى كل ذنب ، وقال الراغب الاثم والأثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب ، يعني عن الخيرات التي يثاب الانسان عليها . ثم بين صدق ذلك على الخمر والميسر اذ قال تعالى « فيهما إثم كبير » ولا شك ان تزكية النفس ، والغرور بالدين والجنس ،

مما يبطئ، عن العمل النافع الذي يثاب عليه الناس في الدنيا بالعز والسيادة ، وفي الآخرة بالحسنى وزيادة ، وتقدم في تفسير « يسألونك عن الخمر والميسر » انه لا يطلق لفظ الاثم الا على ما كان ضارا وأي ضرر اكبر من ضرر الغرور وتزكية النفس بالدعوى والتبجح كما يفعل المسلمون الآن في بعض البلاد يغشون أنفسهم بمدحها ، و يتركون الاعمال التي ترفعها وتعليها ، وقد ترك اليهود ذلك منذ قرون ، فهم يعملون لملتهم وهم ساكتون ساكنون ، لايدعون ولا يتبجحون ، فاعتبروا يا أيها الغافلون ،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من باريس ﴾

ارسلها منها محمد مختار افندي الى اخيه محمد سليم افندي المسلمي أحد قراء المنار بمصر

(س ٣٧ — ٤٨)

(س ١) ما هو الرق (٢) كلمة عمومية على الحقوق التي يفضل الحر فيها العبد (مقارنه) وتكفي الاشارة للفروق ولو البعض

(٣) كيف ان الشريعة الاسلامية اباحت الرق مع انها شريعة العدل والمساواة

(٤ — ٦) كيف يحل استمتاع السيد بمملوكته — وكيف يتزوج المسلم أربع حرائر ويتمتع بالاماء بلا حصر (لان ذلك توحشا)

(٧) ماسبب زيادة أزواج النبي (ص) على أربع اللاتي أباحتهم (كذا) الشريعة

(٨) لم لا يحكم القاضي بمذهب المتخاصمين (بمصر) ولو فعل ماذا يكون الحكم

(٩) كيف كان الزواج في الجاهلية عند العرب وهل تعدد الزوجات كان الغالب أم الغالب (واحدة)

(١٠ و١١) ما هي الكفاءة المشروطة للزوجة في الجاهلية ـ وما هي حقوق المرأة في الجاهلية

سيدي الاستاذ الجليل السيد رشيد رضا

ارجو ان تقتطع من وقتك الثمين برهة ترد فيها على هاته الاسئلة بطريق الاختصار أو مشيرا الى الكتب التي ينبغي الاطلاع عليها للاستعانة بها على درء هاته الشبه درءًا فلسفيا لان أوروبا هي التي تطلب ذلك وليس لها غيركم والرد يكون بالعنوان الموضح ادناه وفي الختام تفضلوا بقبول احترام وتسليمات المخلص

محمد سليم المسلمي

﴿ أجوبة المنار ﴾

١ — ما هو الرق

الرق والاسترقاق هو ملك الانسان ويسمى المملوك رقيقا وكان ذلك مشروعا عند الامم قبل الاسلام فأقر الاسلام الناس عليه مع الاصلاح الذي يذكر في جواب السؤال الثالث

٢ — ما يفضل الحر به العبد

يفضل الحر العبد في الولاية والقضاء فالرقيق لا يكون إماما ولا سلطانا للمسلمين ولا قاضيا عليهم والعلة ظاهرة ، ويفضله بأنه يملك ويتصرف بملكه ، والعبد لا يملك ولذلك لا يرث أهله . وخففت الشريعة عن العبيد بعض الاحكام فلا تجب عليهم صلاة الجمعة وعليهم نصف ما على الاحرار من عقوبات الحدود فالحر يجلد على قذف المحصنات ثمانين جلدة والعبد يجلد أربعين ، ويجلد الحر على الزنا مئة جلدة والعبد خمسين جلدة . وهنالك أحكام أخرى في عدد الازواج وعدد الطلاق والقود من السيد وغيره من الاحرار وليست كلها متفقا عليها في حديث سمرة عند احمد وأصحاب السنن الأربعة ان النبي (ص) قال « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه » حسنه الترمذي وفي رواية لأبي داود والنسائي « ومن خصى عبده خصيناه »

٣ — اباحة الرق

انما اقرت الشريعة الاسلامية الناس من المشركين وأهل الكتاب على الرق لانه كان من الامور الاجتماعية الراسخة التي لا يمكن تركها بمجرد تحريمها ولا يكون تركها فجأة خيرا للسادة ولا للارقاء أيضا لان الاولين قد ناطوا بالآخرين كثيرا من أعمالهم الزراعية والتجارية والصناعية والمنزلية حتى صاروا عاجزين عن القيام بها بانفسهم وجرى العمل على ذلك قرونا كثيرة حتى ضعف استعداد السادة لهذه الاعمال وصار من المحقق ان العتق العام دفعة واحدة يفضي الى فساد اجتماعي كبير . واما كونه لاخير فيه للعبيد انفسهم اذا هو حصل دفعة واحدة بتكليف شرعي فهو ان هؤلاء صاروا بطبيعة الاجتماع عالة على سادتهم حتى انهم اذا تركوهم لا يعرفون كيف يعيشون ، ولا كيف يعملون ، فكان من حكمة هذه الشريعة الفطرية الاجتماعية ان تقر الناس على ماجروا عليه في أصل الرق وتضع لهم أحكاما تكون تمهيدا لالغاء الرق بالتدريج فأمرت السادة ان يساووا العبيد في الطعام واللباس وان لا يكلفوهم مالا يطيقون وان يعينوهم على أعمالهم ويساعدوهم فيها ، وأوجبت عليهم العتق بأسباب متعددة فجعلته كفارة لبعض الخطايا كالظهار وملامسة النساء في نهار رمضان للصائمين والحنث باليمين ، وجعلت للعتق أسبابا كثيرة منها انه اذا مثل بعبده عتق عليه وصار حرا وورد هذا في الاحاديث المرفوعة وكذلك التعذيب الخفي كالذي اقعد أمته في مقلى حار فأحرق عجزها فاعتقها عمر بذلك وعاقبه بل قال صلى الله عليه وسلم « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه » رواه مسلم في صحيحه وابو داود في سننه من حديث ابن عمر . وعن سويد بن مقرن قال كنا بني مقرن على عهد رسول الله (ص) ليس لنا الا خادمة واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « أعتقوها » رواه مسلم وأبو داود والترمذي . وفي رواية انه قيل للنبي (ص) انه لا خادم لبني مقرن غيرها ، قال « فليستخدموها فاذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها » وروى مسلم وغيره عن ابي مسعود البدري من حديث قال فيه كنت اضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفي ـ الى ان قال ـ فاذا رسول الله (ص) يقول « ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » وفيه قلت يارسول الله

هو حرلوجه الله فقال « لولم تفعل لفحتك النار ـ أو لمستك النار » ولو اتبع المسلمون هذا الارشاد وحده أو لو كان حكامهم بعد الخلفاء الراشدين نفذوا أحكام الشريعة كما كان ينفذها الراشدون لبطل الرق من القرن الاول في بلاد الاسلام على ان الفقهاء الذين اختلفوا فيما تدل عليه هذه الاحاديث من وجوب عتق العبد الذي يضرب ويهان قد صرحوا بأن العتق ينفذ ولو كان المعتق هازلا أو سكران وان حكم القاضي به ينفذ مطلقا ولو كان ظالما في حكمه ، وان الاقرار بالرق لايمنع دعوى الحرية بعده وان الرقيق اذا ادعى انه حر يصدق ويحكم بحريته الا اذا اثبت سيده ملكه له وان من اعتق جزءا من عبد عتق كله . ثم ان الشريعة قد جعلت جزءا من مال الزكاة المفروضة لأجل فك الرقاب من الرق . ومع هذا كله رغبت المسلمين في العتق ترغيبا عظيما والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا . فهذه عدة طرق عملية لابطال الرق بالتدريج بحيث لا يشق ذلك على المالكين ولا يبطل مصالحهم ومنافعهم ولا يجعل أمر المعتوقين فوضى ويوقعهم في مهمه الحيرة في أمر معاشهم ، ومن قرأ أخبار تحرير العبيد في أمريكة ظهرت له حكمة الاسلام فيما شرعه للناس في هذه المسألة ولكن المسلمين لم يقيموا دينهم كما أمروا ولا سيما في المسائل التي هي من شأن الحكام . ولذلك قال بعض حكماء الافرنج ان لمعاوية الفضل الاكبر على أوربا اذ هو الذي حفظ لها استقلالها بجعل الحكومة الاسلامية حكومة شخصية موروثة ولو سار هو ومن بعده سيرة الراشدين لملك المسلمون أوربا كلها وسائر العالم القديم

وقد سبق لنا بحث في هذه المسألة من قبل فلا نطيل فيها الآن

٤ ـ ٦ ـــ التسري وتعدد الزوجات وعدم حصر السراري

بينا غير مرة ان إباحة التسري قد كان رحمة من الله بالاماء المملوكات فقد كانوا في الجاهلية يرون ان الاماء يباح لهن الزنا ولا يباح للحرائر وكانوا يتخذونهن للبغاء لأجل الكسب بأعراضهن فحرم الاسلام الزنا تحريما باتا وأباح للناس أن يستمتعوا بما ملكت أيمانهم ليصونوا عرضهن وليكون ذلك وسيلة لتحريرهن فان الامة اذا صارت أم ولد بطل رقها وصارت حرة كالزوجة فما أعدل هذا الحكم وما أحكمه . ولو لم يبح التسري بالمملوكة في أمة حربية كالامة الاسلامية يكثر فيها النساء

ويقل الرجال لثقل على النساء المملوكات الرق بمنعه إياهن من أعظم وظائف الفطرة ولأغراهن ذلك بالفسق الذي لا يبيحه الاسلام بحال من الاحوال

وأما حكمة تعدد الزوجات وما يشترط فيها فقد بيناها بيانا كافيا في نحو من ٣٠ صفحة من تفسير الجزء الرابع فتراجع فيه من ص ٣٤٤ ـ ٣٧٤ أو في المنار

وأما كون التمتع بالاماء لايشترط فيه العدد فقد عللوه بكون الأمة ليس لها حقوق على السيد كالقسم والمساواة فلايضر الاستكثار منهن لذلك . والأصل الصحيح فيه ان الحرب يقل أو يفني فيها الرجال ويبقى النساء لا كافل لهن فيكون من المصلحة العامة وكذا من مصلحتهن الخاصة في بعض الأحوال ولا سيما في القرون الأولى للاسلام أن يوزعن على الرجال الغالبين لكفالتهن وكفايتهن أمر معيشتهن والخير لهن حينئذ ان تكون معاملتهن كمعاملة الأزواج لما تقدم آنفا ولا ضرر في الصحة ولا في الهيئة الاجتماعية أن يكون للرجل الواحد نسل من نساء كثيرات يعوض على الامة ماخسرته في الحرب وانما الضرر ما عليه أوربا الآن من إباحة الزنا واختلاف الرجال الكثيرين على المرأة الواحدة فان ذلك يقلل النسل كما هي الحال في فرنسة ويحدث أمراضا كثيرة ولو لا ارتقاء فن الطب في أوربة لأفنتها الأمراض الزهرية وغيرها ، ولم يكن في التسري وتعدد الزوجات مفاسد منزلية كثيرة في أول الاسلام لما كانوا عليه من العدل ومكارم الاخلاق وسلامة الفطرة وقلة الحاجات واما مسلمو هذا الزمان فان لتعدد الزوجات فيهم مفاسد كثيرة كما بينا ذلك في تفسير آية التعدد . وجملة القول ان منع الزنا ووجوب كفالة النساء وإحصانهن والحاجة الى كثرة النسل ، والتوسل الى عتق المملوكات بصيرورتهن أمهات أولاد هو الذي كان سبب إباحة الاستمتاع بهن وعدم التقيد بعدد فيهن ولا سيما في حال كثرتهن . وذهب الاستاذ الامام الى انه لا يجوز للرجل أن يستمتع بأكثر من أربع منهن قياسا على زواج الحرائر بل قال أن آية إباحة تعدد الزوجات بشرطه تدل على ذلك . والاسترقاق غير واجب في الاسلام وانما ابيح للضرورة ولأولي الأمر من المسلمين منعه اذا رأوا المصلحة في ذلك

٧ — حكمة تعدد ازواج النبي (ص)

ان النبي صلى الله عليه لم يتزوج في سن الشباب والفراغ الا بخديجة وكانت رضي الله عنها ثيبا ، وبعد الكهولة والقيام بأعباء النبوة ومكافحة المشركين وغيرهم من أعداء النبوة تزوج عدة زوجات ثيبات ومنهن أمهات الاولاد وكبيرات السن ولم يتزوج فتاة بكرا الا عائشة بنت الصديق (رض) وأسباب ذلك بعضه سياسي كتوثيق الروابط بينه وبين القبائل كتزوجه بجورية وهي برة بنت الحارث سيد بني المصطلق فقد كان المسلمون اسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري فأراد (ص) ان يعتقوهم وكره ان يكرههم على ذلك اكراها فتزوج سيدتهم فقال المسلمون أصهار رسول الله (ص) لاينبغي اسرهم فأعتقوهم ، ومنها ما كان لاجل كفالة بعض المؤمنات السابقات الى الايمان المهاجرات بعد قتل أزواجهن أو وفاتهم كتزوجه أم سلمة (هند) على كبر سنها وما عندها من الاولاد ، ومنها ما كان لاجل الاصلاح وحمل الناس على الشريعة بالقدوة كزواجه بزينب بنت جحش لابطال التبني وأحكامه الضارة الفاسدة . ومنها مكافأة صاحبيه ووزيريه ابي بكر وعمر وتشريفهما بمصاهرته إياهما . وهنالك مصلحة عامة وهو ان يوجد في بيت النبوة عدة من النسوة يتعلمن الاحكام الشرعية الخاصة بالنساء ويعلمنها للمسلمات ، وقد كان (ص) لشدة حيائه يستحي ان يخاطب النساء بكل الاحكام المتعلقة بهن اذا لم يسألن عنها فكان أزواجه الطاهرات خير واسطة لذلك وهذه حكمة ما كانت تحصل لو اكتفى بزوج واحدة لايدري أتعيش بعد فقهها كثيرا أم لا . وان شئت مزيد بيان وتفصيل فارجع الى ما كتبناه في ذلك في المجلد الخامس من مجلة المنار وجزء التفسير الرابع ، لا تنس مراجعة ما كتبه الاستاذ الامام وما كتبناه في مسألة زيد وزينب فان شبهة الاورببين فيها اكبر وهي منشورة في المجلد الرابع من مجلة المنار وفي ملحق تفسير الفاتحة

٨ — حكم القاضي بمذهب الخصم

السؤال في هذه المسألة مبهم والظاهر ان السائل يريد القاضي الشرعي الذي يحكم في المسائل الشخصية على الحنفي والشافعي والمالكي وغيرهم ولا يعقل ان يشترط

في القاضي معرفة مذاهب الناس والحكم لكل خصم أو عليه بمذهبه لأن ذلك على تعسره أو تعذره مفسدة ويتعارض في الخصمين المختلفي المذهب على ان المذاهب الفقهية متفقة على ان حكم الحاكم يرفع الخلاف ويجب الاذعان له

٩ — الزواج في الجاهلية

كان الزواج عندهن أربعة أنواع كما روي عن عائشة في صحيح البخاري (الأول الاستبضاع) وهو ان الرجل كان يرسل امرأته الى الآخر ولا يقربها حتى يظهر حملها من الآخر يفعلون هذا ابتغاء نجابة الولد (الثاني) ان ما دون عشرة رجال كانوا يصيبون المرأة فاذا حملت ووضعت اجتمعوا عندها حسب طلبها وقالت لمن أحبت ان هذا ابنك يا فلان فلا يستطيع أن يمتنع الرجل (الثالث) ان من الزواني (وهن البغايا من الاماء) من اذا حملت ووضعت اجتمع الناس ودعوا القافة فألحقوا ولدها بالذي يرون فينسب اليه الولد لا يمتنع الرجل منه (الرابع) النكاح الذي بين المسلمين اليوم . فلما بعث النبي (ص) هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح المسلمين اليوم . ومنها نكاح البدل وهو ان يستبدل كل امرأته بامرأة الآخر ، ونكاح الشغار وهو ان يزوج احدهم من له الولاية عليها لآخر على أن يزوجه الآخر من الولاية عليها وتكون كل منهما مهراً للاخرى لا تأخذ شيئا . ولهم في الزواج مفاسد أخرى بينا بعضها في تفسير الآيات التي تشير اليها . ومنها انهم يرثون المرأة كما يرثون الرقيق والحيوان

واما تعدد الزوجات فكان فاشيا فيهم غير مقيد بعدد وقد أسلم بعضهم وعنده خمس أو ثمان أو عشر نسوة كما بينا ذلك في تفسير آية التعدد

١٠و١١ — الكفاءة وحقوق المرأة في الجاهلية

كانت الكفاءة عندهم تعتبر بالجنس والنسب والحسب أي الشرف فكانوا لا يرون العجم اكفاء لهم ولا الموالي من العرب وهم لا يزالون على ذلك في عقر جزيرتهم لايزوجون عجميا عربية صريحة النسب فاذا ارتضوه زوجوه من الموالي . وكان الشرفاء يترفعون أن يزوجوا بناتهم للأخساء

وأما حقوق النساء في الجاهلية فلم تكن شيئا مذكورا وكانوا يستحلون أكل أموالهن ويعضلونهن أي يمنعونهن الزواج لذلك حتى جاء الاسلام فجعل النساء مساويات للرجال في كل شيء الا الولاية العامة والخاصة وذلك قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

رحلة القسطنطينية

﴿ أو إقامة عام ، في عاصمة الاسلام ﴾

علم قراء المنار كافة سبب رحلتنا في أواخر رمضان من العام الماضي الى هذه العاصمة وشيئا من خبر عملنا وسعينا فيها ؛ اما وقد عدنا منها الى مصر ، في أوائل هذا الشهر ، فاننا نذكر لهم ملخص مابلغ اليه السعي ،

مسألة العرب والترك

اشرنا في أول مقالة كتبناها عن الانقلاب العثماني عند حدوثه الى العقبات التي يخشى أن تعوق سير الدستور ومنها تعصب العناصر العثمانية لجنسياتها وقد وقع ماتوقعنا فقد قام كل عنصر يسعى لتقوية عنصره . فأما اليونان والبلغار والارمن فلا تسأل عما قالوا أو فعلوا ، ولا تعجب مما اقترحوا وطلبوا ، على أن الارمن أعطوا حتى رضوا ، ولا سبيل الى مرضاة قوم لهم دولة تنازع الدولة العلية في أملاكها ، وتطمع حتى في عاصمة ملكها ، واما الارنؤد والكرد والجركس فقد قاموا يسعون لتدوين لغاتهم ، وترقية أجناسهم ، ولكل منهم في العاصمة أندية وجمعيات ، وأما العرب فأسسوا عقب الانقلاب جمعية سموها جمعية الاخاء العربي فكنت أنا وكل من اعرف من العرب العثمانيين في مصر وسورية كارهين لتأسيسها ولما زرت سورية كنت أنفر الناس منها . ثم الفيت لأن الرأي العام العربي لم يأخذ بيدها لأنه لم يكن يحب ان يعمل عملا ما في الدولة باسم العرب ، ذلك بأن رأينا أن بقاء الدولة يتوقف على اتحاد

الترك بالعرب فيها ولكن قام بعض أصحاب الجرائد التركية في الآستانة بالدعوة الى الجنسية التركية وحفظ السيادة للعنصر التركي والتنفير من العرب ودعوة الترك الى الاستغناء عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بترجمته الى اللغة التركية وبتطهير التركية من الألفاظ العربية ، فتألم العرب من هذه الأقوال وزادهم تألما أفعال أخطأت فيها الحكومة بيناها في مقالات (العرب والترك) التي نشرناها في جرائد الاستانة التركية والعربية فلا نحب إعادتها

ورأينا الحديث قد كثر في هذه المسألة وتناولتها أقلام الكتاب والشعراء فخفنا ان تعم وتصير مقررة عند العامة فيصعب نزع سوء التفاهم ويتعسر مانحب من الاتحاد والاعتصام فكان أول سعينا في الآستانة موجها الى إزالة سوء التفاهم بين العنصرين فكتبنا تلك المقالات الست واخترنا لنشر ترجمتها بالتركية جريدة إقدام لأنها كانت من الجرائد التي آذت العرب بعصبيتها الجنسية عسى أن يزول ذلك بما ننشر فيها ، ثم كان أول من كلمناه في ذلك هو الصدر الأعظم فاعترف لنا بأن الحكومة والجمعية اخطأتا في بعض تلك الامور قال ولكن ليس هنالك سوء نية وانه سيتدارك ذلك بالفعل . وكلمت في ذلك أيضا محمود شوكت باشا وناظر الداخلية وغيرهما من الكبراء ، وقد اتهمني بعض النابتة العربية في أول الأمر بمصانعة الترك أو الحكومة ثم بلوني وخبروني وعلموا اني مخلص فيما أوافقهم وفيما أخالفهم فيه وبذلك تيسر لي أن اقنعهم بما اقتنعت به بعد طول اختبار الآستانة ورجالها وهو ان العرب والترك عنصران يكونان حقيقة واحدة كالعنصرين المكونين لحقيقة الماء أو الهواء وان الاسلام قد ألف بينهما هذا التأليف وزادته قوة مصلحة بقاء هذه الدولة بهما والخطر عليها من تفرقهما ، وان الذين تحاملوا على العرب واللغة العربية من المتفرنجين مختلفو الأصول فمنهم من أصله تركي ومنهم من أصله عربي ولعلنا لو بحثنا عن انسابهم لوجدنا اكثر آبائهم من الروم والارمن واليهود والنور وانه لا يجوز لاحد من العرب أن يجعل ذنبهم ذنبا للعنصر التركي ولا أن يحمل سعي الترك لترقية شعبهم منافيا لأخوة العرب ما دام خاليا من العصبية الجنسية كما لا يجوز لطلاب ترقية العرب ان يقصدوا بذلك الا التمهيد للاتحاد بالترك والقيام معهم بتأييد الدولة

واعزازها هذا هو رأيي الذي وافقني عليه العقلاء من الترك والعرب في العاصمة وان كان يوجد فيها من المتعصبين المبغضين للعرب الذين يسترون بغضهم بأماديح النفاق من يحرف كلامنا في التوفيق والتأليف عن مواضعه لينفروا اخواننا الترك منا والله من ورائهم محيط . وقد تداركت الحكومة بعض خطأها بالغاء ما كانت امرت به من وجوب جعل المرافعات في محاكم البلاد العربية باللغة التركية وعدم قبول مايقدم الى الحكومة من شكوى وغيرها باللغة العربية ، كانت شرعت في هذا وذاك ثم علمت بتعذره وبسوء أثره فمنعته ، ثم انها عينت في مدارسها الاعدادية عشر معلمين للغة العربية وذلك فاتحة خير ان شاء الله تعالى

مشروع العلم والارشاد

هذا هو المشروع الاعظم الذي هو المقصد الاول لي من الرحلة بل من الحياة كلها وهو اذا نفذ يقوي الرابطة والاخوة بين العرب والترك و بين غيرهم من المسلمين كالارنؤد والكرد بل يؤلف بين المسلمين وغيرهم من الملل كما يقتضي الاسلام - لان كل ماتصوره وادركه من إصلاح حال المسلمين محصور فيه ولذلك كان جل السعي أو كله في هذه السنة لهذا المشروع و بعد العناء الطويل والمراجعات الكثيرة واللجان المتعددة التي عقدت للمناقشات فيه وفقنا لتأسيس جمعية العلم والارشاد كما عرف القراء وقد وافقت الحكومة على تأسيسها رسميا وعرف القراء مما نشرناه في الجزء السادس أن من أعضائها المؤسسين موسى كاظم افندي الذي صار بعد التأسيس شيخ الاسلام للمملكة ورئيس الشرف للجمعية ومنهم مستشار المشيخة ، والرئيس الثاني لمجلس المبعوثين ، ورئيس كتاب مجلس الشورى وغيرهم من خيار رجال العاصمة فليراجع من شاء اسماءو قانون الجمعية في ذلك الجزء من منار هذه السنة

بعد التصديق الرسمي على نظام الجمعية توسلنا بمولانا شيخ الاسلام الى الحكومة لتقرر لنا ما وعدتنا به من المساعدة المالية لتأسيس مدرسة « دار العلم والارشاد » فكتب أحسن الله جزاءه مذكرة للصدر الاعظم بعد مذاكرته في ذلك والاتفاق معه طلب فيها ان تعطى جمعية العلم والارشاد ثلاثة آلاف ليرة لاجل تأسيس المدرسة المذكورة في نظامها الاساسي وان يقرر مجلس الوكلاء جعل نفقات هذه المدرسة بالغة مابلغت في ميزانية نظارة الاوقاف من ابتداء السنة المالية القابلة . فوضعت مذكرة الشيخ

موضع المذاكرة في مجلس الوكلاء الخاص فقرر المجلس قبول المذكرة والموافقة على المبلغ المطلوب واستحسان نظام الجمعية الا انه ذكر في صورة القرار الذي بلغ من مقام الصدارة الى المشيخة ونظارتي الاوقاف والمعارف ان المجلس استحسن ان يعبر عنها « بانجمن علم وارشاد » بدل (جمعية العلم والارشاد) وأن تكون المدرسة تحت ادارة ومسؤلية شيخ الاسلام

بلغنا شيخ الاسلام قرار مجلس الوكلاء فاجتمع مجلس ادارة الجمعية يوم الجمعة (١٩ رمضان - ٢٣ سبتمبر) للمذاكرة فيه فقرر الاعتراض على جعل المدرسة تحت مسئولية شيخ الاسلام لانها تكون بذلك رسمية وقد بلغ الكاتب العام للجمعية شيخ الاسلام ذلك كتابة وتكلم معه في وجوب جعل المدرسة خاصة بالجمعية خالية من الصفة الرسمية فوافق الشيخ على ذلك ووعد وعدا مؤكدا بالكتابة الى الباب العالي بوجوب تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل المدرسة مما يطلقون عليه اسم « المكاتب الخصوصية » وكذلك قال ناظر المعارف ووعد بعض اعضاء الجمعية بالكتابة الى الباب العالي بذلك وصرح بأن جعل المكتب ذا علاقة بالحكومة ضار وانه خلاف ما كان اتفق عليه ، ولماذا يكون ضارا ؟

صرحنا في المادة الثالثة من نظام الجمعية الاساسي بأن هذه الجمعية لا تشتغل بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا سياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده ، ونص المادة الثانية المبينة مقصدها هو

« المادة الثانية - مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعليم العلوم الدينية والدنيوية والتصنيف فيها وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخريج العلماء والمرشدين »

فالمراد من الجمعية ومدرستها الكلية هو الاصلاح الديني الاجتماعي اي إنارة عقول المسلمين بالعلوم النافعة وتربية نفوسهم تربية صالحة ليعلموا كيف يعمروا دنياهم مع حفظ دينهم ذي الآداب العالية أن ينال منه الخراب . ويدخل في ذلك اقتباسهم لما لا بد لهم منه من المدنية العصرية وفنونها وأعمالها . فاذا دخلت السياسة في مثل هذا العمل أفسدته . ولا شك أن الدول الاوربية تعد جعله تحت ادارة شيخ

الاسلام عن السياسة وتتهم الدولة بأنها تريد به تهييج التعصب الاسلامي لان شيخ الاسلام هو العضو الأول في مجلس وزراء الدولة وإذا قاومت أوربا هذا المشروع لا يثمر الثمرة المطلوبة ولا تتقي مقاومة أوربا الا بجعله في معزل على السياسة والحكومة ظاهرا و باطنا لأن الذين اكتشفوا الاشعة التي تخترق الكثائف حتى يرى ما وراءها ووضعوا المناظير المكبرة التي يرى بها ما لم تكن ترى مثله زرقاء اليمامة لا يسهل على أمثالنا في ضعفنا وجهلنا ان نخدعهم ، واذا كان هذا العمل في أيدي جمعية مخلصة ليس لها صفة "رسمية" لا يمكنهم أن يعترضوا عليها اعتراضا رسميا، وإذا اتهموها بالسياسة باطلا سهل عليها مع الصدق والاخلاص اقناعهم ببراءتها كما وقع "للجمعية" الخيرية" الاسلامية" بمصر ، اتهمت بالسياسة "ومساعدة مهدي السودان على الحرب ولكن لم تلبث أن ظهرت براءتها باخلاص رجالها

هذا هو رأيي و رأي محمود شوكت باشا ذكره لي قبل ان أذكره له و وافق عليه شيخ الاسلام وناظر المعارف وهو رأي أعضاء الجمعية المؤسسين أيضا ولاجل هذا يسعون في تعديل قرار مجلس الوكلاء . ولولا هذا لوافقت ناظر الداخلية أولا وشيخ الاسلام أخيرًا على جعل نفقات المدرسة من المالية دون الاوقاف ولكنني ما زلت اراجع في ذلك من أول السعي الى آخره اذ قال لي شيخ الاسلام في يوم الاثنين ١٦ أو ١٧ شعبان (٢٢ اغسطس غ) ان الوكلاء الفخام يرون من المناسب ان تكون نفقات المكتب السنوية في ميزانية العلمية (التابعة للمشيخة الاسلامية) وأنا أرى ذلك لان هذه خدمة دينية من جنس خدمة المشيخة فيحسن ان تكون نفقتها تابعة لها فاقول انت يا عزيزي (قلت) ما ترونه حسنا فهو حسن ولكني لا أزال أرى ان تجعل نفقات مكتبنا في ميزانية الاوقاف حتى لا يكون للمشيخة وجه للتداخل في امره إذ الاولى أن يكون مستقلا تمام الاستقلال دونها الخ ما قلته ووافقني عليه بل قلت لغيره من العظماء لولا انني خشيت ان تسيء الدولة الظن بالمشروع لاقترحت ان يكون في الحجاز أو في مصر وأقول الآن اذا لم يعدل مجلس الوكلاء القرار كما وعد شيخ الاسلام وناظر المعارف فالمسلمون لا يستغنون عن جمعية" اخرى كهذه الجمعية" يكون مركزها مصر لان جمعية الاستانة لا تأتي بالفائدة المطلوبة اذا كانت رسمية أو شبه رسمية

* * *

الجمعية العلمية

﴿ في الاستانة ﴾

كان تأليف الجمعيات ممنوعا من البلاد العثمانية في العصر الحميدي المظلم بل كان لفظها ممنوعا أيضا حتى كاد يمنع الاجتماع للعبادة بغير مراقبة كما منع لغيرها ألبتة، وقد بينا ذلك في المجلد الثاني عشر . ولهذا اندفع العثمانيون بعد الانقلاب الى تأليف الجمعيات كما هو شأن الناس في الممنوع اذا أبيح بعد التشديد في منعه فألفوا جمعيات كثيرة بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة ، ولبعض تلك المقاصد أصل ثابت ، و بعضها نشأ عن وهم عارض ، ولما زرت سورية بعد الانقلاب رأيت في كل من بيروت وطرابلس ودمشق جمعية تسمى « الجمعية العلمية » ألفها افراد من صنف العلماء المسلمين ولم يكن بينها صلة وربما كان بعضها تقليدا وقد سمعت يومئذ عن جمعية دمشق ان الغرض منها حفظ جاه مؤسسيها ومقاومة رجال الدستور ولذلك لم يدخلوا فيها خيار العلماء الاحرار العاملين ، ومهما قيل فيها وفي غيرها وسواء صح أولم يصح فلا يمكن أن يدعي أحد انها عملت شيئا لخدمة العلم أو الدين

ولما زرت الآستانة في العام الماضي سمعت أخبارا متعارضة عن الجمعية العلمية التي أسست فيها وكنت قد سمعت قبل ذلك انها جمعية جمود تعارض كل إصلاح ديني أو غير ديني اذا لم يقم عندها دليل من فقه الحنفية عليه ، وان مجلتها (بيان الحق) أنشئت لهذا الغرض فهي ترد على المجلة التركية الاصلاحية (صراط مستقيم) التي يكتب فيها محبو الاصلاح كموسى كاظم افندي (شيخ الاسلام الآن) واسماعيل حقي افندي المناسترلي واضرابهما من شيوخ الآستانة وشبانها المحبين للاصلاح ، و بلغني أيضاً أنها ردت على المنار في مسألة الاستقلال والتقليد . بل كان شاع ان علماء الآستانة هم الذين أوقدوا نار فتنة ٣١ مارت (أو ١٣ ابريل) المشهورة وان الحكومة الدستورية قتلت كثيرين منهم

لهذه الاخبار والاشاعات كانت صورة الجمعية العلمية في ذهني غير جميلة عند ما جئت الآستانة واتفق ان سمعت من بعض اكابر رجال السياسة هناك شكوى من جمود العلماء وتعصبهم حتى قال لي من لا اسمي منهم ان مشروعك الذي جئت لتأسيسه هنا لا يخشى عليه الا من العلماء فانهم هم العقبة في طريق الاصلاح ولهم نفوذ عظيم لاتباع العامة لهم . ثم انني علمت بعد طول الاختبار ان كثيرا مما كنت أسمعه عنهم باطل و بعضه مبالغ فيه وانهم لم يكن لهم يد ولا أصبع في الفتنة بل كان لهم الأثر الصالح في إطفاء نارها وحمل الناس من العسكر وغيرهم على طاعة الحكومة الدستورية ولكن بعض رجال الفتنة قد لبسوا لها لباس العلماء حتى قيل انهم اشتروا نسيج العمائم الأبيض من خارج الآستانة

لما عرضت مشروعي على الصدر الأعظم أول مرة عقد له بالاتفاق مع عميد جمعية الاتحاد والترقي لجنة علمية مؤلفة من أمين الفتوى أسعد افندي ومستشار المشيخة مصطفى افندي أوده مشلي واسماعيل حقي أفندي المناسترلي وموسى كاظم افندي من الاعيان وكلهم من كبار شيوخ العاصمة فلما اتفقوا على استحسان المشروع كما ذكرت ذلك في وقته في رسائلي من الاستانة حمدت الله على وجود أمثالهم واعتقدت انه لابد ان يوجد كثير من العلماء على رأيهم ومشربهم ولا سيما من الشبان والكهول وصرت أمدح علماء الآستانة فيقول لي بعض أهلها لا تقس على هؤلاء فالاكثرون متعصبون غلاة في مقاومة كل إصلاح والجمعية العلمية هي بؤرة التعصب

ثم اسعدني التوفيق بلقاء بعض رجال العلمية في مجلس المبعوثين وغيره فرأيت فيهم من آيات الغيرة والاخلاص والميل الى الاصلاح ما حمدت الله عليه واعتقدت أنه لاخوف على مشروعي منهم بل رجوت أن يكونوا من خير المساعدين عليه اذا هو تم بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي وان يقوموا هم به اذا لم تساعدني تلك الجمعية من جهة الحكومة ولكنني لم أطالبهم بذلك لانني لم أكن اسمع من الحكومة الا الوعود الجميلة حتى تم المشروع على الوجه الذي بيناه

ولما عزمت على السفر من الاستانة الى مصر كتبت في جريدة الحضارة ذلك الخطاب الى علماء الاسلام في الاستانة وسائر البلاد الاسلامية (وهو ما ستراه قريبا في هذا الجزء)

وأحببت ان أجعله تمهيدا لزيارة الجمعية العلمية في ناديها وابداء شيء من التفصيل في الاصلاح الاسلامي لجمهور رجالها ، فرأيت للخطاب من التأثير فيهم فوق ما كنت احسب حتى كنت القى الواحد منهم في الطريق أو في بعض الدور أو المعاهد العامة كالمساجد والمدارس فأجده حافظا لبعض جملها يتلوها عليّ معجبا مثنيا وقال لي بعضهم ان رجال الجمعية العلمية قد أعجبوا بهذه المقالة واقترح بعضهم ترجمتها بالتركية ونشر الترجمة في مجلة الجمعية (بيان الحق) فعلمت ان ما كنت اسمعه من أبناء الدنيا في علماء الآستانة من التعصب والجمود ناشيء عن سوء فهم أو سوء قصد كما يقال ورغبت في زيارة الجمعية في ناديها وذكرت ذلك لبعض أعضائها فأخبرني انه قد تقرر أن لا يجتمعوا فيما بقي من ليالي رمضان القليلة (قال) فلابد ان نرسل الى من يوجد منهم في الآستانة دعوة خاصة ولا شك انهم يسرون بذلك وموعدنا ليلة الاثنين ٢٩ رمضان . ولما جئت النادي لميقاتهم ألفيته حافلا بجمهور عظيم منهم غص به النادي و بعد التحية واستراحة قليلة ألقيت عليهم خطابا ارتجاليا طويلا لا تقل مدته عن ساعتين فتلقوه بالقبول والارتياح التام وسألتهم هل انتقدوا منه شيئا فلم أجد عندهم انتقادا بل إجماعا على جميع مسائله وثناء

لا أتذكر جميع ما قلته في ذلك الخطاب من المسائل والدلائل ولكن لم أنس مقاصد الكلام وأقطابه وهي ثلاثة (١) وجوب تعارف العلماء وتعاونهم على خدمة الامة والدولة فان هذا العصر عصر الجمعيات لا يستطيع أحد ان يعمل عملا لامته الا و يتوقف نجاحه التام على قوة جمعية تظاهره وتعاونه عليه (٢) تساهل العلماء في خلاف المذاهب في الاصول والفروع والاكتفاء في عقد الاخوة الاسلامية بين جميع المسلمين بالمسائل المجمع عليها (٣) إحياء هداية الكتاب والسنة في المسلمين وبث دعوتهما والذب عنهما

فما قلته في المقصد الاول ان علماء الاسلام في عهد نهضتهم العلمية الاولى في بلاد العراق والفرس والشام ومصر وافريقية والاندلس كانوا يتعارفون بالسياحة و بنقل الكتب من قطر الى قطر حتى كان المعاصرون في الشرق والغرب ينقل بعضهم عن بعض كما ترى في كلام ابن خلدون عن كتب سعد الدين التفتازاني وابن هشام . ثم ذكرت ما بين علماء المسلمين من التقاطع بين المسلمين في هذه العصور الاخيرة على سهولة المواصلات وكثرة المطابع . و بينت ان علماء الآستانة من أجدر العلماء

بخدمة الاسلام والتعارف بين سائر علماء الاقطار ولكنهم على كثرتهم وجدهم واجتهادهم في العلوم الاسلامية لا يكاد يسمع لهم صوت في قطر من الاقطار كمصر والغرب والهند وقد كان لذلك سببان (احدهما) سياسي وهو ظلم السلطان عبد الحميد ومنعه لمثل ذلك وقد زال (وثانيهما) عدم التكلم والكتابة باللغة العربية وكان من غلطهم قراءة كتب الفنون العربية والعلوم الشرعية بالترجمة ولا سيما التفسير والحديث والاصول فان هذا يضيع عليهم زمنا طويلا في التحصيل ولو كانوا يتقنون اللغة العربية نفسها قراءة وتكلما وكتابة ثم يدرسون فنونها وعلومها لكان يكون تحصيلهم اسرع وأكمل وتعبهم فيه أقل، ولكان لهم آثار كثيرة يعرفهم بها علماء الاقطار الاسلامية كلها وهذا السبب يسهل عليهم تداركه في زمن قليل وينبغي ان يكون في مجلتهم (بيان الحق) قسم عربي لتكون وسيلة لاتصالهم بسائر علماء المسلمين الذين يعرفون هذه اللغة مهما كان جنسهم ولغتهم

وبينت في المقصد الثاني مادل عليه العلم بأخلاق البشر وطباعهم وما أفادته التجارب من اقتضاء رد الفرق بعضهم على بعض ثبات كل على رأيه ومذهبه وحرصه عليه وإغرائه بعداوة المخالف والنظر الى كلامه بعين السخط لا بعين الروية والانصاف، ومن اقتضاء التساهل التناصف والموادة والنظر الى الاشياء بقصد استبانة الحقيقة وعاقبة ذلك ظهور الحق على الباطل، واستشهدت على هذا ما كانت عليه الأمم الأوربية من التنازع والتعادي في الدين والسياسة لاختلاف المذاهب والمطامع وما آل اليه أمرها من عقد الدول المحالفات والموالاة السياسية بعضها مع بعض، ومن حذو الجمعيات الدينية حذو الدول في الاتفاق على المخالفين ووضع الحدود للدعوة الدينية كحدود النفوذ السياسي، وكان بين فرقهم الثلاث - الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت - نزاع شديد ومعارضات قوية بعد تلك الحروب المعروفة، فضعف ذلك واتفقت جمعياتهم كما اتفقت دولهم على اقتسام البلاد الاسلامية والوثنية كاقتسام روسية وانكلترة ابلاد الفرس فعلينا أن نعتبر بأحوال الأمم، ونجتهد في إدالة الوفاق من الخلاف والحب والائتلاف من العداوة والبغضاء، والخلاف بين الفرق الاسلامية الكبرى - السنية، والشيعة الامامية والزيدية، والاباضية، أهون من الخلاف بين المذاهب النصرانية التي يحكم كل فريق منها بكفر الفريق الآخر

وذكرت أيضا ما اتفق عليه أئمة أهل السنة من عدم تكفير أحد من أهل القبلة ومن افتاء الفقهاء بترجيح القول الضعيف بعدم التكفير على مئة قول قوي بالتكفير، ومقابلة ذلك بما عليه الجامدون من أدعياء العلم المتأخرين اذ يكفرون من يخالفهم حتى في الفروع الظنية بل في الامور العادية التي ليست من الدين في شيء، وبذلك شتتوا شمل الاسلام ومزقوا نسيجه . وذكرت لهم جمعية ندوة العلماء في الهند وان من مقاصدها التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية والدعوة الى الاسلام والحكومة الانكليزية مساعدة لهم على ذلك، وما ذكره لي بعض علماء الشيعة من ميل علماء النجف وايران الى الوفاق وترك بعضهم تدريس الكتب التي تشتمل على الرد على أهل السنة، وما أعلمه من ميل علماء الاباضية الى مثل ذلك، وان حوادث الزمان وعبره قد اعدت المسلمين للاتفاق والاتحاد الديني فعلى العلماء أن يغتنموا هذه الفرصة في كل البلاد ولا سيما في الآستانة فاذا قصروا فاتتهم الفرصة وخرج الامر من أيديهم .... واشرت الى ما قاله الغزالي في القسطاس المستقيم من كفاية المتفق عليه في الدين للهداية وقلة من يعمل به فان المذاهب كلها متفقة على توحيد الله وتنزيهه وسائر أصول الايمان وعلى تحريم الفواحش ماظهر منها ومابطن، وعلى أركان العبادات وأصول جميع الخيرات، فأين من يعمل بما اتفقوا عليه؟

وذكرت في بيان المقصد الثالث ان الدعوة الى الاصلاح الاسلامي وترقية المسلمين في دينهم ودنياهم لا يمكن ان تكون الا بهداية الكتاب والسنة لما لهما من التأثير في النفوس باسنادهما الى الله عز وجل ورسوله (ص) ولما فيهما من الحكم والعبر التي لا توجد في كتب الكلام والفقه ولأنها الأساس المتفق عليه عند كل المذاهب . وقلت قد علمت ان بعض الناس هنا كانوا يظنون ان « المنار » قد سلك هذه الطريقة لأجل أن يدون مذهبا جديدا ويحمل الناس على ترك مذاهبهم اليه وقد صرحت بنفي هذه الشبهة غير مرة فأنا لا أريد ان احدث مذهبا جديدا ولا أجيز لنفسي ذلك وإنما سلكتها لاسباب (١) ان المنار عام لجميع المسلمين لا لأهل مذهب واحد منهم فوجب أن يكون هديه بما هو الأصل المتفق عليه بينهم (٢) للكتاب والسنة من التأثير في النفس والسلطان على القلب ماليس لكلام أحد كما تقدم آنفا

فالدعوة الى الاصلاح بهما اسرع قبولا ، وأقرب حصولا (٣) انهما مشتملان على كل ما نحتاج اليه لأجل الهداية والنهضة الاجتماعية التي هي أصل كل ارتقاء (٤) ان ما يذكر في المنار من الأحكام الشرعية يقصد به إما بيان حكمة الشارع فيه وكونه موافقا لمصلحة الناس في كل زمان ومكان وإما الدفاع عن الاسلام ورد شبهات المعترضين عليه من الافرنج وغيرهم وهم لا يحفلون بالرد على أقوال الفقهاء وآرائهم الاجتهادية وانما يصوبون سهامهم الى أصل الدين وهو الكتاب والسنة وحسبنا ان ندافع عن أصل ديننا ونبين حقيته وحكم أحكامه وموافقتها للعقل والفطرة ومصالح البشر . واني قد نشأت على مذهب الشافعي في الفروع والاشعري في العقائد (رح) ولست استطيع إقناع الناس بما ذكرت اذا انا التزمت هذين المذهبين اللذين قرأت كتبهما وحاولت ان ارد الشبه عن العقائد وأبين حكمة الشريعة منهما أو بهما ، وكذلك يقال في سائر المذاهب

(قلت) مثال ذلك ماجرى لاحد إخواننا الذين على طريقتنا في مصر: كان مدرسا في مدرسة الحقوق للشريعة على مذهب الحنفية وكان بعض الطلبة من المسلمين وغيرهم يوردون الشبه على بعض المسائل الفقهية ويرون ان حكم القانون أقرب الى العدل واضمن للمصلحة من الحكم الشرعي فكان ذلك المدرس يراجع قبل الدرس مايتعلق بمسائله من الآيات والاحاديث ان كانت ومن أقوال سائر أئمة الفقه فاذا أورد طالب شبهة على حكم وظهر له جواب مقنع اجاب به والا قال للطالب ان ماذكرته لايرد على أصل الشريعة وانما يرد على رأي الامام ابي حنيفة أو الامام ابي يوسف (مثلا) في هذه المسألة وهو رأي اجتهادي ظني عنده وقد خالفه فيه الامام مالك أو الشافعي (مثلا) واحتج بحديث كذا (مثلا) فان كان هنالك آية أو حديث صحيح التزم الدفاع عنه والا ذكر من أقوال الائمة الاجتهادية مايراه أقرب الى إقناع السائل وامثاله بعدل الشريعة

هذا أهم ماذكرته وأحببت نشره ، وبعد ان عدت الى مصر جاءني العدد ٨٠ من مجلة (بيان الحق) فرأيت فيها كلاما عن هذا الخطاب فيه اشارة الى غير ما تقدم من المسائل وهذه ترجمته بالعربية:

﴿ حول خطبة رشيد رضا افندي ﴾

خطب رشيد افندي رضا احد علماء طرابلس الشام وصاحب مجلة (المنار) التي تصدر في مصر خطبة شائقة في مركز الجمعية العلمية الاسلامية ليلة ٢٩ رمضان بحضور جم غفير من العلماء . ألقى هذه الخطبة التي نحن بصددها باللغة العربية وقد فصل القول فيها تفصيلا استمر ساعتين من الزمن

ابان في موقفه هذا مارمى اليه في مقالته التي وجهها الى جميع علماء المسلمين المنشورة في جريدة الحضارة بعددها ٢٤ الصادر في ٨ ايلول سنة ١٣٢٦ (مالية) واثبت بالادلة والبراهين القاطعة ان جمود علماء الاسلام الآن باعث على تأخر الامة الاسلامية وعدم سعادتها وبعد ان اقنع جميع الحاضرين بأنه اذا ظل العلماء على ماهم عليه ولم يحافظوا على علو مركزهم تظهر فيهم اذ ذاك اعراض الانقراض والملاشاة ، ثم ذكر مانصادفه الجمعية العلمية من الموانع والمشاكل اذا بقيت منحصرة في لجان محدودة . وانه يجب ان يؤسس لها فروع في جميع اطراف المملكة العثمانية ثم تؤسس لها ايضا فروع ولجان عمومية في كافة اقطار الارض المعمورة بالامم الاسلامية. وبين فائدة ارتباط شعب هذه الجمعية بعضها ببعض وماينجم عنها من الفوائد العظيمة اذا سارت هذه اللجان بطريقة جدية في الاتصال بمركز الجمعية العمومي في الامور الدينية المهمة والمباحثات المعضلة الدقيقة فهي تساعد على خدمة الاسلام خدمة حقيقية وتوسع دائرة نظامه في العالم المعمور

ثم ذكر ما كان بين علماء الاسلام في المشرق والمغرب من الارتباط في زمن سعد الدين التفتازاني يوم كانت وسائط النقل والسفر صعبة شاقة فقد كان حينئذ علماء الاسلام يتبادلون المخابرات والمباحثات في دقائق الامور وان آثارهم الموجودة الان لأعظم شاهد على إلمام كل فريق منهم بمؤلفات الفريق الآخر

وأما اليوم فانه من المعلوم عند الجميع ان وسائط النقل تقدمت تقدما عظيما ولكن من المحزن ان علماء المسلمين لم يوجد بينهم أقل اتفاق ولاتعارف وقال انه مع الفخر في هذه الخدمة الجليلة يسعى بتأسيس وتشكيل جمعية علمية إسلامية في مصر وسائر البلاد العربية

ثم تكلم عن شكل الجريدة التي ستكون ناشرة لافكار الجمعية العلمية فقال :
ان من المتعسر نشر هذه الجريدة بلغات مختلفة ولكن من الامور المقررة ان علماء الاسلام مهما اختلفت لغاتهم والى أي عنصر نسبوا و بأي لسان تكلموا فلا بد ان يكونوا متضلعين في اللغة العربية ولذلك استصوب ان تنشر الجريدة باللسان العربي وتعم بين علماء الصين والهند وجاوا والترك والافغان والعجم وجميع البلاد الاسلامية وبهذه الطريقة المثلى يحصل التعارف بين كافة علماء هذه البلاد وتدور المباحثات في المسائل المهمة وعندها تظهر هذه الجريدة حافلة بالمقالات العظيمة التي تكون سببا لخدمة الدين والامة الاسلامية بما يورد فيها من الاسئلة والاجوبة التي تمحص الحقائق للمسلمين

ثم انتقل مؤخرا في خطابه الى الكلام عن اختلافات المذاهب وتعدد الفرق وبين ان هذه المجادلات والمناقشات التي تحصل بين الفرق المتخالفة عقيمة لا فائدة فيها بل انها كانت سببا لتفريق كلمة المسلمين فقد ظهر بالاختبار ان هذه الاختلافات لم تولد الا الضرر العام وأوضح في عرض حديثه ضرورة الاحتراس من المجادلات والمباحثات التي تحصل من بعض الفرق باسم الدين الاسلامي لأن كل فريق من هؤلاء المخالفين يكفر و يضلل الفريق الآخر لمخالفته له في أمور ليست من الاهمية بمكان فيجب على من يكون صحيح الرأي في هذه المسائل ان يؤيد آراءه وأفكاره بالادلة والبراهين الناصعة ثم انتقل أيضا الى البحث في أحواله الخصوصية فذكر انه شافعي المذهب ومقلد ومانسبه اليه بعض الناس من الدعوة الى الاجتهاد (كذا) هو ناشئ عن سوء التفاهم فقط وتكلم أيضا عن المذاهب الاربعة فقال ان ظهور مجتهد بعدهم متعسر ولا ينكر احد ان الاحوال تغيرت تغيرا محسوسا بعد زمانهم فيجب اذا تغير بعض الاحكام

وذكر لنا انه يرد في مجلته على المقالات التي تنشر في جرائد أوروبا اعتراضا على الاسلام مستدلا بالآيات والأحاديث ولذلك حلت كتاباته واستدلالاته محل الدقة والاعتبار وقال انه يجب لاقناع الخصم الاستدلال من الكتاب والسنة وختم كلامه بأن ما ينشره في مجلة المنار يؤيد كل ما ذكر (١)

(١) العمدة في هذه المسألة ما بيناه في ص ٧٥٧ و ٧٥٨

الى علماء الاسلام الاعلام (*)

« في الاستانة وسائر الولايات العثمانية ومصر وتونس والمغرب والنجف »
« وفارس والقوقاس وقزان والهند وسائر البلاد المشرقية »

كنتم وكانت الامة الاسلامية بكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيخضع لكم الملوك والامراء ، وتهتدي بكم الدهماء ، كنتم فبتم أو كدتم ، و بعدتم عن الامة و بعدت الامة عنكم ، فسرى الإلحاد الى خواصها لانكم لستم أنتم الذين تتولون تعليمهم ، واستشرى الفسق والفساد في عوامها لانكم تركتم وعظهم وارشادهم ، فأنتم مسئولون في الدنيا والآخرة عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فبم تجيبون ، وماذا تقولون

اذا أضعتم الامة أضعتم أنفسكم ، ولا تغرنكم هذه البقية الضئيلة من احترام الحكام لكم ، واعلموا ان كل ما لكم الآن من بقايا الشرف والرزق يكون حينئذ على شرف الزوال ، وإن منكم من حمله الشعور بذلك على تعليم أولاده في مدارس الحكومة أو مدارس الجمعيات النصرانية ليكون آمنا مطمئنا على رزقهم وكرامتهم في مستقبل أيامهم ، وان أحدكم ليصوم وأولاده في الدار مفطرون ، ويصلي وهم لا يصلون ولا يتطهرون ، أرضيتم لكم ولهم بالحياة الدنيا من الآخرة ، أم تزعمون انكم قمتم بما يجب عليكم في هذه التربية الخاسرة ؟ ؟

إنكم حرمتم في بعض البلاد من جميع أعمال الحكومة الا القضاء في بعض الامور الشخصية ، والقاضي منكم بالشريعة الاحمدية ، أقل قيمة وراتبا من القاضي بالقوانين الوضعية ، وحرمتم في بعض البلاد من اكثرها ، وستحرمون فيها اذا

(*) نشرنا هذه المقالة بجريدة الحضارة في الآستانة

بقيتم على حالكم من باقيها ، بل سلبتم ما هو خير من ذلك وهو التعليم العام في مدارس الحكومة ومدارس الامة فلم يبق لكم الا قليل منها في بعض البلاد التي للتعليم الديني فيها بقية رسمية هي كالعضو الأثري الذي لا عمل له ولا تأثير في المصلحة العامة

ما ظلمكم أحد ولكنكم ظلمتم أنفسكم أولا فأغريتم الناس بأن يظلموكم فان كانوا لما يفعلوا في بعض البلاد فسيفعلون وسيفعلون ، وان كانوا قد فعلوا فما فعلوا لا يذكر في جنب ما سيفعلون ، وفي أيديكم الآن أن تمنعوا أنفسكم ، وتحفظوا كرامتكم ، وتستحيوا الزعامة الروحية الاجتماعية لكم في أمتكم ، وان لكم الآن في عهد حكم الشورى في الدولتين العثمانية والفارسية لفرصة إن اغتنمتموها كانت القاضية لكم والا فهي القاضية عليكم ، وعلى الأمانة التي في أيديكم ، فكونوا ركن هذا الحكم الركين ، وحصنه الحصين ، تستعيدوا في ظله مجدكم ومجد ملتكم وأمتكم

ظلمتم أنفسكم أنكم لم تنظروا فيما تجدد للامة والدولة من الحاجات في هذا العصر ، وما ساقتها الضرورة الى اقتباسه من العلوم والفنون ، وما يجب عليكم من حفظ مرتبة التعليم والتربية لانفسكم ، فانكم لو نظرتم في ذلك لسارعتم الى تعلم جميع العلوم والفنون التي لا بد للامة والدولة منها لتحفظ نفسها في هذا العصر ، ثم لاحتكرتم تعليمها اياه مع التربية الدينية التي تحفظ عليها آدابها وأموالها وصحتها وجامعتها الملية ، انكم لم تفعلوا ذلك ولو فعلتموه لكان خيرا لكم ولامتكم ودولتكم ، ولماذا لم تفعلوا ؟

ورأيت منكم من يعتذر عن إهمال العلماء لمثل هذا الأمر الجليل باستبداد الحكام ، ورأيت منكم من يعتذر بجهالة العوام ، وعدم معرفتهم لقيمة العلماء الاعلام ، ورأيت منكم من يدعي ان العلماء لم يقصروا في شيء وانهم قائمون بما يجب عليهم ولكن الزمان قد فسد خلافا لقول الشاعر

يقولون الزمان به فساد   وهم فسدوا وما فسد الزمان

ورأيت منكم الحائر الذي لا يدري كيف يعتذر ، ورأيت وسمعت ما لا يتسع هذا المقال لشرحه واني أذكر السبب الذي أراه أبا جميع الاسباب ، والعلة التي أراها هي أم جميع العلل

ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم ، ولا وقع فساد في أمتكم أو حكوماتكم ، الا وسببه تفرقكم واختلافكم ، وعلته تخاذلكم وشقاقكم ، وما شدد دينكم في شيء كما شدد في حظر التفرق والخلاف ، ولا أكد شيئا كتأكيده وجوب الاجتماع والاتفاق ، فان كان الشيطان قد سوّل لكثير من المختلفين منا ان في الخلاف قوام عصبيتهم ، وحفظ رياستهم ، فقد آن لعقلائنا اليوم ان يعلموا ان هذا التفرق سينتهي بالانقراض والزوال ، اذا لم نتداركه بالاعتصام والالتئام ، فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وكونوا أنتم الامة التي تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأعدوا أنفسكم لزعامة هذه الامة بحق ، واهدوها الى مصالح الدين والدنيا بالحكمة والرفق ، كما هو شأن الاسلام في الجمع بين مصالح الدارين

ألم تروا ان أهل الملل الذين لم يؤمروا بمثل أمرتم به من الاجتماع والتعاون ، ولم ينهوا مثلما نهيتم عن التخاذل والتباين ، قد ألفوا جمعيات دينية ، تضاهي ثروتها ثروة الدول الغنية ، فجعلوا أزمة التربية والتعليم في أيديهم ، فحفظوا جامعة دينهم في أقوامهم ، ثم جذبوا اليه كثيرا من أهل الاديان الاخرى حتى في غير بلادهم ، ألستم أولى منهم باحتكار تعليم أبناء دينكم ، وبتعميم الدعوة اليه في غير قومكم ، فما لكم لا تنشطون الى ما فيه عزكم وشرفكم ، وفي تركه ذلكم وضعتكم ، حماكم الله تعالى ووقاكم

يخطر في بال ضعفاء العزيمة منكم ان المسلمين لا يبذلون من المال للجمعيات الدينية مثل ما يبذله النصارى في الغرب ، والوثنيون في الهند ، وهذا خطأ عظيم سببه عدم التجربة ، فلو أنشأتم جمعية اسلامية وأريتم الناس ثمرتها ، واقنعتموهم بفائدتها ، وجئتموهم في ذلك من أبواب مصالحهم ، وأشرفتم عليهم من يفاع منافعهم ، لرأيتم انهم أسبق من غيرهم الى الخير ، والتعاون على عمل البر ، فما المسلمون الحاضرون ، الا سلائل أولئك السلف الصالحين ، الذين وقفوا تلك الأوقاف الكثيرة على المدارس والملاجيء والمستشفيات ، وجميع ما كان يخطر في البال من أنواع البر والاحسان ، حتى ان بعضهم وقف على الكلاب ، وبعضهم وقف على ضمان المتلفات والضائعات ، الخ

هذا وان لكم من الاوقاف الخيرية التي ضبطتها الحكومة كنزا عظيما ، وان في أيديكم رفع يدها عنها وجعل ادارتها اليكم بمساعدة مجلس الامة ، فان أوقاف جميع الملل في تصرف رجال الدين فهل تبقى حقوق المسلمين مسلوبة في عصر الشورى كما كانت في عصور الاستبداد ، اننا اذًا لنحن المغبونون ، وانا اذا لنحن الخاسرون ، كلا ان لنا في نجدتكم أيها العلماء ما يجعلنا أسعد الناس في هذا العصر ، وآمنهم في بلادنا من الغبن والخسر ،

سارعوا الى تأليف الجمعيات في كل قطر ولتكن جمعياتكم متعارفة متآلفة لا يصدنكم عن ذلك اختلاف المذاهب ولا اختلاف الالسنة ولا اختلاف الحكومات ، ولا وجود بعض المنافقين فيكم ، الذين يوضعون خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، فيد الله على الجماعة فاجتمعوا ، والاتحاد قوة فاتحدوا ، واجعلوا أساس الارتباط والاعتصام بينكم الاصول المتفق عليها ، والتسامح (والتعاذر) في مسائل الخلاف ، وقد فتح لكم هذا الباب المبارك اخوانكم علماء الهند بتأسيس جمعية ندوة العلماء وساعدتهم الحكومة الانكليزية على عملهم ومنه التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية وتخريج الدعاة الى الاسلام ، فهل يليق بكم ان تنكلوا في ظل الحكومة الاسلامية ، عن مثل ما فعله اخوانكم في ظل الحكومة الانكليزية ؟ ؟

يجب أن تستعينوا على خدمة ملتكم وأمتكم في دولتي الاسلام - العثمانية والايرانية - بالنواب المبعوثين وان لكم في الاجتماع قوة لا يرد معها طلب عادل ، ولا يخيب معها قصد نافع ، بل يجب أن تجتهدوا في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منكم ، وممن يساعدكم على خدمة ملتكم ، وان الحكومة النيابية لا تكون اسلامية حقيقة الا اذا كانت الغلبة في مجلسها النيابي لعلماء الاسلام أعني العارفين بسياسته العالية ، وعدالته العامة ، ومساواته بين الناس في الحقوق ، واعلائه لشأن الاجتماع ، ومحافظته على الفضائل والآداب ، وتحقيق هذه المقاصد كلها سهل عليكم في هذه الحكومة فاحمدوا الله أن أنقذكم من الاستبداد وجعل الدولة للامة التي أنتم زعماؤها واشكروا له ذلك بالقيام بحقوق هذه الزعامة لعلكم تفلحون

رمضان في عاصمة السلطنة (*)

لهذا الشهر في هذه العاصمة مظهر غريب لا نعرف له نظيرا في غيرها من بلاد الاسلام وهو يرى على أكمله وأتمه في قسم استانبول منها ، أما في النهار فترى أكثر المطاعم والمشارب والملاهي والمجامع العامة مقفلة لا يختلف اليها أحد ، وترى أمارات الصيام ظاهرة على أكثر الناس فلا تكاد ترى أحدا يدخن ، وترى المساجد الشهيرة عامرة بالمصلين والواعظين والمستمعين والمتفرجين الطوافين ولهذا كله نظير في البلاد الاسلامية الاخرى وانما رونقه هنا بجمال المساجد وزينتها واختلاف الناس من جميع الطبقات الى المشهور منها ولاسيما جامع اياصوفيا العظيم ، ويبتدئ هذا من وقت صلاة العصر الى قرب المغرب فمن الناس من يسمع الوعاظ ، ومنهم من يسمع الحفاظ ، وفي الاستانة كثير من حفاظ القرآن بعضهم من حملة العمائم وبعضهم من حملة الطرابيش ومنهم المرتلون المجيدون الذين يخشع المستمع لتلاوتهم ما لا يخشع لتلاوة الحفاظ أمثالهم في مصر لخشوع جوارحهم واجتنابهم التطريب والتكلف والحركات التي اعتادها اكثر قراء المصريين . نعم ان أئمة المساجد هنا يقرأون القرآن في الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة كما يلقون خطبتها بالنغم الموسيقي الذي يشبه نغم القسيسين في الكنائس ومنهم المسرفون في ذلك والمقتصدون

و بينا يكون الخلق الكثير من الناس في المساجد بين العصر والمغرب يكون شارع « شهزاده » مكتظا بالرجال والنساء الذين يؤمونه من جميع ارجاء المدينة فيكون كالمعرض العام لهم حتى ان كثيرا من أفراد الاسرة السلطانية يجيئونه كل يوم في هذا الوقت . وفي الخامس عشر من الشهر وهو يوم زيارة البردة النبوية الشريفة التي يسمونها « خرقة سعادت » رأينا نساء القصر السلطاني ذاهبات في مركباتهن الكثيرة الى جهة شارع « شهزاده » وليس لهذا الشارع مزية في السعة أو الجمال على غيره

*) كتبناها في الآستانة لتنشر في جزء رمضان فلم تدركه

الآن ولعله كان في وقت مااوسع الشوارع وأجلها على أن السكان في تلك الجهة جلهم او كلهم من المسلمين وكان يكون فيه في هذا الوقت من تبرج النساء بزينتهن ومغازلة الرجال لهن مالا يكون في مكان آخر في وقت آخر الا في معاهد النزهة في أزمنتها الخاصة كالكاغدخانه ومروج (قاضي كوي) و«حيدر باشا» و« بكقوز» وغيرها من المروج والوديان والغدران وموارد المياه والشواطئ والغابات وكل ذلك كثير في ضواحي هذه العاصمة التي لا نظير لموقعها في الدنيا ولكل معهد من معاهد نزهتها موسم من أيام الربيع والصيف والخريف يؤمه فيها الرجال والنساء بحللهن الزاهية الالوان متبرجات بزينتهن الخاطفة للابصار، حاسرات عن وجوههن المميلة للأعناق، ولا تسل عما يكون هنالك من المغازلة ولكن مع الوقوف عند حدود الادب قلما يعتدونها الا في المجامع الكبيرة التي يجتمع فيها عشرات الالوف من النساء والرجال كمجمع عيد الخضر في الكاغدخانة

في هذه السنة عنيت الحكومة بالمحافظة على الآداب الاسلامية في شهر رمضان ومنها منع الخلاعة والتهتك في معرض شارع الشاهزاده في أصيل النهار كمنع إظهار الفطر وسبب ذلك انها علمت ان من تدبير الجمعية الخفية التي شاع امرها، وانكشف سرها، أنها كانت تريد ان تكيد للحكومة الاتحادية الحاضرة باغراء بعض الفواجر من النساء بالاسراف في التهتك في رمضان بصفة لم يسبق لها نظير ليهيج على الحكومة أهل الدين والغيرة على العرض، ولولا هذا لتركت الحكومة الامر على حاله ولو تركته لما وقف عند الحدود المعتادة من قبل لان الناس قد شعروا بما لم يكونوا يشعرون به من الحرية والاطلاق في شئونهم الشخصية ودليل ذلك ماجرى من المنكرات والفواحش في كثير من البلاد التي لم يكن يجري فيها ذلك وعدم سماع الحكومة لشكوى أهل الدين والادب والغيرة على العرض بل قبضت الحكومة على بعض أهل العلم والفضل لمناهضتهم نساء الافرنج اللاتي جئن بلدهم للرقص والفحش وأرسلتهم الى ديوان الحرب العرفي لمحاكمتهم على ذلك العمل الذي سمته حكومتهم المحلية ارتجاعا ولكن قيل إن شيخ الاسلام لما بلغه ذلك كتب الى ديوان الحرب العرفي بوجوب اطلاقهم لانهم عملوا ماهو الواجب عليهم وقد أمسكهم ديوان الحرب

أياما للتحقيق ثم سرحهم الى بلادهم، وجملة القول ان الحكومة المركزية عنيت بحفظ آداب الدين الظاهرة في العاصمة وحكومة بعض الولايات باضاعتها

طال بنا الاستطراد فنعود الى بيان مايتعلق برمضان خاصة فنقول ان وعظ بعض وعاظ الترك هنا يشبه وعظ بعض الشيوخ الدجالين بمصر في خلط المسائل الدينية بالخرافات والاباطيل وقد وقفنا على واحد منهم في جامع أياصوفيا فاذا هو يقول في وعظه ان الدين يأمرنا بالذل والمسكنة والانكسار ورأينا بعض الواقفين للاستماع من الشبان المتعلمين يتبرم ويتأفف منه فقلت له: الواعظ يقول هذا والله تعالى يقول (٦٣: ٨ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) ولعله لو راجعه أحد في قوله وذكره بالآية الكريمة لذكر له أنه أخذ هذا القول من بعض كتب الفقهاء اوالصوفية كالشيخ احمد الرفاعي رحمه الله تعالى، وقال انما الواجب علينا ان نهتدي باقوال العلماء والصلحاء لا بالقرآن لانهم اعلم منا بالقرآن، وبجعل الاحتجاج بالآية ضلالا مبينا لانه يتضمن دعوى الاجتهاد وتخطئة العلماء، فهذا ماتعودناه من مثله وما أجدر أمة تروج فيها هذه التعاليم الباطلة، وهذه الحجج الداحضة، بأن تضرب عليها الذلة والمسكنة، وتكون بها راضية مغتبطة، لا تسعى الى العز سعيه، أو ترفض امر الله ونهيه، وهذا ماحل بالمسلمين، من جراء تعليم هؤلاء الجاهلين المقلدين، فقد أعرض المستعدون لادارة أمور الامة عن تعاليمهم الى تعاليم مبنية على أساس الكفر والالحاد، وقالوا اننا اذا بقينا على هذا الدين فنحن سائرون الى العدم والانقراض، لان الامة الذليلة المسكينة، لايمكن أن تحفظ استقلالها بين الامم العزيزة الغنية، فهكذا يوجد فينا من يهدم الدنيا والدين، وحجته على المصلحين تحريم الاجتهاد ووجوب تقليد جميع المؤلفين الميتين،

هذا وان هنا وعاظا لايوجد لهم نظير في مصر ولا في سورية وامثالها من الاقطار الاسلامية وهم وعاظ السياسة وأكثر وعاظ هذا العام يخوضون في السياسة بايعاز الحكومة الاتحادية وقد سهل عليها هذا الايعاز بأن شيخ الاسلام نهي أن يتصدى احد للوعظ الا من يأذنه مقام المشيخة به وهو لايأذن الا لمن يعلم انه يتبع رغبة الحكومة في تأييد سياستها حتى ان الجمعية العلمية عينت واعظين من قبلها وآذنت شيخ الاسلام بذلك فأمر شيخ الاسلام بمنعهما من الوعظ فهاج ذلك سخط الجمعية

وجماهير العلماء واظهروا ذلك في مجلتهم « بيان الحق » وما يقولونه اكثر مما كتبوه ومنه ان شيخ الاسلام ليس له حق في منع العلماء من الوعظ والارشاد وهو فرض عليهم الا اذا كان له حق في منعهم ومنع غيرهم من سائر فروض الكفاية كصلاة الجنازة مثلا ، وزادهم سخطا وحنقا ما نقل اليهم من كتابته الى نظارة الداخلية بوجوب منع هذين العالمين من الوعظ بالقوة اذا هما تصديا له ونحمد الله انهما لم يفعلا لأنهما لو فعلا ومنعتهما الحكومة بالقوة لكان لذلك من سوء التأثير في الامة ما لا خبر فيه

من هؤلاء الوعاظ السياسيين المعممون ومنهم غير المعممين ولعله لا يوجد في المعممين القدر الكافي للقيام بالوعظ و بلغني ان بعض الضباط وعظ الناس في أول جمعة من رمضان في « يكي جامع » ـ الكاف هنا تركية تقرأ نونا ـ فقال في وعظه ان من الأمور المنافية للحكومة الدستورية وجود إمارة مكة المكرمة لأنها عبارة عن حكومة مستبدة في ضمن الحكومة « المشروطية » فيجب إلغاؤها وان لا يكون في الحجاز أمر ولا نهي لغير الوالي ومن تحت ادارته من المأمورين ، ومن هؤلاء الوعاظ من حث الناس على أن يدفعوا ماعليهم من الزكاة لخزينة الحكومة مع علمه بأن مال الزكاة خاص بالمسلمين وله مصارف متفق عليها لا تصرفها الحكومة فيها بل تضعها مع سائر أموالها وربما تنفق منها على بناء الكنائس التي قررت بناءها للروم والبلغار ـ ومنهم من استنبط من إكرام النبي (ص) لكعب بن زهير (رض) ببردته الشريفة وجوب تعظيم العسكر وطاعتهم لأن سبب إكرامه هذا بعد أن كان أهدر دمه هو قوله في قصيدته

ان الرسول لسيف يستضاء بـه   مهنـد من سيوف الله مسلول

قال والمراد بالسيف العسكر ، فهذا هو وجه الدلالة على ما استنبطه ، ومنهم الذين يدور وعظهم على طلب الاعانة للاسطول فهم يفسرون الآيات الآمرة بالبذل يستوكفون بها الأكف ومنهم من يجمع الدراهم والدنانير في درسه رأينا اسماعيل باشا مبعوث طوقات يفعل ذلك وهو الذي قال في درسه ان الاسلام عبارة عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، أي فمساعدة الاسطول أحد شطري

الاسلام ، وقد وقفنا على درسه فأعجبنا منه حثه على الاهتداء بالقرآن وتصريحه بأنه لا حياة لنا الا به ، ومما قاله ان هذا القرآن أنزل علينا لأجل أن نكون به سادات العالم ومالكي الممالك كلها ، و بلغنا عنه كلام غريب في تأييد جمعية الاتحاد والترقي وكذا عن غيره ولا نخوض في ذلك وان قال بعضهم ان كلمة التوحيد معناها الاتحاد والترقي فالجمعية عين الاسلام وواضعها هو الله تعالى وكل مسلم هو من افرادها ، وعلى هذه القاعدة يكون من فيها من اليهود والنصارى مسلمين ولكنهم لم يعلموا بذلك

ووقفنا في مجلس أحد العلماء في جامع أياصوفيا فاذا هو احسن من رأينا في هذه المدينة وعظا وهو يدافع عن الاسلام وعن علمائه بعقل و يعرض بالشبان المتفرنجين المارقين يقول يظن بعض شباننا ان الاسلام يحول دون الترقي وان العلماء هم الذين يمنعون المسلمين من وسائله وهؤلاء يهرفون بما لا يعرفون فان الاسلام هو دين الترقي والمدنية والعمران وحملته من العلماء هم الادلاء على ذلك وما اصاب المسلمين من خير وسعادة فمنهم (قال) أرأيتم هذه المدينة ان فاتحها السلطان محمد هو « خوجه » من اصحاب العمائم وهكذا كان جميع الفاتحين الذين اسسوا ملك الاسلام

يمتاز علماء الآستانة على علماء مصر بالالمام بالسياسة علما وعملا وسبب ذلك أن الكثير من ابواب أعمال الحكومة مفتحة لهم ويكون منهم الوزراء ورؤساء المحاكم وغير المحاكم وناهيك بمنصب القضاء الشرعي في الدولة فان القاضي الشرعي يكون رئيس محكمة الحقوق والعضو الاول في مجلس الادارة وله وظائف أخرى في الحكومة ولو كان العلماء مستعدين كما يجب لكان زمام القضاء كله والادارة بأيديهم وسيسلب القضاة الشرعيون بعض ما كان لهم في هذا الدور من الحكومة والحق ان ما كان لهم هو كثير جدا

ليالي رمضان في استانبول

ذلك ما احببنا بيانه في أيام رمضان وأما لياليه فهي ليالي سرور ولهو وعزف

وقصف ، ترى وتسمع المعازف الوترية – كالعود والقانون والكمنجا – وغير الوترية في اكثر الملاهي التي تدعى في البلاد العربية بالقهاوي وفي البلاد التركية ببيوت القراءة (قرائتخانه لر) وفي غير هذه الاماكن ايضا فيتعجب الانسان من كثرة المعازف في هذه العاصمة وسبب ذلك ان لاهلها نساء ورجالا عناية بالعزف والموسيقى ويتعلمون ذلك في مدارس خاصة، وترى اصحاب الطبول الكبيرة يجولون في الشوارع من أول الليل الى وقت الامساك قبيل الفجر ، وناهيك بدور التمثيل والرقص ولعل اكثر الناس يسهرون الليل في اللهو والسرور الا قليلا ، والتزاور في الليل معتاد أيضا كما نعهد في مصر وسورية ولكن لا يوجد في البيوت حفاظ يرتلون القرآن كما يوجد في مصر

وقد ظهر لي ان لصلاة الجماعة وصلاة التراويح من الاقبال والعناية في الاستانة فوق ما لهما في مصر فالمصلون فيما أظن أكثر ، ومكثهم في الصلاة يكون أطول ، ولكنك ترى أكثر المصلين في بعض المساجد من العسكر ونجد عددا كثيرا من الصبيان ولا يخفى أن العسكر كله كان يكون من خارج الاستانة و بعد الدستور صار يؤخذ منها أيضا

نساء الاستانة في رمضان

يمتاز نساء الآستانة على نساء البلاد العربية بالصلاة في المساجد يقل ذلك منهن في غير رمضان ويكثر فيه حتى ان من المساجد الصغيرة ما هو خاص بهن لا يدخله من الرجال الا الامام الذي يصلي بهن والواعظ الذي يعظهن بعد الظهر وقد يكون الامام هو الواعظ ومنهن من يصلين في الجوامع الكبيرة وقد اتخذ لهن في هذه السنة حظائر في مؤخر المساجد تحجبهن عن الرجال فيها ويدخلن من باب خاص بهن ، وإنك لتراهن قبل العشاء بنصف ساعة أو أكثر ذاهبات الى المساجد افرادا وأسرابا الأم و بناتها والجارة وجاراتها منهن المتلفعات بالملاآت والحبر ، ومنهن لابسات الأردية والجبب ، وأكثرهن سافرات ، ومنهن من تصلي التراويح في بيتها وهذا مما يفضلن به نساء مصر وسورية ، اني أرى أن اختلاف النساء الى المساجد يعلي نفوسهن ويرفع قيمتها في نظر صواحبها وقد كن يصلين في المسجد

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حمل المسلمين على منعهن منها في اكثر البلاد الا شدة الغيرة وكراهة تبرج بعضهن في غدوهن ورواحهن وللنساء الآستانة من هذا التبرج حظ عظيم وناهيك بالمتبخترات في الشوارع والسبح في أيديهن يعبثن بها فتكون أشد جذبا لأبصار الرجال اليهن من سائر حليهن وزينتهن ، وكأني بهن يجبن من يعترض عليهن في ذلك بقول تلك الشاعرة العربية

والله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والخلاعة جانب

ومن زينة الاستانة في ليالي رمضان قناديل منارات المساجد ولكل مسجد من المساجد الكبيرة هنا منارتان على الأقل ولبعضها أربع منارات وللجامع السلطان احمد ست منارات فهم يمدون حبالا بين المنارات ويكتبون بالقناديل فيها كلمات : بسم الله ، الله محمد ، حسن حسين ، نور على نور ، يا حنان ، يا رمضان ، خوش كلدي ، وأمثال ذلك وما يكتب بين منارات هذا المسجد الليلة يكتب غيره في الليلة الأخرى ، وما يكتبونه يقرأ من الاماكن البعيدة لوضوحه وسعته ، فهذا نبأ تاريخي عن حال أهل الآستانة في رمضان لا يخلو من الفوائد وربما يتغير بعضه في السنين الآتية فيكون مما يعرف به الفرق بين الماضي والآتي

حجاب المرأة في الاسلام (*)

أما ما ورد في القرآن والسنة في هذه المسألة من الآداب فهو قاصر على ما يأتي :

(١) الأمر للرجال بغض النظر عن النساء بعض الغض وكذلك للنساء فقال تعالى (يغضوا من أبصارهم) و (يغضضن من أبصارهن) فان الواجب ان لا يطيل الانسان النظر الى وجه جميل يخشى منه الفتنة فان له النظرة الأولى وليس له الثانية . وقد سوى الله تعالى في أمر الغض الرجال بالنساء وهو يشعر بأن كلا الطرفين مكشوف للآخر

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٨٩) بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي

(٢) نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كثرة الخروج من بيوتهن فان طبيعتهن تقتضي ذلك بسبب ما يصيبهن من حيض وحمل وولادة ونفاس ورضاعة وتربية الاولاد وادارة المنازل وملاحظة خدمها وجميع شؤونها وأعمالها . فالطبيعة في الحقيقة تلزمهن بالقرار في البيوت في أغلب الاوقات لان أعمالهن وشؤونهن لا تسمح لهن بكثرة الخروج ولذلك قال الله تعالى مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) فان كثرة خروج النساء مذموم ومضيعة لاعمالهن وشرفهن فلا يجوز لهن الخروج الا لضرورة (والضرورات تبيح المحظورات) فان كان ثم موجب للخروج جاز ذلك والا فلا . فمن موجبات الخروج قضاء بعض المصالح أو الحاجات اذا لم يوجد من يفعل ذلك لهن والسعي وراء العيش كذلك والسفر للحج والرياضة البدنية والعقلية في الاماكن الخلوية والتمتع برؤية المناظر الطبيعية والصناعية المباحة (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وذلك في بعض الاحيان لا في أكثر الاوقات كما تفعل نساء الافرنج في الملاهي (والتياترات) فان ذلك من الافراط المذموم في الاسلام

قال بعض أهل النظر ان الامر بالقرار في البيوت هو خاص بنساء النبي لعدم حاجتهن للخروج في تلك الازمنة ولوجودهن في بيوت خاوية اذ ذاك قليلة السكان مستشهدا على صحة رأيه بسياق الآيات في سورة الاحزاب وبافرادهن بالخطاب في هذه الآية مع اشراكهن بغيرهن في آية (قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين) حيثما أراد أن يكون الامر فيها عاما للجميع وهو قول وجيه ولكننا نحن لا نرى مانعا يمنع من كون المراد بأمر القرار جميع نساء الامة وانما اختصاص نساء النبي (ص) بالخطاب هو لانهن أولى الناس بذلك كما سبق بيانه ولشدة الرغبة في حسن سمعتهن وتطهير أعراضهن من كل شائنة كما قال تعالى في آخر الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فالامر بالقرار في البيوت هو لنساء المسلمين واجب عندنا ولكنه لنساء النبي أوجب . ويصح أن يقال أيضا ان هذا الامر للجميع هو للارشاد والندب لا للوجوب ونساء النبي بهذا الارشاد أولى من غيرهن ولذلك قال في أول هذه الآية (يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن)

(٣) حرم الاسلام الخلوة بالاجنبية تحريما باتا لا هوادة فيه ونهى القرآن الشريف عن الدخول على النساء في خدورهن ومخاطبتهن في منازلهن الا من وراء حجاب لان استباحة حرم النساء والدخول عليهن في بيوتهن ومخاطبتهن من غير حائل يؤدي الى الخلوة بهن أو مغازلتهن أو رؤية شيء من زينتهن أو عوراتهن لانهن في البيوت يكشفن منهن ما لا يكشفنه في الخارج ويبدين فيها لازواجهن من زينتهن ما لا يبدينه لغيرهن ولا يجوز الاطلاع على شيء من ذلك قال الله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات – الى قوله – ثلاث عورات لكم) الآية وقال أيضا في آداب البيوت (لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم – الى قوله – واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي فخاطبوهن من وراء ستار ولا تدخلوا عليهن فأين هذا المعنى المفهوم من السياق من دعواهم انها تدل على تبرقع النساء وانتقابهن في الطرقات فشتان ما بين هذا وذاك ، واذا وجد داع للدخول عليهن في خدرهن وجب الاستئذان وتنبيههن لذلك حتى يخفين زينتهن وعوراتهن واصطحاب أحد محارمهن قال عليه الصلاة والسلام في حق المرأة (لا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم) فهذه الآداب هي خاصة بالبيوت . وللطرقات آداب أخرى غيرها والآية السابقة هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب كما قلنا وهي مع ذلك لا تدل على شيء مما زعموا

(٤) ومن آداب الاسلام اصطحاب المحارم في الخروج وعدم السفر الا معهم والخروج الا باذنهم وعلمهم فلا يجوز لامرأة أن تخرج إلا باذن زوجها أو تسافر الا مع ذي محرم وقد جري عمل المسلمين على ذلك من عهد الرسول وورد في ذلك كله أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا مع ذي محرم) وقال (لا تسافر المرأة الا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم) وقال (لا تسافر المرأة بريدا الا ومعها محرم يحرم عليها)

(٥) نهى القرآن الشريف عن التبرج بقوله (ولا تبرجن تبرج الجاهلية

الاولى) وعن ابداء أي شيء من زينتهن في الطرقات سوى الوجه والكفين (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) وأمر بضرب الخمر (وهي أغطية الرأس) على الجيوب وهي الشقوق التي تكون في ملابس المرأة فوق صدرها ومنها تظهر النهود فقال (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) وألزمهن إطالة أثوابهن من جميع أطرافها حتى لا يظهرمنها العنق ولا الذراعان ولا الساقان فقال (يدنين عليهن من جلابيبهن) وهي الثياب التي تسمى الآن بالجلاليب أي انه يجب على المرأة أن تطيل أطرافها وتمدها عليها حتى لا يظهر منها سوى الوجه والكفين أما الرأس فانه عندهن مغطى بالخمار لعدم جواز كشف الشعر . وهذه الملابس المذكورة في القرآن هي أشبه شيء بملابس نساء الفلاحين في مصر الآن ويمكن عملها بطرق أخرى كثيرة (مودات) بحيث لا يظهر من المرأة الا ما أباح الدين ظهوره وهو الوجه والكفان . فهذه هي آداب الطرقات .

ومما تقدم تعلم أن البرقع أو النقاب ليس له في الاسلام أثر ولا عين ولا ندري من اين أتوا به في الدين ان هو الا عادة ورثوها عن الامم الاخرى وهي لاخير فيها بل فيها كل الضرر كما بينا ذلك ولذلك لم يرد لها ذكر في الاسلام . فلو التزمت نساء المسلمين ما أتى به دينهم القويم من الآداب المذكورة هنا لفقن نساء العالم في العفة والفضيلة والكمال والاحتشام بدون أدنى احتياج للحجاب والا فقل لي بأبيك أي ضرر يلحق بنا اذا تركنا الحجاب وا كتفت نساؤنا بما أمرن به في الدين فأظهرت المرأة وجهها وكفيها فقط وغضت من نظرها (وكذلك الرجال كما أمر القرآن) وسارت في طريقها غير متبخترة ولا متبرجة ولا مزينة . وأقلت من الخروج من بيتها الا لموجب واذا خرجت اصطحبت أحد محارمها ولا تخرج الا باذن زوجها و بعلمه ولا تسافر الا مع ذي محرم ولا تخلو بأجنبي عنها ولا يخاطبها رجل في بيتها الا من وراء حجاب . فقل لي بأبيك اذا عمل المسلمون بهذه الآداب الشريفة فأي ضرر يحصل لنا ؟ وأي حاجة لنا بالبرقع والنقاب وهما قد جرا علينا من المصائب ما قد جرا ؟ فهل اذا التزمت نساؤنا آداب هذا الدين أفلا يفقن نساء العالمين ؟

على هذه الآداب الاسلامية جرى نساء سلفنا الصالح فكن يأتين المساجد و يحججن ويغشين الاسواق و يسعفن الجرحى في ميادين القتال و يخرجن في الفلوات للرياضة ولاستنشاق الهواء ويخطبن على الرجال و يحضرن مجتمعاتهم و يناقشن الامراء وهن في كل هذه الاحوال مكشوفات الوجوه وكن يفقن نساء العالمين في العفة والفضيلة ولم يكن هذا الحجاب معروفا بينهن وانما هن أخذنه بعد طول اختلاطهن بالامم الاخرى وتقليدهن في جميع أمورهن . وقد كثر بحث الفقهاء في الحجاب بعد القرن الثاني حينما امتدت الحضارة بين المسلمين وتعلقت الامراء به لبغضهم أن يرى نساءهم وجواريهم أحد من عامة المسلمين وقد قلدهم في ذلك أهل الطبقة الوسطى والعليا من سكان المدن ووجدوا من الفقهاء من يفتيهم بأنه من الدين (وهوليس منه في شيء). أما نساء المسلمين الآخرين البعيدات عن المدن وعن قصور الملوك والامراء فبقين على ماورثنه عن أسلافهن من السفور الى يومنا هذا . ولو كان الدين الاسلامي هو الآمر بالحجاب لوجدته بين جميع الامم الاسلامية في سائر الطبقات وفي سكان المدن والفلوات وفي سائر الاوقات ولما وجدته عند الامم الاخرى غير الاسلامية قبل الاسلام و بعده كقدماء اليونانيين (الروم) والحق يقال ان الاسلام بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وجميع ماقيل فيه ليس له أصل في الكتاب والسنة وانما هو من اجتهادات الفقهاء المحدثين بعد القرن الثاني وفتاويهم ولسنا ملزمين باتباع آرائهم وأفكارهم الزائدة عن الدين بل يجب رفضها رفضا باتا وخصوصا اذا أدت الى ما أدى اليه الحجاب الآن بين المسلمين مما سبق بيانه. فالعاقل من اكتفى بأوامر الدين ولم يعبأ بهوس المخرفين ولا بآراء الجاهلين وترك الابتداع في الدين أو تحريفه عن معناه القويم . (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

(المنار)

البرقع معروف عند العرب قبل الاسلام وفي كتب اللغة انه كان خاصا بالدواب ونساء الاعراب كأنهن لكثرة بروزهن في الشمس كن يقين به وجوههن منها ثم صار من آيات الحياء والحشمة ، قال توبة بن الحمير

وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت ... وقد رابني منها الغداة سفورها

وينسب الى ذي الرمة

اذا بارك الله في ملبس ... فلا بارك الله في البرقع

يريك عيون الدمى غرة ... ويسفر عن منظر اشنع

وقد بينا في المجلد الثاني من المنار ان الخلاف في هذه المسألة في مصر انما سببه العادات لا المحافظة على الشرع وعدم المحافظة عليه فلا يوجد أحد ممن شم رائحة الشرع يقول ان مايشكو منه اعداء الحجاب من الملاآت والبراقع هو شرعي ، وما كنت أحب ان تشن الغارة على هذه العادات باسم الحجاب الشرعي . والآية التي ذكر فيها الحجاب خاصة بنساء النبي (ص) حتما كما بينه المحدثون ولا سيما الطحاوي في شرح الآثار ولكن أطلق على عادات نساء المدن المسلمات في الستر اسم الحجاب فلأجل هذا ينتقدها الكتاب في هذا العصر بهذا الاسم

كثر خوض الكاتبين والكاتبات بمصر في هذه المسألة في هاتين السنتين وكذلك يفعل الكاتبون والكاتبات في الآستانة وقزان والقريم والهند أي في البلاد التي سرت اليها عادات المدنية الحديثة فأكثر المهاجمين للحجاب أو للعادات التي تسمى حجابا من المتفرنجين الذين يرون تقليد الاوربيين في عاداتهم واكثر الذين يردون عليهم من الذين يكرهون هذا التقليد ويرونه ضارا والدكتور توفيق صدقي من المعتدلين المستقلين في رأيه ولكن تغيير العادات في الأمة لايمكن أن يكون بمجرد اقامة الحجة على كونها مخالفة للشرع أو للمصلحة أو موافقة لها وانما يكون بالتغيير التدريجي في التربية والتعليم الذي تتغير به الآراء والافكار والميول والرغبات فمتى كثر الذين يرون تغيير العادة يتجرأ بعضهم على التغيير بالفعل فيتبعه من يوافقه في الرأي ويتبعهم المقلدون الذين لا رأي لهم ومحبو الجديد كيفما كان . وربما كان الانتقال السريع من العادة القومية الضارة الى ضدها ضارا ، وقد بدأ نساء الآستانة في تغيير العادات بما هو أمثل من التغيير الذي نراه بمصر

بينا غير مرة أن حكم الشرع في المسألة التي يسمونها مسألة الحجاب هي أن لا تخلو المرأة برجل من غير محارمها وأن لا تبدي زينتها للرجال بابداء ما لا ضرورة

الى إبدائه من بدنها وهو ما عدا الوجه والكفين ، ومن المشاهد ان لابسات الملاآت والحبر والبراقع التي يشكو منها اعداء الحجاب يبدين من زينتهن ما لا حاجة الى إظهاره فاذا كان هذا هو الحجاب فالشرع بريء منه وإنما يريد أعداء الحجاب شيئا آخر غير ترك هذا النوع من زينة النساء يريدون أن يباح اختلاط الرجال بالنساء في البيوت والمجامع العامة والخاصة وان يشارك النساء الرجال في جميع أعمالهم أو اكثرها ، يريدون أن يكون هذا فجأة لا أن يكون أثرا طبيعيا لتربية جديدة وتعليم جديد كما كان يطلب زعيمهم قاسم أمين، والا لما كثروا من طلب النتيجة قبل المقدمات والمسبب بدون اتخاذ ماله من الاسباب بل يريدون أن يكون سبب ذلك اقناع الجمهور به في الجرائد ولا يتدبرون ما يكون وراء ذلك من الفساد وفوضى الآداب

وقد جاء اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي تصدر في بغجة سراي (القريم) بأسلوب جديد للاقناع فكتب ان امرأة من سروات النمسة غنية لها أملاك ومعامل تدير نظامها بنفسها قد كتبت اليه تقول انها اطلعت على حقيقة الدين الاسلامي فأعجبها واعتقدت انه الحق واحبت الدخول فيه ولكن صدها عنه شيء واحد هو الحجاب فانها لا تستطيع ان تستر وجهها وتحول بينه و بين الهواء والنور ولا أن تكل أمر معملها في ادارته ونفقاته ودخله الى أحد سواها فهل يقبل إسلامها مع بقائها على ما كانت عليه من كشف الوجه ومزاولة الأعمال مع الرجال مع ثقتها بعفة نفسها أم الاسلام يجعلها متهمة في عفتها ويحرم عليها كشف وجهها والنظر في مصالحها ؟ وكيف يسمح للمسلم أن يتزوج نصرانية ويأمره أن يأذن لها في البقاء على عاداتها من السفور والذهاب الى الكنيسة ولا يرى ذلك خدشا لعفتها

أورد اسماعيل بك هذا السؤال الذي ذكرناه بالمعنى الذي بقي في ذهننا وقال انه لايمكنه الافتاء به بل يعرضه على علماء الاسلام في روسية والآستانة ومصر والهند وبخارى وغيرها من البلاد الاسلامية ويطلب منهم بيان الحكم الشرعي ليكون هو القول الفصل في هذه المسألة ، كأنه يطلب اتفاق العلماء أو إجماعهم لتقطع جهيزة قول كل خطيب ، وقد نقل ذلك عنه بعض جرائد الآستانة ولما نطلع على جواب لأحد

الخطب سهل فلا يمكن ان يقول أحد من العلماء ان صحة إسلام تلك المرأة تتوقف على ستر وجهها وترك أعمالها المالية فأما الاعمال المالية في نفسها فهي مباحة للنساء كالرجال بالاجماع وأما ستر الوجه فقد قال بعض العلماء بوجوبه لسد ذريعة الفتنة لا لانه مما تتوقف عليه العفة وماوجب لسد الذريعة يباح للحاجة فضلا عن الضرورة وهي أعلم بحاجتها وبثقتها بنفسها على ان اكثر نساء المسلمات في البدو والقرى وبعض المدن كالآستانة يكشفن وجوههن ولعل اللواتي يسترن وجوههن فلا يراها غير محارمهن لاتبلغ نسبتهن الى الحاسرات نسبة الواحد الى الالف ، ومن العلماء من يرى ان وجوب ستر الوجه ليس من أصل الشرع ولم يكن في اول الاسلام لا لذاته ولا لسد الذريعة وانما قال به العلماء بعد مادب دبيب الفسق في المدن الاسلامية ويرى جميع علماء الاسلام ان اسماعيل بك قد أخطأ في ارجاء إفتاء تلك المرأة بصحة إسلامها ان صح ان للواقعة أصلا لان من يطلب الدخول في الاسلام لايجوز إرجاء قبوله ساعة ولا دقيقة

واذا صح هذا فلا يقاس عليه إباحة مثله للنساء اللواتي نشأن على عادة ستر الوجه وعدم معاملة الرجال لما يترتب على الانتقال الفجائي من ذلك الى ضده من المفاسد التي لا تقابلها مصلحة حقيقية ناجزة وان وقفن فيه عند حد ما يبيحه الشرع فكيف وهن يتعدينه حتما حتى الى العشق وطلب الزواج بغير المسلمين !!! وقد سمعوا بخبر التركية مع الرومي بعد الدستور الذي قطعه الترك في الآستانة إربا إربا

وصفوة القول ان هذه المناظرات في الجرائد لاتأتي بما يبغيه المتناظرون ، واذا ظلت مصر والاستانة وما ماثلهما من بلاد المسلمين على ماتراه من التفرنج التدريجي فسيكون نساؤنا كنساء الافرنج في شر ماهن عليه ينتهين الى ذلك بالتدريج السريع او البطيء كما سبق رجالنا المتفرنجون في الغالب الى شر ماعليه الافرنج من السكر والزنا والقمار، واما اذا وجدت جمعيات اسلامية تتولى التربية والتعليم للبنات مراعية حاجة العصر مع حفظ آداب الدين وأحكامه فيمكن أن تكون المرأة المسلمة خير نساء العالمين أدبا وعلما وفضيلة مع القدرة على النظر في مصالحها ومصالح بيتها واتقاء كل مايعد من ضرر العادات التي تنسب الآن الى الحجاب واهمها الخطبة والنظر الى الخطيبة وحفظ المرأة لاموالها وحقوقها فالعبرة بالاعمال وإنما العمل في مثل هذا للجمعيات الخيرية

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ هيأة الناسك ﴾

(في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك)

العبادات العملية الظاهرة لامجال للخلاف في اركانها وواجباتها لانها نقلت بالعمل الذي لايحتمل التأويل ولذلك ترى صلاة السنيين على اختلاف مذاهبهم والشيعة الامامية والزيدية والخوارج الاباضية وغير الاباضية كلها واحدة وانما وقع خلاف بينهم في بعض الاعمال غير المفروضة كرفع اليدين عند الركوع والقيام والقنوت في صلاة الفجر وسبب هذا الخلاف أن النبي (ص) فعل ذلك في بعض الاوقات وتركه في بعضها لسبب أو لغير سبب يعرف فأخذ بعضهم دائما برواية الفعل وبعضهم برواية الترك أو عدم الفعل وكان الاظهر فيما عرف سببه ان يناط به ومالم يعرف سببه ان يفعل تارة ويترك أخرى ولا يختلف طوائف المسلمين فيه فان الاختلاف في الاعمال من اسباب اختلاف القلوب كما يعلم من احاديث الامر باستواء الصفوف في الصلاة ومن التجربة الدالة على كون ذلك من سنن الله تعالى في خلقه وقد اهتدى الى هذه السنة الامم العليمة بطبائع النفوس واخلاقها وسنن الاجتماع فاجتهدوا في جعل أفرادهم متفقين في الاخلاق والآداب المنزلية والاجتماعية والعادات في اللباس والطعام والشراب وغير ذلك وكان هذا من اسباب اتحادهم وقوتهم واستيلائهم على البلاد الاسلامية وغيرها . وهذه هي الحكمة في تشديد النبي (ص) في تسوية الصفوف بقوله «لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم» أو قال بين وجوهكم رواه الشيخان في صحيحهما واصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير (رض) والوجوه يراد بها القلوب ، فهل قدرنا هذا القسم حق قدره وبحثنا

وبحثنا عن حكمته وسره ؟ انما حكمته وسره ماذكرنا وفي معناه التشديد في رفع الرأس قبل الامام ولكن وجد في خلف المسلمين أقوام فتنوا بحب الخلاف فصاروا يتعلقون بأوهى الروايات وأضعفها ليخالفوا سائر اخوانهم في عمل ما ولا سيما اذا كان دينيا . وكنا نرى ان أغرب خلاف بين المسلمين في صلاتهم هو إرسال اليدين في الصلاة الذي جرى عليه اخواننا المالكية لا لانهم خالفوا سائر المسلمين فيه بل لاننا لم نعرف له اصلا في كتب السنة لا في موطإ الامام مالك ولا في غيره فكنا نقول كيف قال بذلك عالم دار الهجرة ولم يرو هو ولا غيره فيه شيئا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من اصحابه (رض)

وقد كشف الغمة في هذه المسألة صديقنا الشيخ محمد المكي بن عزوز في رسالة له سماها (هيأة الناسك في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك) فبين بالنقول الكثيرة عن اشهر علماء هذا المذهب انه لا خلاف بين المسلمين في هذه المسألة فمذهب المالكية كسائر المذاهب فيها وأن سبب ماجرى عليه المالكية منذ قرون هو رواية لابن قاسم في المدونة عن مالك معناها الذي اوضحه المحققون انه يكره القبض بوضع اليمنى على اليسرى اذا قصد المصلي الاعتماد والاستناد لاجل الاستراحة وخص ذلك بصلاة الفريضة والمراد انه يكره لمصلي الفريضة ان يقصد الاعتماد والاستناد بقبض يديه وانما ينبغي أن يقصد بذلك السنة ، ونقل عن كثير من فقهائهم التصريح بأنه لو فعل ذلك لا للاعتماد بل تسننا لا يكره وانه لا يكره في النفل ولو قصد به الاعتماد، وان في هذه المسألة لعبرة يتبين بها الفرق بين المقلدين العميان الذين لا بصيرة لهم في دينهم و بين أهل البصيرة من المستقلين والمتبعين للائمة والفقهاء

قلنا مرارا إنه يجب على جميع المسلمين أن يهتدوا بالكتاب والسنة وان ذلك لا يمنعهم من اتباع أئمة العلم والانتفاع بكتبهم فالمتبع لهم حقيقة لا تنقطع صلته بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما المقلد الأعمى الذي يتبع آباءه ومشايخه من حيث لا يعلم وجه صلتهم بالكتاب والسنة فهو منقطع عن تلك الهداية غير معتصم بحبل الله كما أمر عز وجل فهو يأخذ عنهم الحكم الموافق لا من حيث انه موافق و يأخذ عنهم الحكم المخالف وقد يدري انه مخالف وشبهته وشبهة من

قلدهم ان أولئك الائمة أعلم منا بالكتاب والسنة فيجب أن نعتمد على فهمهم لها دون فهمنا ونحن على تقدير تسليم ان الله يكلف كل إنسان بما يفهمه من يظن هو أنه أجود منه فهما نقول أولا ان معنى اتباعنا لهذا الجيد الفهم هو أن نتلقى عنه الكتاب والسنة ونعمل بما يلقيه الينا من فهمه لها وما عليه جماهير المقلدين من الخلف الجاهلين ليس كذلك فان أحدا منهم لم يتلق شيئا عن إمام مجتهد وانما يتلقى دينه من آبائه ومشايخه المقلدين كما فهموا من مشايخهم المقلدين ومن كتب أمثالهم عصرا بعد عصر وقد يكون مشايخنا مخطئين فيما فهموا من مشايخهم ومن كتبهم وقد يكون من قبلهم كذلك مخطئين وهكذا كما أخطأ الملايين من المالكية قرنا بعد قرن في ترك سنة قبض اليدين وعزوا ذلك الى مالك خطأ في فهم رواية ابن قاسم عنه : فما جاز في هذه المسألة عليهم ووقع منهم يجوز مثله على غيرهم و يقع منهم بل هو واقع لا محالة فان المسائل الخلافية الكثيرة لا يعقل أن يكون المصيب فيها دائما واحد وانما يكون كل منهم مصيبا في بعضها ومخطئا في البعض الآخر وحكم الله في مثلها ان ترد الى الكتاب والسنة فانها هي المسائل المتنازع فيها وقد قال عز وجل « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » أي ردوه الى كتاب الله و رسوله في عصره والى سنته بعد وفاته

فلو جرى الخلف منا على سنة سلفنا الصالح في جعل علم الدين بيانا للكتاب والسنة دائما لما استمر الجمهور منا على الخطأ في شيء زمنا طويلا ولما تفرقت كلمتنا ، ولو جعلنا الواسطة بيننا و بين الكتاب والسنة كلام الائمة المجتهدين الاولين وحدهم لما بعدنا عنهما هذا البعد الشاسع لا سيما اذا اتبعناهم فيما أمروا به من رد كلامهم الى كلام الله وسنة رسوله دون العكس ولكن الوسائط كثرت بيننا و بينهم جدا فنحن مخدوعون بدعوى اتباع الائمة ولم نتلق عنهم ولم نقرأ ما كتبوه بأيديهم وليس لأكثر ما نعزوه اليهم أسانيد متصلة كأسانيد السنة نميز بين صحيحها وضعيفها وموضوعها بالرجوع الى تاريخ رجالها

وجملة القول إن هذه الرسالة (هيأة الناسك) قد جاءت حجة ناصعة على المقلدين

العميان الذين يزعمون انهم باتباع آبائهم ومشايخهم آخذون بما فهمه الائمة المجتهدون عليهم الرحمة والرضوان من الكتاب والسنة ومستغنون به عن دراستها وفهمها والاهتداء بهما مباشرة أو بواسطة ما فسرهما به الائمة فقط

هذا وان اكثر الناس يؤثرون ما اعتادوه على ما يصح عن الائمة كما يؤثرونه على الكتاب والسنة وسترى هؤلاء يصرون على سدل أيديهم في الصلاة ولا يرجعون عنه بعد ما بين لهم هذا العالم الواسع الاطلاع ان مذهب مالك واساطين علماء مذهبه هو مذهب سائر المسلمين الثابت بالسنة الصحيحة قولا وعملا وانما يرجع الى ذلك بعض الاتقياء الذين يؤثرون الحق على العادات والتعاليم الموروثة وهنا يظهر فضل علماء المالكية فان رجعوا بالعامة الى العمل بهذه السنة وموافقة المنتمين الى سائر الائمة فذلك مما يحمد لهم ويحمد الله على توفيقهم للحق والانصاف

وانا نذكر عناوين أبواب الرسالة ترغيبا للناس في مطالعتها والاعتبار بها وهي عشرة (١) في نصوص الفقهاء على مشروعية القبض وكراهة السدل (٢) في تأويل رواية ابن القاسم كراهة القبض (٣) في احتجاج الفقهاء المحققين لسنة وضع اليد على اليد في الصلاة (٤) في اتفاق جميع شرائع الانبياء على سنية ذلك (٥) في ان القول المشهور لا ينحصر في المدونة (٦) في الفرق بين المشهور والراجح (٧) في محل اليدين عند الوضع (٨) في تكميل مهم قاطع للنزاع في المسألة (٩) في عذر الافاضل الذين كانوا قائلين بالسدل (١٠) في جواز الافتاء بالسدل لمن علم كراهته وكونه بدعة . فجزى الله المؤلف الجزاء الاوفى فانه لم يؤيد السنة على البدعة فقط بل أيد الاصلاح الاسلامي بتأييد هذه السنة وكشف شبهة البدعة عن وجهها وهكذا يكون نفع العلماء المستقلين الذين لا يكتفون بما ورثوه عن الآباء والمعاشرين بل يطلبون بأنفسهم الحق اليقين

***

﴿ حسن الصحابة . في شرح أشعار الصحابة ﴾

الشعر ديوان العرب ، ومادة الادب ، وخير اشعار العرب وأنفعها شعر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فان فيه ما في شعر الجاهلية من الفوائد وزيادة فانه يشارك شعر الجاهلية في ضبط متن اللغة وجواز الاستشهاد به في بيان فنونها من النحو والصرف والبلاغة والاستعانة به على فهم القرآن والحديث وغير ذلك من الفوائد كتاريخ العرب وأنسابهم وسائر شؤونهم ويزيد عليه بما فيه من النزاهة والآداب وبيان نشأة الاسلام ومبدإ تاريخه وشيء من فضائله وآدابه ، فالرغبة في تحصيله يجب أن تكون أقوى والعناية به ينبغي أن تكون أتم ، وقد كان متفرقا في كتب السير والتاريخ والادب فوفق الله له من عني بجمعه وشرحه ليسهل تحصيله ودرسه وحفظه وفهمه ، ذلك الذي ادخر الله له هذه المنقبة هو الشيخ علي فهمي بن شاكر الموستاري المعروف بلقب « جابي زاده » الذي كان مفتيا في هرسك ثم هاجر الى القسطنطينية وصار معلما للادبيات العربية في دار الفنون أعلى مدارسها وأرقاها

لقيت هذا الرجل الصالح فألفيت عنده من العناية بأشعار العرب وأنسابها ما لم أجده أومثله عند أحد في دار السلطنة الا ان يكون الشيخ محمد خالص (افندي) وكيل الدرس في المشيخة الاسلامية على ما عند علماء هذه الديار من الضعف في هذه اللغة لتلقيهم علومها الآلية والشرعية بالترجمة لان السياسة قضت بأن لا تقوى اللغة العربية في العنصر التركي ، بل أقول قلما يوجد في مصر وسورية من له عناية بانساب العرب واشعارهم وآدابهم كهذا العالم الموستاري الهرسكي الذي نشأ في ظل حكومة النمسا نشوءه العلمي

رتب المؤلف ما جمعه من أشعار الصحابة على حروف المعجم وقد طبع الجزء الأول من شرحه لها فبلغت صفحاته ٣٦٢ وهو من قافية الهمزة الى قافية الدال . ومن طريقته في هذا الشرح أنه يترجم كل صحابي له شعر عند ذكر أول شعر له ، وهو يعزو كل شعر الى الكتب التي نقله منها وما كان مختلفا في عزوه الى صاحبه ذكر

الخلاف في ذلك ، ومن طريقته في الشرح انه يفسر المفردات ويبين معاني الجمل ويشرح الوقائع التاريخية التي تشير اليها الأبيات ويأتي عليها بالشواهد والأمثلة أحيانا ويبين إعراب بعض الجمل عند ما يرى حاجة الى ذلك .

والكتاب يباع في مكتبة المنار وثمن النسخة منه اثنى عشر قرشا ماعدا أجرة البريد فنحث طلاب الادب على مطالعته فانه من خير الكتب التي تطبع ملكة اللغة في النفس وتعين مطالعها على اجادة النظم والنثر وعسى ان يقرر في مدارس الحكومة فانه من افضل كتب الادب التي ترغب في مثلها نظارة المعارف

* * *

﴿ طلبة الطالب في شرح لامية ابي طالب ﴾

هي رسالة لطيفة شرح بها صاحب هذا الكتاب قصيدة ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله وناصره اللامية الشهيرة وقد سبق لنا نشر هذه القصيدة البليغة في المنار ويا ليت كل طالب للأدب يحفظ هذه القصيدة ويستفيد من بلاغتها. وهي تباع أيضا في مكتبة المنار وثمن النسخة منها قرشان

* * *

﴿ تحرير المرأة — ترجمته ﴾

ترجم « الاصمعي » كتاب تحرير المرأة المشهور بالتركية والاصمعي هذا معروف عند الادباء بما ترجمه من الآثار العربية بالتركية ككتاب السياسة الشرعية وغيره . وقد طبعت الترجمة التركية بعد الانقلاب العثماني وكان يظن انها تروج في الآستانة ولكن لم تكد نسخها تعرف فيها حتى قرر مجلس الوكلاء (النظار) منعه فكان ذلك غريبا جدا مع كثرة خوض كتاب الترك في مسألة النساء والحجاب وتقبيح بعضهم للحجاب وتنفيرهم منه حتى بعد منع هذا الكتاب وربما نذكر شيئا من ذلك في جزء آخر . وأغرب من هذا ان الحكومة العثمانية تمنع القول في شيء تساعد عليه بالعمل فانها كما قيل مساعدة لاحمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين على المدرسة التي يريد أن يعلم فيها بنات المسلمين مع بنات الافرنج وغيرهم من غير تربية دينية ولا تعليم إسلامي

باب الأخبار والآراء

حفلة وداع البستاني

وصلت الى القاهرة ظهر يوم الاثنين لست أو سبع خلون من شوال فأخبرني من لقيني من أصدقائي السوريين أنهم سيجتمعون بعد المغرب في فندق كونتنتال للاحتفال بوداع صديقنا سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت وانه يحسن أن أحضر الاحتفال ان لم يمنعني مانع فأجبت وجئت المكان متأخرا وكان رفيق بك العظم واقفا يتكلم في مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك ويعهد الى البستاني بتلافي ذلك عسى أن يُرتق الفتق قبل اتساعه

لم أسمع كلام الخطيب كله ولكني أعرف رأيه وحرصه على الاتحاد العثماني فقد قضينا السنين الطوال في العمل لذلك سرا وجهرا والبستاني يعرف لنا ذلك حتى قال لي في الآستانة وكنا نتكلم في هذه المسألة اني لا أعرف أحدا من إخواننا السوريين أو قال العرب موافقا لرأيي مثلك ومثل رفيق بك أو قال غيركما

ثم قام يعقوب افندي صروف فرد على رفيق بك بعد الاعتراف له بما اشتهر به من الغيرة على الدولة والاخلاص لها وقال انه لا يوجد شيء من سوء الظن بين الترك والعرب وأن الترك يفضلون العرب على أنفسهم وان القابضين على زمام الاحكام يعملون بالاخلاص التام لتوحيد العناصر ومتى وجد الاخلاص لا يضر الخطأ ان وجد وان سبب عدم نيل العرب لنصيبهم من الوظائف هو عدم تمرنهم وتدربهم على اعمال الحكومة وادارتها كالترك !!

ثم قام البستاني فأثنى على رفيق بك وغيرته واخلاصه وذكر ان سوء التفاهم

الواقع بين العنصرين سببه عدم الاطلاع على حقيقة الحال في الدولة فأكثر المناصب العسكرية في أيدي العرب وذكر منهم محمود شوكت باشا ناظر الحربية ومحمد هادي باشا قائد الفليق الثالث وسامي باشا قائد حملة حوران قال والعسكرية هي كل شيء الآن ، ثم ذكر الشريف حيدر بك ناظر الاوقاف ووالي البصرة الجديد ، وان عمال الحكومة من الترك بيروت لايزيدون على سبعة في المئة ـ وأن الترك يشتغلون لخدمة لغتنا اكثر منا والحكومة تعد مشروعا لجعل تعلم العربية اجباريا في المملكة ، ومن البراهين على ترقيتها للغة العربية مساعدتها لمشروع السيد رشيد رضا صاحب المنار فانه اقترح إنشاء مدرسة كلية عربية في العاصمة فتلقت الحكومة مشروعه بالقبول وقررت مساعدته عليه بالمال

قال البستاني هذا كما قال هو وغيره من المبعوثين مثله في بيروت والشام ولم يكن عالما بأني جئت من الآستانة واني في المجلس اسمع لانني جئت في اثناء الخطابة فلم يرني الا من جلست بالقرب منهم ، فقيل له ها هو ذا السيد رشيد فحياني واستشهدني فأرجأت شهادتي الى ان يتم كلامه وبعد ان أتمه قامت فتاة سورية عذراء فوقفت تحت العلم العثماني المحبوب وحيته بخطاب منثور مؤثر صفقت له أيدي الحاضرين ورقصت له قلوبهم

ثم قمت فقلت كلاما حاصله ان العثمانيين الحاضرين في هذه الحفلة هم من ارقى العثمانيين ان لم يكونوا ارقاهم في علومهم وأفكارهم وانهم مستمسكون بعثمانيتهم متحدون تحت علمهم الذي تهتف له ألسنتهم وقلوبهم ويحييه حتى العذارى منهم (قلت) فقد سمعتم ما فاهت به هذه العذراء العربية العثمانية في تحية العلم العثماني بالكلام الفصيح البليغ الصادر عن وجدان يتدفق غيرة وحمية واخلاصا لايوجد ارقى منه في نساء الاستانة نفسها على ان نساء الاستانة أرقى من نساء سائر الولايات العثمانية تربية وتعليما ، ولكن لدينا في النساء السوريات من هن في الذروة التي لاتعلوها ذروة أخرى في الاستانة ولا في غيرها من هذه المملكة

ان المرتقين من الأمة يجب أن يعرفوا كل شيء من أحوالها فاذا يجب أن يعرف هذا الجمع ان ما نعبر عنه بسوء التفاهم بين العرب والترك واقع حتما وان رفيق بك مصيب فيما خاطب به مبعوثنا العاقل المتروي من وجوب السعي

في تدارك ذلك وتلافيه وكيف نكابر أنفسنا وننكر أمرا لهجت به الجرائد في العاصمة والولايات ومصر وتناوله خيال الشعراء وعرفه العامة والخاصة وشكا منه العقلاء حتى قال أحد كبراء الحكومة في العاصمة لأحد مبعوثي العرب انا وصلنا بسياسة الأطفال الى درجة من سوء التفاهم صار يخيل اليّ فيها اذا رأيتك مقبلا لملاقتي انك واثب علي لتفتك بي وانت يخيل اليك مثل هذا

المسألة وصلت الى العامة فاذا تغلغلت فيها صعب نزعها لذلك كان من حرص رفيق بك مخاطبة سليمان افندي بما خاطبه به لعلمه بأنه على رأيه في ذلك . وانني قد بذلت جهدي في الآستانة لتلافي خطر هذه المسألة وكلمت فيها أولياء الأمور الصدر الأعظم وغيره (وأشرت الى ذلك أيضا في نبذة الرحلة من هذا الجزء) والبستاني كان يسعى مثل هذا السعي وجرى الحديث بيننا ثمة في ذلك غير مرة فاذا كان يقول لكم ههنا كما كان يقول في سورية انه لا خلاف ولا تغاير ، وما ثم الا الاتحاد والتآزر ، فما ذلك الا انه يجري على ما تعود من الدعوة الى الوفاق فهو يريد أن يسكب الماء البارد على هذه القلوب الحرى ليبرد حرارتها ، ولكنه كان يخاطب اخوتنا الترك في العاصمة بغير ما خاطبكم به ، كان ينكر عليهم كل ما يبلغه من الأمور التي تحرك العصبية الجنسية والتنافر بين العنصرين فهو يقول في كل مكان ما ينبغي أن يقوله مثله من دعاة الوفاق والائتلاف فأنا اشكر له ذلك وأفاخر به أنه عربي سوري

ثم بينت لهم رأيي وما وصل اليه سعيي في هذه المسألة وهو ما تقدم في نبذة الرحلة من هذا الجزء وما بينته من قبل في مقالات (العرب والترك) وغيرها من من المقالات التي نشرتها في الآستانة ، وملخصها ان الترك والعرب اخوة في الاسلام وفي المصلحة العثمانية لا يستطيع ان يفرق بينهما أحد فهما كالعنصرين المكونين للماء أو الهواء وان ما كان من سوء التفاهم فسببه افراد من المتفرنجين في العاصمة فهناك ولدت هذه المسألة ومن هناك دبت ودرجت وهناك تتلافى

ثم ذكرت أيضا ما وصل اليه مشروع العلم والارشاد (وتقدم بيانه في نبذة الرحلة فلا نعيده) ولكن زدت ان نظام المدرسة (دار العلم والارشاد) مبني على ان التعليم كله بالعربية وان التركية إلزامية فيها وان بعض أعضاء الجمعية يقترحون

ان تعلم بعض الفنون بالتركية . والنظام الداخلي لها لما تصدق عليه الجمعية

بعد هذا قام البستاني فتكلم كلاما وجيزا لم ينقض فيه شيئا من كلامي ولكنه صرح بأن أحسن ما قلته هو ان سوء التفاهم جاء من بعض الأفراد فلا يجوز أن ينسب الى الترك أنفسهم وانه يعلم ان رفيق بك مخلص فيما اقترحه وانه هو أعلم الناس بخبرته و إخلاصه (قال) الا السيد رشيد فلا ادعي انني أعلم منه بذلك

ثم تكلم خليل افندي مطران فأيد رفيق بك وذكر فضل العرب ومكانتهم وحقوقهم وقال ولي الدين بك يكن كلمة وجيزة في وجوب مزج العنصرين وجعل العرب تركا والترك عربا ، وهذا ما كان صرح به حقي باشا الصدر الاعظم . ثم انفضت الحفلة والجميع متفقون على وجوب إزالة الخلاف فلله در العرب ما أشد إخلاصهم

وقد بلغني بعد أيام أنه نشر في جريدة العلم مقالة لكاتب مجهول في تخطئة رفيق بك وتخطئتي فيما قلناه وان من ضرره انه يحرك سائر العناصر العثمانية على المطالبة بحقوقهم اذا رأوا العرب يطالبون بحقوقهم وان الذي حمل رفيق بك على هذا الكلام هو طمعه في الوظائف بل زعم الكاتب انه طلب لنفسه وظيفة فلم ينلها فقام ينتقم لنفسه ويخدم الانكليز بمقاومة الدولة وتهديدها واستدل بكلام البستاني على خطئه

لم أر ما كتبه هذا الأرعن المفتات ولكن رأيت لرفيق بك ردا عليه وعلى العلم في الاهرام ومثله لا يرد عليه لانه سيء النية بدليل كذبه في دعواه ان رفيقا طلب وظيفة والبستاني يعلم كما نعلم ان رفيقا لو عرضت عليه الصدارة لما قبلها لأن صحته تمنعه من العمل حتى انه لم يقبل ان يكون مبعوثا ، ولأنه (أي الكاتب) جاهل بحال الدولة لايدري ماذا طلبت العناصر الأخرى من الدولة بحق الدستور و بغير حقه أيضا ، ولا يدري ان هذه العناصر لا تنتظر الكلام الذي دار في حفلة وداع البستاني لتبني مطالبها عليه بل لا تعلم به وان نشر في الجرائد المصرية وان كلامه هو لا يصل اليها أيضا ولا الى أولي الامر في الآستانة فهو تملق ضائع ونحن لم نطالب بحقوق العرب في الاحتفال وانما طالبنا بوجوب الاتفاق ولذلك لم نتعرض لبيان الحقائق فيما قاله البستاني وغيره بل كتبنا في المنار من قبل انه لا يضرنا ان تكون أكثر الوظائف في الترك وانما يضر ان تكون في غير الا كفاء

...

﴿ عباس أفندي البابي البهائي ﴾

البهائية فرقة من البابية رئيسها الآن عباس افندي بن ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء أو بهاء الله دفين عكاء وهم آخر طوائف الباطنية يعبدون البهاء عبادة حقيقية و يدينون بألوهيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم ، وكان عباس افندي محجورا عليه في عكاء فلما صارت الحكومة العثمانية دستورية تسنى له أن يخرج من عكاء وقد جاء الاسكندرية في هذا الشهر وكتب مدير المؤيد نبذة عنه وصفه فيها بالعالم المجتهد و بالتضلع من العلوم الشرعية والاحاطة بتاريخ الاسلام وقال ان أتباعه يعدون بالملايين وانهم « يحترمونه الى حد العبادة والتقديس حتى أشاع عنه خصومه ما أشاعوا » ثم قال مدير المؤيد « ولكن كل من جلس اليه يرى رجلا عظيم الاطلاع حلو الحديث جذابا للنفوس والأرواح يميل بكليته الى مذهب (وحدة الانسان) وهو مذهب في السياسة يقابل مذهب (وحدة الوجود) في الاعتقاد الديني تدور تعاليمه وارشاداته حول محور إزالة فروق التعصب للدين أو الجنس أو الوطن أو لمرفق آخر من مرافق الحياة الدنيوية »

أقول ان عباس أفندي رجل عظيم سياسي جذاب الحديث يخاطب كل أحد بما يرى انه يرضيه ويعجبه وكان منذ ثلاثين سنة يجيء بيروت فيصلي الصلوات الخمس مع المسلمين وكذلك كان يعامل المسلمين في عكا ، يجتمع بالعالم السني فيوهمه ان فرقتهم لم يكن همها من الاصلاح الا إزالة تعصب الشيعة وتقريبهم من أهل السنة والتوفيق بين الطائفتين كما سمعت ذلك عنه من شيخنا الشيخ حسين الجسر (رح) وهو في الحقيقة زعيم دين جديد في بعض تعاليمه ومسائله وان كان مبنيا على أصول الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية ، وهم يدعون المسلمين الى دينهم بدعوى أنهم منهم ويريدون ان يجعلوهم على بصيرة في دينهم اي وثنيين يعبدون البشر فيالله من هذا الارتقاء ، والتقدم بالرجوع الى الوراء ، وكذلك يدعون النصارى بتسليم الوهية المسيح وادعاء انه هو البهاء وقد جعل قدماؤهم للدعوة أصولا

وأساليب حكمية يبنها المقريزي وغيره من المؤرخين كالتشكيك في آيات القران وتأويلها بما تتبرأ منه اللغة والدين كتأويل البهائية السموات السبع بالأديان واختصام الملأ الأعلى باختصام أولاد البهاء عباس واخوته ، وتفسير «هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » بظهور البهاء وأتباعه فهو إلههم وأتباعه ملائكتهم ! ! وعندهم ان القيامة قد قامت بظهور الباب والبهاء

ولما كان ما ذكره المؤيد عن عظيم القوم يوهم انه من علماء الاسلام المجتهدين في الدين كالأئمة الاربعة (مثلا) وان سياسته كسياسة المأمون وكان هذا مما يسهل عليه نشر دعوته في مصر ويحمل من يغتر بظاهر كلام المؤيد على الثقة به رأيت انه يجب عليّ ان أنبه الناس الى الحق الذي أعتقده بعد الاختبار الطويل وما قرأته وسمعته عن هؤلاء القوم وما قرأته في كتبهم وما جرى لي من المناظرة والمحاورة مع داعيتهم بمصر ميرزا أبي الفضل

أقول ان عباس افندي ليس إماما من أئمة المسلمين المجتهدين وللمؤيد ان يقول انه عنى بالمجتهد معناه اللغوي لا الأصولي بل لا يعد من علماء المسلمين لان قومه ليسوا منهم ولكن لا تنكر انه مطلع على تاريخ المسلمين وعلومهم ، واجتماع مدير المؤيد به مرتين لا يكفي للحكم باحاطته بالتاريخ وتضلعه من العلوم الشرعية ، وقوله إن أتباعه يعدون بالملايين غير مسلم أيضا وطالما سمعناهم يدعون ذلك لانه مما يجذب الناس اليهم بل يجعلون هذا دليلا على حقية دينهم وقد سبق لي كلام معهم في ذلك . والمؤيد أخذ ذلك عنهم بالتسليم

واما مسألة وحدة الانسان فانما يعنون بها دعوة الناس الى دينهم المبني على عبادة البشر وتقديسهم حتى قال داعيتهم أبو الفضل في أحد الملاهي العامة بمصر في البهاء « هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » فقلنا نحن فاصلة الآية (سبحان الله عما يشركون) والمسلمون يدعون الى اتحاد البشر واتفاقهم على عبادة الله وتقديسه وحده وجعلهم أخوة في الاسلام لا يفرق بينهم تعصب لدين ولا جنس ولا وطن ولا غير ذلك ، والنصارى يدعون أيضا الى وحدة الانسان في النصرانية وعبادة المسيح عبد الله ورسوله (عليه السلام) فبماذا امتاز البهائية

ألا فليعلم الناس ان هؤلاء الباطنية قد قصدوا في وضع تعاليمهم الاولى محو الاسلام وازالة سلطانه من الارض ، وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وازالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسي يرى ان الحكومة يجب ان تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبي (ص) فصاروا يبثون دعوتهم في هذا الحزب بحمله على الغلو في بغض عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وابي بكر وجمهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقد وجد هذان الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية ايضا وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم لان وجود هذه الاحزاب السياسية طبيعي في البشر ، وكذلك خلق الغلو طبيعي في البشر ولذلك نجح الباطنية في دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا ان ذلك يعد طعنا في أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لان رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتوم ؟ انهم يجيبون عن هذا بما لا يقبله ذو عقل مستقل كالتقية وما كان علي بالجبان فيخاف في اظهار أساس دينه أحدا . على انه كان يمكنه ان يبث ذلك سرا في آل بيته وشيعته وغرض الباطنية إخراج الشيعة من الاسلام كما كانوا يريدون إخراج غيرهم ولكنهم خابوا ولا يزالون خائبين وللمسلمين من الشيعة وغيرهم السلطان والبرهان الغالب عليهم . ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره في الصوفية أيضا الا من كان أو صار من الباطنية وسنزيد هذه المسألة بيانا . وعسى أن ينشر مدير المؤيد هذا في جريدته ليزيل الايهام الذي علق بالأذهان من كلامه ولا يعقل ان يكون مقصودا له لأن آحاد العامة المتهاونين في الدين لا يمهدون السبيل لدعوة دين وضع لمحو دينهم فكيف يفعل ذلك مثل مدير المؤيد وهو من يعد من خواص المسلمين في علمه وسياسته

ومن أراد أن يعرف تاريخ هؤلاء البابية وشيئا من التفصيل في دينهم فيطالع كتاب مفتاح الأبواب تأليف الدكتور محمد مهدي خان وثمنه خمسة عشر قرشا صحيحا ويوجد في مكتبة المنار وغيرها

* * *

﴿ أمير مكة المكرمة الشريف حسين ﴾

« سعيه المشكور في نجد »

علمت منذ أشهر وانا في الآستانة ان الامير سافر من الطائف الى نجد في عسكر لجب من العرب الخاضعين له وان قصده من ذلك منع أمير نجد عبد العزيز بن سعود من أخذ الزكاة من قبائل عتيبة التابعة للشريف والاعتداء عليهم لان أمير مكة هو الذي كان يأخذ زكاتهم، ثم عقد الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد، وبلغنا ان والي الحجاز عرض يومئذ على الشريف أن يأخذ معه ماشاء من العسكر فأبى، وكان ذلك حكمة منه تدل على بعد نظره وسعة علمه بأخلاق العرب وطباعهم، وقد ظهر أثر ذلك فانه أدرك ماأراد ولم يسفك دما ولا زاد القبائل خلافا وعدوانا فيما بينها و بعدا عن الدولة وتنكرا منها وسوء ظن بها كما كانت تفعل بعثات الدولة العسكرية بل أصلح إصلاحا لم يسبق الى مثله فدل عمله على فساد رأي الذين يريدون إلغاء إمارة مكة دفعة واحدة ورأي الذين يرون أن تلغى سلطة الشريف أولا ثم تلغى وظيفته ، ولا خير في هذا الرأي للدولة ولا في ذاك بالأولى، وان محاولة سياسة عرب الجزيرة ولا سيما الحجاز وادارتهم بالقوانين التي تنفذ في أوربة العثمانية تعد ضربا من الجنون والاعتماد في إخضاعهم لها بالقوة فن آخر من الجنون أشد مما قبله خطأ وخطرا

قرأنا في الجرائد ان الشريف فاز وأفلح فيما أراد. ونحن نعلم أن عبد العزيز بن سعود كان قد استعد للقتال لما سمع بزحف الشريف على نجد ظنا منه انه زحف بعسكر نظامي للقتال وإخضاعه بالقوة القاهرة حتى انه كتب في أواخر شعبان الى سليمان بن جبري وجماعته أهل القوعية يأمرهم بالنفير العام قال في كتابه « ولا يتربصن منكم أحد وترى أعرفكم عرقكم رطب لهل فزع لكن والله مايذكر أحد متخلف تكون عقوبة الله عليه ، الله الله في العجلة لغاية مايكون»، ولكنه لم يذكر السبب ولا اسم الشريف. ثم علم ابن سعود أن نية الشريف صالحة ومطلبه حق وأن القبائل الموالية له تحارب معه كل أحد الا الشريف ، وانه قد انضم الى عسكر الشريف الفا خيال عربي من

القبائل التي مر بها في طريقه الى نجد فعلم ان الخير له في السمع والطاعة ، ثم ان الشريف أسر أخاه (سعدا) فعظم عليه ذلك ، ولولا ثقته بوفاء الشريف لتهور وأقدم على الحرب بمن معه فانه مانكر عرب الجزيرة من رجال الدولة وقواد عسكرها الا عدم الوفاء والوفاء هو الخلق الذي كانت تدين به في جاهليتها وزاده الاسلام تأكيدا عندها

لو شاء الشريف لدخل نجدا وأسر أميرها عبد العزيز بن سعود آل فيصل أو قتله ان لم يفر هاربا ولكنه لحكمته وسياسته العالية لم يفعل وقد خضع ابن سعود له وأجابه الى كل ماطلبه وأرسل اليه أخاه عبد العزيز عبدالله آل سعود بهديته النفيسة وهي «الصقلاوية والحمداني وكحيلان » وهي أكرم الخيل العربية في نجد. وجاءنا من أخبار الحجاز ونجد انه قد تم الاتفاق بينهما على الامور الآتية كتب بها ابن سعود (تعهدا) امضاه وختمه وأرسله الى الشريف وهي

(١) عدم التعرض لعتيبة كافة بحال من الاحوال من تنزيل أو ترحيل أو كل ما يحسب ويعد من التعرض عليهم من زكاة أو خلافه

(٢) عدم أخذ الباج (المكس) منهم بأي صورة كانت من أي قرية أمدوها واذا وقع منهم مايخالف يخبر عنه

(٣) طاعة أمير مكة في كل مايأمر به حسبما تقضيه حقوق ومنافع الدولة العلية

(٤) القصيم وهو بريدة وتوابعها على خيرة أهله إن جاءت مضبطة منهم بأنهم يختارون امارة الامير عبد العزيز بن سعود صاحب هذا التعهد يبقون تحت يده ويدفعون ثلاثة آلاف مجيدي سنويا باسم الخزينة العامرة السلطانية بمكة المكرمة وان لم يجئ منهم مضبطة يعين أميرهم برضاهم ويدفعون المبلغ المذكور على كل حال . وموعد المضبطة يمتد الى آخر شوال

هذا ماتقرر وتعهد بانفاذه ابن سعود وكتب وأمضاه وختمه وأشهد على نفسه فيه كبار قومه وهم محمد بن عبد الرحمن السعود وسعد بن عبد الرحمن السعود وسعيد بن عبد الرحمن السعود . والشيخ عبد الله عبد اللطيف ومحمد بن سعود بن عيسى

وعبدالله بن ابراهيم العسكر . وامضاء ابن سعود هكذا (خادم الدولة والملة والوطن أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز السعود)

وقد اطلق الشريف سراح أخيه سعد فعاد معززا مكرما يثني اطيب الثناء على عناية الامير الشريف به . ووضع الشريف محمد بن هندي شيخ قبائل عتيبة وكيلا له في نجد . وكذلك خضع ابن الرشيد وأرسل الهدايا الى الشريف ودان لأمره في عدم التعرض لعتيبة وفي الكف عن محاربة ابن سعود ، ويقال ان ابن السعود وابن الرشيد كليهما عزما على التشرف بزيارة الشريف وانهما ربما حضرا في الموسم

أليس هذا الاتفاق والسلام خيرا مما كان في عهد الاستبداد المشئوم من إغراء ابن الرشيد بابن سعود وايقاع العداوة والبغضاء بين القبائل ؟ أليس من العجب ان يوجد في الدولة الآن من يظن أن اتباع خطوات عبد الحميد في هذه السياسة السوءى هو الذي يحفظ سلطة الدولة ، أليس أعجب منه ان يتوهم آخرون ان السياسة والادارة يجب ان تكون بالقهر والشدة والبأس والقوة . لا بالعدل والحكمة ؟؟ ألا يعتبر رجالنا بادارة الانكليز في السودان وكيف استمالوا اليهم العرب والزنوج ؟ حتى ان فرنسة ارسلت وفدا الى السودان ليتعلم كيفية الادارة فيه لعل فرنسة تتبعها في افريقية . ألا يعتبرون بسياسة انكلترا فيما جاور عدن من بلاد اليمن ؟ لوعرف هذا ذلك الضابط الذي خطب في « يكي جامع » بعد صلاة أول جمعة من رمضان خطبة استحسن فيها إلغاء امارة مكة لما فاه بكلمة في ذلك فعسى ان يترك هو وأمثاله السياسة فالامة محتاجة اليهم فيما تعلموه من فن الحرب والدفاع وحسبها سياسة طلعت بك واخوانه

فعلى كل عثماني ان يشكر للشريف الحكيم أمير مكة المكرمة عمله السلمي وادارته المثلى وعسى ان تشكره له الحكومة الدستورية باناطة إصلاح جميع عرب الجزيرة بحكمته وتفويضها الى رأيه ، فقد عمل لها بغير اهراق دم ولا انفاق درهم ماعجزت عن مثله حكومة الاستبداد بسفك الدماء وخسارة الاموال ، في السنين الطوال ؟

ومن أخبار الحجاز أن قبائل غامد وزهران (في حدود اليمن) الذين كانوا قد

انحرفوا عن الشريف ووالوا الادريسي قد ندموا على ما كان منهم وطردوا وكيل الادريسي الذي كان عندهم وتبرءوا منه وارسلوا (مرابيطهم) الى الشريف بالطاعة والانقياد . وأما قبائل حرب فهم في خوف ووجل وينتظر ان يلقوا الى الامير الشريف السلم لئلا ينكل بهم تنكيلا ، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لما فيه حقن الدماء وسعادة البلاد المقدسة في ظل الدولة الدستورية ايدها الله تعالى

* * *

الاصلاح في حكومتنا الدستورية

يسائلني الناس مشافهة ومكاتبة عما عملته الحكومة الدستورية من الاصلاح والفرق بينها وبين الحكومة الاستبدادية الغابرة ، فأما الفرق فهو مثل الصبح ظاهر ، وهل يماري في الصبح الا الأعمى أو المكابر ، كنا في آخر عهد الاستبداد على شفا جرف من الخطر ، يُتربص بنا الهلاك نفسا بعد نفس ، وقد قال لي صديق لي من ضباط أركان الحرب في الآستانة : لو أن البلغار حاربتنا عقب الانقلاب ، لدخلت علينا العاصمة من الطاق والباب ، والآن تقدر أن نحارب البلغار واليونان والصرب والجبل الاسود في وقت واحد ونرجو بحسب ماتفيده قواعد فن الحرب أن نكون الغالبين . فأبشر قراء المنار بأن الاصلاح الذي وفقنا له في جيشنا عظيم ويليه الاصلاح في البحرية فالهمة المبذولة فيه عالية ولكن فتك عبد الحميد في البحرية كان أشد من فتكه في سائر النظارات فنحتاج الى زمن طويل لاصلاحها كما يجب . على أن المدرعتين اللتين اشتريناهما من ألمانية قد جعلتا لنا قيمة بحرية عظيمة عند جارتينا في البحرين الابيض والاسود (اليونان وروسية) وان سائر النظارات موجهة وجوهها الى الاصلاح ولكن ليس عندنا من رجال الادارة مثلما عندنا من رجال الحرب فلابد من الانتظار والأمل . وعندي أن مجلس الأمة لم يأت بأقل مما كان ينتظر منه وهو في بدايته والرجاء في الانتخاب الآتي أكبر ، ولعلنا نشرح ما سمعناه واستفدناه في الآستانة من آراء الوزراء والكبراء والعلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم من أصحاب الرأي في اصلاح الدولة ومستقبلها ، ونجعل ذلك محاورة خيالية في

صورتها حقيقية في معناها، اذ لا يجوز لنا أن نصرح بأسماء أصحاب تلك الآراء المختلفة

ومما علمته في الآستانة اننا كنا مخطئين في اعتقادنا أن فتنة ٣١ مارت (أو ١٣ ابريل) كانت لاسقاط الدستور واعادة الاستبداد فالصواب انها كانت لاسقاط جمعية الاتحاد والترقي ومنع سيطرتها على الحكومة وسمعت هذا من بعض رجال الجمعية المستقلين . وأما كون محمود شوكت باشا ليس عمريا فاروقيا في نسبه لأنه فقد علمناه قبل رحلتنا الى الاستانة فوالدته عمرية ووالده من (الفلمن) ولكن أسرتهم صارت عربية وهو يصرح بأنه عربي

* * *

﴿ الرد على أعداء الاصلاح الاسلامي ﴾

تركنا عملنا ورحلنا الى عاصمة دولتنا لاجل السعي العملي النافع لدولتنا وأمتنا وديننا، وكنا ونحن مجدون ليلنا ونهارنا في هذا السعي تأخذ المرة بعد المرة مكتوبات من الشرق والغرب والجنوب يطالبنا فيها أصحابها بالرد على الدجالين والمفرقين من أعداء الاصلاح كالنبهاني والشيخ احمد جمال التونسي وصاحب جريدة جديدة في سنغافوره والشيخ محسن العاملي ، ويرسلون الينا رسائل وقصائد وجرائد لهؤلاء المفرقين طلاب المال والجاه عند العامة ، فما كنا نسمح بأن نضيع شيئا من وقتنا لمطالعة ما يرسلونه الينا من رسائل وجرائد هؤلاء المفسدين لأن الوقت والمال قد صُرفا الى ضد سعيهم ، فنحن نشكر للذين طالبونا بالرد غيرتهم ونذكرهم بقوله تعالى (خذ العفو وأْمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ولكنني رأيت بعض اخواننا مغرورين بالنبهاني لما كتبه من الاوراد والصلوات ونحوها فأقول لهؤلاء المغرورين ان هذه الكتب كمسجد الضرار صورتها خدمة للدين وهي في معناها مفسدة ضارة

لم يكن يوجد شيء من هذه الكتب وأمثالها في القرون الثلاثة الاولى وهي بشهادة النبي (ص) خير القرون أيام كان الاسلام في كماله الديني ، ولا انتشرت في القرون الثلاثة التي بعدها أيام كان الاسلام في كماله المدني ، وانما راج أمثال هذه الكتب في أيام ضعف المسلمين في الدين والعلم والمدنية وكانت هذه الكتب من أسباب ضعفهم إذ صرفتهم عما آتاهم الله من المواهب والقوى التي فاز بها سلفهم

وعلقت آمالهم بالأموات ، وصرفتهم عن تدبر القرآن والتعبد به وبما ورد في السنة من الأدعية والأذكار الى أوراد من وضع الناس الذين لا حق لهم في التشريع فيضعوا للناس عبادات جديدة ما أنزل الله بها من سلطان ، وان خلطوها بشيء من المأثور ترويجا لها ، وكتب النبهاني مملوءة بالروايات الموضوعة المكذوبة والمنكرة والضعيفة الشديدة الضعف ولذلك قلنا من قبل انه لا يوثق بعلمه ولا بنقله

كان لهذا الرجل جاه في حكومة الاستبداد الماضية بتملقه لأعوان عبد الحميد الذين كادوا يقضون معه على هذه الدولة وكانوا يستعينون بقصائد النبهاني في مدحهم ومدح سلطانهم على غش الامة به من طريق الدين ، وناهيك بأكاذيب الشعراء المتملقين ، وتأثيرها الذي يستتبعون به الغاوين ، (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون) كان النبهاني يمدح أبا الهدى لما كانت كلمته عند عبد الحميد هي الكلمة العليا ، فكان يرفعه الى الدرجات العلى ، ويجعله من أئمة الدين ، وأقطاب الأولياء العارفين ، فلما غلبه وبزه عزت العابد في الزلفى قلب له النبهاني ظهر المجن وصار يتقرب الى عزت العابد بذمه ، ويدعي ان عزت هو ركن الدولة والاسلام بعد عبد الحميد الذي يربو غلوه في مدحه على كل غلو

في ظل هذا الجاه الباطل والمدح الكاذب والغش للمسلمين والعثمانيين كان يروج النبهاني كتبه الملفقة وناهيك بنفوذه في المحكمة النظامية ببيروت وكان يمهد بذلك السبيل لادعاء المهدية لنفسه كما نقل الينا بعض المطلعين على مخبآته ، ومن تمهيداته ومقدماته لذلك ما كان يدعيه من الرؤى والمنامات ،

اين المسلمون الذين تركوا الفواحش والمنكرات ، وقاموا بما ورد في الكتاب والسنة من الفرائض والمندوبات ، والأدعية والذكر والفكر ، وسائر أعمال البر ، ثم وجدوا فراغا لقراءة أوراد النبهاني وصلواته . وأين من قرأ التفسير والحديث الصحيح والتوحيد والفقه ثم وجد فراغا لقراءة ما لفقه من الكتب ، وخلط فيه بين الحق والباطل ، ألا إن أمثال هذه الكتب هي التي خدرت أعصاب المسلمين حتى غفلوا عن أنفسهم فملكت الاجانب عليهم أمرهم فليتهم كانوا كذلك الاعرابي الذي حلف انه لا يزيد على ما فرض الله عليه ولا ينقص منه فقال النبي (ص)

« أفلح الأعرابي إن صدق » رواه الشيخان وفي رواية دخل الجنة ان صدق، فان الاسلام ما جاء ليجعل أتباعه كعباد بني اسرائيل في الصوامع ، ولا كرهبان النصارى في الاديار ، بل جاء ليجعلهم سادة الارض ووارثيها لتكون لهم مزرعة للآخرة

ياحسرة على المسلمين كيف سلبوا استقلال عقولهم و بعدوا عن هداية ربهم وسنة نبيهم وسيرة سلفهم وساروا وراء الدجالين الذين استهووهم وسلبوا منهم قلوبهم وأموالهم ومهدوا بذلك السبيل للأجانب فسلبوا ملكهم وأزالوا من بلادهم حكم شريعتهم ، فأضاعوا دينهم ودنياهم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ،

كان النبهاني يشغل جمهور المسلمين بكتبه وقصائده عن الاخطار المحيطة بهم من كل جانب وعن كل ما يجب عليهم للدفاع عن دينهم وأنفسهم بالخضوع والعبودية الظاهرة للسلطان عبد الحميد ورجاله ، والخضوع والعبودية الباطنة له ولأمثاله ، وما كان انتصارهم لعبادة أصحاب القبور وتأويل عبادتهم بتسميتها توسلا واستشفاعا الا تمهيدًا لانفسهم . وقد فضح الزمان كيدهم الاول ، وكلما استيقظ المسلمون من غفلتهم افتضح كيدهم الآخر (ما كان الله ليذكر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) والعاقبة للمتقين

ومن أراد الاطلاع على جهل النبهاني وخلطه في كتبه فليقرأ كتاب (غاية الاماني في الرد على النبهاني) وهو مجلدان لاحد العلماء المحققين وقد طبع في مصر

* * *

﴿ الطبيب الشيخ حامد والي ﴾

قرأنا في جرائد الآستانة ونحن فيها أن صديقنا الحميم الشيخ حامد والي قدفاز بالقدح المعلى في الامتحان الاخير لمدرسة الطب العليا في برلين (عاصمة ألمانية) فكان صاحب الشهادة الاولى من متخرجي المدرسة في هذا العام فسررنا سرورا خاصا أن كان هذا الفوز لمن نعده من أخص أصدقائنا الاوفياء وسررنا سرورا عاما أن كان السبق في أعلى المدارس الاوربية لشيخ عربي شرقي نشأ في المدارس الدينية العربية وهي الازهر ودار العلوم المصرية فنهنئه ونهنىء انفسنا وامتنا به

* * *

﴿ وفاة امير الألاي صادق بك المؤيد المظمي ﴾

فجعت الحكومة العثمانية والامة العربية بوفاة هذا الرجل الكريم في وقت نرى الدولة فيه في أشد الحاجة الى مثله « ومثل كثير في الانام قليل » في معارفه العسكرية والادارية وغيرته وصدقه واستقامته واخلاصه فهو من الافراد الذين خدموا الدولة في العهد الماضي خدما كثيرة ولم يتلوثوا من ادرانه بشيء فقد كانت ايامه كلها عملا نافعا وقد ولته الحكومة الدستورية قائمقامية (او متصرفية) جده في العام الماضي فظهر من كفاءته وحسن ادارته مالم يظهر من أحد غيره من رجال الادارة بعد الدستور فظهر انه من اعظم رجال الادارة كفاءة في حكومتنا . وقد سمعنا أن العسكرية كانت عازمة على رفع رتبته لتعود الى ما كانت (رتبة الفريق) ولكن أراد الله أن يرفعه الى دار كرامته (ان شاء الله تعالى) فتوفاه اليه ولو كان المنار صحيفة تاريخ لاطلنا في ترجمته ولكن ذكرنا هذه الكلمات للعبرة بأقدار الرجال فرحمه الله وعزى أسرته وقومه عنه

(اغلاط في الاجزاء الاخيرة : السابع والثامن والتاسع يجب اصلاحها بالقلم)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٨٣	١١	عن سنته	من سنته
٤٨٥	١٧	الوالدين	سلطة الوالدين
٤٨٩	٨	يقضيان	يقتضيان
٤٩٤	١٦	الاجتهاد	أهل الاجتهاد
٤٩٦	٢٠	تطرس	تطرز
«	٢٤	استخفاقا	استخفافا
٤٩٦	٢٥	تطرس الرجل لم يضطر ولم يشرب الاطيبا	تطرس الرجل لم يلبس الافاخر والمتطرز
٤٩٧	١٥ و١٦	بدلا من الفخر والزهو عليهم بالقول والعمل	×
٤٩٧	١٦	وذلك منتهى الكبر	×
٤٩٩	٦	وهو	هو
٥٠٢	٢٢	قال	قاله
«	١٣	في اتفاق	في عدم الايمان و
٥٢٨	٢٣	علبم	عليهم
٥٣٠	٢٣	واحد (؟)	واحداً
٥٣١	١٧	الذي	أن الذي
٥٣٢	١٧	بوجوه	بوجود
٥٣٨	١٣	بأسرة	بأثرة
٥٤٠	١٢	انتقل	أنتقلُ
٥٤٦	٢١	،ولاأثر	ولا أثر،

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٤٦	١٤	وفي	في
٥٥١	١٩	من استقلال	في استقلال
٥٥١	٦	باستنجادهم الدبني	باستنجادهم
«	١٠	المبين	المبني
٥٦١	٥	(٤١: ٥٦)	(٤١: ٤٦)
٥٦٢	١٤	من	في
٥٦٥	٤	عليه	عنه
٥٧١	١٠	ويعلمون	وهم يعلمون
«	١٥	أصوله	أحد له
٥٧٢	٢١	قبله	قبل
٥٧٤	١١	فريقان فريق	فريقين فريقا
«	١٢	وفريق	وفريقا
٥٩٢	٥	الجهل	الجهل بالجهل
٥٩٣	١٣	وأجله	وآجله
٥٩٦	٩	سوء	سوءا
«	٢١	عجب	أعجب
٥٩٨	١٩	واكتساب	دعا كتساب
٥٩٩	١٩	تقفي	تفغي
٦١٧	١٧	التمهيد	لتمهد
٦٢٦	٨	الفرج	الفرح
٦٢٨	١٤	ساروا	سادوا
٦٢٨	٢٠	ذلك	وذلك
٦٢٩	٢١	والتجويزات	والتجوزات
٢٢٦	٢٣	لايجبط	لايحبط
٦٣١	٢٤	الحصون	المصو
٦٤١	٣	(٤٣: ٥٧)	(٤٣: ٤٦)
٦٤٦	١٠	ان هنا	ان « لا » ه
«	١٨	بالمرور	المرور
٦٤٧	١٦	مشروعية	حكمة م
٦٤٨	١٤	الحضر	السفر
٦٥١	٢٣	أمحى	امّحى
٦٥٢	١٦	بربط	يربط
٦٥٣	٨	عبدالرحمن ابن ابزي	سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى
٦٥٥	٣	الدقاق	قليلون أشهرهم الدقاق
«	٢١	عبدالرحمن	سعيد بن عبدالرح
٦٥٧	١٤	حملها	رحلها
٦٦١	١١	ناقد	نافذ
«	٢٠	المفساولين	المفسولين
٦٦٣	١٦	أو إنما	وإنما
«	١٨	بشر	بشرته
٦٦٥	٥	معائب	معايب
«	٦	معائبه	معايبه
٦٨٠	٥	يكن	تكن
٦٨٥	٢١	يلتمسن	فيلتمسن
٦٨٦	٢٠	لانشاء	لانتشار
«	٢٣	كما في	كما وقع في
٦٨٧	٨	لتهتك	لهتك
٦٩٦	٢١	ص ٦٨١	ص ٦٩٧
«	« و ٢٢	وقد فاتنا الخ	×

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

{ الجمعة ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٨ – ٢ دسمبر (كانون أول) ١٢٨٩ هـ ١٩١٠ م }

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٥٠ : ٥٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١ : ٥٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢ : ٥٦) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣ : ٥٧) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَٰهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَٰهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤ : ٥٨) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا

أخرج أحمد وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت قريش ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية ، قال انتم خير ، فنزلت فيهم « ان شانئك هو الأبتر » ونزلت فيه « ألم تر الى الذين أوتو نصيبا من الكتاب – الى قوله نصيرا » واخرج ابن اسحاق عن ابن عباس قال كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان و بني قريظة حييا بن أخطب وسلام بن ابي الحقيق وأبو عمارة وهودة بن قيس وكان سائرهم من بني النضير ، فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الأولى فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه وأنتم اهدى منه وممن اتبعه !! فأنزل الله « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب – الى قوله – ملكا عظيما » اه من لباب النقول

أقول الرواية الأولى عند البزار وغيره في سبب نزول سورة الكوثر وهي مكية ووقائع هذه السورة مدنية كما بيناه ومحاجة اليهود و بيان أحوالهم لم يفصل الا في السور المدنية بعد ابتلاء المؤمنين بكيدهم فيها وفي جوارها ، ففي الرواية خلط سببه اشتباه بعض الرواة في الأسباب المتشابهة ، وسيأتي بعض روايات ابن جرير في ذلك ، والآيات متصلة بما قبلها ولا يبعد ان يكون هذا السياق كله قد نزل بعد غزوة الأحزاب أو في أثنائها اذ نقض اليهود عهد النبي صلى الله عليه وسلم واتحدوا مع المشركين على استئصال المسلمين وذلك هو تفضيلهم للمشركين على المؤمنين بالفعل ولا بد ان يكونوا صرحوا بالتفضيل بالقول عند النداء بالنفير لحرب المؤمنين

﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ الاستفهام للتعجيب من هذه الحال من أحوالهم كما سبق نظيره في الآية التي افتتحت بمثل ما افتتحت به للتعجيب من ضلالهم في انفسهم وإرادتهم إضلال المؤمنين . و (الجبت) قال بعض اللغويين أصله الجبس فقلبت التاء سينا ومعناه فيهما الردي الذي لا خير فيه . واطلق على السحر وعلى الساحر وعلى الشيطان وقيل انه حبشي الاصل ، روي عن ابن عباس وابن جبير وابي العالية انه الساحر وفي رواية عن

ابن عباس ومجاهد انه الاصنام ، وعن عمر ومجاهد في رواية أخرى وابن زيد انه السحر ، و (الطاغوت) من مادة الطغيان وتقدم تفسيره في تفسير آية الكرسي من الجزء الثالث (ص ٢٧ ج ٣) بأنه كل ماتكون عبادته والايمان به سببا للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقلد ، وهوى يتبع ، وقد روي عن عمر ومجاهد ان الطاغوت الشيطان ، وعن ابن عباس ان الطاغوت هم الناس الذين يكونون بين يدي الاصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، وقيل الطاغوت الكهان ، وقيل الجبت والطاغوت صنمان كانا لقريش وان بعض اليهود سجدوا لهما مرضاة لقريش واستمالة لهم ليتحدوا معهم على قتال المسلمين ، وفي حديث قطن ابن قبيصة عن أبيه مرفوعا عند ابي داود « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » وفسر العيافة بالخط وهو ضرب الرمل ، وتطلق العيافة على التفاؤل والتشاؤم بما يؤخذ من الالفاظ بطريق الاشتقاق كقول الشاعر

تفاءلت في أن تبذلي طارف الوفا بأن عنّ لي منك البنان المطرّف
وفي عرفات ما يخبر انني بعارفة من طيب قلبك أسعف
واما دماء الهدى فهو هدى لنا يدوم ورأي في الهوى يتألف
فأوصلتنا ما قلته فتبسمت وقالت أحاديث العيافة زخرف

والطيرة التشاؤم وأصله من زجر الطير ، والطرق هو الضرب بالحصا أو الودع أو حب الفول او الرمل لمعرفة البخت وما غاب من أحوال الانسان . وهذه الامور كلها من الدجل والحيل فالمعنى الجامع للفظ الجبت هو الدجل والاوهام والخرافات ، والمعنى الجامع للفظ الطاغوت هو ماتقدم آنفا عن تفسير آية الكرسي من مثارات الطغيان

ومعنى الآية ألم ينته علمك أيها الرسول أو ألم تنظر الى حال هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب كيف حرموا هدايته فهم يؤمنون بالجبت والطاغوت وينصرون أهلهما من المشركين على المؤمنين المصدقين بنبوة أنبيائهم وحقية أصل كتبهم ﴿ ويقولون للذين كفروا ﴾ أي لاجلهم وفي شأنهم والحكاية عنهم ﴿ هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ أي يقولون ان المشركين أهدى وأرشد طريقا في الدين من المؤمنين

الذين اتبعوا محمدا (ص) قال ابن جرير : ومعنى الكلام ان الله وصف الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والاذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما وانهم قالوا إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الايمان به وان دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل واصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله اه ثم ذكر الروايات في ذلك عنهم ومنها ماتقدم عن كعب بن الاشرف ، ومنها مارواه أيضا عن عكرمة أن كعب بن الاشرف انطلق الى المشركين من كفار قريش فاستجاشهم على النبي صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يغزوه وقال إنا معكم نقاتله ، فقالوا انكم أهل كتاب وهو صاحب كتاب ولانأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان أردت أن تخرج معنا فاسجد لهذين الصنمين، وأمر بهما ففعل ، ثم قالوا نحن أهدى أم محمد فنحن ننحر الكوماء (الناقة الضخمة السنام) ونسقي اللبن على الماء ، ونصل الرحم ونقري الضيف ونطوف بهذا البيت ، ومحمد قطع رحمه وخرج من بلده ، فقال بل انتم خير وأهدى . ومنها عن السدي قال لما كان من أمر رسول الله (ص) واليهود بني النضير ما كان حين أتاهم يستعينهم في دية العامريين فهموا به و بأصحابه فأطلع الله رسوله على ماهموا من ذلك ورجع رسول الله (ص) الى المدينة فهرب كعب بن الاشرف حتى أتى مكة فعاهدهم على محمد ، فقال له ابو سفيان نحن قوم ننحر الكوماء ونسقي الحجيج الماء ، ونقري الضيف . ونعمر بيت ربنا ، ونعبد آلهتنا التي كان يعبد آباؤنا، ومحمد يأمرنا ان نترك هذا ونتبعه، قال دينكم خير من دين محمد فاثبتوا عليه . وذكر روايات أخرى

{ اولئك الذين لعنهم الله } أي اولئك الذين بينا سوء حالهم هم الذين لعنهم الله أي اقتضت سنته في خلقه ان يكونوا بعداء عن موجبات رحمته وعنايته من الايمان بالله وحده والكفر بالجبت والطاغوت { ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا } أي ومن يلعنه الله ـ بالمعنى الذي ذكرناه آنفا ـ فلن ينصره أحد من دونه اذ لا سبيل لأحد الى تغيير سنته تعالى في خلقه ، ومنها ان يكون الخذلان والانكسار نصيب المؤمنين بالجبت والطاغوت اي بمثار الدجل والخرافات والطغيان أي مجاوزة سنن

الفطرة وحدود الشريعة ، ولا سيما اذا اراد هؤلاء مقاومة أهل التوحيد والحق والاعتدال في سياستهم وأعمالهم بسيرهم على سنن الاجتماع فيها . وهذه الآية تدل على ان سبب لعن الله للامم هو إيمانها بالخرافات والاباطيل والطغيان، وانه تعالى إنما ينصر المؤمنين باجتنابهم ذلك ، وتدل بطريق اللزوم على أن الامم المغلوبة تكون أقرب الى الجبت والطاغوت من الامم الغالبة المنصورة فليحاسب المسلمون أنفسهم بها وبما في معناها من الآيات كقوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ليتبين لهم من كتاب ربهم صدقهم في دعوى الايمان من عدمه ولعلهم يرجعون اليه ويعولون في أمر دينهم ودنياهم عليه

{ أم لهم نصيب من الملك } قالوا ان « أم » هنا منقطعة وهي عند جمهور البصريين للاضراب والاستفهام والمراد بالاضراب هنا الانتقال من توبيخهم على الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المؤمنين الى توبيخهم على البخل والشح والأثرة ، واختار الاستاذ الامام ان « أم » اذا وقعت في أول الكلام تكون للاستفهام المجرد (راجع ص ٣١١ ج ٢ من التفسير) والاستفهام هنا للانكار والتوبيخ يستفاد من قرينة المقام أي ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب بل فقدوا الملك كله بظلمهم وطغيانهم { فاذا لا يؤتون الناس نقيرا } أي ولو كان لهم نصيب من الملك لسلكوا فيه طريق البخل والأثرة بحصر منافعه ومرافقه في أنفسهم فلا يعطون الناس نقيرا منه إذ ذاك . والنقير هو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمر وهي الثقبة التي تنبت منها النخلة شبهت بما نقر بمنقار الطائر أو منقار الحديد الذي تحفر به الارض الصلبة والنقير كالفتيل في الآية السابقة (٤٧) يضرب به المثل في الشيء القليل والحقير التافه . ويطلق النقير أيضا على ما نقر أي حفر من الحجر أو الخشب فجعل إناء ينبذ فيه، وكذلك يضرب المثل بالقطمير وهي القشرة الدقيقة التي على النواة بينها و بين التمرة .

وحاصل المعنى ان هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة وشح مطاع يشق عليهم ان ينتفع منهم أحد من غير أنفسهم فاذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى

النفع وأحقره فكيف لا يشق عليهم ان يظهر نبي من العرب ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل · وهذه الصفة لا تزال غالبة على اليهود ظاهرة فيهم فان تم لهم ما يسعون اليه من اعادة ملكهم الى بيت المقدس وما حوله فانهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الارض المقدسة ولا يعطونهم منها نقيرا من نواة أو موضع زرع نخلة أو نقرة في أرض أو جبل، وهم يحاولون الآن وحاولوا قبل الآن ذلك بقطع أسباب الرزق من غيرهم فالنجار اليهودي في بيت المقدس يعمل لك العمل بأجرة أقل من الاجرة التي يرضى بها المسلم أو النصراني وان كانت أقل من أجرة المثل، ولعل جمعياتهم السياسية والخيرية تساعدهم على ذلك ، فالدلائل متوفرة على ان القوم يحاولون امتلاك الارض المقدسة وحرمان غيرهم من جميع اسباب الرزق فيها، يفعلون هذا وليس لهم نصيب من الملك « هذا وما كيف لو »

وهل يعود اليهم الملك كما يبغون؟ الآية لا تثبت ذلك ولا تنفيه، و إنما تبين ما تقتضيه طباعهم فيه لو حصل، وسيأتي البحث في ذلك في تفسير سورة الاسراء التي تسمى ايضا (سورة بني اسرائيل) ويدخل في ذلك ما يقتضيه تأسيس الملك من الكثرة وهم على قلتهم متفرقون ومتعلقون بأموالهم في كل الممالك ، ومن الاستعداد للحرب والزراعة وقد ضعف ذلك في اكثرهم ، ولكنهم يعتقدون اعتقادا دينيا انهم سيقيمون الملك أو سوف يقيمونه في البلاد المقدسة ، وقد ادخروا لذلك مالا كثيرا فيجب على العثمانيين ان لا يمكنوا لهم في فلسطين ولا يسهلوا لهم طرق امتلاك أرضها وكثرة المهاجرة اليها فان في ذلك خطرا كبيرا كما نبهنا في تفسير الآيات السابقة من عهد قريب

﴿ ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ الاستاذ الامام: سبق في الآيات قبل هذه ان اليهود حكموا بأن المشركين أهدى سبيلا من المؤمنين وذلك من الحسد والغرور بأنفسهم فانهم يقولون ذلك مع انهم يؤمنون بالجبت والطاغوت فهم في شر حال ، ويعيبون من هم في احسن حال ، فالله تعالى يقول ان هؤلاء يريدون ان يضيق فضل الله بعباده ولا يحبون أن يكون لأمة من الأمم فضل اكثر مما لهم أو مثله أو قريبا منه لما استحوذ عليهم من الغرور بنسبهم وتقاليدهم مع سوء

حالهم فكأنه قال هل غرّ هؤلاء بأنفسهم تغريرا، أم لهم نصيب من الملك في هذا الكون فهم يمنعون الناس فلا يؤتونهم منه نقيرا ، أم يحسدون الناس على ما أعطاهم الله من فضله ، أي العرب · ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ والعرب منهم فانهم من ذرية ولده اسماعيل وقد كانت ظهرت تباشير الملك العظيم فيهم عند نزول هذه الآيات فانها مدنية متأخرة وكانت شوكة المسلمين قد قويت فالآية مبشرة لهم بالملك الذي يتبع النبوة والحكمة ، والحاصل أن حال اليهود يومئذ كان لا يعدو هذه الامور الثلاثة : إما غرور خادع يظنون معه ان فضل الله محصور فيهم ، ورحمته تضيق عن غير شعب اسرائيل من خلقه ، واما حسبان ان ملك الكون في أيديهم فهم لا يسمحون لاحد بشيء منه ولو حقيرا كالنقير ، وأما حسد العرب على ما أعطاهم الله من الكتاب والحكمة والملك الذي ظهرت مبادي عظمته · اه ماقاله في الدرس وليس عندنا عنه في ذلك غيره

وأقول فسروا الحسد بأنه تمني زوال النعمة عن صاحبها المستحق لها ولم يرد ذكره في القرآن الا في هذه الآية وفي قوله من سورة البقرة (٢: ١٠٨ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) وفي سورة الفلق ، وأهل الكتاب في آية البقرة هم اليهود فهو لم يسند الحسد الى غيرهم لانهم وقد سلب منهم الملك يتمنون عودته اليهم وقد كبر عليهم ان تسبقهم العرب الى ذلك ولم يكن النصارى يومئذ يحسدون المسلمين لانهم متمتعون بملك واسع ولا مشركو العرب لانهم ما كانوا يظنون ان النبوة التي قام بها واحد منهم حق ولأنها تستتبع ملكا فان من ظهر له حقية الدعوة صار مسلما واما اليهود فانه لم يؤمن ممن ظهرت لهم حقية دعوة الاسلام الا نفر قليل ومنع باقي الرؤساء الحسد وتبعهم العامة تقليدا لهم ، وقلما يمنع الناس من اتباع الحق بعد ظهوره لهم مثل الحسد والكبر فالحسود يؤثر هلاك نفسه على انقياده لمن يحسده لانه يفسد الطباع · وفي التفسير المأثور ان المراد بالناس هنا النبي (ص) ولا شك انهم حسدوه وحسدوا قومه العرب لانه منهم وهم اسبق الى الخير الذي جاء به

ورد في بعض اسباب نزول الآية ان بعض اليهود ككعب بن الاشرف لم يجدوا مطعنا يقولونه في النبي (ص) الا تعدد أزواجه والآية ترد هذه الشبهة لان بعض انبيائهم كداود وسليمان كان لهم أزواج كثيرة كما رد عليهم استبعادهم أن يكون الملك في غير آل اسرائيل بأنه تعالى أعطى آل ابراهيم من ذرية اسحق الكتاب والحكمة والنبوة فضلا منه من غير ان يكون لهم حق عليه تعالى فكذلك يعطي ذلك لآله من ذرية اسماعيل ولاحجر على فضله فان كان هذا الفضل الالهي لايناله الا من له سلف فيه فللعرب هذا السلف على أن هذه الدعوى باطلة والا لكانت هذه العطايا قديمة ازلية وليس الانسان قديما أزليا ولو كان ازليا لما أمكن ان تكون بعض فروعه أزلية فايتاء الله تعالى بعض البشر الفضل إما ان يكون بمحض الاختصاص والاختيار وذلك موكول الى مشيئته عز وجل وإما ان يكون لمزايا وفضائل فيمن يعطيه ذلك وحينئذ يكون كل من يكتسب مثل تلك المزايا مستحقا لهذا الفضل. والنبوة ومقدماتها بمحض الاختصاص

أما كثرة النساء لداود وسليمان عليهما السلام فقد نقل بعض المفسرين انه كان لداود مائة امرأة ويؤخذ ذلك من سورة (ص) وانه كان لسليمان ألف وثلاثمئة امرأة وسبعمئة سرية فكيف يستنكر اتباعهما ان يكون للنبي (ص) تسع نسوة وقد تزوج اكثرهن لحكم وأسباب عامة أوخاصة كما تقدم بيان ذلك في تفسير آية تعدد الزوجات من الجزء الرابع. في سفر الملوك الأول من كتابهم المقدس ما نصه: «١١ : ١ وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ٢ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ٣ وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه » الخ ما هناك من الطعن فيه عليه السلام وبرأه الله

﴿ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ﴾ القول المشهور المقدم في كتب التفسير التي بين أيدينا ان الضمير في قوله « آمن به » للنبي (ص) أو ما أنزل عليه أي

من اليهود من آمن به ومنهم من أعرض عنه يقال صد الرجل عن الشيء اذا أعرض عنه، ويقال أيضا صد غيره عنه اذا صرفه عنه ونفره منه، وقيل انه عائد الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام أي من آله من آمن به ومنهم من لم يؤمن به، وقيل الى ما ذكر من حديث آل ابراهيم وقيل الى الكتاب، وقال الاستاذ الامام يرجع الضمير الى ما ذكر من الكتاب والحكمة والملك العظيم فاما الايمان بالكتاب والحكمة (وهي ما جاء به الانبياء من بيان أسرار الكتاب) فظاهر وأما الايمان بالملك فهو الايمان بوعد الله تعالى به، وهكذا شأن الناس في كل شيء لا يتفقون عليه وانما يأخذ به بعضهم ويعرض عنه آخرون

﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ أي نارا مسعرة لمن صد عنه وآثر إرضاء حسده والعمل بما يزينه له على اتباع الحق فهو لا يزال يغريه بنصر الباطل ومعاندة الحق حتى يدسي نفسه ويفسدها ويهبط بها الى دار الشقاء وهاوية النكال المعبر عنها بجهنم وبالسعير وبئس المثوى وبئس المصير

(٥٥ : ٥٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦ : ٦٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا

الاستاذ الامام : قال تعالى في الآية السابقة «فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه» وتوعد من صد عنه بسعير جهنم ثم فصل هذا الوعيد بقوله ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴾ ونقلوا عن سيبويه ان «سوف» تأتي للتهديد وتنوب عنها السين

ويستشهدون بهذه الآية – أي على سوف وبما قبلها على السين – ولكن ورد دخول السين على الفعل في مقام الوعد في الآية الآتية « سندخلهم جنات » والصواب ان السين وسوف على معناهما المشهور في افادة التنفيس والتأخير ومنها اشتق لفظ التسويف بمعنى التأخير ولكن بعضهم استشكل التسويف هنا ولو نظروا في مثل هذا الوعيد لرأوا أن حصوله يكون متأخرا جدا عن وقت نزول الآية به ، على ان للتراخي والبعد معنى آخر بحسب اعتبار المقام في الخطاب فاذا نظر الى حال المغرورين بما هم فيه من قوة وعزة ، الذين صرفهم غرورهم وطغيانهم بعزتهم عن النظر فيما جاء به النبي (ص) من البينات والهدى فصدوا عنه استغناء بما هم فيه يراهم بهذا الغرور بعداء جدا عن تصور الوعيد والتفكير فيه فيكون هذا التسويف مرعيا فيه حالهم ليتفكروا في مستقبل أمرهم

أقول وقد تركت هنا في مذكرتي التي كتبتها في درسه بياضا بقدر ثلاثة أسطر بعد قوله تصور الوعيد والتفكر فيه ولا أذكر ماذا كنت أريد ان اكتب فيها ولا يظهر لي الآن وجه استشكال التأخير، والوعيد انما هو بعذاب الآخرة والعرب تستعمل التسويف فيما هو أقرب منه . وقد ابتدأ الآية بذكر الذين كفروا ليعلم ان هذا الوعيد ليس خاصا بأولئك الكفار من اليهود ، والمراد بآيات الله هنا مايدل على حقية دينه مطلقا ويدخل فيها القرآن دخولا أوليا لانه أدل الدلائل واظهر الآيات وأوضحها ، ونصليهم نارا معناه نجعلهم يصلونها أي يدخلونها ويعذبون بها (راجع بحث الصلي والاصلاء في ص ٣٩٤ ج ٤)

﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾ قال الاستاذ الامام نضج الجلود هو نحو نضج الثمار والطعام وهو عبارة عن فقد التماسك الحيوي والبعد عن الحياة وانما تتبدل لان النضج يذهب القوة الحيوية التي بها الاحساس فاذا بقيت ناضجة يقل الاحساس بما يمسها أو يزول لذلك تتبدل بها جلود حية غيرها ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾ لان الذوق والاحساس يصل الى النفس بواسطة الحياة في الجلد ، ومن هنا قال بعض المفسرين ان المراد بتبديل الجلود دوام بالعذاب فالكلام تمثيل أو كناية عن

دوام الاحساس بالعذاب فانه أراد أن يزيل وهما ربما يعرض للناس بالقياس على مايعهدون في أنفسهم من ان الذي يتعود الالم يقل شعوره به ويصير عاديا عنده كما نرى من حال الرجل تعمل له عملية جراحية وتتكرر فانه في المرة الاولى يتألم تألما شديدا ثم لايزال التألم يخف بالتدريج حتى نراه لايبالي به ، وهكذا نشاهد في كثير من الآلام والامراض التي يطول أمرها

ثم تكلم عن استشكال بعض المتكلمين لتعذيب الجلود الجديدة مع ان العصيان لم يكن بها ولم اكتب ماقاله ولا أتذكره والمشهور في الجواب عندهم ان البدل يكون عين الاصل المبدل منه في مادته وغيره في صورته ، وهذه سفسطة ظاهرة ، وذكر الرازي بعد هذا الجواب جوابا ثانيا وهو ان المعذب هو الانسان وذلك الجلد ما كان جزءا من ماهيته بل هو كالشيء الزائد الملتصق به ، وثالثا وهو ان المراد بالجلود السرابيل قال وطعن فيه القاضي بمخالفته للظاهر – ورابعا وهو ان هذا استعارة عن الدوام وعدم الانقطاع قال كما يقال لمن يراد وصفه بالدوام : كلما انتهى فقد ابتدأ وكلما انتهى الى آخره فقد ابتدأ من أوله فكذلك قوله « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها » يعني كلما ظنوا انهم نضجوا واحترقوا وانتهوا الى الهلاك اعطيناهم قوة جديدة من الحياة بحيث ظنوا انهم الآن حدثوا ووجدوا فيكون المقصود دوام العذاب وعدم انقطاعه اه تصويره لهذا الوجه وقد علمت انه يوافق مااختاره الاستاذ الامام في العبارة ورأيت انه صورها بما هو اقرب من هذا التصوير الى العقل واللفظ وذكر الرازي عن السدي وجها خامسا ورده لظهور بطلانه

وقد رد الآلوسي الاشكال من أصله قال وعندي ان هذا السؤال مما لايكاد يسأله عاقل فضلا عن فاضل ، وذلك لان عصيان الجلد وطاعته وتألمه وتلذذه غير معقول لانه من حيث ذاته لافرق بينه وبين سائر الجمادات من جهة عدم الادراك والشعور وهو أشبه الاشياء بالآلة فيد قاتل النفس ظلما مثلا آلة له كالسيف الذي قتل به ولا فرق بينها الا بأن اليد حاملة للروح والسيف ليس كذلك وهذا لايصلح وحده سببا لاعادة اليد بذاتها واحراقها دون إعادة السيف واحراقه لان ذلك الحمل غير اختياري فالحق ان العذاب على النفس الحساسة بأي بدن حلت وفي أي جسد

كانت وكذا يقال في النعيم اه وقد أيد هذا الرأي بما ورد من الاحاديث في كبر اجساد أهل الآخرة ثم قال : ولولا ما علم من الدين بالضرورة من المعاد الجثماني بحيث صار انكاره كفرا لم يبعد عقلا القول بالنعيم والعذاب الروحانيين فقط ولما توقف الامر عقلا على إثبات الاجسام فعلا ، ولا يتوهم من هذا أني أقول باستحالة اعادة المعدوم معاذ الله تعالى ولكني أقول بعدم الحاجة الى اعادته وإن أمكنت والنصوص في هذا الباب متعارضة فمنها ما يدل على إعادة الاجسام بعينها بعد إعدامها ومنها ما يدل على خلق مثلها وفناء الاولى ولا أرى بأسا بعد القول بالمعاد الجسماني في اعتقاد أي الامرين اه وله الحق في رد الايراد ولكنه استقل في بعض القول وقلد المتكلمين في بعض آخر كاعادة المعدوم ولهذا البحث موضع آخر نحرره فيه ان شاء الله تعالى

وذكر بعضهم في الآية اشكالا آخر وهو ان أصل الذوق تناول شيء قليل بالفم ليعرف طعمه فلا يتجوز به عن العذاب القوي الشديد أو أشد العذاب ، وأجاب الرازي بقوله « المقصود من ذكر الذوق الاخبار بأن إحساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق المذوق من حيث انه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق اه

ولست أدري ما هو المانع من كون هذا العذاب يسمى أشد العذاب وان كان هو في نفسه كما يدل عليه ظاهر لفظ يذوقوا قليلا وقد استعمل القرآن لفظ الذوق في العذاب كثيرا فاختياره مقصود وانما يعرف الأشد بالقياس على غيره فمهما كان عذاب الآخرة فهو أشد من عذاب الدنيا ، وا كثر الذين يظنون انهم ناجون من العذاب في الآخرة يودون ان يكون عذاب المعذبين شديدا بالغا منتهى ما يمكن من الشدة ، كأنهم حرموا من ذوق طعم الرحمة ، على انه ليس بيدهم موثق من الله بنجاتهم وأمنهم من العذاب ،

والظاهر ان نضج الجلود من العذاب ان كان حقيقة لا مجازًا يكون هو اثر لفح النار بسمومها لأهل تلك الدار كما قال تعالى « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » ومتى لفح الجلد مرارا يبطل إحساسه وينفصل عن البشرة ويتربى تحته جلد آخر كما هو مشاهد في الدنيا

﴿ إن الله كان عزيزا حكيما ﴾ أي انه تعالى غالب على أمره ، حكيم في فعله ، فكان من حكمته أن جعل الكفر والمعاصي سببا للعذاب وجعل سنته في ربط الاسباب بمسبباتها مطردة لا يستطيع أحد أن يغلبه فيبطل اطرادها لأنه عزيز لا يغلب على أمره ، كما جعل الايمان والعمل الصالح سببا للنعيم المقيم وبين ذلك بقوله

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ﴾ جعل دخول الجنة جزاء من آمن وعمل صالحا إذ الايمان بغير عمل صالح لا يكفي لتزكية النفس وإعدادها لهذا الجزاء ، ولا يكاد يوجد الايمان بغير العمل الصالح الا ان يموت المرء عقب إيمانه فلا يتسع الوقت لظهور آثار الايمان وثمراته منه ، ويقول البصريون ان سوف أبلغ من السين في التنفيس وسعة الاستقبال في المضارع الذي تدخل عليه ويرى ابن هشام انه لا فرق بينهما وكأنهم أخذوا ذلك من قاعدة دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى فلما كانت سوف اكثر حروفا كان معناها في الاستقبال أوسع ولا بد على هذا من نكتة للتعبير عن جزاء أهل النار بقوله « سوف نصليهم » وعن جزاء أهل الجنة بقوله « سندخلهم » وكانه من رحمته تعالى بالفريقين يعجل لأهل النعيم نعيمهم ولا يعجل لأهل العذاب عذابهم وفيه اشارة الى امتداد وقت التوبة . والخلود طول المكث وأكده هنا بقوله « أبدا » أي دائما

﴿ لهم فيها أزواج مطهرة ﴾ قالوا أي من الحيض والنفاس ، والعيوب والادناس ، أي سواء كانت حسية أم معنوية ، وتقدم مثل هذه الجملة في سورة البقرة (٢ : ٢٤) وهناك كلام في نساء أهل الجنة ومعنى مصاحبتهن والاستمتاع مع العلم بأن الجنة عالم غيبي ليس كعالم الدنيا

﴿ وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ قال الراغب الظل أعم من الفيء فانه يقال ظل الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس ويعبر بالظل عن العزة والمنعة وعن الرفاهة — وأورد الشواهد على ذلك من الآيات ومن كلام الناس كقولهم أظلني فلان أي حرسني وجعلني في ظله أي عزه

ومناعته ، ثم قال وظل ظليل أي فائض ، وندخلهم ظلا ظليلا كناية عن غضارة العيش ، وقال غيره ان شدة الحر في بلاد العرب هي السبب في استعمالهم لفظ الظل بمعنى النعيم ، والظليل صفة اشتقت من لفظ الظل يؤكد بها معناه كما يقال ليل أليل أي ظل وارف فينان لا يصيب صاحبه حر ولا سموم ، ودائم لا تنسخه الشمس وأقول لعل ذلك اشارة الى النعيم الروحاني بعد ذكر النعيم الجسماني كما عهد في القرآن و يؤكد ذلك اسناده اليه سبحانه وتعالى جده وجل ثناؤه

(٥٧: ٦١) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ، إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨ : ٦٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

هاتان الآيتان هما اساس الحكومة الاسلامية ولو لم ينزل في القرآن غيرهما لكفتا المسلمين في ذلك اذا هم بنوا جميع الاحكام عليهما وقد ذكروا لنزلها اسبابا وصرحوا بأن السبب الخاص لا يخصص عموم الخطاب . قال في لباب النقول اخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال لما فتح رسول الله (ص) مكة دعا عثمان ابن طلحة فلما أتاه قال ارني المفتاح (أي مفتاح الكعبة) فلما بسط يده اليه قام العباس فقال يارسول الله بأبي انت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول الله (ص) هات المفتاح ياعثمان فقال هاك امانة الله فقام ففتح الكعبة ثم خرج فطاف بالبيت ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح فدعا عثمان ابن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها » حتى فرغ من الآية. واخرج شعبة في تفسيره عن حجاج عن ابن جريج قال نزلت هذه الآية في عثمان

ابن طلحة أخذ منه رسول الله (ص) مفتاح الكعبة فدخل به البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية فدعا عثمان فناوله المفتاح . قال وقال عمر بن الخطاب ماسمعته يتلوها قبل ذلك ، قلت ظاهر هذا انها نزلت في جوف الكعبة اه

أقول بل الظاهر انها نزلت قبل فتح مكة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلاها يومئذ استشهادا و إن لم يتذكر عمر انه سمعها قبل ذلك ان صحت الرواية وصح ان عمر قال ذلك فقد صح عنده انه ذهل عند وفاة رسول الله (ص) عما ورد في ذكر موته حتى قرأ ابو بكر « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » الآية فتذكر .وذهل عن آية «وآتيتم احداهن قنطارا » حتى ذكرته بها المرأة التي راجعته في مسألة تحديد المهور كما تقدم في أوائل هذه السورة وكل احد عرضة للنسيان والذهول ، والرواية عن ابن عباس لا تصح وإن اعتمدها الجلال فقد ذكرنا من قبل ان المحدثين قالوا ان أوهى طرق التفسير عن ابن عباس هي طريق الكلبي عن ابي صالح قالوا فان انضم اليها مروان الصغير فهي سلسلة الكذب . وأما رواية شعبة عن حجاج فان كان حجاج هذا هو المصيصي الاعور فقد كان ثقة ولكنه تغير في آخر عمره وهو ممن روى عن شعبة وابن جريج ولم يذكروا ان شعبة روى عنه ولكن شعبة روى عن حجاج الاسلمي وهو مجهول كما قال ابوحاتم .

وفي الروايتين بحث من جهة المعنى أيضا فان النبي (ص) أولى بمفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ومن كل أحد فلو أعطاه للعباس أو غيره لم يكن فاعلا إلا ماله الحق فيه ومن أعطاه إياه يكون هو أهله واحق به ، وليس هذا من باب « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » بل لان الكعبة من المصالح العامة وإنما كان يكون من هذا الباب لو كان المفتاح مفتاح بيت عثمان بن طلحة نفسه ونزع ملكه منه وأعطاه آخر بل الحكام الآن في جميع الممالك ينزعون ملك من يرون المصلحة العامة في نزع ملكه منه ولكنهم يعطونه ثمنه شاء أم أبى

الاستاذ الامام : بعد مابين الله تعالى لنا من شأن أهل الكتاب مابينه من تفضيلهم المشركين في الهداية على المؤمنين بالله وحده و بجميع كتبه ورسله ادبنا بهذا الادب العالي وامرنا بالامانة العامة وهي الاعتراف بالحق سواء كان الحق حسبيا

أو معنويا فقال ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها﴾ فالكلام متصل بما قبله بمناسبة قوية تجعل السياق كعقد من الجوهر متناسب اللآلئ فسواء صح ماذكر من حكاية مفتاح الكعبة أولم يصح فان صحته لاتضر بالتئام السياق ولا بعموم الحكم اذ السبب الخاص لا ينافي عموم الحكم

والامانة حق عند المكلف يتعلق به حق غيره ويودعه لاجل ان يوصله الى ذلك الغير كالمال والعلم سواء كان المودع عنده ذلك الحق قد تعاقد مع المودِع على ذلك بعقد قولي خاص صرح فيه بأنه يجب على المودع عنده أن يؤدي كذا الى فلان مثلا أم لم يكن كذلك فان ماجرى عليه التعامل بين الناس في الامور العامة هو بمثابة مايتعاقد عليه الافراد في الامور الخاصة فالذي يتعلم العلم قد أودع امانة وأخذ عليه العهد بالتعامل والعرف بأن يؤدي هذه الامانة ويفيد الناس ويرشدهم بهذا العلم وقد أخذ الله العهد العام على الناس بهذا التعامل المتعارف بينهم شرعا وعرفا بنص قوله (٣ : ١٨٧ واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ولذلك عد علماء أهل الكتاب خائنين بكتمان صفات النبي (ص) فيجب على العالم أن يؤدي أمانة العلم الى الناس كما يجب على من أودع المال أن يرده الى صاحبه، ويتوقف اداء امانة العلم على تعرف الطرق التي توصل الى ذلك فيجب ان تعرف هذه الطرق لاجل السير فيها. واعراض العلماء عن معرفة الطرق التي تتأدى بها هذه الامانة بالفعل هو ابتعاد عن الواجب الذي أمروا به واخفاء الحق باخفاء وسائله هو عين الاضاعة للحق، فاذا رأينا الجهل بالحق والخير فاشيا بين الناس واستبدلت به الشرور والبدع ورأينا ان العلماء لم يعلموهم مايجب في ذلك فيمكننا ان نجزم بأن هؤلاء العلماء لم يؤدوا الامانة وهي ما استحفظوا عليه من كتاب الله ولاعذر لهم في ترك استبانة الطريق الموصل الى ذلك بسهولة وقرب فهم خونة الناس وليسوا بالامناء

أقول يعني رحمه الله تعالى انه يجب على العلماء ان يعرفوا الطرق التي تؤدي الى ايصال العلم الى الناس وقبوله وهذه الطرق تختلف باختلاف الزمان والمكان كما تختلف الطرق التي تؤدى بها امانة المال ففي هذا العصر تؤدى الأموال الى أصحابها بطرق لم تكن معروفة في العصور السابقة منها التحويل على مصلحة البريد

ومنها المصارف ومنها غير ذلك. وكذلك توجد طرق لنشر العلم بين الناس أسهل من الطرق السابقة فمن ابى سلوكها لايعذر بعدم تأديته لأمانة العلم النافع واكثر العلماء المتأخرين يقولون انه لا يجب على العالم أن يتصدى لتعليم الناس وإنما يجب عليه ان يجيب اذا سئل وربما قيدوا هذا بما اذا فقد من يقوم مقامه في الافتاء. وإنما قال مثل هذا من قاله من المتقدمين في المسائل الخاصة التي يحتاج اليها عند وقوع الوقائع فأما ما لا بد منه ولا يسع الناس جهله من العقائد والواجبات وأحكام الحلال والحرام فلم يشترط أحد فيه هذا الشرط ولذلك اتفقوا على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يقيدوه بالاستفتاء والمجهول لا تتوجه النفوس الى السؤال عنه أفيترك الجاهلون بالسنن العاملون بالبدع حتى يطرقوا أبواب العلماء في بيوتهم اومدارسهم مع العلم بأنهم لا يفعلون

ولا يخرج علماء الدين من تبعة الكتمان والخيانة في أمانة الله بتصديهم لتدريس كتب الفقه والعقائد فان هذه الكتب لاتفهمها العامة ولا تجب عليها معرفتها لانها وضعت للمنقطعين للعلم يستعينون بها على القضاء والافتاء في المسائل التي لايحتاج اليها كل الناس دائما ومنها ماتمر الاعصار ولا يقع بل منها مايستحيل وقوعه. فيجب على العلماء ان يتصدوا لتعليم الجمهور مالايسع أحدا منهم جهله وان يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر من أقرب الطرق وأسهلها وانما يعرف ذلك بالتجربة والاختبار ولله در الشاعر الذي قال

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

﴿ واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ قال الاستاذ الامام بعد ماتقدم آنفا وكذلك أمر الله من يحكم بين الناس ان يحكم بالعدل، والحكم بين الناس له طرق منها الولاية العامة والقضاء ومنها تحكيم المتخاصمين لشخص في قضية خاصة فكل من يحكم يجب عليه أن يعدل وقد أمر الله بالعدل في آيات أخرى كقوله (١٦: ٩٠ ان الله يأمر بالعدل) الآية وقوله (٧:٦ اعدلوا هو أقرب للتقوى) وقوله (٥: ١٣٤ كونوا

قوامين بالقسط) ونهى عن الظلم وأوعد عليه في آيات كثيرة، ولم يذكر لنا حد العدل ولا تفسيره ولم يرد في السنة تفسير له أيضا . والعدل وقف على أمرين (احدهما) أن يعلم الحاكم الحكم الذي شرعه الله ليكون الفصل بين الناس به مثال ذلك قوله تعالى (٥ : ١ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فهو يوجب علينا ان نوفي بما نتعاقد عليه وقوله (٢:١٨٧ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) الآية وهو قد حرم أكل أموال الناس ورشوة الحكام ، وكذلك ماورد في السنة المتواترة من أحكامه وقضائه صلى الله عليه وآله وسلم فيجب على الحاكم تطبيق أحكامه على ماعلم من حكم الله ورسوله وقد يكون التطبيق ظاهرًا وقد يحتاج فيه الى قياس واستنباط واجهاد الفكر فهذا النوع من العدل معروف عند الناس وانما يذكر لتنبيه الناس وتذكيرهم

والركن الثاني للعدل (هكذا عبر تارة بالنوع وتارة بالركن) يتألف من أمرين (أحدهما) فهم الدعوى من المدعي والجواب من المدعى عليه ليعرف موضوع مابه التنازع والتخاصم بأدلته من الخصمين (ثانيهما) استقامة الحاكم وخلوه من الميل الى أحد الخصمين ومن الهوى بأن يكره أحد الخصمين وان كان لايميل الى الآخر، وهذا المعنى معروف للناس أيضا فكل من ركني العدل معروف ولذلك ذكر الله العدل ولم يفسره لانه معروف بنفسه كالنور

ولك وقد فهمت ماقلناه ان تقول العدل عبارة عن إيصال الحق الى صاحبه من اقرب الطرق اليه ولا يتحقق ذلك الا باقامة الركنين اللذين بيناهما فكل ماخرج عنهما فهو ظلم . فاذا اخر القاضي النظر في القضية اتباعا لرسوم وعادات لايتوقف عليها اقامة العدل أولم يقبل الشهادة لانها لم تؤد بالفاظ مخصوصة وان تبين بها الحق المراد أو أخر الحكم بعد انتهاء المحاكمة واستيفاء أسبابها هل يكون مقيما للعدل؟ (قال الاستاذ هذا في الدرس فضج الحاضرون بقول لا لا) اذا علمنا هذا وتأملنا في الاحكام التي تجري عندنا اليوم فهل نراها جارية على أصول العدل (قالوا لا لا)

نجد محاكمنا الشرعية تشترط في توجيه الدعوى وفي شهادة الشهود شروطا وألفاظا معينة كلفظ أشهد ولفظ هذا اوالمذكور وتبيين النقد وذكر البلد الذي ضرب فيه وان كان ذلك مفهوما من الكلام لايختلف في فهمه القاضي ولا الخصم ،فهذه

الاصطلاحات كثيرا ماتحول دون العدل اذ ترد الدعوى من أصلها أو الشهادة لعدم موافقتها للالفاظ المصطلح عليها وان أدت معناها، وكذلك كل مايحول بين الناس وفهم الشريعة يكون من أسباب إضاعة العدل ولا عذر للناس بالجهل اذ يجب عليهم فهم الشريعة وازالة كل مايحول دون فهمها من الاصطلاحات ولو كنا نقيم العدل لما كنا في هذه الحالة من الضعف وسوء الحال

ثم قال الاستاذ في درس آخر انه اطلع بعد الدرس الاول (الذي لخصناه بما رأيت) على كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية فاذا هو كله مبني على هذه الآية فانه توسع في ذكر انواع الامانة التي أودعها الله في أيدي الحكام ومنها أن لايولوا الامور إلا الاخيار الناس الصالحين لها وأورد في ذلك أحاديث كثيرة منها الحديث المشهور (أي برواية البخاري له) «اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة» أي ساعة قيامة الامة وهلاكها لان لكل أمة ساعة

أقول إن معنى الآية لم يتجل تمام التجلي فيما ذكرناه فلا بد من زيادة البيان ونفصله في مسائل

(المسألة الاولى في معنى الامانة) الامانة ما يؤمن عليه الانسان من الامن وهو طمأنينة النفس وعدم الخوف ، يقال أمنته على الشيء «هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه» ويقال أمنه بكذا «ومن أهل الكتاب إن تأمنه بقنطار يؤده اليك» ويقال ائتمن فلانا أي عده أو اتخذه أمينا وائتمنه على الشيء كأمنه عليه «فليؤد الذي ائتمن امانته» وكل أمانة يجب حفظها ومنها مايحفظ فقط كالسر وفي الحديث المرفوع «اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة» رواه أحمد وأبو داود والترمذي والضياء عن جابر وأبو يعلى في مسنده عن أنس واشار السيوطي في الجامع الصغير الى صحته ، ومنه يعلم ان كل مايدل على الائتمان من قول وعمل وعرف وقرينة يجب اعتباره والعمل به وتقدم تصريح الاستاذ الامام بذلك ، ومنها (أي الامانة) ما يحفظ ليؤدى الى صاحبه سواء كان هو الذي ائتمنك عليه أو غيره ، ويسمى من يحفظ الامانة ويؤديها حفيظا وأمينا ووفيا ويسمى من لا يحفظها أو لا يؤديها خائنا «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون»

فمن خان عالما عامدا كان من العصاة ووجب عليه الضمان

(المسألة الثانية في معنى العدل) والعدل بالفتح والكسر المثل والعديل المثيل قاله ابن الاثير وغيره قال في لسان العرب : وفلان يعدل فلانا أي يساويه ، ويقال مايعدلك عندنا شيء أي مايقع عندنا شيء موقعك، وعدّل المكاييل والموازين سواها . وعدّل الشيء يعدِله عدلا وعادله وازنه ، وعادلت بين الشيئين وعدلت فلانا بفلان اذا سويت بينهما . وتعديل الشيء تقويمه ، وقيل العدل تقويمك الشيء بالشيء من غير جنسه حتى تجعله له مثلا ، والعَدل والعِدل والعديل سواء أي النظير والمثيل وقيل هو المثل وليس بالنظير عينه . وفي التنزيل « اوعدل ذلك صياما » قال مهلهل

على ان ليس عدلا من كليب　　اذا ظهرت مخبأة الخدور

والعدل بالفتح اصله مصدر قولك عدلت بهذا عدلا حسنا ، تجعله اسما للمثل لتفرق بينه و بين عدل المتاع كما قالوا امرأة رزان وعجز رزين للفرق . (ثم قال) والعدل (بالكسر) نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير ، وقال الازهري العدل اسم حمل معدول بحمل آخر مسوى به والجمع اعدال وعدول عن سيبويه. ثم قال العديلان الغرارتان لان كل واحدة منهما تعادل صاحبتها . الاصمعي : يقال عدلت الجوالق على البعير اعدِله عدلا يحمل على جنب البعير و يسوى بآخر . ابن الاعرابي : العدل محرك تسوية الاونين وهما العدلان ، ويقال عدلت امتعة البيت اذا جعلتها اعدالا مستوية للاعتكام يوم الظعن ، والعديل الذي يعادلك في المحمل اه

وهذا الذي ذكره عن أهل اللغة الاولين هو المستعمل في كلام المعاصرين في الجزيرة وسورية وغيرهما ومن يعلم ان العدل في الحكم بين الناس هو تحري المساواة والمماثلة بين الخصمين بأن لا يرجح أحدهما على الآخر بشيء قط بل يجعلها سواء كالعدلين على ظهر البعير أو غيره فالعدل المأمور به معروف عند اهل اللغة وليس معناه الحكم بما ثبت في الشرع فان هذا ثابت بدليل آخر وكل ما ثبت في الشرع من ذلك موافق للعدل وليس هو عين العدل بل العدل يكون بالعمل به وتطبيقه على الدعوى بحيث يصل الى كل ذي حق حقه ، وقد امر الله تعالى بالعدل مطلقا في

بعض السور المكية قبل بيان الاحكام الشرعية وما كل المسائل التي يتعامل بها الناس ويتخاصمون قد بينت احكامها في الكتاب والسنة فما بين فيهما كان خير عون على العدل المقصود منها وما لم يبين يجب على الحكام ان يتحروا فيه المساواة بقدر طاقتهم التي يصل اليها اجتهادهم . وسيأتي في الآية التالية بيان ما يجب من اتباع أحكام الله ورسوله فيما حكما به و بيان ما يجب فيما لم يحكما به .

قال الرازي قال الشافعي رضي الله تعالى عنه ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء: في الدخول عليه ، والجلوس بين يديه ، والاقبال عليهما ، والاستماع منهما ، والحكم عليهما ، قال والمأخوذ عليه التسوية بينهما في الافعال دون القلب فان كان يميل قلبه الى احدهما ويحب أن يغلب بحجته على الآخر فلا شيء عليه لانه لا يمكنه التحرز عنه . قال ولا ينبغي ان يلقن واحدا منهما حجته ولا شاهدا شهادته لان ذلك يضر بأحد الخصمين ولا يلقن المدعي الدعوى والاستحلاف ، ولا يلقن المدعى عليه الانكار والاقرار ، ولا يلقن الشهود أن يشهدوا أو لا يشهدوا ، ولا ينبغي ان يضيف أحد الخصمين دون الآخر لان ذلك يكسر قلب الآخر ولا يجيب هو الى ضيافة احدهما ولا الى ضيافتهما ما داما متخاصمين ، وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يضيف الخصم الا وخصمه معه . وتمام الكلام فيه مذكور في كتب الفقه ، وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه إيصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض آخر ، وذلك هو المراد بقوله تعالى « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » اه وهو

(المسألة الثالثة انواع الامانة) الامانة على انواع ولذلك جمعت في الآية وفي سورة الانفال بقوله تعالى (٨ : ٢٧ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) وسورة المؤمنون والمعارج بقوله تعالى (٢٣ : ٨ و ٧٠ : ٣٢ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) وقد ذكرنا عن الاستاذ الامام امانة العلم وامانة المال ، وجعلها بعضهم ثلاثا (إحداها امانة العبد مع الرب) وهي ما عهد اليه حفظه من الائتمار بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه ، واستعمال مشاعره وجوارحه فيما ينفعه ويقربه من ربه فالمعاصي كلها خيانة الله عز وجل . وقد ورد في المأثور ما يدل على

ذلك (ثانيها أمانة العبد مع الناس) ويدخل فيها رد الودائع وعدم الغش في شيء من الاشياء وحفظ السر وغير ذلك مما يجب لآحاد الناس وللحكام وللاهل والاقربين . قال الرازي ويدخل في هذا القسم « عدل الامراء مع رعيتهم وعدل العلماء مع العوام بأن لا يحملوهم على التعصبات الباطلة بل يرشدونهم الى اعتقادات وأعمال تنفعهم في دنياهم وأخراهم » فعلى هذا يكون العلماء الذين يعلمون العامة مسائل الخلاف التي تثير التعصب بينهم والذين لا يعلمونهم ما ينفعهم في دنياهم من أمور التربية الحسنة وكسب الحلال وما ينفعهم في آخرتهم من المواعظ والاحكام التي تقوي إيمانهم وتنفرهم من الشرور وترغبهم في الخيرات – كل أولئك العلماء من الخائنين للامة . وهذا القسم يمكن أن يقسم الى اقسام فيجعل رعاية امانة الحكام قسما ورعاية امانة الأقربين من الاصول والفروع والحواشي قسما، ورعاية امانة الزوجية قسما ومنها ان لايفشي احد الزوجين سر الآخر ولا سيما السر الذي يختص بهما ولا يطلع عليه عادة منهما سواهما ، ورعاية امانات سائر الناس قسما (ثالثها امانة الانسان مع نفسه) وعرفها الرازي بأن لا يختار لنفسه الا ما هو الانفع والاصلح له في الدين والدنيا وان لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة .

أقول ومن ذلك الذي اجمله توقي الانسان لأسباب الأمراض والأوبئة بحسب معرفته وما يستفيده من الأطباء وذلك يدل على ان رعاية هذا النوع من الامانة يتوقف على تعلم ما يحتاج اليه من علم حفظ الصحة ولا سيما في أيام الامراض الوبائية المنتشرة . مثال ذلك انه قد عرف بالتجارب نفع بعض ما يعمل للوقاية من المرض كتلقيح الجدري ، ومن ذلك التداوي عند وقوع المرض . وتفصيل رعاية هذه الامانات يطول وسنعيد البحث فيها عند تفسير تلك الآيات ان انسأ الله تعالى في العمر

(المسألة الرابعة) قدم الامر بأداء الامانات على الامر بالعدل لان العدل في الاحكام يحتاج اليه عند الخيانة في الامانات التي تتعلق بحقوق الناس والتخاصم الى الحاكم والاصل ان يكون الناس أمناء يقومون بأداء الامانات بوازع الفطرة والدين ، والخيانة خلاف الاصل ، ومن شأنها أنها لا تقع في الامة المتدينة الا شذوذا ، وقلما يحتاج الى العدل في الحكم اذا راعى الناس أماناتهم وأدوها الى أهلها

(المسألة الخامسة) ورد في الامانة عدة آيات ذكرنا بعضها آنفا وورد فيها احاديث كثيرة مشددة في وجوب رعايتها وأدائها وتشنيع الخيانة والوعيد عليها منها حديث «آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان » رواه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة وفي معناه حديث « ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان » رواه رسته (عبد الرحمن بن عمر ابي الحسن الزهري الاصفهاني) في الايمان وأبو الشيخ في التوبيخ من حديث انس . وهو مروي عن غيره عند غيرهما بألفاظ أخرى . ومنها حديث « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » رواه احمد وابن حبان من حديث انس ورمز له السيوطي في جامعه بالصحة . ومنها حديث « لن تزال أمتي على الفطرة مالم يتخذوا الامانة مغنما والزكاة مغرما » رواه سعيد بن منصور في سننه

(المسألة السادسة) في حكمة تأكيد الامر بالامانة وبيان فائدتها ومضرة الخيانة .

ذكر حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني في رسالته (الرد على الدهريين) التي ألفها بالفارسية وترجمها بالعربية تلميذه الاستاذ الامام – ان الدين قد أفاد الناس ثلاث عقائد وثلاث خصال أقاموا بها بناء مدنيتهم . ومن هذه الخصال أو الصفات الامانة وهاك ماقاله فيها فهو يغني عن غيره

« من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال وروح المعاملة والمعاوضة انما هي الامانة فان فسدت الامانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة فاختل نظام المعيشة وأفضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل

« ثم من البين أن الأمم في رفاهتها والشعوب في راحتها وانتظام أمر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأي أنواعها إما جمهورية أو ملكية مشروطة أو ملكية مقيدة والحكومة في أي صورها لاتقوم الا برجال يلون ضروبا من الاعمال فمنهم حراس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الاجانب عليها ويدافعون الوالج في ثغورها ، وحفظة في داخل البلاد يأخذون على أيدي السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل

الى الاعتقاد من فتك أو سلب أو نحوهما، ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الاحكام لفصل الخصومات والحكم في المنازعات ومنهم أهل جباية الاموال يحصلون من الرعايا مافرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها في ذلك ثم يستحفظون مايحصلون في خزائن المملكة وهي خزائن الرعايا في الحقيقة وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها، ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال في المنافع العامة للرعية مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات ويؤدي أرزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة من الحراس والحفظة وقضاة العدل وغيرهم حسبما عين لهم . وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين على أعمالها انما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة فان خزيت أمانة اولئك الرجال وهم أركاز الدولة سقط بناء السلطة وسلب الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وتفتحت عليهم أبواب الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة وعميت على الدولة سبل النجاح فان حزبها أمر سدت عليها نوافذ النجاة ولا ريب ان قوما يساسون بحكومة خائنة إما أن ينقرضوا بالفساد واما أن يأخذهم جبروت أمة اجنبية عنهم يسومونهم خسفا و يستبدون فيهم عسفا فيذوقون من مرارة العبودية ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال

« ومن الظاهر ان استعلاء قوم على آخرين انما يكون باتحاد آحاد العاملين والتئام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الامانة قد ملكت قيادهم وعمت بالحكم افرادهم

« فقد كشف الحق ان الامانة دعامة بقاء الانسان ومستقر أساس الحكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ورافع ابنية العز والسلطان وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

« واليك الاختيار في فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هذه الخلة الجليلة فلا تجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة و بلايا مهلكة وفقرا معوزا وذلا معجزا ثم لا تلبث بعد هذا كله ان تبتلعها بلاليع العدم ، وتلتهمها امهات اللهيم »

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(س ٤٩ - ٥١) من صاحب الامضاء

حضرة أستاذنا العالم المفضال السيد محمد رشيد رضا الحسيني حفظه الله وادامه نرجوكم الاجابة على الاسئلة الآتية بلسان منار الاسلام ولكم الفضل ، وهي :

١ ماهو تفسير قوله تعالى « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة »

٢ احقيقي ماقاله ابن خلدون من ان حملة العلم في الاسلام أكثرهم من العجم

٣ هل يجوز لعربي الجنس ان يتزوج بشريفة أو قرشية وهل يجوز لاعجمي الجنس ان يتزوج بأعرابية . افتونا مأجورين ولكم الشكر

محمد الانور قريط
من قبيلة أولاد علي
بناحية فراشة

(غروب الشمس في عين حمئة)

(ج ١) المعنى ان ذا القرنين لما وصل الى نهاية بلاد المغرب المعروفة في عصره بالنسبة الى بلاده وجد الشمس تغرب في ماء كدر لكثرة مافيه من الحمأة أو الحمأ ومعناهما الطين الاسود . وقد ذكر الراغب في مادة « وجد » من مفرداته ان الوجود أنواع فيطلق على مايدرك باحدي الحواس الخمس و بالعقل و بالوجدان الباطن

كالغضب والشهوة فيقال وجدت الشيء أو الشخص ووجدت طعمه حلوا ووجدت رائحته طيبة ووجدت صوته حسنا ووجدت خشونته شديدة ، ووجدت الشبع والسرور ، ووجدت برهانه صحيحا . وقال في تفسير « حيث وجدتموهم » حيث رأيتموهم وفي تفسير « وجدت امرأة تملكهم » وقوله « وجدتها وقومها يسجدون للشمس » انه وجود بالبصر والبصيرة فلقد كان منه مشاهدة بالبصر واعتبار بالبصيرة

فقوله تعالى «وجدها تغرب » بمعنى رآها وذلك كما نراها ونحن مسافرون في البحر تطلع منه وتغرب فيه وكذلك نراها في السواحل ويرى بعض الناس أن المراد بهذه العين الحمئة البحر المحيط الغربي المعروف بالأتلانتيك وكانت العرب تسميه بحر الظلمات ، ويجوز أن يراد بها بعض البحيرات التي جفت أو الباقية فان ذا القرنين قديم لا يعرف في أي عصر كان وليس هو الاسكندر المكدوني المشارك له في اللقب وقد كانت الارض مغمورة بالمياه وظهرت اليابسة منها بالتدريج البطيء وكثيرا ماحصل في الاقاليم الاستوائية ان توجد البحيرة ثم تجف في مدة قصيرة

(زعم ابن خلدون ان اكثر حملة العلم في الاسلام من العجم)

(ج ٢) أخطأ ابن خلدون في هذه المسألة فقد كان للعلم في الاسلام دول أو مناطق متعددة واحدة في الشام والحجاز وثانية في العراق و بلاد فارس وثالثة في مصر وما وليها من افريقية ورابعة في الأندلس وما جاورها . وكان في كل منطقة من هذه المناطق العلمية ألوف من العلماء برعوا في العلوم والفنون الدينية واللغوية والادبية والعقلية النظرية والعملية ولم يكن العجم كثيرين الافي واحدة منها وهي منطقة البلاد الفارسية وما جاورها . على أن الذين نبغوا في العلوم هنالك لم يكونوا كلهم من العجم ولا يمكن الحكم على أكثرهم أيضا لان الاسلام بمؤاخاته بين العرب والعجم ومزجه بعضهم ببعض صار يتعذر التمييز بينهم إذ صار علماء العرب ينسبون الى البلاد التي يقيمون فيها من بلاد العجم وهي بلادهم مذ صارت دار إسلام فيقال في صاحب القاموس المحيط هو (مجد الدين الفيروز بادي الشيرازي) فيظن الجاهل لنسبه أنه عجمي النسب وهو عربي صديقي كان يرفع نسبه الى أبي

بكر الصديق (رض) قال الحافظ ابن حجر ولم يكن مدفوعا فيما قاله ، ويقال في صاحب الاغاني (أبو الفرج الاصبهاني) فيظن انه عجمي النسب وهو عربي أموي . ومن الناس من يحكم في النسب بدلالة الاسم واللقب فاذا وجد اسم الرجل أو اسم أبيه عجميا قال انه من العجم وليس هذا بدليل ولو صح دليلا لحكمنا بأن أكثر العجم المسلمين من العرب لاطلاق الاسماء والالقاب العربية عليهم ولا يمكن أن يتصل قوم بقوم الا ويأخذ بعضهم الاسماء والعادات من بعض ولكن الادنى يكون اكثر أخذا عن الاعلى فهذا عبد القادر الجيلي لم يخرجه تلقيب أبيه أو جده بجنكي دوست عن كونه عربي النسب علويه وانا نعرف الآن عدة أعلام فارسية وتركية قد استعملها العرب كلفظ أرسلان ونازلي بل نرى العرب حرفوا كثيرا من الاعلام وغير الاعلام من لغتهم اتباعا للترك . ولعلنا نوفي هذا الموضوع حقه في مقال خاص خدمة للتاريخ والا فالعرب والعجم في الاسلام سواء

(المصاهرة بين العرب والعجم)

(ج ٣) يجوز للعربي أن يتزوج القرشية والشريفة العلوية الفاطمية وللعجمي أن يتزوج الاعرابية (البدوية) والعربية وان كانت شريفة اذا هي رضيت ورضي أولياؤها . وانما ترد مسألة الكفاءة اذا لم يتفق الاولياء والزوجات على ذلك فليس للولي وان كان أبا أوجدا أن يزوج بنته بدون رضاها لرجل ليس كفؤا لها حتى عند من يرى ان الاب ولي مجبر كالشافعية وليس للمرأة ان تزوج نفسها من غير كفؤ اذا لم يرضه أولياؤها حتى عند من يقول ان أمرها في الزواج لنفسها كالحنفية ــ على ما للفريقين من الشروط في ذلك ــ والكفاءة تعتبر في النسب عند بعض الفقهاء وصرح بعضهم بأن غير الشرفاء ليسوا اكفاء للشرفاء وان العجم ليسوا أكفاء للعرب ولا نص على ذلك في الكتاب ولا في الاحاديث التي يحتج بها وانما العبرة في ذلك بالعرف فكل من يعد تزويجه في عرف قوم عارا عليهم لا يكون كفؤا لمن يلحقهم العار بين قومهم بمصاهرته ، ولكن العادات الضارة والعرف الضار ينبغي للعقلاء أن يقاوموهما وقد حررنا هذه المسألة في المجلدين السابع والثامن فراجع

في الاول لفظ الزواج حرف الزاي من الفهرس وفي الآخر لفظ كفاءة الزواج من حرفه الكاف في فهرسه

* * *

﴿ حديث ان شريعتي جاءت على ٣٦٠ طريقة ﴾

(س ٥٢) من م . م الجاوي في بتاوى

ما قولكم دام فضلكم في حديث رواه الطبراني مرفوعا وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إن شريعتي جاءت على ثلاثمئة وستين طريقة فمن سلك طريقة منها نجا » فما معنى الطريقة التي ميزت بها الشريعة الى ذلك العدد وكلها على هدى وصواب بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « فمن سلك طريقة منها نجا » وكل واحدة منها على خلاف الاخرى بدليل قوله « منها » الذي يشير الى التبعيضية ذكر ذلك الحديث الولي الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه ميزان الخضرية وقال قبيل ذلك الحديث وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياكم والانكار على كلام أحد من العلماء الا بعد الاحاطة بجميع طرق الشريعة ولم تجدوا ذلك الكلام فيها ثم عقب واستنبط بهذا الحديث بقوله « فقد روى الطبراني مرفوعا » فتفضلوا يا سادات الكرام بالجواب بهذا وقد سألنا عنه مشايخ الجاوه مرارا ولم يكشف أحد على ذلك فبقينا متألمين

(ج) هذا الحديث لا يصح بل يمكن الجزم بوضعه لما يأتي من الدليل ولم يذكر في أي كتب الطبراني هو وسليمان الطبراني قد أورد في معجمه الاوسط عن كل شيخ من شيوخه ماله من الغرائب والعجائب في روايته قال الحافظ ابن حجر « وفيه كل نفيس وعزيز ومنكر » والظاهر أن هذا من منكراته وصنف المعجم الصغير وهو عن كل شيخ له حديث واحد . ومتى اطلق المحدثون ما انفرد به الطبراني عنوا انه ضعيف ، ونقل الشعراني للحديث واحتجاجه به لا يدل على صحته ولا على كونه صالحا للاحتجاج به وهذا الحديث مخالف لما ورد في الكتاب والسنة من كون سبيل الحق وطريقه واحدة كقوله تعالى « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وما فسره به النبي (ص) فيما رواه ابن مسعود قال : خط رسول

الله (ص) خطا ثم قال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال « وهذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه » ثم قرأ هذه الآية . رواه احمد وابن حميد والبزار والنسائي وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه . والآية والحديث المفسر لها موافقان للآيات والاحاديث الكثيرة الناهية عن تفرق المسلمين في دينهم الى الشيع والطرائق ، وحديث الطبراني هذا يخالفها ومنها قوله تعالى « وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا » ثم قال في هذه السورة (سورة الجن) « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » فعلم من ذلك ان الطريقة المعرَّفة هي طريقة الحق التي كان عليها الصالحون وان الذين كانوا على سائر الطرائق القدد ليسوا على الحق . ويخالف حديث تفرق الامة على ٧٣ فرقة كلها في النار الا واحدة ، وهو مع ذلك لا ينطبق على حديث شعب الايمان كما ظن بعض أصحابنا لان تلك الشعب تجمعها طريقة واحدة هي طريقة الكتاب والسنة على الوجه الذي كان عليه النبي (ص) واصحابه فان أعلاها شهادة التوحيد وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، ولا يمكن ان يكون التوحيد طريقة والصلاة طريقة أخرى وإماطة الاذى عن الطريق شعبة أخرى . فالحديث موضوع قطعا

* * *

﴿ مسافة القصر ﴾

(س ٥٣) من م . ب . ع . في سمبس برنيو (جاوه)

حضرة فخر الانام ، سعد الملة وشيخ الاسلام ، سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء أدام الله بعزيز وجوده النفع آمين

وبعد اهداء أشرف التحية وأزكى السلام فيا سيدي وعمدتي أرجو منكم الالتفات الى ما ألقيه اليكم من الاسئلة لتجيبوني عنها وهي : —

هل نحد مسافة القصر بحديث « يا أهل مكة لا تقصروا في أدنى من أربعة برد من مكة الى عسفان والى الطائف » أم لا ؟ وهل أربعة البرد هي ثمانية وأربعون ميلا هاشمية ؟ وعليه فكم يكون قدر المسافة المعتبرة شرعا بحساب كيلومتر ؟ أفتونا

فتوى لا نعمل الا بها ولا نعول إلا عليها فلا زلتم مشكورين وكنا لكم ذاكرين .

(ج) الحديث الذي ذكره السائل رواه الطبراني عن ابن عباس وفي اسناده عبد الوهاب بن مجاهد بن جبير قال الامام أحمد ليس بشيء ضعيف وقد نسبه النووي الى الكذب وقال الازدي لا تحل الرواية عنه ، ولكن مالكا والشافعي روياه موقوفا على ابن عباس واذ لم يصح رفعه فلا يحتج به . وفي الباب حديث أنس انه قال حين سئل عن قصر الصلاة فقال « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود من طريق شعبة وشعبة هو الشاك في الفراسخ والاميال . قال بعض الفقهاء الثلاثة الاميال داخلة في الثلاثة الفراسخ فيؤخذ بالا كثر . وقد يقال الاقل هو المتيقن ، وفيه ان هذه حكاية حال لا تحديد فيها والعدد لا مفهوم له في الاقوال فهل يعد حجة في وقائع الاحوال؟ وهناك وقائع أخرى فيما دون ذلك من المسافة فقد روى سعيد ابن منصور من حديث أبي سعيد قال « كان رسول الله (ص) اذا سافر فرسخا يقصر الصلاة » وأقره الحافظ في التلخيص بسكوته عنه وعليه الظاهرية وأقل ما ورد في المسافة ميل واحد رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر باسناد صحيح وبه أخذ ابن حزم وظاهر إطلاق القرآن عدم التحديد وقد فصلنا ذلك في (ص ٤١٦ و ٦٤٩ من المجلد السابع من المنار)

والمشهور أن البريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وأصل الميل مد البصر لأن ما بعده يميل عنه فلا يرى وحددوه بالقياس فقالوا هو ستة آلاف ذراع والذراع ١٤ أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست حبات من الشعير معترضة معتدلة. وقال بعضهم هو اثنى عشر ألف قدم بقدم الانسان . وهو أي الفرسخ ٥٥٤١ مترا

* * *

(صلاة الظهر بعد الجمعة احتياطا)

(س ٥٤) من صاحب الامضاء في (اكراجي من ولاية ويانقا - روسية)

حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوك ان تفيدنا عن الفتوى الآتية :

ماقولكم دام فضلكم في قول رجل يدعي ان الصلاة المسماة باحتياط الظهر بدعة والنبي (عم) ماصلاها وليس فيها رواية من الصحابة والتابعين ، والعلماء المجتهدين (أول من بين في القرآن بدعية هذه الصلاة الشيخ شهاب الدين الجرجاني) ومذهب ابي حنيفة والباقي من الائمة فرضية الجمعة فقط ماعندهم شيء مخفي عنا فمن ادعى مشروعية احتياط الظهر فليثبت لنا بالكتاب أو السنة والا فما يقنعنا مجرد كتابة الالفاظ العربية ان كان من ترك الجمعة بالعذر جزاؤه من الشارع صدقة ربع دينار أو صاع ونصف من الحنطة وليس مأمورا بأداء الظهر بدلا عن الجمعة فان كان الامر كذلك فادعاء بدعية الظهر عن الجمعة ليس بصحيح والقول بوجوب الاحتياط للمصلي بعيد جدا .

محسوبكم بعد مافهمت بدعية الاحتياط ماأصليها منذ عشرين سنة وأنبه أيضا سامعي كلامي وبعد مايسلم الامام أخرج من المسجد وأرجع الى بيتي وأصلي فيه ركعتين وهذا فعلي موافق لقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا) ومطابق أيضا لسنة رسول الله (بخاري ٢ جز ١٤٠ ص) وسب الجهال لفعلي هذا بالاعتزال وغيره ليس بشيء عندي ولا أبالي به وفتاوى التاشكند ان نظرنا بمقتضى الوجدان والانصاف ليست بشيء وقولهم رد الفتوى كفر أيضا كذلك . الحاصل عندي القول بوجوب الاحتياط شيء كبير لا اجرأ لي عليه لان الشارع صلى الله عليه وسلم ماصلى هذه الصلاة في عمره ولا مرة انتهى للمترجم من مجلة الشورى عدد ٣٣

السياح الحجازي أبو اديب حافظ حلمي

(ج) تراجع ص ٧٢٩ و ٩٣٨ من مجلد المنار السابع فهنالك بيان نافع ، ثم انا نعلم ان نية السائل في تركه لماجرى عليه بعض الناس في وطنه من صلاة الظهر بعد الجمعة ونية اولئك المصلين لها كلتاهما حسنة والمسألة متنازع فيها وقد قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) أي وأحسن عاقبة ومآلا في الدنيا لانه يزيل النزاع والتفرق ويجمع الكلمة وفي الآخرة لانه المرضي عند الله تعالى . واذا رددنا المسألة الى الله تعالى بعرضها على كتابه والى رسوله (ص) بعرضها على سنته لانجد

فيهما دليلا على مشروعية صلاتين مفروضتين في وقت واحد، بل على عدمه وهو الاصل فمن كان يعتقد ان صلاة الجمعة لا تصح منه حرم عليه ان يصليها ووجب عليه الظهر وحده ومن صلاها معتقدا صحتها منه اجزأته ولم يجب عليه غيرها في وقتها الى العصر، ومن اعتقد ان صلاته للجمعة صحيحة ولكنها ناقصة نقصا لا يقتضي بطلانها فله ان يجبرها بالنوافل الرواتب وغير الرواتب وقد صح في حديث ابن عمر المتفق عليه ان النبي (ص) كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته . وفي حديث أبي هريرة عند مسلم وأصحاب السنن الامر بصلاة أربع ركعات بعدها وورد بلفظ «من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعا» أي ان شاء والافضل أن تكون في البيت كسائر النوافل

ولا يتوهمن الذين يصلون الظهر بعد الجمعة ان الخطب في ذلك سهل لانه زيادة من الخير الذي هو الصلاة فان فيه خطرا عظيما من حيث انه شرع عبادة لم يأذن بها الله والشارع هو الله وحده فمن أحدث في الشرع شيئا فقد جعل نفسه شريكا لله في ألوهيته أو ربوبيته ومن وافقه فقد اتخذه شريكا كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا مرارا تفسير النبي (ص) لاتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابا بأنهم كانوا يضعون لهم أحكام الحلال والحرام فيتبعونهم فيها وهم ما كانوا يضعون تلك الأحكام الا بمثل الشبهات التي حدثت بها البدع الدينية في الاسلام من حيث انها زيادة في الخير أو العبادة أو احتياط في ترك ما لا يرضي الله تعالى كما هو معروف في تاريخهم

فيا أيها المسلمون لا تغلوا في دينكم وان لكم في الفرائض والمندوبات الثابتة في الكتاب والسنة بالنص الصريح غنية عن سواها وقد قال النبي (ص) في الاعرابي الذي حلف انه لا يزيد على المكتوبات الخمس وسائر الفرائض من أركان الاسلام ولا ينقص «أفلح ان صدق» «ودخل الجنة إن صدق» ويا ليت السواد الاعظم من المسلمين يأتون جميع الفرائض القطعية ويتركون جميع المحرمات القطعية وفي النوافل المشروعة ما يستغرق العمر

وما قاله السائل في رد الفتوى صحيح وانما عنى أولئك المشددون المكفرون من يرد الفتوى يحتقرها وهو يعتقد انها من دين الله تعالى ويقصد بذلك احتقار الدين لا من اعتقد خطأ المفتي

الباطنية

﴿ وآخر فرقهم البابية البهائية ﴾

قلنا في الجزء الماضي إن البابية البهائية فرقة من الباطنية وان الباطنية قد وضعوا تعاليمهم السرية منذ القرن الاول لافساد دين الاسلام وإزالة ملكه فهم ما وضعوا شيئا يعتقدون حقيته وهداية الناس بدعوتهم اليه، ونقول الآن انهم لما انتشرت دعوتهم وكثر عددهم وصار لهم قدرة على الحرب اضرموا نيران الفتن والحروب بخروجهم على الدول الاسلامية مرارا، وقد خابوا ولم ينالوا ما طلبوا بالمكيدة ولا بالقوة، ثم صار لبعض رؤسائهم قناعة بعبادة اتباعهم لهم وبذلهم أموالهم في سبيلهم كأئمة الاسماعيلية المتأخرين، وضعفت دعوتهم حتى جددها البابية في هذا العصر وانا ننقل لقراء المنار شيئا مما حفظه التاريخ من أخبارهم وطرق دعوتهم وتأويلهم للقرآن ثم نبين حقيقة دعوة فرقة البابية منهم

قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وهو من علماء القرن الخامس توفي سنة ٤٢٩ أي منذ تسعة قرون ما نصه

(الفصل السابع عشر من فصول هذا الباب – أي الخامس)

«في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الاسلام»

اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان . لان الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم الى يومنا هذا أكثر من الذين يضلون في وقت ظهوره لان فتنة الدجال لا تزيد مدتها على اربعين يوما، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر . وقد حكى اصحاب المقالات ان الذين أسسوا دعوة

الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الاهواز . ومنهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان وميمون بن ديصان في سجن والي العراق أسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية .

ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بذيذان وابتدأ بالدعوة من ناحيته فدخل في دينه جماعة من اكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديصان الى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية الى عقيل بن ابي طالب وزعم انه من نسله . فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الاغبياء ذلك منه على (أن) اصحاب الانساب (صرحوا) بأن محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب

ثم ظهر في دعوته الى دين الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه وكان في ابتداء أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة واليه تنسب القرامطة

ثم ظهر بعده في الدعوة الى البدعة ابو سعيد الجنابي وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ودخل في دعوته بنو شنير

ثم لما تمادت الايام بهم ظهر المعروف منهم بسعد بن الحسين احمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسم نفسه ونسبه . وقال لاتباعه انا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . ثم ظهرت فتنته وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر

وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدنداني من تلامذة حمدان قرمط وظهر مأمون اخو حمدان قرمط بأرض فارس . وقرامطة فارس يقال لهم المأمونية لاجل ذلك .

ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم فاستجاب له جماعة من الديلم منهم اسفار بن شرويه .

وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعراني فقتل بها في ولاية ابي بكر بن محتاج

عليها . وكان الشعراني قد دعا الحسين بن علي المروروذي قام بدعوته بعده محمد بن احمد النسفي داعية أهل ما وراء النهر وابو يعقوب السجزلي المعروف ببندانه وصنف النسفي لهم كتاب المحصول وصنف لهم ابو يعقوب كتاب اساس الدعوة وكتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الاسرار وقتل النسفي والمعروف ببندانه على ضلالتهما

وذكر أصحاب التواريخ ان دعوة الباطنية ظهرت أولا في زمان المأمون وانتشرت في زمان المعتصم . وذكروا انه دخل في دعوتهم الافشين صاحب جيش المعتصم وكان مراهنا لبابك الخرّمي وكان الخرمي مستعصيا بناحية البدين وكان أهل جبله خرمية (١) على طريقة المزدكية فصارت الخرمية مع الباطنية يدا واحدة . واجتمع مع بابك من أهل البدين وممن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاث مئة الف رجل . واخرج الخليفة لقتالهم الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانى في القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين وقتل الكثير منهم . ثم لحقت الامداد بالافشين ولحق به محمد بن يوسف الثغري وأبو دلف القاسم بن عيسى العجلي ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله بن طاهر واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين حتى بنوا لانفسهم البلدة المعروفة ببير زند خوفا من بيان (كذا) البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة الى أن أظفر الله المسلمين بالبابكية فأسر بابك وصلب بسر من رأى (٢) سنة ثلاث وعشرين ومئتين ثم أخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع المازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان . ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيانته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصلب لذلك .

وذكر أصحاب التواريخ ان الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين أسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الاغمار منهم اساسا من قبلها منهم صار في الباطن الى تفضيل أديان المجوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي عليه السلام على موافقة أساسهم . وبيان ذلك

---

(١) المنار : الخرمية بضم الخاء وتشديد الراء معناه الاباحية وأصل الكلمة فارسي قيل معناه السرور (٢) وهو البلد الذي يقال له الآن سامرا

أن الثنوية زعمت ان النور والظلمة صانعان قديمان والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع ، والظلام فاعل الشرور والمضار ، وان الاجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاصلان الاولان من الطبائع الاربع مدبرات هذا العالم . وشاركهم المجوس في اعتقاد صانعين غير انهم زعموا أن أحد الصانعين قديم وهو الاله الفاعل للخيرات والآخر شيطان محدث فاعل للشرور . وذكر زعماء الباطنية في كتبهم ان الاله خالق النفس فالاله هو الاول والنفس هو الثاني وهما مدبرا هذا العالم . وسموهما الاول والثاني وربما سموهما العقل والنفس . ثم قالوا إنهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاول .

وقولهم إن الاول والثاني يدبران العالم هو بعينه قول المجوس باضافة الحوادث الى صانعين أحدهما قديم والآخر محدث الا ان الباطنية عبرت عن الصانعين بالاول والثاني وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية ووضعوا أساسا يؤدي اليه ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغي أن تجمر المساجد كلها وان يكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود في كل حال . وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود ابدا فعلم الرشيد انهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة وان تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة

ثم ان الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي الى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس . والذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة انهم قد أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والاخوات وشرب الخمر وجميع اللذات . ويؤكد ذلك ان الغلام الذي ظهر منهم بالبحرين والاحساء بعد سليمان بن الحسين القرمطي سن لاتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به وأمر بقطع يد من اطفأ نارا بيده وبقطع لسان من أطفأها بنفخة . وهذا الغلام هو المعروف بابن أبي زكريا الطامي

وكان ظهوره في سنة تسع عشرة وثلاث مئة وطالت فتنته الى ان سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه

ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية الى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الارض مجوسيا إلا وهو موادٌّ لهم منتظر لظهورهم في الديار يظنون أن الملك يعود اليهم بذلك. وربما استدل اغمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت انه قال لكتاسب ان الملك يزول عن الفرس الى الروم واليونانية ثم يعود الى الفرس ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعود الى الفرس . وساعده جاماسب المنجم على ذلك . وزعم ان الملك يعود الى العجم لتمام الف وخمس مئة سنة من وقت ظهور زرادشت.

وكان في الباطنية رجل يعرف بأبي عبد الله العردي يدعي علم النجوم ويتعصب للمجوس وصنف كتابا ذكر فيه ان القران الثالث عشر من مولد محمد صلى الله عليه وسلم يوافق الالف العاشر وهو نوبة المشتري والقوس . وقال عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية ويستولي على الارض كلها . وزعم انه يملك مدة سبع قرانات . وقالوا قد تحقق حكم زرادشت وجاماسب في زوال ملك العجم الى الروم واليونانية في أيام الاسكندر ثم عاد الى العجم بعد ثلاث مئة سنة ثم زال بعد ذلك ملك العجم الى العرب وسيعود الى العجم لتمام المدة التي ذكرها جاماسب . وقد وافق الوقت الذي ذكره أيام المكتفي والمقتدر وأخلف موعدهم وما رجع الملك فيه الى المجوس .

وكانت القرامطة قبل هذا الميقات يتواعدون فيما بينهم ظهور المنتظر في القران السابع في المثلثة النارية . وخرج منهم سليمان بن الحسين من الاحساء على هذه الدعوى وتعرض للحجيج وأسرف في القتل فيهم . ثم دخل مكة وقتل من كان في الطواف وأغار على أستار الكعبة وطرح القتلى في بئر زمزم وكسر عساكر كثيرة من عساكر المسلمين وانهزم في بعض حروبه الى هجر فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها

أغركم مني رجوعي الى هجر؟ … فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
اذا طلع المريخ في أرض بابل … وقارنه النجمات فالحذر الحذر
ألست أنا المذكور في الكتب كلها؟ … ألست أنا المبعوث في سورة الزمر؟

سأملك أهل الارض شرقا ومغربا الى قيروان الروم والترك والخزر

وأراد بالنجمين زحل والمشتري . وقد وجد هذا القران في سني ظهوره ولم يملك من الارض شيئا غير بلدته التي خرج منها . وطمع في أن يملك سبع قرانات وما ملك سبع سنين بل قتل بهيت رمته امرأة من سطحها بلبنة على رأسه فدمغته وقتيل النساء أخس قتيل وأهون فقيد .

وفي آخر سنة ألف ومئتين وأربعين للاسكندر تم من تاريخ زرادشت الف وخمس مئة سنة وما عاد فيها ملك الارض الى المجوس بل اتسع بعدها نطاق الاسلام وفتح الله تعالى للمسلمين بعدها بلاد بلاساغون(١) وارض التبت وأكثر نواحي الصين ثم فتح لهم بعدها جميع أرض الهند من لمغان الى قنوج وصارت أرض الهند الى سيترسيقا بحرها من رقعة الاسلام في أيام امين الدولة أمين الملة محمود بن سبكتكين رحمه الله .

وفي هذا رغم أنوف الباطنية والمجوس الجاماسبية الذين حكموا بعود الملك اليهم فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة امانيهم بورا بحمد الله ومنه

ثم ان الباطنية خرج منهم عبيد الله ابن الحسين بناحية القيروان وخدع قوما من كتامة وقوما من المصامدة وشرذمة من اغنام بربر بحيل ونيرنجات اظهرها لهم كرؤية الخيالات بالليل من خلف الرداء والازار وظن الاغمار انها معجزة له فتبعوه لاجلها على بدعته فاستولى بهم على بلاد المغرب ثم خرج المعروف منهم بأبي سعيد الحسين بن بهرام على أهل الاحساء والقطيف والبحرين فأتى بأتباعه على أعدائه وسبى نساءهم وذراريهم واحرق المصاحف والمساجد ثم استولى على هجر وقتل رجالها واستعبد ذراريهم ونساءهم .

ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقي باليمن وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الاطفال والنساء وانضم اليه المعروف منهم بابن الفضل في أتباعه ثم ان الله تعالى سلط عليهما وعلى أتباعهما الآكلة والطاعون فماتوا بهما

ثم خرج بالشام حفيد لميمون بن ديصان يقال له أبو القاسم بن مهرويه وقالا لمن اتبعهما هذا وقت ملكنا . وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومئتين فقصدهم سبك صاحب المعتضد فقتلوا سبكا في الحرب ودخلوا مدينة الرصافة واحرقوا مسجدها الجامع

(١) بلاساغون بالغين المعجمة بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر

وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحامي غلام بن طيلون وهزمهم الى الرقة فخرج اليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفي في جند من أجناد المكتفي فهزمهم وقتل منهم الالوف فانهزم الحسن بن زكريا بن مهرويه الى الرملة فقبض عليه والي الرملة فبعث به وبجماعة من أتباعه الى المكتفي فقتلهم ببغداد في الشارع بأشد عذاب . ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة الى سنة عشر وثلاث مئة

وظهرت بعدها فتنة سليمان بن الحسن في سنة احدى عشرة وثلاث مئة فانه كبس فيها البصرة وقتل أميرها المفلحي ونقل أموال البصرة الى البحرين . وفي سنة اثني عشرة وثلاث مئة وقع على الحجيج في المتهير لعشر بقيت من المحرم وقتل اكثر الحجيج وسبى الحرم والذراري . ثم دخل الكوفة في سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة فقتل الناس وانتهب الاموال وفي سنة خمس عشرة وثلاث مئة حارب ابن أبي الساج وأسره وهزم أصحابه وفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة دخل مكة وقتل من وجده في الطواف . وقيل انه كان بها ثلاثة آلاف وأخرج منها سبع مئة بكر واقتلع الحجر الأسود وحمله الى البحرين ثم رد منها الى الكوفة ورد بعد ذلك من الكوفة الى مكة على يد أبي اسحاق بن ابراهيم محمد ابن أبي يحيى مزكي نيسابور في سنة تسع وعشرين وثلاث مئة

وقصد سليمان بن الحسن بغداد في سنة ثماني عشرة وثلاث مئة فلما وردهيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته وانقطعت شوكة القرامطة وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن مبدرقين (١) للحجيج من الكوفة والبصرة الى مكة لخفاوة، ومال مضمون لهم الى ان غلبهم الاصفر العقيلي على بعض ديارهم .

وكانت ولاية مصر وأعمالها للاخشيدية وانضم بعضهم الى عبيد الله الباطني الذي كان قد استولى على قيروان ودخلوا مصر في سنة ثلاث وستين وثلاث مئة وابتنوا فيها مدينة سموها القاهرة يسكنها أهل بدعته وأهل مصر ثابتون على السنة الى يومنا وان اطاعوا صاحب القاهرة في اداء خراجهم اليه .

وكان أبو شجاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدي

(١) المنار : أي خفراء والبدرقة بالدال المهملة والمعجمة الخفارة

الباطنية وكتب على اعلامه بالسواد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين : وقال قصيدة أولها

اما ترى الاقدار لي طوائعا ... قواضيا لي بالعيان كالخبر
و يشهد الانام لي بأنني ... ذاك الذي يرجى وذاك المنتظر
لنصرة الاسلام والداعي الى ... خليفة الله الامام المفتخر

فلما أخرج مضاربه للخروج الى مصر غامضه (١) الاجل فمضى لسبيله فلما قضى فانخسر ونجبه طمع زعيم مصر في ملوك نواحي الشرق فكاتبهم يدعوهم الى البيعة له فأجاب قابوس بن وشمكير عن كتابه بقوله : اني لا أذكرك الا على المستراح . وأجابه ناصر الدولة ابو الحسين محمد بن ابراهيم بن سيمجور بأن كتب على ظهر كتابه اليه (قل يا أيها الكافرون لا اعبد ماتعبدون) الى آخر السورة . وأجابه نوح بن منصور والي خراسان بقتل دعاته الى بدعته .

ودخل في دعوته بعض ولاة الجرجانية من أرض خوارزم فكان دخوله في دينه شؤما عليه في ذهاب ملكه وقتله أصحابه ثم استولى يمين الدولة وأمين الملة محمود ابن سبكتكين على أرضهم وقتل من كان بها من دعاة الباطنية .

وكان أبو علي بن سيمجور قد وافقهم في السرفذاق و بال أمره في ذلك وقبض عليه والي خراسان نوح بن منصور و بعث به الى سبكتكين فقتل بناحية غزنة وكان ابو القاسم الحسن بن علي الملقب بن الشمتد داعية أبي علي بن سيمجور الى مذهب الباطنية وظفر به بكتورون صاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله ودفن في مكان لا يعرف وكان امبرك الطوسي والي ناحية ثارويه قد دخل في دعوة الباطنية فأسر وحمل الى غزنة وقتل بها في الليلة التي قتل فيها أبو علي بن سيمجور . و باد بذلك نصراء الباطنية من تلك البلاد ومن هذا يبان شؤم الباطنية على منتحلها فليعتبر بذلك المعتبرون (لها بقية)

(١) المنار : كذا في الاصل ولعل الصواب غافصه أي فاجأه واخذه على غرة

جميل صدقي افندي الزهاوي

« مهاجمته بشعرياته للشريعة الاسلامية في حقوق النساء »

نشرت جريدة المؤيد في شهر شعبان من هذه السنة مقالة لجميل صدقي افندي الزهاوي الشاعر البغدادي المشهور ينتصر فيها بتخيلاته الشعرية للنساء على الشريعة الاسلامية الحكيمة ، ومقالة أخرى يدعو فيها العرب الى ترك اللغة العربية الفصيحة واستعمال اللغات العامية التي يتخاطبون بها على سخفها وعسر ضبطها وما تحتاج من العناء والزمن الطويل لتدوينها ووضع الفنون لها لتحفظها وتجعل تعلمها طريقة فنية وعلى ما في ذلك من تمزيق شمل العرب وجعلهم أمما مختلفة في اللغة فرد عليه الكتاب المسلمون في مصر وسورية والعراق ويقال ان أهل العلم والدين هاجوا عليه في بغداد ورفعوا أمره الى الحكومة فعزلته من عمله في نظارة المعارف وكان معلما للشريعة في مدرسة الحقوق

كنت علمت بما كتبه جميل افندي وانا في الآستانة فلم أر كتابته هذه أهلا لان تقرأ أو يرد عليها ولكنني رأيت نصير الحرية الفيلسوف شبلي شميل قام ينتصر له في هذه الايام ويدعو الكتاب الى ذلك فكتب في المقطم يستفتي الرأي العام العثماني والمصري في حادثته وقد بنى استفتاءه هذا على رسالة جاءته من بغداد يستنكر فيها كاتبها (ولعله جميل افندي نفسه) عزله في عهد الدستور بواسطة مبعوث دستوري (هو مصطفى افندي مبعوث الحلة) وحاكم دستوري (هو ناظم باشا والي بغداد) ويقول ان فريقا من الثائرين يريدون ان تفصل الحكومة بين الرجل وزوجته لانه كفر وفريقا يطلب إبعاده عن البلاد الاسلامية وفريقا يريدون قتله .

وقد عقب المقطم على استفتاء شبلي شميل بكلام في منتهى الشدة والانكار مع اعتراف المعقب بأنه لم يقرأ مقالة الزهاوي ولكن الظلم الفظيع الذي اصاب الزهاوي اضرم نار السخط في صدره وجعل دمه يغلي في عروقه

طالبني الدكتور شميل بأن اكتب رأيي في المسألة فرجعت الى مقالة الزهاوي في المؤيد لاثبت وأتبين حقيقة الذنب الذي ترتبت عليه العقوبة فرأيته يعترض فيها على ما ثبت في القرآن العزيز وينسبه الى خطأ المسلمين وجهلهم يشير بذلك الى ان القرآن من أوضاعهم بل هو يصرح بذلك بقوله في الجنة « التي وصفوها بقولهم (فيها ما تشتهي الانفس) » وهاك جملة من تلك المقالة بنصها

« وليست المرأة مهضومة من جهة واحدة بل هي مهضومة من جهات عديدة:

ولو كان رمحا واحدا لاتقيته … ولكنه رمح وثان وثالث

« فهي مهضومة لان عقدة الطلاق بيد الرجل يحلها وحده ولا أدري لماذا يجب رضاء المرأة في الاقتران ولا يجب رضاها بالفراق الذي تعود تبعته عليها وحدها

« وهي مهضومة لانها لا ترث من أبويها الا نصف ما يرثه أخوها الرجل

« وهي مهضومة لانها تعد نصف إنسان وشهادتها نصف شهادة

« وهي مهضومة لان الرجل يتزوج عليها بثلاث أخر وهي لا تتزوج الا به وحده

« وهي مهضومة لانها هي في الحياة مقبورة بحجاب كثيف يمنعها من شم الهواء ويمنعها من الاختلاط ببني نوعها والاستئناس بهم والتعلم منهم في مدرسة الحياة الكبرى

« وليست المرأة المسلمة مهضومة في الدنيا فقط بل هي مهضومة كذلك في الاخرى لان الرجل المصلي يعطى من الحور العين من سبعين الى سبعين ألفا وأما المرأة المصلية فلا تعطى الا زوجها وربما اشتهته(١) في الجنة التي وصفوها قائلين (فيها ما تشتهي الانفس) على حين يشتهي هو غيرها من الحور العين اللاء أعطينه » اه

فهذه الجملة الوجيزة من تلك المقالة كلها تهكم بالشريعة واعتراض على القرآن العزيز ولا يمكن أن يصدر مثلها من مسلم يؤمن بالله ورسوله (ص) وسمعت من كثير من الذين عرفوا جميل صدقي افندي في الآستانة انه ملحد لا يدين بدين وما كان يجوز لي ان اكتب ذلك جازما به اعتمادا على شهادتهم وان لم أتهمهم بالكذب لانني عهدت من الناس تكفير من أعلم بالاختبار قوة دينهم ولكن هذه

(١) الظاهر ان الاصل اشتهت غيره بدليل مقابله

العبارة كافية للجزم بأن قائلها ليس مسلما ومن يقولها لايختلف احد من فقهاء المسلمين في ردته ، لان جميع هذه المسائل التي ذكرها ثابتة بنص القرآن الا الحجاب على الوجه الذي ذكره والا مسألة عدد الحور العين لكل مصل فانه عزاها الى الشريعة لجهله بالكتاب والسنة فلا أصل لها في القرآن ولا في الاحاديث الصحيحة وانما ورد في الحديث الصحيح انه يكون للرجل في الجنة زوجان اثنتان وما ورد من السبعين واثنتين وسبعين حوراء فمن روايات الضعفاء والمتهمين بالمنكرات والموضوعات

هذه الاحكام التي اعترض عليها الكاتب اعتراض تهكم وازدراء هي من القوانين الشرعية التي يُحكم بها في محاكم الدولة الدستورية وهي من دين الاسلام الذي هو الدين الرسمي للدولة العثمانية بمقتضى قانونها الاساسي ، وقانون المطبوعات الذي وضعه وأقره مجلس الامة لايبيح الاعتراض والتهكم بدين الحكومة الذي تجب عليها حمايته بل ولا بغيره من الاديان التي أقرتها الحكومة الدستورية في بلادها ـ فالدستور العثماني لايبيح اذًا نشر مثل تلك المقالة التي نشرت باسم الزهاوي فالذي ينتصر له بعد العلم بحقيقة ذنبه في نشرها يكون جانيا على الدستور خارجا عن محيط الحرية التي يشترط عند جميع الامم ان لايتعدى بها حدود القوانين التي عليها العمل

لو أن الزهاوي اتبع سبيل الحكمة والعقل ، في اعتدائه حدود القانون والشرع ، لقال كثير من العقلاء انه يستحق الرأفة في الحكم ، وأين الحكمة والعقل ممن يزعم انه يريد إصلاح قوم فينكر عليهم ماهو ثابت في أصل دينهم وكتاب ربهم لانه هو لايفقهه ولا يدري حكمته ،

كان من مقتضى الحكمة والعقل أن يفكر في عاقبة نشر هذا القول ويعلم أن عدم قبوله ـ وهو الارجح ان لم يكن القطعي المحتم ـ يهيج عليه الناس فيتأذى هو ولا ينتفعون هم على فرض ان ما دعاهم اليه نافع وان قبوله لا يكون الا ببطلان الثقة بالدين من أصله واذًا يقعون في فوضى تستباح فيها الاعراض والاموال فيكون اثمه اكبر من نفعه

إن كان الزهاوي يرى انه لا يمكن إصلاح حال المسلمين ماداموا متمسكين بدينهم وكان حريصا على إصلاحهم فالذي كان يعقل منه أن يعمله هو أن يدعوهم

الى ترك هذا الدين إما تركه الى إلحاد وكفر مطلق وإما الى دين آخر يراه يتفق مع الاصلاح . وان كان يرى انه يمكن إصلاح حالهم مع محافظتهم على دينهم فالذي يعقل منه أن يدعوهم الى ترك ما لا يحصى من المفاسد التي فعلوها والمصالح الكثيرة التي تركوها مخالفين للاسلام في فعلهم وتركهم وأما هذه الذبذبة وقوله تارة قال الله تعالى ويذكر آية من القرآن واشارته تارة أخرى الى بعض الآيات بقوله « وصفوها قائلين » فليست من العقل ولا من الحكمة في شيء

بعد هذا كله أقول فيما ذكر من عزله واضطهاد الناس له انه كان ينبغي أن يسئل أولا عن هذه المقالة فان اعترف بأنه هو الكاتب لها فالحكومة أن تعزله قائلة انه لا ينبغي أن يدرس الشريعة من ينكر أصلها الأحكم وسراجها الأنور ، وللناس ان ينكروا عليه ذلك اذ لا يأمن آباء التلاميذ على أولادهم من يشككهم في عدل شريعتهم وحقيتها ويجب عليهم شرعا أن يطالبوا الحكومة بمنعه من التدريس ويجب على الحكومة ان تجيبهم الى ذلك . واذا رفع أمره الى القاضي الشرعي وثبت عنده انه هو الذي تهكم بالشريعة ونسبها الى الجور والظلم في أحكام الارث والطلاق وتعدد الزوجات بشرطه فعليه أن يحكم بردته ويفرق بينه وبين امرأته ان كانت مسلمة

هذه هي شريعة الدولة ليس لعاقل أن ينكر عليها تنفيذها ما دامت هي شريعتها وان كان هو لا يدين الله بها ولا يرى انها عادلة كما ان بعض رجال القانون بمصر يرون ان في القانون المصري امورا منتقدة ضارة يجب تنقيحها أو تغييرها ولكنهم لا يجيزون تقصير الحكومة في تنفيذها ما دامت مقررة في القانون

نعم اننا لا نفتي الناس بجواز الاعتداء عليه بقتل ولا ضرب ولا سب ولا على ماله بغصب ولا سلب فان اجازة اعتداء الناس على من يرونه مذنبا بالكفر أو المعصية يوقع البلاد في الفوضى والفتن ويسلب منها الأمن على الأنفس والأموال والأعراض ويبطل سلطة الحكومة ، ولكن لهم أو عليهم أن يظهروا له السخط والانكار فان انكار المنكر فرض محتم وهو الركن الاقوى لحفظ الآداب العامة والفضيلة فكل أمة تكرم أهل المنكر تهبط وتفسد وكل أمة تحتقرهم تعلو وتصلح ، وقد علمنا ان بعض

سراة الانكليز ارتكب فاحشة اللواط فلما عرف ذلك عنه فضل بخع نفسه (الانتحار) على الظهور بين قومه مهينا محتقرا ، ومن يعظم ويكرم من يعتقد انه لا يستحق التكريم فهو منافق ويستحيل ان ترتقي أمة يفشو فيها النفاق ما لم تتركه

نعم ان احترام استقلال الفكر من أعظم أسباب ارتقاء العقل والعلم ولكن مسألة الزهاوي لا تدخل في هذا الباب لانه لم يبد رأيا دينيا في ضمن دائرة الدين مخالفا لبعض المذاهب بالدليل ، ولا رأيا علميا في ضمن دائرة العلم بعيدا عن مس كرامة الدين ، بل أهان الامة بالتهكم بدينها ، والحكومة بالخروج على شريعتها وقوانينها ، ويعتقد كل من الامة والحكومة ان ما كتبه يضر لانه يبطل ثقة العامة بدينها ، وما رأينا الدكتور شميلا استباح لنفسه مثل هذا وهو اشهر كتاب العرب استقلالا في رأيه وعلمه ولذلك يحترم استقلاله المسلمون كغيرهم ويكرمونه تكريما ، وما أراه يرضيه ما كتبه الزهاوي - وقد علمه - بل يرضيه منه إما ان يكون مسلما يذعن لكل مايعتقد انه من دينه وإما أن يصرح بأنه ليس مسلما ويظهر رأيه المخالف للاسلام على انه رأي له مع التزام الادب واجتناب جرح قلوب القوم الذين يخالفهم ، وما أراه يستحسن منه في هذه الحال ان يكون مدرسا يقرر شريعة يعتقد انها ظالمة بل لعله يحتم عليه ان يرفض هذا الدرس من نفسه كما رفض الفيلسوف سبنسر الوسام الذي أهداه اليه عاهل الالمان لانه هو يرى وجوب ترك الحرب وذلك الملك اشد الملوك استعداد لها

وأما الحكومة فيجب عليها أن تحمي الزهاوي من اعتداء الناس عليه ومن اهانته بما يعاقب عليه القانون وان لا تعاقبه هي الا بعد المحاكمة وثبوت الجرم والحكم به . ولتعلم ان اتباعها لاهواء العامة أو الخاصة في معاقبة الناس هو قلب لمعنى السلطة وإضاعة للحكومة فان اهواء الناس لا تقف عند حد الشرع والقانون ولا العقل والمصلحة فاذا لم تعن الحكومة في كل مكان بحفظ الحرية الشخصية اشد العناية فان الدستور لا تقوم له قائمة وتظل البلاد هاوية في الشقاء والخراب، وقد قصرت حكومتنا الدستورية بهذه المسألة في كل الولايات حتى ان الناس يشعرون أن النفوذ الاعلى لا يزال لاصحاب العصبية ولعصبياتهم من الاشقياء ، ويلي هذا تأمين عمالها الموظفين

على وظائفهم وعدم عزل أحد منهم بغير محاكمة والمطالب بهذا عاصمة البلاد في هيئتيها النيابية والتنفيذية فليس الامر خاصا بالعراق ، بل مصدره عاصمة المملكة فيجب على الاحرار المحبين للاصلاح أن يطلبوه من هناك

وليس هذا المقام مقام الرد على شبهات الزهاوي ومن راجع مجلدات المنار والتفسير يجد فيها الرد الكافي

بعد هذا ننصح لجميل صدقي افندي فنقول ان ماحصل هو نتيجة طبيعية لتلك المقالة تكاد تكون بديهية وان أهل بلادنا العثمانية لايطيقون الجهر بمخالفة عاداتهم فيشغبون على صاحبه باسم الدين وانك رجل مستعد وميال للفلسفة والعلوم الطبيعية والادبية فدع البحث في الدين لاهله المستعدين له واشتغل بخدمة الامة من الطريق الذي يرجى ان تنفعها به . وقد قال الاستاذ الامام ان من اسباب عقم الامة ان من يتقن فيها علما أو عملا أو من هو مستعد لاتقانه ذلك يشتغل بغيره مما لم يتقنه ولم يخلق مستعدا له فلو صرفت ذكاءك الى وضع كتب صغيرة حسنة الترتيب سهلة الاسلوب لمطالعة العوام والتلاميذ وتعليمهم مايطبع ألسنتهم على اللغة الصحيحة ويقوى ملكة الآداب والفضائل في انفسهم او وسائل لتعليم بعض الفنون التي تحسنها لافدت واستفدت وكنت من المصلحين ، ولعلك تفعل ذلك بعد ان تنجلي هذه الغمرة عن قريب

* * *

﴿ حجة جديدة لبراءة الزهاوي من المقالة ﴾

بعد كتابة المقالة جاءنا المؤيد يقول إنهم قابلوا خط رسالة مقالة الدفاع عن المرأة بخط بعض القصائد التي كان أرسلها الزهاوي للمؤيد من قبل فوجدوا الخط مختلفا غير متشابه فاذا انكر الزهاوي تلك المقالة وتبرأ مما فيها من الاعتراض على الشريعة تبرؤا جليا واضحا لا كما كتب في جريدة الرقيب فان ما كتبه المؤيد الآن يصلح حجة على تأييد إنكاره وحينئذ نطالب الحكومة والاهالي بجعل الحادثة كان لم تكن شيئا مذكورا

النظام الجديد

﴿ للجامعة الازهرية ﴾

نفخ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في الازهر روح الاصلاح وشوق طلابه الى النظام والعلوم والفنون ، وقال يستحيل أن يبقى الازهر على حاله بعد فاما أن يصلح وإما أن يسقط ويزول ، وقد ظهر صدق رأيه بعده فقام طلاب الازهر وكثير من شيوخه يطالبون باصلاح التعليم وادخال العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التي تدرس في مدرسة القضاء الشرعي في الازهر ، وهاج الازهريون في العامين السابقين واعتصبوا لاجل ذلك حتى انفضت حلق الدروس كلها من الازهر ، ووضعت لهم الحكومة في أثناء ذلك نظاما جديدا لم يقبلوه بل طلبوا أمورا أخرى لم تجبهم اليها الحكومة وسنبين ذلك في مقال آخر . بعد ذلك عهدت الحكومة الى احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية أن يضع نظاما جديدا للازهر بمساعدة اسماعيل صدقي باشا وكيل نظارة الداخلية وعبد الخالق ثروت باشا النائب العمومي. وقد عني رئيس هذه اللجنة احمد فتحي باشا بالامر واشتغل به مدة صيف هذه السنة وراجع لاجله جميع القوانين والنظامات التي وضعت للازهر من ١٢٨٨ الى الآن اي منذ اربعين سنة وبعد وضع النظام الجديد طبعته اللجنة وطبعت معه القوانين والنظامات التي أشرنا اليها في دفتر خاص فكان سفرا كبيرا قدمته للحكومة وانا ننشر في هذا الجزء من المنار المذكرة التي بين فيها ما يشتمل عليه النظام الجديد بالاجمال وسننشر بعدها قانون هذا النظام كله

مذكرة

(ببيان مشتملات المشروع)

لما كانت المعاهد الدينية الاسلامية آخذة في النمو وكان من الواجب أن يكون

نظامها وحالة التعليم فيها موافقا لرقي الامة وحاجاتها وجب الاهتمام بأمر هذه المعاهد وتوحيد بروغراماتها وتنظيم ادارتها بما يكفل الحصول على الفائدة المطلوبة منها

ولذلك وضع مشروع القانون المرفق بهذه المذكرة شاملا للقواعد والاحكام التي تناسب حالة المعاهد المذكورة وخلاصته مايأتي

(١) اعتبرت المعاهد الدينية الاسلامية الموجودة الآن بالقطر المصري مجموعا تتكون منه جامعة واحدة سميت (الجامعة الازهرية) نسبة الى الجامع الازهر الذي هو أكبرها وأقدمها وذكرت المعاهد الاخرى وهي الموجودة في الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط وذكر على وجه الاجمال الغرض من هذه الجامعة وهو تعلم العلوم الدينية وتعليمها على وجه يفيد الامة

ويدخل في الجامعة كل معهد يؤسس في القطر المصري بارادة سنية ثم لوحظ أن هناك معاهد أهلية يطلب منشؤها الحاقها بالجامع الازهر وقد يوجد مثل ذلك في المستقبل فتقرر أن مجلس الازهر الاعلى يضع لائحة ببيان الشروط التي يجوز بمقتضاها الحاق المعاهد التي من هذا القبيل بالجامعة الازهرية وأن يصدق على اللائحة المذكورة بارادة سنية (راجع المادتين ١ و ٢)

أما الرئاسة الدينية بالنسبة لاهل العلم ومن ينتمي الى الجامعة فقد جعلت لشيخ الجامع الازهر جريا على ما كان معروفا من قبل كما صار بصفته رئيسا لمجلس الازهر الاعلى المنفذ العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامعة الازهرية (المادتين ٣ و ٤)

(٢) فوضت الادارة العليا في الجامعة الازهرية الى مجلس أعلى يتألف تحت رئاسة شيخ الجامع الازهر من مفتي الديار المصرية ورؤساء المذاهب ومدير عموم الاوقاف المصرية وثلاثة يختارون من ذوي المكانة والدراية ممن تستفيد منهم ادارة هذه الجامعة نظرا لخبرتهم ومعارفهم في المسائل النظامية والادارية

وجعل لكل معهد شيخ تناط به ادارته وشكل تحت رئاسته مجلس ادارة في الجامع الازهر ومعهدي الاسكندرية وطنطا للنظر في المسائل التي تقتضي المشورة

وليكون ذلك ضامنا لحسن سير المعاهد وكفيلا لاهلها فيما لهم من الحقوق وفيما على أداء ماهو مطلوب منهم من الواجبات

وأباح القانون تعيين وكلاء للمشايخ في المعاهد اذا اقتضت حالة الادارة ذلك

وأما بقية المعاهد فجعل أمر ايجاد مجالس الادارة فيها موكولا الى أحوالها الخصوصية فاذا ارتقت وأصبح ذلك لازما لها فللمجلس الاعلى أن يقرره بقيود وشروط مخصوصة

وحددت اختصاصات كل ركن من أركان هذه الادارة بما يناسبه على وجه يضمن حسن سير النظام ورقي التعليم

ولما كان التعليم في الجامع الازهر يحتاج الى مراقبة كبيرة نظرا لكثرة طلابه أنشئت فيه ثلاث ادارات للتعليم لكل قسم من أقسامه الثلاثة ادارة خاصة به تحت رئاسة شيخ مخصوص ومعه مايلزمه في ذلك من المراقبين والعمال (راجع المواد ٥ الى ٢٠)

(٣) تقرر أن يكون تعيين شيخ الجامع الازهر ومشايخ المعاهد والوكلاء ومشايخ المذاهب وأعضاء المجالس بارادة سنية

وأن يختار شيخ الجامع الازهر ومشايخ المذاهب من هيئة كبار العلماء وأن يختار الباقون ماعدا اعضاء المجلس الاعلى ممن أمضوا سنين معدودة في التدريس وكانوا من أرباب كساوي التشريف (راجع المواد ٢١ الى ٢٣)

(٤) أما العلوم التي تدرس بالجامعة فهي العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية يضاف اليها مايلزم من العلوم والفنون الاخرى التي تلزم لمثل هذه الجامعة مما يكون فيه لطلابها عون على التضلع من علومهم الاصلية التي هي المقصد الاول من وجودها

وقسم التعليم الى ثلاثة أقسام أولي وثانوي وعال وخصصت مواد كل قسم كما حددت مدة التعليم فيه

ووضعت البروغرامات بحيث ينتهي تعليم العلوم التي من النوع الاخير في نهاية القسم الثانوي حتى يتفرغ بذلك الطلبة الى العلوم الاساسية في الجامعة (راجع المواد ٢٤ الى ٣١)

(٥) تكفلت (المواد ٣٢ الى ٣٦) ببيان مبدإ الدراسة السنوية ونهايتها وأيام العطلة في المواسم المخصوصة لكل معهد بحسب أحوال المدينة التي هو موجود فيها

(٦) وضعت في الباب الثالث قواعد الامتحان والشهادات وتقرر أن الامتحانات تكون نصف سنوية وسنوية والامتحان الاولي والامتحان الثانوي والامتحان العالي وفصلت طريقة اجرائه وحددت الدرجات التي يعتبر الطالب التي يحوزها ناجحا في الامتحان (راجع المواد ٣٨ إلى ٥٣)

واعتبرت الشهادات ثلاثا شهادة للقسم الاولي وشهادة للقسم الثانوي وشهادة للقسم العالي وحددت الامتيازات التي تكون لحامل كل واحدة منها بحسب العلوم التي يكون قد تلقاها

وأهم ما في هذا القسم هو إلغاء درجات العالمية الثلاث واعتبار الحاملين لشهادة العالمية الجديدة متساوين في الامتيازات المترتبة عليها مع ترتيبهم بحسب متوسط درجات الامتحان « راجع المواد ٥٤ الى ٥٥ »

(٧) وفي الباب الرابع بيان شروط الانتساب في الجامعة الازهرية بالنسبة للمصريين والغرباء والشروط التي يمكن قبول الطلبة بها في غير السنة الاولى

وذكرت واجبات الطلبة والمدرسين على وجه الاجمال مما تتكفل اللائحة الداخلية بتفصيله (راجع المواد ٦١ الى ٧٥)

(٨) واشتمل الباب الخامس على بيان الاجازات الاعتيادية والاستثنائية والمرضية التي يجوز الترخيص بها للطلبة والمدرسين و بقية الموظفين (المواد ٧٦ الى ٨٦)

(٩) وذكر في الباب السادس الاحكام المختصة بتأديب الطلبة والمدرسين والموظفين وخولت السلطة فيها لمجالس الادارة بصفة ابتدائية بالنسبة لغير الطلبة وللمجلس الاعلى بصفة مجلس استئناف

وحددت العقوبات وكلها مما هو معروف عند الازهريين وفي بقية المصالح

واختصت هيئة كبار العلماء بالنظر في أمر من يأتي من العلماء بما لا يناسب وصف العالمية وأجيز الحكم عليه من ثلثي الهيئة بابطال شهادة عالميته راجع (المواد ٨٧ الى ١١١)

(١٠) ونص في الباب السابع على ايجاد هيئة من كبار العلماء يكونون من الاختصاصيين في الفنون الازهرية بشروط وقيود مخصوصة (المواد ١٠٣ الى ١١٥)

(١١) وفي الباب الثامن بيان الاحكام المختصة بميزانية الجامعة الازهرية واستقلالها وفيه ابطال توزيع النقود المعبر عنها ببدل الكساوي وكذلك مثمن الغلال القابل للانحلال ومرتبات أولاد العلماء على النحو الذي كان معروفا من قبل

وتقرر ايجاد لائحة خاصة بالتقاعد وما يعود من ذلك على أولاد العلماء المشار اليهم (المواد ١١٦ الى ١٢٠)

وشكلت لجنة للحث على تأليف الكتب النافعة لاهل الجامعة وجعلت لمؤلفيها مكافآت مخصوصة وكذلك جعلت مراقبة الاوقاف التي للجامعة الازهرية نصيب فيها حالا أو مآلا لشيخ الجامع الازهر ومجالس الادارة ومجلس الازهر الاعلى مع المحافظة على ما لديوان الاوقاف من الحقوق والاختصاصات في ذلك

وشكلت لجنة لحصر الاوقاف المذكورة والنظر في توحيد المرتبات المأخوذة من ريعها والنظر في ابدال الجرايات بنقود (المواد ١٢١ الى ١٣٣)

و بينت الأحكام المختصة بمنح كساوي التشريف العلمية والمظهرية (المواد ١٣٤ الى ١٣٧)

(١٢) واشتمل الباب التاسع على الاحكام العمومية وهي ترجع الى بيان من هو العالم والى وجوب مراعاة شروط الواقفين والى ما يجب على مجلس الازهر الأعلى أن يضعه من اللوائح المختصة بالمكاتب التحضيرية واللائحة الداخلية للجامعة الازهرية ونظام الاروقة والحارات وترتيب درجات المدرسين والموظفين والتقرير السنوي العام (المواد ١٣٨ الى ١٤٦)

(١٣) أما الباب العاشر فيشتمل على الاحكام الوقتية وهي نوعان عامة وخاصة فالاولى تختص بأرباب المرتبات الحاليين و بما للازهر من المرتبات التي كانت خرجت من الازهر بأحكام سابقة و بأولاد العلماء من ذوي المرتبات و بابطال التمييز بين المال الذي يأتي للجامعة الازهرية من ديوان الاوقاف العمومية و بين المال الذي يأتيها من قبل الحكومة و بالعلماء الغير المخصصين بالجامعة الازهرية

وأما الاحكام الوقتية الخاصة فانها تتعلق بكيفية سريان هذا النظام وانه خاص بالمنتسبين للجامعة الازهرية ما عدا طلبة الجامع الازهر الذين انتسبوا فيه قبل وجوب العمل بذلك النظام

أما هؤلاء فوضعت لهم أحكام مخصوصة تلائم أحوالهم وتناسب التعليم الذي كان متبعا في الجامع الازهر قبل ذلك

المنار

إننا لم نكن نظن ان ينال الازهر هذه المنح الجليلة ، في هذه المدة القصيرة، ومن السنن الالهية المطردة في الاجتماع والعمران ان الاصلاح والترقي لاينجح ويثبت الا اذا تدرج أهله فيه تدرجا ، وقد قلنا في مقدمة العدد الاول من سنة المنار الاولى فيما بيناه من مذهبه وخطته « وترشد (اي الصحيفة) العاملين الى إن محاولة الطفور غرور ،وان طلب الغاية في البداية عجز وحرمان،وان مراعاة السنن الالهية ، ومسايرة النواميس الطبيعية ،كافية بفضل الله تعالى لبلوغ كل مقصد ونيل كل مرام » فعملا بهذه القاعدة ننصح لاخواننا الازهريين أن يتلقوا هذا النظام بالقبول والشكر ، والعناية بتنفيذه فانني أخشى وأنا لاأراه منتهى الكمال أن نعجز عن تنفيذه وان يكون ماروعي فيه من سنة التدرج تدرجا سريعا

ان المنار عني بالحث على إصلاح التعليم وتوسيع دائرته في الازهر منذ أنشئ (منذ ١٣ سنة) وكنا ننكر تلك الحالة فيغضب منا الكثيرون اذ يسمون الشكوى من تعليم الازهر إهانة لعلمائه ثم اتفق سوادهم الاعظم على الشكوى مثلنا فاتفقنا ولله الحمد وعسى أن يكون مماتتفق فيه قبول هذا النظام والعناية بتنفيذه فقد أعطاهم من السلطة الدينية الرسمية مالم يكن لهم ووسع عليهم الرزق الذي يعينهم على ان يفرغوا للعلم وأباح لهم تنقيح النظام والتصرف فيه عند الحاجة الى ذلك وما أظن انهم يغلون فيطلبون الطفرة ويدعون ان ما نراه كثيرا قليل

وقد كان مما طلبه الازهريون إلغاء مدرسة القضاء الشرعي وكان هذا أشد ما أنكرته عليهم فهذه المدرسة ستكون أم الاصلاح للجامعة الازهرية بتخريجها

المعلمين القادرين على تدريس العلوم والفنون التي يسمونها الجديدة وقد جعلها النظام الجديد تابعة للازهر دون نظارة المعارف فكأن الازهر ربح بها ما تنفقه الحكومة عليها وهو يزيد على عشرين الف جنيه ، وسيعطى الازهر ثلاثين الف جنيه لاجل تنفيذ النظام الجديد، فهل يعذر من لايشكر الله على هذا النظام ثم الامير وحكومته ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لايشكر الله من لايشكر الناس » رواه احمد وابو داود وابن حبان من حديث ابي هريرة واحمد والترمذي والضياء بلفظ « من لم يشكر الناس لايشكر الله » وبهذا اللفظ أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعلم عليه بالصحة

باب المراسلة والمناظرة

﴿ جمعية المبشرين في روسية ﴾

أنشأت مجلة الشورى التي تصدر في أرينبوغ من روسية في عددها السابع عشر الصادر في سنة ١٩١٠ مقالة عنوانها «نحن والمبشرون» بقلم هادي أفندي أطلاسف الذي كان عضوا في مجلس «الدوما» الاول فاستحسنا نقلها لقراء مجلة المنار الاغر ، وتصرفنا فيها تصرفا قليلا

بعد مابين حضرته في مقالته معنى التبشير لابناء جنسه قال مايأتي بعد .

إننا نعرف من الجمعيات جمعية تدعى « جمعية مبشري الكاثوليك » المقصد الاساسي لها هو التبشير بالنصرانية والاجتهاد في تنصير المجوس والوثنيين وغيرهم من أصحاب الاديان . وهذه الجمعية المذكورة تجتهد في ذلك الصدد وتجد فيه منذ أمد غير قريب ، فهي قصدت بمطالبها هذا ممالك الهند والصين من القرن الخامس عشر بل الثالث عشر، وأخذت تنصر من أهالي تينك المملكتين بقدر ما تستطيع فتيسر لها أن تنصر من المجوس مابلغ عددهم الآلاف بل الملايين . وكما بينا عدد هؤلاء الذين تنصروا باجتهاد تلك الجمعية يلزم علينا أيضا أن نبين ماصرفته في هذا الصدد

أي في تنصيرهم . ولا نكون مخطئين اذا قلنا : إن هذه الجمعية لم تحظ بذلك الحظ الموفور، إلا باتعاب نفسها القوية وصرف جهدها و بصرف المبالغ الكثيرة التي تعد بالملايين من الاصفر الرنان في سبيل ذلك

وهؤلاء الضيوف الذين جاءونا من غير دعوة ، (أي المبشرون) ، ما اقتصرت دعوتهم الى النصرانية على البلاد التي أهلها من المجوس ، بل تصرف جهدها الجهيد الآن باتخاذ الوسائل لنشر دعوتها في الممالك الاسلامية مثل سورية ومصر وتركية وإيران.

كان عيسى عليه السلام رؤوفا رحيما بجميع الناس ووعظ أمته بقوله هذا : « لا تقتلوا نفسا وأحبوا أعداءكم » ولكن كيف كانت سيرة هؤلاء الذين يدعون انهم ناشرو دينه عليه السلام ؟ هل سلكوا مسلكه تماما ؟ أم خالفوه مخالفة لا يرضى عنها عليه السلام لو كان حيا ؟ الحق ان هؤلاء الذين يدعون أنهم ناشرو دين عيسى عليه السلام قد سلكوا مسلكا يخالف تعليمه وهديه أشد المخالفة . منذ أمد بعيد أسست في روسية جمعيات كثيرة لأجل التبشير بالنصرانية وتنصير من لم يتنصر في هذه البلاد الى الآن . وكثرت في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون « بل يصح لنا أن نقول في بلاد المسلمين كقزان وقوقاز وقرغيز وغيرها .

أسسوا تلك الجمعيات بين المسلمين . ولكن كيف كان حظهم منهم ؟ هل نالوا الحظ الموفور مثل ما نالوا من المجوس ؟ لا لا انهم ما نالوا ذلك قط بل كان حظهم منهم الأقل في الأقل . مثلا في سنة ١٨٩٣ صرفت جمعية اكتاي، جهدها المستطاع في هذا الصدد فتنصرت ثلاثمئة واثنين وخمسين نسمة ولكن لم يتيسر لها أن تنصر في هذا العدد الكبير غير ثمانية أشخاص فقط من المسلمين. وفي سنة ١٩٠٦ لم يقع أحد في شركهم وأما في سنة ١٩٠٧ فتنصروا مئة وأربعا وستين نسمة منهم ثلاث من المسلمين لا غير .

قلنا كثرت تلك الجمعيات في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون ، فنذكر الآن من عمل تلك الجمعيات « جمعية مبشري القرغيز » وكم تنصر من القرغيز بهمة تلك الجمعية ؟ انه تيسر لها في سنة ١٩٠٦ أن تنصر ١٩ منهم . ولكنها لم يتيسر لها تنصير أحد في سنة ١٩٠٧ من أبناء القرغيز غير اثنين من أرذال الناس « كان أحد هذين الاثنين مسلما قبل تنصره »

ولو جعلنا نفقات تلك الجمعية من الدنانير في هذه المدة من أجل ذلك أمام أعيننا لوجدناها تبلغ أربعة عشر الفا من الروابل « كل روبل عشرة قروش مصرية » ووجدنا أيضا هذين الشخصين من رغام القرغيز وأرذالها قد بلغت قيمة كل واحد منهما على الجمعية « سبعة آلاف روبل » ولوجدنا ربح هذه الجمعية أنقص من ربح تلك التي تصدت لتنصير المجوس بكثير

أسست في غضون هذه الاسابيع فقط في « ايركونسكي » جمعية تدعى أيضا جمعية المبشرين فأسرعت جريدة « الربيج » « جريدة روسية تصدر في بطرسبورج » باللوم عليها في مقالتها التي نشرتها في عددها الموفي مئتين ، قالت فيها : إن مبشرينا لا يعرفون ما يجب عليهم لانهم كسالى من جهة وجهلاء من أخرى ، ولا يقدرون أن يؤدوا وظيفتهم التي أخذوها على عاتقهم حق التأدية ، ولكني لا أوافق فكرة جريدة « الربيج » بل أريد أن أخالفها أريد أن أمدح هؤلاء المبشرين ولا أعيبهم. ولكن مدحي لهم يكون كأضحوكة كما أنهم كذلك ، وإني وإن لم استحسن أن أمدحهم من حيث انهم يحاولون دائما أن ينصروا المسلمين ويجتهدون في ذلك بالتشمير عن ساعد جدهم لا أرى بأسا بمدحهم من جهة أخرى ، فاني أفهم من محاولتهم هذه انهم بذلك ينبهون أمة التتر التي طال مكثها في سباتها العميق وانغماسها في بحر الغفلة سنين طويلة . وكأني بهم أي بالمبشرين يعينون بعملهم هذا أمة التتر اعانة تذكر ، ويوقظونها إيقاظا لا يطرأ عليها النوم بعده أبدا ، والذي لا شك فيه عندي : ان الذين بثوا روح الملية وحسها وغيرة الدين في روسية الوسطى أي « في أطراف قزان وسمبر وساراتوف وأرينبورغ الى آخره » ليسوا الا أولئك المبشرين

والحمية الدينية وغيرتها التي يستفيدها الذي يقرأ ويطالع مؤلفات المبشرين مطالعة جيدة مما لا يمكن تحصيلها من مؤلفات « الايشان » وهم « رؤساء طرق الصوفية » هذا معلوم لكل انسان . والذي لا أشك في نفعه في بث روح الملية وحسها وغيرة الدين للامة هو المكاتيب المشهورة « لايمينسكي » الذي كان من أكبر المبشرين في زمانه وأعلمهم وأكثرهم دهاء « ولبو يبدونسف » وهذا ايضا كان كذلك حتى انني أعد تلك المكاتيب أنفع وأفيد من مكاتيب الامام الرباني كرات عديدة

الآن تصدر في مدينة مسكوف مجلة تدعى مجلة « فيرنوست » من قبل المبشر « واسترغوف » المشهور في مجلس « السناتو » ويكتب في هذه المجلة أشياء كثيرة في شأن المسلمين ، وعلى الخصوص المقالات التي تكتب بقلم « واسترغوف » نفسه وقلم كاتب آخر يدعى « ميدفيدسكي » تكون عائدة للملل غير ملة الروس ، وفي هذه المجلة مجلة « فيرنوست » من تنبيه الافكار واحياء الشعور الاسلامي لمن يعني بقراءتهما ومطالعتهما مطالعة جيدة ماليس في قراءة مجلة « دين ومعيشت » التي من شأنها أن تكون دائما عقبة كأداء أمام العلوم والمعارف ولا أثر لها في المحافظة على الدين ولا المعيشة وإن ادعت ذلك بل لا يمكن لاحد تحصيل تلك التيقظات والتنبهات من مجلة دينية محضة أيضا .

ولو كان الامر لي في قراءة المجلات المنبهة للانسان من سباته العميق كما أريد لأمرت كل مشايخ التتر بقراءة مجلة « فيرنوست » لكي يعتبروا بما فيها ويكونوا بعد ذلك اثبت قدما في الدين الاسلامي المبين

نرى في بادئ النظر أن المبشرين أشد الناس ضررا للمسلمين ، واذا أمعنا النظر لانجدهم كذلك بل نجدهم عكس مانعتقد فيهم ، نجدهم مما لابد منهم في تزييد محبة ابناء التتر لملتهم وتثبيت جرثومة الاتفاق والاتحاد فيما بينهم . نعم انهم ينصرون منا عدة اشخاص ، فلينصروا ؟ وهم لا يضرونا بذلك شيئا بل العكس يفيدوننا لان الذين يعتنقون النصرانية بسببهم لايكونون الا من الذين لايعرفون من الدين والشريعة شيئا بل يكونون من الفسقة والجهلة وشياطين الناس . لا من المسلمين حقيقة ماذا يحصل علينا إن طهروا ملتنا النجيبة التترية وشذبوها من مثل هؤلاء الرغام الاراذل ؟ : وإني لأرى من تنصر مثل هؤلاء أقل ضرر للاسلام بل أرى إنه ليست فيهم اهمية للاسلام . إن الضرر الذي يطرأ على الاسلام من اجتثاث تلك الاعضاء الفاسدة فيه وتشذيبه وتنقيته منها ليس شيئا يذكر بالنسبة الى مايحصل في الاسلام من المتانة وفي المسلمين من القوة والغيرة على الدين . وهذه الفائدة التي تحصل من ذلك مما لا تقاس بشيء ومن أجل ذلك نحن نعد أنفسنا مجبورين على مدح هؤلاء المبشرين ونقول فيهم أنهم منبهو التتر من سباتهم العميق ، بنداء لطيف جدا يعادل نداء المؤذن « حي على الفلاح »

احد قراء المنار

الخلافة الاسلامية

(والجامعة العثمانية)(*)

٢

تنبأ المستر غلادستون مرة على مايقال فقال « ان الاسلام لايطول عمره اكثر من ٢٠٠ سنة ثم يتلاشى » فقال خليل بك خالد ردا عليه في كتاب « الهلال والصليب » : « ان ذلك المتنبئ يريد بنبوءته أحد أمرين — اما ان تفني الدول المسيحية بالقوة القاهرة كل مسلم على وجه الارض كما تفعل روسيا أو يتنصر جميع المسلمين بعد مائتي سنة . ولكنا نقول ولا نخشى لومة لائم انه اذا تلاشى الاسلام في ذلك الزمن فلن تكون النصرانية اطول منه عمرا »

وبالرغم من هذه التخرصات لايزال الاسلام على مكانته وسعة انتشاره وتمسك اهله به مع ما بيد النصارى من قوة المال والرجال التي ليس للاسلام شيء منها ولكي يقف القارئ على ماعند المبشرين المسيحيين من معدات التبشير بدينهم نقل له هنا شيئا عن دعاة النصرانية من الانسكلوبيديا البريطانية « ان عدد جمعيات التبشير ٧٨ جمعية وعدد عمالها ٥٤٤٠ مرسلا ومجموع دخلها السنوي ٣٩٩ ر ٧٧٩ ر١ جنيها »

يدعون مع هذا ان الاسلام دين اعتداء مذموم وتعصب وهجوم تمهيدا لاعمالهم وامالة للرأي العام في العالم المدني . وهل يجحد أولئك القوم ماجاء في القرآن : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله

(*) تابع لما نشر في الجزء التاسع (ص ٧١٣) بقلم علي افندي فهمي محمد

يحب المقسطين » فمن ذلك يرى المنصف ان محكمة التحكيم الدولي أو مؤتمر الهاي الذي بذلت أوربا مجهوداتها في تكبير شأنه وتأثيره دون ان تفلح بعد الذي بلغته من الرقي المدني لم يأت بما قد جاء به الاسلام منذ ثلاثة عشر قرنا. وفي حديث شريف: « احب الناس الى الله اكثرهم تحببا الى الناس » والتحبب الى الناس أول وسائل السلم والمصافاة · وفي حديث شريف : « لا يضيق سم الخياط عن متحابين ولا تتسع الدنيا بمتباغضين » وفي حديث آخر « لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا »

(ثم أورد الكاتب آيات من القرآن على تسامح الاسلام واعتباره لأديان الأنبياء السابقين وعدها مع الاسلام دينا واحدا وذكر حرية الاسلام وعدله ثم قال)

اذا وجدت حرية دينية أو سياسية أو اجتماعية أو مساواة أو اخاء فكل ذلك مقتبس بل مقتضب من القرآن والاسلام قال بوسرت سميث المؤلف الانجليزي الشهير في كتابه (محمد والاسلام) : « ان مسيحيا في العصور الماضية اعتنق الاسلام وجعل يقذف المسيح عليه السلام ظنا منه ان ذلك يسر المسلمين فساقه الذين كانوا معه منهم الى القاضي فحكم عليه بالقتل » · وقد حصل مثل ذلك في تركيا منذ ٤٠٠ سنة كما هو مدون في سجلات محاكمها فان يهوديا أهان مسيحيا بمسه كرامة السيدة مريم العذراء فساقه الذين سمعوه من المسلمين الى القاضي فحكم عليه بالقتل كما ورد في كتاب (فتاوى علي أفندي) ومع ذلك لا يدخر ساسة أوربا وسعا ورجال الدين أيضا في رمي الاسلام بالتعصب والاعتداء . جاء في انسكلوبيديا شمبرس : لا شيء اغرب من ذم قسوس من النصارى وتطاولهم على الدين الاسلامي واتهامهم اياه بالقسوة: من هم الذين طردوا المغاربة من اسبانيا لانهم لم يقبلوا دين النصرانية؟ ومن هم الذين فتكوا بالملايين في بلاد المكسيك وبيرو لعدم اعتناقهم المسيحية ؟ وما الذي فعله المسلمون في اليونان من هذا القبيل ؟ لقد عاش المسيحيون قرونا عديدة بجانب المسلمين غير مضغوط عليهم ولم يجبروا في يوم من الايام على ترك عقيدتهم أو التخلي عن قسوسهم أو كنائسهم

ولكننا لا ننكر ان بعض المسلمين اتوا افعالا شائنة ولا يعزى عملهم هذا الى

عقيدتهم الدينية بل لاخلاقهم الشخصية والا وجب علينا ان نبحث هل الدين يأمرهم بتلك الاعمال أم ينهاهم عنها فيتضح لنا جليا ان الاسلام يذم كل معتد اثيم. غير اننا اذا قارنا ما ارتكبه امثال هؤلاء (الافراد) بما كانت تأتيه (حكومات) أوربا المسيحية البروتستانية وغيرها ضد مذاهبها المختلفة لهان علينا كل شيء وها هي انجلترا البروتستانتية كانت منذ ٣٠٠ عام فقط تذيق الكاثوليك انواع العذاب والذل لتحملهم على ترك مذهبهم القديم واعتناق المذهب الجديد

ولكي يقف القارىء على مقدار توحش أوربا في تعصبها الديني — ذلك التعصب الذي كان يصدر رسميا من الحكومات لا من الافراد — ننقل هنا ما كتبه الاسقف (جودمان) عن معاملة البرتستان وهم الغالبية للكاثوليك وهم الاقلية في انجلترا

«انهم (أي الكاثوليك) ظنوا أنفسهم اتعس حظا مما كانوا في زمن اليصابات لانهم كانوا يؤملون خيرا بعد وفاتها كما ان الذين اضطهدوهم لم يفرطوا في ظلمهم خوفا من ان تدور عليهم الدوائر وكانوا يتحملون أشد عقوبات القانون بكل نفس ذائقة الموت فلم تحفظ أرواحهم قوانين البلاد وكان احضار قسيس كاثوليكي إلى انجلترا خيانة كبرى عقابها الاعدام فقد شنق رجل ذو وجاهة لاستقباله قسيسا واعدم غيره لمجاهرته بالانتماء لكنيسة رومية وكانت العقوبات تنفذ على الفور والبروتستان يسلبون ما يباع ويشترى في السوق من أيدي الكاثوليك وقد أكد لي أحدهم ان الثلث الذي بقي له من املاكه لم يقم بحاجته الا بشق النفس حتى عجز عن دفع المظالم عن نفسه بالرشوة · وكان أولاد الكاثوليك يؤخذون صغارا ليشبوا على المذهب الآخر وكانوا لا يعاملون بالقانون الاساسي ولا يوظفون ولا يربون أولادهم ولا يزوجون بناتهم اللاتي لم يكن لهن أديرة راهبات يلجأن اليها . اما من كانوا خارج انجلترا فلم يصرح لهم بالعودة الا بعد دفع مبلغ يعجزون عن ادائه لفقرهم المدقع ولم تقف المحاكم عند هذا الحد بل كانت تسجن كل من وصل اليها ولم تصرح لاحد بالدفاع عن نفسه . كانت حالة الكاثوليك في بدء حكم جيمس الاول وكان قد سن قانونا في عهد اليصابات خلاصته تغريم من لم يكن من المذهب الجديد

٢٠ جنيها كل شهر قري وذلك هو الذي حزب الكاثوليك على خلعها واجلاس غيرها على العرش . وفي زمن الملك الذي خلفها اعيد ذلك القانون وانت ترى ان هذا القانون يشتمل على جملة عقوبات أخرى منها ان من حرض أو سعى في تحريض أحد من أهل المذهب الجديد على تركه عد جانيا وعوقب على ذلك بغرامة قدرها ١٠٠ مارك وسجن سنة كاملة . ومنها ان من قابل قسيسا متسترا تحت اسم معلم عوقب القسيس بالسجن سنة والآخر بغرامة عشرة جنيهات في الشهر »

وقال اينسورث مؤلف « جاي فوكيس » عن الثورة الانجليزية الدينية :

« كان اذا صاح أحد الناس بأحد المارة (كاثوليكي) فلا يكاد يلفظ الكلمة حتى يكون هذا التعس تمزق اربا اربا وكانت الحكومة تقبض على كل من تشتبه في أمره وتذيقه أنواع العذاب يستوي في ذلك الرجال والنساء ليدلوها على أسماء الكاثوليك ولو زورا فكانت درجات التعذيب أولا سحق اصابع اليدين بوضعها بين مخالب حديدية . وثانيا تعليق الشخص من رجليه في السقف وبتر اصابعها . وثالثا شد وثاقه وربطه في بلاطة تشوي ظهره حيا كالسمكة . ورابعا وضعه في حفرة أرضية مملوءة ماء فتخرج اليه الجرذ وتنهش لحمه حتى لا تبقي الا العظام . ومن العجيب انهم كانوا يطببون المسكين بعد كل نوبة حتى يشفى ثم يجيء دور العذاب التالي وهكذا »

ومهما تقول المتقولون وادعى المدعون فان الاسلام على سمو مكانته يسابق الاديان الاخرى عند ذويها وهي المزية التي خلت منها جميع المذاهب المسيحية ويخشون منها نجاح دعوته ولذلك يجيزون كل واسطة توصلهم الى عرقلة مساعيه والفوز عليه عملا بأمر دينهم « ان يذهبوا ويبشروا جميع الامم » ولما كان هذا الامر إلزاميا تراهم متى فشلوا بالطرق السلمية عمدوا الى نشر عقيدتهم اعتمادا على قوات الدول المسيحية ومدافعها التي تعلي شأن مدنيتها المسيحية بهذه الوسائل الممقوتة ولكن الاسلام بالرغم مما يحيط به من الظروف السيئة لا يزال أهله يعتقدون حقيته اعتقادا راسخا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وله تأثير في نفوس أهله وغيرهم على السواء . ومما يدحض فرية كل هماز مشاء بنميم ما كتبه (دينالي) في وصف

عبادة المسلمين في كتابه « الاسلام والعلم » قال : « ما دخلت مسجدا الا واعتراني تأثير شديد بل كنت آسف اني لم أخلق مسلما » وما كتبه (كوست) الذي قام بخدمات جليلة للنصرانية في الشرق الاقصى في كتابه (تنصير غير النصارى) قال:

« لا يدخل الانسان الى مسجد اسلامي الا وتدهشه مظاهر الاخلاص والولاء والوقار والتشبع والجلال البادية على وجوه المصلين »

ذلك مجمل القول على الدين الاسلامي الحنيف فمن يلومنا بعد ذلك اذا صحنا بملء افواهنا « ان الدين عند الله الاسلام » ؟

ولا يحسبن اخواننا غير المسلمين اننا نحتقر الاديان الاخرى كلا بل نحن على رسوخنا في ديننا نعرف لاهل كل دين حقهم ولكننا نقول لمن يريد منا نبذ ديننا : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . ويعجبني قول بعض كتاب الافرنج : « ان الاسلام مسيحية هرطوقية أو ان المسيحية اسلام هرطوقي » على ان دين الله واحد في كل زمان ومكان ولكنها الاهواء والسلطة فرقت بين الناس . هذا مجمل القول من الوجهتين الدينية والاجتماعية ولنبحث الآن عما نرمي اليه من الوجهة السياسية .

ان أول من استعمل لفظ الجامعة الاسلامية (بانسلامزم) بمعناه المقصود الآن أعني ازالة سوء التفاهم واستبدال الامور السياسية والاجتماعية ونحوها به وان يكون المسلمون بعضهم لبعض ظهيرا في الحق لا في التعصب الممقوت ـ أول من استعمل هذا الاسم هو عبد الله كويلم عند ما أسس جمعية الاسلام في لندن (*) وهي التي يطلق عليها الآن اسم جمعية الجامعة الاسلامية . ففي سنة ١٩٠٣ ظهرت هذه الجمعية الى عالم الوجود فقابلها انصار الاسلام وأعداؤه هاشين باشين . وانا

(*) المنار ، الصواب ان أول من نبه المسلمين في هذا العصر الى ما بينهم من التقاطع والتناكر ، ونبههم الى ما يجب عليهم من التعارف والتعاون ، هو السيد جمال الدين الافغاني وقد بدأ عمله بمصر على عهد اسماعيل باشا سرا وأظهره في اوربا

لمو ردون هنا المبادئ التي ترمي اليها هذه الجمعية ليرى اخواننا المسلمون وغيرهم انه ليس القصد من هذه الحركة الايقاع أو التنكيل بالغير وانما هو تحسين أحوال المسلمين الاجتماعية والادبية وتتبعها السياسية وذلك نقلا عن كتاب أصدره بالانجليزية المشير حسين قدواي سكرتير شرف جمعية الجامعة الاسلامية »

« سلام قولا من رب رحيم »

١ — ترقية العالم الاسلامي في شؤونه الدينية ـ الاجتماعية والادبية والعقلية .

٢ — ايجاد حسن تفاهم بين جميع مسلمي العالم في المسائل الاجتماعية .

٣ — تنمية شعور الاخاء بين المسلمين (وغيرهم) وتبادل مصالحهم

٤ — ازالة سوء التفاهم الحاصل الآن بين المسلمين وغير المسلمين .

٥ — مساعدة المسلمين بقدر المستطاع في سائر أنحاء العالم .

٦ — ايجاد معاهد علمية اسلامية في غير الاقطار الاسلامية

٧ — ايجاد فروع لجمعية الجامعة الاسلامية في انحاء العالم وانشاء مناظرات ومحاضرات وطبع ونشر الصحف التي يمكن أن تفيد الاسلام .

٨ — جمع الاكتتابات من جميع انحاء العالم الاسلامي لتشييد جامع في لندن

ونحن نرى ان من مصالح العالم الاسلامي ان يزاد على هذه المبادىء ما يأتي :(*)

٩ ـ تعضيد الخلافة في آل عثمان

١٠ ـ العمل لهذه الغاية حتى يعترف بذلك ويخضع له جميع امراء الاسلام وسلاطينه

١١ ـ ان تساعد الخلافة العظمى مقابل ذلك الامم الاسلامية وتتوسط لدى الدول الاوربية المسيطرة على بعض ممالك الاسلام في دفع ظلاماتها

١٢ ـ ان تلفت الجمعية أو الجمعيات حكومات العالم الاسلامي الى تصرفاتها التي تنافي أصول الدين الحنيف اذا كانت تؤثر في مجموع الامة وتسيء سمعة الاسلام.

فأي انسان في قلبه ذرة من الانسانية وفي عقله ذرة من المدنية لا يعطف على مثل هذه المبادئ إن لم يشجعها بكل قواه ؟ ليس في هذه المبادىء كما هي ظاهرة

(*) المنار : ان ما زاده الكاتب تعارض فيه جميع الدول القوية ومن يقف في وجهها اذا قاومت فالاولى ان لا يكون في العمل سياسة ان كان هنالك عمل

جلية ضرر ألبتة بغير المسلمين وانما تخاف الدول الاوربية الكبرى المسيطرة على الشرق وأكثر أهله من المسلمين ان يهبوا من رقادهم متآزرين متكاتفين فيكون لهم بذلك قوة تقف في وجوه الطامعين المسيطرين لذلك يزعجها كل عمل يقومون به أو يحاولون اتمامه ونحن نوجس خيفة من كل حركة تبدو من جانب هذه الدول وهكذا نبقى من خوف الضر في الضر . لقد قام الكثيرون من الافرنج يحاربون جمع كلمة المسلمين ما استطاعوا الى ذلك سبيلا حتى قام مثل ارتران يقول في ملأ من الافرنج : « اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا تمت بالرغم منا فستنقلب علينا وتتم على ما لا نرضاه وما لا يتفق مع مصالحنا » فهم بذلك « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره »

قال الاستاذ المرحوم عبد الله براون المستشرق الشهير في كتابه (بونابرت في مصر) : « انه حيث يوجد الاسلام توجد نهضته للجامعة الاسلامية وهي صغيرة بوجه عام ولكنها كبيرة بزعمائها المفكرين .وهذه الحركة تسير بزعامة أولئك الابطال بقصد الدفاع لا بقصد الهجوم فهي والحالة هذه حركة عقلية سلمية لا حربية ولا عدائية يحاربها الانجليز لانهم يخشون ان تتحقق في يوم من الايام فتكون القاضية على سلطانهم في الشرق . ان هذه الجامعة الاسلامية تكون أشبه بالمحالفات المنعقدة الخناصر بين الدول المسيحية التي هي كما قال السلطان عبد الحميد « تحاربنا حروبا صليبية بشكل سياسي » . وليس عجبي من محاربة اوربا للجامعة أو الخلافة الاسلامية اذ من الواجب عليها ان تنظر لمصلحتها السياسية والاقتصادية وانما عجبي انها تستعين ببعضنا على محاربة البعض الآخر عملا بقاعدة (فرق تسد) فينسي ذلك البعض الخارج على قومه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (لها بقية)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ كتاب الاربعين في أصول الدين ﴾

هذا الكتاب قسم من كتاب جواهر القرآن لحجة الاسلام الغزالي وقد اجاز أن يكتب مستقلا كما قال في كشف الظنون فكتب وطبعه في هذه الايام الشيخ محيي الدين صبري الكردي في قطع كقطع كتاب الاسلام والنصرانية فكانت صفحاته زهاء ٣٦٠ ويبيع النسخة منه بخمسة قروش

وانما سماه الاربعين لانه جعله أربعين أصلا عشرة في العقائد و١٠ في الاعمال الظاهرة وهي العبادات وكسب الحلال وآداب الصحبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع السنة و١٠ في تزكية النفس من الاخلاق المذمومة و١٠ في تحليتها بالاخلاق المحمودة . فهو ملخص من كتابه الاحياء وفيه من التحقيق لبعض المسائل مالانظيرله في الاحياء وهاك نموذجا منه:

(تحقيق مسألة القضاء والقدر)

« وفيه وصف الساعة الدقاقة في زمنه »

(قال) والقضاء هو الوضع الكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المعدودة بقدر معلوم لايزيد ولاينقص ـ ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره .

ولا تفهم ذلك إلا بمثال ولعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها تتعرف أوقات الصلوات وان لم تشاهده فجملة ذلك انه لا بد فيه من آلة على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما . وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود أحد طرفيه في هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر في أسفل ظرف صغير

موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم تثقب أسفل الآلة الاسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا . فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكا يقرب به من الانتكاس الى أن ينتكس فتتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة . وانما يتقدر الفصل بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه ـ وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم بسبب تقدير سعة الثقبة بقدر معلوم . ويكون أعلى الماء بذلك المقدار به ويتقدر ، وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها المشدود . وتولد الحركة في الظرف الذي فيه الكرة . وكل ذلك يتقدر بتقدر سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سببا لحركة أخرى . وتكون الحركة الاخرى سببا لحركة ثالثة ـ وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة وسببها الاول نزول الماء بقدر معلوم . فاذا تصورت هذه الصورة فاعلم ان واضعها يحتاج الى ثلاثة أمور

أولها التدبير وهو الحكم بأنه ما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والاسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي أن يحصل وذلك هو الحكم

والثاني ايجاد هذه الآلات التي هي الاصول وهي الآلة الاسطوانية لتحوي الماء والآلة المجوفة لتوضع على وجه الماء . والخيط المشدود بها والظرف الذي فيه الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة ـ وذلك هو القضاء

الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب اسفل الآلة ثقبة مقدرة السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الخيط ثم الى حركة الظرف الذي فيه الكرة ، ثم الى حركة الكرة ، ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقع ، ثم الى الطنين الحاصل منها ، ثم الى تنبيه الحاضرين

واستماعهم ، ثم الى حركاتهم الى الاشتغال بالصلوات والاعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة ، وكل ذلك بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الأولى – وهي حركة الماء ،

فاذا فهمت ان هذه الآلات أصول لا بد منها للحركة ، وان الحركة لا بد من تقديرها ليقدر ما يتولد منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التي لا يتقدم منها شيء ولا يتأخر إذا جاء أجلها أي حضر سببها . وكل ذلك بمقدار المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا .

فالسموات والافلاك والكواكب والارض والبحر والهواء وهذه الاجسام العظام في العالم كتلك الآلات ، والسبب المحرك للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم كتلك الثقبة الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم ، وافضاء حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث في الارض كافضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى سقوط الكرة المعرفة لانقضاء الساعة ، ومثال تداعي حركات السماء الى تغيير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق فاستضاء العالم تيسر على العالم الإبصار ، فيتيسر عليهم الانتشار في الاشغال ، فاذا بلغت المغرب تعذر عليهم ذلك فيرجعون الى المساكن ، واذا قربت من وسط السماء وسامتت رءوس أهل الاقاليم حمي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه ، واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد ، واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت الارض وظهرت الخضرة . وقس بهذه المشهورات التي تعرفها الغرائب التي لا تعرفها

فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر و (الشمس والقمر بحسبان) أي حركتهما بحساب معلوم – فهذا هو التقدير ، ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير الاول الذي هو كلمح البصر هو الحكم ، وكما أن حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة . بل ذلك هو الذي أراد بوضع الآلة – فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها غير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله

تعالى ولأجله دبر أسبابه ، وتفهيم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير ، ولكن المقصود من الامثلة التنبيه ، فدع المثال وتنبه للغرض ، واحذر من التمثيل والتشبيه اه

* *

(المنار) يرى القارئ ان هذا التحقيق لمسألة القدر هو عين ما ذهبنا اليه وحققناه في المنار غير مرة ولم نكن قد اطلعنا عليه لاحد ولكننا رأيناه صريحا من آيات القرآن الكثيرة عند تتبعها وتدبرها ومنه يعلم ان الجمهور يفهمون القدر الآن بضد معناه ونحمد الله أن وفق أبا حامد وهداه اليه من قبل وآخر ما كتبناه في ذلك نشرناه في المجلد الثاني عشر (راجع ص ١٨٩ – ٢٠٠ منه)

وما كتبه في الساعة الدقاقة التي كانت مستعملة الى زمنه مما كان يتوق الناس الى معرفته بهذا التفصيل وقد ارتاب الشيخ احمد فارس في تسمية هذه الآلة « ساعة » ان يكون تسميته عربية قال في ص ٢١٨ من كتابه (كشف المخبا عن فنون أوربا) « قال مؤلف كتاب (المخترعات العجيبة) ذكر المؤرخون من الفرنسيس ان أول ساعة عرفت في بلادهم كانت الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسة وذلك في سنة ٨٠٧ م وكانت بدعا في ذلك العصر حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا ، والظاهر انها كانت من الآلات التي يديرها الماء المنحدر ، وكان لها اثنى عشر بابا صغيرا تنقسم بها الساعات فكلما مضت ساعة انفتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى الابواب مفتوحة وحينئذ تخرج صورة اثني عشر فارسا على خيل وتدور على صفحة الساعة . (قلت) بودي لو أعرف اسم الساعة في ذلك العصر فاني انكر هذه اللفظة ، وأهل الغرب يقولون « منكالة » وهي انكر اه

وقد عرفت من كلام الغزالي انهم استعملوا لفظ الساعة وفي الكتاب فوائد كثيرة ومعظمه من الاحياء له وفيه من التساهل في ايراد ما لا يصح من الاحاديث مثل ما في الاحياء ، وكان يرى ان العمل بكل ما ورد من الاحاديث أولى من تركه

﴿ ميزان العمل ﴾

للشيخ ابي حامد الغزالي أيضا وهو مختصر في علم النفس والاخلاق على طريق

الفلاسفة والصوفية والمتكلمين جميعا وهو مختصر لطيف حسن الترتيب والتمثيل وفيه فوائد كثيرة وتحقيقات مفيدة وانفع مافيه خاتمته وهي في اختلاف الناس في المذاهب وهذا نصها :

(بيان معنى المذهب واختلاف الناس فيه)

لعلك تقول كلامك في هذا الكتاب انقسم الى مايطابق مذهب الصوفية والى ما يطابق مذهب الاشعرية و بعض المتكلمين ولا يفهم الكلام الا على مذهب واحد فما الحق من هذه المذاهب ؟ فان كان الكل حقا فكيف يتصور هذا ؟ وان كان بعضه حقا فما ذلك الحق ؟

فيقال لك اذا عرفت حقيقة المذهب لا تنفعك قط اذ الناس فيه فريقان ، فريق يقول المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب (احداها) مايتعصب له في المباهاة والمناظرات (والاخرى) مايسارّ به في التعليمات والارشادات (والثالثة) مايعتقده الانسان في نفسه مما انكشف له من النظريات . ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار فاما المذهب بالاعتبار الاول فهو نمط الآباء والاجداد ومذهب المعلم ومذهب أهل البلد الذي فيه النشوء - وذلك يختلف بالبلاد والاقطار و يختلف بالمعلمين . فمن ولد في بلد المعتزلة أو الاشعرية أو الشفعوية أو الحنفية انغرس في نفسه منذ صباه التعصب له والذب دونه والذم لما سواه . فيقال هو أشعري المذهب أو معتزلي أو شفعوي أو حنفي . ومعناه انه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالاة ويجري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض .

ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة باستتباع العوام ولا تنبعث دواعي العوام إلا بجامع يحمل على التظاهر فجعلت المذاهب في تفصيل الاديان جامعا فانقسم الناس فرقا وتحركت غوائل الحسد والمنافسة فاشتد تعصبهم واستحكم به تناصرهم وفي بعض البلاد لما اتحد المذهب وعجز طلاب الرياسة عن الاستتباع وضعوا أمورا وخيلوا وجوب المخالفة فيها والتعصب لها كالعلم الاسود والعلم الاحمر فقال قوم الحق هو الاسود وقال آخرون لا بل الاحمر وانتظم مقصود الرؤساء في استتباع العوام بذلك القدر من المخالفة وظن العوام ان ذلك مهم وعرف الرؤساء الواضعون غرضهم في الوضع

(المذهب الثاني) ما ينطبق في الارشاد والتعليم على من جاءه مستفيدا مسترشدا - وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه فان وقع له مسترشد تركي أو هندي أو رجل جلف بليد الطبع وعلم انه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته في مكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى ويكذب به فينبغي أن يقرر عنده أن الله تعالى (مستو) على العرش وانه يرضيه عبادة خلقه و يفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عوضا وجزاء . وان احتمل أن يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه

(المذهب الثالث) ما يعتقده الرجل سرا بينه و بين الله عز وجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره الامع من هو شريكه في الاطلاع على ما اطلع أو بلغ رتبة (من) يقبل الاطلاع عليه و يفهمه - وذلك بأن يكون المسترشد ذكيا ولم يكن قد رسخ في نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لا يمكن محوه منه ويكون (* مثاله ككاغد كتب عليه ما غاص فيه ولم يمكن إزالته الا بحرق الكاغد وخرقه - فهذا رجل فسد مزاجه و يئس من صلاحه فان كل ما يذكر له على خلاف ما سمعه لا يقنعه بل يحرص على أن لا يقنع بما يذكر له و يحتال في دفعه . ولو أصغى غاية الاصغاء وانصرفت همته الى الفهم لكان يشك في فهمه فكيف اذا كان غرضه أن يدفعه ولا يفهمه ؟ - فالسبيل مع مثل هذا أن يسكت عنه و يترك على ماهو عليه فليس هو بأول أعمى هلك بضلالته - فهذا فريق من الناس .

وأما الفريق الثاني وهم الاكثرون فيقولون المذهب واحد هو المعتقد وهو الذي ينطق به تعليما وارشادا مع كل آدمي كيفما اختلفت حاله وهو الذي يتعصب له وهو إما مذهب الاشعري أو المعتزلي أو الكرامي أو أي مذهب من المذاهب والاولون يوافقون هؤلاء على انهم لو سئلوا عن المذهب أنه واحد أو ثلاثة لم يجز أن يذكر

*) المنار: الظاهر انها فيكون بفتح النون

أنه ثلاثة بل يجب أن يقال أنه واحد ـ وهذا يبطل تعبك بالسؤال عن المذهب ان كنت عاقلا فان الناس متفقون على النطق بأن المذهب واحد . ثم يتفقون على التعصب لمذهب أبيهم أو معلمهم أو أهل بلدهم ولو ذكر ذاكر مذهبه فما منفعتك فيه ومذهب غيره يخالفه وليس مع واحد منهم معجزة يترجح بها جانبه ؟

فجانب الالتفات الى المذاهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ولا تكن في صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك الى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل . وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص إلا في الاستقلال

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ... في طالع الشمس ما يغنيك عن زحل

ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات الا مايشككك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب فناهيك به نفعا اذ الشكوك هي الموصلة الى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال نعوذ بالله من ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اه

(المنار) ليعتبر بهذا من ترتعد فرائصهم من ذكر الدعوة الى الكتاب والسنة والنهي على التقليد الاعمى الذي يصرف صاحبه عن الاهتداء بهما وليعلموا انه مانبغ عالم في الاسلام الا وكان منتهى شوطه وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة والاهتداء بهما استقلالا وللغزالي في ذلك كلام كثير بين تصريح وتلويح دارى فيه دولة المتعصبين وناهيك بما تقدم لنا نقله عنه من كتابه القسطاس المستقيم

وثمن هذا الكتاب أربعة قروش صحيحة

* * *

﴿ الرسالة اللدنية ورسالة ما لا بد منه للمريد ﴾

الاولى لابي حامد الغزالي يتكلم فيها عن العلم اللدني والالهام والوحي والنفس والروح والقلب والثانية للشيخ محيي الدين بن عربي في آداب سالك طريق التصوف وقد طبعهما الشيخ محيي الدين الكردي معا وثمنهما قرشان صحيحان

باب الأخبار والآراء

الاسلام والمسلمون

﴿ رأي المسيو مونتيه ناظر المدرسة الجامعة بجنيف فيهما ﴾

بدأ المسيو ادموند مونتيه ناظر مدرسة جنيف الجامعة بالقاء محاضرات ست في مدرسة فرانسا (كوليج دي فرانس) عن حالة الاسلام الحاضرة والمستقبلة . وذلك في كل يوم اثنين وخميس في الساعة الثانية ونصف مساء ابتداء من يوم ٧ الجاري وينتهي منها يوم ٢٤ الجاري . أما مسائل بحثه فهي :

« صالح المسائل الاسلامية . احصائيات الاسلام . انتشار الديانة الاسلامية . التمسك الشديد بالدين الاسلامي . التغييرات التي طرأت عليه . الانشقاق والاختلافات والمذاهب . عبادة الاولياء المسلمين . أرباب الطرق الاسلامية . تصوفهم ومحافظتهم على الاصول . تأثيرهم الاجتماعي والسياسي . محاولة اصلاح الاسلام . البابية والبهائية . مستقبل الامم الاسلامية . الاميال نحو الحرية والمجهودات التي تبذل في سبيل التخلص من الاجانب في الاسلام »

ولما كان المسيو ايدموند مونتيه كاهنا بروتستانتيا حر الافكار كانت أفكاره وآراؤه في هذا الشأن من الاهمية بحيث لا يستهان بها

لذلك أرسلت جريدة « السبيكل » الى جنابه من يسأله عن آرائه في شأن الموضوعات التي سيجعلها موضوع بحثه فصرح له بالتصريحات الآتية :

« أما آرائي فيها فهي كثيرة جدا وان السؤال الذي ألقيته علي سؤال مركب

كثير الفروع . فاسمح لي أن أجيبك عليه بعدة أجوبة لان الاسلام يظهر امامنا في مظاهر شتى »

« وأول ما يبدو أمام نظر الذي يرقب حركات الاسلام ويهمه شأنه حاله الحاضرة فالعالم الاسلامي الذي يشاع عنه خطأ انه في سبات عميق لا يتحرك هو في الحقيقة اليوم في حركة شديدة فهو عالم يسير ويتقدم . فالترك . ومصر . وفارس من جهة يظهر فيها الشوق الى الرقي ونور العلم ظهورا جليا . ومن جهة أخرى نرى في المستعمرات الانجليزية والفرنسية والمستعمرات الاوربية الاخرى تلك الحاجة بعينها تدفع جمهور المؤمنين الى طلب الزيادة في التربية والحرية »

« ولكن رب قائل يقول لي ألا تظن أن تركيا التي كانت الثورة فيها على النسق اللاتيني سببا في وجود مذهب سياسي جديد . ليست كسائر الجهات التي ليس فيها الا مجرد آمال مبهمة في الوصول الى حالة خير من الحالة الحاضرة من الوجهة الاجتماعية أو السياسية ؟ »

« وانني لا أذهب هذا المذهب . وفي رأيي أن العالم الاسلامي كان كأنه محقون بسم ناقع يفتك به وينتشر في جميع أعضائه . أما هذا السم فهو سم المدنية الحديثة. سم (مدنيتنا) التي يتحتم على كل أمة أن تعتنقها مهما يكن ماضيها ومهما تكن مدنيتها الخاصة بها قديمة كانت أو حديثة . وبمجرد سريان هذا السم في أي جسم يكون من المستحيل اخراجه منه . فان فتكه يستمر فيه ولا مناص . ويقتاد هذا الجسم مع مرور الزمن الى الانقلاب التام »

« أما الموقف الذي سيقف فيه الاسلام حيال مدنيتنا فينبغي أن ينظر الى الاسلام من وجهتين مختلفتين الاولى أن ينظر اليه من حيث هو مجموع الامم الاسلامية وسكان البلاد منهم والاجناس المختلفة التي تعتنق دين محمد صلى الله عليه وسلم والثانية أن ينظر اليه من حيث هو دين الاسلام نفسه »

« وانه ليخيل لي أن الامم الاسلامية يزداد دخولها في حظيرة المدنية الحديثة شيئا فشيئا . وذلك مايفعله أكثر الامم الاسلامية . بعضها بقصد والبعض الآخر بلا قصد لان الامر في نظرهم ينحصر في مسألة اما الحياة واما الممات لان تيار المدنية

الحديثة لا يستطاع مقاومته والذي يريد أن يهرب من وجهه لابد أن يكتسحه . والذي يريد أن يقاومه لابد أن يسحقه . ذلك ما يعتقده كثير من المتنورين منهم اليوم وكثير من أبناء وطنهم يتبعون أثرهم بحكم التقليد في سبيل التقدم الحديث »

« أما من الوجهة الدينية فان الموقف يختلف عن ذلك كل الاختلاف . فان الاسلام بصفته دينا كانت له غايات شبيهة بغايات النصرانية وقد وجد فيه التصوف والمذاهب والميل الى المحافظة على القديم والى التخلص من ربقة القيود ولا يزال كل ذلك موجودا فيه الى الآن واذا كانت المسيحية قد ضمنت لها مستقبلا في الرقي وفي البقاء غير محدود فان شأن الاسلام في ذلك شأن النصرانية تماما . فان الاسلام احدى ديانات التوحيد الكبرى وان التوحيد في الديانة لا يمكن أن يزول بل تبقى مبادئه بقاء أبديا ولو تغير في اعراضه »

« اني شديد اعتقاد الخير في الاسلام نفسه بصفته دين توحيد اعتنقته على الخصوص أمم آسيا وأفريقية والمسلمون على وجه العموم »

« ولطالما كانت لي علاقات شخصية مع المسلمين وأكثرهم من أصل عربي أو بربري (مغربي) وانني لأحفظ لهذه العلاقات جميل الذكرى . وانني شديد الاحترام للاتراك والمصريين المتنورين الذين لقيتهم بل ان لي من بينهم بعض الاصدقاء المخلصين اخلاصا تاما . ولكنني أتمسك على الخصوص بالصداقة التي نشأت بيني وبين المتواضعين الخاشعين من المسلمين وهم على الخصوص في مراكش فان هؤلاء المسلمين الذين يعيشون عيشة في غاية البساطة والغرابة في نظرنا بالنسبة لطرائق تفكيرنا قد حافظوا على أجل الفضائل التي نحترمها نحن ولا شك ولكننا نهمل العمل بها واني أريد بذلك فضيلة حسن الضيافة والكرم ، وفضيلة الوفاء التام في الصداقة والاخلاص . وهم يصح انه يقال عنهم انهم الامثلة الصالحة في هذه الفضائل . ولقد كان في خدمتي بعض المراكشيين فأظهروا لي في كثير من الظروف الحرجة دليلا على اخلاصهم المتناهي . ولعمري انني مانسيتهم قط واني على يقين

من انهم لم ينسوني أيضا . وماذا كنت أنا بالنسبة لهم ؟ كنت رجلا غريبا بل مسيحيا ولكنني كنت مسيحيا غربيا وأصبحت صديقا لهم »

« ولي كلمة قبل أن أختم معك هذا الحديث لا يسعني الا أن أقولها وهي ان روح الاسلام (وأريد روح الديانة الاسلامية) صعب على الغريب عنها أن يقف على سرها . ولكن الذي يقف على كنهها ويفقهها يرى أن هذه الروح جميلة جذابة . ومتى فقهها المرء فليس في قدرة أي شيء أن يمحو من فؤاده التأثير الذي تحدثه فيه وليس في استطاعة المرء أن ينفصل عنها » اه من ترجمة المؤيد بتصحيح قليل

الترك والعرب

(دليل على ما سميناه سوء التفاهم وشهادة كاتب تركي للعرب)

كان يجب على جرائد الآستانة أن تحمد سعي الشريف أمير مكة المكرمة في نجد ولاسيما إخضاع اكبر أمرائها ورئيس عشائرها الامير عبد العزيز آل سعود للدولة العلية وحمله على الثقة بها ولكنه لم يسلم من اللوم والمؤاخذة حتى قالت بعض تلك الجرائد ان سعيه كان حسنا ولكنه كان مخطئا فيه لأنه ليس له صفة ولا سلطة تجيز له أن يحل ويعقد!!! وقد كانت جريدة « يكي تصوير أفكار » خاضت في مثل هذا الانكار والتجاهل ثم اقترحت على سليمان بك نظيف الذي كان الى عهد قريب واليا للبصرة أن يكتب اليها شيئا مما وصل اليه اختباره عن عرب الجزيرة فكتب اليها مقالا ترجمته جريدة المفيد فنقلناه عنها لما فيه من الانصاف واستقلال الرأي(١) وهو : قال الكاتب

« ان السلطة العثمانية في جنوب العراق وجزيرة العراق لا تتأيد ما لم تتأيد (العدالة وحسن الادارة) ففي كل وقعة من الوقائع خطر يتطاير شرره

« ان هذه البقاع المباركة بقاع بائسة وقعت عصورا متطاولة في زوايا الاهمال من قبل الحكومة الا في عهد مدحت باشا

« ارتكز فيلقنا السادس ودق وتاده حيث كانت تجوس جيوش بابل وأشور

(١) بعد هذا رأينا في جريدة أخرى ان الكاتب ذكر ان نجدا هدية كان أهداها مدحت باشا للدولة وان الشريف اعتدى على حقوق الدولة في اخضاعه ابن سعود لها !!!

بسطوتها وهيبتها فرايناه اليوم يندحر امام بعض القبائل البدوية ايما اندحار . كانت (الجزيرة) في الغابر بمثابة اكبر مستغل يستمد منه العالم بأسره مؤنته ونراه اليوم يموت أهله جوعا ، على حين ان الارض لم تفقد قوة النمو ولا الخصب

وبعد فليس ثمت من سبب لهذه المصائب الاسوء ادارتنا التي اشترك بها هذا العاجز مدة احد عشر شهرا

« كنت اعتقد قبل قدومي البصرة اعتقادا ولدته في نفسي الاقوال المتضاربة ان الامة العربية عنصر ينقبض من الجامعة العثمانية ولكن اقامتي بينها ومحاولتي كشف النقاب عن الحقائق اثبتت لي ان هذا الاعتقاد وهم محض فسررت ماشاءت حميتي العثمانية . اذا صرفنا النظر عن عائلة واحدة في البصرة مكروهة منفور منها لا يتجاوز افرادها عدد الاربعة فانا نشعر بحس واحد راسخ في نفوس عرب الولاية كافة من بدويهم الى حضريهم الا وهو حب الجامعة العثمانية

« ولكن ينبغي لنا أن نعترف ونقر بأنا أسأنا المعاملة بجانب عرب البصرة في جميع الاحايين وقسمنا أراضيهم الى مقاطعات تحت اسم أميرية وسنية ودعونا المتغلبين الى أن يمدوا اليها أيديهم الجائرة الظالمة وعززناهم بقوة من الحكومة ووقارها حتى بلغنا الى درجة التحكم بالقوت اليومي الذي كان يتناوله كل عربي بجده وسعيه

« كل ذلك كان وكان هذا الشعب الصادق الجليد يتلقى من الحكومة تلكم الصدمات بصبر وثبات كأنما هي من الاقدار ولم يك ينبس ببنت شفة

« حادثة « شطرة المنتفك » بسيطة جدا أي انها فاجعة بسيطة سببها ان فريقا عسكريا مأمورا بالاصلاح ظن ان سلطته تخوله فسخ احالة (ابطال عقد التزام اعشار) مقاطعة برمتها . فان عشيرة « عبوده » التي هزمت الفريق يوسف باشا قائد أربعة عشر تابورا وحاصرته والتي تركت قوة أمير اللواء محيي الدين باشا جامدة لا حراك فيها كانت حتى في أوقات ظفرها تبرق البرقيات الى الولاية تعرض اطاعتها للحكومة وتبين انها مضطرة لمحاربة الفريق المسوق بسائق المطامع الشخصية دفاعا عن نفسها وذودا عن شرفها . ولقد اثبت رجال هذه العشيرة صدق دعواهم بالفعل فان القوة العسكرية البالغة واحدا وعشرين تابورا تخلصت من ربقة الحصار الشديد بأمر واحد تلقاه

المحاصرون من الحكومة وليس ثمت دليل اكبر من هذا الدليل على صدق عثمانية هؤلاء واطاعتهم للحكومة

« اهداني قنصل روسيا في البصرة الموسيو (طوخولقا) كتابا افرنسيا عنوانه (الثورة العربية والدول) اثناء (سيري) الى المنتفك فوجدت صاحبه يملأ الكتاب بحوادث المنتفك ويتحرى في جميع ابحاثه ان يعثر على امارات الانفصال والاستقلال فعظم الوهم لدي ولكن حينما شهدت عائلات المنتفك أيقنت اليقين التام ان ذلك الكتاب مجموعة نفاق وبهتان وانا اليوم على ثقة تامة انه ليس في البصرة أزمة سياسية ما. ليست تلك الاصوات التي تمتد أحيانا الى العاصمة فتنبههامن غفلتها الاصعقات متصاعدة من أفئدة عضها الجوع بأنيابه ولو كنا مكان هؤلاء العرب لأتينا أشد مما يأتونه . واذا تدبرنا وعقلنا الامر وانقلبت تلكم الصرخات الى سكوت ينم الى الابد عن شكر »

(المنار) بينا في المقالات التي نشرناها في جرائد الآستانة ونحن فيها ان العرب كلهم مخلصون للدولة لايخطر في بال أحد منهم ان بينهم و بين اخوانهم الترك أدنى فرق ، وان اتهام بعض رجال السياسة فيها إياهم وما تكتبه الجرائد التركية عنهم وفي العصبية الجنسية وما يسمعه أبناؤهم في مكاتب الدولة يخشى أن يغير قلوبهم ووعظنا رجال حكومتنا بالحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الريبة بالناس أفسدهم » فلم يغن النصح شيئا فعسى أن يقبلوا شهادة هذا الشاهد منهم و يزيلوا أسباب التفرق وسوء الظن و يعلموا انا كنا لهم ولا نزال من اخلص الناصحين

« الاحتلال الاجنبي في إيران »

هذا الاسلوب الاوربي من أساليب الفتح صار معروفا عند الباحثين والمستبصرين من أهل الشرق ومعناه فتح البلاد بدون ان يخسر الفاتح شيئا يذكر من الرجال والمال فان طريقه أن يضرب بعض البلاد ببعض ويحدث فيها الفتن ثم يدخل جيشه بحجة إطفاء الفتنة وتأمين تجارته وحفظ رعيته في البلاد ثم يحكم بعضها ببعض كما ضرب بعضها ببعض . ولا يعاب الفاتحون بهذا الضرب من ضروب الفتح والاستعمار ، بل يحمدون بتخفيف الضرر والضرار ، وإنما تعاب الامم التي تُفتح بلادها بجهلها وتفرقها

وما فيها من الخلل والضعف الذي مكن الاجنبي من سلب استقلالها

كانت روسية وانجلترة تتنازعان النفوذ في فارس للمجاورة الاولى لها من جهة الشمال والثانية من جهة الجنوب كما تتنازعان النفوذ في البلاد العثمانية وقد اتفقتا بعد طول التنازع والعداء ولكن أعقب اتفاقهما نهوض المملكتين الاسلاميتين بالدستور فأما العثمانية فانها نهضت بجيش قوي منظم فكان ذلك مانعا من التعرض لها بالقوة العسكرية والاحتلال الذي كان ينوى البدء به في مكدونية وأما الفارسية فمن سوء الحظ انه ليس لها جيش قوي منظم فبادرت روسية الى احتلال منطقة نفوذها وهددتها انكلترة باحتلال منطقة نفوذها أيضا ، بادرتا بذلك صلاح حالها ، وأخذها بأسباب القوة التي تحول بينهما و بينها ،

لقد علم المستبصرون من الايرانيين وغيرهم ان المراد بهذا الاحتلال الامتلاك فاضطرب له قلوب المسلمين في المملكة العثمانية والبلاد الهندية و بلاد التتار الروسية ومصر وتونس وزادهم ميلا إلى الاتفاق والاتحاد ، وظهر هذا الاضطراب بأشد مظاهره في الآستانة وفي بعض بلاد الهند ولم يظهر في مصر لان المشتغلين فيها بالسياسة شغلهم حليمهم أو شغلوه ان يعار ؟ ويتحامون الاتهام بالميل إلى الجامعة الاسلامية

يقال ان الايرانيين يفضلون أن يقاوموا محتلي بلادهم بالاعراض عن تجارتهم وقد أمرهم علماؤهم بذلك جهرا فان لم يفد فبتأليف عصابات كالعصابات المكدونية المؤلفة من البلغاريين واليونانيين لمقاومة حكومتهم العثمانية وانهم يفضلون تخريب البلاد على سلب الاجانب لاستقلالهم . فأما غيرتهم وحميتهم الملية وشجاعتهم الشخصية فمما لاينكر بعد ظهوره للعيان في مقاومة حكومتهم الماضية المستبدة الملعونة ، وأما آفتهم فوجود المنافقين من البابية والمتفرنجين الذين فسد اعتقادهم بالوساوس الأجنبية يوضعون خلالهم يبغونهم الفتنة وفيهم سماعون لهم ، وجهل العامة يمهد للمنافقين سبيل التضليل

وعندي أن ما يصلح هذه البلاد في هذه الحال لا يدركه الا الافذاذ من العقلاء العارفين بالسياسة العامة و بأحوال الامة الروحية والاجتماعية ، وان العارف لايقدر أن ينفعها بمعرفته الا اذا اقنع أصحاب النفوذ فيها من العلماء ، والزعماء فهل يسهل تأليف جمعية من العارفين وأصحاب النفوذ تقرر ما يجب أن يعمل وتنفذه ؟ ؟

﴿ المشيخة الاسلامية ، والقضاء الشرعي في الدولة العلية ﴾

خطاب من جماعة المسلمين العثمانيين الى شيخ الاسلام ومجلس المبعوثين في عاصمة الدولة أيدها الله تعالى بهم وأيدهم بها :

الى متى يكون حظ القضاء الشرعي دون حظ سائر مصالح الدولة من عنايتكم والى متى تظل المحاكم الشرعية استبدادية لا يقيد القضاة فيها بأحكام معينة معروفة يطالب بها الخصماء ووكلاء الدعاوي (كمجلة الاحكام العدلية) ولا بأعضاء يستشارون في الاحكام كالمحاكم النظامية ، ولا يرسل اليهم مفتشون يطلعون على أحكامهم ويتعرفون سيرتهم وأعمالهم في ادارة تلك المحاكم ، ولا ينشأ لأجلهم قلم مراقبة تحفظ فيه سيرتهم الرسمية ، ولا مجلس تأديب يحاكمون فيه إذا جاروا وظلموا؟ ؟ألا إن هذا الاهمال لهذه المحاكم يفسد نظام البيوت التي تتألف منها الامة ويضيع الاوقاف ويخرب المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بل يؤدي الى الاشتباه في حقية الشريعة السمحة الحكيمة

من أمثلة الخلل في هذه المحاكم الذي عرفناه بالرؤية والنظر والخبر ان عبد المجيد افندي هاشم الجعفري كان عين نائبا لمحكمة نابلس (بلده) فهاجت سيرته الاهالي عليه على شرف بيته ويقال أن بعض الوجهاء أمر بضربه فضرب ولم يتحملوه الى آخر مدته ثم عين نائبا لصيدا فأحدث الفتن بين الاهالي حتى هاجوا عليه وهموا به فهرب الى بيروت ليلا ، ثم عين في بلاد الترك فكانت عاقبته النفي ، وبعد الدستور عين نائبا لطرابلس الشام فهاجت سيرته الناس عليه حتى هجم الالوف منهم على المحكمة الشرعية لاجل الفتك به كما رأينا في الجرائد السورية وقتئذ وأرسلت الشكاوى البرقية عليه الى المشيخة فأمرت بمحاكمته في بيروت ولكن المحاكمة انتهت بالصلح رحمة من مفتي بيروت به ، ثم ان لجنة التنسيقات حكمت بأنه لا يجوز توليته في البلاد السورية وعزلته المشيخة عزلا

بعد عزله ذهب الى الآستانة وطلب من المشيخة توليته القضاء فسأله مجلس

الانتخاب عن السبب في الامتناع من ختم إعلام الحكم ببعض الدعاوى فأنكر الدعوى ألبتة وزعم انه لم ينظر فيها ولا رفعت اليه فطلب شيخ الاسلام حسني افندي من خلفه في طرابلس الشام صورة ضبط تلك الدعوى مصدقا عليها فأرسلت الى المشيخة فحاجه بها مجلس الانتخاب فاعترف بالدعوى واعتذر عن ختم الاعلام بكلام جمجم فيه ولم يبين وفر من الآستانة يائسا ومجلس الانتخاب يحفظ هذا عليه قولا وكتابة

بعد هذا كله كتب الينا من يافا وغيرها انه عين نائبا لبنغازي وانه لا يقبلها بل يرجو ان يرتقي الى نيابة (قضاء) ولاية بيروت لما ورثه من المال الكثير من أخيه ...

فنعيد الذكرى للمشيخة الاسلامية ولمجلس الامة ونكرر طلب إصلاح هذه المحاكم وعسى أن يوجد في مجلس المبعوثين من تحملهم الغيرة وحب الاصلاح على الاستيضاح من شيخ الاسلام عن هذا النائب الباقعة ان صح أنه تقلد القضاء في عهده الآن

﴿ لجنة ترقية الوعظ الديني والخطابة في المساجد ﴾

ألفت لجنة في الازهر بهذا الاسم رئيسها الشيخ محمد شاكر وكيل المشيخة ولما بلغني خبرها وأنا في الآستانة سررت سرورا عظيما ثم بلغني أن عمل هذه اللجنة محصورا في اقتراح إنشاء خطب في بعض المسائل الدينية كالحث على العبادات والنهي عن المحرمات لاجل أن تنشر في مجلة الملاجئ العباسية وتصل الى خطباء المساجد ، واطلعت على بعض تلك الخطب التي قبلتها اللجنة وأجازت منشئيها فاذا هي ليست خيرا من خطب خطيب جامع الست الشامية وخطيب جامع عزبان ولا مثلها نعم أنها أمثل من خطب خطيب جامع الحين ومن في طبقته من العوام ، وليس هذا هو الاصلاح الذي ننشده من زمن طويل ولا العمل الذي يحتاج الى لجان وانما يكون الاصلاح بتعليم طائفة من طلاب الازهر وغيرهم الخطابة الدينية على نحو ما شرحناه في كتاب (الحكمة الشرعية) منذ ٢٠ سنة أي تعلمهم ليكونوا أصحاب ملكة يقتدرون بها على الخطابة ارتجالا في جميع مهمات الدين وما يصلح به حال الناس في الدنيا

﴿باب الانتقاد على المنار وصاحبه﴾

انتقد صاحب جريدة البريد التي تصدر في (ريودي جانيرو) ما كتبناه في خطاب علماء الاسلام الذي نشرناه في جريدة الحضارة ونحن في الآستانة وفي المنار انتقد منه حثنا العلماء على الاستعانة بالمبعوثين لاجل الوصول الى حقوقهم في التعليم والمناصب الشرعية وعلى الاجتهاد في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منهم وممن يرجى ان يساعدهم على خدمة ملتهم

انتقد هذا لانه فهم منه انني أريد جعل اكثر النواب من صنف العلماء الذين يجهل اكثرهم حاجات الامة وانني لا أريد ان يكون في المجلس نواب من غير المسلمين وجعل هذا منافيا للدستور القاضي بالمساواة قال «وكأنه استكثر وجود مسيحي واحد بين نواب العرب فقام يدعو الامة المسلمة الى حرمان المسيحيين قاطبة كرسيا واحدا في مجلس المبعوثين العثمانيين»

«أساء سمعا فأساء جابة» رويدك أيها الرصيف الكريم انني كنت أول مساعد لانتخاب المسيحي العربي الذي تشير اليه فقد كنت أيام الانتخاب في بيروت ورأيت جماعة من المسلمين أصحاب النفوذ يعارضون في انتخابه لا لأنه مسيحي بل لأنهم لا يعرفونه معرفة تفيدهم الثقة به فقلت لهم انني عرفته بمصر وعاشرته واثنيت عليه بما أقنعهم وحملهم على انتخابه ومساعدته

انني عندما كتبت ما كتبت في تلك المقالة لم يخطر في بالي المسيحيون ولا نوابهم وانما خطر في بالي وملأ قلبي عند الكتابة ما علمته من حيلولة بعض الملاحدة من المسلمين الجغرافيين (أي الذين يعدون مسلمين في كتب الجغرافية) دون خدمة رجال الدين الاسلامي لدينهم وما علمت أحدا من النصارى يعارضهم ولا يقاومهم في ذلك، وان المبعوثين من النصارى يدافعون عن امتياز طوائفهم وكنائسهم افليس للمسلمين حقوق دينية في الدولة يجب ان يدافع عنها العلماء؟ وسأبين رأيي في المبعوثين من غير المسلمين واذكر ما أقنعت به المسلمين وأزلت به شبهتهم على منافاة وجودهم في مجلس المبعوثين ومجلس الوكلاء لكون الحكومة اسلامية فقد ضاق عنه هذا الجزء

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

تي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كنار الطريق

﴿ الاحد ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٨ - ١ يناير (كانون الثاني) ١٢٨٩ هـ ١٩١١ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(المسألة السابعة) ورد الامر بالعدل والتعظيم لشأنه في كثير من الآيات والاحاديث كقوله تعالى (١٦ : ٩٠ ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقوله (٤٩ : ٩ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) والإقساط هو العدل وقوله آمرا للنبي (ص) ان يبلغه للناس (٤٢ : ١٥ وأمرت لأعدل بينكم) وقوله (٥ : ١٣٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) الآية . وفي معناها قوله تعالى (٥ : ٧ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) وسيأتي تفسيرها في مواضعها ولا حاجة الى ايراد الاحاديث هنا ولا الآيات المحرمة للظلم المتوعدة عليه

(المسألة الثامنة) المسلمون مأمورون بالعدل في الاحكام والاقوال والافعال والاخلاق وقد قال تعالى (٦ : ١٥٢ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) وهذا الامر موجه الى الحكام وغيرهم

قال تعالى ﴿ ان الله نعما يعظكم به ﴾ أي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو هنا أداء الامانات والحكم بالعدل لانه لا يعظكم الا بما فيه صلاحكم وفلاحكم ما عملتم به مهتدين متعظين ﴿ ان الله كان سميعا بصيرا ﴾ فلا يخفى عليه شيء من أقوالكم ولا من أفعالكم ولا من نياتكم فلا تدّعوا ما ليس فيكم من الامانة والعدل ولاتقولوا ما لا تفعلون فانه سيجزي كل عامل بما عمل

أمر الله تعالى برد الامانات الى أهلها و بالحكم بين الناس بالعدل مخاطبا بذلك جمهور الامة ، ولما كان يدخل في رد الامانات توسيد الامة أمر الاحكام الى أهلها القادرين على القيام بأعبائها ، وكان يجب في الحكم بالعدل مراعاة ماجاء عن الله تعالى وعن رسوله (ص) ومايتجدد للأمة من الاحكام ، وكانت المصلحة في ذلك لاتحصل الا بالطاعة – قال عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾ وقال الاستاذ الامام في مناسبة الاتصال : ان هذه الآية وما قبلها وردتا في مقابلة قول الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ان الكافرين أهدى من المؤمنين ، بعد مابين تعالى أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ومن الطاغوت عند المشركين الاصنام والكهان فكانوا يحكمون الكاهن ويجعلونه شارعا ويقتسمون عند الصنم و يعدون ذلك فصلا في الخصومة ، وقد اتخذ اليهود الجبت والطاغوت مثلهم وطواغيتهم رؤساؤهم الذين يحكمون فيهم بأهوائهم فيتبعونهم ككعب بن الأشرف مع ان عندهم التوراة فيها حكم الله ، ولكنهم كانوا يقولون ان هؤلاء الرؤساء أعلم منا بالتوراة وبمصلحتنا . فالله تعالى قد بين لنا حالهم وقرنه ببيان مايجب ان نسير عليه في الشريعة والاحكام حتى لا نضل كما ضل المشركون وأهل الكتاب الذين اتخذوا أفرادا منهم أربابا إذ جعلوهم شارعين فكانوا سبب طغيانهم ولذلك سموا طواغيت

(قال) أمر بطاعة الله وهي العمل بكتابه العزيز و بطاعة الرسول لانه هو الذي

يبين للناس مانزل اليهم وقد أعاد لفظ الطاعة لتأكيد طاعة الرسول لان دين الاسلام دين توحيد محض لايجعل لغير الله أمرا ولا نهيا ولا تشريعا ولا تأثيرا فكان ربما يستغرب في كتابه الامر بطاعة غير وحي الله ، ولكن قضت سنة الله بأن يبلغ عنه شرعه للناس رسل منهم وتكفل بعصمتهم في التبليغ ولذلك وجب ان يطاعوا فيما يبينون به الدين والشرع . مثال ذلك ان الله تعالى هو الذي شرع لنا عبادة الصلاة وأمرنا بها ولكنه لم يبين لنا في الكتاب كيفيتها وعدد ركعاتها ولاركوعها وسجودها ولاتحديد أوقاتها فبينها الرسول (ص) بأمره تعالى إياه بذلك في مثل قوله (١٦ : ٤٤ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم) فهذا البيان بارشاد من الله تعالى فاتباعه لاينافي التوحيد ولا كون الشارع هو الله تعالى وحده

(قال) وأما أولو الأمر فقد اختلف فيهم فقال بعضهم هم الامراء واشترطوا فيهم أن لا يأمروا بمحرم كما قال مفسرنا (الجلال) وغيره والآية مطلقة (أي وانما أخذوا هذا القيد من نصوص أخرى كحديث « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وحديث « إنما الطاعة في المعروف ») و بعضهم أطلق في الحكام فأوجبوا طاعة كل حاكم وغفلوا عن قوله تعالى « منكم » وقال بعضهم إنهم العلماء ولكن العلماء يختلفون فمن يطاع في المسائل الخلافية ومن يعصى ؟ وحجة هؤلاء أن العلماء هم الذين يمكنهم أن يستنبطوا الاحكام غير المنصوصة من الاحكام المنصوصة . وقالت الشيعة إنهم الائمة المعصومون ، وهذا مردود إذ لا دليل على هذه العصمة ولو أريد ذلك لصرحت به الآية . ومعنى أولي الامر الذين يناط بهم النظر في أمر اصلاح الناس أو مصالح الناس ، وهؤلاء يختلفون أيضا فكيف يؤمر بطاعتهم بدون شرط ولا قيد ؟

قال رحمه الله تعالى إنه فكر في هذه المسألة من زمن بعيد فانتهى به الفكر الى أن المراد بأولي الامر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين وهم الامراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة فهؤلاء اذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا ، وأن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله (ص) التي عرفت بالتواتر ،

وان يكونوا مختارين في بحثهم في الامر واتفاقهم عليه ، وان يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة وهو ما لأولي الامر سلطة فيه ووقوف عليه . وأما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الديني فلا يتعلق به أمر أهل الحل والعقد بل هو مما يؤخذ عن الله ورسوله فقط ليس لأحد رأي فيه الا ما يكون في فهمه .

فأهل الحل والعقد من المؤمنين اذا اجمعوا على أمر من مصالح الامة ليس فيه نص عن الشارع مختارين في ذلك غير مكرهين عليه بقوة أحد ولا نفوذه فطاعتهم واجبة ويصح ان يقال هم معصومون في هذا الاجماع ولذلك أطلق الامر بطاعتهم بلاشرط مع اعتبار الوصف والاتباع المفهوم من الآية . وذلك كالديوان الذي أنشأه عمر باستشارة أهل الرأي من الصحابة (رض) وغيره من المصالح التي أحدثها برأي أولي الامر من الصحابة ولم تكن في زمن النبي (ص) ولم يعترض أحد من علمائهم على ذلك

(قال) فأمر الله في كتابه وسنة رسوله الثابتة القطعية التي جرى عليها (ص) بالعمل هما الاصل الذي لايرد وما لايوجد فيه نص عنهما ينظر فيه أولو الامر اذا كان من المصالح لانهم هم الذين يثق بهم الناس فيها ويتبعونهم فيجب أن يتشاوروا في تقرير ماينبغي العمل به فاذا اتفقوا وأجمعوا وجب العمل بما أجمعوا عليه ، وان اختلفوا وتنازعوا فقد بين الواجب فيما تنازعوا بقوله ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ وذلك بأن يعرض على كتاب الله وسنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة والسيرة المطردة فما كان موافقا لهما علم انه صالح لنا ووجب الاخذ به وما كان منافرا علم انه غير صالح ووجب تركه وبذلك يزول التنازع وتجتمع الكلمة ، وهذا الرد واستنباط الفصل في الخلاف من القواعد هو الذي يعبر عنه بالقياس والاول هو الاجماع الذي يعتد به ، وقد اشترطوا في القياس شروطا بالنظر الى العلة ، والغرض من هذا الرد ان لايقع خلاف في الدين والشرع لانه لاخلاف ولا اختلاف في أحكامهما . كذا قال الاستاذ والمراد ان لايفضي التنازع الى اختلاف التفرق

الذي يلبس المسلمين شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وسيأتي بيان ذلك مفصلا ولكنهم لم يعملوا بالآية فتفرقوا واختلفوا

ذكر الاستاذ الامام في الدرس إن ما اهتدى اليه في تفسير أولي الامر من كونهم جماعة أهل الحل والعقد لم يكن يظن أن أحدا من المفسرين سبقه اليه حتى رآه في تفسير النيسابوري وأقول ان النيسابوري قد لخص في المسألة ما قاله الفخر الرازي بل جميع تفسيره تلخيص لتفسير الرازي مع زيادات قليلة وانما خصه الاستاذ بالذكر لأن ظاهر عبارة الرازي تشعر بأن أولي الامر هم أهل الاجماع المصطلح عليه في أصول الفقه وهم المجتهدون في الاحكام الظنية الفقهية وان عبر عنه تارة باجماع الامة وتارة باجماع أهل الحل والعقد كأنه رأى أنه يسمي أهل الاجماع أهل الحل والعقد لقوله إن العلماء هم أمراء الامراء ، أي يجب أن يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك بالفعل . وأما النيسابوري فعبارته هي التي تؤدي المعنى الذي قاله الاستاذ فانه قال بعد إبطال الاقوال المشهورة في تفسير أولي الامر « واذا ثبت أن حمل الآية على هذه الوجوه غير مناسب تعين أن يكون المعصوم كل الامة أي أهل الحل والعقد وأصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله وأولي الامر ما اجتمعت الامة عليه » اه . فقوله اهل الحل والعقد واصحاب الاعتبار والآراء هو بمعنى قول الاستاذ الذي ادخل فيه امراء الجند ورؤساء المصالح وهذا هو المعقول لان مجموع هؤلاء هم الذين تثق بهم الامة وتحفظ مصالحها ، وباتفاقهم يؤمن عليها من التفرق والشقاق ولهذ أمر الله بطاعتهم لا لأنهم معصومون من الخطأ فيما يقررونه

وقد رأينا ان ننقل بعض ماقاله الرازي لتصريحه فيه بما يسمونه اليوم في عرف أهل السياسة بسلطة الامة وتفنيده قول من قال ان المراد بأولي الامر الامراء والسلاطين وهو مايتزلف به المتزلفون اليهم حتى إنهم كانوا يتلون هذه الآية على مسامع السلطان عبد الحميد في كل صلاة جمعة على اننا قد صرحنا بهذه الحقائق في المنار وفي التفسير من قبل

قال الرازي بعد تقرير كون الجزم بطاعة أولي الأمر يقتضي عصمتهم فيما يطاعون فيه مانصه « ثم نقول ذلك المعصوم إما مجموع الامة أو بعض الامة ، لاجائز ان

يكون بعض الامة لأنا بينا ان الله تعالى أوجب طاعة أولي الامر في هذه الآية قطعا وإيجاب طاعتهم مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول اليهم والاستفادة منهم ، ونحن نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم (أقول ومثله المجتهدون في الفقه) عاجزون عن الوصول اليهم (كذا) عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم . واذا كان الامر كذلك علمنا ان المعصوم الذي أمر الله المسلمين بطاعته ليس بعضا من أبعاض الامة ولا طائفة من طوائفهم ، ولما بطل هذا وجب ان يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله « وأولي الامر » أهل الحل والعقد من الامة وذلك يوجب القطع بأن إجماع الامة حجة »

ثم ذكر أن الاقوال المأثورة عن علماء التفسير في أولي الأمر أربعة (١) الخلفاء الراشدون (٢) أمراء السرايا أقول وهم قواد العسكر عند عدم خروج الامام فيه أي في العسكر (٣) علماء الدين الذين يفتون ويعلمون الناس دينهم (٤) الائمة المعصومون وعزاه الى الرافضة

ثم أورد على التفسير الذي اختاره ايرادين أو سؤالين (أحدهما) لما كانت أقوال الامة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه وكان القول الذي نصرتموه خارجا عنها كان ذلك باجماع الامة باطلا (السؤال الثاني) ان تقول حمل أولي الامر على الامراء والسلاطين أولى مما ذكرتم ويدل عليه وجوه (الاول) ان الامراء والسلاطين أوامرهم نافذة على الخلق فهم في الحقيقة أولو الامر أما أهل الاجماع فليس لهم أمر نافذ على الخلق فكان حمل اللفظ على الامراء والسلاطين أولى (والثاني) ان أول الآية وآخرها يناسب ماذكرناه : أما أول الآية فهو انه تعالى أمر الحكام بأداء الامانات ورعاية العدل وأما آخر الآية فهو انه أمر بالرد الى الكتاب والسنة فيما أشكل وهذا انما يليق بالامراء لا بأهل الاجماع (الثالث) ان النبي (ص) بالغ بالترغيب في طاعة الامراء فقال «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني » فهذا مايمكن ذكره من السؤال على الاستدلال »

(قال) : والجواب انه لانزاع ان جماعة من الصحابة والتابعين حملوا قوله

« وأولي الامر منكم » على العلماء فاذا قلنا المراد منه جميع العلماء من أهل الحل والعقد لم يكن هذا قولا خارجا عن أقوال الامة بل كان هذا اختيارا لأحد أقوالهم وتصحيحا له بالحجة القاطعة فاندفع السؤال الاول

وأما سؤالهم الثاني فهو مدفوع لأن الوجوه التي ذكروها وجوه ضعيفة والذي ذكرناه برهان قاطع فكان قولنا أولى على انا نعارض تلك الوجوه بوجوه أخرى أقوى منها (فأحدها) ان الامة مجمعة على ان الامراء والسلاطين إنما تجب طاعتهم فيما علم بالدليل انه حق وصواب وذلك الدليل ليس الا الكتاب والسنة فحينئذ لا يكون هذا قسما منفصلا عن طاعة الكتاب والسنة وعن طاعة الله وطاعة رسوله بل يكون داخلا فيه ، كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والولد للوالدين والتلميذ للاستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول . اما اذا حملناه على الاجماع لم يكن هذا القسم داخلا تحتها لانه ربما دل الاجماع على حكم بحيث لايكون في الكتاب والسنة دلالة عليه فحينئذ أمكن جعل هذا القسم منفصلا عن القسمين الاولين فهذا أولى (وثانيها) ان حمل الآية على طاعة الامراء يقتضي إدخال الشرط في الآية لأن طاعة الامراء إنما تجب اذا كانوا مع الحق فاذا حملناه على الاجماع لا يدخل الشرط في الآية فكان هذا أولى (وثالثها) إن قوله من بعد « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » مشعر باجماع مقدم يخالف حكمه حكم هذا التنازع (ورابعها) ان طاعة الله وطاعة رسوله واجبة قطعا وعندنا ان طاعة الاجماع واجبة قطعا . وأما طاعة الامراء والسلاطين فغير واجبة قطعا بل الاكثر أنها تكون محرمة لانهم لايأمرون الا بالظلم وفي الاقل تكون واجبة بحسب الظن الضعيف فكان حمل الآية على الاجماع أولى لانه أدخل الرسول وأولي الامر في لفظ واحد وهو قوله « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر » فكان حمل أولي الامر الذي هو مقرون بالرسول على المعصوم أولى من حمله على الفاجر الفاسق (وخامسها) ان أعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء في الحقيقة أمراء الامراء فكان حمل لفظ « أولي الامر » عليهم « أولى »

(قال) وأما حمل الآية على الأئمة المعصومين كما تقوله الروافض ففي غاية

البعدلوجوه (أحدها) ماذكرناه ان طاعتهم مشروطة بمعرفتهم قدرة الوصول اليهم فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف مالا يطاق ، ولو أوجب علينا طاعتهم اذا صرنا عارفين بهم وبمذاهبهم صار هـذا الايجاب مشروطا وظاهر قوله « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » يقتضي الاطلاق . وأيضا ففي الآية ما يدفع هذا الاحتمال وذلك انه أمر بطاعة الرسول وطاعة أولي الامر في لفظة واحدة وهي قوله « وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » واللفظة الواحدة لا يجوز ان تكون مطلقة ومشروطة معا ، فلما كانت هذه اللفظة مطلقة في حق الرسول وجب ان تكون مطلقة في حق أولي الامر (الثاني) انه تعالى أمر بطاعة أولي الامر ، وأولو الامر جمع وعندهم لا يكون في الزمان الا إمام واحد وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر (وثالثها) انه قال « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » ولو كان المراد بأولي الامر الامام المعصوم لوجب ان يقال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الامام . فثبت ان الحق تفسير الآية بما ذكرناه اه كلام الامام الرازي

أقول ان القائلين بالامام المعصوم يقولون ان فائدة اتباعه انقاذ الامة من ظلمة الخلاف وضرر التنازع والتفرق وظاهر الآية بيان حكم المتنازع فيه مع وجود أولي الامر وطاعة الامة لهم كأن يختلف أولو الامر في حكم بعض النوازل والوقائع ، والخلاف والتنازع مع وجود الامام المعصوم غير جائز عند القائلين به لانه عندهم مثل الرسول (ص) فلا يكون لهذه الزيادة فائدة على رأيهم

وحصر الرازي الاقوال المنقولة في الاربعة التي ذكرها غير مسلم فقد روي عن مجاهد ان أولي الامر هم الصحابة وفي رواية عنه وعن مالك والضحاك وهي مأثورة عن جابر بن عبد الله (رض) انهم أهل القرآن والعلم فان كان الرازي يعني بأهل الاجماع المجتهدين على اصطلاح أهل الاصول فهم أهل العلم والقرآن وان كان يعني بهم أهل الحل والعقد الذين ينصبون الامام الاعظم كما يفهم من تعبيره الآخر فقد يوافق قوله ابن كيسان إن أولي الامر هم أهل العقل والرأي . وقلما تجد أحدا من المتأخرين قال قولا إلا وتجد لمن قبله قولا بمعناه ولكن القول اذا لم يكن واضحا مفصلا حيث يحتاج الى التفصيل فانه يضيع ولا يفهم الجمهور المراد

منه . وهذا الرازي على إسهابه واطنابه في المسائل لم يحل المسألة كما يجب إذ عبر تارة بأهل الاجماع والمتبادر الى الذهن ان المراد به المجتهدون في المسائل الفقهية وتارة بأهل الحل والعقد والمتبادر الى الذهن انهم هم الذين يختارون الامام الاعظم وهذا ما فهمه أو اختاره النيسابوري وهو الصواب وبه يكون الرازي قد حقق مسألة الاجماع أفضل التحقيق كما سنبينه

قال السعد في شرح المقاصد « وتنعقد الامامة بطرق احدها بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس » الخ . فأهل الحل والعقد الذين هم خواص الامة من العلماء ورؤساء الجند والمصالح العامة هم أولو الامر الذين تجب طاعتهم فيما يتفقون عليه لان عامة الناس ودهماءهم يتبعونهم بارتياح واطمئنان ، ولانهم هم العارفون بالمصلحة التي يحتاج الى تقرير الحكم فيها ، ولأن اجتماعهم واتفاقهم ميسور ، ولأجل ذلك كان إجماعهم بمعنى إجماع الامة برمتها ، وهذه المعاني لا تتحقق باجماع المجتهدين في الفقه إن أمكن أن يعرفوا وأن يجتمعوا وأن تعلم الامة باجماعهم وتثق به

اذا تمهد هذا فالآية مبينة أصول الدين وشريعته والحكومة الاسلامية وهي

(الاصل الاول) القرآن الحكيم والعمل به هو طاعة الله تعالى

(الاصل الثاني) سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بها هو طاعة الرسول (ص)

(الاصل الثالث) إجماع أولي الامر وهم أهل الحل والعقد الذين تثق بهم الامة من العلماء والرؤساء في الجيش والمصالح العامة كالتجارة والصناعة والزراعة وكذا رؤساء العمال والاحزاب ومديرو الجرائد المحترمة ورؤساء تحريرها وطاعتهم حينئذ هي طاعة أولي الامر

(الاصل الرابع) عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والاحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة ، وذلك قوله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول »

فهذه الاصول الاربعة هي مصادر الشريعة ولا بد من وجود جماعة يقومون بعرض المسائل التي يتنازع فيها على الكتاب والسنة وهل يكونون من أولي الامر

أو ممن يختارهم اولو الامر من علماء هذا الشأن سيأتي بيان ذلك قريبا

ويجب على الحكام الحكم بما يقرره أولو الامر وتنفيذه و بذلك تكون الدولة الاسلامية مؤلفة من جماعتين أو ثلاث ، الاولى جماعة المبينين للاحكام الذين يعبر عنهم أهل هذا العصر بالهيئة التشريعية والثانية جماعة الحاكمين والمنفذين وهم الذين يطلق عليهم اسم الهيئة التنفيذية . والثالثة جماعة المحكمين في التنازع و يجوز أن تكون طائفة من الجماعة الأولى

ويجب على الامة قبول هذه الاحكام والخضوع لها سرا وجهرا ، وهي لا تكون بذلك خاضعة خانعة لاحد من البشر ولا خارجة من دائرة توحيد الربوبية الذي شعاره إنما الشارع هو الله ، « إن الحكم الا لله أمر ان لاتعبدوا الا إياه » فانها لم تعمل الا بحكم الله تعالى أو حكم رسوله (ص) باذنه أو حكم نفسها الذي استنبطه لها جماعة أهل الحل والعقد والعلم والخبرة من أفرادها الذين وثقت بهم واطمأنت باخلاصهم وعدم اتفاقهم الا على ماهو الاصلح لها فهي بذلك تكون خاضعة لوجدانها لا تشعر باستبداد أحد فيها ، ولا باستذلاله واستعبادها لها ، بل يصدق عليها مادامت لحكومتها على هذا الوجه بقية انها أعز الناس نفوسا وأرفعهم رءوسا وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

ولا بدلنا قبل ان نحرر مسألة التنازع من فتح باب البحث في اجتماع أولي الامر وتقريرهم للاحكام في المصالح العامة التي تحتاج اليها الامة فقد علمنا ان أولي الامر معناه أصحاب أمر الامة في حكمها وادارة مصالحها وهو الامر المشار اليه في قوله تعالى (٤٢:٣٨ وأمرهم شورى بينهم) ولا يمكن أن يكون شورى بين جميع أفراد الامة فتعين ان يكون شورى بين جماعة تمثل الامة ويكون رأيها كرأي مجموع أفراد الامة لعلمهم بالمصالح العامة وغيرتهم عليها ولما لسائر أفراد الامة من الثقة بهم والاطمئنان بحكمهم، بحيث تكون بالعمل به عاملة بحكم نفسها وخاضعة لقلبها وضميرها وما هؤلاء الا أهل الحل والعقد الذين تكرر ذكرهم في هذا السياق . ولكن كيف يجتمع هؤلاء ومن يجمعهم ولماذا لم يوضع لهم نظام في الاسلام كنظام مجالس الشورى التي تسمى مجالس النواب في عرف أهل هذا العصر

بحثنا في هذه المسألة في تفسير (٣: ١٥٩ وشاورهم في الامر) فبينا الحكم والاسباب لعدم وضع النبي (ص) هذا النظام وكيف كانت خلافة الراشدين بالشورى بحسب حال زمنهم وكيف أفسد الامويون بعد ذلك حكومة الاسلام وهدموا قواعدها وسنوا للمسلمين سنة الحكومة الشخصية المؤيدة بعصبية الحاكم فعليهم وزرها و وزر من عمل و يعمل بها الى يوم القيامة . وصفوة ما هنالك أن هذا الامر يختلف باختلاف أحوال الامة الاجتماعية في الزمان والمكان فلم يكن من الحكمة أن يوضع له نظام موافق لحال الصدر الاول وحدهم والمسلمون قليل من العرب وأولو الامر فيهم محصورون في الحجاز ويجعل عاما لكل زمان ، ولو وضعه النبي (ص) لاتخذوه دينا وتقيدوا به في كل زمان ومكان وهو لا يمكن أن يوافق كل زمان ومكان ، ولكان اذا عمله باجتهاده غير عامل بالشورى واذا عمله بالشورى جاز ان يكون رأي المستشارين مخالفا لرأيه كما وقع في غزوة أحد فيكون رأيهم قيدا للمسلمين مدى الدهر و يتخذونه دينا كما اتخذوا كثيرا من آراء الفقهاء (راجع تفصيل ذلك في ص ٢٠٠ وما بعدها من جزء التفسير الرابع أو في المنار)

فالامر الذي لاريب فيه ان الله تعالى هدانا الى أفضل وأكمل الاصول والقواعد لنبني عليها حكومتنا ونقيم بها دولتنا ووكل هذا البناء الينا فأعطانا بذلك الحرية التامة والاستقلال الكامل في أمورنا الدنيوية ومصالحنا الاجتماعية . وذلك أنه جعل أمرنا شورى بيننا ينظر فيه أهل المعرفة والمكانة الذين نثق بهم ويقررون لنا في كل زمان ماتقوم به مصلحتنا وتسعد أمتنا لا يتقيدون في ذلك بقيد الا هداية الكتاب العزيز والسنة الصحيحة المبينة له وليس فيهما قيود تمنع سير المدنية أو ترهق المسلمين عسرا في عمل من الاعمال ، بل أساسهما اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، وحظر الضار ، وإباحة النافع ، وكون ماحرم لذاته يباح للضرورة ، وما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة ، ومراعاة العدل لذاته ، ورد الامانات الى أهلها ، ولكننا ماراعينا هذه الهداية حق رعايتها فقيدنا أنفسنا بألوف من القيود التي اخترعناها وسميناها دينا ، فلما أقعدتنا هـذه القيود عن مجاراة الامم في المدنية والعمران صار حكامنا الذين خرجوا بنا عن هذه الاسس والاصول المقررة في الكتاب والسنة فريقين فريقا

رضوا بالقعود واختاروا الموت على الحياة توهما منهم أنهم بمحافظتهم على قيودهم التقليدية محافظون على الاسلام ، قائلين ان الموت على ذلك خير من الحياة باتباع غير المسلمين في أصول حكومتهم ، وفريقا رأوا انه لا بد لهم من تقليد غير المسلمين في قوانينهم الاساسية أو الفرعية ، فكان كل من الفريقين بجهله حجة على الاسلام في الظاهر ، والاسلام حجة عليهم في الحقيقة ، فكتاب الله حي لا يموت ، ونوره متألق لا يخفى ، وان جعلوا بينه وبينهم ألف حجاب (٦ : ١٩٤ قل فلله الحجة البالغة)

ليس بين القانون الاساسي الذي قررته هذه الآية على إيجازها وبين القوانين الاساسية لأرقى حكومات الارض في هذا الزمان الا فرق يسير نحن فيه أقرب الى الصواب وأثبت في الاتفاق منهم اذا نحن عملنا بما هدانا اليه ربنا : هم يقولون ان مصدر القوانين الامة ونحن نقول بذلك في غير المنصوص في الكتاب والسنة كما قرره الامام الرازي آنفا والمنصوص قليل جدا

وهم يقولون انه لا بد ان ينوب عن الامة من يمثلها في ذلك حتى يكون ما يقررونه كأنما هي التي قررته ونحن نقول ذلك أيضا كما علمت

وهم يقولون ان ذلك يعرف بالانتخاب ولهم فيه طرق مختلفة ونحن لم يقيدنا القرآن بطريقة مخصوصة فلنا ان نسلك في كل زمن ما نراه يؤدي الى المقصد ، ولكنه سمى هؤلاء الذين يمثلون الامة أولي الامر أي أصحاب الشأن في الامة الذين يرجع اليهم في مصالحها وتطمئن هي باتباعهم وقد يكونون محصورين في مركز الحكومة في بعض الاوقات كما كانوا في الصدر الاول من الاسلام فالستة الذين اختارهم عمر للشورى في انتخاب خلف له كانوا هم أولي الامر ولذلك اجتمعت كلمة الامة باتخابهم ولو بايع غيرهم أميرا لم يبايعوه لانشقت العصا وتفرقت الكلمة، وقد يكونون متفرقين في البلاد فلا بد حينئذ من جمعهم ولهم ان يضعوا قانونا لذلك

وهم يقولون ان هؤلاء اذا اتفقوا وجب على الحكومة تنفيذ ما يتفقون عليه وعلى الامة الطاعة ولهم ان يسقطوا الحاكم الذي لا ينفذ قانونهم ونحن نقول بذلك وهذا هو الاجماع الحقيقي الذي نعده من أصول شريعتنا

وهم يقولون انهم اذا اختلفوا يجب العمل برأي الاكثر وظاهر الآية على

ما اختاره الاستاذ الامام ان ما يختلفون فيه عندنا يرد الى الكتاب والسنة ويعرض على أصولها وقواعدهما فيعمل بما يتفق معهما ونحن نعلم كما يعلمون ان رأي الاكثرين ليس أولى بالصواب من رأي الاقلين ولا سيما في هذا الزمان حيث يتكون الاكثر من حزب ينصر بعض أفراده بعضا في الحق والباطل ويتواضعون على اتباع أقلهم لاكثرهم في خطأهم . فاذا كان أعضاء المجلس مئتين منهم مئة وعشرة يتبعون حزبا من الاحزاب وأراد زعماء هذا الحزب تقرير مسألة فاذا اقتنعوا بالدليل أو النفوذ ستين منهم يتبعهم الخمسون الآخرون وان كانوا يعتقدون خطأهم فاذا خالفهم سائر أهل المجلس يكون عدد الذين يعتقدون بطلان المسألة ١٤٠ والذين يعتقدون حقيتها ستين وهم أقل من النصف وتنفذ برأيهم

الاكثرية لا تستلزم الحقية والاصابة في الحكم ولا هي بالتي تطمئن الامة الى رأيها فربما كان الاكثرون الذين يقررون مسألة مالية أو عسكرية مثلا ليس فيهم العدد الكافي من العارفين بها فيظهر للجمهور خطأها فتتزلزل ثقته بمجلس الامة ويفتح باب الخلاف والتفرق ويخشى أن تتألف الاحزاب للمقاومة فإما أن يكره الجمهور المخالف على القبول إكراها وحينئذ يكون الحكم للعصبية الغالبة ، لا للامة المتحدة ، وإما أن تتطلع رءوس الفتن وهذا ما يجب اتقاؤه وسد ذريعته في أساس الحكم وأصول السلطة لئلا تهلك الامة بقيام بعضها على بعض ويكون بأسها بينها شديدا فيتمكن بذلك الاعداء من مقاتلها وقد نهينا في الكتاب والسنة عن التفرق والتنازع والخلاف التي تؤدي الى مثل هذا البلاء .

فتبين بهذا حكمة عرض المسائل التي يتنازع فيها أولو الامر على جماعة يردونها الى الكتاب والسنة ويحكمون فيها بقواعدهما التي أشرنا الى بعضها آنفا فان الامة كلها ترضى بفصل هذه الجماعة عند ما تؤيده بدليله ، وهل تكون هذه الجماعة من علماء الدين فقط أم من طبقات أولي الامر المختلفة ؟ للمفسرين في المخاطبين بقوله تعالى « فان تنازعتم » قولان مشهوران (احدهما) أنهم أولو الامر على طريق الالتفات عن الغيبة الى الخطاب . وعلى هذا يكون أولو الامر مخيرين في طريقة رد الشيء المتنازع فيه الى الله والرسول بين أن يكون ذلك بواسطة بعض منهم أو من غيرهم

بشرط أن يكونوا عالمين بالكتاب والسنة والمصالح العامة فان اتضح الامر برده الى الكتاب والسنة لوضوح دليله وجب العمل به حتما وإلا كان المرجح هو الامام الاعظم كما تدل عليه السنة في ترجيح النبي (ص) لما اختلف فيه الصحابة ببدر وأحد، وعلى أي شيء يبني ترجيحه؟ الذي ظهر لي ان النبي (ص) رجح في أحد رأي الاكثرين مخالفا لرأيه، ورجح في بدر الرأي الموافق لرأيه ولم يكن هناك أكثرية ظاهرة، فيجب أن يراعي الامام ذلك. ولا مجال في هذا للتفرق والخلاف

والقول الثاني ان المخاطبين هم غير أولي الامر أي العامة وصرح بعضهم بأن هذا يختص بامر الدين فهو الذي لا يعمل فيه برأي أولي الامر والاولى أن يقال هم مجموع الامة وعلى هذا يكون للامة أن تقيم من يحكم فيما يختلف فيه أولو الامر برده الى الكتاب والسنة ويأتي هنا ما ذكرناه آنفا في الاتفاق والاختلاف

والتنازع من النزع وهو الجذب لان كل واحد من المختلفين يجذب الآخر الى رأيه أو يجذب حجته من يده ويلقي بها. والمسائل الدينية لا ينبغي أن يكون فيها تفرق ولا خلاف «اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» لان العمل فيها بالنص لا بالرأي كما تقدم

ويؤيد القول الاول آية الاستنباط الآتية وهي قوله تعالى «واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» فبين أن ما ينظر فيه أولو الامر هو المسائل العامة كمسائل الأمن والخوف وان العامة لا ينبغي لها الخوض في ذلك بل عليها ان ترده الى الرسول والى أولي الامر وان من هؤلاء من يتولى أمر استنباطه واقناع الآخرين به. وهذه الآية تنفي أن يكون أولو الامر هم الملوك والامراء لانه لم يكن مع الرسول ملوك ولا أمراء، وان يكونوا هم العارفين بأحكام الفتوى فقط لان مسائل الامن والخوف وما يصلح للامة في زمن الحرب يحتاج فيه الى الرأي الذي يختلف باختلاف الزمان والمكان ولا يكفي فيه معرفة أصول الفقه وفروعه ولا الاجتهاد بالمعنى الذي يقوله علماء الاصول وقد بينا ذلك في مواضع كثيرة

قال تعالى «إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» أي أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول الخ أو ردوا الشيء المتنازع فيه الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة إن كنتم تؤمنون بالله الخ فان المؤمن لا يؤثر على حكم الله شيئا والمؤمن باليوم الآخر يهتم بجزاء الآخرة أشد من اهتمامه بحظوظ الدنيا فلو كان له هوى في المسألة المتنازع فيها فانه يتركه لحكم الله ابتغاء مرضاته ومثوبته في اليوم الآخر وفيه تعريض أو دليل على ان من لا يؤثر اتباع الكتاب والسنة على اهوائه وحظوظه ولا سيما في مسائل المصالح العامة فيه لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر إيمانا يعتد به

«ذلك خير وأحسن تأويلا» هذا بيان لفائدة هذه الاحكام أو هذا الرد في الدنيا بعد بيان فائدته في الآخرة كما هو اللائق بدين الفطرة الجامع بين مصالح الدارين. أي ذلك الذي شرعناه لكم في تأسيس حكومتكم واصلاح أمركم أوذلك الرد للشيء المتنازع فيه الى الله ورسوله خير لكم في نفسه لانه أقوى أساس لحكومتكم والله أعلم منكم بما هو خير لكم فلم يشرع لكم في كتابه وعلى لسان رسوله من الاصول والقواعد الا ما هو قيام لمصالحكم ومنافعكم، وهو على كونه خيرا في نفسه أحسن تأويلا أي مآلا وعاقبة لانه يقطع عرق التنازع، ويسد ذرائع الفتن والمفاسد

الاستاذ الامام: قيل ان الشرط متعلق بالاخير وهو الرد الى الله والرسول والغرض منه تذكيرهم بالله حتى لا يستعملوا شهواتهم وحظوظهم في الرد وقيل متعلق بكل ما تقدم من طاعة الله وطاعة الرسول وأولي الامر، وهو الظاهر وجمهور المفسرين على انه تهديد من الله تعالى لمن يخالف أمرا من هذه الاوامر وإخراج له من حظيرة الايمان، ومعنى كونه خيرا انه أنفع من كل ما عداه ولو جرى المسلمون عليه لما أصابهم ما أصابهم من الشقاء فقد رأينا كيف سعد المهتدون به وكيف شقي الذين أعرضوا عنه واستبدوا بالامر وأما كونه أحسن تأويلا فهو أن الاوامر والاحكام انما تكون صورا معقولة وعبارات مقولة حتى يعمل بها فتظهر فائدتها وأثرها، فعلمنا بالآخرة ليس الا صورا ذهنية لا نعرف الحقائق التي تنطبق عليها الا اذا صرنا اليها

أقول تلك أصول الشريعة الاسلامية المدنية السياسية القضائية لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ولا تبصر فيها غلا ولا قيدا، وليس فيها عسر ولا حرج، ولا مجال فيها

للاضطراب والهرج ، ولكن لم يعمل بها الا الخلفاء الراشدون عليهم الرضوان ، بحسب مااقتضته حال الامة في ذلك الزمان، فكانوا مع ذلك حجة الله على نوع الانسان ، اذ لم تكتحل بمثل عدلهم عين الدنيا الى الآن ،

واذا كان الله تعالى قد أكمل لنا بالاسلام دين الانبياء أصولا وفروعا ، ووضع لنا أصول الكمال للشريعة المدنية ووكل الينا أمر الترقي فيها بمراعاة تلك الاصول فكان ينبغي لنا بعد اتساع ملك الاسلام ودخول الممالك العامرة التي سبقت لها المدنية في دائرة سلطانه ان نرتقي في نظام الحكومة المدنية ويكون خلفنا فيها أرقى من سلفنا لما للخلف من أسباب ووسائل هذا الترقي ولكنهم حولوا الحكومة عن أساس الشورى كما تقدم وأضاعوا الاصول التي أمروا باقامتها في هذه الآية فجرى اكثرهم على ان أولي الامر هم افراد الامراء والسلاطين ، وان كانوا جائرين ، ومنهم من قال انهم العلماء المجتهدون في الفقه خاصة ثم قالوا انهم قد انقرضوا وانه لا يجوز أن يخلفهم أحد وان الاجماع خاص بهم وكذلك استنباط الاحكام الفرعية خاص بهم ، ومهما اشتدت حاجة المسلمين الى استنباط أحكام لوقائع وأقضية جديدة فلا يجوز لاحد أن يستنبط لها حكما ، وان ما تنازع فيه المسلمون لا يجوز رده الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة والعمل بما يهديان اليه بل يجب أن يقلد كل طائفة من المسلمين من شاؤا من المختلفين في الاحكام الشخصية ويتبعوا الحكام في غيرها ، ولا ضرر في اختلافهم وتفرقهم شيعا وان تفرقت كلمتهم في الاحكام والقضايا وفي العبادات حتى صار الحنفي يمكث في المسجد وامام الشافعية يصلي الصبح بالمنتسبين الى مذهبه فلا يصلي هذا الحنفي حتى يجيء امام مذهبه فيأتم به

وقف المسلمون في دينهم وشريعتهم عند الكتب التي ألفها المقلدون في القرون الوسطى وما بعدها ولكن الزمان ما وقف حتى صار حكامهم فريقين كما تقدم وصار الناس ينسبون كل ما هم عليه من الضعف والوهن والجهل والفقر الى دينهم وشريعتهم وسرى هذا الاعتقاد الى الذين يتعلمون علوم أوربا وقوانينها فمنهم من مرق من الاسلام وفضل تلك القوانين على الشريعة ، اعتقادا منهم أن الشريعة هي مايعرفه من كتب الفقه وهو لا يعرف من القرآن ولا من السنة شيئا ، ومنهم من تركوا العمل

بهذا الفقه في السياسة وأحكام العقوبات وأحكام المعاملات المدنية واستبدل بها القوانين الاوربية ، فصارت حكومتهم أمثل مما كانت عليه فقويت بذلك حجة أهل القوانين الوضعية على أهل الشريعة الالهية فظنوا انها حجة على الشريعة نفسها وقام طلاب إصلاح الحكومة في الدولتين العثمانية والايرانية من المتفرنجين يطلبون تقليد الافرنج في إصلاح قوانين حكومتيهما لانهم جاهلون بما في القرآن الحكيم من أصول حكومة الشورى وتفويضها الى أولي الامر الذين تثق بهم الامة وتعول على رأيهم

اذا كان فقهاؤنا لا يبالون بما يقول فينا أهل العصر لاجاهم ولاجل بعض كتب الفقه فيجب أن يبالوا ولا يرضوا بأن ينسب الجمود الى أصل الشريعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) نعم انهم لا ينكرون هذه الأصول ولكنهم يقولون إنه لا يوجد في المسلمين الآن ولا قبل الآن بقرون من هم أهل للاجماع ولا لاستنباط الاحكام التي تحتاج اليها الامة من الكتاب والسنة . ومادام المسلمون راضين بهذا الحكم عليهم فان حالهم لا تتغير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

(للتفسير بقية)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

افتراق الامة الاسلامية والفرقة الناجية

(س ٥٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (شانكين ـ سومطرا)

سلام الله عليكم . والرجاء من سيادتكم إيضاح ما ابهم ولكم من الله الاجر .

يزعم بعضهم ان افتراق الامة الى شيع أمر لازب اخبر به النبي صلى الله

عليه وآله وسلم . في حديث « ستفترق امتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة » رواه الطبراني .

و بناء عليه فلا مطمع في توحيد كلمتهم و إصلاحهم بل لايزالون مختلفين . وقد سألناهم عن الفرقة الناجية فقالوا هي المتبعة لمذاهب الائمة الاربعة المشهورة . فمن عاد عن أحد هذه المذاهب فهو ولا شك (بزعمهم) في الدنيا من المغبونين وفي الآخرة من المخذولين . (هذا ما تقوله حماة التقليد والاقرب انه آخر سهم في الكنانة)

فما قولكم سيدي في الحديث . هل هو صحيح متواتر أم مطعون في الزيادة الاخيرة كما اشار اليها الاستاذ الحكيم السيد أبو بكر بن شهاب من أبيات نشرت في ١١م - ٧ - ص٤٢٦ من المنار وهي .

وحديث تفترق النصارى واليهو د وأمتي فرقا روى الطبراني
لكن زيادة كلها في النار الا فرقة لم تخل عن طعان

فتفضلوا علينا بالبيان الشافي المعهود من حضرتكم لازلتم خير خلف لخير سلف

ح . م . في - شانكين - (سمترا)

(ج) أما افتراق الامة الاسلامية فهو واقع بالفعل ولكن لايوجد دليل من القرآن ولا من الحديث يدل على اليأس من اتفاقهم في الامور العامة والاخوة الاسلامية والتعاون على مقاومة من يعاديهم كلهم وعلى ماينفعهم كلهم وان ظلوا مختلفين في كثير من المسائل بأن يكونوا في اختلافهم على هدي السلف الصالح في عذر بعضهم لبعض واتقاء التكفير والعدوان

وأما الحديث الوارد في الافتراق فقد رواه غير واحد من الحفاظ منهم أحمد وابو داود والترمذي وهو في الجامع الصغير بلفظ « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين » رواه احمد عن ابي هريرة . أقول ورواه الترمذي عنه بلفظ « تفرقت » ثم قال : في الباب عن سعيد وعبدالله بن عمرو وعوف بن مالك حديث حسن صحيح . حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الجفري عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد

الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله (ص) ليأتين على أمتي ماأتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل - الى أن قال (ص) - وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة » قالوا من هي يارسول الله ؟ قال « ماأنا عليه وأصحابي » هذا حديث حسن غريب مفسر لانعرفه مثل هذا الا من هذا الوجه اه كلام الترمذي فهذه الرواية التي تعين الفرقة الناجية بشيء من القوة في إسنادها عبد الرحمن بن زياد الافريقي راويها وهو قاضي افريقية قال فيه الامام احمد ليس بشيء نحن لا نروي عنه شيئا وقال النسائي ضعيف في الثقات . وقال بعضهم لابأس به وقال ابن حبان انه يروي الموضوعات عن الثقات ولما نقل الذهبي عنه هذا القول قرنه بقوله «فأسرف». وروي بأسانيد أضعف من هذه وأوهى فالرواية اذا لم تخل من طعن فيها

ورواه الحاكم في صحيحه وما انفرد الحاكم بتصحيحه لايسلم من مقال أيضا ولكن قال في المقاصد ان الحديث حسن صحيح يعني بزيادة كلهم في النار الا فرقة واحدة

وروي بلفظ كلهم في الجنة الا فرقة واحدة . فسئل عنها فقال الزنادقة والقدرية . رواه العقيلي والدارقطني وهو موضوع وضعه ابن الاشرس وفي شرح عقيدة السفاريني مانصه : ذكر أبو حامد الغزالي في كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة ان النبي (ص) قال « ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة (؟) » هذا لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على انه أراد الزنادقة من أمته إذ قال « ستفترق أمتي » ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته ، والذين ينكرون المعاد والصانع فليسوا معترفين بنبوته إذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم كذلك لم يزل موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة انتهى

« قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الاسكندرية اما هذا الحديث فلا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الذي في كتب السنن والمساند عن النبي (ص) من وجوه إنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار » وروي عنه انه قال

« هي الجماعة » وفي حديث آخر « هي من كان على مثل ما أنا اليوم عليه وأصحابي» وضعفه ابن حزم لكن رواه الحاكم في صحيحه وقد رواه ابو داود والترمذي وغيرهم، قال : وأيضا لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن . وأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولا وردا فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر اه

« (قلت) وقد ذكر الحديث الذي ذكره الغزالي الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وذكر انه روي من حديث أنس ولفظه « تفترق أمتي على سبعين أو احدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا فرقة واحدة » قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال « الزنادقة وهم القدرية » أخرجه العقيلي وابن عدي ورواه الطبراني أيضا . قال أنس كنا نراهم القدرية . قال ابن الجوزي وضعه برد بن اشرس وكان وضاعا كذابا واخذه عنه ياسين الزيات فقلب اسناده وخلطه وسرقه عثمان بن عفان القرشي وهؤلاء كذابون متروكون

« وأما الحديث الذي أخبر النبي (ص) ان أمته ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار فروي من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي امامة وواثلة وعوف بن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة . ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم اه ما أورده السفاريني

أقول حديث معاوية الذي أشار اليه رواه عنه احمد والطبراني والحاكم بلفظ « ان أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة » وفيه زيادة عزاها السفاريني الى أبي داود فقط وهي « وانه ستخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منهم عرق ولا مفصل الا دخله » وهذا أمثل ما رواه الحاكم من ألفاظ هذا الحديث وسنده لا يسلم من مقال ورواه بغير

هذا اللفظ عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده . وكثير هذا طعنوا فيه حتى قال الشافعي وابو داود انه ركن من أركان الكذب وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة وذكر الذهبي ان العلماء لا يعتمدون على تصحيح الترمذي لأنه روى عنه حديث « الصلح جائز بين المسلمين » وصححه

وجملة القول ان تعدد طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا على طريقتهم المتبعة في ذلك وأظن انه لا تسلم رواية منها من طعن أومقال كما قال ابن شهاب خلافا لمن اعتمد تصحيح الحاكم لبعضها وكلها مشكلة مخالفة للاحاديث الصحيحة كما يأتي

وأما معنى الحديث بصرف النظر عن سنده فهو ان الفرقة الناجية هي الفرقة التي تتبع السنة التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه أي سنة السلف الصالح قبل ظهور البدع وهؤلاء هم الجماعة قلوا أم كثروا وهم لا ينحصرون في هذا الزمان بأهل مذهب معين من المذاهب المعروفة على ان أهل الاثر والحنابلة أقرب من غيرهم الى السنة وابعد عن البدعة وذلك ان المسائل التي اختلف فيها أهل المذاهب لا ينحصر الحق فيها في مذهب دون غيره فتارة يكون الصواب مع الاشعرية وتارة مع الماتريدية فيما يختلفان فيه وقل مثل هذا في خلاف المعتزلة والشيعة وغيرهم وفي الفروع وسائر المذاهب . ثم ان المنتمين الى هذه المذاهب ليسوا متبعين لائمتها حق الاتباع فيكون أتباع المصيب هم الفرقة الناجية . فالظاهر ان الناجين في كل زمان هم أهل الاتباع الذين يتقون الابتداع ولا يخلو المنتسبون الى مذهب من المذاهب المعتد بها في الاسلام عن طائفة أو افراد منهم يؤثرون السنة على كل بدعة ومجموعهم طائفة واحدة يجمعهم الاعتصام بالكتاب والسنة (ثلة من الاولين، وقليل من الآخرين)

وقد عد بعضهم هذا الحديث مشكلا وتوسع الشيخ صالح المقبلي في بيان هذا الاشكال وحله في كتابه العلم الشامخ واننا نلخص منه ما يأتي

قال « والاشكال في قوله كلها في النار الا ملة فمن المعلوم انهم خير الامم وان المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض حسبما صرحت به الأحاديث فكيف يتمشى هذا؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة وقال هي زيادة غير ثابتة و بعضهم تأول

الكلام بأن الفرقة الناجية صالحو كل فرقة وهو كلام منتقض لان الصلاح ان رجع الى محل الافتراق فهم فرقة واحدة لا أفراد من الفرق وان رجع الى غير ذلك فلا دخل له لان الكلام انهم في النار لأجل الافتراق وما صاروا به فرقا

« ثم ان الناس صنفوا في هذا المطلب وأخذوا في تعداد الفرق ليبلغوا بها الى ثلاث وسبعين ثم يحكم كل منهم لنفسه ومن وافقه بأنه الفرقة الناجية وانما يصنعون ذلك لادعاء كل منهم انه على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثم صرح بذلك صلى الله عليه وآله وسلم ثم اتفق عليه جميع الفرق الاسلامية انما ينحصر النظر فيمن الباقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ومن المعلوم ان ليس المراد ان لا يقع منها أدنى اختلاف فان ذلك قد كان في فضلاء الصحابة انما الكلام في مخالفة تصير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها

«واذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل وفيما يترتب عليه عظائم المفاسد لا تكاد تنحصر ولكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت والتأم بعضهم الى قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة حتى ادخلوا نوادر المسائل وما لاضرر في مخالفته فربما لم يكن من مهمات الدين أولم يكن من الدين في شيء ولكن كلٌّ تسمى باسم مدح اخترعه لنفسه وصاروا يجعلون المسائل شعارا لهم من دون نظر في مكانة تلك المسألة في الدين والخوارج يسمون نفوسهم الشراة والاشاعرة يسمون نفوسهم أهل السنة والمعتزلة يسمون نفوسهم العدلية أو أهل العدل والتوحيد لان خصمهم يثبت الصفات أمورا مستقلة فليسوا بموحدين أولانهم مشبهة اما صريحا أو إلزاما ونحو ذلك مما تخبرك به كتب المقالات والكلام. والانصاف ان كلا منهم قد اخترع مالم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة رضي الله عنهم واختلفت البدع فمن كبير وأكبر وصغير وأصغر ومابينهما اعني الكبر والصغر اللغويين لا الاصطلاحيين فذلك مما لا سبيل اليه الا بالتوقيف والمفروض ان هذه أشياء مخترعة فكيف التوقيف على مالم يذكر بنفي ولا إثبات انما غايته ان يكون دخل في عموم نهي أو نحو ذلك فتعيين الفرق وتعدادها فرقة فرقة وانها هي التي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا سبيل اليه ألبتة انما تكلموا فيها خبطا

وجزافا سهل لهم ذلك وجرأهم عليه البدعة الاولى التي خالفوا بها السنة

« فان قلت ومن ذا الذي بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولم يشارك الناس في تحزبهم وابتداعهم (قلت) اما في العصور المتقدمة فكان ذلك هو الغالب ومازالوا من عام الى عام يرذلون وأما الآن في زمن الغربة فأما من يرجع اليه في مسائل الدين وهم المتفقهة ففي غاية القلة وبذلك تصدق الغربة لان العلماء هم المقتدى بهم وبهم يصير الدين غريبا وأهيلا على انهم قد قلوا في أنفسهم لا تكاد تجد اليوم مدعيا عنده بينة، وأما الاعصار المتوسطة من المئتين الى سبع مئة تقريبا ففيها ثورة العلماء وجلة الجهابذة الحكماء وما شئت ان تأخذ منهم من خير وشر وجدته أما الخير فبتحقيق فنون العلم وبثها وأما الشر فبتأييد الفرقة »

ثم انه قسم الناس الى عامة وخاصة وقال ان العامة ومنهم النساء والعبيد براء من البدعة ولا يسمون أهل السنة أيضا بل يسمون مسلمين

قال « وأما الخاصة فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه وبلغ في تقويتها كل مبلغ وجعلها أصلا يرد اليها صرائح الكتاب والسنة ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه مالم يتحمله ولكنه امامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا لكن تختلف تلك البدعة في كونها ذات مكانة في الدين أم لا »

ثم ذكر ان من الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف ولكنه عند نفسه راجع الى الحق وقد دس في تلك الابحاث نقوضها لكن على وجه خفي لغرض. ومنهم من تدرب في كلام الناس وعرف أوائل الابحاث وحفظ كثيرا من غثاء ما حصلوه ولكن أرواح البحث بينه وبينها حائل لقصور الهمة والرضا من الاوائل قال « وهؤلاء هم الاكثرون عددا والارذلون قدرا فانهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة » وقال ان هؤلاء لهم حكم الابتداع والذين قبلهم ظاهرهم الابتداع ورأيه أن تعامل هذه الاقسام الثلاثة معاملة المبتدعة وحسابهم على الله تعالى

قال « ومن الخاصة قسم رابع ثلة من الأولين وقليل من الآخرين أقبلوا

على الكتاب والسنة وساروا بسيرهما وسكتوا عما سكتا عنه وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف ما لا يعنيهم وكان تهمهم السلامة وحياة السنة آثر عندهم من حياة نفوسهم وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظا وحكما فهؤلاء هم السنية حقا وهم الفرقة الناجية واليهم العامة بأمرهم ومن يشاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم »

ثم بين ان هذا هو المخرج من الاشكال ومناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الامة المرحومة واحتج لذلك بحديث حذيفة في الصحيحين وسنن أبي داود قال كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بك بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال « نعم » قلت فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه قال « قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » قلت فهل بعد هذا الخير من شر قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها » قلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت وان لم يكن جماعة ولا إمام قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » ثم شرح المصنف هذا الحديث وطبقه على أحوال المسلمين الى عصره في القرن الحادي عشر وأكبر العبرة فيه الامر باعتزال جميع فرق المسلمين اذا لم تكن كلمتهم مجتمعة على الامام الحق الذي يقيم الدين وينشر دعوته في العالمين

الاسلام دين التوحيد وما أمر المسلمون الا ليعبدوا إلها واحدا ويتبعوا دينا واحدا ويقيموا لهم إماما واحدا ويكونوا أمة واحدة لايفرقهم نسب ولا لغة ولا وطن وقد نهوا عن التفرق كما نهوا عن الكفر ولكن ظهر الاسلام في الاميين فلم تكد الامم والشعوب تدين بعض معارفه حتى دخلوا فيه أفواجا من غير دعوة منتظمة ولا مدارس مشيدة لانهم فضلوا بعض ماعرفوا منه على كل ما كانوا يعرفون من

أديانهم فكان هذا الاقبال السريع على الدخول فيه من أسباب تفرق أهله شيعا ومذاهب ودولا وأمما كل حزب بما لديهم فرحون « تنصر أحزاب السياسة أحزاب الدين وأحزاب الدين أحزاب السياسة على حزب التوحيد وتفريق الموحدين حتى جنوا على التوحيد نفسه توحيد الألوهية بالتوجه الى غير الله ودعاء سواه ، وتوحيد الربوبية بشرع مالم يأذن به الله ، وحتى سلط الله تعالى على جميع هذه الاحزاب أعداء خضدوا شوكتها ، وزلزلوا دولتها ، فضعف الغرور بها ، وعلى قدر ضعفهم وضعفها صار بعض المسلمين يشعرون بحاجتهم الى الاتحاد بسائر اخوانهم ، وكان أول من دعاهم في هذا العصر الى وجوب التعارف والاتحاد المصلح الحكيم الشهير السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وقد صار المقتنعون بوجوب ذلك كثيرين

ان تفرق المسلمين في السياسة والدولة قد خرج أمر تلافيه من أيدي المسلمين لانهم صاروا كلهم عالة على دول أوربا القوية حتى ان أقوى دولهم تعيش بمال أوربا ويعمل فيها نفوذ أوربا مالا يستطيع أحد ان يمنعه فلا نبحث في هذا فان له اجلا لا بد ان يبلغه وإنما نستفيد من حوادث الزمان في ضغط أوربا ما نستعين به على تلافي ضرر التفرق في المذهب والجنس واللغة فقد رأينا ميل الفرس وإحساسهم باخوة سائر المسلمين قد قوي بعد احتلال روسية لبعض بلادهم وتهديد انكلترة إياهم باحتلال البعض الآخر

أما التفرق في المذاهب فقد ضعف بقلة المذاهب وجهل المنتسبين اليها بها وقلة انتفاعهم بعصبيتها وتوجه كثيرين منهم الى علوم وآداب أخرى غريبة عنها فلم يبق أمامنا فرق كثيرة يذكرون بلقب مذهبي الا الامامية والزيدية من الشيعة والاباضية من فرق الخوارج والوهابية من فرق أهل السنة وكانوا يسمون الحنابلة ومعظم النزاع بينهم وبين الاشعرية وقد تلاشى لقب أشعري وماتريدي من غير الكتب وأما الخلاف في الفروع فألقاب المذاهب فيه محفوظة ولا يعرف الجماهير من المذاهب التي ينتسبون اليها الا قليلا من المسائل التي يخالفون فيها غيرهم كقنوت الشافعية في الصبح وسدل المالكية أيديهم في الصلاة ، وقد بقي لكل مذهب في الاصول والفروع طائفة من المنقطعين الى تعلمها وتعليمها يتعصبون لها لانها مورد معيشتهم ومصدر جاههم

فهم الآن دعاة التفريق وأنصاره ولكن حوادث الزمان ستمحق هؤلاء باظهار دواعي الالفة والوحدة ومضرات التفرق فيكون المؤمنون اخوة متحابين لايمنعهم من ذلك الاختلاف في بعض المسائل الدينية ، بل يكون كالخلاف في المسائل العلمية والعادية

وأما التفرق باختلاف اللغة والجنس والوطن فله في المصر دعاة من المتفرنجين هم أشد آفة وفتنة من دعاة التفرق بالمذاهب لانهم يتغلبون على المناصب وأعمال الحكومة ومصالحها بميل الحكومات الى تقليد الافرنج في كل شيء حتى صار في مسلمي مصر من يفتخر بالفراعنة وإن كان فيهم من لعنه الله وكلهم في الوثنية واستعباد البشر سواء ، ومن الفرس من يفتخر بسلفه من المجوس ، بل نرى بعض الشعوب التي لا يعرف لها سلف مدني له آثار في العلوم والفنون قبل الاسلام أشد عصبية للصنف واللغة من الشعوب التي لها سلف في ذلك ،فيجب على علماء الاسلام الاعلام ان يتحدوا ويتعاونوا في جميع البلاد الاسلامية لكبح شر هؤلاء وتحقيق الوحدة الاسلامية التي جعلت المسلمين كلهم أخوة حتى تسنى بها لعتيق حبشي أسود ان يعتقل أميرا قرشيا فاتحا بعمامته في مكان سلطانه وسوءدده امام الناس ويقوده بها الى المحاسبة على ما أنفق من مال الامة ، ذلك العتيق الحبشي هو بلال رضي الله عنه وذلك الامير هو سيد بني مخزوم سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه

ان الوحدة الاسلامية الدينية الادبية التي ينشدها المصلحون تتوقف على تعميم لغة الاسلام بين جميع الشعوب الاسلامية اذ لا تآلف بغير تعارف ، ولا تعارف بغير تفاهم ، ولا يسهل التفاهم بين المسلمين الابلغة دينهم المشتركة بينهم وهي العربية التي لم تعد خاصة بالعنصر العربي بالنسب كما ان الاسلام ليس خاصا به — وعلى تعارف علماء المسلمين وتعاونهم بالجمعيات العلمية الادبية والجرائد على توحيد طريقة التعليم الديني والاجتماعي وقد أنشأوا يشعرون بهذه الحاجة لحياتهم وسيكون العمل قريبا ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ القرآن في الفونغراف ﴾

(س ٥٦) من صاحب الامضاء في روسية

أرجو ياحضرة الاستاذ أن تفيدنا عن السؤال الآتي :

قد افتتح البحث بطرفنا في جواز استعمال القرآن في صندوق الفونوغراف

الذي حدث في هذ الزمان وهل يعد قرآنا وهل اذا كان قرآنا يجوز استعمال الصندوق للقراءة ويجوز سماعها منه .

وعندنا في هذه المسألة فريقان يختصمان فريق يحرمونه بالكلية ويقولون انه استعمال للقراءة في محل اللهو واللعب وإن الصندوق لايستعمل للعبادة . وفريق يجوزونه والمحسوب من جملتهم . لان أهل بلاد القزان محتاجون لاصلاح قراءة القرآن الكريم بالانغام العربية ولايتيسر لكل أحد منهم أن يذهب الى مصر أو الحجاز حتى يتلقى من أفواه المشايخ وان قلنا بجواز استعماله كنا نتعلم ونأخذ مافي الصندوق من الانغام العربية المطربة والاصوات المدهشة وكنا كأبي سلامة الحجازي وغيره من القراء .

ولا شك ان استعماله بهذا القصد يكون عبادة أفيدونا ولكم الاجر والثواب

أبو أديب حافظ حلمي

(ج) اذا كانت علة تحريم استعمال هذا الصندوق في القراءة هي أنه استعمال له في محل اللهو فالتحريم غير ذاتي عندهم ولا هو تحريم لإيداع القرآن في ألواح هذه الآلة أو اسطواناتها ولا لادارتها لأجل أدائها للتلاوة وانما تحريم لأجل هذا الأداء في محل اللهو واللعب الذي ينافي احترام القرآن واذا كان الحكم يدور مع العلة فيمكن أن يقال بانتفاء الحرمة عند انتفاء تلك العلة والسماع من الصندوق لأجل العظة أو ضبط القراءة أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة . فان قيل انه ينبغي القول باطراد الحرمة لأجل سد ذريعة إهانة القرآن يمكن أن يجاب بمنع كون هذه الاهانة محققة أو غالبة في استعمال المسلمين لهذه الآلة في التلاوة ، وعلى تقدير التسليم يقال أن ما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة كاباحة روءية المرأة الاجنبية عند القائلين بتحريم روءية وجهها لسد ذريعة الفتنة اذا احتيج الى ذلك لأجل توكيل أو شهادة وجواز روءية الطبيب لأي جزء من بدنها المحرم ابداوءه بالاجماع لأجل المداواة فالصواب ان استعمال هذه الآلة في التلاوة لا يحرم الا اذا كان فيه إخلال بالأدب الواجب في الاستعمال والسماع والعمدة في ذلك النية والعرف وقد يكون مستحبا اذا كان فيه عظة أو ضبط للقراءة وربما كان واجبا كأن يتوقف عليه ضبط وحفظ ما يجب تلاوته في الصلاة كالفاتحة . وقد انتقدنا على السائل تعبيره عن الاداء

الصحيح والتجويد لتلاوة القرآن بلفظ الانغام المطربة فالتطريب الذي يكون من بعض القراء بمصر محظور لأنه ينافي الخشوع . واذا كان يعني بأبي سلامة الحجازي الشيخ سلامه حجازي المصري المشهور فليعلم انه ليس من القراء ولكنه من المطربين . والحاصل أن الاقدام على التحريم ليس بالأمر السهل لأنه تشريع جديد بخلاف القول بالحل فانه الاصل في الاشياء ، والنيات في القلوب ، والعرف العام ليس مما يخفى فيختلف فيه الناس ، ولا أنكر أن في مصر من لايراعي الادب الواجب في هذا الاستعمال فالحذر الحذر

(باب المقالات)

مشروع أحياء الآداب العربية (*)

﴿ تقاومه جريدة قبطية ﴾

عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية) وكان لديها في الميزانية ألف جنيه لتنشيط الاداب العربية فقررت اضافته الى المحبوس على دار الكتب والاستعانة به على طبع تلك الآثار

عزم شريف على عمل صالح يحمده كل أديب عربي ولا ينتقده عاقل أعجمي لان هذه الحكومة عربية والامة الذي تحكمها عربية وهي حكومة غنية تعد الالف الجنيه قليلة منها على مثل هذا العمل التي تنفق حكومات أوربة وشعوبها في سبيله ألوفا كثيرة من الجنيهات حتى صارت دور الكتب في بلادهم (كباريس ولندن وليدن وبرلين) أغنى من دار الكتب المصرية بمصنفات سلفنا العرب من المصريين وغيرهم وصاروا يطبعون من نفائسها ما نضطر الى ابتياعه منهم بل صرنا نرسل أولادنا ليتعلموا الآداب العربية في أوربا وهذا عار علينا عظيم

لم تكن العناية ببذل المال على جمع الكتب العربية ونشرها قاصرا على الحكومات

(*) ترى الكلام على هذا المشروع مفصلا في موضع آخر من هذا الجزء

ورجال العلم من الاوروبيين بل رأينا بعض الجمعيات الدينية النصرانية تفعل ذلك كجمعية اليسوعيين فقد رأينا مكتبتها في بيروت جامعة لنفائس الكتب العربية التي يعز نظيرها في مكتبتنا المصرية وقد طبعت لنا كثيرا من هذه النفائس

لا ريب في أن العمل الذي شرعت فيه الحكومة المصرية العربية جليل ، ولا ريب في أن المال الذي خصصته له في هذا العام من ميزانيتها قليل ، فهي تنفق أكثر منه في ضيافة أحد ضيوف الامير يوما واحدا ، وتنفق أكثر منه في مساعدة التمثيل الافرنجي الذي يرى جمهور الامة أن إثمه أكبر من نفعه . وتنفق أكثر منه في البحث عن أسماك النيل والوقوف على أنواعها وهو عمل قلما يوجد مصري ينتفع به وإنما يعد مثله من كماليات فروع العلوم في أوربا وأين نحن من مبادي أصول هذا الفرع الآن

على هذا كله حمد العقلاء والادباء مشروع الحكومة الجديد ، وهم يرجون منها المزيد ، ولم يكن يخطر في البال أن يلقى هذا المشروع اعتراضا ، ولا أن يصادف امتعاضا ، حتى سمعنا نعاب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها و يندب الشعب المصري مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف والآداب الصحيحة التي ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية ! وزجه في ظلمات « الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية » ! ؟ وزعم الكاتب انه لا يوجد في الكتب العربية غير تلك المضار التي استفرغ كل ما في جوفه وجمله وصفا لها وكل اناء ينضح بمافيه

رأيت في بعض الجرائد بعض عبارات جريدة الوطن البذيئة في هذه المسألة وأطلعني بعض الناس على عدد منها رأيت الكاتب فيه لم يكتف بتحقير جميع العرب والقدح في كل ما كتبوا وصنفوا حتى صرح بذم دينهم في ضمن ذلك فقال في سياقه الذي : « وهل أصبح كل ما في مصر آداب العرب وتاريخ العرب وحضارة العرب ودين العرب وكتب العرب وخرافات العرب وغلاظات العرب وحرم علينا أن نلم بالمفيد وأن ينفق مالنا فيما يرقى الآداب والمعيشة و يرفعنا من هذا الحضيض القذر الى مقام الذين تطهروا من سخافات الأجداد » الخ

يعني الكاتب بدين العرب دين الاسلام وهو يريد أن يمحي الاسلام ولغته

وآدابها من مصر وتحل محلها القبطية وهذا هو السبب الذي جعل مشروع طبع الكتب العربية ينقض عليه انقضاض الصاعقة كما قال في مقالة يوم السبت (٨ ذي الحجة) التي نقلنا هذه الجملة منها آنفا وهي أهون ما كتب وأقله بذاء، وماهو بالمصاب الكبير في نفسه الذي يصعق له الناس فيصرعون فيقومون كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس لا يدرون ماذا يقولون

صاحب الوطن جاهل بلغة العرب وآداب العرب وحضارة العرب، وتاريخ العرب ودين العرب لا يعرف من ذلك مايجيز له الحكم في نفعها وضررها . ولكن الجهل وحده لا يستطيع أن يهبط بصاحبه الى الدرك الاسفل الذي وقع فيه صاحب الوطن ومن عاونه على تلك الكتابة وانما ذلك الغلو في التعصب الديني و بغضه لمسلمي وطنه جعله يصعق من كل شيء يستفيدون منه في دينهم وان كان نافعا للبلاد المصرية

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها في هذه المسألة باعلامه ان اللغة العربية ليست خاصة بالمسلمين وإنما هي مشتركة بينهم و بين غيرهم في نفس جزيرة العرب لا في مصر وحدها وقد كانت لغة لليهود والنصارى فيها قبل ظهور الاسلام وقد صارت بعده اللغة الطبيعية لجميع العراقيين والسوريين والمصريين وسائر القسم الشمالي من أفريقية وانه ليس في استطاعة صاحب جريدة الوطن وصاحب جريدة مصر القبطيتين ومن على رأيهما من المتعصبين نسخها واستبدال القبطية بها و إذا كان الامر كذلك وكان من البديهيات ان ارتقاء أمة بدون ارتقاء لغتها وآداب لغتها من المحال وكان يحب ارتقاء المصريين عامة في العلوم والفنون والمدنية كما يدعي فالواجب عليه أن يشكر للحكومة عملها في خدمة آداب لغتها ولغة أمتها الا أن يصعق عند علمه بذلك

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باعلامه بما قال منصفو علماء الافرنج في بيان فضل لغة العرب وآدابهم وحضارتهم كغوستاف لوبون صاحب كتاب مدنية العرب وسديو صاحب تاريخ العرب ودرابر وغيرهم، وقد سئل أحد علماء الانكليز : اذا أراد البشر أن يوحدوا لغتهم فأي اللغات تختار أن تكون لغة جميع البشر؟ قل اللغة العربية . وقد قال لي مرة مستر (منشل أنس) الانكليزي الذي كان وكيلا لنظارة المالية ماأظن انه يوجد في العربية شعر راق كالشعر الانكليزي

فقلت وأنا أظن العكس ولا عبرة برأيي ولا برأيك في ذلك فيجب أن نرجع الى العارف باللغتين، صاحب الذوق في الشعرين ، ثم لقيت مستر (بلنت) الكاتب الشاعر الانكليزي المشهور الذي نظم المعلقات السبع العربية بالانكليزية فذكرت له ذلك فقال قل (لمنشل أنس) ان العرب كانوا ينطقون بالحكمة في شعرهم عند ما كان الانكليز مثل الوحوش يطوفون في الغابات عراة الاجسام

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه ان الامم الحية تبحث عن الكتب القديمة في لغتها وكذا في لغة غيرها لاجل الوقوف على سير العلوم والفنون والآداب فيها توسعا في التاريخ وتحقيقا لمسائله ولا سيما اذا كانت كتب تلك اللغات من حلقات سلسلة المدنية والحضارة كاللغة العربية التي هي الحلقة الموصلة بين المدنية الاوربية الحاضرة والمدنيات القديمة باجماع العارفين

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باعلامه بما في الكتب العربية من الآداب والفضائل ولو بالاجمال، و بوجه حاجة الامة التي تسير في طريق الارتقاء من معرفة تاريخ لغتها وآثار سلفها فيه، و بأن تكونها من شعوب كثيرة لهم سلف آخرون في النسب والدين أو المدنية لاينافي حاجتها الى احياء آثار سلفها في اللغة لان رابطة اللغة هي التي تربط هذه الشعوب بعضهم ببعض وتجعل ارتقاءهم بها وحياتهم العامة بحياتها

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه أن البشر متشابهون في الصفات والاعراض البشرية وان ذلك خيره وشره يظهر في لغاتهم فاذا كانت عين التعصب أرته في بعض الكتب العربية طعنا من مسلم في دين النصارى فليعلم أن في الكتب العربية القديمة والحديثة طعنا من النصارى في الاسلام مثل ذلك أو أشد اذا كان قد عمي عما يكتبه هو وغيره من قومه في هذا العصر من الطعن في الاسلام وحسبه منه العبارة التي نقلناها آنفا التي جعل فيها دين العرب وآدابهم من الاقذار التي قاءها في جريدته ، و يوجد في كتب الافرنج من الطعن في الدين الاسلامي والمسلمين ماهو أشد من ذلك وأقبح وكله بهتان لم يخطر على بال أحد من أجهل جهلاء المسلمين بالاسلام . واذا كان قد رأى أو سمع أن في بعض الكتب العربية مجونا فليسأل المطلعين على اللغات الاوربية يخبروه أن في بعضها من فنون المجون ما لم يكن

يخطر على بال أحد من العرب ولا يجري على لسانه ولا على قلمه ؛ وهل امتلأت الدنيا بفواحش بقايا أوربة وبقيت لغاتهم منزهة عن التعبير عن ذلك ؟؟

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه أن طبع الحكومة لبعض الكتب العربية لاتقصد أن تستغني به عما تستفيده من الافرنج مما لا بدلنا منه من الفنون الصناعية والزراعية والاقتصادية ولا أن تبطل به نظام التعليم في المدارس فتعلم تلاميذها الجغرافية القديمة بدلا من الجغرافية الحديثة (مثلا) بل لا نظن أن هذا مما يخفى عليه

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باطلاعه على نظام التعليم في مدارس الحكومة التي يدعي أنها تريد قتل الامة بجهالات العرب ... وإخباره بأن نظارة المعارف قد أنشأت قلما جديدا لترجمة الكتب المفيدة فهي اذا التفتت الى ترقية لغتها بأحياء تاريخها الماضي لفتة واحدة فقد نظرت الى ترقيتها بادخال العلوم الاوربية فيها قبل ذلك وكل مدارسها شاهدة على ذلك ، وانما قلم الترجمة الجديد حسنة من حسنات الناظر الجديد أحمد حشمت باشا

ليست علة صاحب جريدة الوطن هي الجهل فنداويها بما ذكرنا وما لم نذكر من العلم الصحيح فان الجهل وحده لا يستطيع الى أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هي الغلو في التعصب القبطي وكراهة كل شيء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم ولم يضرهم وقد بلغني وأنا في الاستانة ان التعصب قد لج به وبزميله صاحب جريدة مصر في هذا العام حتى أنكر ذلك عليهما قومهما وهذه العلة لا علاج لها ولا دواء ولكن يمكن تخفيف أعراضها بحكمة الحكومة وعدلها أو باظهار جمهور القبط السخط عليها إن كانوا يفعلون

✩ ✩ ✩

نشرنا هذه المقالة في المؤيد ثم ان الحكومة أنذرت صاحب جريدة الوطن بهذا الذنب وكان قد أنذر من قبل فاذا أتى بعد هذا بأي ذنب يعاقب عليه القانون تقفل جريدته . وأما القبط فقد ظهر من جمهور كبير منهم انهم راضون من وقاحة جريدة الوطن وتهجمها ولذلك ساعدتها جريدتهم الثانية (مصر) على ذلك ، وأيدتهما جريدة (الاخبار) أيضا ، والظاهر ان القوم يريدون بهذا التهجم الذي لا يمقر له سبب احداث فتنة بين المسلمين والقبط ويظنون ان ذلك يكون سبب البطشة الكبرى من انكلترا فلا تبقي للمسلمين في هذه الحكومة باقية

الدين والالحاد والاشتراكية

﴿ نصر المقتطف الايمان على التعطيل ﴾

يظن الكثيرون ان صاحبي مجلة المقتطف من الملاحدة المعطلين وكنت أنا أظن ذلك حتى اتفق من بضع سنين ان جرت بيننا مناظرة خاصة جر اليها الكلام العادي وكنت أنا الموجب المثبت بالطبع وكان آخر قولي المقبول فيها وصفوته أن هذه الكائنات في جملتها حادثة لم يكن شيء منها كما نعرفه الآن وفيها من الابداع والنظام ما يستحيل ان يكون حصل بالمصادفة أو يكون مصدره العدم المحض بل يجب عقلا ان يكون لهذا الابداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والارضية مصدر وجودي ولكن حقيقة هذا المبدع الموجد للنظام والحافظ له مجهولة فنحن نسميه (الله) فاذا اعترف الماديون بما قلناه وسموا ذلك المبدع (المادة) فالاختلاف انما يكون بالتسمية والالفاظ، الخ

مادار بيننا يومئذ ووافقني فيه مناظري أو محدثي على اثبات وجود الباريء عز وجل، وان من كفر من علماء أوربا باله الكنيسة لا يمكنه ان يكفر باله الطبيعة، واعني باله الكنيسة الموصوف بما تصفه به من الاقانيم والصفات ،وكنت أقول في نفسي بعد ذلك هل الدكتور يعقوب صروف مادي حقيقة وهل كانت مناظرته لي استرسالا في هذا البحث العلمي أم انتصارا لاعتقاده أم اختبارا لي ؟

ذكرت في كتابي (الحكمة الشرعية) الذي كان أول شيء ألفته أو كتبته في المسائل العلمية الدينية والاجتماعية ان أجدر الناس بقوة الايمان بالله تعالى علماء الطبيعة الواقفون على مالا يعرفه غيرهم من علماء الدين بنظام الكون وآيات الله تعالى فيه وهم العلماء المشار اليهم في قوله تعالى (٣٥ : ٢٦ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ٢٧ ومن الناس

والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك، انما يخشى الله من عباده العلماء، ان الله عزيز غفور) فلا ريب ان المراد بالعلماء هنا العلماء بآياته تعالى وحكمه في نظام هذه الكائنات المذكورة في الآيات

ثم رأيت في فاتحة جزء المقتطف الذي صدر في هذا الشهر مقالة علمية لمحرر المقتطف يرد فيها على أحد المعطلين الاشتراكيين ويستدل على وجوده تعالى بآياته في خلقه على طريقة القرآن لا على طريقة المتكلمين النظرية وبشرح هذه الآيات شرحا علميا على طريقة علماء الكون في هذا العصر، وقد أشار في هذه المقالة الى سبب كتابتها وهو مانشره بعض المعطلين في باب المراسلة والمناظرة منه

راجعنا باب المناظرة فرأينا فيه رسالة بامضاء (سلامه موسى) يرتأي فيها أن الحكومة المصرية لا يصلح حالها الا بالسير على مذهب الاشتراكيين الذي عنوانه (لا رب ولا سيد) أي لا دين ولا سلطة، وقال الكاتب في رسالته ما نصه «ما هي اعتراضاتكم على الاشتراكية وعلى الالحاد؟ ماتت بالأمس زوجة لصديق اشتراكي لي فشيعناها الى القبر بلا صلاة وكان على عربة المائتة علم كبير مكتوب عليه بحروف واضحة يكاد يقرأها الأعمى «لا رب ولا سيد» ولم أر العالم اختل بذلك ولا الطريق تغيرت ولا الله ظهر ليثبت وجوده»

وقد علق المقتطف على هذه الرسالة تعليقا وجيزا ثم أيده بتلك المقالة فرأينا أن ننقل في المنار كل ما كتبه تذكيرا للعالم وعبرة للمقلدين في الكفر الذين يقولون لو كان أصل الدين حقا لما انكر وجود الله تعالى العلماء العارفون بنظام الكائنات، وقد كثر عندنا هؤلاء المقلدون الذين قال في مثلهم الشاعر العربي

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليدا

وقد رأينا أن ننقل ما كتبه المقتطف في التعليق على رسالة ذلك الملحد أولا ثم ننقل مقالته التي أيد فيها الايمان، ثم نعقب ببعض ما كنا كتبناه في العام الماضي في مسألة من المسائل التي ألمها المقتطف وهي حال المتدينين في الفضيلة وكون العمران مبنيا على أساس الدين والكفر داعية الفساد والخراب وهذا نص تعليقه على الرسالة

(المقتطف) نشرنا هذه الرسالة على جاري عادتنا من نشر رسائل المراسلين

ومناظرات المناظرين ولو كانت على غير رأينا. والغرض من نشرها إطلاع القراء على كيفية نظر الاشتراكيين في المسائل الاجتماعية ولا شبهة ان في الاجتماع البشري مساوئ كثيرة يجب نزعها وأمراضا مزمنة يجب علاجها وان الاشتراكية أفادت فائدة كبيرة في التنبيه الى هذه المساوئ وهذه الامراض ولكن سير العمران لم يتوقف على الاشتراكية والمصلحون الذين لهم اليد الطولى في اصلاح حال المجتمع لم يتبعوا خطة واحدة وطريقة مقررة فبعضهم أفاد المجتمع بنشر المبادئ الادبية وبعضهم أفاده بنشر المبادئ الدينية وبعضهم بالثورة على المستبدين. ولا تفلح طريقة من الطرق ما لم تتهيأ وسائلها وتستعد الامم لها والا كانت كالضرب في الحديد البارد. وعلمنا واختبارنا يدلاننا على أن الامة المصرية سائرة في الطريق الذي يمكن سيره في هذا القطر للبلوغ الى نزع المساوئ القديمة. قلنا الامة المصرية ولم نقل الحكومة المصرية لأن الحكومة جزء من الامة والموظفون الاجانب الذين فيها من الانكليز وغيرهم لا يقلون عن الوطنيين اهتماما باصلاح البلاد. والاصلاح المالي مقدم على الاصلاح العلمي دائما كما يشهد تاريخ الاجتماع فلم يخطئ لورد كرومر في سياسته المالية أي تقديم الاصلاح المالي على الاصلاح العلمي لان الانسان اذا أصلح ماله سهل عليه بعد ذلك تعليم أولاده والافلا. والحكومة الغنية يسهل عليها انشاء المدارس ونشر التعليم وأما الحكومة الفقيرة فيصعب عليها ذلك أو يتعذر

والتعطيل أي انكار وجود الله ونسبة الانسان اليه من مقوضات دعائم العمران ولا عبرة بثبوت العمران الآن بين الاقوام الذين شاع التعطيل عندهم لانهم تربوا تربية دينية فرسخ في نفوسهم عمل الواجب وكراهة الكذب والاعتداء على الغير ونحو ذلك من الشرور ولكن اذا نزع مبدأ الحلال والحرام الديني تعذر وضع مبدإ آخر يقوم مقامه ويرسخ رسوخه ولذلك يوجس المفكرون شرا مما ستصير اليه حال أوربا وأميركا في أواخر هذا القرن اذا انتشر التعطيل فيهما. هذا فضلا عن ان التعطيل غير معقول لذاته ففرضه خطأ علميا كما هو ضرر اجتماعيا والمجاهرة به تفضي الى اكبر المضار على نوع الانسان» اه

وهذه مقالته الافتتاحية:

آياته في خلقه

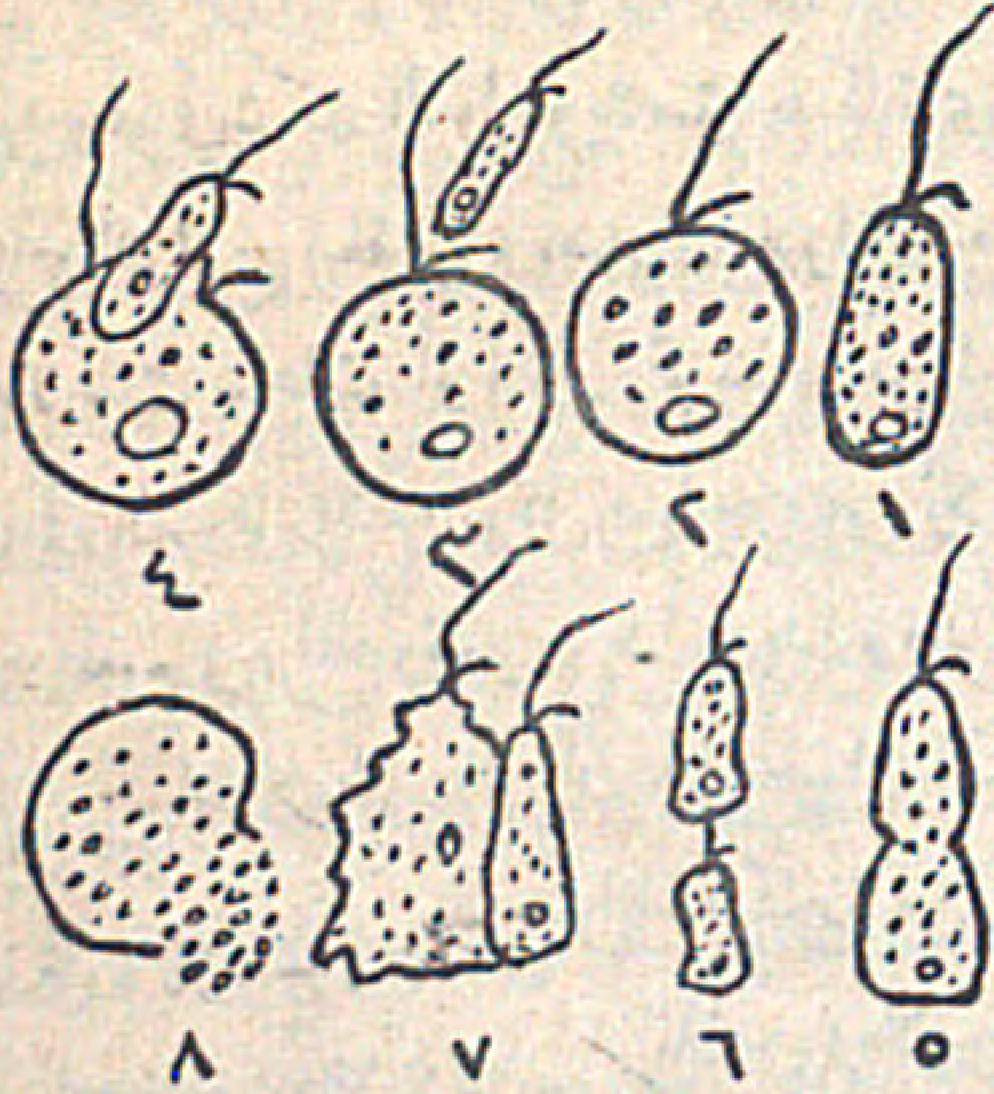
في باب المراسلة في هذا الجزء رسالة لكاتب يرى ان التعطيل أي انكار وجود الخالق لايضر أحدا . ونحن نرى انه يأتي بأكبر المضار ولكن هب انه لايضر فهل هو معقول ؟

في إدارة المقتطف مطبعة أو آلة طباعة يديرها سير من الجلد تحركه الكهربائية فتسحب الورق من لفتين كبيرتين وتمرّه فوق حروف الطباعة بعد ان تحبرها وتطبعه من وجهيه وتقص منه صفحتين بعد صفحتين وتضم إحداهما داخل الاخرى وتلصقها بها وتطويهما طولا وعرضا أربع طيات فيخرج المقطم منهما مطبوعا مقصوصا ملصوقا مطويا . وهي تطبع كذلك اثني عشر الف نسخة في الساعة وتقصها وتلصقها وتطويها وتعدها تفعل ذلك كله من غير ان تساعدها يد أو يرشدها عقل . ولكن لقد اشتغلت عقول مئات من العلماء وعملت أيادي الوف من العمال مدة سنين كثيرة الى ان صارت هذه الآلة تعمل هذا العمل . وحتى الآن لايخرج منها عدد واحد من المقطم مطبوعا الا بعد ان تشتغل العقول وتعمل الايادي في بلدان كثيرة في عمل الورق والحبر واستخراج الفحم الحجري وتوليد الكهربائية ناهيك بما يلزم للآلات الكهربائية من المواد والعمال وبما لزم لسبك الحديد والنحاس والرصاص والنيكل ونحو ذلك من المعادن التي دخلت في عمل آلة الطباعة وعمل الحروف وعمل الآلات الكهربائية . ولو احصينا جميع الذين اشتغلوا في عمل كل مايلزم لطبع جزء واحد من المقطم لبلغ عددهم ألوفا وعشرات الالوف . فمن يقول ان المطبعة تطبع الجريدة لذاتها وينكر كل ماوراءها من العقول يخالف كل معقول .

يزرع القمح في هذا القطر في نحو مليون وربع مليون من الافدنة ومساحة الفدان أربعة آلاف ومئتي متر مربع ولا يقل عدد السنابل في المتر المربع من مئتي سنبلة . فعدد السنابل كلها التي تنبت كل سنة في القطر المصري وحده لايقل عن مليون مليون سنبلة أي أكثر من عدد كل سكان الارض ست مئة ضعف . وفي

كل سنبلة بل في كل حبة من حبوبها من الدقة في التركيب والحكمة في الوضع والصفات الموروثة والمكتسبة والاستعداد للنمو والتوليد مالايوجد عشر معشاره في آلة الطباعة المشار اليها آنفا . فمن يستطيع ان ينكر وجود العقل الموجد لها والمتولي شئونها ولو بايجاد القوى التي تحرك كل دقيقة من دقائقها وكل ذرة من ذراتها

واذا استنرت بنور الكيمياء وحللت دقائق حبة القمح رأيت ان كل دقيقة منها مؤلفة من ملايين وملايين الملايين من الذرات الصغيرة وكلها متحركة ولاتحرك اجزاء آلة الطباعة وفيها من الصفات والخواص مايميز القمح الصعيدي عن البحيري والهندي عن البلدي . ثم اذا علمت ان مايزرع من القمح في هذا القطر ليس جزءا من مئة مما يزرع في الارض كلها ولا جزءا من مئة الف جزء مما ينمو من سائر الحبوب والبزور رأيت ان عالم النبات وحده يذهل العقول حتى لاترى لها مندوحة عن الاعتراف بالقوة الخالقة المدبرة



وعالم الحيوان لايقل عن عالم النبات في غرائبه . ترى في هذا الرسم حيوانا من اصغر الحيوانات الدنيا السابحة في الماء طوله جزء من ثلاثة آلاف جزء من العقدة أي لو جمع ثلاثة آلاف حيوان منه ونظمت طولا في سطر واحد مابلغ طولها أكثر من عقدة (بوصه) فلايرى الا بالميكرسكوب (المجهر) وراقب بعضهم هذا الحيوان في العام الماضي ودرس طبائعه وكتب عنه يقول :- رأيته أولا كما في الشكل الاول مستطيلا وله ذنب دقيق طويل وعند مفرز هذا الذنب في بدنه ذنب آخر غليظ قصير فيسبح في الماء بتحريك هذين الذنبين وبعد ان يسبح مدة تختلف من بضع دقائق الى بضع ساعات يسكن و يصير كرويا كما ترى في الشكل الثاني ويبقى ذنبه الطويل متحركا متمعجا كالافعي وحركته تجعل أمواجا في الماء تندفع

اليه بما فيها من الميكروبات . وحينما تدنو هذه الميكروبات منه ينحني عليها ذنبه الطويل وتنفتح لها فتحة بين الذنبين فتبتلعها . على هذه الصورة يلتقم هذا الحيوان غذاءه وقد يلتقم حيوانات صغيرة من نوعه كما ترى في الشكل الثالث والرابع فهو من الحيوانات المفترسة على صغر جسمه وحقارة قدره . وقد التقم واحد امامي خمس حيوانات صغيرة من نوعه في تسع ساعات وقبض على ثلاثة أخرى ليبتلعها لكنها تملصت منه وهربت بعد ان كاد يفترسها . وفي باطنه سائل حامض يهضم ما يفترسه كما تهضم معدنا الطعام ثم يسكن مدة بعد ما يغتذي الغذاء الكافي ويعود جسمه مستطيلا كما كان اولا وتكثر المادة الحبيبية فيه ويحدث له حينئذ امر من امرين إما ان يستدق من وسطه كما ترى في الشكل الخامس ثم ينقسم الى حيوانين مستقلين كما ترى في الشكل السادس كل منهما مثل الحيوان الاول وإما أن يتغير شكله وتضعف حركته ويأتي حيوان آخر يشبهه وهو في شكله الاول ويلتصق به كما ترى في الشكل السابع فيمتزج الحيوانان امتزاج التزاوج الحقيقي ويصيران حيوانا واحدا كرويا فيزول ذنباه ويسكن مدة طويلة ست ساعات أو اكثر ثم ينفجر من احد جوانبه وتخرج البزور منه كما ترى في الشكل الثامن وكل منها جزء من ثلاثين ألف جزء من العقدة . وهذه البزور تعوم في الماء وتنمو رويدا رويدا وبعد نحو ساعتين يتولد لكل منها ذنبان ويصير حيوانا كاملا . أي ان هذا الحيوان الذي لا يرى بالعين لصغره يولد ويتحرك ويتغذى ويتزوج ويلد حيوانات كثيرة من نوعه إما بالانقسام وإما بالولادة

وكم في مياه الارض من الملايين وملايين الملايين من مثله ؟ وكم في هوائها وترابها من مثل ذلك ؟ وكل حيوان منها يولد ويسعى ويأكل ويتغذى ويتزوج ويلد وفي بنيته من الاعضاء والآلات ما يفوق آلة الطباعة المشار اليها آنفا إتقانا واحكاما عدا ما فيها من ذرات العقل المدبر والاعصاب التي تشعر وتدبر حركات الحيوانات وتكيفها حسب الاحوال التي تعرض لها حتى تهاجم وتدافع وتفترس وتهضم وتتغذى وتتزاوج وتتوالد

وماهي هذه الحيوانات الميكروسكوبية بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة بالنسبة الى الاسماك والطيور والزحافات والى الحيوانات العليا كالهر والاسد والفرس والفيل

بل بالنسبة الى الانسان سيد المخلوقات في هذه الارض ؟ فهل يعقل ان ليس في الكون قوة خالقة مدبرة أوجدت هذه الكائنات أو أوجدت القوى التي توجدها وتدبرها وتدير حركاتها ؟ ؟

هذه هي بعض الآيات البينات التي لا يخفى عقل الانسان عنها وعن ماتدل عليه الا اذا تكلف الاغضاء تكلفا أو كان خاملا لا يفكر ولا يقيس ولا يستنتج اه

* *

(المنار) رأينا ان نعيد هنا ما كنا كتبناه في قوله تعالى «تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار» في معنى ماجاء في تعليق المقتطف عن ضرر الكفر وافساده للعمران ، وبيان ان الايمان بالله تعالى لا يكفي لحفظ العمران من افساد الكفر حتى يضم اليه الايمان بالوحي والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو

الاستاذ الامام : طاعة الرسول هي طاعة الله بعينها لانه انما يأمرنا بما يوحيه اليه الله من مصالحنا التي فيها سعادتنا في الدنيا والآخرة وانما يذكر الرسول مع طاعة الله لان من الناس من كانوا يعتقدون قبل اليهودية وبعدها وكذلك بعد الاسلام الى اليوم ان الانسان يمكن أن يستغني بعقله وعلمه عن الوحي ، يقول أحدهم انني أعتقد أن للعالم صانعا عليما حكيما وأعمل بعد ذلك بما يصل اليه عقلي من الخير واجتناب الشر وهذا خطأ من الانسان ولو صح ذلك لما كان في حاجة الى الرسل وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة ان الانسان محتاج بطبيعته النوعية الى هداية الدين وانها هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للانسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيا لهداية أمة من أممه ومرقيا له بدون معونة الدين

أقول يرد على هذا من جانب المرتابين والملاحدة : انا نرى كثيرا من أفراد الناس لا يدينون بدين وهم في درجة عالية من الافكار والآداب وحسن الاعمال التي تنفعهم وتنفع الناس حتى ان العاقل المجرد عن التعصب الديني يتمنى لو كان الناس كلهم مثله بل يسعى كثير من الفلاسفة لجعل الامم مثل هؤلاء الافراد في آدابهم وارتقائهم . وأجيب عن هذا (أولا) بأن الكلام في هداية الجماعات من البشر كالشعوب والقبائل والامم الذين يتحقق بارتقائهم معنى الانسانية في الحياة الاجتماعية سواء كانت بدوية أومدنية ، وقد علمنا التاريخ انه لم تقم مدنية في الارض من المدنيات

التي وعاها وعرفها إلا على أساس الدين حتى مدنيات الامم الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين ، وعلمنا القرآن انه مامن أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من الله عز وجل لهدايتها فنحن بهذا نرى ان تلك الديانات الوثنية كان لها أصل الهي ثم سرت الوثنية الى أهلها حتى غلبت على أصلها كما سرت الى من بعدهم من أهل الديانات التي بقي أصلها كله أو بعضه على سبيل القطع أو على سبيل الظن . وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما الا الديانة الاسلامية وهو مع ذلك قد دون في أسفاره كيفية سريان الوثنية الجلية أو الخفية الى كثير من المنتسبين اليها كالنصيرية وسائر الباطنية وغيرهم ممن غلب عليهم التأويل أو الجهل حتى أنه يوجد في هذا العصر من المنتسبين الى الاسلام من لايعرفون من أحكامه الظاهرة غير قليل مما يخالفون به جيرانهم كجواز أكل لحم البقر في الاطراف الشاسعة من الهند وكيفية الزواج ودفن الموتى في بعض بلاد روسيا وغيرها !! فمن علم هذا لايستبعد تحول الديانات الالهية القديمة الى الوثنية

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية لان الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المادي وهانحن أولاء نقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين في هذا العصر (هربرت سبنسر) ان آداب الامم وفضائلها التي هي قوام مدنيتها مستندة كلها الى الدين وقائمة على أساسه وان بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين و بناءها على أساس العلم والعقل وان الامم التي يجري فيها هذا التحويل لا بد ان تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لانعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها . هذا معنى كلامه في بعض كتبه وقد قال هو للاستاذ الامام في حديث له معه: ان الفضيلة قد اعتلت في الامة الانكليزية وضعفت في هذه السنين الاخيرة من حيث قوي فيها الطمع المادي . ونحن نعلم أن الامة الانكليزية من أشد أمم أوربا تمسكا بالدين مع كون مدنيتها أثبت وتقدمها أعم لأن الدين قوام المدنية بما فيه من روح الفضائل والآداب على أن المدنية الاوربية بعيدة عن روح الديانة المسيحية وهو الزهد في المال والسلطان وزينة الدنيا ، فلولا غلبة بعض آداب الانجيل على تلك الامم لا سرفوا في مدنيتهم المادية اسرافا غير مقترن بشيء من البر وعمل الخير واذاً لبادت

مدنيتهم سريعا . ومن يقل انه سيكون أبعدها عن الدين أقربها الى السقوط والهلاك لايكون مفتاتا في الحكم ولا بعيدا عن قواعد علم الاجتماع فيه ـ فحاصل هذا الجواب الاول عن ذلك الايراد أن وجود أفراد من الفضلاء غير المتدينين لاينقض ماقاله الاستاذ الامام من كون الدين هو الهداية الرابعة لنوع الانسان التي تسوقه الى كماله المدني في الدنيا كما تسوقه الى سعادة الآخرة

وثانيا انه لايمكن الجزم بأن فلانا الملحد الذي تراه عالي الافكار والآداب قد نشأ على الالحاد وتربى عليه من صغره حتى يقال انه قد استغنى في ذلك عن الدين لاننا لانعرف أمة من الامم تربي أولادها على الالحاد واننا نعرف بعض هؤلاء الملحدين الذين يعدون في مقدمة المرتقين بين قومهم ونعلم أنهم كانوا في نشأتهم الاولى من أشد الناس تدينا واتباعا لآداب دينهم وفضائله ثم طرأ عليهم الالحاد في الكبر بعد الخوض في الفلسفة التي تناقض بعض أصول ذلك الدين الذي نشأوا عليه ، والفلسفة قد تغير بعض عقائد الانسان وآرائه ولكن لايوجد فيها مايقبح له الفضائل والآداب الدينية ، أو يذهب بملكاته واخلاقه الراسخة كلها، وانما يسطو الالحاد على بعض آداب الدين كالقناعة بالمال الحلال فيزين لصاحبه ان يستكثر من المال ولو من الحرام كأكل حقوق الناس والقمار بشرط ان يتقي مايجعله حقيرا بين من يعيش معهم أو يلقيه في السجن وكالعفة في الشهوات فيبيح له من الفواحش مالايخل بالشرط المذكور آنفا هذا اذا كان راقيا في أفكاره وآدابه ، وأما غير الراقين منهم فهم الذين لايصدهم عن الفساد في الارض واهلاك الحرث والنسل الا القوة القاهرة ولولا أن دول أوربا قد نظمت فرق المحافظين على الحقوق من الشحنة والشرطة (البوليس والضابطة) أتم تنظيم وجعلت الجيوش المنظمة عونا لها عند الحاجة لما حفظ لأحد عندها عرض ولا مال ، ولعمت بلادها الفوضى والاختلال ، ولقد كانت الحقوق والاعراض محفوظة في الامم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيام كان الدين مرعيا في الآداب والاحكام ـ فتبين بهذا ان طاعة الله ورسله لابد منها للسعادة الدنيا ، على ان السياق هنا قد جاء لما يتعلق بالسعادة الدائمة في الحياة الاخرى

الباطنية (*)

﴿ وآخر فرقهم البابية البهائية ﴾

وقد اختلف المتكلمون في بيان اغراض الباطنية في دعوتها الى بدعتها فذهب اكثرهم الى ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الاول ميمون بن ديصان كان مجوسيا من سبي الاهواز . ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين أبيه واستدلوا أيضا بأن داعيهم المعروف بالبزدهي قال في كتابه المعروف بالمحصول ان المبدع الاول أبدع النفس . ثم ان الاول مدبر العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاربع وهذا في التحقيق معنى قول المجوس ان أليزدان خلق اهرمن وانه مع اهرمن مدبران للعالم، غير ان أليزدان فاعل الخيرات وأهرمن فاعل الشرور . ومنهم من نسب الباطنية الى الصابئين الذين هم بحران واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرانية واستدل أيضا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها الا لمن كان منهم . والباطنية أيضا لايظهرون دينهم الالمن كان منهم بعد احلافهم اياه على أن لايذكر اسرارهم لغيرهم .

قال عبدالقاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع . والدليل على انهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الاكيد والناموس الاعظم وهي رسالة عبد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي أوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون

(*) تابع لما نشر في الجزء السابق (ص ٨٤٠) نقلا عن كتاب الفرق بين الفرق

اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الغطاء . واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا وإياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء (كذا) وعلى القول بقدم العالم لو مايخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبرا لا يعرفه . وذكر في هذا الكتاب القول بالميعاد والعقاب وذكر فيه أن الجنة نعيم الدنيا وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد وقال أيضا في هذه الرسالة : ان أهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلاجسم . وقال فيها أيضا : اكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم . وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية الى الدهرية .

والذي يؤكد هذا ان المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول الوحي عليه من عند الله تعالى والصابئين يدعون نبوة هرس وواليس ودورو تيوس وافلاطون وجماعة من الفلاسفة . وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون ان ذلك الوحي شامل للامر والنهي والخبر عن عاقبة الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيها الجزاء عن الاعمال السالفة : والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والامر بالنهي بل ينكرون أن يكون في السماء ملك وانما يتأولون الملائكة عن دعاتهم الى بدعتهم ويتأولون الشياطين على مخالفيهم والابالسة على مخالفيهم . ويزعمون أن الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة والامامة . وكل واحد منهم صاحب دور مسبع اذا انقضى دوره سبعة تبعه في دور آخر واذا ذكروا النبي والوحي قالوا النبي هو الناطق والوحي أساسه الفاتق والى الفاتق تأويل نطق الناطق على ما تراه يميل اليه هواه فمن صار تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة ، ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا ان معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادمان خدمته . والمراد بالصوم الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام ، والزنا عندهم افشاء سرهم بغير عهد وميثاق . وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك

قوله تعالى «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» وحملوا اليقين على معرفة التأويل. وقد قال القيرواني في رسالته الى سليمان بن الحسن : اني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم الى إبطال الشرائع والى إبطال المعاد والنشور من القبور وإبطال الملائكة في السماء وإبطال الجن في الارض وأوصيك بأن تدعوهم الى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم

وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية انهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع ويدل على دعوانا عليهم بالقول بابطال الشرائع وأن القيرواني قال ايضا في رسالته الى سليمان بن الحسن : وينبغي أن تحيط علما بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم في قولهم كعيسى بن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الاحد بدلا من السبت وأباح العمل في السبت وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتله البلاد لما اختلفت كلمته . ثم قال له : ولا تكن كصاحب الامة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال : «الروح من أمر ربي» (١) لما لم يحضره جواب المسألة . ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق في زمانه عنده برهانا قال له : «لئن اتخذت إلهاً غيري» . وقال لقومه : «أنا ربكم الاعلى» لانه كان صاحب الزمان في وقته . ثم قال في آخر رسالته :

وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي . ولو عقل الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبي ما وجه ذلك الا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله «لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى» (٢) فكان أمره معهم

---

(١) الروح هنا ملك ذكر في القرآن أو الوحي ولا يمكن الجواب عنه بغير هذا
(٢) مطالبتهم بالمودة في القربى أي الاقربين من أولي ارحامه (ص) لا يقتضي جعلهم عبيداً وخولا لهم فكيف والظاهر انه اراد اقاربهم وارحامهم والاستثناء منقطع قطعاً .

نقد وأمرهم معه نسيئة . وقد استعجل منهم بدل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة : وأنت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئا لكم مانلتم من الراحة عن أمرهم . وفي هذا الذي ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات

ثم أن الباطنية لهم في اصطياد الاغنام ودعوتهم الى بدعتهم حيل على مراتب يسمونها التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالايمان والعهود وآخرها الخلع والسلخ . فأما التفرس فانهم قالوا : من شرط الداعي الى بدعتهم أن يكون قويا على التلبيس وعارفا بوجوه تأويل الظواهر ليردها الى الباطن ويكون مع ذلك مميزا بين من يجوز أن يطمع فيه وفي اغوائه وبين من لا مطمع فيه . ولهذا قالوا في وصاياهم للدعاة الى بدعتهم لا تتكلموا في بيت فيه سراج يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس . وقالوا أيضا لدعاتهم : لا تطرحوا بزركم في أرض سبخة : وأرادوا بذلك منع دعاتهم عن اظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الارض السبخة شيئا . وسموا قلوب أتباعهم الأغنام أرضا زاكية لانها تقبل بدعتهم . وهذا المثل بالعكس أولى وذلك أن القلوب الزاكية هي القابلة للدين القويم والصراط المستقيم وهي التي لا تصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الابريز الذي لا يصدأ في الماء ولا يبلى في التراب ولا ينقص في النار . والارض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يزجرهم عقل، ولا يردعهم شرع ، فهم أرجاس أنجاس «أموات غير أحياء» «ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلا» وأقل حويلا قد قسم لهم الحظ من الرزق من قسم رزق الخنازير في مراعيها ، وأباح طعمة العنب في براريها ، «لا يسئل عما يفعل وهم يسألون»

وقالوا أيضا: من شرط الداعي الى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التي تدعى الانصاف.

فليست دعوة الانصاف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه الى مذهب الباطن . فمن رآه الداعي مائلا الى العبادات حمله على الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها . ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له : العبادة بله وحماقة وان الفطنة في نيل اللذات وتمثل له بقول الشاعر

من راقب الناس مات هما ... وفاز باللذة الجسور

ومن رآه شاكا في دينه أو في المعاد والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه الى قول الشاعر الماجن

أأترك لذة الصهباء صرفا ... لما وعدوه من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم نشر ... حديث خرافة يا أم عمرو

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبائية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية لم يحتج معه الى تأويل الآيات والاخبار لانهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم .
ومن رآه من الرافضة زيديا أو إماميا مائلا الى الطعن في أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بني تيم لان أبا بكر منهم و بغض بني عدي لان عمر بن الخطاب كان منهم وحثه على بغض بني أمية لانه كان منهم عثمان ومعاوية وربما استروح الباطني في عصرنا هذا الى قول اسماعيل بن عباد

دخول النار في حب الوصي ... وفي تفضيل أولاد النبي
أحب الي من جنات عدن ... أخلدها بتيم أو عدي

قال عبد القاهر قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه :

اتطمع في دخول جنان عدن ... وأنت عدو تيم أو عدي
وهم تركوك أشقى من ثمود ... وكم تركوك أفضح من دعي
وفي نار الجحيم غدا ستصلى ... اذا عاداك صديق النبي

ومن رآه الداعي مائلا الى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال لهما حظ في تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبي أبا بكر الى الغار ثم الى المدينة وأفضى اليه في الغار تأويل شريعته . فاذا سأله الموالي لابي بكر وعمر عن التأويل المذكور لابي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتمان ما يظهره له . ثم ذكر له على التدريج بعض

التأويلات فان قبلها منه اظهر له الباقي وان لم يقبل منه التأويل الاول ربطه في الباقي وكتمه عنه وشك الغر من أجل ذلك في أركان الشريعة .
والذي يروج مذهب الباطنية أصناف . أحدها العامة الذين قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والاكراد وأولاد المجوس . والصنف الثاني الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم . والصنف الثالث اغنام بني ربيعة من أجل غضبهم على مضر لخروج النبي منهم . ولهذا قال عبد الله بن حازم السلمي في خطبته بخراسان : ان ربيعة لم تزل غضابا على الله مذ بعث نبيه من مضر . ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا في أن يكون في بني ربيعة نبي كما كان من بني مضر . فاذا استأنس الاعجمي الغر أو الربيعي الحاسد المطن بقول الباطني قومك أحق بالملك من مضر سأله عن السبب في عود الملك الى قومه فاذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية لها نهاية وقددنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك اليكم . ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الاسلام على التدريج . فاذا قبل منه ذلك صار ملحدا خرسا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات . فهذا بيان التفرس منهم
ودرجة (التانيس) قريبة من درجة التفرس عندهم وهي تزيين ماعليه الانسان من مذهبه في عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ماهو عليه وتشكيكه إياه في أصول دينه فاذا سأله المدعو عن ذلك قال :علم ذلك عند الامام ووصل بذلك منه الى درجة التشكيك حتى صار المدعو الى اعتقاده ان المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات
(والربط) عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة. فاما ان يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول الى رفعها وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها.
ودرجة (التدليس) منهم قولهم للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال: ان الظواهر عذاب و باطنها فيه الرحمة وذكر له قوله في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فاذا سألهم الغر عن تأويل باطن الباب قالوا :جرت سنة الله تعالى في أخذ العهد والميثاق على رسله . ولذلك قال «وإذ أخذنا من النبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » وذكر له قوله « ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » فاذا حلف الغر لهم بالايمان المغلظة و بالطلاق والعتق و بتسبيل الاموال فقد ربطوه بها وذكروا له من تأويل الظواهر مايؤدي الى رفعها بزعمهم . فان قبل الاحمق ذلك منهم دخل في دين الزنادقة باطنا واستتر بالاسلام ظاهرا . وإن نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم لانه قد حلف لهم على كتمان ما أظهروه له من أسرارهم . واذا قبلها فقد حلفوه وسلخوه عن دين الاسلام وقالوا له حينئذ : ان الظاهر كالقشر والباطن كاللب واللب خير من القشر . قال عبدالقاهر :

حكى له بعض من كان دخل في دعوة الباطنية ثم وفقه الله تعالى لرشده وهداه الى حل ايمانهم انهم لما وثقوا منه بايمانه قالوا له : ان المسمين بالانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخاريق أحبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم . قال هذا الحاكي لي ثم ناقض الذي كشف لي هذا السر بأن قال له : ينبغي ان تعلم ان محمد بن اسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له « اني أنا ربك فاخلع نعليك » قال فقلت سخنت عينك تدعوني الى الكفر برب قديم خالق للعالم ؟ ثم تدعوني مع ذلك الى الاقرار بربوبية انسان مخلوق وتزعم انه كان قبل ولادته إلها مرسلا لموسى ؟ فان كان موسى كذابا فالذي زعمت انه أرسله أكذب . فقال لي انك لا تفلح أبدا وندم على افشاء أسراره الي وتبت من بدعتهم . فهذا بيان وجه حيلهم على اتباعهم

وأما أيمانهم فان داعيهم يقول للحالف : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق انك تستر ما تسمعه مني وماتعلمه من أمري ومن امر الامام الذي هو صاحب زمانك وامر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والاناث فلا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابة أو اشارة إلا ما أذن لك فيه الامام صاحب الزمان أو أذن لك في اظهاره المأذون له في دعوته فتعمل في ذلك حينئذ بمقدار مايؤذن لك فيه ، وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في حالتي الرضا والغضب والرغبة والرهبة قال نعم . فاذا قال نعم قال له : وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحهم نصحا ظاهرا وباطنا ، وأن لا تخون الامام وأولياءه وأهل دعوته في انفسهم ولا في أموالهم . وانك لا تتأول في هذه الايمان تأويلا ولا تعتقد مايحلها . وانك ان فعلت شيئا من ذلك فأنت بريء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى في كتبه . وانك ان خالفت شيئا مما ذكرناه لك فلله عليك ان تحج الى بيته مئة حجة ماشيا نذرا واجبا ، وكل ماتملكه في الوقت الذي انت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ، وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حرا ، وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقا منك ثلاث طلقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به . فاذا قال نعم قال له : كفى الله شهيدا بيننا وبينك

فاذا حلف الغر بهذه الايمان ظن انه لا يمكن حلها ، ولن يعلم الغر انه ليس لايمانهم عندهم مقدار ولا حرمة وانهم لا يرون فيها ولا في حلها اثما ولا كفارة ولا عارا ولا عقابا في الآخرة . وكيف يكون اليمين بالله وبكتبه ورسله عندهم حرمة وهم لا يقرون باله قديم بل لا يقرون بحدوث العالم ولا يثبتون كتابا منزلا من السماء ولا رسولا ينزل عليه الوحي من السماء . وكيف يكون لايمان المسلمين عندهم حرمة ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم انما هو زعيمهم الذي يدعون اليه ؟ . ومن مال منهم الى دين المجوس زعم ان الاله نور بازائه شيطان قد غلبه ونازعه في ملكه . وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقدارا ويسخرون بمن يحج ويعتمر ؟ . وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد ؟ فهذا بيان الايمان عندهم

فأما حكم الايمان عند المسلمين فانا نقول : كل يمين يحلف بها الحالف ابتداء بطوع نفسه فهو على نيته وكل يمين يحلف بها عند قاض أو سلطان يحلفه ينظر فيها فان كانت يمينا في دعوى لمدع شيئا على الحالف المنكر وكان المدعي

ظالما للمدعى عليه فيمين الحالف على نيته ، وان كان المدعي محقا والمنكر ظالما للمدعي فيمين المنكر على نية القاضي أو السلطان الذي أحلفه • ويكون الحالف حانثا في يمينه •

واذا صحت هذه المقدمة فالبحث عن دين الباطنية اذا قصد اظهار بدعتهم للناس أو أراد النقض عليهم معذور في يمينه ويكون يمينه على نيته • فاذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم تنعقد عليه أيمانه ولم يحنث فيها باظهاره أسرار الباطنية للناس ولم تطلق نساؤه ولا تعتق مماليكه ولا تلزمه صدقة بذلك • وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماما، ومن أظهر سره لم يظهر سر إمام وانما أظهر سر كافر زنديق • وقد جاء في الحديث المأثور « اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس » فهذا بيان حيلتهم على الاغمار بالايمان

فأما احتيالهم على الاغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة • وربما سألوهم عن مسائل في المحسوسات يوهمون ان فيها علوما لا يحيط بها الا زعيمهم • فمن مسائلهم قول الداعي منهم للغر : لمَ صار للانسان أذنان ولسان واحد ؟ ولم صار للرجل ذكر واحد وخصيتان ؟ ولم صارت الاعصاب متصلة بالكبد والشرايين متصلة بالقلب ؟ ولم صار الانسان مخصوصا بنبات الشعر على جفنه الأعلى والأسفل وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل ؟ ولم صار ثدي الانسان على صدره • وثدي البهائم على بطونها ؟ ولماذا لم يكن للفرس غدد (١) ولا كرش ولا كعب ؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يلد ولا يبيض ؟ وبماذا يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية ؟ ونحو هذا كثير يوهمون ان العلم بذلك عند زعيمهم •

ومن مسائلهم في القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقوله « الم » و« حم » و« طس » و« يس » و« طه » و« كهيعص » وربما قالوا ما معنى كل حرف من حروف الهجاء ؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها من النقط ، ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف ؟؟ وربما قالوا للغر : ما معنى قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية : » ولم

(١) الغدد جمع غدة وهي كل عقدة في الجسد أطاف بها شحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب

جعل الله أبواب الجنة ثمانية ، وأبواب النار سبعة ؟ وما معني « عليها تسعة عشر » ؟ وما فائدة هذا العدد ؟

وربما سألوا عن آيات وأوهموا فيها التناقض وزعموا انه لا يعرف تأويلها الا زعيمهم كقوله « فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان » مع قوله في موضع آخر « فوربك لنسألنهم أجمعين »

ومنها مسائلهم في أحكام الفقه كقولهم : لم صارت صلاة الصبح ركعتين والظهر أربعا والمغرب ثلاثا ، ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدتان ، ولم كان الوضوء على أربعة أعضاء والتيمم على عضوين ، ولم وجب الغسل من المني وهو عند أكثر المسلمين طاهر ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع ، ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ، ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزنا بالجلد ، وهلا قطع الفرج الذي به زنى في الزنا كما قطعت اليد التي بها سرق في السرقة ،

فاذا سمع الغر هذه الاسئلة ورجع اليهم في تأويلها قالوا له : علمها عند إمامنا وعند المأذون في كشف أسرارنا. فاذا تقرر عند الغر أن إمامهم أو مأذونه هو العالم بتأويله اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة . فاذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له : لو كان لنا إله قديم غني عن كل شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم ولا في طوافهم حول بيت من حجر ولا في سعي بين جبلين . فاذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحدا له وزنديقا .

قال عبدالقاهر : والكلام عليهم في مسائلهم التي يسألون عنها عند قصدهم الى تشكيك الاغمار في أصول الدين من وجهين (احدهما) ان يقال لهم : إنكم لاتخلون من أحد أمرين إما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعا قديما عالما حكيما يكون له تكليف عباده ماشاء كيف شاء وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفي الصانع . فان اعتقدتم قدم العالم ونفي الصانع فلامعنى لقولكم : لم فرض الله كذا ولم حرم كذا ولم خلق كذا ولم جعل كذا على مقدار كذا اذ لم تقروا بإله فرض شيئا

أوحرّمه أو خلق شيئاً أو قدره . ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية في حدوث العالم وان أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزتم له تكليف عباده ماشاء من الاعمال كان جواز ذلك جوابا لكم عن قولكم : لم فرض ولم حرم كذا لاقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه . وكذلك سؤالهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحدثها وان أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم : لم خلق الله ذلك ؟ مع انكارهم ان يكون لذلك صانع قديم .

والوجه الثاني من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان ان يقال لهم : كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك وقد ذكرته الاطباء والفلاسفة في كتبهم وصنف ارسطاطاليس في طبائع الحيوان كتابا. وماذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئاً الا مسروقا من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة، من العرب القحطانية والجرهمية والطسمية وسائر الاصناف الحميرية . وقد ذكرت العرب في أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن في زمانها باطني ولا زعيم للباطنية . وانما أخذ ارسطاطاليس الفرق بين مايلد وما يبيض من قول العرب في أمثالها كل شرقاء ولود وكل صكاء بيوض، ولهذا كان الخفاش من الطير ولودا لا بيوضا لان لها اذنا شرقاء وكل ذات اذن صكاء بيوض كالحية والضب . والطيور البائضة

(ثم ذكر هنا كلاما طويلا في طبائع الحيوان والنبات الذي عرفته العرب ثم ختم الكلام بقوله) :

فهذا وماجرى مجراه من خواص الحيوانات وغيرها قد عرفته العرب في جاهليتها بالتجارب من غير رجوع منها الى زعماء الباطنية . بل عرفوه قبل وجود الباطنية في الدنيا باحقاب كثيرة . وفي هذا بيان كذب الباطنية في دعواها ان زعماءها مخصوصون بمعرفة أسرار الاشياء وخواصها وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الاسلام بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك . انتهى

باب المراسلة والمناظرة

(الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية)(*)

٣

« لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير أميرها ولنعم الجيش جيشها »

حديث شريف

كان المرحوم عبد الرحمن الكواكبي وهو ذلك العالم الحر والمفكر الابي يشكو من حالة الدولة السابقة فارتياح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية هو عن حسن نية وبدون إنعام النظر السياسي وهو عن خبث طوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحهم . الف المرحوم كتابه « أم القرى » ولو أنعم نظره السياسي لرأى الضرر الذي يلحق العالم الاسلامي بوجه عام والشرق الادنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى . ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لايلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف الخصوصية بل ان جرأتهم فاقت حد التصور واللياقة اذ كانوا لايعترفون بالقاضي الشرعي في الصومال الا اذا أقره شريف مكة . وبمثل هذا التغرير كادوا يضعون غشاوة على بصيرة بعض أمراء الشرق لايقدر أحكام وضعها الا السياسة الانجليزية .

واني آتي هنا على مثالين اثبت بهما جليا كيف ان الانجليز يحاربون الخلافة الاسلامية ثم يستفيدون بادعائهم صداقة (أمير المؤمنين) وشيخ الاسلام سياسيا ولو بالتزوير والتزييف

يعلم الكثيرون بالحركة الوطنية المتأججة نارها في الهند . ولما كان الانجليز في حسن تفاهم مع العثمانيين زوروا كتابات باسم الخليفة وسماحة شيخ الاسلام وادعوا فيها انهما يوصيان مسلمي الهند بالولاء والاخلاص للدولة الانجليزية . واقرب هذه

(*) تابع لما نشر في الجزء العاشر (ص٨٥٧) بقلم علي افندي فهمي محمد

الكتابات ذلك الحديث الذي عزاه مكاتب التيمس الى سماحة شيخ الاسلام في الآستانة الذي نفى مغزاه رسميا وفي ذلك الوقت نفسه كانوا يهربون الاسلحة الى بلاد العرب فضبطت أخيرا عند الشواطئ واتضح من التحقيق انها من صنع يد الانجليز وكان لسان حالهم يقول انه ذلك ينافي صداقتهم للدولة العلية صاحبة الخلافة الاسلامية

هذه القوة الاسلامية السياسية التي يحللها الانجليز لانفسهم ويحرمونها على غيرهم ترتعد فرائصهم منها حتى ان كثيرا من جرائدهم الاستعمارية كالديلي تلغراف ونحوها لما هنأت جمعية الاتحاد والترقي جلالة السلطان بقولها « الى صاحب الخلافة والجلالة أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين » زأرت وزمجرت وجردت قول العدوان وشهرت وقالت ان مرسلي التلغراف متشبعون بمبدإ الجامعة الاسلامية الشديدة المقوتة! وهكذا السياسة الانجليزية تلتوي علينا وتسقح حين ترتوي منا وتنتفخ!

نحن نود ابقاء الخلافة الاسلامية في آل عثمان ونعمل لذلك بعامل المصلحة وذلك لان الدولة العثمانية هي أقوى ممالك الاسلام في الحال وستبقى كذلك في الاستقبال وهي التي بيدها الحرمان الشريفان فينبغي أن تكون الخلافة في أيدي العثمانيين حقنا للدماء ومراعاة للمصلحة العامة. وليس لها من منازع قوي يؤمل أو يخشى نجاحه وانما الدول الاجنبية تفرق بيننا وتغري بعضنا ببعض حتى تنهك قوانا الفرعية وتضعف السلطة المركزية و الواجب على كل عاقل مخلص ان يجعل هذا السبب نصب عينيه .

قال حضرة الكاتب الاسلامي الكبير محمود بك سالم : « جاء اسماعيل باشا فتبع سعيدا في سياسته الفرنسوية فبالغ في مجاملة نابليون الثالث الذي افهمه انه سيساعده على الوصول الى كرسي الملكية المستقلة فأكثر من الترف والبذخ ليعلو على الاكاسرة والقياصرة وجبابرة الفراعنة ووزع الهدايا الفاخرة على ملوك أوربا وملكاتها وعلمائها وكتابها ووزرائها وأغنيائها وصعاليكها بطريقة أبكت العقلاء وأضحكت الجهلاء . وما زال كذلك حتى انكسر نابليون الثالث سنة ١٨٧٠ فنبذ فرنسا وتعلق بانجلترا فالهم أنه لا يكون ملكا مستقلا الا اذا قارب عدد رعاياه عدد رعايا السلطان نفسه . ومن هنا ابتدأت حروب السودان والصومال والحبش ودارفور وأوغنده وزنجبار على غير جدوى للمصريين بل لفائدة الانجليز الذين أرسلوا صموئيل بيكر

باشا وغردون باشا والمرسلين لينشروا المدنية على شواطئ النيل الابيض والنيل الازرق تمهيدا لسياستهم الكبرى . وكل عاقل نظر الى قوة الجيش المصري وسعة تلك الاقطار والى النفقات الباهظة التي أنفقت جزافا والى الرجال الذين ماتوا هدرا ويعدون بمئات الالوف علم مقدار ما لحكامنا من قصر النظر وسوء التدبير »

هذا شيء قليل جدا من كثير جدا مما يبثه الاجانب فينا من عوامل الشقاق والخلاف فعسى أن تزول هذه البواعث النفسانية التي أدت بنا جميعا الى التهلكة .

واني أتذكر انه لما زار المرحوم مظفر الدين شاه إيران الآستانة في أواخر أيامه ذكرت جرائدها انه لما قابل السلطان قبل يده فلما انتهى اليه هذا الخبر قال « انها نبهتني الى واجب فاتني أداؤه لان السلطان هو أمير المؤمنين شرعا » فأين هذه الروح العالية والنفس الكبيرة من محمد علي شاه ايران السابق الذي كان يحتج بشدة على التجاء الاحرار الى السفارة العثمانية ويتغافل عن سفارتي روسيا وانجلترا اللتين سلبتاه بلاده ولم تنفعاه يوم ان ثل عرشه وقد كان يقول: إن روسيا أحب الممالك الى قلبه . اللهم انك على كل شيء قدير تخرج الظلمات من النور .

ولا أدري ما الذي ينفر العثمانيين غير المسلمين من الخلافة الاسلامية وهي كما شرحناها لا تنافي معنى الجامعة العثمانية الوطنية ولا تضر بهم في شيء ما بل بالعكس تجعل لهم منزلة خصوصية في سائر انحاء العالم لكونهم عثمانيين من رعايا صاحب الخلافة . ان العثماني غير المسلم الذي يتأفف من الخلافة الاسلامية اما ان يكون غير صادق في عثمانيته واما أن يكون قصير النظر السياسي . قال كاتب رسائل الاسلام والمدنية « لم يفت تأثير هذا الارتباط العجيب تلك الفتوحات السريعة التي قام بها المسلمون على عهد الدول العربية والتركية بيد أن الدول الاسلامية الاولى حاولت أن تفصل بين تينك الصفتين المدنية والدينية فكان عصر الانفصال مبدأ انحطاط . ولا تزال الى اليوم خلافة السلطان الاعظم رابطة تربط الشعوب الاسلامية من غير الاتراك بالدولة العلية فتكون بهم قوتها واذا جردت السلطان من هذا اللقب لا تلبث ان ترى الدولة العلية تنحل وتصبح دولة ثانوية .

لذلك اكرر القول بأن أنصح لجميع العثمانيين بالتآزر والتماسك فان يد الله مع

الجماعة ولا يهولنهم القول بالخلافة الاسلامية التي مع احترامها لشعائرهم الدينية تكسبهم كثيرا من المزايا السياسية والاقتصادية واني أوصيهم بما أوصاهم به شاعر مصر حافظ ابراهيم في تهنئته إياهم بالدستور :

فتفيأوا ظل الهلال فانه ... جم المبرة واسع الغفران
يرعى لموسى والمسيح وأحمد ... حق الولاء وحرمة الأديان
تخذوا المواثق والعهود على هدى التوراة والانجيل والفرقان

وما قاله شوقي بك شاعر الامير :

أما الخلافة فهي حائط بيتكم ... حتى يبين الحشر عن أهواله
اخذت بحد المشرفي ونالها ... لكم القنا بقصاره وطواله
طمع القريب أو البعيد بنيلها ... طمع الفتى من دهره بمحاله
ما الذئب مرتدا على ليث الشرى ... في الغاب معتديا على اشباله
بأقل عقلا وهي في أيمانكم ... ممن يحاول أخذها بشماله

واني بما قدمته من الحجج التاريخية والنظريات السياسية أؤمل الا يكون لمساعي أولئك الأعداء السياسيين المتلبسين بجرمهم بوشاح الصداقة الكاذبة ادنى نصيب من الالتفات فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا يغتب بعضكم بعضا واعملوا بنص الحديث الشريف : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة كما هي ولم نتعرض لتخريج ما ذكر من الاحاديث فيها ولا للبحث في مسائلها ولكننا نقول ان أفكار الكواكبي السياسية كانت مبنية على قواعد منها اليأس من الدولة العلية ولم يكن يريد أن يكون الخليفة القرشي الذي يخلف الخليفة التركي سلطانا حاكما سائسا للعرب أو لغيرهم وانما كان رأيه أن يكون رئيسا دينيا ينظر في مصالح المسلمين الروحية الادبية ويرقيها ، واكثر الذين يتكلمون عن سياسته لايعرفون منها شيئا ولم يكن للانكليز ولا لغيرهم من الاجانب رأي ولا علم بتأليفه لسجل جمعية أم القرى فانه كتبه في حلب وزاد فيه بمصر ولم يكن يعلم بذلك أحد الا افراد من العثمانيين كصالح أفندي جمال من حزب تركيا الفتاة . وقد ذكرنا في ترجمته في المجلد الخامس انا لم نكن موافقين له في جميع آرائه السياسية

احياء اللغة العربية

﴿ وطبع نوادر مصنفاتها ﴾

كانت العلوم العربية والآداب العربية في عهد الدول العربية في الشرق والغرب والجنوب والشمال زينة الدنيا وأساس عمرانها ومدنيتها وعنها أخذت أوربا مدنيتها وعلومها وفنونها وارتقت فيها بعد ان تدلى العرب وضعفوا بذهاب دولهم وتغلب الاعاجم عليها ، وانما ترتقي العلوم والفنون بتأييد الدول القوية لها .

لم يقم في الشرق الاسلامي بعد الدول العربية الاصلية والمستعربة دولة قوية الا الدولة العثمانية ، ومن سوء حظ الشرق والاسلام ان كان الترك المؤسسون لها من أهل البداوة ولم يجعلوا عاصمتهم في مدينة من مدن الحضارة العربية كبغداد والشام ومصر فيتعربوا ولو فعلوا لتجددت الحضارة العربية الاسلامية واستمر نموها وكنا نحن السابقين لاوربا . ولكنهم لم يفعلوا ذلك جهلا منهم لا رغبة في جعل لغتهم هي لغة العلم والحضارة لان لغتهم بقيت على بداوتها لم تدون ولم يوضع لها نحو ولا صرف ولا بيان في عهد قوتهم وعظمتهم وانما حاولوا ذلك في هذا العصر فالدولة العثمانية كانت سبب ضعف اللغة العربية بجهلها لا تعمدا منها اذ لم تكن دولة علم ولا حضارة بل دولة حرب وقوة

ويحاول كثير من ساستها اليوم ان يحيوا لغتهم ويجعلوها اللغة الطبيعية للشعوب العثمانية كلها ولو كان ذلك ممكنا لكانوا معذورين في عرف السياسة الجنسية ، ومعذولين في حكم الديانة الاسلامية ، ويرى كثير منهم أن اللغة العربية هي العقبة الكؤد في طريق مقصدهم هذا فهم يحاولون إماتة هذه اللغة وان كان موتها موتا للدين الاسلامي (وحاش لله أن يميته) ولهذه السياسة المبنية على العصبية الجنسية

الجاهلية يمنع بعض حكام الترك العرب من إنشاء المدارس في بلادهم كما فعل متصرف نابلس في منع فضلاء وجهائها من إنشاء مدرسة فيها وحجته في ذلك انهم يحبون اللغة العربية فتضعف اللغة التركية عندهم . ولا نذكر هنا ما فعلوه في المحاكم وغيرها من مصالح الحكومة في الولايات العربية فأوجب الشكوى واللغط

رأيت كثيرا من العرب العثمانيين خائفين على اللغة العربية أن تموت بمقاومة بعض حكامهم لها ويجهل هؤلاء أن الله تعالى قد سخر لهذه اللغة أمم الافرنجة يتدارسون ويحيون موات علومها وآدابها ، وان لها دولة هي أقوى من الدولة العلية حضارة - وان كانت دونها جندية وهي تحت سيادتها دون سياستها وادارتها - ألا وهي الحكومة المصرية العربية

التعليم في الازهر وملحقاته من المدارس الدينية في هذه البلاد كله باللغة العربية ، وجميع مدارس الحكومة والمدارس الاهلية فيها تدرس اللغة العربية وتعلم بعض الفنون بها و بعضها باحدى لغتي العلم في الغرب الانكليزية والفرنسية وقد شرعت الحكومة تستعد لجعل تدريس جميع الفنون بالعربية

وقد شرعت في هذا العام باحياء المصنفات العربية القديمة في الفنون المختلفة بطبعها في مطبعتها المشهورة ، واسترشدت في ذلك بصديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة في هذا الباب ، وقد جاءنا منها الرسالة الآتية في بيان هذا المشروع وها هي ذي بنصها :

الحكومة الخديوية المصرية

« مجلس النظار »

﴿ إحياء الآداب العربية ﴾

اجتمع مجلس النظار بسراي رأس التين بالاسكندرية في يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٠)
تحت رئاسة الجناب الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني

بحضور صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وناظر الداخلية
واصحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر الحقانية
وحسين رشدي باشا ناظر الخارجية
واسماعيل سري باشا ناظر الاشغال العمومية والحربية
واحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية
ويوسف سابا باشا ناظر المالية
وحضر الجلسة جناب المستر هنري بول هرفي المستشار المالي
كاتب السر الثاني احمد زكي بك

اطلع المجلس على المذكرة المقدمة من صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وعلى التقرير الذي كتبه صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاحياء الآداب العربية بالديار المصرية

و بعد المفاوضة قرر المجلس الموافقة على جميع الاقتراحات التي تضمنتها تلك المذكرة وتكليف نظارتي المعارف العمومية والمالية بتنفيذها

رئيس المجلس كاتب السر
(محمد سعيد) (احمد زكي)

مذكرة

﴿ مرفوعة الى مجلس النظار ﴾

كان من دأب الحكومات التي تناوبت الحكم على وادي النيل منذ الزمان القديم طلب المباراة في ميادين السبق لرفع منار العلوم ونشر رايات العرفان سعيا وراء الفخر المخلد والمجد المؤبد وكان من همها على الاخص توجيه عنايتها الى اعلاء شأن اللغة العربية وآدابها بما كانت تبذله من الرغائب لانبعاث الهمم من رقدتها وانعقاد العزائم على خدمتها وتعضيد أهل العلم وذوي الفضل على دوام البحث والاستنباط

غير أن نوب الزمان وطوارئ الحدثان تناولت هذه العناية فيما تناولته فاخمدت نارها وحجبت أنوارها فانحلت العزائم وتلاشت الهمم وكادت محنة الدهر تقضي

على ملكة الاختراع والابتكار بين أهل هذه الديار وتفقدهم ميل النفس الى التصنيف والتأليف ثم تفرع على ذلك اندثار دور الكتب واندراس آثارها بيننا بعد ان كانت قائمة على الدهر تشهد للأمة المصرية بعلو كعبها وجميل أثرها في هذا الباب

وما زالت يد الزمن تعبث وتدمر حتى سخر الله لهذه البلاد محيي مواتها و باعث رفاتها ذلك الرجل العظيم محمد علي الكبير رأس هذه الاسرة المالكة فزاوج بين ترقية الامة المصرية ماديا وأدبيا ومزج بين اصلاحها معاشا ومعادا حتى منحه التاريخ لقبا ينطبق عليه بكل حق وعدل وهو « محيي مصر »

ثم كانت سيرة خلفائه الفخام من بعده على نحو مارسم وقدر فكان من حسنات المغفور له اسماعيل باشا ان جمع من هنا وهناك ما ابقته عوادي الايام من حطام تلك الدور النفيسة دور الكتب القيمة فتلقف شواردها وضم اشتاتها وأسس دار الكتب الخديوية القائمة الآن وأفاض عليها هو وابنه الخديو توفيق على الاخص مايضمن طول بقائها ودوام الانتفاع بها فكانت غلة العقار المحبوس عليها كفيلة بتقدم هذا المعهد وارتقائه ·

ولكننا لانزال نرى الى اليوم ان دار الكتب هذه لم تتجاوز في مهمتها المطلوبة منها وهي نشر العلوم والمعارف حد الاستعداد والتأهب للعمل · وقد آن الوقت الذي يجب ان تخطو فيه خطوتها الواسعة في هذا السبيل وتبرز للملأ من جليل الاعمال ماقيه سرعة ارتقاء الآداب والعلوم

وأمامنا اليوم فرصة حاضرة حانت لنا بالنظر في المفكرة التي وضعها حضرة احمد بك زكي الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار وضمنها ماعن له من وجوه الاصلاح وضروب الوسائل التي من شأنها احياء الآداب العربية بديار مصر · وقد ذيلها بنبذ قصيرة عن عدة كتب ومصنفات بخط اليد توصل الى نقل صورها بطريقة التصوير الشمسي في القسطنطينية والبلاد الاجنبية ·

وقد مضى على واضع هـذه المفكرة زهاء عشرين سنة وهو يوالي البحث والتنقيب عن انواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاجتياز باب العمل في فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربية · ولذلك

قابل اصحاب الحل والعقد ما شرحه من سديد الآراء ومحكم الوسائل بعين الرضا والقبول · وعهدت الحكومة الخديوية الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ان ينظر في الامر ويقرر فيه مايرشدها الى الطريق القويم في هذا الباب

ولست أرى وسيلة لشرح ماراه سعادته في هذا الموضوع افضل من إلفات مجلس النظار الى نص التقرير الجليل الذي يشير فيه الى وجوب العمل على حسب الخطة التي رسمها صاحب المفكرة مع بيان الوسائل الفعالة لابراز هذا المشروع الى حيز الوجود ولقد بادرت بابلاغ هذا التقرير الى نظارة المالية مشفوعا برأيي في الموافقة عليه من جميع الوجوه مع تأييد كل ماأشار به سعادته من الاقتراحات النافعة لتجديد الآداب العربية

ولما درس سعادة سابا باشا ناظر المالية هذا المشروع كتب اليّ كتابا تاريخه ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٠ قال فيه « ان نظارة المالية تشاهد بمزيد الرضا ونهاية الامتنان تلك المجهودات التي مازال يبذلها احمد بك زكي وإنها توافق بتمام الارتياح على الغاية التي يسعى وراءها في سبيل تجديد الآداب العربية »

وختم سعادته كتابه بأن نظارة المالية مستعدة لان تخصص لهذا الغرض مبلغ الالف جنيه مصري المربوط في الميزانية لتشجيع الاعمال الادبية

فهذه الاريحية الكريمة تدعونا الى تدقيق البحث في الاسباب التي يكون من شأنها استمرار هذه الحركة المباركة بما يضمن ظهور آثارها بدون انقطاع

وبما انه من الضروري النظر في تدبير الوسائل التي تكفل لهذا العمل مايقتضيه من البقاء والاستمرار، وبما أن المصنفات التي نقلها حضرة أحمد زكي بك بالفتوغرافية هي ذات قيمة عظيمة من الوجهة العلمية والتاريخية والادبية ، وبما أن معظم هذه المصنفات التي أشار اليها هي من وضع المؤلفين المصريين ولانكاد نرى لها أثرا في البلاد التي تولدت فيها وظهرت بها

فلهذه الاسباب

اقترح على مجلس النظار تكليف نظارة المعارف العمومية بما يأتي :

أولا ــ المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن إحياء الآداب العربية حسب البيانات التي أوضحها سعادة أحمد حشمت باشا في تقريره المؤرخ في ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

ثانيا ــ تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكون بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض

ثالثا ــ الابتداء في إحياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبريين المعروفتين باسم « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين النويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري

رابعا ــ الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي أشار اليها حضرة أحمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الاخرى الكثيرة الندرة العظيمة الفائدة

هذا وانني أرى من جهة أخرى ان ضمان النجاح لهذه الحركة الخصيبة يوجب على مجلس النظار أن يسهل على نظارة المعارف العمومية القيام بمهمتها بالفلاح الذي نبتغيه لهذا الاصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجناب الخديوي المعظم أن تكلف نظارة المالية بأمرين اثنين أيضا وهما :

أولا ــ جعل مبلغ الالف جنيه تحت تصرف نظارة المعارف العمومية بصفة اعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانيا ــ اصدار الاوامر اللازمة الى مطبعة بولاق الاهلية للاسراع في انجاز أعمال الطبع بكل ما في الامكان وأملي وطيد في أن المجلس يتكرم بالموافقة على ما أبديته من الاقتراحات ليجري العمل بانتظام وفق المرغوب فان انجاز هذا المشروع على أجمل حال مما يجمل بحسنات هذا العصر ويكون غرة في جبين الدهر تشهد بارتقاء العلوم والآداب بيمن مولانا الخديو ناشر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل

رئيس مجلس النظار

القاهرة في ١٧ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٠ اكتوبر سنة ١٩١٠) محمد سعيد

* *

كشف

« بأسماء الكتب المشار اليها في المذكرة السابقة »

وهي التي ستتخذ أساساً لاحياء الآداب العربية بمصر

« موسوعات »

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري

مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري

جوامع العلوم لفريعين تلميذ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي

« أدب وبلاغة وانشاء »

الفاخر للمفضل الضبي

ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي

التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحميدي

رسائل وخطب وأشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من جمع حفيده

مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

« حديث »

فنون العجائب

اكرام الضيف

« آداب الملوك »

كتاب التاج للجاحظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن أمر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف ينبغي لمن أرسل الى ملك أن يعمل في الاحتياط لنفسه ولمن أرسله ومن ذم من الرسل ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء

كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

﴿ التاريخ ﴾

كتاب المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب

ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف أبي شجاع أحد وزراء الدولة العباسية

درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري المصري

كنز الدرر وجامع الغرر له أيضا

﴿ التراجم ﴾

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي

نزهة الالباب في الالقاب لابن حجر

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد جقمق لابن عربشاه

هدية العبد القاصر الى الملك الناصر أبي السعادات محمد بن السلطان الملك الاشرف لعبد الصمد الصالحي

سبك النضار وكسب المفاخر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في أيام قايتباي) لعبد الله بن محمد بن عبد الله الزكي الغزي الحنبلي

﴿ النسب ﴾

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف أبي النصر قانصوه الغوري

﴿ الجغرافيا ﴾

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد أحمد بن سهل البلخي (بالخرط)

صورة الارض وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة اليها (بالخرط)

هيئة أشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرط)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار (Roger) للشريف الادريسي (بالخرط)

﴿ رحلة ﴾

تاريخ الامير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في اسيا الصغرى في أيام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

﴿ علم حفظ الصحة ﴾

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه الغوري

﴿ علوم طبيعية وميكانيكية ﴾

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب

الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

﴿ علم الحيوانات ﴾

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن العباسيين عند ما هاجها مع التتر فنقله الى بلاده وأمر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن

طب الطيور (مستخرج من خزانة الرشيد)

﴿ علم المعادن ﴾

الجماهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني

ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

﴿ علم الفلك ﴾

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني

علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط بيلك بن عبد الله القبجاقي

﴿ علم الموسيقى ﴾

كتاب العود والملاهي للمفضل الضبي

كشف الغموم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

﴿ علم الحرب ﴾

العز والمنافع للمجاهدين بآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)

الانيق في المناجيق (بالصور والاشكال)

التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

﴿ ديانات قديمة ﴾

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب نسطس الذي احرقه بعضهم

وترجمها أحد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين و بديانة المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكلبي

﴿ فنون متنوعة ﴾

لطائف المعارف للنيسابوري

عين السبع مختصر طرد السبع للصلاح الصفدي

الالمام بآداب دخول الحمام

الكوكب الدري في أجوبة السلطان الغوري

نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر السلطان الغوري وهو في جملتهم

الترفق في العطر للفيلسوف الكندي

كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك

الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

﴿ احياء الآداب العربية ﴾

مقتبس من التقرير المقدم الى صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار

« من صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية »

بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

رئيس مجلس النظار عطوفتلو افندم حضرتلري

تفضلتم عطوفتكم بدعوتي لدرس المفكرة المقدمة من حضرة احمد بك زكي « عن الاسباب والوسائل المؤدية لاحياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع مجموعة الكتب التي استنسخها حضرته بالفوتغرافية واستحضرها من الآستانة وأوربا ولقد امعنت النظر في هاتين المسألتين وأبدي اليوم لعطوفتكم مآراه في هذا الشأن

ان هذه المفكرة تشرح بأجلى بيان ما كان للقاهرة من التأثير في رفع منار العرفان وترقية الآداب العربية فانها بفضل مركزها وعناية أهلها أصبحت في أوائل العصور الحديثة محطا لرجال أهل العلم ومهبطا لطلاب الفضل

ولقد أشار صاحب المفكرة الى مبلغ الاريحية التي كان يجود بها ملوك مصر وسلاطينها والى مقدار المساعي المتواصلة التي بذلها رعاياهم لاعلاء شأن الحضارة الاسلامية وازدهاء رونقها في بلاد الشرق فكانت النتيجة من هذا العمل المزدوج ان ظهرت في سماء المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات المفيدة في كل فن ومطلب ولكن سوء الحظ قضى بأن لا يصل الى أيدينا من تلك المصنفات الثمينة سوى النزر اليسير

ثم جاء دور الافول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر أضاعت ذخائرها وكنوزها في أثناء التقلبات التي اصابتها والمحن التي توالت عليها مما لا فائدة من ترديد ذكراه الآن

فانطفأ ذلك السراج الوهاج وخبا ذلك الذكاء المصري، بيد ان شعاعا ضئيلا من الامل تبدى في الافق فانبعث معه ذلك الذكاء من مرقده بعد ان كان الناس يظنونه قد دخل في خبر كان ولكنه في الحقيقة انما كان في سبات لا في ممات والفضل في تجدد هذه الحياة الادبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل

لذلك توخى صاحب المفكرة ان يستفيد من هذه اليقظة الادبية فأخذ يعمل على ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس الثاني الذي تعود ان يقفو آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر

وللوصول الى هذه الغاية التي مازال ينشدها واضع المشروع قد اقترح حضرته تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيما يشمل جميع فروع الاصلاح التي تستوجبها مكانتها لتأتي بالثمرة المطلوبة وتقوم بالخدمة الواجبة عليها

واني أوافق حضرته من هذه الوجهة موافقة تامة ولذلك شرعت فعلا في درس هذا الاصلاح درسا دقيقا لأتمكن في وقت قريب من جعل خزانة كتبنا النفيسة كفيلة بالقيام بجميع الاغراض التي انشئت لاجلها أو التي يحق لنا انتظارها

منها حتى تكون من أقوى العوامل في نشر أنوار العلوم العربية

ثم أشار صاحب المفكرة الى انه يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها السابق وذلك بطبع التآليف التي تفتخر بها علماء مصر حتى يتسنى لأهل الجيل الحاضر ان يشمروا عن ساعد الجد ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب التي بدأ بها أجداده الامجاد

وقد رأى صاحب المشروع من الواجب عليه ان لا يقف عند الاشارة الى نظريات مبهمة أو ابداء رغائب مجردة عن وسائل التنفيذ مما لا يكون كفيلا باستكمال وسائل النجاح فلذلك افرغ وسعه وبذل جهده ولم يضن بشيء من ماله ووقته وراحته حتى تيسرت له كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسه وذلك انه قرن العلم بالعمل وأتبع القول بالفعل فانتهز فرصة الانقلاب الذي حصل في الدولة العلية وشخص الى الآستانة وتمكن هناك من استخدام الفتوغراف في نقل جلائل المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية خصوصا تلك التي كانت فيما مضى من أجمل الذخائر في الخزائن المصرية

ولم تقف همة هذا البحاثة عند حد التنقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها في القسطنطينية بل واصل سعيه أيضا في ربوع العلم بأوربا لاستيفاء كل المعدات ولاتمام عمله على احسن حال

هذا وقد ألم في مفكرته بايضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها

ولقد رأيت من الواجب أن استعلم عما اذا كان لهذه المصنفات أو لبعضها أثر ما في دار الكتب الخديوية أو في احدى مكتبتي الازهر الشريف والمجلس البلدي بالاسكندرية فوافتني هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتصريح بأن المؤلفات التي نقلها حضرة أحمد بك زكي واستحضرها لا توجد أصلا ضمن مكاتبنا ومجاميعنا الاهلية وانها لم تطبع حتى الآن وان في طبعها نفعا عظيما للمتنورين من أبناء مصر وسائر أهل العلم على الاطلاق

ولا ريب في أن حكومة الجناب العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية العاملة على ترويجها وتعميم الانتفاع منها ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها واضافتها الى خزانة كتبها النفيسة خصوصا وان معظمها مما جادت به قرائح البارعين من المصريين

وليس من الصواب أن يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد من الاغتباط بالحصول على هذه المجموعة واضافتها الى دار الكتب الخديوية بل يتحتم علينا أن نبادر الى السعي في طبعها بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منهلا سائغا للقاصد ومورداً عذبا لكل طالب .

ونحن اذا نظرنا الى أهل الشرق والى العلماء المستشرقين في هذه الايام نراهم جميعا يتهافتون الى الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الاسلامية ولا شك عندي في أن الحظ الاوفر في هذه النهضة المباركة ينبغي أن يكون لمصر ان لم تكن هي القائدة لحركتها والمدبرة لشؤونها وذلك نظرا لمركزها الطبيعي ولما كان لها من الايادي البيضاء على العلوم والآداب وبهذه المناسبة أرى من الواجب علينا أن نشكر المعاهد العلمية الغربية لما تبذله من المساعي في تأييد هذه الحركة والاخذ بناصرها . ولا غرو فان المستشرقين الذين تفتخر بهم المدارس الجامعة في بريطانيا العظمى وسائر أوربا وأمريكا لا يألون جهدا في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهابذة العرب وبحثوا فيها عن شتى الموضوعات وأبعدها عن مجال الخواطر والاوهام . فهؤلاء المستشرقون لا يزالون يدأبون على العمل مع الصبر في التحصيل والدرس والبراعة في التنقيب والبحث . وبذلك تيسر لهم أن ينشروا طائفة كبيرة من أمهات الكتب العربية النفيسة وقد يترجمونها في بعض الاحايين الى لغاتهم أو يتخذونها موضوعا لمباحثهم كيما يشاركهم قومهم في الاستفادة منها وهم بهذا المسعى يبثون فينا روح الامل باسترجاع كنوز آدابنا الشرقية رويدا رويدا ومن المؤكد أن هذا الامل لا يلبث أن يدخل في حيز الامكان ويتحقق في عالم الوجود اذا ما نهضت مصر بالقسط الواجب عليها من المساعدة والمعاونة على إحياء العلوم والآداب العربية

ولقد آن للحكومة الخديوية أن تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث

ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف فيعيدوا في مصر عصر آبائهم ويصنعوا مثل ما صنعوا واني لعلى يقين من أنهم سيجدون في المجموعة التي توفر حضرة أحمد بك زكي على تكوينها وايجادها جميع الوسائل التي تبعث فيهم روح العمل فيخضل عود الدرس ويثمر بما يعود بالنفع العام على مصر وغيرها من أقطار الشرق

وأرى لاطراد هذه الحركة أن نبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تفتخر بهما مصر والعرب على الاطلاق وأعني بهما « نهاية الارب في فنون الادب » للنويري و« مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري لأن هذين الأثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما أضاعته من الكنوز الغوالي على إثر ما انتابها من الطوارق والطوارئ

ولقد أعيى العلماء الغربيين استكمال هذين الأثرين النفيسين فلم يوفقوا الى جمع أشتات هذه الضالة المنشودة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الازمان حتى أتاح الله (ذلك) لاحد مواطنينا فتيسر له بعد متاعب احتملها مدة عشرين عاما واهتدى لجمع المواد والاجزاء التي يتألف منها هذان السفران واثبتها كلها بالفتوغراف فحق لنا بعد ذلك أن نهنئ أنفسنا على هذا النجاح الباهر

واذا أخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بسعد الجناب الخديوي العالي الذي تفضل فأظهر عنايته العالية بأمرهما فلا شك أن الاقبال على اقتنائهما سيكون عاما عند جميع الطبقات وخصوصا عند الفئة المولعة بالدرس وأرباب العقول المستنيرة بمصر والشرق بل يتعداهما الى الجامعات ودور الكتب في البلاد الاجنبية والمستشرقين الذين يقدرونهما حق قدرهما لانهم طالما استفادوا منهما

وعلى ذلك فانني أشير بتشكيل لجنة من أهل الدراية تختارها نظارة المعارف العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الاصول وضبطها بالدقة قبل تسليمها للمطبعة الاهلية لان الطبع اذا ما باشرته الحكومة الخديوية بنفسها وأشرفت عليه برعايتها يجب أن يكون مستوفيا لكل أسباب الكمال ليجيء مناسبا لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

وبهذه المناسبة أقول إن الضرورة والعدل يقضيان بأن تكون ادارة هذا المشروع من الوجهة الفنية موكولة الى حضرة أحمد زكي بك لواسع علمه وعظيم شهرته خصوصا وانه هو البادئ بالتفكير في هذا المشروع الخطير والمهتدي الى جمع شوارده بعد ان كانت مبعثرة هنا وهناك

ولا جرم أن طبع هاتين الموسوعتين في مطبعة بولاق سيكون جامعا لما ينبغي من الدقة والجمال خصوصا بعد أن دخل التحسين الجديد على حروفها ونظرا لما هي عليه الآن من كال الاستعداد وبذلك تعود هذه المطبعة الى ما كان لها من المكانة السامية والأثر النافع في نشر نور العرفان العربي

وأرى أيضا مخابرة نظارة المالية لتأمر المطبعة الاهلية بتوسيع نطاق القسم الادبي حتى يتسنى له طبع ثلاث ملازم أو أربع في اليوم الواحد فذلك أمر يتحتم علينا الوصول اليه بقدر رغبتنا في تسهيل أمر الطبع حتى لا يمضي زمن طويل على ظهور هذا العمل الجسيم في حيز الوجود

ولعل سعادة ناظر المالية يسمح بتخفيض شيء من مصاريف الطبع للمعاونة على ترويج هذا العمل الادبي العميم الفائدة الذي من شأنه المساعدة على ترقية الافكار وتعميم المعارف اذ بفضل هذه المنحة يمكننا ان نزيد في عدد النسخ بغير زيادة في النفقات والاكلاف وبذلك يتسنى لنا أيضا تخفيض قيمة الاشتراكات واثمان البيع تخفيضا محسوسا يساعد على زيادة الاقبال وتسهيل اسباب الانتفاع

بقي علينا ان ننظر في تدبير المال اللازم للمشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا لوجود المبلغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فان هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لاحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية وقد بلغ في آخر اغسطس الماضي ٩٣٩٢ جنيها مصريا ويجب الاشارة الى ان استخدام ذلك المبلغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع ستنتج عنه ثمرة مفيدة لدار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة فضلا عما يترتب عليه من المزايا الادبية الكثيرة

وعلى كل حال فلو فرضنا أن هذا المشروع لا يكون من ورائه مغنم مادي فان الحكومة الخديوية ينبغي لها أن تغتبط بهذا المسعى الذي يفضي الى إفاضة نور

الادب العربي في بلاد الشرق وذلك لان الجامعات في بلاد الانكليز والمطابع الاهلية في ديار أوروبا هي التي تأخذ دائما على عاتقها طبع المؤلفات الاهلية الكبيرة القيمة الواسعة الحجم ولو أدى الى ذلك خسارة مالية فادحة وذلك لقصور يد الافراد عن القيام بما تقتضيه من النفقات الجسيمة أما مشروعنا هذا فانه بعيد عن ذلك بالمرة لما فيه من المكاسب التي تدعو الى الاقدام عليه والاهتمام بشأنه

فاذا صادفت هذه الآراء والاقتراحات ما ابتغيه لها من حسن القبول لدى عطوفة الرئيس وجوته أن يسمح لي باتخاذ الوسائل اللازمة لانجاز هذا المشروع على أحسن حال لكي يزيد في شرف هذا العصر الاسعد، المشمول بيمن خديوينا المحبوب الامجد، الحامي لواء العلم والادب، الراغب في تقدم لسان العرب

ناظر المعارف العمومية

(أحمد حشمت)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ الهيئة والاسلام ﴾

كتاب جديد في استخراج مسائل علم الهيئة الفلكية الذي وصل اليه علماء هذا العصر من ظواهر الكتاب والسنة وأقوال أئمة آل البيت الكرام، وعلماء الصحابة الاعلام، عليهم السلام والرضوان، يشتغل بتصنيفه أحد علماء النجف الاعلام (السيد هبة الله الشهرستاني) وقد صدر جزآن منه في أكثر من ثلاث مئة صفحة كصفحات رسالة التوحيد وتفضل المؤلف باهدائه الينا ونحن في القسطنطينية مع كتاب مودة وتنبيه الى وجه الحاجة الى مثل هذا الكتاب في هذا العصر الذي كثر فيه المشككون في الدين بشبهات منتزعة من علم الهيئة وغيره من العلوم . وقد حالت الشواغل الكثيرة هناك وهنا دون مطالعة الكتاب التي تمكننا من بيان مزيته وتلخيص شيء من فوائده

فرأينا أن نكتفي الآن بذكر بعض مسائله المهمة من الفهرس وسننقل في جزء آخر نموذجا منه للقراء ان شاء الله تعالى

المسألة الاولى حقيقة الفلك توافق النصوص فيها ما عليه المتأخرون وتخالف ما كان عليه اليونانيون ، (المسألة ٢) شكل الارض وحاملها ، (٣) حركة الارض . (٤) تعدد الارضين . (٥) في أن السيارات تسع فكيف تكون الارضون سبعا ، (٦ و ٧) في حقيقة السموات السبع والارضين وترتيبهما ، (٨) مركزية الشمس لحركة السيارات . المسألة التاسعة الصفات الخمس لجرم الشمس ، (١٠) في أوصاف القمر (١١) عدد السيارات (١٢) في سكنى السيارات (١٣) المذنبات والشهب (٧٤) في تعدد العوالم . يذكر المؤلف في كل مسألة أقوال علماء الهيئة وما ورد بعضها في الكتاب أو السنة أو كلام الائمة أو الصحابة رضي الله عنهم

﴿ منطق المشرقين ﴾

هو آخر ماألفه الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا في فن المنطق فهو زبدة التحقيق عنده لهذا العلم وقد قال فيه «وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره الا لانفسنا أعني الذين يقومون منا مقام أنفسنا ، وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في منطق الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم » وقد طبعه في هذا العام صاحبا المكتبة السلفية بمصر وطبعا معه القصيدة المزدوجة في المنطق للشيخ الرئيس أيضا . وطبعا في مقدمته ترجمة طويلة للمؤلف وهو يطلب من مكتبتهما ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه أربعة قروش صحيحة

﴿ منتخبات البارودي ﴾

ان قوى النفس ، كقوى الحس ، تضعف وتقوى ، وتمرض وتشفى ، وتهبط وترق بل تموت وتحيا ، وانما حياتها وارتقاؤها برقة الشعور والوجدان ، ودقة التوسم والادراك ،

يدرك حديد البصر من معارف وجه محدثه ولو على بعد ، مالا يدركه الكليل على القرب ، ويستشف من توسم مايعرض لها من التأثير ، ماتنقطع دونه اشعة بصر الحسير ، فهذا يعيا عن إدراك دقائق معارف الوجه ، وحركات الطرف ، فلا يعرف

امامه الا شبحا ماثلا ، وهيكلا شاخصا ، وذاك يدرك ماوراء هذه المعارف من آثار الخطاب في نفس المخاطب ، فيميز بين ماعرف منه وما أنكر ، وما أحب وما كره ، يتوسم فيه فيوحي اليه ذلك انبساط الاسارير وانقباضها ، ولمعانها واقتتامها ، واحمرار البشرة واصفرارها ، وتخاوص العينين وجحوظهما ، وترنيقهما ورنوهما ، وحركتهما وسجوهما ، وتصويبهما وتصعيدهما ، وسائر ضروب النظر ، كالحدج والشزر ، والشخوص والشفن ، فلكل نظر أثر باعث من نفس الناظر ، وأثر حادث في نفس المنظور اليه ، فمن لايؤثر بنظر عينيه ، ولا تؤثر فيه نظرات العيون ، فجدير به ان يعد من الاموات لا من الاحياء ، أو من مرضى النفوس لا الاصحاء ،

في القرآن العزيز آيات كثيرة في تأثير النظر ، وأحوال البصر ، كقوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » وقوله « فاذا برق البصر » وقوله « تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » وللشعراء في ذلك رقائق هي المظهر الأعلى لدقائق صناعتهم كقول الكيواني

وانظر اليَّ مرنّقا حتى أغيب عن الشعور

وقول علية بنت المهدي

ورابني منه اني لا أزال أرى في طرفه قصرا عني اذا نظرا

وقول أبي نواس حكاية

ويعمل الطرف نحوي ان مررت به حتى ليخجلني من حدة النظر

والشعر في هذا المعنى كثير يدخل في فنون شتى

وان من كان سميعا خبيرا بأنواع الاصوات ، وضروب اللهجات ، ودلالة كل جرس ، على كيفية خاصة في النفس ، وما في لحن القول وفحواه ، من إيماء الى غير ما يدل عليه مبناه ، ليسمع مع الكلام ما كان باعثا عليه من نفس المتكلم ، وما ينثني عليه صدره ، وينطوي عليه قلبه ، من حب و بغض ، ووفاء وغدر ، وأمن وخوف ، ورضى وكره ، قال تعالى « ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول » أي فحواه ومعاريضه ، ومن أعجب الكلام الي في استخراج خبايا السرائر من كيفية أداء القول ، وجرس اللفظ ، قول امرأة كعب ابن الأشرف

له عند ما دعاه في الليل الذين يريدون قتله ، مظهر بن الالتجاء الى حصنه ، وقد نهته عن الخروج اليهم « انني اسمع صوتاً يقطر منه الدم »

ان دقة الادراك ، ودقة الشعور والاحساس ، هما آيتا ارتقاء النفس في درجات الكمال الانساني ، ويرى الحكماء ، ان مظهر هذا الارتقاء ، يكون في ثلاثة أشياء ، الشعر والتصوير والموسيقي ، وهي التي يعبرون عنها بالفنون الجميلة ، فالتصوير هو الاشعار بالاشياء برسمها في الالواح والصحف ، والشعر هو تصوير الاشياء بالقول ، ومنتهى الكمال فيهما ان لا يفوت صاحبهما شيء من دقائق الصورة الظاهرة ، ولا من دقائق أنواع الشعور الباطنة ،

لولا أن كانت العرب على حظ عظيم من الارتقاء في الشعر لما انتشر فيهم الاصلاح الاسلامي بتلك السرعة ثم رقي بهم في معارج المدنية حتى صاروا الاساتذة المصلحين لجميع الامم ، ذلك بأن الابداع في الشعر قد أعلى مداركهم ، وأودع في طباعهم الرقة ، وقبول التأثير بالمؤثرات الشريفة ، فالشعر هو ديوان حكمتهم ، وكتاب تاريخهم ، ودفتر آدابهم ، وقد ارتقى بلغتهم الواسعة وارتقت هي به ، حتى انك لتجد فيها من الدقائق ما يسلس لك زمام التعبير عن كل محسوس ومعقول ، فتربية الخيال الشعري فيها أكبر معين على ترقيتها ، وما مرضت آدابنا ، الا بما طرأ علينا من الجهل بلغتنا وآدابها وأشعارها ، حتى صار يعسر على أخطب الخطباء وأشعر الشعراء أن يحفز همم الجمهور منا الى دفع خطر نحذره ، أو المبادرة الى خير عام نرجوه ،

أفسدنا لغتنا فأفسدنا نفوسنا ، فضعف ذوقها واعتل وجدانها ، وضعف تأثيرها وتأثرها ، ولم نستعض عما فقدناه من رقائق الشعر بالبراعة في الموسيقي ولا التصوير ، وان أقرب الوسائل الى اصلاح ذوق آخرنا ، هي الوسيلة التي صلح بها ذوق أولنا ، ألا وهي الشعر الذي لا ترتقي آداب اللغة وذوق أهلها الا بارتقائه ، أعني ان يكون كل عربي شاعراً ، وان لم يكن ناظماً ، وانما الشاعر من يشعر بدقائق المعاني ، في صورها من المباني ، ويبلغ بالكلام مايبلغه الكلام منه ، اذا أصاب موقع الوجدان من النفس ، والاقناع من العقل ،

جعل الادباء شعراءنا أزواجاً ثلاثة الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا الاسلام منهم والمولدين ، ولكل منهم أسلوب وفنون من المعاني تختلف باختلاف

الحال الاجتماعية التي عاشوا فيها ، وقد جمعت الدواوين المشهورين الذين منهم حفظت أشعارهم فوصل الينا بعضها دون بعض ، وأتى علينا حين من الدهر لا يبالي جماهير المتعلمين منا بالموجود ، ولا يبحثون عن المفقود ، حتى كانت النهضة الادبية العلمية الحاضرة وطفق الناس ينشرون آثار السلف ، كما ينشدون ماجدده الخلف ، حتى أثروا بما لديهم من كسب وميراث ، فتكاثرت الظباء على خراش ، وضاقت الاوقات عن النظر في كل ما ينشر ، واشتدت الحاجة الى اختيار أحسن ما يروى منه ويؤثر ،

عندنا شيء من مختار أشعار الجاهليين (كديوان الحماسة لابي تمام) وقد وفق الله تعالى نابغة هذا العصر ، وامام أهله في الأدب والشعر ، محمود سامي باشا البارودي الشهير ، لجمع ما اختاره من اشعار ثلاثين شاعراً من فحول المولدين ، في الادب والمديح والرثاء والصفات والنسيب والهجاء والزهد ، ورتبها في كل باب على حروف المعجم ، ووضع لها هوامش في تفسير بعض الغريب والمبهم ، فكان ذلك أربعة أسفار كبار ، جديرة بأن تكون ندامى للكبار وأساتذة للصغار ،

فأما الشعراء الذين اختار أحاسن أشعارهم ، ومثل لنا بدائع خيالاتهم وأفكارهم ، فهم فرسان البلاغة السابقون ، وفحول الشعر المقرمون ، وأساتذته المقدمون ، كبشار وأبي نواس وأبي العتاهية ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والمتنبي والشريف الرضي والمعري والديلمي والتهامي والخفاجي والطغرائي الخ

وأما ذلك المنتخب فهو صاحب الأدب الرائع ، والذوق السليم ، والنقد الصحيح ، الذي جرى مع أولئك الفرسان في كل حلبة ، وضرب معهم بكل سهم ، وعارضهم في كل ضرب من ضروب الشعر ، وقد طبعت بمطبعة الجريدة بحرف جديد على ورق جيد ، فكان حسن طبعها ، لائقاً بحسن وضعها ، كما تجلى غواني العرائس بمعارضها ، اوكما تتجلى الشجعان بسابغاتها وأسلحتها ، فكان ذلك مما يبعث النشاط في قرائها ، وصححها كاتب يد منتخبها (الشيخ ياقوت المرسي) أحد علماء الأزهر ،

فأجدر بهذه المختارات أن تكون ذكرى حبيب ، ومدد أديب ، ودرساً لطالب البلاغة والأدب ، وعوناً على إحياء آداب لغة العرب

حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب

إن أقصى أمانينا أن تكون الدولة العلية أقوى دول الأرض بأسا ، ومملكتها أوسع الممالك عمرانا ، وشعوبها أشد الشعوب اتحادا ، ولا شيء أعز علينا من دولتنا الا ديننا ، ولا قوام لديننا الا بلغته ، فلهذا كثر الكلام في مثل سورية من بلاد الحضارة العربية بالمسألة العربية وقد صدق ذلك الكاتب التركي الذي كتب الى جريدة طنين انه ليس في سورية مسألة ترك وعرب انما فيها مسألة عربية وتركية ، فأهم ما يطلبه العرب أهل الحضارة من الدولة هو المحافظة على اللغة العربية وترقيتها بجعلها إجبارية في جميع مدارسها الرسمية وتسهيل طريق تعليمها في المدارس الدينية والأهلية

وأما من تغلب عليهم البداوة من العرب كأهل اليمن ونجد وخليج فارس و بوادي العراق وما بين النهرين فتمنى ان يدخلوا في الاتحاد العثماني كافة وترتقي بلادهم في ظل الدولة ، ولكننا نعتقد أن هذا الاتحاد يستحيل ان يكون بالقوة العسكرية القاهرة ، كما يرتأي المغرورون بالعاصمة ، وان إبادتهم أسهل من اخضاعهم بالقوة لشعب لا يعدونه منهم ، ولا يحترم حالهم الروحية والاجتماعية ، وانما يسهل إخضاعهم بالاسلام والحكمة ، فلهذا اقترحت على الحكومة الدستورية مساعدة جمعية من فضلاء الامة على تأسيس مدرسة لتخريج المرشدين الذين يسهلون لها هذه السبيل في جزيرة العرب و بلاد الاكراد والارنؤد

ان جزيرة العرب لم تر الدلة العلية حاكمة فيها الا في بعض البلاد الساحلية وليس لها عند القوم هنالك أثر حسن ولا ذكر صالح في شيء من الاشياء وانما يوجد في اليمن والعراق آثار الخراب والدمار وتواريخ الغدر وسفك الدماء ونهب الاموال و يعرف عنهم هذا جيرانهم ، وهم لا يفرقون بين نوع الحكم الاستبدادي الماضي والحكم الدستوري الذي وقفت الدولة ببابه الآن فلا ينتظرون منها الا مثل الايام التي خلت من قبل ومع هذا كله فانني أعتقد انه يمكن وضع قانون لاصلاح جزيرة العرب يكون من أوائل مواده ان هذه البلاد كلها تابعة للدولة العلية وليس لأحد من أمرائها ولا زعمائها حق في معاملة دولة من الدول الأجنبية معاملة ما لا تأذن لها بها قوانين الدولة ، وأن تدفع للدولة أموالا أميرية ، وأن تقر الدولة إمام اليمن على إمامته

في طائفته ، وكذا كل أمير وزعيم على إمارته ، بأن يكون هو المنفذ للنظام الداخلي فيها . وأن يترك لهم سلاحهم ويحتم عليهم حفظ الأمن في هذه البلاد وتكافل الأمراء والزعماء على منع الغزو ومساعدة الدولة على نشر التعليم وتحضير الأعراب وتتبع ذلك الجندية

اذا وفقت الدولة لمثل هذا العمل فانها تملك جزيرة العرب ملكا حقيقيا من غير سفك دماء أبنائها ، ولا إضاعة الملايين من الليرات التي تأخذها من أوربا بالربا الفاحش والذل ، وتفتح لنفسها بابا واسعا من الثروة ، وان أبت الا التعجيل بازالة نفوذ كل ذي نفوذ بالقوة العسكرية فانني أخشى ان يكون الخطر عليها من هذه السياسة من أشد الاخطار لانها تكون سياسة سفك دماء وتدمير بلاد ، وتمزيق القوة العسكرية في بلاد لا يمكنها البقاء فيها ، وما وراء ذلك الا العذاب الواصب ، أو استيلاء الأجانب

جمعية ندوة العلماء في الهند

كنا فرحين مغبوطين بفضل الله على المسلمين بتأليف هذه الجمعية وخدمتها العالية للاسلام والمسلمين حتى جاءتنا جرائد الهند الاخيرة بما أحزن قلوبنا وأبكى عيوننا من وقوع الشقاق بين العلماء المؤلفين لهذه الجمعية ، فأواه ، الى متى يفتك في هذه الامة الحسد والخلاف

الفضل الاكبر في تأليف الجمعية ونجاحها للشيخ شبلي النعماني فهو العالم المصلح الذي تشهد له تصانيفه وآثاره ، فبسعيه وجدت ، و بهمته ثبتت واستقرت ، ووثقت بها الأمة فأمدتها ، والحكومة فساعدتها ، وقد حسده على ما آتاه الله من فضله بعض العلماء الذين أعوزهم مثل علمه وعقله ، وأعياهم مثل عمله وسعيه ، فلجأوا الى السلاح الذي أهلك هذه الامة وهو الخلاف الذي يكبره و يمده الحسد والبغي «وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم البينات بغيا بينهم» فاتهموه بالاعتزال وترك الصلاة ، كما اتهم من قبل المصلحان العظيمان في هذه البلاد ، وقاوموه فيما يتوخاه من تسهيل أساليب التعليم الاسلامي كما قاوم امثالهم امثاله من المصلحين ، متنصرين للكتب المعقدة التي ألفوها ،

هذا مجمل ما بلغنا من أمر هذه الجمعية فنسأل الله تعالى أن ينزع ما في قلوب الحاسدين من غل ، ويطهرهم من الحسد والبغي ، فيتذكروا أن في الخلاف والتفرق الهلاك ، وفي التآلف والتعاون النجاة والسعادة ، فحسب هذه الامة ما فعل فيها الخلاف من إضعافها وتمزيقها وإزالة عزها وسلطانها ، الى متى الى متى ، انما يتذكر أولو الالباب

﴿ خاتمة السنة الثالثة عشرة ﴾

تمت السنة الثالثة عشرة للمنار بحمدالله وتوفيقه وقد كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية تارة في فنادقها وتارة في المراكب البخارية التي تجول في زقاقها (البوسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه فكان الغلط فيه كثيرا وقد وضعنا جداول للمهم مما عثرنا عليه منه ونشرناه في الاجزاء الماضية، ولشقيقينا السيد صالح والسيد حسين مافي الاجزاء الثمانية الاولى من التقاريظ وقد ذيل كل منهما ما كتبه بامضائه. وهما اللذان اختارا بعض الرسائل التي جاءت المنار أو وردت في بعض الصحف. ولهما بعض الهوامش كالتعريف بأصحاب الرسائل أو القصائد التي نشرت في تلك الاجزاء وكتفسير بعض الالفاظ وخبران في آخر ص٣٩٢ كتب هذا باسم المنار، وتنبيه في آخر ص٦٩٦ نشر خطأ ولا حاجة اليه

أما الانتقاد على المنار فلم يرد الينا شيء منه على شرطنا في هذا العام الا ذكرناه وبيناما عندنا فيه فمن أرسل شيئا من ذلك ولم يره فليذكرنا به أو ليعده الينا لعله فقد أو أهملت ادارة المجلة إرساله الينا ونحن في سفرنا. وندعو أهل العلم والاخلاص الى تعاهدنا بالانتقاد والنصيحة عندما يجدون مايوجب ذلك، ونحن على وعدنا بنشر نقدهم، فمن عاب المنار أو خطأه ولم يكتب ذلك اليه فهو فاسق مغتاب، لا قاصد لبيان الحق والصواب،

وأما المشتركون فالماطلون منهم كانوا أشد مطلا وأقل وفاء في هذه السنة التي غبنا أكثر شهورها وقد انتدب أحد الأنجاد الامجاد في تونس لتحصيل حقوق المنار من المشتركين والحق ان للكثيرين منهم ومن غيرهم بعض العذر بما ألفوا وتعودوا من عدم دفع المال، الا بالالحاح في السؤال، ونحن قد اكرمناهم ان نلح عليهم، ووكلنا الامر الى مروءتهم، وما كل أحد يخطر بباله هذا فالتقصير منا أكثر، واللوم علينا أكبر،

وفي الختام نسأل الله تعالى دوام التوفيق والاخلاص وله الامر من قبل ومن بعد، وصلاة وسلام على المرسلين، وتحية ورضوان على المصلحين، والحمد لله رب العالمين

منشيء المنار ومحرره
محمد رشيد رضا